فتح القدير

الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير

تأليف

الإمام محمد بن علي الشوكاني

١١٧٣ - ١٢٥٠ هـ

حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وضبط نصه

محمد صبحي بن حسن حلاق

راجعه وقابل أصوله ووضع فهارسه

د. عبد الرحمن بن محمد العيزري

الجزء الثالث

دار ابن الجوزي

فتح القدير

٣

دارابن الجوزي

للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية:

الدمام - حي الريان - شارع عثمان بن عفان

ت: ٠١٣٨٤٢٨١٤٦ - ٠١٣٨٤٦٧٥٩٣

٠١٣٨٤١٢١٠٠

ص ب. واصل: ٨١١٤

الرمز البريدي: ٣٢٢٥٦

الرقم الإضافي: ٤٩٧٣

الرياض - ت: ٠٥٩٢٦٦٢٤٩٥

جوّال: ٠٥٠٣٨٥٧٩٨٨

الأحساء - ت: ٠١٣٥٨٨٣١٢٢

جدة - ت: ٠١٢٦٨١٤٥١٩

جوّال: ٠٥٨٣٠١٧٩٥١

لبنان:

بيروت - ت: ٠٣/٨٦٩٦٠٠

فاكس: ٠١/٦٤١٨٠١

مصر:

القاهرة - تلفاكس: ٠٢٤٤٣٤٤٩٧٠

جوّال: ٠١٠٠٦٨٢٣٧٣٨٨

aljawzi@hotmail.com

+966503897671

aljawzi

eljawzi

aljawzi.net

ح **دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ١٤٤٢هـ**

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الشوكاني، محمد علي

فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير./ محمد علي الشوكاني؛ محمد صبحي حلاق؛ عبد الرحمن بن محمد العيزري.- الدمام، ١٤٤٢هـ

١٠مج.

ردمك: ٩ - ٧٤ - ٨٢٩٨ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (مجموعة)

ردمك: ٠ - ٧٧ - ٨٢٩٨ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (ج٣)

١ - القرآن - تفسير أ. حلاق، محمد صبحي (محقق) ب. العيزري، عبد الرحمن بن محمد (محقق) ج. العنوان

ديوي ٢٢٧,٣ ١٤٤٢/٤٠٧٩

الطبعة الأولى

١٤٤٢هـ

الباركود الدولي: 9786038298749

فتح القدير

الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير

تأليف
الإمام محمد بن علي الشوكاني
١١٧٣ - ١٢٥٠ هـ

حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وضبط نصه
محمد صبحي بن حسن حلاق

راجعه وقابل أصوله وصنع فهارسه
د. عبد الرحمن بن محمد العيزري

الجزء الثالث

دار ابن الجوزي

بسم الله الرحمن الرحيم

سُورَةُ المَائِدَةِ

هي مائة وثلاث وعشرون آية. قال القرطبي[(١)]: هي مدنية بالإجماع.

وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن قتادة[(٢)] قال: المائدة مدنية.

وأخرج أحمد والنسائي وابن المنذر، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «سُننِهِ»، عن جُبير بن نُفَير[(٣)]، قال: حججتُ فدخلت على عائشة، فقالت لي: يا جُبير تقرأ المائدة؟ فقلت: نعم، فقالت: أما إنها آخر سورة نزلت، فما وجدتم فيها من حلالٍ فاستحلّوه، وما وجدتم من حرام فحرّموه.

وأخرج أحمد والترمذي وحسّنه، والحاكم وصحّحه، وابن مردويه والبيهقي في «سُننه»، عَنْ عبد الله بن عمرو[(٤)] قال: آخر سورة نزلت سورة المائدة والفتح.

وأخرج أحمد[(٥)] عنه قال: أنزلت على رسول الله ﷺ سورة المائدة وهو راكب على راحلته، فلم تستطع أن تحمله، فنزل عنها.

قال ابن كثير[(٦)]: تفرّد به أحمد.

قلت: وفي إسناده ابن لَهِيعة.

وأخرج أحمد وعبد بن حُميد، وابن جرير، ومحمد بن نصر في كتاب «الصلاة»، والطبراني، وأبو نُعيم في «الدلائل»، والبيهقي في «شُعب الإيمان» عن

---

(١) في «تفسيره» (٧/ ٢٤٣).

(٢) أخرجه ابن جرير (٨/ ٩٠)، وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٥/ ١٥٦) وسنده صحيح.

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٦/ ١٨٨)، والنسائي في «التفسير» رقم (١٥٨)، والحاكم (٢/ ٣١١) وصحَّحه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، والبيهقي (٧/ ١٧٢) بسند صحيح.

(٤) أخرجه الترمذي في «السنن» رقم (٣٠٦٣) وقال: «حسن غريب»، والحاكم (٢/ ٣١١) وصحَّحه على شرط الشيخين، ولم يذكره الذهبي، والبيهقي (٢/ ١٧٢) بسند ضعيف.

(٥) أخرجه أحمد (٢/ ١٧٢).

وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: «رواه أحمد، وفيه ابن لهيعة والأكثر على ضعفه، وقد يحسن حديثه، وبقية رجاله ثقات. وهو حديث حسن لغيره».

(٦) في «تفسيره» (٥/ ٥).

أسماء بنت يزيد[١] نحوه.

وأخرج ابن أبي شيبة في «مسنده»، والبغوي في «معجمه»، وابن مردويه، والبيهقي في «دلائل النبوّة»، عن أم عمرو بنت عيسى[٢] عن عمها نحوه أيضاً.

وأخرج أبو عبيد[٣]، عن محمد بن كعب القرظي نحوه. وزاد: أنّها نزلت في حجة الوداع فيما بين مكة والمدينة.

وهكذا أخرج ابن جرير[٤]، عن الربيع بن أنس بهذه الزيادة.

وأخرج أبو عُبيد، عن ضَمْرة بن حبيب وعطية بن قيس[٥] قالا: قال رسول الله ﷺ: «المائدة من آخر القرآن تنزيلاً، فأحلوا حلالها وحرّموا حرامها».

وأخرج أبو داود والنحاس، كلاهما، في «الناسخ» عن أبي ميسرة[٦]، عمر بن شرحبيل، قال: لم يُنْسخ مِنْ المائدة شيء.

وكذا أخرجه سعيد بن منصور، وابن المنذر، عنه[٧].

وكذا أخرجه عبد بن حميد، وأبو داود في «ناسخه»، وابن المنذر عن الحسن البصري[٨].

وأخرج عبد بن حميد وأبو داود في «ناسخه»، وابن جرير وابن المنذر عن الشعبي[٩] قال: لم يُنسخ من المائدة إلا هذه الآية: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَـٰٓئِدَ﴾ [المائدة: ٢].

---

(١) أخرجه البيهقي في «الشعب» رقم (٢٢٠٧)، وأحمد (٦/ ٤٥٥)، والطبراني في «الكبير» رقم (٤٤٨) بسند ضعيف.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٣): «فيه شهر بن حوشب وهو ضعيف وقد وُثِّق».

(٢) أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٧/ ١٤٥)، وفي «الشعب» رقم (٢٢٠٦)، وابن أبي شيبة في «مسنده» رقم (٦٦٠) بسند ضعيف.

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٤). وهو عند أَبي عُبيد في «فضائل القرآن» (٢/ ٤٥ رقم ٤٤٣).

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٩١).

(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٤). وهو عند أَبي عُبيد رقم (٤٤٤) وهو مرسل.

(٦) أخرجه النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص١٤)، وأبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (ص١٣٧ رقم ٢٥)، وسعيد بن منصور في «سننه» رقم (٧١١ ـ تفسير) بسند ضعيف.

(٧) انظر: التعليقة المتقدمة.

(٨) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٤).

(٩) أخرجه سعيد بن منصور في «سننه» رقم (٧١٢ ـ تفسير)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ١٨١)، =

وأخرج أبو داود في «ناسخه»، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، عن ابن عباس(١) قال: نسخ من هذه السورة آيتان، آية القلائد. وقوله: ﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ﴾ [المائدة: ٤٢].

وأخرج عبد بن حميد(٢) في «مسنده» عن ابن عباس أن النبي ﷺ قرأ في خطبته سورة المائدة والتوبة.

وذكر النقّاش(٣) عن أبي سلمة أنه قال: «لما رجع ﷺ من الحديبية قال: يا عليّ أشعرت أنها نزلت عليّ سورة المائدة؟ ونعمت الفائدة».

قال ابن العربي(٤): هذا حديثٌ موضوعٌ لا يَحلّ لمسلم اعتقاده.

وقال ابن عطية(٥): هذا عندي لا يشبه كلام النبيّ ﷺ.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[الوفاء بالعهود، والتعاون على الخير، وتعظيم شعائر الله]:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٢﴾.

هذه الآية التي افتتح الله بها هذه السورة إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ فيها مِنْ البلاغة ما تتقاصر عنده القوى البشرية مع شمولها لأحكام(٦) عدّة: منها الوفاء

= والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص١٤٢)، وأبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» رقم (٢٤٨) بسند صحيح.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٣٥ رقم ٦٣٨٨)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٢١٢) وصحّحه ووافقه الذهبي.

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣).

(٣) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٥)، والقرطبي في «تفسيره» (٧/ ٢٤٣).

(٤) في «أحكام القرآن» (٢/ ٥٢٣).

(٥) في «المحرر الوجيز» (٥/ ٥).

(٦) «الجامع لأحكام القرآن» (٧/ ٢٤٥).

بالعقود، ومنها تحليل بهيمة الأنعام، ومنها استثناء ما سُيتلى مما لا يحلّ، ومنها تحريم الصيد على المُحْرِم، ومنها إباحة الصيد لمن ليس بمحرم. وقد حكى النقّاش[(١)]: أن أصحاب الفيلسوف الكندي[(٢)] قالوا له: أيها الحكيم اعمل لنا مثل هذا القرآن، فقال: نعم أعمل مثل بعضه، فاحتجب أياماً كثيرةً ثم خرج فقال: واللهِ ما أقدر، ولا يطيق هذا أحد، إنِّي فتحت المصحف فخرجت سورة المائدة، فنظرت فإذا هو قد نطق بالوفاء ونهى عن النكث، وحلل تحليلاً عامّاً، ثم استثنى بعد استثناء، ثم أخبر عَنْ قدرته وحكمته في سطرين، ولا يقدر أحد أن يأتي بهذا[(٣)].

قوله: ﴿أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ﴾ يقال: أوفى ووفَّى لغتان وقد جمع بينهما [٢/٢] الشاعر فقال[(٤)]:

أَمَّا ابنُ طَوْقٍ فقد أوفَى بذِمّته ... كما وَفَى بقِلاص النَّجمِ حادَيها

والعقود: العهود، وأصل العقود الربوط، واحدها عَقْد، يقال: عقدت الحبلَ والعهدَ، فهو يستعمل في الأجسام والمعاني، وإذا استعمل في المعاني كما هنا أفاد أَنَّه شديد الإِحْكام، قويّ التوثيق.

قيل: المراد بالعقود هي التي عقدها الله على عباده وألزمهم بها من الأحكام؛ وقيل: هي العقود التي يعقدونها بينهم من عقود المعاملات. والأَولى شمول الآية للأمرين جميعاً، ولا وجه لتخصيص بعضها دون بعض.

قال الزجّاج[(٥)]: المعنى: أوفوا بعقد الله عليكم وبعقدكم بعضَكم على بعض. انتهى. والعقدُ الذي يجب الوفاء به ما وافق كتابَ الله وسُنَّة رسول الله ﷺ، فإن خالفهما فهو ردّ لا يجب الوفاء به ولا يحلّ.

قولُه: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَـٰمِ﴾ الخطاب للذين آمنوا. والبهيمة: اسم لكل

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٧/ ٢٤٥ ـ ٢٤٦).

(٢) وهو: يعقوب بن إسحاق، أبو يوسف، فيلسوف العرب والإسلام في عصره وهو أحد أبناء الملوك من كندة نشأ بالبصرة وانتقل إلى بغداد، فتعلم، واشتهر بالطب والفلسفة والهندسة، ألف وترجم الكثير (ت٢٦٠هـ).
«سير أعلام النبلاء» (٨/ ٣٣٧)، و«الفهرست» (٢٥٥، ٢٦١)، و«لسان الميزان» (٦/ ٣٠٥).

(٣) انظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٥ ـ ٦).

(٤) وهو: طُفيل الغنوي. انظر: ديوانه (ص١١٣).

(٥) في «معاني القرآن» (٢/ ١٣٩).

ذي أربع، سميت بذلك لإبهامها من جهة نقص نُطقها وفَهْمها وعَقْلها، ومنه باب مُبْهَم؛ أي: مُغْلَق، وليل بَهيم، وبُهْمة للشجاع الذي لا يُدرى مِنْ أين يُؤتى، وحلقة مبهمة: لا يدري أين طرفاها.

والأنعام: اسمٌ للإبل والبقر والغنم، سُميت بذلك لما في مشيها من اللين؛ وقيل: بهيمة الأنعام: وحشيها كالظباء وبقر الوحش والحُمُر الوحشية وغير ذلك، حكاه ابن جرير[١] الطبري عن قوم، وحكاه غيره[٢] عن السدّي والربيع وقتادة والضحاك.

قال ابن عطية[٣]: وهذا قول حسن، وذلك أن الأنعام هي الثمانية الأزواج، وما انضاف إليها من سائر الحيوانات يقال له: أنعام مجموعة معها، وكأن المفترس كالأسد، وكل ذي ناب خارج عَنْ حدّ الأنعام، فبهيمة الأنعام هي الراعي من ذوات الأربع.

وقيل[٤]: بهيمة الأنعام: ما لم تكن صيداً؛ لأن الصيد يسمى وحشاً لا بهيمة.

وقيل: بهيمة الأنعام: الأجنّة التي تخرج عند الذبح من بطون الأنعام، فهي تؤكل مِنْ دون ذكاة.

وعلى القول الأوّل، أعني: تخصيص الأنعام بالإبل والبقر والغنم، تكون الإضافة بيانية، ويلحق بها ما يحلّ مما هو خارج عنها بالقياس؛ بل وبالنصوص التي في الكتاب والسُّنَّة؛ كقوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً﴾ الآية [الأنعام: ١٤٥]، وقوله ﷺ: «يحرم كل ذي ناب من السبع ومخلب من الطير»[٥]، فإنه يدل بمفهومه على أن ما عداه حلال، وكذلك سائر النصوص الخاصة بنوع، كما في كتب السُّنَّة المطهرة.

قوله: ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ استثناء من قوله: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾؛ أي: إلا مدلول ما يتلى عليكم فإنّه ليس بحلال. والمتلوّ: هو ما نصّ الله على تحريمه،

---

(١) في «جامع البيان» (٨/ ١٩ ـ ٢٠).
(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٧/ ٢٥٠).
(٣) في «المحرر الوجيز» (٥/ ٨).
(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (٧/ ٢٥٠).
(٥) أخرجه أحمد (١/ ٢٤٤، ٢٨٩، ٣٠٢)، ومسلم رقم (١٦/ ١٩٣٤)، وأبو داود رقم (٣٨٠٣)، والنسائي رقم (٤٣٢٦)، وابن ماجه رقم (٣٢٣٤)، وابن الجارود رقم (٨٩٢)، والبيهقي (٩/ ٣١٥) من حديث ابن عباس ﵄. وهو حديث صحيح.

نحو قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ الآية [المائدة: ٣]، ويلحق به ما صرحت السُّنَّة بتحريمه.

وهذا الاستثناء[١] يحتمل أن يكون المراد به: إلّا ما يتلى عليكم الآن، ويحتمل أن يكون المراد به في مُستقبل الزمان، فيدل على جواز تأخير البيان عن وقت الحاجة، ويحتمل الأمرين جميعاً.

قوله: ﴿غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ﴾، ذهب البصريون إلى أن قوله: ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ استثناء مِنْ بهيمة الأنعام.

وقوله: ﴿غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ﴾ استثناء آخر منه أيضاً؛ «فالاستثناءآن» جميعاً من بهيمة الأنعام، والتقدير: أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى[٢] عليكم: إلا الصيد وأنتم محرمون؛ وقيل: الاستثناء الأوّل مِنْ بهيمة الأنعام.

والاستثناء الثاني هو مِنْ الاستثناء الأوّل، وردّ بأن هذا يستلزم إباحة الصيد في حال الإحرام؛ لأنه مستثنى مِنْ المحظور فيكون مباحاً.

وأجاز الفرّاء[٣] أن يكون ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ﴾ في موضع رفع على البدل، ولا يجيزه البصريون إلا في النكرة وما قاربها مِنْ الأجناس.

قال[٤]: وانتصاب ﴿غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ﴾ على الحال من قوله: ﴿أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ﴾، وكذا قال الأخفش[٥].

وقال غيرهما[٦]: حال من الكاف والميم في ﴿لَكُم﴾ والتقدير: أحلت لكم بهيمة الأنعام غير محلي الصيد؛ أي: الاصطياد في البرّ وأكل صيده.

ومعنى عدم إحلالهم له تقرير حرمته عملاً واعتقاداً وهم حُرُم؛ أي: محرمون وجملة: ﴿وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ في محل نصب[٧] على الحال من الضمير في ﴿مُحِلِّى﴾.

ومعنى هذا التقييد ظاهر عند مَنْ يخص بهيمة الأنعام بالحيوانات الوحشية

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٧/ ٢٥١).
(٢) «أحكام القرآن» لابن العربي (٢/ ٥٣٠ ـ ٥٣١).
(٣) «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٩٨).
(٤) الفراء في «معاني القرآن» (١/ ٢٩٨).
(٥) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٤٥٩).
(٦) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٣ ـ ٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٧/ ٢٥٢).
(٧) «البحر المحيط» (٤/ ١٦٢).

البرية التي يحلّ أكلها كأنه قال: أحلّ لكم صيد البرّ إلا في حال الإحرام.

وأما على قول مَنْ يجعل الإضافة بيانية[(١)]؛ فالمعنى: أُحلّت لكم بهيمة، هي الأنعام، حال تحريم الصيد عليكم بدخولكم في الإحرام لكونكم محتاجين إلى ذلك، فيكون المراد بهذا التقييد الامتنان عليهم بتحليل ما عدا ما هو محرّم عليهم في تلك الحال.

والمراد بالحرم: مَنْ هو مُحْرِم بالحجّ أو العمرة أو بهما، وسُمّي محرماً لكونه يَحْرم عليه الصيد والطيب والنِّساء، وهكذا وجه تسمية الحَرَم حَرَماً، والإحرام إحراماً.

وقرأ الحسن والنخعي ويحيى بن وثاب «حُرْم» بسكون[(٢)] الراء وهي لغة تميمية، يقولون في رُسُل: رُسْل، وفي كُتُب: كُتْب ونحو ذلك.

قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ مِنْ الأحكام المخالفة لما كانت العرب تعتاده، فهو مالك الكل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا مُعقّب لحكمه.

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ الشعائر: جمع شَعِيرة [٣/٢] على وزن فَعِيلة.

قال ابنُ فارس[(٣)]: ويقال للواحدة: شِعَارة وهو أحسن، ومنه: الإشعار للهَدْيّ. والمشاعر: المعالَم، واحدها مَشْعَر، وهي المواضع التي قد أشعرت بالعلامات؛ قيل: المراد بها هنا جميع مناسك الحج: وقيل: الصفا والمروة، والهَدْيُ والبُدْن.

والمعنى على هذين القولين: لا تحلوا هذه الأمور بأن يقع منكم الإخلال بشيء منها، أو بأن تحولوا بينها وبين مَنْ أراد فعلها. ذكر سبحانه النهي عن أن يحلوا شعائر الله عقب ذكره تحريم صيد المحرم.

وقيل: المراد بالشعائر هنا: فرائض الله، ومِنْه: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ [الحج: ٣٢]؛ وقيل: هي حُرمات الله، ولا مانع مَنْ حمل ذلك على الجميع اعتباراً بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ولا بما يدل عليه السياق.

---

(١) «التبيان» (١/ ٤١٥)، و«جامع البيان» (٨/ ١٨).

(٢) «القراءات الشاذة» (ص٣١)، و«المحتسب» (١/ ٢٠٥)، و«النشر» (١/ ٢٨٢) وهي قراءة شاذة.

(٣) في «مجمل اللغة» (١/ ٥٠٥)، و«مقاييس اللغة» (ص٥٠٧).

قوله: ﴿وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ﴾ المراد به الجنس، فيدخل في ذلك جميع الأشهر الحُرُم وهي أربعة: ذو القعدة، وذو الحجة، ومحرّم، ورجب؛ أي: لا تحلوها[١] بالقتال فيها؛ وقيل: المراد به هنا: شَهر الحج فقط.

قوله: ﴿وَلَا ٱلۡهَدۡيَ﴾ هو ما[٢] يُهدى إلى بيت الله مِنْ ناقة أو بقرة أو شاة، الواحدة هدية. نهاهم سبحانه عَنْ أن يحلوا حُرمة الهدي بأن يأخذوه على صاحبه أو يحولوا بينه وبين المكان الذي يهدى إليه. وعطف الهدي على الشعائر مع دخوله تحتها لقصد التنبيه على مزيد خصوصيته والتشديد في شأنه.

قولُه: ﴿وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ﴾ جمع: قلادة، وهي ما يقلد[٣] به الهدي من نعل أو نحوه. وإحلالها بأن تؤخذ غصباً، وفي النهي عن إحلال القلائد تأكيد للنهي عن إحلال الهدي؛ وقيل: المراد بالقلائد: المقلدات بها، ويكون عطفه على الهدي لزيادة التوصية بالهدي، والأوّل أولى.

وقيل: المراد بالقلائد[٤] ما كان الناس يتقلّدونه أمنةً لهم، فهو على حذف مضاف؛ أي: ولا أصحاب القلائد.

قولُه: ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ﴾؛ أي: قاصديه. مِنْ قولهم: أمَّمْتُ كذا؛ أي: قصدته.

وقرأ الأعمش[٥]: «ولا آمي البيتِ الحرام» بالإضافة.

والمعنى: لا تمنعوا مَنْ قصد البيت الحرام لحجٍّ أو عمرة أو ليسكن فيه؛ وقيل: إن سبب نزول هذه الآية: أنَّ المشركين كانوا يحجون ويعتمرون ويهدون فأراد المسلمون أَنْ يُغيروا عليهم، فنزل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ إلى آخر الآية، فيكون ذلك منسوخاً بقوله: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ [التوبة: ٥].

وقولُه: ﴿فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ﴾ [التوبة: ٢٨]، وقوله ﷺ: «لا يحجنّ بعد العام مشرك»[٦].

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٧/ ٢٥٧)، و«جامع البيان» (٨/ ٢٤ ـ ٢٥).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٧/ ٢٥٧). (٣) انظر: «فتح الباري» (٣/ ٥٤٧).

(٤) قاله القرطبي في «تفسيره»: (٧/ ٢٥٨).

(٥) «القراءات الشاذة» (ص٣٠ ـ ٣١)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٤). قال العكبري في «التبيان»: (١/ ٤١٦): «وقرئ في الشاذ: «ولا آمِّي البيت» بحذف النون والإضافة».

(٦) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٣٦٩، ١٦٢٢، ٣١٧٧، ٤٣٦٣)، ومسلم في «صحيحه» =

وقال قوم: الآية مُحْكمة وهي في المسلمين.

قوله: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾ جملة حالية[١] مِنْ الضمير المستتر في ﴿ءَآمِّينَ﴾ قال جمهور[٢] المفسرين: معناه يبتغون الفضل والأرباح في التجارة، ويبتغون مع ذلك رضوان الله، وقيل: كان منهم من يطلب التجارة، ومنهم من يبتغي بالحج رضوان الله، ويكون هذا الابتغاء للرضوان بحسب اعتقادهم، وفي ظنهم عند من جعل الآية في المشركين؛ وقيل: المراد بالفضل هنا: الثواب لا الأرباح في التجارة.

قوله: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ هذا تصريح بما أفاده مفهوم ﴿وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ أباح لهم الصيد بعد أن حظرَهَ عليهم لزوال السبب الذي حُرّم لأجله، وهو الإحرام.

قوله: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ﴾ قال ابنُ فارس[٣]: جَرم وأَجْرم ولا جَرَم بمعنى قولك: لا بُدّ ولا محالة، وأصلها من جَرَم؛ أي: كسب.

وقيل: المعنى: لا يحملنّكم. قاله الكسائي[٤] وثعلب، وهو يتعدّى إلى مفعولين، يقال: جرمني كذا على بغضك؛ أي: حمَلني عليه، ومنه قول الشاعر[٥]:

ولقد طعنتُ أبا عُيينةَ طعنةً ... جرَمتْ فزارةَ بعدها أن يغضبوا

أَي: حمَلتهم على الغضب.

وقال أبو عُبيدة[٦] والفرّاء[٧]: معنى ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾: لا يكسبنّكم بغض قوم أَن تعتدوا الحق إلى الباطل، والعدل إلى الجور، والجريمة والجارم بمعنى: الكاسب، ومنه قول الشاعر[٨]:

= رقم (١٣٤٧/٤٣٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(١) «روح المعاني» (٧/ ٢٢ ـ ٢٣)، و«البحر المحيط» (٤/١٦٦ ـ ١٦٧).

(٢) «جامع البيان» (٨/ ٣١)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ١٤ ـ ١٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٧/ ٢٦٤).

(٣) في مجمل اللغة (١/ ١٨٤).

(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٧/ ٢٦٥) عن النسائي وأبي العباس.
وانظر: «تهذيب اللغة» (١/ ٦٥).

(٥) وهو لأبي أسماء بن الضريبة، وقيل: عطية بن عفيف.
«النكت والعيون» (٢/ ٨)، و«لسان العرب» (١٢/ ٩٣).

(٦) في «مجاز القرآن» (١/ ١٤٧).

(٧) في «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٩٩).

(٨) وهو: أبو خراش الهذلي.
«ديوان الهذليين» (٢/ ١٣٣).

جـريـمـةُ نـاهـضٍ فـي رأس نِـيـقٍ   يـرَى لـعـظـام مـا جـمـعـتْ صَـلـيـبـاً

معناه: كاسبُ قوت. والصليب: الودك، ومنه قول الآخر(١):

يا أيها المشتكِي عُكْلا وما جرمَتْ   إلـى الـقـبـائـل مـن قـتـل وإبـاسُ

أي: كسبت.

والمعنى في الآية: لا يحملنكم بغضُ قوم على الاعتداء عليهم، أو لا يكسبنكم بغضهم اعتداءكم للحق إلى الباطل، ويقال: جَرَم يَجْرم جُرْماً: إذا قطع.

قال عليّ بن عيسى الرمّاني(٢): وهو الأصل، فجرم بمعنى: حمَلَ على الشيء لقطعه من غيره، وجَرَم بمعنى: كسب لانقطاعه إلى الكسب، ولا جرم بمعنى: حق؛ لأن الحق يقطع عليه، قال الخليل(٣): معنى ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ [النحل: ٦٢]: لقد حقّ أن لهم النار.

وقال الكسائي(٤): جرم وأجرم لغتان بمعنى واحد؛ أي: اكتسب.

وقرأ ابن مسعود: «لَا يُجْرِمَنَّكُمْ» بضم(٥) الياء، والمعنى: لا يكسبنكم، ولا يعرف البصريون أجرم، وإنما يقولون: جرم لا غير.

والشنآن: البُغْض. وقرئ بفتح(٦) النون وإسكانها، يقال: شنئتُ الرجل أشنؤه شَناءً ومشنأةً وشنآناً كل ذلك: إذا أبغضته، وشنآن هنا مضاف إلى المفعول؛ أي: بغض قوم منكم لا بغض قوم لكم.

قولُه: ﴿أَن صَدُّوكُمْ﴾ بفتح الهمزة مفعول لأجله؛ أي: لأن صدّوكم.

وقرأ أبو عمرو(٧) وابن كثير بكسر الهمزة على الشرطية، وهو اختيار أبي عبيد(٨).

---

(١) ذكره ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٤٦)، وابن الأنباري في «الأضداد» (ص١٠١) دون نسبة. وفي «مجالس ثعلب» (ص٤٩) منسوب للفرزدق.

(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٧/ ٢٦٦).   (٣) في كتاب «العين» (ص١٣٧).

(٤) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ١٧)، والقرطبي في «تفسيره» (٧/ ٢٦٦).

(٥) «مجمع البيان» (٦/ ١٠)، و«القراءات الشاذة» (ص٣١)، و«المحتسب» (١/ ٢٠٦). وهي قراءة شاذة

(٦) «الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٠٤)، و«حاشية الجمل» (١/ ٤٥٩)، و«النشر» (٢/ ٢٥٣). هما قراءتان متواترتان للجمهور فالفتح والإسكان عن ابن عامر وشعبة.

(٧) «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٥)، و«النشر» (٢/ ٥٥٣). فتح الهمزة للجمهور وكسرها قراءتان متواترتان وقراءة الأعمش شاذة، انظر: «تخريج القراءات في فتح القدير» (ص١١١).

(٨) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٧/ ٢٦٧).

وقرأ الأعمش[١]: [٢/٤] «إن يصدوكم» والمعنى على قراءة الشرطية: لا يحملنكم بغضهم إنْ وقع منهم الصدّ لكم عَنْ المسجد الحرام على الاعتداء عليهم.

قال النّحاس[٢]: وأما «إن صدّوكم» بكسر إن؛ فالعلماء الجلّة بالنحو والحديث والنظر، يمنعون القراءة بها لأشياء: منها أن الآية نزلت عام الفتح سنة ثمان، وكان المشركون صدّوا المؤمنين عام الحديبية سنة ست؛ فالصد كان قبل الآية؛ وإذا قرئ بالكسر لم يجز أن يكون إلا بعده، كما تقول: لا تعط فلاناً شيئاً إن قاتلك، فهذا لا يكون إلا للمستقبل، وإن فتحت كان للماضي[٣]. وما أحسن[٤] هذا الكلام.

وقد أنكر أبو حاتم[٥] وأبو عبيد شَنْآن بسكون النون؛ لأن المصادر إنما تأتي في مثل هذا متحركة، وخالفهما غيرهما فقال: ليس هذا مصدراً، ولكنه اسم فاعل على وزن كَسْلان وغَضْبان.

ولما نهاهم عن الاعتداء أمرهم بالتعاون على البرّ والتقوى؛ أي: ليعن بعضُكم بعضاً على ذلك، وهو يشمل كل أمر يصدق عليه أنه من البرّ والتقوى كائناً ما كان؛ قيل: إن البرّ والتقوى لفظان لمعنى واحد، وكُرر للتأكيد.

وقال ابن عطية[٦]: إن البرّ يتناول الواجب والمندوب، والتقوى تختص بالواجب.

وقال الماوردي[٧]: إن في البرّ رضا الناس وفي التقوى رضا الله، فمن جمع بينهما فقد تمت سعادته.

ثم نهاهم سبحانه عن التعاون على الإثم والعدوان؛ فالإثم: كل فعل أو قول يوجب إثم فاعله أو قائله، والعدوان: التعدّي على الناس بما فيه ظلم، فلا يبقى نوع من أنواع الموجبات للإثم، ولا نوع من أنواع الظلم[٨] للناس الذين من جملتهم النفس، إلا وهو داخل تحت هذا النهي لصدق هذين النوعين على كل ما يوجد فيه

---

(١) «المحتسب» (١/٢٠٦)، و«إعراب القرآن» (٢/٥).
(٢) في «إعراب القرآن» (٢/٥).
(٣) وتمام العبارة: «... فوجب عن هذا ألّا يجوز إلا أن صدّوكم».
(٤) قاله الشوكاني.
(٥) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٢/٦).
(٦) في «المحرر الوجيز» (٥/٢٠).
(٧) في «أدب الدنيا والدين» (ص١٦٨).
(٨) «الجامع لأحكام القرآن» (٧/٢٦٩)، و«جامع البيان» (٨/٥٢).

معناهما، ثم أمر عباده بالتقوى وتوعد من خالف ما أمر به فتركه، أو خالف ما نهى عنه ففعله، بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

وقد أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في «شُعَبِ الإيمان» عَنْ ابن عباس[١] في قوله: ﴿أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِۚ﴾ قال: ما أحل الله وما حرّم، وما فرض وما حَدّ في القرآن كله لا تَغْدروا ولا تنكُثوا.

وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد عن قتادة[٢] قال: هي عقود الجاهلية الحِلْف.

وروى عنه ابن جرير[٣] أنه قال: ذكر لنا أن نبيّ الله ﷺ كان يقول: «وأوفوا بعقد الجاهلية ولا تحدثوا عقداً في الإسلام».

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر، عن الحسن[٤] في قوله: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ قال: الإبل والبقر والغنم.

وأخرج ابن جرير[٥] عن ابن عمر في قوله: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ قال: ما في بطونها، قلت: إن خرج ميتاً آكله؟ قال: نعم.

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في «شعب الإيمان»، عن ابن عباس[٦] في قوله: ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ قال: ﴿ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ إلى آخر الآية [المائدة: ٣]، فهذا ما حرّم الله من بهيمة الأنعام.

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٧] في قوله: ﴿لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ قال: كان المشركون يحجون البيت الحرام ويهدون الهدايا ويعظمون حُرْمة المشاعر وينحرون في حجهم، فأراد المسلمون أن يُغيروا عليهم، فقال الله: ﴿لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٩)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٤٣٥٦) بسند صحيح.
(٢) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ١٨١) بسند صحيح.
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٨) بسند صحيح لكنه مرسل.
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ١٣) بسند ضعيف.
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ١٣ ـ ١٤) بسند ضعيف.
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ١٦) بسند صحيح.
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٢٢ ـ ٢٣) بسند صحيح.

وفي قوله: ﴿وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ﴾؛ يعني: لا تستحلوا قتالاً فيه ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ﴾؛ يعني: مَنْ توجّه قِبَل البيت الحرام، فكان المؤمنون والمشركون يحجون جميعاً، فنهى الله المؤمنين أن يمنعوا أحداً حجّ البيت أو يتعرضوا له من مؤمن أو كافر، ثم أنزل الله بعد هذه الآية: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ﴾ [التوبة: ٢٨].

وفي قوله: ﴿يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا﴾؛ يعني: أنَّهم يرضون الله بحجهم، ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ﴾ يقول: لا يحملنكم ﴿شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ﴾ يقول: عداوة قوم.

﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ﴾ قال: البرّ ما أُمرت به، والتقوى ما نُهيت عنه.

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عنه(١) في الآية قال: شعائر الله: ما نهى الله عنه أن تصيبه وأنت محرم، والهدي: ما لم يقلد، والقلائد: مقلّدات الهدي ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ﴾ يقول: مَنْ توجه حاجّاً.

وأخرج ابن جرير(٢) عنه في قوله: ﴿لَا تُحِلُّواْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ قال: مناسك الحج.

وأخرج ابن أبي حاتم(٣) عن زيد بن أسلم قال: كان رسول الله ﷺ بالحديبية وأصحابه حين صدهم المشركون عن البيت، وقد اشتدّ ذلك عليهم، فمر بهم أناس من المشركين من أهل المشرق يريدون العمرة، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: نصدّ هؤلاء كما صدّنا أصحابنا، فأنزل الله: ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ﴾ الآية.

وأخرج أحمد وعبد بن حميد والبخاري في «تاريخه» عن وابصة(٤) أن النبي ﷺ قال له: «البرّ ما اطمأنّ إليه القلب واطمأنَّت إليه النفس، والإثمُ ما حاك في القلب وتردّد في الصدر وإن أفتاك النّاسُ وأفتوك».

وأخرج ابنُ أبي شيبة وأحمد، والبخاري في «الأدب»، ومسلم والترمذي والحاكم والبيهقي، عن النواس بن سمعان(٥) قال: سألت النبي ﷺ عن البرّ والإثم،

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٢٦، ٣٤) بسند ضعيف.
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٢٢) بسند ضعيف.
(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ٩).
(٤) أخرجه أحمد (٤/ ٢٢٧، ٢٢٨)، والبخاري في «تاريخه» (١/ ١٤٤، ١٤٥).
(٥) أخرجه ابن أبي شيبة رقم (٥٣٨٧)، وأحمد (٤/ ١٨٢)، ومسلم رقم (١٤/ ٢٥٥٣)، والترمذي رقم (٢٣٨٩)، والحاكم (٢/ ١٤) وصحَّحه ووافقه الذهبي، والبيهقي في «الشعب» رقم (٧٩٩٤).

فقال: «البرّ حُسن الخُلق، والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أَنْ يطّلعَ عليه الناس».

وأخرج أحمد وعبد بن حميد وابن حبان والطبراني، والحاكم وصححه، والبيهقي عَنْ أبي أُمامة[(١)]، أن رجلاً سأل النبيّ ﷺ عن الإثم، فقال: «ما حاك في نفسك فدعه. قال: فما الإيمان؟ قال: مَنْ ساءته سيئتُه، وسرّته حسنته، فهو مؤمن».

[المطعومات المحرمة]:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾. [٥/٢]

هذا شروع في المحرّمات التي أشار إليها سبحانه بقوله: ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ١]. والميتة قد تقدّم ذكرها في البقرة، وكذلك الدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله، وما هنا مِنْ تحريم مطلق الدم مقيد بكونه مسفوحاً كما تقدّم، حملاً للمطلق على المقيد.

وقد ورد في السُّنَّة تخصيص الميتة بقوله ﷺ: «أحلّ لنا ميتتان ودمان، فأما الميتتان: فالحوت والجراد، وأما الدمان: فالكبد والطحال»[(٢)] أخرجه الشافعي، وأحمد، وابن ماجه والدارقطني والبيهقي وفي إسناده مقال.

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٥١)، وابن حبان رقم (١٧٦)، والطبراني رقم (٧٥٣٩)، والحاتم (٢/ ١٣) صحَّحه وسكت عنه الذهبي، والبيهقي في «الشعب» رقم (٦٩٩٠).
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: «رجاله رجال الصحيح إلا أن فيه يحيى بن أبي كثير وهو مدلس وإن كان من رجال الصحيح».

(٢) أخرجه الشافعي في «المسند» (ج٢ رقم ٦٠٨ ـ ترتيب)، وعبد بن حميد في «المنتخب» رقم (٨٢٠)، وابن حبان في «المجروحين» (٣/ ٥٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١/ ٢٥٤)، (٩/ ٢٥٧) و(١٠/ ٧)، وفي «المعرفة» رقم (١٨٨٥٣)، والبغوي في «شرح السُّنَّة» رقم (٢٨٠٣)، وأحمد (٢/ ٩٧)، وابن ماجه رقم (٣٢١٨، ٣٣١٤)، والدارقطني في «السنن» (٤/ ٢٧١ رقم ٢٥).
قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣/ ٦٢): «هذا إسناد فيه عبد الرحمٰن بن أسلم وهو ضعيف، وله شاهد من حديث عبد الله بن أبي أوفى رواه النسائي في «الصغرى» مقتصراً عن ذكر الجراد». وهو حديث صحيح.

ويقوّيه حديثُ: «هو الطهور ماؤه والحلّ ميتته»[١]، وهو عند أحمد وأهل السنن، وغيرهم، وصححه جماعة منهم ابن خزيمة وابن حبان، وقد أطلنا الكلام عليه في شرحنا لـ«المنتقى»[٢].

والإهلال: رفع الصوت لغير الله؛ كأن يقول: بسم اللّات والعُزّى ونحو ذلك، ولا حاجة بنا هنا إلى تكرير ما قد أسلفناه، ففيه ما لا يحتاج الناظر فيه إلى غيره.

﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾ هي التي تموت[٣] بالخَنْق: وهو حبس النفَس، سواء كان ذلك بفعلها كأن تدخل رأسها في حبل أو بين عودين، أو بفعل آدميّ أو غيره، وقد كان أهل الجاهلية[٤] يخنقون الشاة، فإذا ماتت أكلوها.

﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾ هي التي تُضرِب بحجرٍ أو عصا حتى تموت من غير تذكية، يقال: وَقذَه يَقِذُه وَقْذا فهو وَقِيذٌ، والوَقذ[٥]: شدّة الضرب، وفلان وقيذ؛ أي: مُثخن ضَرْباً، وقد كان أهل الجاهلية يفعلون ذلك، فيضربون الأنعام[٦] بالخشب لآلهتهم حتى تموت ثم يأكلونها، ومنه قول الفرزدق[٧]:

شغّارةٌ تقِذُ الفصيلَ برجلها ... فطّارةٌ لقوادم الأظفارِ

قال ابنُ عبد البر[٨]: واختلف العلماء قديماً وحديثاً في الصيد بالبُنْدق والحجر والمعراض، ويعني بالبندق: قوس البندقة، وبالمعراض: السهم الذي لا ريش له. أو العصا التي رأسها محدّد، قال: فمن ذهب إلى أنه وقيذ لم يجزه إلا ما أدرك ذكاته على ما روي عن ابن عمر، وهو قول مالك وأبي حنيفة وأصحابه والثوري والشافعي، وخالفهم الشاميون في ذلك.

---

(١) أخرجه مالك في «الموطأ» (١/ ٢٢ رقم ١٢)، وأبو داود رقم (٨٣)، والترمذي رقم (٦٩)، والنسائي رقم (٥٩)، وابن ماجه رقم (٣٨٦)، وابن خزيمة في «صحيحه» رقم (١١١)، وابن حبان في «صحيحه» رقم (١٢٤٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر: «نيل الأوطار» (١/ ١٤٤) و(١٥/ ١٢٦ ـ ١٢٨).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٥٥) عن السدي بسند حسن.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٥٦) عن قتادة بسند صحيح.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٥٧) عن قتادة بسند صحيح.

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٥٨) عن الضحاك بسند حسن.

(٧) انظر: ديوانه (١/ ٣٦١).

(٨) في «الاستذكار» (٥/ ٤٨٥ ـ ٤٨٦).

قال الأوزاعي في المعراض: كُلْهُ خَرَقَ أو لم يَخْرِق، فقد كان أبو الدرداء وفضالة بن عُبيد وعبد الله بن عمر ومكحول لا يرون به بأساً.

قال ابن عبد البرّ: هكذا ذكر الأوزاعي عَنْ عبد الله بن عمر، والمعروف عن ابن عمر ما ذكر مالك عن نافع، قال: والأصل في هذا الباب والذي عليه العمل وفيه الحجة، حديث عديّ بن حاتم[١]، وفيه: «ما أصاب بعَرْضه فلا تأكل فإنه وقيذ»، انتهى.

قلتُ: والحديث في «الصحيحين»[٢] وغيرهما عن عديّ قال: «قلت: يا رسولَ الله، إنّي أرمي بالمعراض الصيد، فأصيب فقال: إذا رميت بالمعراض فخرق فكله، وإن أصاب بعرضه، فإنما هو وقيذ فلا تأكله».

فقد اعتبر ﷺ الخرق وعدمه؛ فالحقُّ: أنّه لا يحلّ إلا ما خرق لا ما صدم، فلا بد مِنْ التذكية قبل الموت وإلا كان وقيذاً.

وأما البنادق المعروفة الآن: وهي بنادق الحديد التي تجعل فيها البارود والرصاص ويُرمى بها، فلم يتكلم عليها أهل العلم لتأخر حدوثها، فإنها لم تصل إلى الديار اليمنية إلا في المائة العاشرة من الهجرة، وقد سألني جماعة من أهل العلم عن الصيد بها إذا مات ولم يتمكن الصائد من تذكيته حيّاً؟

والذي يظهر لي أنه حلال؛ لأنها تخرق وتدخل في الغالب من جانب منه وتخرج من الجانب الآخر، وقد قال ﷺ في الحديث الصحيح[٣] السابق: «إذا رميت بالمعراض فخرق فكله»، فاعتبر الخرق في تحليل الصيد.

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٣٨٠) مرسلاً.

إسناد ضعيف لانقطاعه ما بين إبراهيم ـ وهو النخعي ـ وعدي بن حاتم. وقد انفرد الأعمش في هذه الرواية بزيادة: «ولا تأكل من البندقة إلا ما ذكيت».

وعلق البخاري في «صحيحه» (٩/ ٦٠٣ رقم الباب (٢) ـ مع الفتح)، في المقتولة بالبندقة عن ابن عمر بصيغة الجزم، حيث قال: «وقال ابن عمر في المقتولة بالبندقة»: «تلك الموقوذة» ووصله البيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٢٤٩) من طريق أبي عامر العقدي، عن زهير ـ هو ابن محمد ـ عن زيد بن أسلم عنه، وهو أثر صحيح.

وهو حديث صحيح لغيره، دون قوله: «ولا تأكل من البندقة إلا ما ذكيت».

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٥٤٧٧)، ومسلم في «صحيحه» رقم (١/ ١٩٢٩).

(٣) تقدم آنفاً.

قوله: ﴿وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ﴾ هي التي تتردى من علو إلى أسفل فتموت، من غير فرق بين أن تتردّى من جبل أو بئر أو مدفن أو غيرها، والتردّي مأخوذ من الردى وهو الهلاك، وسواء تردّت بنفسها أو ردّاها غيرها.

قوله: ﴿وَٱلنَّطِيحَةُ﴾ هي فعيلة بمعنى مفعولة، وهي التي تنطحها أخرى فتموت من دون تذكية. وقال قوم أيضاً: فعيلة بمعنى[1] فاعلة؛ لأن الدابتين تتناطحان فتموتان.

وقال: نطيحة ولم يقل[2] نَطيح مع أنّه قياس فَعِيل؛ لأن لزوم الحذف مختص بما كان من هذا الباب صفة لموصوف مذكور فإن لم يذكر ثبتت التاء للنقل من الوصفية إلى الاسمية.

وقرأ أبو ميسرة[3]: «والمنطوحة».

قوله: ﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾؛ أي: ما افترسه ذو ناب؛ كالأسد والنمر والذئب والضبع ونحوها، والمراد هنا: ما أكل منه السبع؛ لأن ما أكله السبع كله قد فنى. ومن العرب مَنْ يخص اسم السبع بالأسد، وكانت العرب إذا أكل السبع شاة، ثم خلصوها منه أكلوها، وإن ماتت ولم يذكوها. وقرأ الحسن وأبو حيوة: «السَّبْعُ» بسكون[4] الباء، وهي لغة لأهل نجد، ومنه قول حسان[5] في عتبة بن أبي لهب:

مـن يـرجـعِ الـعـامَ إلـى أهـلـه   فـمـا أكـيـلُ الـسَّـبْـعِ بـالـراجـعِ

وقرأ ابن مسعود[6]: «وأكيلة السَّبُع». وقرأ ابن عباس: «وأكيل[7] السَّبُع».

قولُه: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ في محل نصب على الاستثناء المتصل عند الجمهور، وهو راجع على ما أُدركت ذكاته من المذكورات سابقاً، وفيه حياة.

---

(١) «جامع البيان» (٨/ ٥٩ ـ ٦٠)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٢٣).
(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٧/ ٢٧٣).
(٣) «البحر المحيط» (٤/ ١٧١)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٢٣)، و«جامع البيان» (٨/ ٥٩ ـ ٦٠). وهي قراءة شاذة.
(٤) «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٧)، و«روح المعاني» (٧/ ٢٩)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٢٣)، و«البحر المحيط» (٤/ ١٧٢). وهي قراءة شاذة.
(٥) انظر: ديوان حسان.
(٦) «القراءات الشاذة» (ص٣١)، و«المحتسب» (١/ ٢٠٧)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٢٣)، و«البحر المحيط» (٤/ ١٧٢).
(٧) انظر: المصادر المتقدمة. هما قراءتان شاذتان مخالفتان لرسم المصحف.

وقال المدنيون: وهو المشهور من مذهب مالك[١]، وهو أحد قولي الشافعي[٢] أنه: إذا بلغ السَبُع منها إلى ما لا حياة معه فإنَّها لا تؤكل.

وحكاه في «الموطأ»[٣] عن زيد بن ثابت، وإليه ذهب إسماعيل القاضي، فيكون الاستثناء على هذا القول منقطعاً؛ أي: حُرّمت عليكم هذه الأشياء، لكن ما ذَكَيتم فهو الذي يحلّ ولا يحرم، والأوّل أولى.

والذكاة في كلام العرب: الذبح، قاله قُطرب وغيرُه. وأصل الذكاة في اللغة[٤]: التمام؛ أي: تمام استكمال القوّة، والذكاء حِدّة القلبِ، والذكاء سرعة الفطنة، والذَّكوة ما تذكى منه النار، ومنه أذكيتُ الحربَ والنارَ: أوقدتهما، وذُكاء اسم الشمس والمراد هنا: إلا ما أدركتم ذكاته على التمام.

والتذكية في الشرع[٥]: عبارة عن إنهار الدم، وفَرْي الأوداج في المذبوح، والنحر في المنحور، والعَقْر في غير المقدور مقروناً بالقصد لله، وذكر اسمه عليه.

وأَمّا الآلة التي تقع بها الذكاة، فذهب الجمهور[٦] إلى أن كل ما أنهر الدمَ، وفري الأوداج [٦/ ٢] فهو آلة للذكاة ما خلا السنَّ والعظمَ، وبهذا جاءت الأحاديث الصحيحة.

قوله: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ قال ابن فارس[٧]: النُصُب: حَجَر كان يُنْصَب فَيُعبد ويُصبّ عليه دماء الذبائح، والنصائب: حجارةٌ تنصب حوالي شَفير البئر، فَتُجعل عضائِدَ.

وقيل: النُصُب: جمع واحده نِصاب؛ كحمار وحُمُر.

وقرأ[٨] طلحة بضم النون وسكون الصاد.

---

(١) «التمهيد» (٥/ ١٤٠ ـ ١٤١)، و«الاستذكار» (١٥/ ٢٢٩).
(٢) «المجموع شرح المهذب» (٩/ ١١٨ ـ ١٢١)، و«روضة الطالبين» (٣/ ٢٤٧).
(٣) في «الموطأ» (٢/ ٤٩٠)، و«أحكام القرآن» لابن العربي (٢/ ٥٣٩).
(٤) «الصحاح» (٦/ ٢٣٤٦)، و«العين» (ص٣٢١).
(٥) «النهاية في غريب الحديث» (٢/ ٨١٠).
«الفائق» (٤/ ٣٣).
(٦) «فتح الباري» (٩/ ٦٢٨)، و«روضة الطالبين» (٣/ ٢٤٣).
(٧) «مجمل اللغة» (٤/ ٨٧٠).
(٨) «القراءات الشاذة» (ص٣١)، و«حاشية الجمل» (١/ ٤٦٢). وهي قراءة شاذة.

وروي عن أبي عمرو بفتح النون وسكون الصاد.

وقرأ الجَحْدري[١] بفتح النون والصاد، جعله اسماً موحداً كالجبل والجمل، والجمع أنصاب كالأجبال والأجمال.

قال مجاهد[٢]: هي حجارة كانت حوالي مكة يذبحون عليها.

قال ابن جريج[٣]: كانت العرب تذبح بمكة وتنضح بالدم ما أقبل من البيت، ويشرّحون اللحم ويضعونه على الحجارة، فلما جاء الإسلام قال المسلمون للنبي ﷺ: نحن أحقّ أن نعظم هذا البيت بهذه الأفعال، فأنزل الله: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ والمعنى: والنية بذلك تعظيم النصب لا أن الذبح عليها غير جائز، ولهذا قيل: إن ﴿عَلَى﴾ بمعنى اللام؛ أي: لأجلها. قاله قُطرب[٤]، وهو على هذا داخل فيما أهلّ به لغير الله، وخُصّ بالذكر لتأكيد تحريمه، ولدفع ما كانوا يظنونه من أن ذلك لتشريف البيت وتعظيمه.

قوله: ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ﴾ معطوف على ما قبله؛ أي: وحرّم عليكم الاستقسام بالأزلام، والأزلام: قِدَاح الميسر واحدها زَلَم، قال الشاعر[٥]:

بـات يـقـاسـيـهـا غـلامُ كـالـزَّلَـمْ
لـيـس بـراعـي إبـلٍ ولا غـنـمْ
ولا بـجـزّار عـلـى لـحـمِ وضَـمْ

---

(١) «القراءات الشاذة» (ص٣١)، و«حاشية الشهاب» (٣/ ٢١٥)، و«البحر المحيط» (٤/ ١٧٢)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٢٥ ـ ٢٦). وهي قراءة شاذة.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٧٠) بسند صحيح.

(٣) ذكره ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٧٠).

(٤) «معالم التنزيل» (٢/ ٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٧/ ٢٨٦)، قال العكبري في «التبيان» (١/ ٤١٨): و(على «النُّصب» فيه وجهان:

أحدهما: هو متعلق بذُبح تعلُّق المفعول بالفعل؛ أي: ذبح على الحجارة التي تسمَّى نُصباً؛ أي: ذبحت في ذلك الموضع.

والثاني: أنَّ النُّصب الأصنام، فعلى هذا في (على) وجهان:

أحدهما: هي بمعنى اللام؛ أي: لأجل الأَصنام، فتكون مفعولاً له.

والثاني: أنها على أصلها، وموضعها حال؛ أي: وما ذبح مسمًّى على الأصنام).

(٥) انظر: «تهذيب اللغة» (١٣/ ٢١٩).

وقال آخر:

فلئنْ جُذيمةُ قُتّلتْ ساداتُها فنساؤُها يضرِبْن بالأزلامِ

والأزلام للعرب ثلاثة أنواع[١]:

أحدها: مكتوب فيه: افعل.

والآخر: مكتوب فيه: لا تفعل.

والثالث: مهمل لا شيء عليه.

فيجعلها في خريطة معه، فإذا أراد فعل شيء، أدخل يده وهي متشابهة فأخرج واحداً منها، فإن خرج الأوّل: فعل ما عزم عليه، وإن خرج الثاني: تركه، وإن خرج الثالث: أعاد الضرب حتى يخرج واحد من الأوّلين.

وإنما قيل لهذا الفعل: استقسام؛ لأنهم كانوا يستقسمون به الرزق، وما يريدون فعله، كما يقال: استسقى؛ أي: استدعى السقي؛ فالاستقسام: طلب القسم والنصيب.

وجملة قداح الميسر عشرة، وقد قدّمنا بيانها، وكانوا يضربون بها في المقامرة، وقيل: إن الأزلام كِعاب فارس والروم التي يتقامرون بها، وقيل: هي الشطرنج، وإنما حرّم الله الاستقسام بالأزلام؛ لأنه تعرّض لدعوى علم الغيب، وضَرْب مِنْ الكهانة[٢].

قوله: ﴿ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ إشارة إلى الاستقسام بالأزلام، أو إلى جميع المحرمات المذكورة هنا.

والفسق: الخروج عن الحدّ، وقد تقدّم بيان معناه، وفي هذا وعيد شديد؛ لأن الفسق هو أشدّ الكفر، لا ما وقع عليه اصطلاح قوم من أنه: منزلة[٣] متوسطة بين الإيمان والكفر.

قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ﴾ المراد: اليوم الذي نزلت فيه الآية،

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٧/ ٢٨٧). (٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٧/ ٢٩١).

(٣) قال ابن المرتضى: «وأمّا ما أجمعت عليه المعتزلة، فقد أجمعت ـ على المنزلة بين المنزلتين ـ، وهو أن الفاسق لا يسمَّى مؤمناً ولا كافراً...».

انظر: المعتزلة وأصولها الخمسة (ص٢٥٥ ـ ٢٦٤)، و«شرح العقيدة الطحاوية» (ص٣٦٠ ـ ٣٦١).

وهو يوم فتح مكة، لثمان بقين مِنْ رمضان، سنة تسع، وقيل: سنة ثمان.

وقيل: المراد باليوم: الزمان الحاضر وما يتصل به، ولم يرد يوماً معيناً.

و﴿يَئِسَ﴾ فيه لغتان: يَئس بياءين يأساً، وأيس يَأيس إياساً وإياسةً. قاله النضر بن شُميل[١]؛ أي: حصل لهم اليأس مِنْ إبطال دينكم وأن يُردّوكم إلى دينهم كما كانوا يزعمون.

﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾؛ أي: لا تخافوا منهم أن يغلبوكم أو يبطلوا دينكم ﴿وَٱخْشَوْنِۚ﴾ فأنا القادر على كلِّ شيء إنْ نصرتكم فلا غالب لكم، وإن خذلتكم لم يستطع غيري أن ينصركم.

قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ جعلته كاملاً غير محتاج إلى إكمال؛ لظهوره على الأديان كلها وغلبته لها، ولكمال أحكامه التي يحتاج المسلمون إليها من الحلال والحرام والمشتبه، ووفّى ما تضمنه الكتاب والسُّنَّة من ذلك، ولا يخفى ما يستفاد من تقديم قوله: ﴿لَكُمْ﴾.

قال الجمهور[٢]: المراد بالإكمال هنا: نزول معظم الفرائض والتحليل والتحريم.

قالوا: وقد نزل بعد ذلك قرآن كثير كآية الربا وآية الكلالة ونحوهما. والمراد باليوم المذكور هنا: هو يوم الجمعة، وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع سنة عشر، هكذا ثبت في الصحيح[٣] من حديث عمر بن الخطاب؛ وقيل: إنها نزلت في يوم الحجّ الأكبر.

قوله: ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ بإكمال الدين المشتمل على الأحكام، وبفتح مكة وقهر الكفار، وإياسهم عن الظهور عليكم، كما وعدتكم بقولي: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٠][٤].

قوله: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾؛ أي: أخبرتكم برضاي به لكم، فإنه سبحانه

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٧/ ٢٩٢). وانظر: «تهذيب اللغة» (١٣/ ١٤٢ ـ ١٤٣).

(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٧/ ٢٩٣).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٤٥، ٤٤٠٧، ٤٦٠٦)، ومسلم رقم (٣/ ٣٠١٧)، والترمذي رقم (٣٠٤٣) وقال: «حسن صحيح»، والنسائي (٥/ ٢٥١)، وفي «التفسير» رقم (١٥٧).

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (٧/ ٢٩٣ ـ ٢٩٤)، و«معاني القرآن» للنحاس (٢/ ٢٦١).

لم يزل راضياً لأمة نبيّه ﷺ بالإسلام، فلا يكون لاختصاص الرضا بهذا اليوم كثير فائدة إن حملناه على ظاهره، ويحتمل أن يريد رضيت لكم الإسلام الذي أنتم عليه اليوم ديناً باقياً إلى انقضاء أيام الدنيا. و«ديناً» منتصب على التمييز، ويجوز أن يكون مفعولاً ثانياً.

قوله: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ﴾ هذا متصل بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض؛ أي: مَنْ دعته الضرورة ﴿فِى مَخْمَصَةٍ﴾؛ أي: مجاعة إلى أكل الميتة وما بعدها من المحرّمات.

والخَمْصُ: ضمور البطن، ورجل خَميص وخُمصان، وامرأة خَمِيصة وخُمْصانة، ومنه أخمص القدم، ويُستعمل كثيراً في الجوع، قال الأعشى[(١)]:

تَبيتون في المشتاءِ مَلْأى بطونُكم وجاراتُكم غَرْثَى يبِتْن خمائِصاً [٢/٧]

قوله: ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ﴾ الجَنَفُ: الميل، والإثم: الحرامُ؛ أي: حال كون المضطرّ في مخمصة غير مائل لإثمٍ، وهو بمعنى: غير باغٍ ولا عادٍ، وكل مائل فهو متجانف وجَنِف.

وقرأ النخعي[(٢)] ويحيى بن وثّاب والسُّلَمي: «مُتَجَنِّف»، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ به لا يؤاخذه بما ألجأته إليه الضرورة في الجوع، مع عدم ميله بأكل ما حرّم عليه إلى الإثم، بأن يكون باغياً على غيره، أو متعدياً لما دعت إليه الضرورة حسبما تقدّم.

وقد أخرج ابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه، والحاكم وصحّحه، عن أبي أُمامة[(٣)] قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى قومي أدعوهم إلى الله ورسوله، وأعرضُ عليهم شعائرَ الإسلام، فبينما نحن كذلك، إذ جاءوا بقصعة دمٍ واجتمعوا عليها يأكلونها، قالوا: هلمّ يا صُدَيّ فكلْ، قلت: ويحكم إنما أتيتكم من عند من يُحرّم هذا عليكم، لما أنزل الله عليه، قالوا: وما ذاك؟ قال: فتلوت عليهم هذه الآية: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾.

---

(١) انظر: «ديوان الأعشى» (ص١٩٩).

(٢) «القراءات الشاذة» (ص٣١)، و«المحتسب» (١/٢٠٧)، و«البحر المحيط» (٤/١٧٦). وهي قراءة شاذة.

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» رقم (٨٠٨٤)، و«الحاكم» (٣/٦٤١، ٦٤٢) وسكت عنه، وقال الذهبي: «وصدقة، أحد رواة الحديث، ضعفه ابن معين».

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم، والبيهقي في «سننه»، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ قال: وما أهلّ للطواغيت به. ﴿وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ﴾ التي تخنق فتموت. ﴿وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ﴾ قال: التي تضرب بالخشبة فتموت. ﴿وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ﴾ قال: التي تتردّى من الجبل فتموت. ﴿وَٱلنَّطِيحَةُ﴾ قال: الشاة التي تنطح الشاة. ﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾ يقول: ما أخذ السبع، ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ﴾ يقول: ذبحتم من ذلك، وبه روح فكلوه. ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ قال: النصب أنصاب كانوا يذبحون ويهلون عليها. ﴿وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ﴾ قال: هي القداح كانوا يستقسمون بها في الأمور، ﴿ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ﴾؛ يعني: مَنْ أكل ذلك كله فهو فسق.

وأخرج ابن أبي حاتم(١) عنه قال: الردّاةُ التي تتردّى في البئر، والمتردية التي تتردى من الجبل.

وأخرج ابن جرير(٢) عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ﴾ قال: حصى بيض كانوا يضربون بها.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، عن الحسن(٣) في الآية قال: كانوا إذا أرادوا أمراً أو سفراً يعمدون إلى قداح ثلاثة، يكتبون على واحد منها: أمرني، وعلى الآخر: نهاني، ويتركون الثالث مُحللاً بينهما ليس عليه شيء ثم يجيلونها، فإن خرج الذي عليه: أمرني مضوا لأمرهم، وإنْ خرج الذي عليه: نهاني، كفوا، وإن خرج الذي: ليس عليه شيء أعادوها.

وأخرج ابن جرير وابن المنذر، عن ابن عباس(٤) في قوله: ﴿ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ﴾ قال: يئسوا أَنْ يرجعوا إلى دينهم أبداً.

وأخرج البيهقي(٥) عنه في الآية قال: يقول: يئس أهلُ مكة أَنْ يرجعوا إلى دينهم عبادة الأوثان أبداً. ﴿فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ﴾ في اتباع محمد. ﴿وَٱخۡشَوۡنِۚ﴾ في عبادة الأوثان، وتكذيب محمد، فلما كان واقفاً بعرفات، نزل عليه جبريل وهو رافع يديه، والمسلمون يدعون الله ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ يقول: حلالكم وحرامكم، فلم ينزل

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ١٤).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٧٣) بسند ضعيف.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٧٣) من طريق هشيم، به.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٧٨) بسند صحيح.

(٥) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ١٤٠).

بعد هذا حلال ولا حرام ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ قال: مِنَّتي، فلم يحج معكم مشرك، ﴿وَرَضِيتُ﴾ يقول: اخترت ﴿لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ فمكث رسول الله ﷺ بعد نزول هذه الآية أحداً وثمانين يوماً، ثم قبضه الله إليه.

وأخرج ابن جرير[(١)] وابن المنذر عنه قال: أخبر الله نبيّه والمؤمنين أنه أكمل لهم الإيمان، فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً، وقد أتمه فلا ينقص أبداً، وقد رضيه فلا يسخطه أبداً.

وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما، عن طارق بن شهاب[(٢)] قال: قالت اليهود لعمر: إنكم تقرءون آية في كتابكم، لو علينا معشر اليهود نزلت، لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، قال: وأيّ آية؟ قالوا: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ قال عمر: والله إني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه على رسول الله ﷺ، والساعة التي نزلت فيها، نزلت على رسول الله ﷺ عشية عرفة، في يوم جمعة.

وأخرج ابن جرير وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس[(٣)] في قوله: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾؛ يعني: إلى ما حرّم مما سمي في صدر هذه السورة ﴿فِي مَخْمَصَةٍ﴾؛ يعني: في مجاعة ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ﴾ يقول: غير متعمد لإثم.

[بيان ما أحله الله لهم من الطيبات]:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾﴾.

هذا شروع في بيان ما أحله الله لهم، بعد بيان ما حرمه الله عليهم، وسيأتي ذكر سبب نزول الآية.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٨٠) بسند صحيح.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٤٤٠٧، ٤٦٠٦، ٧٢٦٨)، ومسلم في «صحيحه» رقم (٣٠١٧).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٩٤) بسند صحيح.

قوله: ﴿مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ﴾: أيُّ شيء أحلّ لهم، أو ما الذي أحلّ لهم من المطاعم إجمالاً؟ ومن الصيد، ومن طعام أهل الكتاب، ومن نسائهم.

قوله: ﴿قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ هي ما يستلذه آكله ويستطيبه مما أحله الله لعباده؛ وقيل: هي الحلال. وقد سبق الكلام في هذا؛ وقيل الطيبات: الذبائح لأنها طابت بالتذكية، وهو تخصيص للعام بغير[1] مخصص، والسبب والسياق لا يصلحان لذلك.

قوله: ﴿وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ﴾ هو: معطوف على الطيبات بتقدير مضاف لتصحيح المعنى؛ أي: أحلّ لكم الطيبات، وأحلّ لكم صيد ما علَّمتم من الجوارح.

وقرأ ابن عباس ومحمد ابن الحنفية: «عُلِّمتم» بضم[2] العين وكسر اللام؛ أي: علمتم من أمر الجوارح والصيد بها.

قال القرطبي[3]: وقد ذكر بعض من صنف في أحكام القرآن، أن الآية تدل على أن الإباحة تناولت ما علَّمنا من الجوارح، وهو يتضمن الكلب وسائر جوارح الطير، وذلك يوجب إباحة سائر وجوه الانتفاع، فدلّ على جواز بيع الكلب والجوارح، والانتفاع بها بسائر وجوه المنافع، إلا ما خصه الدليل: وهو الأكل من الجوارح؛ أي: الكواسب من الكلاب وسباع الطير.

قال[4]: أجمعت الأمة [٢/٨] على أن الكلب إذا لم يكن أسودَ، وعلَّمه مسلم، ولم يأكل من صيده الذي صاده وأثرّ فيه بجرح أو تَنْييب، وصاد به مسلم، وذكرَ اسم الله عند إرساله، أن صيدَه صحيحٌ يُؤكل بلا خلاف، فإن انخرم شرط من هذه الشروط دخل الخلاف، فإن كان الذي يصاد به غير كلب كالفَهْد وما أشبهه، وكالبازي والصقر ونحوهما من الطير، فجمهور[5] الأمة على أن كل ما صاد بعد التعليم فهو جارح كاسب. يقال: جرح فلان واجترح: إذا اكتسب،

---

(١) «روح المعاني» (٧/ ٣٩).
(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٧/ ٣٠٣)، و«البحر المحيط» (٤/ ١٧٩)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٣٤). وهي قراءة شاذة.
(٣) في «تفسيره» (٧/ ٢٩٩).
(٤) القرطبي في «تفسيره» (٧/ ٣٠٠).
(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٧/ ٣٠٠).
وانظر: «رؤوس المسائل» (٥/ ٨٠٨)، و«بدائع الصنائع» (٥/ ٥٣)، و«المغني» (١٣/ ٢٦٢).

ومنه الجارحة لأنه يُكْتَسب بها، ومنه اجتراح السيئات، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ٦٠]. وقوله: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الجاثية: ٢١].

قوله: ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ حال، والمكلِّب: معلم الكلاب لكيفية الاصطياد، وخصّ معلم الكلاب، وإنْ كان معلم سائر الجوارح مثله؛ لأن الاصطياد بالكلاب هو الغالب، ولم يكتف بقوله: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ﴾ مع أن التكليب هو التعليم، لقصد التأكيد لما لا بدّ منه من التعليم؛ وقيل: إن السبع يسمى كلباً فيدخل كل سبع يصادّ به؛ وقيل: إن هذه الآية خاصة بالكلاب. وقد حكى ابن المنذر(١) عن ابن عمر أنه قال: ما يصاد بالبُزاة وغيرها مِنْ الطير، فما أدركتْ ذَكاته فهو لك حلال، وإلّا فلا تَطْعمه.

قال ابن المنذر(١): وسئل أبو جعفر عن البازي هل يحلّ صيده؟ قال: لا، إلا أن تدرك ذكاته.

وقال الضحاك(٢) والسدّي(٣) ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ هي الكلاب خاصة.

فإن كان الكلب الأسود بهيماً: فكره(٤) صيده الحسن وقتادة والنخعي. وقال أحمد(٥): ما أعرف أحداً يرخص فيه إذا كان بهيماً، وبه قال ابن راهويه. فأما عامة(٦) أهل العلم بالمدينة والكوفة فيرون جواز صيد كل كلب مُعلّم، واحتج من منع من صيد الكلب الأسود بقوله ﷺ: «الكلب الأسود شيطان». أخرجه مسلم(٧) وغيره.

والحق أنَّه يحلّ صيد كل ما يدخل تحت عموم الجوارح من غير فرق بين

---

(١) في «الإشراف» (٣/ ٤٤٧).
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ١٠٥) بسند ضعيف.
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ١٠٥) بسند حسن.
(٤) ذكره ابن المنذر في «الإشراف» (٣/ ٤٤٨ ـ ٤٤٩).
(٥) «المغني» (١٣/ ٢٦٢ ـ ٢٦٣).
(٦) قال ابن المنذر في «الإشراف»: (٣/ ٤٤٨).
(٧) أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (٥١٠)، وأحمد رقم (٣١٣٢٣) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

الكلب وغيره، وبين الأسود من الكلاب وغيره، وبين الطير وغيره، ويؤيد هذا أن سبب نزول الآية: سؤال عديّ بن حاتم عَنْ صيد البازي كما سيأتي.

قوله: ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ﴾ الجملة في محل[(١)] نصب على الحال؛ أي: مما علمكم الله مما أدركتموه بما خلقه فيكم من العقل الذي تهتدون به إلى تعليمها وتدريبها، حتى تصير قابلةً لإمساك الصيد عند إرسالكم لها.

قوله: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ الفاء للتفريع، والجملة[(٢)] متفرّعة على ما تقدّم من تحليل صيد ما علموه من الجوارح، و«من» في قوله: ﴿مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ للتبعيض؛ لأن بعض الصيد لا يؤكل كالجلد والعظم وما أكله الكلب ونحوه. وفيه دليل على أنه لا بد أن يمسكه على صاحبه، فإن أكل منه فإنما أمسكه على نفسه كما في الحديث الثابت في الصحيح[(٣)].

وقد ذهب الجمهور[(٤)] إلى أنه لا يحلّ أكل الصيد الذي يقصده الجارح من تلقاء نفسه من غير إرسال.

وقال عطاء بن أبي رباح والأوزاعي: وهو مرويّ[(٥)] عن سلمان الفارسي، وسعد بن أبي وقاص، وأبي هريرة وعبد الله بن عمر، وروي عن عليّ، وابن عباس والحسن البصري، والزهري وربيعة، ومالك، والشافعي في القديم، أنه يؤكل صيده، ويردّ عليهم قوله تعالى: ﴿مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾، وقوله ﷺ لعدي بن حاتم: «إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله عليه فكل ما أمسك عليك» وهو في «الصحيحين»[(٦)] وغيرهما، وفي لفظ لهما: «فإن أكل فلا تأكل فإني أخاف أن يكون أمسك على نفسه».

وأما ما أخرجه أبو داود[(٧)] بإسناد جيد من حديث أبي ثعلبة، قال: قال

(١) «روح المعاني» (٧/ ٤١)، و«البحر المحيط» (٤/ ١٨٠)، و«التبيان» (١/ ٤١٩).

(٢) «روح المعاني» (٧/ ٤١)، و«البحر المحيط» (٤/ ١٨٠).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٤/ ٣٧٧)، والبخاري رقم (١٧٥)، ومسلم في «صحيحه» رقم (٢/ ١٩٢٩) من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه.

(٤) «فتح الباري» (٩/ ١٠٢). (٥) «الإشراف» (٣/ ٤٥١ ـ ٤٥٢).

(٦) تقدم تخريجه.

(٧) أخرجه أبو داود رقم (٢٨٥٢). وهو حديث منكر.

=

رسول الله ﷺ: «إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرتَ اسم الله فكل وإن أكل منه».

وقد أخرجه[١] أيضاً بإسناد جيّدٍ مِنْ حديث عَمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه.

وأخرجه[٢] أيضاً النسائي.

فقد جمع بعض الشافعية[٣] بين هذه الأحاديث بأنه إن أكل عقب ما أمسكه فإنه يحرم؛ لحديث عديّ بن حاتم[٤]، وإن أمسكه ثم انتظر صاحبه فطال عليه الانتظار وجاع فأكل من الصيد لجوعه لا لكونه أمسكه على نفسه فإنه لا يؤثِّر ذلك ولا يحرم به الصيد.

وحملوا على ذلك حديث أبي ثعلبة الخُشَني، وحديث عَمرو بن شُعيب، وهذا جمعٌ حَسنٌ. وقال آخرون: إنه إذا أكل الكلب منه حرم لحديث عديّ، وإن أكل غيره لم يحرم للحديثين الآخرين؛ وقيل: يحمل حديث أبي ثعلبة على ما إذا أمسكه وخلاه، ثم عاد فأكل منه.

وقد سلك كثير من أهل العلم طريق الترجيح، ولم يسلكوا طريق الجمع لما فيها من البعد، قالوا: وحديث عديّ بن حاتم أرجح لكونه في «الصحيحين».

وقد قررت هذا المسلك في شرحي[٥] لـ«المنتقى» بما يزيد الناظر فيه بصيرة.

قوله: ﴿وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ الضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾ يعود إلى ﴿وَمَا عَلَّمْتُم﴾؛

= إسناده ضعيف، رجاله ثقات غير داود بن عمرو، وهو ممن اختلف فيه، قال الحافظ: «صدوق سيئ الحفظ، وقد حكى الذهبي في «الميزان» أقوال أئمة «الجرح والتعديل»، ثم ذكر أنّه انفرد بحديثين، هذا أحدهما، وقال: وهذا حديث منكر ضعيف».

(١) أخرجه أبو داود في «السنن» رقم (٢٨٥٧).
إسناده حسن، على الخلاف المعروف في حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، والمعتمد أنه حسن الحديث، إذا لم يخالف من هو أوثق منه، وهذا الشرط غير متوفر هنا، لمخالفته لأحاديث من هو أوثق وأكثر عدداً منه.
قلت: وقد خالف لما في «الصحيحين».
وهو حديث حسن دون قوله: «وإن أكل منه» فمنكر.

(٢) أخرجه النسائي في «السنن» (٧/ ١٨١).

(٣) انظر: «المجموع شرح المهذب» (٩/ ٩٨).

(٤) تقدم نصه وتخريجه.

(٥) «نيل الأوطار» (١٥/ ٧١ ـ ٨٢)، ط. ابن الجوزي.

أي: سمّوا عليه عند إرساله، أو لما أمسكن عليكم؛ أي: سموا عليه إذا أردتم ذكاته. وقد ذهب الجمهور[1] إلى وجوب التسمية عند إرسال الجارح، واستدلوا بهذه الآية، ويؤيده حديث عدي بن حاتم الثابت في «الصحيحين»، وغيرهما بلفظ: «إذا أرسلتَ كلبك فاذكر اسم الله وإذا رميت بسهمك فاذكر اسم الله». وقال بعض أهل العلم: إن المراد التسمية عند الأكل. قال القرطبي[2]: وهو الأظهر، واستدلوا بالأحاديث[3] التي فيها الإرشاد إلى التسمية.

وهذا خطأ، فإن النبي ﷺ قد وقَّت التسمية بإرسال الكلب وإرسال السهم، ومشروعية التسمية عند الأكل حكم آخر، ومسألة غير هذه المسألة، فلا وجه لحمل ما ورد في الكتاب والسُّنَّة هنا على ما ورد في التسمية عند الأكل، ولا ملجئ إلى ذلك [٩/ ٢].

وفي لفظ في «الصحيحين» من حديث عديّ[4]: «إن أرسلت كلبَك وسمّيتَ فأخذ فكل».

وقد ذهب جماعة إلى أن التسمية[5] شرط.

وذهب آخرون إلى أنها سُنَّة[6] فقط.

وذهب جماعة إلى أنها شرط على الذاكر لا الناسي[7]، وهذا أقوى الأقوال وأرجحها.

قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾؛ أي: حسابه سبحانه سريع إتيانه وكل آتٍ قريب.

---

(١) «المغني» (١٣/ ٢٨٩)، و«فتح الباري» (٩/ ٦٠٢)، و«بدائع الصنائع» (٥/ ٤٧)، و«مدونة الفقه المالكي وأدلته» (٢/ ٢١٩، ٢٣٥).

(٢) في «تفسيره» (٧/ ٣١٤).

(٣) (منها): عن عمر بن أبي سلمة قال: كنت غلاماً في حجر النبي ﷺ وكانت يدي تطيش في الصفحةِ، فقال لي: «يا غلام سم الله وكل بيمينك وكُلْ ممَّا يليك».

(٤) أخرجه أحمد (٤/ ٣٧٧)، والبخاري رقم (١٧٥)، ومسلم رقم (٢/ ١٩٢٩).

(٥) «بدائع الصنائع» (٥/ ٤٧)، و«الاختيار» (٥/ ٤٧٤).

(٦) «المغني» (١٣/ ٢٩٠)، و«المجموع شرح المهذب» (٩/ ٩٨)، و«التسهيل» (٥/ ٤٨٢)، و«مدونة الفقه المالكي وأدلته» (٢/ ٢١٩، ٢٣٦).

(٧) «عيون المجالس» (٢/ ٩٦٠ ـ ٩٦١)، و«المنتقى» (٥/ ٢٨).

قوله: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ﴾ هذه الجملة مؤكدة للجملة الأولى، وهي قوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۙ﴾ وقد تقدّم بيان الطيبات.

قوله: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ﴾ الطعام: اسم لما يؤكل، ومنه الذبائح، وذهب أكثر أهل العلم إلى تخصيصه هنا بالذبائح[١]. وفي هذه الآية دليل على أن جميع طعام أهل الكتب مِنْ غير فرق بين اللحم وغيره حلال للمسلمين وإن كانوا لا يذكرون على ذبائحهم اسم الله، وتكون هذه الآية مخصِّصة لعموم قوله: ﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾ [الأنعام: ١٢١]. وظاهر[٢] هذا أن ذبائح أهل الكتاب حلال، وإن ذكر اليهوديّ على ذبيحته اسم عُزير، وذكر النصرانيّ على ذبيحته اسم المسيح.

وإليه ذهب أبو الدرداء وعبادة بن الصامت، وابن عباس والزهري وربيعة، والشعبي ومكحول.

وقال عليّ وعائشة وابن عمر: إذا سمعت الكتابيّ يسمى غير الله فلا تأكل، وهو قول طاوس والحسن، وتمسكوا بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾.

ويدل عليه أيضاً قوله: ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۖ﴾ [النحل: ١١٥] وقال مالك[٣]: إنه يكره ولا يحرم.

فهذا الخلاف إذا علمنا أَنَّ أهل الكتاب ذكروا على ذبائحهم اسم غير الله، وأما مع عدم العلم فقد حكى الكيا الطبري[٤] وابن كثير[٥] الإجماع على حلها لهذه الآية، ولما ورد في السُّنَّة من أكله من الشاة ﷺ المصلية التي أهدتها إليه اليهودية، وهو في الصحيح[٦]، وكذلك الجراب الشحم الذي أخذه بعض الصحابة من خيبر، وعلم بذلك النبي ﷺ، وهو في الصحيح[٧]، أيضاً وغير ذلك.

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٧/ ٣١٥).

(٢) انظر: «الإشراف» (٣/ ٤٥٧)، و«فتح الباري» (٩/ ٦٠٢ ـ ٦٠٣).

(٣) «الاستذكار» (١٥/ ٢٣٨ ـ ٢٤٠).

(٤) في «أحكام القرآن» (٣/ ٢٨).

(٥) في «تفسيره» (٥/ ٧٧).

(٦) أخرجه البخاري رقم (٢٦١٧)، ومسلم رقم (٤٥/ ٢١٩٠) من حديث أنس بن مالك ﷺ.

(٧) أخرجه البخاري رقم (٣١٥٣) و(٤٢١٤) و(٥٥٠٨)، ومسلم رقم (٧٢، ٧٣/ ١٧٧٢) من حديث عبد الله بن مغفل.

أي: سمّوا عليه عند إرساله، أو لما أمسكن عليكم؛ أي: سموا عليه إذا أردتم ذكاته. وقد ذهب الجمهور(١) إلى وجوب التسمية عند إرسال الجارح، واستدلوا بهذه الآية، ويؤيده حديث عدي بن حاتم الثابت في «الصحيحين»، وغيرهما بلفظ: «إذا أرسلتَ كلبك فاذكر اسم الله وإذا رميت بسهمك فاذكر اسم الله». وقال بعض أهل العلم: إن المراد التسمية عند الأكل. قال القرطبي(٢): وهو الأظهر، واستدلوا بالأحاديث(٣) التي فيها الإرشاد إلى التسمية.

وهذا خطأ، فإن النبي ﷺ قد وقَّت التسمية بإرسال الكلب وإرسال السهم، ومشروعية التسمية عند الأكل حكم آخر، ومسألة غير هذه المسألة، فلا وجه لحمل ما ورد في الكتاب والسُّنَّة هنا على ما ورد في التسمية عند الأكل، ولا ملجئ إلى ذلك [٢/٩].

وفي لفظ في «الصحيحين» من حديث عديّ(٤): «إن أرسلت كلبَك وسمّيتَ فأخذ فكل».

وقد ذهب جماعة إلى أن التسمية(٥) شرط.

وذهب آخرون إلى أنها سُنَّة(٦) فقط.

وذهب جماعة إلى أنها شرط على الذاكر لا الناسي(٧)، وهذا أقوى الأقوال وأرجحها.

قوله: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾؛ أي: حسابه سبحانه سريع إتيانه وكل آتٍ قريب.

---

(١) «المغني» (١٣/ ٢٨٩)، و«فتح الباري» (٩/ ٦٠٢)، و«بدائع الصنائع» (٥/ ٤٧)، و«مدونة الفقه المالكي وأدلته» (٢/ ٢١٩، ٢٣٥).

(٢) في «تفسيره» (٧/ ٣١٤).

(٣) (منها): عن عمر بن أبي سلمة قال: كنت غلاماً في حجر النبي ﷺ وكانت يدي تطيش في الصفحةِ، فقال لي: «يا غلام سم الله وكل بيمينك وكُلْ ممَّا يليك».

(٤) أخرجه أحمد (٤/ ٣٧٧)، والبخاري رقم (١٧٥)، ومسلم رقم (٢/ ١٩٢٩).

(٥) «بدائع الصنائع» (٥/ ٤٧)، و«الاختيار» (٥/ ٤٧٤).

(٦) «المغني» (١٣/ ٢٩٠)، و«المجموع شرح المهذب» (٩/ ٩٨)، و«التسهيل» (٥/ ٤٨٢)، و«مدونة الفقه المالكي وأدلته» (٢/ ٢١٩، ٢٣٦).

(٧) «عيون المجالس» (٢/ ٩٦٠ ـ ٩٦١)، و«المنتقى» (٥/ ٢٨).

قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ هذه الجملة مؤكدة للجملة الأولى، وهي قوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ وقد تقدّم بيان الطيبات.

قوله: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ الطعام: اسم لما يؤكل، ومنه الذبائح، وذهب أكثر أهل العلم إلى تخصيصه هنا بالذبائح(١). وفي هذه الآية دليل على أن جميع طعام أهل الكتب مِنْ غير فرق بين اللحم وغيره حلال للمسلمين وإن كانوا لا يذكرون على ذبائحهم اسم الله، وتكون هذه الآية مخصِّصة لعموم قوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١٢١]. وظاهر(٢) هذا أن ذبائح أهل الكتاب حلال، وإن ذكر اليهوديّ على ذبيحته اسم عُزير، وذكر النصرانيّ على ذبيحته اسم المسيح.

وإليه ذهب أبو الدرداء وعبادة بن الصامت، وابن عباس والزهري وربيعة، والشعبي ومكحول.

وقال عليّ وعائشة وابن عمر: إذا سمعت الكتابيّ يسمى غير الله فلا تأكل، وهو قول طاوس والحسن، وتمسكوا بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾.

ويدل عليه أيضاً قوله: ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [النحل: ١١٥] وقال مالك(٣): إنه يكره ولا يحرم.

فهذا الخلاف إذا علمنا أَنَّ أهل الكتاب ذكروا على ذبائحهم اسم غير الله، وأما مع عدم العلم فقد حكى الكيا الطبري(٤) وابن كثير(٥) الإجماع على حلها لهذه الآية، ولما ورد في السُّنَّة من أكله من الشاة ﷺ المصلية التي أهدتها إليه اليهودية، وهو في الصحيح(٦)، وكذلك الجراب الشحم الذي أخذه بعض الصحابة من خيبر، وعلم بذلك النبي ﷺ، وهو في الصحيح(٧)، أيضاً وغير ذلك.

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٧/ ٣١٥).

(٢) انظر: «الإشراف» (٣/ ٤٥٧)، و«فتح الباري» (٩/ ٦٠٢ ـ ٦٠٣).

(٣) «الاستذكار» (١٥/ ٢٣٨ ـ ٢٤٠).

(٤) في «أحكام القرآن» (٣/ ٢٨).

(٥) في «تفسيره» (٥/ ٧٧).

(٦) أخرجه البخاري رقم (٢٦١٧)، ومسلم رقم (٤٥/ ٢١٩٠) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٧) أخرجه البخاري رقم (٣١٥٣) و(٤٢١٤) و(٥٥٠٨)، ومسلم رقم (٧٢، ٧٣/ ١٧٧٢) من حديث عبد الله بن مغفل.

والمراد بأهل الكتاب هنا: اليهود والنصارى. وأما المجوس، فذهب الجمهور إلى أنها لا تؤكل ذبائحهم، ولا تنكح نساؤهم؛ لأنهم ليسوا بأهل كتاب على المشهور عند أهل العلم، وخالف في ذلك أبو ثور، وأنكر عليه الفقهاء ذلك حتى قال أحمد بن حنبل: أبو ثور كاسمه؛ يعني: في هذه المسألة، وكأنه تمسك بما يُروى عن النبي ﷺ مرسلاً أنه قال في المجوس: «سنُّوا بهم سُنَّة أهل الكتاب»(١)، ولم يثبت بهذا اللفظ، وعلى فرض أن له أصلاً، ففيه زيادة تدفع ما قال، وهي قوله: غير آكلي ذبائحهم، ولا ناكحي نسائهم.

وقد رواه بهذه الزيادة(٢) جماعة ممن لا خبرة له بفنّ الحديث من المفسرين والفقهاء، ولم يثبت الأصل ولا الزيادة؛ بل الذي ثبت في الصحيح: أن النبي ﷺ أخذ(٣) الجزية من مجوس هجر.

وأما بنو تغلب، فكان عليّ بن أبي طالب ينهى عن ذبائحهم لأنهم عرب، وكان يقول: إنهم لم يتمسكوا بشيء من النصرانية إلا بشرب الخمر، وهكذا سائر العرب المتنصرة؛ كتنوخ وجذام ولخم وعاملة، ومن أشبههم.

قال ابن كثير(٤): وهو قول غير واحد من السلف والخلف.

وروي عن سعيد بن المسيب والحسن البصري، أنَّهما كانا لا يريان بأساً بذبيحة نصارى بني تَغْلِب.

---

(١) أخرجه الشافعي في «المسند» (ج٢ رقم ٤٣١ ـ ترتيب)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ١٨٩ ـ ١٩٠)، وابن حجر في «موافقة الخُبَر الخَبر» (٢/ ١٧٩)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٢/ ٢٤٣ ـ ٢٤٤)، ومالك في «الموطأ» (١/ ٢٧٨ رقم ٤٢) من حديث عبد الرحمٰن بن عوف. قال ابن حجر في «موافقة الخبر الخبر»: «هذا حديث غريب، وسنده منقطع أو معضل».
وقال الألباني في «الإرواء» (٥/ ٨٨ رقم ١٢٤٨): ضعيف.

(٢) عزاها ابن حجر في «التلخيص الحبير» رقم (١٥٣٣) إلى عبد الرزاق ثم قال: «وهو مرسل وفي إسناده قيس بن الربيع وهو ضعيف، قال البيهقي: وإجماع أكثر المسلمين عليه يؤكده».

(٣) عن عمر أنه لم يأخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمٰن بن عوف أنّ رسول الله ﷺ أخذها من مجوس هجر.
[أخرجه أحمد (١/ ١٩٤)، والبخاري رقم (٣١٥٦، ٣١٥٧)، وأبو داود رقم (٣٠٤٣)، والترمذي رقم (١٥٨٧). وهو حديث صحيح].

(٤) في «تفسيره» (٥/ ٧٩).

وقال القرطبي[١]: وقال جمهور الأمة: إن ذبيحة كل نصراني حلال، سواء كان من بني تغلب أو من غيرهم، وكذلك اليهود.

قال: ولا خلاف بين العلماء أن ما لا يحتاج إلى ذكاة كالطعام يجوز أكله.

قوله: ﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾؛ أي: وطعام المسلمين حلال لأهل الكتاب. وفيه دليل على أنه يجوز للمسلمين أن يطعموا أهل الكتاب من ذبائحهم، وهذا من باب المكافأة والمجازاة، وإخبار المسلمين بأن ما يأخذونه منهم من أعراض الطعام حلال لهم بطريق الدلالة الالتزامية.

قوله: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ اختلف في تفسير المحصنات هنا، فقيل: العفائف، وقيل: الحرائر.

وقرأ الشعبي بكسر[٢] الصاد، وبه قرأ الكسائي.

وقد تقدّم الكلام في هذا مستوفى في البقرة والنساء.

والمحصنات[٣] مبتدأ، ومن المؤمنات وصف له والخبر محذوف؛ أي: حلّ لكم، وذكرهنّ هنا توطئة وتمهيداً لقوله: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ والمراد بهنّ: الحرائر دون الإماء، هكذا قال الجمهور[٤].

وحكى ابن جرير[٥] عن طائفة من السلف أن هذه الآية تعمّ كل كتابية حرةّ أو أمة؛ وقيل: المراد بأهل الكتاب هنا: الإسرائيليات، وبه قال الشافعي، وهو تخصيص بغير مخصص.

وقال عبد الله بن عمر: لا تحلّ النصرانية، قال: ولا أعلم شركاً أكبر من أن تقول: ربها عيسى، وقد قال الله: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾ الآية [البقرة: ٢٢١]، ويجاب عنه بأن هذه الآية مخصصة للكتابيات من عموم المشركات فيبنى العام على الخاص.

وقد استدل من حَرّم نكاحَ الإماء الكتابيات بهذه الآية؛ لأنه حملها على

---

(١) في «تفسيره» (٧/ ٣١٥).
(٢) انظر: «الإتحاف» (١٩٨)، و«التيسير» (٩٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٧/ ٣٢٠).
(٣) «البحر المحيط» (٤/ ١٨٤ ـ ١٨٥)، و«روح المعاني» (٧/ ٤٦).
(٤) «معاني القرآن» للنحاس (٢/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧).
(٥) في «جامع البيان» (٨/ ١٣٨ ـ ١٣٩).

الحرائر، وبقوله تعالى: ﴿فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [النساء: ٢٥] وقد ذهب إلى هذا كثير من أهل العلم وخالفهم من قال: إن الآية تعم أو تخصّ العفائف كما تقدّم.

والحاصل: أنه يدخل تحت هذه الآية الحرّة العفيفة من الكتابيات على جميع الأقوال، إلا على قول ابن عمر في النصرانية، ويدخل تحتها الحرّة التي ليست بعفيفة والأمة العفيفة، على قول من يقول: إنه يجوز استعمال المشرك في كلا معنييه.

وأما مَنْ لم يجوز ذلك [٢/١٠] فإنْ حمل المحصنات هنا على الحرائر لم يقل بجواز نكاح الأمة عفيفة كانت أو غير عفيفة إلا بدليل آخر، ويقول بجواز نكاح الحرّة عفيفة كانت أو غير عفيفة، وإنْ حمل المحصنات هنا على العفائف قال بجواز نكاح الحرة العفيفة والأمة العفيفة دون غير العفيفة منهما.

قولُه: ﴿إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾؛ أي: مهورهنّ، وجواب «إذا» محذوف؛ أي: فهنّ حلال، أو هي ظرف[1] لخبر المحصنات المقدر؛ أي: حلّ لكم، قوله: ﴿مُحْصِنِينَ﴾ منصوب على الحال؛ أي: حال كونكم أعفّاء بالنكاح، وكذا قوله: ﴿غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾ منصوب[2] على الحال من الضمير في محصنين، أو صفة لمحصنين، والمعنى: غير مجاهرين بالزنا.

قوله: ﴿وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ﴾ معطوف على ﴿غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾ أو على ﴿مُسَٰفِحِينَ﴾. ﴿وَلَا﴾ مزيدة للتأكيد، والخدن يقع على الذكر والأنثى؛ أي: لم يتخذوا مَعْشوقات.

فقد شرط الله في الرجال العفة، وعدم المجاهرة بالزنا، وعدم اتخاذ أخدان، كما شرط في النِّساء أن يكنّ محصنات ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾؛ أي: بشرائع الإسلام، ﴿فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾؛ أي: بطل، ﴿وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

وقرأ ابن السَّمَيْفَع: «فقد حَبَطَ» بفتح[3] الباء. اهـ.

---

(١) «روح المعاني» (٧/ ٤٦).

(٢) «التبيان» (١/ ٤٢٠)، و«البحر المحيط» (٤/ ١٨٥).

(٣) «القراءات الشاذة» (ص٣١)، و«البحر المحيط» (٤/ ١٨٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٧/ ٣٢١). وهي قراءة شاذة.

وقد أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم والطبراني، والحاكم وصححه، والبيهقي في «سُننه»، عن أبي رافع[١]: أن النبي ﷺ أمره بقتل الكلاب في الناس، فقالوا: يا رسول الله ماذا يحلّ لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها؟ فسكت النبي ﷺ، فأنزل الله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ﴾ الآية.

وأخرج ابن جرير[٢] عن عكرمة نحوه.

وأخرج[٣] أيضاً عن محمد بن كعب القرظي نحوه.

وأخرج ابن أبي حاتم[٤] عن سعيد بن جبير: أن عدّي بن حاتم وزيد بن المهلهل الطائيين، سألا رسول الله ﷺ، فقالا: يا رسول الله، إنّا قوم نصيد بالكلاب والبُزاة، فنزلت.

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن الشعبي: أن عدّي بن حاتم[٥] الطائيّ أتى رسول الله ﷺ فسأله، فذكر نحوه.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «سننه»، عن ابن عباس[٦]، في قوله: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ قال: هي الكلاب المُعلّمة، والبازي والجوارح؛ يعني: الكلاب والفهود والصقور وأشباهها.

وأخرج ابن جرير[٧] عنه قال: آية المعلم أن يمسك صيده فلا يأكل منه حتى يأتي صاحبه.

وأخرج[٨] عنه أيضاً قال: إذا أكل الكلب فلا تأكل، فإنما أمسك على نفسه.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ١٠٠ ـ ١٠١)، والطبراني رقم (٩٧٢)، وابن أبي شيبة (٥/ ٤٠٥)، والحاكم (٢/ ٣١١)، والبيهقي (٩/ ٢٣٥) بسند ضعيف لضعف موسى بن عبيدة وهو الرَبَذيّ.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ١٠١) مرسلاً بسند ضعيف.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ١٠١ ـ ١٠٢) مرسلاً بسند ضعيف.

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٢١).

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ١٠٨) بسند ضعيف.

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ١٠٤)، والبيهقي (٩/ ٢٣٥) بسند صحيح.

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ١٠٩) بسند ضعيف.

(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ١٠٩)، وعبد الرزاق في «مصنفه» رقم (٨٥١٣) من طريق طاووس، به.

وأخرج عبد بن حُميد[١] عنه نحوه، وزاد: وإذا أكل الصقر فلا تأكل؛ لأن الكلب تستطيع أن تضربه، والصقر لا تستطيع.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر وابن أبي حاتم، والبيهقي في «سننه»، عنه[٢] في قوله: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ قال: ذبائحهم، وفي قوله[٣]: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ قال: حلّ لكم ﴿إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾؛ يعني: مهورهنّ ﴿مُحْصِنِينَ﴾؛ يعني: تنكحونهنّ بالمهر والبينة ﴿غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾ غير متعالنيين بالزنا ﴿وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ﴾؛ يعني: يسرّون بالزنا.

وأخرج عبد بن حميد[٤] عن قتادة في قوله: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ قال: أحلّ الله لنا مُحصنتَين: مُحصنة مؤمنة، ومحصنة من أهل الكتاب. نساؤنا عليهم حرام، ونساؤهم لنا حلال.

وأخرج ابن جرير[٥] عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «نتزوج نساء أهل الكتاب ولا يتزوجون نساءنا».

وأخرج عبد الرزاق وابن جرير عن عمر بن الخطاب[٦] قال: المسلم يتزوّج النصرانية ولا يتزوج النصرانيّ المسلمة.

وأخرج الطبراني، والحاكم وصححه، عن ابن عباس[٧] قال: إنما أحلت ذبائح اليهود والنصارى من أجل أنهم آمنوا بالتوراة والإنجيل.

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٢٤).
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ١٣٦ ـ ١٣٧)، والبيهقي (٩/ ٢٨٢) بسند صحيح.
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ١٤٨)، والبيهقي (٩/ ٢٨٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩١٦ رقم ٥١١) بسند صحيح.
(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٢٥).
(٥) أخرج ابن جرير في «جامع البيان» (٣/ ٧١٦).
قال ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٣٧٦): هذا الخبر وإن كان في إسناده ما فيه، فالقول به، لإجماع الجميع من الأمة على صحة القول به.
(٦) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» رقم (١٠٠٥٨)، وابن جرير في «جامع البيان» (٣/ ٧١٥، ٧١٦).
(٧) أخرجه الطبراني في «الكبير» رقم (١١٧٧٩)، والحاكم (٢/ ٣١١)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٣٦): «وفيه إسماعيل بن عمرو البجلي، وثقه ابن حبان وغيره، وضعفه الدارقطني وغيره».

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير[١]، عن مجاهد في قوله: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ قال: الحرائر.

وأخرج عبد بن حميد[٢] عن الضحاك قال: العفائف.

[فرائض الوضوء، حكم التيمم وحالاته]:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾﴾.

قوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ﴾ إذا أردتم القيام تعبيراً بالمسبَّب عن السبب، كما في قوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ٩٨]. وقد اختلف[٣] أهل العلم في هذا الأمر عند إرادة القيام إلى الصلاة، فقالت طائفة: هو عام في كل قيام إليها، سواء كان القائم متطهراً أو مُحْدِثاً، فإنَّه ينبغي له إذا قام إلى الصلاة أن يتوضأ، وهو مرويّ عن عليّ[٤] وعكرمة[٥].

وقال ابن سيرين[٦]: كان الخلفاء يتوضئون لكل صلاة.

وقالت طائفة أخرى: إن هذا الأمر خاص بالنبي ﷺ وهو ضعيف، فإن الخطاب للمؤمنين والأمر لهم.

وقالت طائفة: الأمر للندب طلباً للفضل.

وقال آخرون: إن الوضوء لكل صلاة كان فرضاً عليهم بهذه الآية، ثم نسخ في فتح مكة.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ١٣٩) بسند صحيح.
(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٢٥).
(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٧/ ٣٢٣).
(٤) أخرجه الدارمي في «مسنده» رقم (٦٥٧).
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ١٥٧) بسند حسن.
(٦) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٨/ ١٥٨) وهو عند أَبي عبيد في «الطهور» رقم (٤٦) وسنده صحيح.

وقال جماعة: هذا الأمر خاص بمن كان مُحْدِثاً.

وقال آخرون[١]: المراد: إذا قمتم من النوم إلى الصلاة، فيعمّ الخطاب كل قائم من نوم.

وقد أخرج مسلم، وأحمد وأهل السنن عن بُريدة[٢] قال: كان النبي ﷺ يتوضأ عند كل صلاة، [٢/١١] فلما كان يوم الفتحِ، توضأ ومسح على خفيه، وصلى الصلوات بوضوءٍ واحد، فقال له عمر: يا رسول الله، إنك فعلت شيئاً لم تكن تفعله، فقال: عمداً فعلتُه يا عمر.

وهو مرويّ من طرق كثيرة بألفاظ متفقة في المعنى.

وأخرج البخاري وأحمد، وأهل السنن، عن عَمرو بن عامر الأنصاري[٣]: سمعت أنس بن مالك يقول: كان النبي ﷺ يتوضأ عند كل صلاة، قال: قلت: فأنتم كيف كنتم تصنعون؟ قال: كنا نصلي الصلوات بوضوء واحد ما لم نحدث.

فتقرر بما ذُكر أن الوضوء لا يجب إلا على المحدث، وبه قال جمهور[٤] أهل العلم وهو الحقُّ.

قوله: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ الوجه في اللغة مأخوذ من المواجهة، وهو عضو مشتمل على أعضاء، وله طول وعرض، فحدُّه في الطول: مِنْ مبتدأ سطح الجبهة إلى منتهى اللَّحْيَين، وفي العرض: من الأذن إلى الأذن، وقد ورد الدليل بتخليل اللحية[٥].

واختلف العلماء في غسل ما استرسل، والكلام في ذلك مبسوط في مواطنه[٦].

---

(١) انظر: هذه الأقوال في «الجامع لأحكام القرطبي» (٧/ ٣٢٣ ـ ٣٢٥).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (٨٦/ ٢٧٧)، وأحمد (٥/ ٣٥٨)، وأبو داود رقم (١٧٢)، والترمذي رقم (٦١) وقال: «حسن صحيح»، والنسائي (١/ ٨٦)، وابن ماجه رقم (٥١٠).

(٣) أخرجه البخاري رقم (٢١٤)، وأحمد (٣/ ١٣٢)، وأبو داود رقم (١٧١)، والترمذي رقم (٦٠) وقال: «حسن صحيح»، والنسائي (١/ ٨٥)، وابن ماجه رقم (٥٠٩).

(٤) «روضة الطالبين» (١/ ٥٣)، و«المبدع» (١/ ١٢٧ ـ ١٢٨)، و«المدونة» (١/ ١٦)، و«المحلى» (٢/ ٤٩).

(٥) عن عثمان رضي الله عنه «أنَّ النبي ﷺ كان يخلل لحيته».
[أخرجه ابن ماجه رقم (٤٣٠)، والترمذي رقم (٣١) وهو صحيح].

(٦) انظر: «نيل الأوطار» (٢/ ٥٩ ـ ٦١)، ط. ابن الجوزي.

وقد اختلف أهل العلم أيضاً: هل يُعتبر في الغسل الدلك باليد أم يكفي إمرار الماء؟ والخلاف في ذلك معروف، والمرجع اللغة العربية، فإن ثبت فيها أن الدلك داخل في مُسمّى الغسل، كان معتبراً، وإلا فلا.

قال في «شمس العلوم»(١): غَسَل الشيء غسلاً: إذا أجرى عليه الماء ودلكه. انتهى.

وأما المضمضة والاستنشاق، فإذا لم يكن لفظ الوجه يشمل باطن الفم والأنف، فقد ثبت غسلها بالسُّنَّة(٢) الصحيحة، والخلاف في الوجوب(٣) وعدمه معروف.

وقد أوضحنا ما هو الحق في(٤) مؤلفاتنا.

قوله: ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ «إلى» للغاية، وأمَّا كون ما بعدها يدخل فيما قبلها فمحل خلاف.

وقد ذهب سيبويه وجماعة إلى أن ما بعدها إن كان مِنْ نوع ما قبلها دخل وإلا فلا؛ وقيل: إنها هنا بمعنى «مع».

وذهب قوم إلى أنها تفيد الغاية مطلقاً، وأما الدخول(٥) وعدمه فأمر يدور مع الدليل.

وقد ذهب الجمهور(٦) إلى أن المرافق تغسل، واستدلوا بما أخرجه الدارقطني

---

(١) «شمس العلوم ودواء كلام العرب مِنْ الكلوم» لمؤلفه نشوان بن سعيد الحميري (ت٥٧٣هـ/ ١١٧٨م)، (٨/ ٤٩٥١)، دار الفكر، دمشق.

(٢) عن علي رضي الله عنه أنه دعا بوضوءة فتمضمض واستنشق ونثر بيده اليسرى، ففعل هذا ثلاثاً ثم قال: هذا طهور نبي الله ﷺ.
[أخرجه أحمد (١/ ١٢٢، ١٢٥، ١٣٩)، والنسائي (١/ ٦٧ رقم ٩١). وهو حديث صحيح].
• وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إذا توضأ أحدكم فليجعل في أنفه ماء ثمَّ لينتثر».
[أخرجه البخاري رقم (١٦٢)، ومسلم رقم (٢٠/ ٢٣٧)، وأحمد (٢/ ٢٤٢)].

(٣) «المجموع شرح المهذب» (١/ ٤٥٢ ـ ٤٥٣)، و«إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام» (١/ ٣٩).

(٤) «نيل الأوطار» (٢/ ٥٤ ـ ٥٩)، ط. ابن الجوزي.

(٥) «المحرر الوجيز» (٥/ ٤٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٧/ ٣٣٣).

(٦) «المغني» (١/ ١٧٢ ـ ١٧٣)، و«البيان» للعمراني (١/ ١٢٠)، و«المنتقى» للباجي (١/ ٣٦)، و«عيون المجالس» (١/ ١١٤ رقم ١١).
=

والبيهقي من طريق القاسم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عَقيل، عن جدّه، عن جابر بن عبد الله[(١)] قال: «كان رسول الله ﷺ إذا توضأ أدار الماء على مرفقيه»، ولكن القاسم هذا متروك، وجدّه ضعيف.

قولُه: ﴿وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ﴾ قيل: الباء زائدة[(٢)]، والمعنى: امسحوا رؤوسكم، وذلك يقتضي تعميم المسح لجميع الرأس.

وقيل: هي للتبعيض، وذلك يقتضي أنه يجزئ مسح بعضه.

واستدل القائلون بالتعميم[(٣)] بقوله تعالى في التيمم: ﴿فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ﴾ ولا يجزئ مسح بعض الوجه اتفاقاً.

وقيل: إنها للإلصاق؛ أي: ألصقوا أيديكم برؤوسكم.

وعلى كل حال، فقد ورد في السُّنَّة المطهرة ما يفيد أنه يكفي مسح بعض الرأس، كما أوضحناه في[(٤)] مؤلفاتنا، فكان هذا دليلاً على المطلوب غير محتمل كاحتمال الآية على فرض أنها محتملة، ولا شك أن من أمر غيره بأن يمسح رأسه، كان ممتثلاً بفعل ما يصدق عليه مسمى[(٥)] المسح، وليس في لغة العرب ما يقتضي

= وذهب بعض أهل الظاهر، وبعض متأخري أصحاب مالك والطبري إلى أنَّه لا يجب إدخالهما في الغسل.
«المحلى» (٤٩١٢ المسألة رقم ١٩٨)، و«المنتقى» للباجي (١/٣٦).

(١) أخرجه الدارقطني رقم (١٥)، باب وضوء رسول الله ﷺ، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١/٥٦) ضعيف جدّاً.
• ويغني عنه ما أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (٣٤/٢٤٦). وفيه «ثم غسل يده اليُمنى حتى أشرع في العضد»
ومن «القواعد الأصولية أن المجمل لا يُعين حتى يبين وقد بين هنا بتحديد أبي هريرة رضي الله عنه المراد باليد، والمراد بـ(إلى) فالراجح حينئذٍ أن (إلى) بمعنى مع، وأن المرفقين داخلة في وجوب غسل اليدين».
قال النووي في «المجموع» (١/٤٢٠): «إن فعله ﷺ بيان للغسل المأمور به، ولم ينقل تركه ذلك، والله أعلم».

(٢) «مغني اللبيب» (١/١٠٢).

(٣) «مقدمات ابن رشد» (١/٥١ ـ ٥٢)، و«الاستذكار» (٢/٣٠)، و«مواهب الجليل» (١/٢٠٢)، و«المبدع» (١/١٢٧)، و«الإنصاف» (١/١٦١).

(٤) «نيل الأوطار» (٢/٨٤ ـ ٩٠)، ط. ابن الجوزي.

(٥) انظره مفصلاً في «زاد المعاد» (١/١٩٣ ـ ١٩٤).

أنه لا بد في مثل هذا الفعل مِنْ مسح جميع الرأس، وهكذا سائر الأفعال المتعدية نحو: اضرب زيداً أو اطعنه أو ارجمه، فإنه يوجد المعنى العربي بوقوع الضرب، أو الطعن، أو الرجم، على عضو من أعضائه، ولا يقول قائل من أهل اللغة أو من هو عالم بها: إنّه لا يكون ضارباً إلا بإيقاع الضرب على كل جزء من أجزاء زيد، وكذلك الطعن والرجم وسائر الأفعال، فاعرف هذا حتى يتبين لك ما هو الصواب مِنْ الأقوال في مسح الرأس.

فإن قلت: يلزم مثل هذا في غسل الوجه واليدين والرجلين. قلت: ملتزم لولا البيان من السُّنَّة في الوجه، والتحديد بالغاية في اليدين والرجلين بخلاف الرأس، فإنه ورد في السُّنَّة مسح الكل(١) ومسح البعض.

قوله: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِۚ﴾ قرأ نافع بنصب(٢) الأرجل، وهي قراءة الحسن البصري والأعمش.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة بالجرّ(٣).

وقراءةُ النصب، تدل على أنه يجب غسل الرجلين؛ لأنها معطوفة على الوجه، وإلى هذا ذهب جمهور(٤) العلماء.

وقراءة الجرّ تدل على أنه يجوز الاقتصار على مسح الرجلين؛ لأنها معطوفة على الرأس، وإليه ذهب ابن جرير الطبري(٥)، وهو مرويّ عن ابن عباس.

قال ابن العربي(٦): اتفقت الأمة على وجوب غسلهما وما علمت من ردّ ذلك إلا الطبري من فقهاء المسلمين، والرافضة من غيرهم، وتعلق الطبري بقراءة الجرّ.

---

(١) انظر: المصادر المتقدمة تعليقة رقم (٨، ٩، ١٠).

(٢) «البحر المحيط» (٤/ ١٩٠)، و«النشر» (٢/ ٢٥٤)، و«التيسير» (٩٨)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٠٦ ـ ٤٠٧)، و«زاد المسير» (٢/ ٣٠١)، و«مجمع البيان» (٦/ ٣٤)، و«جامع البيان» (٨/ ١٨٨ ـ ١٨٩). قال في «تخريج القراءات في فتح القدير» (ص١١٢): هما متواترتان ومع نافع ابن عامر وحفص والكسائي ويعقوب، ومع من يخفض شعبة وأبو جعفر وخلف، ولم يذكر في «الإتحاف» عن الحسن والأعمش ما عزاهما هنا بل ذكر عن الحسن رفع «أرجلُكُم» وكذا ذكره في «البحر» (٣/ ٤٣٨).

(٣) انظر: المصادر المتقدمة.

(٤) «فتح الباري» (١/ ٢٦٥ ـ ٢٦٦)، و«المجموع شرح المهذب» (١/ ٤٤٨)، و«المغني» (١/ ١٨٤)، و«المدونة» (١/ ١٤).

(٥) في «جامع البيان» (٨/ ١٨٩ ـ ١٩٠).

(٦) في «أحكام القرآن» (٢/ ٥٧٥).

قال القرطبي[١]: قد روي عن ابن عباس[٢] أنه قال: الوضوء غسلتان ومسحتان، قال: وكان عكرمة[٣] يمسح رجليه؛ وقال: ليس في الرجلين غسل، إنما نزل فيهما المسح.

وقال عامر الشعبي[٤]: نزل جبريل بالمسح.

قال[٥]: وقال قتادة: افترض الله مسحتين وغسلتين.

قال[٦]: وذهب ابن جرير[٧] الطبري إلى أن فرضهما التخيير بين الغسل والمسح وجعل القراءتين كالروايتين، وقواه النحاس[٨].

ولكنه قد ثبت في السُّنَّة المطهرة بالأحاديث الصحيحة من فعله ﷺ، وقوله غسل الرجلين فقط.

وثبت عنه أنه قال: «ويل للأعقاب من النار»[٩]، وهو في «الصحيحين» وغيرهما فأفاد وجوب غسل الرجلين، وأنه لا يجزئ مسحهما؛ لأن شأن المسح أن يصيب ما أصاب ويخطئ ما أخطأ، فلو كان مجزئاً لما قال: «ويل للأعقاب من النار».

وقد ثبت عنه أنه قال بعد أن توضأ وغسل رجليه: «هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به»[١٠].

---

(١) في «تفسيره» (٧/ ٣٤٣).
قال الحافظ في «الفتح» (١/ ٢٦٦): «ولم يثبت عن أحد من الصحابة خلاف ذلك إلا عن علي وابن عباس وأنس، وقد ثبت عنهم الرجوع عن ذلك».

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ١٩٥)، وعبد الرزاق في «مصنفه» رقم (٥٥) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ١٩٦)، وابن أبي شيبة (١/ ١٨) بسند صحيح.

(٤) القرطبي في «تفسيره» (٧/ ٣٤٣).

(٥) القرطبي في «تفسيره» (٧/ ٣٤٣).

(٦) أي: القرطبي في «تفسيره» (٧/ ٣٤٤).

(٧) في «جامع البيان» (٨/ ١٩٨).

(٨) في «إعراب القرآن» (٩١٢).

(٩) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (١٦٠، ١٦٣، ١٩٦)، ومسلم في «صحيحه» رقم (٢٧/ ٢٤١)، وأحمد (٢/ ٢١١ ـ ٢١٢)، والبيهقي (١/ ٦٨)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١/ ٣٩)، والبغوي رقم (٢٢٠) من حديث عبد الله بن عمرو.
• وأخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (١٦٥)، ومسلم رقم (٢٨/ ٢٤٢)، وأحمد (٢/ ٢٢٨، ٢٨٤، ٣٨٩، ٤٠٦، ٤٨٢)، والترمذي رقم (٤١)، وابن ماجه رقم (٤٥٣)، والنسائي رقم (١١٠)، والدارمي (١/ ١٧٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(١٠) أخرجه ابن ماجه رقم (٤١٩) من حديث ابن عمر.

=

وقد ثبت في «صحيح مسلم»[(١)] وغيره: أن رجلاً توضأ فترك على قدمه مثل موضع الظفر، فقال له: «ارجع فأحسن وضوءك».

وأما المسح على الخفين، فهو ثابت [٢/١٢] بالأحاديث[(٢)] المتواترة.

وقوله: ﴿إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ الكلام فيه كالكلام في قوله: ﴿إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ وقد قيل في وجه جمع المرافق وتثنية الكعاب: إنه لما كان في كل رِجْلٍ كعبان ولم يكن في كل يد إلا مرفق واحد ثنيت الكعاب تنبيهاً؛ على أن لكل رجل كعبين، بخلاف المرافق فإنها جمعت لأنه لما كان في كل يد مرفق واحد لم يتوهم وجود غيره، ذكر معنى هذا ابن عطية[(٣)].

وقال الكواشي: ثنَّى الكعبين وجمع المرافق لنفي توهم أن في كل واحدة من الرجلين كعبين، وإنما في كل واحدة كعب واحد، له طرفان من جانبي الرجل، بخلاف المرفق فهي أبعد عن الوهم. انتهى.

وبقي من فرائض الوضوء: النية[(٤)] والتسمية ولم يذكرا في هذه الآية؛ بل وردت بهما السُّنَّة؛ وقيل: إن في هذه الآية ما يدلّ على النية؛ لأنه لما قال: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ﴾ كان تقدير الكلام: فاغسلوا وجوهكم لها، وذلك هو النية المعتبرة.

قوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ﴾؛ أي: فاغتسلوا بالماء. وقد ذهب عمر بن الخطاب[(٥)] وابن مسعود[(٦)] إلى أن الجنب لا يتيمم البتة بل يدع الصلاة حتى يجد

= وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (١/١٧١ رقم ٤١٩/١٧٣): «هذا إسناد فيه زيد العمي وهو ضعيف، وابنه عبد الرحيم متروك بل كذاب، ومعاوية بن قرة لم يلق ابن عمر. وهو حديث ضعيف، والله أعلم».

(١) أخرجه أحمد (٣/١٤٦)، وأبو داود رقم (١٧٣)، والدارقطني في «سننه» (١/١٠٨ رقم ٥)، وقال الدارقطني: «تفرد به جرير بن حازم عن قتادة، وهو ثقة».
وأخرجه ابن ماجه رقم (٦٦٥)، وأبو يعلى (٥/٣٢٢ رقم ٢٩٤٤)، وابن خزيمة (١/٨٤ ـ ٨٥ رقم ١٦٤)، والبيهقي (١/٨٣) من حديث أنس بن مالك ﷺ. وهو حديث صحيح والحديثُ الذي في «صحيح مسلم» عن عمر بن الخطاب رقم (٣٩١).

(٢) انظر: «فتح الباري» (١/٣٠٦)، و«نيل الأوطار» (٤/١٥٩ ـ ١٩٠)، ط. ابن الجوزي.

(٣) في «المحرّر الوجيز» (٥/٤٩ ـ ٥٠).

(٤) انظر: «المجموع شرح المهذب» (١/٣٥٥)، و«عيون المجالس» (١/٩٧)، و«حاشية ابن عابدين» (١/١٩٩)، و«المغني» (١/١٥٦ ـ ١٥٧).

(٥) ذكره ابن عبد البر في «الاستذكار» (٣/١٤٧ رقم ٣١٣٠).

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة (١/١٥٧)، والبيهقي في «معرفة السنن والآثار» (٢/١٦٢٩)، وابن عبد البر في «الاستذكار» (٣/١٤٨ رقم ٣١٣٢).

الماء استدلالاً بهذه الآية، وذهب الجمهور[١] إلى وجوب التيمم للجنابة مع عدم الماء، وهذه الآية هي للواجد، على أن التطهر هو أعمّ من الحاصل بالماء أو بما هو عوض عنه مع عدمه، وهو التراب.

وقد صحّ[٢] عن عمر وابن مسعود الرجوع إلى ما قاله الجمهور، للأحاديث الصحيحة الواردة في تيمم الجُنُب، مع عدم الماء.

وقد تقدّم تفسير الجُنب في النساء.

قوله: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ [النساء: ٤٣] قد تقدّم تفسير هذا في سورة النساء مستوفى، وكذلك تقدّم الكلام على ملامسة النساء، وعلى التيمم وعلى الصعيد، ومن في قوله: ﴿مِّنْهُ﴾ لابتداء[٣] الغاية، وقيل: للتبعيض.

قيل: ووجه تكرير هذا هنا لاستيفاء الكلام في أنواع الطهارة: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾؛ أي: ما يريد بأمركم بالطهارة بالماء أو بالتراب التضييق عليكم في الدين، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨] ثم قال: ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ من الذنوب، وقيل: من الحدث الأصغر والأكبر، ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: بالترخيص لكم في التيمم عند عدم الماء، أو بما شرعه لكم من الشرائع التي عرّضكم بها للثواب، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمته عليكم، فتستحقون بالشكر ثواب الشاكرين.

وقد أخرج مالك والشافعي، وعبد بن حميد وابن جرير، وابن المنذر، عن زيد بن أسلم[٤]، في قوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ قال: قمتم من المضاجع؛ يعني: النوم.

وأخرج ابن جرير[٥] عن السدّي مثله.

---

(١) قال ابن عبد البر في «الاستذكار» (٣/ ١٤٦ رقم ٣١٢٩): وأجمع العلماء بالأمصار بالمشرق والمغرب فيما علمت أن التيمم بالصعيد عند عدم الماء طهور كل مسلم مريض أو مسافر، سواء كان جنباً أو على غير وضوء، ولا يختلفون في ذلك.
«المجموع» (٢/ ٣٠٠)، و«المغني» (١/ ٣١٣ ـ ٣١٤).

(٢) انظر: «نيل الأوطار» (٢/ ٤١٢)، ط. ابن الجوزي.

(٣) انظر: «روح المعاني» (٧/ ٧٩)، و«البحر المحيط» (٤/ ١٩٤).

(٤) أخرجه مالك في «الموطأ» (١/ ٢١)، وابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ١٥٦)، والبيهقي (١/ ١١٧)، وفي «المعرفة» رقم (١٥١) بسند ضعيف.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ١٥٧) بسند حسن.

وأخرج ابن جرير[١] أيضاً عنه يقول: إذا قمتم وأنتم على غير طهر. وأخرج ابن أبي شيبة[٢] عن الحسن، في قوله: ﴿فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ﴾ قال: ذلك الغسل الدلك.

وأخرج سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وابن جرير، عن أنس[٣] أنه قيل له: إن الحجاج خطبنا فقال: اغسلوا وجوهكم وأيديكم، وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم، وأنه ليس شيء مِنْ ابن آدم أقربَ إلى الخَبَث مِنْ قدميه، فاغسلوا بطونهما وظهورهما وعراقيبهما. قال أنس: صدق الله وكذب الحجاج، قال الله: ﴿وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾ وكان أنس إذا مسح قدميه بلّهما.

وأخرج سعيد بن منصور عن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى قال: اجتمع أصحاب رسول الله ﷺ على غسل القدمين. وأخرج عبد بن حميد وابن جرير، وابن المنذر عن مجاهد في قوله: ﴿مِّنْ حَرَجٍ﴾ قال: من ضيق. وأخرج عبد بن حميد، وأبو الشيخ، عن سعيد بن جبير، في قوله: ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ قال: تمام النعمة دخول الجنة، لم يتمّ نعمته على عبد لم يدخل الجنة.

[ميثاق الله الذي واثقهم على السمع والطاعة، ومن ثم يكلهم الله في هذا إلى التقوى]:

﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾.

﴿نِعْمَةَ ٱللَّهِ﴾ قيل: هي الإسلام. والميثاق: العهد؛ قيل: المراد به هنا: ما

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ١٥٥ ـ ١٥٦) بسند حسن.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١/ ٢٠).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ١٩٥)، وسعيد بن منصور في «سننه» رقم (٧١٨ ـ تفسير)، وابن أبي شيبة (١/ ١٩) بسند صحيح.
قال ابن كثير في «تفسيره» (٥/ ١٠٧): «إسناد صحيح».

أخذه على بني آدم كما قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ الآية [الأعراف: ١٧٢]. قاله مجاهد(١) وغيره: ونحن وإنْ لم نذكره فقد أخبرنا الله به.

وقيل: هو خطاب لليهود. والعهدُ: ما أخذه عليهم في التوراة. وذهب جمهور(٢) المفسرين مِنْ السلف ومَنْ بعدهم، إلى أنه العهد الذي أخذه النبي ﷺ ليلة العقبة عليهم، وهو السمع والطاعة في المنشط والمكره، وأضافه تعالى إلى نفسه؛ لأنّه عن أمره وإذنه، كما قال: ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠]، وبيعة العقبة مذكورة في كتب(٣) السيرة، وهذا متصل بقوله: ﴿أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِۚ﴾ [المائدة: ١].

قوله: ﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ﴾؛ أي: وقت قولكم هذا القول، وهذا متعلق «بواثقكم»، أو بمحذوف وقع حالاً؛ أي: كائناً هذا الوقت.

و﴿بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: ما تُخفيه الصدور؛ لكونها مختصةً بها لا يعلمها أحد، ولهذا أطلق عليها ذات التي بمعنى الصاحب، وإذا كان سبحانه عالماً بها، فكيف بما كان ظاهراً جلياً.

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ﴾ قد تقدّم تفسيرها في النساء، وصيغة المبالغة [٢/١٣] في ﴿قَوَّٰمِينَ﴾ تفيد أنهم مأمورون بأن يقوموا بها أتمّ قيام ﴿لِلَّهِ﴾؛ أي: لأجله تعظيماً لأمره وطمعاً في ثوابه. والقسط: العدل. وقد تقدّم الكلام على قوله: ﴿يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ مستوفى؛ أي: لا يحملنّكم(٤) بغضُ قوم على ترك العدل، وكتم الشهادة ﴿ٱعْدِلُواْ هُوَ﴾؛ أي: العدل المدلول عليه بقوله: اعدلوا ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ﴾ التي أمرتم بها غير مرة؛ أي: أقرب لأن تتقوا الله، أو لأن تتقوا النار.

قوله: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ هذه الجملة في محل(٥) نصب على أنها المفعول الثاني لقوله: ﴿وَعَدَ﴾ على معنى: وعدهم أن لهم مغفرة، أو وعدهم مغفرة فوقعت الجملة موقع المفرد فأغنت عنه، ومثله قول الشاعر(٦):

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٢٢٠) بسند صحيح.
(٢) «جامع البيان» (٨/ ٢٢١ ـ ٢٢٢)، و«تفسير ابن كثير» (٥/ ١٢٦ ـ ١٢٧).
(٣) «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠).
(٤) «أحكام القرآن» لابن العربي (٢/ ٥٨٣).
(٥) «التبيان» (١/ ٤٢٥)، و«روح المعاني» (٧/ ٨٥ ـ ٨٦)، و«البحر المحيط» (٤/ ١٩٧).
(٦) هو: عبد العزيز الكلابي. كما في الكتاب (١/ ٢٨٨)، و«المقتضب» (٣/ ٢٨٨).

وجدنا الصالحينَ لهم جزاءٌ وجناتٍ وعيناً سلسبيلاً

قوله: ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾؛ أي: ملابسوها. قوله: ﴿إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ﴾ ظرف لقوله: ﴿ٱذۡكُرُواْ﴾ أو للنِّعمة، أو لمحذوف وقع حالاً منها ﴿أَن يَبۡسُطُوٓاْ﴾؛ أي: بأن يبسطوا.

وقوله: ﴿فَكَفَّ﴾ معطوف على قوله: ﴿هَمَّ﴾ وسيأتي بيان سبب نزول هذه الآية، وبه يتضح المعنى.

وقد أخرج ابن جرير، والطبراني في «الكبير»، عن ابن عباس[1] في قوله: ﴿إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ﴾؛ يعني: حينَ بعث الله النبي ﷺ، وأنزل عليه الكتاب قالوا: آمنا بالنبيّ والكتاب، وأقررنا بما في التوراة. فذكرهم الله ميثاقه الذي أقرّوا به على أنفسهم، وأمرهم بالوفاء به.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير وابن المنذر، عن مجاهد[2] قال: النعم: الآلاء، وميثاقه الذي واثقهم به، قال: الذي واثق به بني آدم، في ظهر آدم عليه السلام.

وأخرج ابن جرير[3] عن عبد الله بن كثير، في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾ الآية. قال: نزلت في يهود خيبر، ذهب إليهم رسول الله ﷺ يستعينهم في دية، فهموا أن يقتلوه، فذلك قوله: ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ﴾ الآية.

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، والبيهقي في «الدلائل»، عن جابر بن عبد الله[4] أن النبي ﷺ، نزل منزلاً فتفرّق الناس في العضاه[5]

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٢٢٠)، والطبراني رقم (١٣٠٣١) بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٢٢٠) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٢٢٣) بسند ضعيف.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٢٣٢ ـ ٢٣٣)، وعبد بن حميد رقم (٤١٣٩)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ١٨٥).

• وأخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٤١٣٩)، ومسلم رقم (٨٤٣).

(٥) **العِضَاه**: شجر أم غيلان وكل شجر عظيم له شوك. والواحدة عضةٌ بالتاء. و«النهاية» (٢/ ٢٢١)، و«المجموع المغيث» (٢/ ٤٦٦).

يستظلون تحتها، فعلَّق النبي ﷺ سلاحه بشجرةٍ، فجاء أعرابي إلى سيفه فأخذه فسلَّه، ثم أقبل على رسول الله ﷺ فقال: مَنْ يمنعك مني؟ قال: الله، قال الأعرابي: مرتين أو ثلاثاً: مَنْ يمنعك مني؟ والنبي ﷺ يقول: الله. فشام الأعرابي السيفَ، فدعا النبي ﷺ أصحابه فأخبرهم بصنيع الأعرابي وهو جالس إلى جنبه لم يعاقبه.

قال مَعمر[1]: وكان قتادة يذكر نحو هذا. ويذكر أن قوماً من العرب أرادوا أن يفتكوا بالنبي ﷺ، فأرسلوا هذا الأعرابي، ويتأوّل: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ الآية.

وأخرج الحاكم[2] وصححه، عنه بنحوه، وذكر أن اسم الرجل غَوْرَث بن الحارث، وأنه لما قال النبي ﷺ: «الله» سقط السيف من يده، فأخذه النبي ﷺ وقال: مَنْ يمنعكَ مِنّي؟ قال: كن خيرَ آخذ، قال: فشهد أن لا إله إلا الله.

وأخرجه أيضاً ابن إسحاق وأبو نعيم في «الدلائل» عنه[3].

وأخرج أبو نعيم[4] في «الدلائل»، عن ابن عباس: أن بني النضير هموا أن يطرحوا حجراً على النبي ﷺ ومن معه، فجاء جبريل فأخبره بما هموا، فقام ومن معه، فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ﴾ الآية.

وروى نحو هذا مِنْ طرق عن غيره، وقصة الأعرابي وهو غورث المذكور ثابتة في الصحيح[5].

---

(١) الراوي عن الزهري في سند حديث جابر، وهو عند ابن جرير (٨/ ٢٣٣).

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٢٩، ٣٠) وصححه ـ بلفظ مختلف ـ على شرط الشيخين ووافقه الذهبي. لكن فيه أنَّه قال: «أعاهدك ألّا أقاتلك».

(٣) أخرجه ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» (٣/ ٢٥٧)، وأبو نعيم في «الدلائل» (١/ ٤٢٢، ٤٢٣).

(٤) أخرجه أبو نعيم في «الدلائل» (١/ ٤٢٣، ٤٢٤) عن عروة بن الزبير.

(٥) أخرجه البخاري رقم (٤١٣٩)، ومسلم رقم (٨٤٣).

[كان ميثاق بني إسرائيل ميثاقاً متضمناً شرطاً وجزاء]:

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾﴾.

قوله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ﴾ كلام مستأنف يتضمن ذكر بعض ما صدر من بني إسرائيل من الخيانة. وقد تقدّم بيان الميثاق الذي أخذه الله عليهم.

واختلف المفسرون في كيفية بعث هؤلاء النقباء؟ بعد الإجماع منهم على أن النقيب كبير القوم العالم بأمورهم الذي يُنقِّب عنها وعن مصالحهم فيها، والنَّقَّاب: الرجل العظيم الذي هو في الناس على هذه الطريقة، ويُقال: نقيب القوم لشاهدهم وضَمينهم. والنَّقْب: الطريق في الجبل هذا أصله، وسمي به نقيب القوم؛ لأنه طريق إلى معرفة أمورهم. والنقيب[١]: أعلى مكاناً من العريف، فقيل: المراد[٢] ببعث هؤلاء النقباء، أنهم بُعثوا أمناء على الاطّلاع على الجبارين، والنظر في قوّتهم ومنعتهم فساروا ليختبروا حال مَنْ بها ويخبروا بذلك، فاطلعوا من الجبارين على قوّة عظيمة وظنوا أنهم لا قبل لهم بها، فتعاقدوا بينهم على أن يخفوا ذلك عن بني إسرائيل، وأن يُعلموا به موسى، فلما انصرفوا إلى بني إسرائيل خان منهم عشرة فأخبروا قراباتهم، ففشا الخبر حتى بطل أمر الغزو.

وقالوا: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ﴾ [المائدة: ٢٤] وقيل: إن هؤلاء النقباء

---

(١) «تهذيب اللغة» (٩/ ١٩٧)، و«مجاز القرآن» (١/ ١٥٦)، و«روح المعاني» (٧/ ٨٩).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٧/ ٣٧٦ ـ ٣٧٧)، و«جامع البيان» (٨/ ٢٣٥).

كفل كل واحد منهم على سبطه بأن يؤمنوا ويتقوا الله، وهذا معنى بعثهم، وسيأتي ذكر بعض ما قاله جماعة من السلف في ذلك.

قوله: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾؛ أي: قال ذلك لبني إسرائيل، وقيل: للنقباء؛ والمعنى: إني معكم بالنصر والعون، واللام في قوله: ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ هي: الموطئة[(١)] للقسم المحذوف، وجوابه: ﴿لَأُكَفِّرَنَّ﴾ وهو سادّ مسدّ جواب الشرط. والتعزير: التعظيم والتوقير، وأنشد أبو عبيدة[(٢)]:

وكم من ماجد لهمُ كريمٍ ومن ليث يَعَزَّرُ في النَّديِّ

أي: يُعظّم ويُوقَّر. ويطلق التعزير على الضرب والردّ، يقال: عزّرت فلاناً: إذا أدّبته ورددته عن القبيح، فقوله: ﴿وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾؛ أي: عظمتموهم على المعنى الأوّل، أو رددتم عنهم أعداءهم ومنعتموهم على الثاني.

قوله: ﴿وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾؛ أي: أنفقتم في وجوه الخير، و﴿قَرْضًا﴾ مصدر محذوف الزوائد؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ [آل عمران: ٣٧] أو مفعول ثان لأقرضتم. والحسن قيل: هو ما طابت به النفس؛ وقيل: ما ابتغى به وجه الله؛ وقيل: الحلال.

قوله: ﴿فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: بعد الميثاق أو بعد الشرط المذكور، ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾؛ أي: أخطأ وسط الطريق.

قوله: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾ الباء سببية [٢/١٤] وما زائدة؛ أي: فبسبب نقضهم ميثاقهم: ﴿لَعَنَّٰهُمْ﴾؛ أي: طردناهم وأبعدناهم ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾؛ أي: صلبة لا تعي خيراً ولا تعقله.

وقرأ حمزة والكسائي: «قَسِيَّة» بتشديد الياء[(٣)] من غير ألف، وهي قراءة ابن مسعود والنخعي ويحيى بن وثّاب؛ يقال: درهم قَسِيّ مخفف السين مشدّد الياء؛ أي: زائف، ذكر ذلك أبو عبيد[(٤)].

---

(١) «التبيان» (١/٤٢٦)، و«روح المعاني» (٧/٩٤)، و«البحر المحيط» (٤/٢٠٣).

(٢) في «مجاز القرآن» (١/١٥٧).

(٣) «التيسير» (ص٩٩)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/٤٠٧)، و«البحر المحيط» (٤/٢٠٥)، و«جامع البيان» (٨/٢٤٩)، و«النشر» (٢/٢٥٤). وهما قراءتان متواترتان.

(٤) في «غريب الحديث» (٤/٦٨).

وقال الأصمعي[١] وأبو عُبيدة[٢]: درهم قَسِيّ كأنه مُعرَّب قاس.

وقرأ الأعمش: «قَسِيَةَ» بتخفيف[٣] الياء، وقرأ الباقون[٤]: ﴿قَسِيَّةً﴾.

﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ الجملة مستأنفة لبيان حالهم أو حالية؛ أي: يبدّلونه بغيره أو يتأولونه على غير تأويله. وقرأ السلمي[٥] والنخعي «الكلام».

قولُه: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾؛ أي: لا تزال يا محمد تقف على خائنة منهم، والخائنة: الخيانة؛ وقيل: هو نعت[٦] لمحذوف، والتقدير فرقة خائنة، وقد تقع للمبالغة نحو علّامة ونسّابة إذا أردت المبالغة في وصفه بالخيانة؛ وقيل: خائنة معصية.

قوله: ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ استثناء من الضمير في منهم ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ﴾ قيل: هذا منسوخ بآية السيف؛ وقيل: خاص بالمعاهدين.

قوله: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ﴾ الجار والمجرور متعلق بقوله: ﴿أَخَذْنَا﴾ والتقديم للاهتمام، والتقدير: وأخذنا من الذين قالوا: إنا نصارى ميثاقهم؛ أي: في التوحيد والإيمان بمحمد ﷺ وبما جاء به.

قال الأخفش[٧]: هو كقولك أخذت من زيد ثوبه ودرهمه، فرتبة «الذين» بعد أخذنا.

وقال الكوفيون[٨] بخلافه؛ وقيل: إن الضمير في قوله: ﴿مِيثَٰقَهُمْ﴾ راجع إلى بني إسرائيل؛ أي: أخذنا من النصارى مثل ميثاق المذكورين قبلهم من بني إسرائيل.

وقال: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ﴾ ولم يقل، ومن النصارى، للإيذان بأنّهم كاذبون في دعوى النصرانية وأنهم أنصار الله.

---

(١) ذكره القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» (٧/ ٣٨٠).
(٢) انظر: «غريب الحديث» (٤/ ٦٨).
(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٧/ ٢٨١)، و«القراءات الشاذة» (ص٣١). المشهور أن قراءة الأعمش كقراءة حمزة بتشديد الياء
(٤) «النشر» (٢/ ٣ ـ ٤)، و«النشر» (٢/ ٢٥٤)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٠٧)، و«زاد المسير» (٢/ ٣١٣)، و«مجمع البيان» (٦/ ٥١)، و«البحر المحيط» (٤/ ٢٠٤ ـ ٢٠٥)، و«جامع البيان» (٨/ ٢٤٩).
(٥) «البحر المحيط» (٤/ ٢٠٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٧/ ٣٨٢). وهي قراءة شاذة.
(٦) «التبيان» (١/ ٤٢٧)، و«معاني القرآن» للنحاس (٢/ ٢٨٢).
(٧) في «معاني القرآن» له (٢/ ٤٦٧).
(٨) «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١١)، و«مشكل إعراب القرآن» (١/ ٢٢١).

قوله: ﴿فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾؛ أي: نسوا من الميثاق المأخوذ عليهم نصيباً وافراً عقب أخذه عليهم: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾؛ أي: ألصقنا ذلك بهم، مأخوذ من الغِراء: وهو ما يُلصق الشيء بالشيء كالصَّمْغ وشبهه يقال: غَرِيَ بالشيء يَغْرِي غَرياً بفتح الغين مقصوراً، وغِراءً بكسرها ممدوداً؛ أي: أولع به حتى كأنه صار ملتصقاً به، ومثل الإغراء التحرش، وأغريتُ الكلب؛ أي: أولعته بالصيد.

والمراد بقوله: ﴿بَيْنَهُمُ﴾ اليهود والنصارى؛ لتقدم ذكرهم جميعاً؛ وقيل: بين النصارى خاصة؛ لأنهم أقرب مذكور، وذلك لأنهم افترقوا إلى اليعقوبية والنسطورية والملكانية، وكفر بعضهم بعضاً، وتظاهروا بالعداوة في ذات بينهم.

قال النحاس[(١)]: ومن أحسن ما قيل في معنى: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾: إن الله ﷻ أمر بعداوة الكفار وإبغاضهم، فكل فرقة مأمورة بعداوة صاحبتها وإبغاضها.

قوله: ﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ تهديد لهم؛ أي: سيلقون جزاء نقض الميثاق.

وقد أخرج ابن جرير[(٢)] عن أبي العالية في قوله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ قال: أخذ مواثيقهم أن يُخلصوا له ولا يعبدوا غيره ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾؛ أي: كفيلاً كفلوا عليهم بالوفاء لله بما واثقوه عليه من العهود فيما أمرهم به وفيما نهاهم عنه.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عن مجاهد[(٣)] في قوله: ﴿ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ قال: من كل سِبْط من بني إسرائيل رجال أرسلهم موسى إلى الجبّارين، فوجدوهم يدخل في كمّ أحدهم اثنان منهم، ولا يحمل عنقود عنبهم إلا خمسة أنفس منهم في خشبة، ويدخل في شطر الرمانة إذا نزع حبها خمسة أنفس أو أربعة، فرجع النقباء كلهم ينهى سبطه عن قتالهم، إلا يُوشع بن نون، وكالب بن يافنّة، فإنهما أمرا الأسباط بقتال الجبّارين، ومجاهدتهم فعصوهما وأطاعوا الآخرين، فهما الرجلان اللذان أنعم الله عليهما، فتاهت بنو إسرائيل أربعين سنة،

(١) في «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٢).
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٢٣٥) بسند حسن.
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٢٣٧ ـ ٢٣٨) بسند صحيح.

يصبحون حيثُ أمسوا، ويُمْسون حيثُ أصبحوا في تيههم ذلك، فضرب موسى الحجر لكل سبط عيناً؛ حجراً لهم يحملونه معهم، فقال لهم موسى: اشربوا يا حمير، فنهاه الله عن سبهم.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس(١) في قوله: ﴿ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗا﴾ قال: هم من بني إسرائيل، بعثهم موسى لينظروا إلى المدينة، فجاءوا بحبة من فاكهتهم وِقْرَ رجل، فقال: اقدروا قوّة قوم وبأسهم، وهذه فاكهتهم، فعند ذلك فُتنوا فقالوا: لا نستطيع القتال ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ﴾ [المائدة: ٢٤].

وقد ذكر ابن إسحاق(٢) أسماء هؤلاء الأسباط، وأسماؤهم مذكورة في السفر الرابع مِنْ «التوراة»، وفيه مخالفة لما ذكره ابن إسحاق.

وأخرج ابن أبي حاتم(٣)، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَعَزَّرۡتُمُوهُمۡ﴾ قال: أعنتموهم.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عن مجاهد(٤) في قوله: ﴿وَعَزَّرۡتُمُوهُمۡ﴾ قال: نصرتموهم.

وأخرج ابن جرير(٥) عن ابن عباس في قوله: ﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ﴾ قال: هو ميثاق أخذه الله على أهل التوراة فنقضوه.

وأخرج ابن جرير(٦) عنه في قوله: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾؛ يعني: حدود الله، يقولون: إن أمركم محمد بما أنتم عليه فاقبلوه، وإن خالفكم فاحذروا.

وأخرج ابن أبي حاتم(٧) عنه أيضاً في قوله: ﴿وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ قال: نسوا الكتاب.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عن مجاهد(٨) في قوله: ﴿وَلَا

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٢٤١) بسند ضعيف.
(٢) في «السيرة النبوية» لابن هشام (٣/ ٤٦٦ ـ ٤٦٧).
(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٤٠).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٢٤٣) بسند صحيح.
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٢٤٩) بسند ضعيف.
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٢٥١) بسند صحيح.
(٧) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٤١).
(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٢٥٣) بسند صحيح.

نَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾ قال: هم يهود، مثل الذي هموا به من النبي ﷺ يوم دخل عليهم حائطهم.

وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عن قتادة[١] في قوله: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾ قال: كذب وفجور، وفي قوله: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ﴾ قال: لم يؤمر يومئذ بقتالهم، فأمره الله أن يعفو عنهم ويصفح، ثم نسخ ذلك في براءة فقال: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ الآية [التوبة: ٢٩].

وأخرج أبو عبيد وابن جرير، وابن المنذر عن إبراهيم النخعي[٢] في قوله: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ قال: أغرى بعضهم ببعض بالخصومات والجدال في الدين. [٢/١٥]

[بعثة النبي ﷺ بيّنت ما عليه أهل الكتاب من الحق والباطل]:

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾.

الألف واللام في ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ للجنس، والخطاب لليهود والنصارى[٣] ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا﴾؛ أي: محمد ﷺ حال كونه: ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ المنزل عليكم، وهو التوراة والإنجيل: كآية الرجم، وقصة أصحاب السبت الممسوخين قردة ﴿وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾ مما تخفونه، فيترك بيانه لعدم اشتماله على ما يجب بيانه عليه من الأحكام الشرعية، فإنّ ما لم يكن كذلك لا فائدة تتعلق ببيانه إلا مجرّد افتضاحكم؛ وقيل: المعنى: إنه يعفو عن كثير فيتجاوزه ولا يخبركم به؛ وقيل: يعفو عَنْ كثير منكم فلا يؤاخذهم بما يصدر

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/٢٥٦ ـ ٢٥٧) بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/٢٥٧) بسند صحيح.

(٣) انظر: «جامع البيان» (٨/٢٦٣ ـ ٢٦٤).

منهم، والجملة في محل[1] نصب عطفاً على الجملة الحالية، أعني: قوله: ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾.

قوله: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ﴾ جملة مستأنفة[2] مشتملة على بيان أن محمداً ﷺ قد تضمنت بعثته فوائد غير ما تقدم من مجرد البيان. قال الزجاج: النور: محمد ﷺ، وقيل: الإسلام. والكتاب المبين: القرآن، فإنِّه المبين، والضمير في قوله: ﴿يَهْدِى بِهِ﴾ راجع إلى الكتاب أو إليه وإلى النور لكونهما كالشيء الواحد ﴿مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ﴾؛ أي: ما رضيه الله، و﴿سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾: طرق السلامة من العذاب الموصلة إلى دار السلام المنزَّهة عن كل آفة؛ وقيل: المراد بالسلام: الإسلام ﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ الكفرية ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ الإسلامي، ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ إلى طريق يتوصلون بها إلى الحق، لا عوج فيها ولا مخافة.

وقد أخرج ابن جرير[2]، عن قتادة، في قوله: ﴿رَسُولُنَا﴾ قال: هو محمد ﷺ.

وأخرج ابن جرير[3] أيضاً عن عكرمة قال: إن نبيّ الله ﷺ أتاه اليهود يسألونه عن الرجم فقال: أيكم أعلم؟ فأشاروا إلى ابن صُوريا، فناشده بالذي أنزل التوراة على موسى، والذي رفع الطور، وبالمواثيق التي أُخذت عليهم حتى أخذه أَفْكَلٌ، فقال: إنه لما كثر فينا جلدنا مائة جلدة وحلقنا الرؤوس، فحكم عليهم بالرجم، فنزلت هذه الآية.

وأخرج ابن المنذر[4] عن ابن جريج نحوه.

وأخرج عبد بن حميد عن قتادة[4] في قوله: ﴿وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ يقول: عَنْ كثير من الذنوب.

وأخرج ابن جرير عن السدي[5] قال: ﴿سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ هي: سبيل الله الذي شرعه لعباده ودعاهم إليه وابتعث به رسله: وهو الإسلام.

---

(١) انظر: «روح المعاني» (٧/ ١١٤)، و«البحر المحيط» (٤/ ٢٠٨).
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٢٦٢) بسند صحيح.
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٢٦٢ ـ ٢٦٣)، و«الحاكم في المستدرك» (٤/ ٣٥٩) وصححه ووافقه الذهبي.
(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٤٤).
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٢٦٥) بسند حسن.

[القول بأن الله هو المسيح ابن مريم كفر. وقول اليهود بأنهم أبناء الله وأحباؤه فهو الافتراء الذي لا يستند إلى دليل]:

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾.

ضمير الفصل في قوله: ﴿هُوَ الْمَسِيحُ﴾ يفيد الحصر؛ قيل: وقد قال بذلك بعض طوائف النصارى؛ وقيل: لم يقل به أحد منهم، ولكن استلزم قولهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ﴾ لا غيره، وقد تقدّم في آخر سورة النساء ما يكفي ويغني عن التكرار.

قوله: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ الاستفهام للتوبيخ[1] والتقريع. والملكُ: الضبط والحفظ والقدرة، من قولهم: ملكت على فلان أمره؛ أي: قدرت عليه؛ أي: فمن يقدر أن يمنع ﴿إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ وإذا لم يقدر أحد أن يمنع من ذلك، فلا إله إلا الله، ولا ربّ غيره، ولا معبود بحق[2] سواه، ولو كان المسيح إلهاً كما تزعم النصارى، لكان له من الأمر شيء، ولقدر على أن يدفع عن نفسه أقلّ حال، ولم يقدر على أن يدفع عن أمه الموتَ عند نزوله بها، وتخصيصها بالذكر مع دخولها في عموم من في الأرض، لكون الدفع منه عنها أولى وأحق من غيرها، فهو إذا لم يقدر على الدفع عنها، أعجز عَنْ أن يدفع عن غيرها.

وذكر ﴿وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾ للدلالة على شمول قدرته، وأنّه إذا أراد شيئاً كان لا معارض له في أمره، ولا مشارك له في قضائه: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾؛ أي: ما بين النوعين من المخلوقات.

---

(١) «روح المعاني» (٧/ ١١٧)، و«البحر المحيط» (٤/ ٢١٠).
(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٧/ ٣٨٦ ـ ٣٨٧)، و«مجمع البيان» (٦/ ٥٨).

قوله: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ جملة مستأنفة مسوقة؛ لبيان أنه سبحانه خالق الخلق بحسب مشيئته، وأنه يقدر على كل شيء لا يستصعب عليه شيء.

قوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ أثبتت اليهود لأنفسها ما أثبتته لعزير، حيث قالوا: ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠] وأثبتت النصارى لأنفسها ما أثبتته للمسيح حيث قالوا: ﴿ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠] وقيل: هو على حذف مضاف[١]؛ أي: نحن أتباع أبناء الله.

وهكذا أثبتوا لأنفسهم أنهم أحبّاء الله بمجرد الدعوى الباطلة والأماني العاطلة، فأمر الله سبحانه رسوله ﷺ أن يردّ عليهم، فقال: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾؛ أي: إن كنتم كما تزعمون، فما باله يعذبكم بما تقترفونه من الذنوب بالقتل، والمسخ، وبالنار في يوم القيامة كما تعترفون بذلك، لقولكم: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠] فإن الابن من جنس أبيه لا يصدر منه ما يستحيل على الأب وأنتم تذنبون، والحبيب لا يعذب حبيبه وأنتم تُعذبون، [٢/١٦] فهذا يدلّ على أنكم كاذبون في هذه الدعوى.

وهذا البرهان هو المسمى عند الجدليين ببرهان الخَلْف.

قوله: ﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ عطف[٢] على مقدّر يدلّ عليه الكلام؛ أي: فلستم حينئذ كذلك، ﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾؛ أي: مِنْ جنس مَنْ خلقه الله تعالى يحاسبهم على الخير والشرّ، ويجازي كل عامل بعمله ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ من الموجودات ﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾؛ أي: تصيرون إليه عند انتقالكم من دار الدنيا إلى دار الآخرة.

وقد أخرج ابن إسحاق وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «الدلائل»، عن ابن عباس[٣] قال: أَتى رسول الله ﷺ نعمانُ بن أضاء وبحري بن عمرو وشاس بن عدّي فكلموه وكلمهم رسولُ الله ﷺ ودعاهم إلى الله، وحذرهم نقمته، فقالوا: ما تخوّفنا يا محمد ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ كقول

---

(١) «روح المعاني» (٧/١١٧)، و«التبيان» (١/٤٢٩).

(٢) «البحر المحيط» (٤/٢١٣).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/٢٦٩)، والبيهقي في «الدلائل» (٢/٥٣٣ ـ ٥٣٦)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (٢/٢٠٤) وسنده حسن.

النصارى؛ فأنزل الله فيهم: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ إلى آخر الآية.

وأخرج أحمد[١] في «مسنده» عن أنس قال: «مرّ النبيّ ﷺ في نفر من أصحابه وصبيّ في الطريق، فلما رأت أمه القومَ خشيت على ولدها أن يُوطأ، فأقبلت تسعى وتقول: ابني ابني، فسعت فأخذته، فقال القوم: يا رسولَ الله ما كانت هذه لتلقي ابنها في النار؟ فقال النبي ﷺ: لا، والله لا يلقي حبيبه في النار». وإسناده في المسند هكذا: حدّثنا، ابن أبي عدي، عَنْ حُميد، عن أنس فذكره.

ومعنى الآية يشير إلى معنى هذا الحديث، ولهذا قال بعض مشايخ الصوفية لبعض الفقهاء: أين تجد في القرآن أَنَّ الحبيب لا يعذب حبيبه؟ فلم يردّ عليه، فتلا الصوفيّ هذه الآية.

وأخرج أحمد[٢] في «الزهد» عن الحسن أن النبي ﷺ قال: «لا والله، لا يعذب الله حبيبه، ولكن قد يبتليه في الدنيا».

وأخرج ابن جرير[٣] عن السدّي في قوله: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ يقول: يهدي منكم من يشاء في الدنيا فيغفر له، ويميت من يشاء منكم على كفره فيعذبه.

[لزوم الحجة ببعثة النبي ﷺ]:

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾﴾.

المراد بأهل الكتاب: اليهود والنصارى. والرسول هو: محمد ﷺ، و﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾ حال. والمبيَّن هو: ما شرعه الله لعباده وحذف للعلم به؛ لأن بعثة الرسل إنما هي بذلك.

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ١٠٤)، وأبو يعلى في «مسنده» رقم (٣٧٤٧، ٣٧٤٩). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٨٦): «رواه أحمد والبزار بنحوه، وأبو يعلى، ورجالهم رجال الصحيح».

(٢) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص٥٤).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٢٧٢) بسند حسن.

والفترة: أصلها السكون، يقال: فَتَر الشيء: سكن؛ وقيل: هي الانقطاع. قاله أبو علي الفارسي[١] وغيره؛ ومنه فَتَر الماء: إذا انقطع عما كان عليه من البرد إلى السخونة؛ وفتر الرجل عن عمله: إذا انقطع عما كان عليه من الجدّ فيه، وامرأة فاترة الطّرف؛ أي: منقطعة عن حِدّة النظر[٢].

والمعنى: أنه انقطع الرسل قبل بعثه ﷺ مدّة من الزمان.

واختلف في قدر مدّة تلك الفترة، وسيأتي بيان ذلك.

قولُه: ﴿أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ تعليل لمجيء الرسول بالبيان على حين فترة؛ أي: كراهة أن تقولوا هذا القول معتذرين عن تفريطكم، و«من» في قوله: ﴿مِنۢ بَشِيرٍ﴾ زائدة للمبالغة في نفي المجيء، والفاء في قوله: ﴿فَقَدْ جَآءَكُم﴾ هي الفصيحة[٣] مثل قول الشاعر[٤]:

فقد جئنا خراسانا[٥]

أي: لا تعتذروا فقد جاءكم بشير ونذير، وهو: محمد ﷺ ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾، ومن جملة مقدوراته إرسال رسوله على فترة من الرسل.

وقد أخرج ابن إسحاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «الدلائل»، عَنْ ابن عباس[٦] قال: دعا رسول الله ﷺ يهود إلى الإسلام، فرغبهم فيه وحذرهم فأبوا عليه، فقال لهم معاذ بن جبل، وسعد بن عبادة، وعقبة بن وهب: يا معشر يهود اتقوا الله، فوالله إنكم لتعلمون أنه رسول الله ﷺ، لقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه، وتصفونه لنا بصفته، فقال رافع بن حرملة ووهب بن يهوذا: ما قلنا لكم هذا وما أنزل الله من كتاب من بعد موسى، ولا أرسل بشيراً

---

(١) انظر: «مجمع البيان» (٦/ ٦١)، و«البحر المحيط» (٤/ ٢١٣ ـ ٢١٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٧/ ٣٨٩ ـ ٣٩٠).

(٢) انظر: المصادر المتقدمة.

(٣) «روح المعاني» (٧/ ١٢٩).

(٤) وهو: العباس بن الأحنف. كما في «دلائل الإعجاز» للجرجاني (ص٩٠).

(٥) وتمام البيت:

قالوا: خراسان أقصى ما يراد بنا ... ثم القفول فقد جئنا خراسانا

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٢٧٤)، والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ٥٢٣ ـ ٥٣٦)، و«السيرة النبوية» (٢/ ٢٠٤) بسند حسن.

ولا نذيراً بعده، فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ الآية.

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير، وابن المنذر، عن قتادة[١] في الآية قال: هو: محمد ﷺ جاء بالحق الذي فرّق الله به بين الحق والباطل، فيه بيان وموعظة، ونور وهدى وعصمة لمن أخذ به. قال: وكانت الفترة بين عيسى ومحمد ستمائة سنة، وما شاء الله من ذلك.

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، عنه[٢] قال: كانت خمسمائة سنة وستين سنة.

وقال الكلبي[٣]: خمسمائة سنة وأربعين سنة.

وأخرج ابن المنذر[٤] عن ابن جريج قال: كانت خمسمائة سنة.

وأخرج ابن جرير[٥] عن الضحاك قال: كانت أربعمائة سنة وبضعاً وثلاثين سنة.

وأخرج ابن سعد[٦] في كتاب «الطبقات»، عن ابن عباس قال: كان بين موسى وعيسى ألف سنة وتسعمائة سنة، ولم يكن بينهما فترة، فإنه أرسل بينهما ألف نبيّ من بني إسرائيل، سوى من أرسل من غيرهم، وكان بين ميلاد عيسى، ومحمد ﷺ خمسمائة سنة وتسع وستون سنة، بعث في أوّلها ثلاثة أنبياء، كما قال الله تعالى: ﴿إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ﴾ [يس: ١٤] والذي عزّز به شمعون وكان من الحواريين، وكانت الفترة التي لم يبعث الله فيها رسولاً أربعمائة سنة وأربعاً وثلاثين سنة. وقد قيل غير ما ذكرناه.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٢٧٤) بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٢٧٤ ـ ٢٧٥)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ١٨٦) بسند صحيح.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ١٨٦) عن معمر.

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٤٦).

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٢٧٥) بسند حسن.

(٦) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٥٣ ـ ٥٤) من طريق محمد بن السائب، به.

[نعم الله على بني إسرائيل، وابتلاؤهم ونكوصهم على الأعقاب ونقض الميثاق]:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا [٢/١٧] قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾.

[من مواقف اليهود مع موسى عليه السلام]:

هذه الآيات متضمنة للبيان من الله سبحانه، بأن أسلاف اليهود الموجودين في عصر محمد ﷺ تمرّدوا على موسى، وعصوه، كما تمرّد هؤلاء على نبيِّنا ﷺ وعَصوه، وفي ذلك تسلية له ﷺ.

ورُوي عن عبد الله بن كثير أنه قرأ: ﴿يَاقَوْمُ ٱذْكُرُوا۟﴾ بضم[1] الميم، وكذا قرأ فيما أشبهه، وتقديره: يا أيها القوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء؛ أي: وقت هذا الجَعْل، وإيقاع الذكر على الوقت مع كون المقصود ما وقع فيه من الحوادث للمبالغة؛ لأن الأمر بذكر الوقت أمر بذكر ما وقع فيه بطريق الأولى، وامتنّ عليهم سبحانه بجعل الأنبياء فيهم مع كونه قد جعل أنبياء من غيرهم، لكثرة مَنْ بعثه من الأنبياء منهم قوله: ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾؛ أي: وجعل منكم ملوكاً، وإنما

---

(١) «إعراب القرآن» للنحاس (١٣/٢).
قال أبو حيان في «البحر المحيط» (٢١٦/٤): وقرأ ابن محيصن: يا قومُ بضم الميم، وكذا حيث وقع في القرآن، وروي ذلك عن ابن كثير. وهذا الضم هو على معنى الإضافة، كقراءة من قرأ: «قل ربُّ احكم بالحق» بالضم. وهي إحدى اللغات الخمس الجائزة في المنادى لياء المتكلم. وهي رواية شاذة عن ابن كثير، وكذا فيما أشبهها. انظر: تخريج القراءات في «فتح القدير» (ص١١٣).

حذف[1] حرف الجرّ لظهور أن معنى الكلام على تقديره، ويمكن أَنْ يُقال: إن منصب النبوّة لما كان لعظم قدره، وجلالة خطره بحيث لا ينسب إلى غير من هو له قال فيه: ﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ﴾ ولما كان منصب الملك مما يجوز نسبته إلى غير من قام به، كما تقول قرابة الملك: نحن الملوك، قال فيه: ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ وقيل: المراد بالملك: أنهم ملكوا أمرهم بعد أن كانوا مملوكين لفرعون، فهم جميعاً ملوك بهذا المعنى. وقيل: معناه: أنه جعلهم ذوي منازل لا يدخل عليهم غيرهم إلا بإذن؛ وقيل غير ذلك.

والظاهر أن المراد مِنْ الآية الملك الحقيقي، ولو كان بمعنى آخر لما كان للامتنان به كثير معنى. فإن قلت: قد جعل غيرهم ملوكاً كما جعلهم. قلت: قد كثر الملوك فيهم كما كثر الأنبياء، فهذا وجه الامتنان.

قوله: ﴿وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ أي: من المنّ والسلوى، والحجر والغمام، وكثرة الأنبياء، وكثرة الملوك، وغير ذلك. والمراد: من عالَمِي زمانهم.

وقيل: إن الخطاب هاهنا لأمة محمد ﷺ، وهو عدول عن الظاهر لغير موجب.

والصواب: ما ذهب إليه جمهور[2] المفسرين، من أنه من كلام موسى لقومه، وخاطبهم بهذا الخطاب توطئة وتمهيداً لما بعده من أمره لهم بدخول الأرض المقدّسة.

وقد اختُلف في تعيينها؛ فقال قتادة[3]: هي الشام.

وقال مجاهد: الطور وما حوله.

وقال ابن عباس والسدّي وغيرهما: أريحاء.

وقال الزجاج[4]: دمشق وفلسطين وبعض الأردن.

وقول قتادة يجمع هذه الأقوال المذكورة بعده.

---

(١) «البحر المحيط» (٤/٢١٦)، و«روح المعاني» (٧/١٣١).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٧/٣٩٣ ـ ٣٩٤)، و«جامع البيان» (٨/٢٧٦ ـ ٢٧٧).

(٣) سيأتي تخريج هذه الأقوال.

(٤) في «معاني القرآن» (٢/١٦٢).

والمقدَّسة: المُطهّرة، وقيل: المباركة ﴿ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾؛ أي: قسمها وقدّرها لهم في سابق علمه، وجعلها مسكناً لكم ﴿وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ﴾؛ أي: لا ترجعوا عن أمري وتتركوا طاعتي، وما أوجبته عليكم مِنْ قتال الجبّارين، جبناً وفشلاً ﴿فَتَنقَلِبُواْ﴾ بسبب ذلك ﴿خَٰسِرِينَ﴾ لخير الدنيا والآخرة ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمًا جَبَّارِينَ﴾ قال الزجّاج[1]: الجبار من الآدميين: العاتي، وهو الذي يجبر الناس على ما يريد، وأصله على هذا من الإجبار وهو الإكراه، فإنه يُجْبر غيره على ما يريده، يقال: أجبره: إذا أكرهه.

وقيل: هو مأخوذ من جَبْر العظم، فأصل الجبّار على هذا المصلح لأمر نفسه، ثم استعمل في كل من جرّ إلى نفسه نفعاً بحق أو باطل، وقيل: إن جبر العظم راجع إلى معنى الإكراه.

قال الفراء[2]: لم أسمع فعالاً من أفعل إلا في حرفين، جبّار من أجبر، ودرّاك من أدرك.

والمراد هنا: أَنَّهم قومٌ عِظامُ الأجسام، طوال متعاظمون؛ قيل: هم قوم من بقية قوم عاد؛ وقيل: هم مِنْ ولد عِيص بن إسحاق؛ وقيل: هم من الروم: ويقال: إن منهم عُوج بن عنق المشهور بالطول المفرط، وعنق هي بنت آدم، قيل: كان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلثمائة وثلاثة وثلاثين ذراعاً وثلث ذراع.

قال ابن كثير[3]: وهذا شيء يُستحيا من ذكره، ثم هو مخالف لما ثبت في «الصحيحين»[4]: أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعاً ثم لم يزل الخلق ينقص».

ثم قد ذكروا[5] أن هذا الرجل كان كافراً، وأنه كان ولد زنية، وأنه امتنع من ركوب السفينة وأن الطوفان لم يصل إلى ركبته، وهذا كذب وافتراء، فإن الله ذكر أن نوحاً دعا على أهل الأرض من الكافرين فقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦].

---

(١) في «معاني القرآن» (٢/ ١٦٣).
(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٧/ ٣٩٨).
(٣) في «تفسيره» (٥/ ١٥١).
(٤) أخرجه البخاري في (٢٣٢٦، ٦٢٢٧)، ومسلم رقم (٢٨٤١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٥) قاله ابن كثير في «تفسيره» (٥/ ١٥١ ـ ١٥٢).

وقال تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ﴾ [الشعراء: ١١٩، ١٢٠] وقال تعالى: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ [هود: ٤٣]. وإذا كان ابن نوح الكافر غرق فكيف يبقي عوج بن عنق وهو كافر ولد زنية؟ هذا لا يسوغ في عقل ولا شرع، ثم في وجود رجل يقال له: عوج بن عنق نظر والله أعلم، انتهى كلامه[(١)].

قلتُ: لم يأت في أمر هذا الرجل ما يقتضي تطويل الكلام في شأنه، وما هذا بأوّل كذبة اشتهرت في الناس، ولسنا بملزومين بدفع الأكاذيب التي وضعها القصّاص، ونفقت عند مَنْ لا يميز بين الصحيح والسقيم، فكم في بطون دفاتر التفاسير من أكاذيب وبلايا، وأقاصيص كلُّها حديثُ خرافة، وما أحق من لا تمييز عنده لفنّ الرواية ولا معرفة به أن يدع التعرّض لتفسير كتاب الله، ويضع هذه الحماقات والأضحوكات في المواضع المناسبة لها، من كتب القصّاص.

قوله: ﴿فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾ هذا تصريح بما هو مفهوم من الجملة التي قبل هذه الجملة، لبيان أن امتناعهم من الدخول ليس إلا لهذا السبب.

قوله: ﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾ هما: يوشع وكالب[(٢)] بن يوفنا أو ابن فانيا، وكانا من الاثني عشر نقيباً كما مرّ بيان ذلك.

وقوله: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ﴾؛ أي: يخافون من الله ﷻ؛ وقيل: من الجبارين أي: هذان الرجلان من جملة القوم [٢/١٨] الذين يخافون من الجبارين؛ وقيل من: الذين يخافون ضَعْف بني إسرائيل وجبنهم.

وقيل: إن الواو في ﴿يَخَافُونَ﴾ لبني إسرائيل؛ أي: من الذين يخافهم بنو إسرائيل.

وقرأ مجاهد وسعيد بن جبير: «يُخافُون» بضم[(٣)] الياء؛ أي: يخافهم غيرُهم.

قوله: ﴿أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ في محل رفع[(٤)] على أنه صفة ثانية لرجلان،

---

(١) أي: ابن كثير في «تفسيره» (٥/١٥١ ـ ١٥٢).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٧/٣٩٩)، و«جامع البيان» (٨/٢٩٣).

(٣) «المحتسب» (١/٢٠٨)، و«القراءات الشاذة» (ص٣١)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/١٤)، و«حاشية الشهاب» (٣/٢٣١). وهي قراءة شاذة.

(٤) «البحر المحيط» (٤/٢١٩)، و«روح المعاني» (٧/١٣٦).

بالإيمان، واليقين بحصول ما وعدوا به من النصر والظفر: ﴿ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ﴾؛ أي: باب بلد الجبّارين، ﴿فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ﴾ قالا هذه المقالة لبني إسرائيل.

والظاهر: أنهما قد علما بذلك من خبر موسى، أو قالاه ثقةً بوعد الله، أو كانا قد عرفا أن الجبارين قد ملئت قلوبهم خوفاً ورعباً.

﴿قَالُواْ﴾؛ أي: بنو إسرائيل لموسى: ﴿إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا﴾ وكان هذا القول منهم فشلاً وجبناً، أو عناداً[(١)] وجرأةً على الله وعلى رسوله ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ﴾ قالوا هذا جهلاً بالله ﷻ وبصفاته، وكفراً بما يجب له، أو استهانةً بالله ورسوله؛ وقيل: أرادوا بالذهاب الإرادة والقصد؛ وقيل: أرادوا بالربّ[(٢)] هارون، وكان أكبر مِنْ موسى، وكان موسى يطيعه: ﴿إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾؛ أي: لا نبرح ها هنا لا نتقدّم معك ولا نتأخر عن هذا الموضع.

وقيل: أرادوا بذلك عدم التقدم لا عدم التأخر ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ﴾ يحتمل أن يعطف وأخي على نفسي، وأن يعطف على الضمير في ﴿إِنِّي﴾؛ أي: إني لا أملك إلا نفسي وإنّ أخي لا[(٣)] يملك إلا نفسه، قال هذا تحسّراً[(٤)] وتحزّناً واستجلاباً للنصر من الله ﷻ ﴿فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾؛ أي: افصل بيننا؛ يعني: نفسه وأخاه، وبين القوم الفاسقين، ومَيْزنا عَنْ جملتهم، ولا تلحقنا بهم في العقوبة.

وقيل: المعنى: فاقض بيننا وبينهم؛ وقيل: إنما أراد في الآخرة، وقرأ عبيد بن عمير: «فَافْرِقْ» بكسر[(٥)] الراء ﴿قَالَ فَإِنَّهَا﴾؛ أي: الأرض المقدّسة ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ﴾؛ أي: على هؤلاء العصاة بسبب امتناعهم من قتال الجبارين ﴿أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ﴾ ظرف[(٦)]

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٧/ ٣٩٩)، و«جامع البيان» (٨/ ٣٠٢ ـ ٣٠٣).

(٢) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ١٦٠)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٧١).

(٣) «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٧/ ٤٠٠).

(٤) «روح المعاني» (٧/ ١٣٨)، و«البحر المحيط» (٤/ ٢٢١).

(٥) «القراءات الشاذة» (ص٣١ ـ ٣٢)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٧/ ٤٠١). وهي قراءة شاذة.

(٦) «البحر المحيط» (٤/ ٢٢٣)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٥)، و«روح المعاني» (٧/ ١٣٩ ـ ١٤٠)، و«التبيان» (١/ ٤٣٠).

للتحريم؛ أي: أنه محرّم عليهم دخولها هذه المدّة لا زيادة عليها، فلا يخالف هذا التحريم ما تقدّم من قوله: ﴿ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ فإنها مكتوبة لمن بقي منهم بعد هذه المدّة؛ وقيل: إنه لم يدخلها أحد ممن قال: ﴿إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا﴾ فيكون توقيت التحريم بهذه المدّة باعتبار ذراريهم.

وقيل: إن ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ ظرف[1] لقوله: ﴿يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: يتيهون هذا المقدار فيكون التحريم مطلقاً. والموقّت: هو التيه، وهو في اللغة: الحيرة، يقال منه: تَاه يتيه تَيْهاً أو تَوْهاً: إذا تحيّر؛ فالمعنى: يتحيرون في الأرض؛ قيل: إن هذه الأرض التي تاهوا فيها كانت[2] صغيرة نحو ستة فراسخ، كانوا يمسون حيث أصبحوا ويصبحون حيث أمسوا، وكانوا سيارة مستمرين على ذلك لا قرار لهم.

واختلف أهل العلم هل كان معهم موسى وهارون أم لا؟

فقيل: لم يكونا معهم؛ لأن التيه[3] عقوبةٌ؛ وقيل: كانا معهم لكن سهّل الله عليهما ذلك، كما جَعل النارَ برداً وسلاماً على إبراهيم.

وقد قيل: كيف يقع هذا لجماعة من العقلاء في مثل هذه الأرض اليسيرة، في هذه المدّة الطويلة؟

قال أبو علي[4]: يكون ذلك بأن يحوّل الله الأرض التي هم عليها إذا ناموا إلى المكان الذي ابتدؤوا منه، وقد يكون بغير ذلك من الأسباب المانعة من الخروج عنها على طريق المعجزة الخارقة للعادة.

وقد أخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، عن قتادة[5] في قوله: ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ قال: ملَّكهم الخدم، وكانوا أوّل من ملك الخدم.

---

(١) سبق تخريجه في الصفحة السابقة.

(٢) انظر: «الوسيط» للواحدي (٢/ ١٧٥)، و«مجمع البيان» (٦/ ٧١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٧/ ٤٠٢).

(٣) انظر: المصادر المتقدمة.

(٤) ذكره الطبرسي في «مجمع البيان» (٦/ ٧٠).

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٢٨٠ ـ ٢٨١)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ١٨٦) بسند صحيح.

وأخرج ابن جرير[(١)] عن ابن عباس في الآية قال: كان الرجل من بني إسرائيل، إذا كانت له الزوجة والخادم والدار سُمّي ملكاً.

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير عنه[(٢)] في الآية قال: «الزوجة والخادم والبيت».

وأخرج الفريابي، وابن جرير، وابن المنذر، والحاكم وصححه، والبيهقي في «شُعب الإيمان»، عنه[(٣)] أيضاً في قوله: ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ قال: المرأة والخادم ﴿وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال: الذين هم بين ظهرانيهم يومئذ.

وأخرج ابن أبي حاتم[(٤)] عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال: «كانت بنو إسرائيل إذا كان لأحدهم خادم ودابة وامرأة كُتب ملكاً».

وأخرج ابن جرير[(٥)]، والزبير بن بكار في «الموفَّقيّات»، عن زيد بن أسلم قال: قال رسول الله: «مَنْ كان له بيتٌ وخادم فهو مَلِكٌ».

وأخرج أبو داود[(٦)] في «مراسيله»، عن زيد بن أسلم في الآية قال: قال رسول الله: «زوجة ومسكن وخادم».

وأخرج سعيد بن منصور، وابن جرير، عن عبد الله بن عمرو بن العاص[(٧)]، أنه سأله رجل: ألسنا من فقراء المهاجرين؟ قال: ألك امرأة تأوي إليها؟ قال: نعم،

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٢٨٠) بسند ضعيف.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٢٨٠)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ١٨٧) بسند ضعيف، فيه الحكم وهو ابن عتيبة: مدلس. ولكنه توبع، فقد أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣١١) من حديث الثوري، عن الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عباس.
- وقد صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٢٨١، ٢٨٢) وقد تقدم. انظر: التعليقة المتقدمة.

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٤٦).
وأخرجه ابن كثير في «تفسيره» (٥/ ١٤٥) وقال: «وهذا حديث غريب من هذا الوجه».

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٢٧٩) مرسلاً بسند صحيح.
قال ابن كثير في «تفسيره» (٥/ ١٤٦) وهذا مرسل غريب.

(٦) أخرجه أبو داود في «المراسيل» (ص١٤) بسند صحيح. ولكنه مرسل.

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٢٧٨)، وسعيد بن منصور في «سننه» رقم (٧٢٦ ـ تفسير)، ومسلم في «صحيحه» رقم (٢٩٧٩).

قال: ألك مسكن تسكنه؟ قال: نعم، قال: فأنت من الأغنياء، قال: إن لي خادماً، قال: فأنت من الملوك.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، عن مجاهد(١) في قوله: ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ قال: جعل لهم أزواجاً وخدماً وبيوتاً ﴿وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال: المنّ والسلوى، والحَجَر والغمام.

وأخرج ابن جرير(٢) من طريق مجاهد عن ابن عباس في الآية قال: المنّ والسلوى والحَجَر والغمام.

وقد ثبت في الحديث الصحيح(٣): «مَنْ أصبح منكم معافى في جسده آمناً في سربه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها».

وأخرج ابن جرير(٤) عنه في قوله: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾ قال: الطور وما حوله.

وأخرج(٥) عنه أيضاً قال: هي أريحاء.

وأخرج ابن عساكر(٦) عن معاذ بن جبل قال: هي ما بين العريش إلى الفرات.

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد عن قتادة(٧) قال: هي الشام.

وأخرج ابن جرير(٨) عن السدّي في قوله: ﴿ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [٢/١٩] قال: التي أمركم الله بها.

وأخرج عبد بن حميد(٩) عن قتادة في الآية قال: أُمر القوم بها كما أُمرنا بالصلاة والزكاة والحجّ والعمرة.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٢٨٠، ٢٨٢) بسند صحيح.
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٢٨٣) بسند صحيح.
(٣) أخرجه البخاري في «الأدب» رقم (٣٠٠)، والترمذي في «السنن» رقم (٢٣٤٦)، وابن ماجه رقم (٤١٤١)، والحميدي في «مسنده» رقم (٤٣٩) من حديث عبيد الله بن محصن. وهو حديث حسن إن شاء الله.
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٢٨٤ ـ ٢٨٥) بسند صحيح.
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٢٨٥) بسند ضعيف.
(٦) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ مدينة دمشق» (١/ ١٤٩، ١٥٠).
(٧) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ١٨٦)، وابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٢٨٥) بسند صحيح.
(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٢٨٧) بسند حسن.
(٩) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٤٨).

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس[١]: أُمِر موسى أن يدخل مدينة الجبّارين، فسار بمَن معه حتى نزل قريباً من المدينة وهي أريحاء، فبعث إليهم اثني عشر عَيناً، من كل سِبْط منهم عَين، ليأتوه بخبر القوم، فدخلوا المدينة فرأوا أمراً عظيماً من هيئتهم وجسمهم وعِظَمهم، فدخلوا حائطاً لبعضهم، فجاء صاحب الحائط؛ ليجتني الثمار من حائطه، فجعل يجتني الثمار فنظر إلى آثارهم فتتبّعهم، فكلما أصاب واحداً منهم أخذه فجعله في كُمِّه مع الفاكهة، حتى التقط الاثني عشر كلَّهم فجعلهم في كُمِّه مع الفاكهة، وذهب إلى مَلِكِهم فنثرهم بين يديه فقال الملك: قد رأيتم شأننا وأمرنا اذهبوا فأخبروا صاحبكم، قال: فرجعوا إلى موسى فأخبروه بما عاينوا من أمرهم، فقال: اكتموا عنّا، فجعل الرجل يخبر أباه وصديقه ويقول: اكتم عني، فأشيع ذلك في عسكرهم، ولم يكتم منهم إلّا رجلان يوشع بن نون وكالب بن يوفنا، وهما اللذان أنزل الله فيهما: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ﴾، وقد روي نحو هذا مما يتضمن المبالغة في وصف هؤلاء وعظم أجسامهم، ولا فائدة في بسط ذلك فغالبه من أكاذيب القصّاص، كما قدّمنا.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس[٢] في قوله: ﴿فَٱفْرُقْ﴾ يقول: اقضِ.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عنه[٣] يقول: افصل بيننا وبينهم.

وأخرج ابن جرير[٤]، عَنْ قتادة في قوله: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ قال: أبداً، وفي قوله: ﴿يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ قال: أربعين سنة.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس[٥] قال: تاهوا أربعين سنة، فهلك موسى وهارون في التيه، وكل من جاوز الأربعين سنة، فلما مضت الأربعون سنة ناهضهم يوشع بن نون، وهو الذي قام بالأمر بعد موسى، وهو الذي افتتحها،

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٢٩٠ ـ ٢٩١) بسند ضعيف.
قال ابن كثير في «تفسيره» (٥/ ١٥٠) وفي هذا الإسناد نظر.
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٣٠٥ ـ ٣٠٦) بسند ضعيف.
(٣) أخرجه ابن جرير في «الجامع البيان» (٨/ ٣٠٦) بسند صحيح.
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٣٠٨ ـ ٣٠٩) بسند صحيح.
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٣٠٩ ـ ٣١٠) بسند ضعيف.

وهو الذي قيل له: اليوم يوم جمعة، فهموا بافتتاحها فدنت الشمس للغروب، فخشى إن دخلت ليلة السبت أن يَسبِتوا، فنادى الشمس إنِّي مأمور وأنت مأمورة فوقفت حتى افتتحها، فوجد فيها من الأموال ما لم يُر مثله قط، فقرّبوه إلى النار فلم تأت، فقال فيكم الغلول. فدعا رؤوس الأسباط وهم اثنا عشر رجلاً، فبايعهم والتصقت يد رجل منهم بيده، فقال: الغلول عندك فأخرجه.

فأخرج رأس بقرة مِنْ ذهب لها عينان من ياقوت وأسنان من لؤلؤ، فوضعه مع القربان فأتت النار فأكلتها.

وأخرج ابن جرير(١)، عن ابن عباس قال: خلق لهم في التيه ثياب لا تَخْلَقُ ولا تَدْرَنُ.

[قصة، ابنيِّ آدم، وأول حادثة قتل]:

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾﴾.

وجه اتصال هذا بما قبله: التنبيه مِنْ الله على أن ظلمَ اليهود ونقضَهم المواثيق والعهود هو كظلم ابن آدم لأخيه؛ فالداء قديم، والشرّ أصيل.

وقد اختلف أهل العلم في ابني آدم المذكورين، هل هما لصُلْبه أم لا؟ فذهب الجمهور(٢) إلى الأوّل.

وذهب الحسن والضحاك إلى الثاني، وقالا: إنهما كانا من بني إسرائيل،

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١/ ٧١٠).

(٢) «جامع البيان» (٨/ ٣١٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٧/ ٤٠٨ ـ ٤٠٩)، و«مجمع البيان» (٦/ ٧٣).

فضرب بهما المثل في إبانة حسد اليهود، وكانت بينهما خصومة، فتقرّبا بقربانين ولم تكن القرابين إلّا في بني إسرائيل.

قال ابن عطية(١): وهذا وهم كيف يجهل صورة الدفن أحد من بني إسرائيل حتى يَقْتدي بالغراب؟

قال الجمهور من الصحابة فمن بعدهم: واسمهما قابيل وهابيل، وكان قربان قابيل حُزْمةً من سُنبل؛ لأنه كان صاحب زرع واختارها من أردأ زرعه، حتى إنه وجد فيها سنبلة طيبة ففركها وأكلها، وكان قربان هابيل كبشاً؛ لأنه كان صاحب غنم أخذه مِنْ أجود غنمه، فتقبل قربان هابيل، فرفع إلى الجنة فلم يزل يرعى فيها إلى أن فدى به الذبيح عليه السلام، كذا قال جماعة مِنْ السلف، ولم يتقبل قربان قابيل، فحسده وقال: لأقتلنّك.

وقيل: سبب(٢) هذا القربان أن حوّاء كانت تلد في كل بطن ذكراً وأنثى، إلا شِيثاً عليه السلام فإنّها ولدته منفرداً، وكان آدم عليه السلام يزّوج الذكر من هذا البطن بالأنثى من البطن الآخر. ولا تحلّ له أخته التي ولدت معه، فولدت مع قابيل أخت جميله واسمها: إقليما، ومع هابيل أخت ليست كذلك، واسمها: ليوذا فلما أراد آدم تزويجهما قال قابيل: أنا أحق بأختي، فأمره آدم فلم يأتمر وزجره، فلم ينزجر، فاتفقوا على القربان، وأنه يتزوجها مَنْ تُقبّل قربانه.

قوله: ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ متعلق بمحذوف وقع صفة لمصدر، ﴿وَٱتۡلُ﴾؛ أي: تلاوة متلبسة بالحق، أو صفة لنبأ؛ أي: نبأ متلبساً بالحق، والمراد بأحدهما هابيل وبالآخر قابيل، و﴿قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ﴾ استئناف(٣) بياني، كأنه قيل: فماذا قال الذي لم يتقبل قربانه؟

وقوله: ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ استئناف كالأوّل كأنه قيل: فماذا قال الذي تقبل قربانه؟ وإنما للحصر؛ أي: إنما يتقبل الله القربان من المتقين لا من غيرهم، وكأنه يقول لأخيه: [٢/٢٠] إنما أتيت من قِبل نفسك لا مِنْ قِبلي، فإن عدم تقبل قربانك بسبب عدم تقواك.

---

(١) في «المحرر الوجيز» (٥/ ٧٧).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٧/ ٤٠٩).

(٣) «روح المعاني» (٧/ ١٤٤ ـ ١٤٥).

قوله: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي﴾؛ أي: لئن قصدتَ قتلي، واللّام هي الموطّئة، و﴿مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ﴾ جواب القسم: سادّ مسدّ جواب الشرط، وهذا استسلام للقتل مِنْ هابيل، كما ورد في الحديث[(١)]: «إذا كانت الفتنة فكن كخير ابني آدم، وتلا النبي ﷺ هذه الآية» قال مجاهد[(٢)]: كان الفرض عليهم حينئذ أن لا يسل أحد سيفاً وأن لا يمتنع ممن يريد قتله.

قال القرطبي[(٣)]: قال علماؤنا: وذلك مما يجوز ورود التعبدُ به، إلا أن في شرعنا يجوز دفعه إجماعاً، وفي وجوب ذلك عليه خلاف.

والأصح[(٤)]: وجوب ذلك لما فيه من النهي عن المنكر، وفي الحشوية قوم لا يجوّزون للمَصول عليه الدفع، واحتجوا بحديث أبي ذرّ، وحمله العلماء على ترك القتال في الفتنة، وكفّ اليد عند الشبهة، على ما بيناه في كتاب التذكرة، انتهى كلام القرطبي.

وحديث أبي ذرّ[(٥)] المشار إليه هو عند مسلم، وأهل السنن إلا النسائي، وفيه: «أن النبي ﷺ قال له: يا أبا ذرّ أرأيتَ إن قَتل الناس بعضهم بعضاً كيف تصنع؟ قلتُ: الله ورسوله أعلم، قال: اقعد في بيتك وأغلق عليك بابك. قال: فإن لم أترك، قال: فأتِ مَنْ أنت منهم فكن فيهم، قال: فآخذ سلاحي؟ قال: إذن تشاركهم فيما هم فيه، ولكن إنْ خشيتَ أن يردَعَك شُعاعُ السيف؛ فالق طرفَ ردائك على وجهك كي يبوء بإثمه وإثمك».

وفي معناه أحاديث عن جماعة من الصحابة سعد بن أبي وقاص وأبي هريرة وخباب بن الأرتّ وأبي بكر وابن مسعود وأبي واقد، وأبي موسى.

قوله: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ﴾ هذا تعليل

---

(١) أخرجه أبو داود رقم (٤٢٥٧)، والترمذي رقم (٢١٩٤)، وأحمد في «مسنده» رقم (١٦٠٩) من حديث سعد بن أبي وقاص. وهو حديث صحيح.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٣٢٩) بسند ضعيف.

(٣) في «تفسيره» (٧/ ٤١٣).

(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٧/ ٤١٣).

(٥) أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (١٣/ ٢٨٨٧) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.
وأخرجه ابن ماجه رقم (٣٩٥٨)، والبيهقي (٨/ ٢٦٩)، والحاكم (٢/ ١٥٦، ١٥٧)، وصححه ووافقه الذهبي كلهم من حديث أبي ذر رضي الله عنه. وهو حديث صحيح.

لامتناعه من المقاتلة، بعد التعليل الأوّل وهو: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

اختلف المفسرون[١] في المعنى فقيل: أراد هابيل: إني أريد أن تبوء بالإثم الذي كان يلحقني لو كنتُ حريصاً على قتلك، وبإثمك الذي تحمّلته بسبب قتلي؛ وقيل: المراد بإثمي الذي يختص بي بسببٍ سيأتي، فيطرح عليك بسبب ظلمك لي وتبوء بإثمك في قتلي.

وهذا يوافق معناه معنى ما ثبت في «صحيح مسلم»[٢] من قوله ﷺ: «يؤتى يوم القيامة بالظالم والمظلوم، فيؤخذ من حسنات الظالم فتزاد في حسنات المظلوم حتى ينتصف، فإن لم يكن له حسنات أُخذ من سيئات المظلوم فتطرح عليه».

ومثله قوله تعالى: ﴿وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ﴾ [العنكبوت: ١٣] وقيل: المعنى: إني أريد أن لا تبوء بإثمي وإثمك كما في قوله تعالى: ﴿وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ﴾ [النحل: ١٥] أي: أن لا تميد بكم. وقوله: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ﴾ [النساء: ١٧٦]؛ أي: لا تضلوا.

وقال أكثر[٣] العلماء: إن المعنى: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي﴾؛ أي: بإثم قتلك لي: ﴿وَإِثۡمِكَ﴾ الذي قد صار عليك بذنوبك من قبل قتلي.

قال الثعلبي[٤]: هذا قول عامة المفسرين وقيل: هو على وجه الإنكار؛ أي: «أو إني أريد»؟! على وجه الإنكار؛ كقوله تعالى: ﴿وَتِلۡكَ نِعۡمَةٞ﴾ [الشعراء: ٢٢]؛ أي: أَوَ تلك نعمة؟! قاله القشيري[٥]، ووجهه بأن إرادة القتل معصية. وسئل أبو الحسن بن كيسان: كيف يُريد المؤمن أن يأثم أخوه وأن يدخل النار؟ فقال: وقعت الإرادة بعد ما بسط يده إليه بالقتل. وهذا بَعيد جدّاً، وكذلك الذي قبله. وأصل باء[٦] رجع إلى المباءة، وهي المنزل: ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٢]؛ أي: رجعوا.

قوله: ﴿فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ﴾؛ أي: سهَّلت نفسُه عليه الأمر وشجعته

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٧/ ٤١٣ ـ ٤١٤)، و«جامع البيان» (٨/ ٣٣٠ ـ ٣٣٦).
(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (٢٥٨١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) «جامع البيان» (٨/ ٣٣٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٧/ ٤١٤)، و«زاد المسير» (٢/ ٣٣٦).
(٤) انظر: «الكشف والبيان» المعروف بتفسير الثعلبي (٤/ ٤٨ ـ ٤٩).
(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٧/ ٤١٩).
(٦) «روح المعاني» (٧/ ١٤٧)، و«البحر المحيط» (٤/ ٢٣١).

وصوّرتْ له أَنَّ قتل أخيه طوع يده سهلٌ عليه، يقال: تطوّع[١] الشيء؛ أي: سَهُل وانقاد وطوّعه فلان له؛ أي: سهّله.

قال الهروي[٢]: طوّعت وطاوعت واحد، يقال: طاع له كذا: إذا أتاه طوعاً، وفي ذكر تطويع نفسه له بعد ما تقدّم من قول قابيل: ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ وقول هابيل: ﴿لِتَقْتُلَنِي﴾ دليل على أن التطويع لم يكن قد حصل له عند تلك المقاولة.

قوله: ﴿فَقَتَلَهُ﴾. قال ابن جريج[٣] ومجاهد[٤] وغيرهما: روي أنه جهل كيف يقتل أخاه فجاءه إبليس بطائر أو حيوان غيره، فجعل يشدخ رأسه بين حجرين ليقتدي به قابيل ففعل؛ وقيل غير ذلك مما يحتاج إلى تصحيح الرواية.

قوله: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ قيل: إنه لما قتل أخاه لم يدر كيف يواريه؛ لكونه أوّل ميت مات من بني آدم، فبعث الله غرابين أخوين فاقتتلا فقتل أحدهما صاحبه، فحفر له ثم حثا عليه، فلما رآه قابيل ﴿قَالَ يَاوَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي﴾ فواراه، والضمير[٥] المستكن في ﴿لِيُرِيَهُ﴾: للغراب؛ وقيل: لله سبحانه.

و﴿كَيْفَ﴾ في محل نصب على الحال من ضمير: ﴿يُوَارِي﴾ والجملة ثاني مفعولي يريه.

والمراد بالسوءة هنا: ذاته كلها لكونها ميتة، و﴿قَالَ﴾ استئناف جواب سؤال مقدّر من سوق الكلام، كأنه قيل: فماذا قال عند أن شاهد الغراب يفعل ذلك؟ و﴿يَاوَيْلَتَى﴾ كلمة تحسّر وتحزن، والألف بدل من ياء المتكلم كأنه دعا ويلته بأن تحضر في ذلك الوقت، والويلة: الهلكة.

والكلام خارج مخرج[٦] التعجب منه من عدم اهتدائه لمواراة أخيه، كما

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» (٣/ ١٠٥). (٢) في «الغريبين» (٤/ ١١٨٤ ـ ١١٨٥).
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٣٣٨) عن ابن جريج وهي من الإسرائيليات.
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٣٣٨) بسند ضعيف.
(٥) «التبيان» (١/ ٤٣٣)، و«روح المعاني» (٧/ ١٥٤).
(٦) وقيل: هي كلمة جزع وتحسُّر، والويلة كالويل: الهلكةُ، كأنَّ المتحسِّر ينادي هلاكَه وموته، ويطلب حضوره بعد تنزيله منزلة من ينادَى.
«مجمع البيان» (٦/ ٧٧)، و«روح المعاني» (٧/ ١٥٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٧/ ٤٢٢).

اهتدى الغراب إلى ذلك ﴿فَأُوَارِيَ﴾ بالنصب على أنه جواب الاستفهام، وقرئ بالسكون على تقدير فأنا أواري ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّـٰدِمِينَ﴾ على قتله؛ وقيل: لم يكن ندمه ندم توبة [٢/٢١] بل ندم لفقده، لا على قتله؛ وقيل غير ذلك.

وقد أخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن عساكر، عن ابن عباس[١] قال: «نهي أن تنكح المرأة أخاها توأمها، وأن ينكحها غيره من إخوتها، وكان يولد له في كل بطن رجل وامرأة، فبينما هم كذلك ولد له امرأة وضيئة، وولد له أخرى قبيحة دميمة، فقال أخو الدميمة: أنكحني أختك وأنكحك أختي، فقال: لا، أنا أحق بأختي، فقرّبا قرباناً، فجاء صاحب الغنم بكبش أعين أقرن أبيض، وصاحب الحرث بصبرة من طعام فتقبل من صاحب الكبش، ولم يتقبل من صاحب الزرع».

قال ابن كثير[٢] في «تفسيره»: إسناده جيد، وكذا قال السيوطي في «الدر المنثور»[٣].

وأخرج ابن جرير[٤] عنه قال: كان من شأن بني آدم أنه لم يكن مسكين يتصدق عليه، وإنما كان القربان يقرّبه الرجل، فبينما ابنا آدم قاعدان إذ قالا: لو قربنا ثم ذكرا ما قرباه.

وأخرج ابن جرير[٥] عن مجاهد في قوله: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ﴾ قال: كُتِبَ عليهم إذا أراد الرجل أن يقتل رجلاً تركه ولا يمتنع منه.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٣٢٠)، وابن عساكر في «تاريخ مدينة دمشق» (٦٤/ ٤)، وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (٥/ ١٦٢) بسند ضعيف.

(٢) في «تفسيره» (٥/ ١٦٢).

• وقال ابن كثير في «تفسيره» (٥/ ١٦٥): بعد ذكر أثر ابن عباس ـ والآتي ـ «فهذا الأثر يقتضي أنَّ تقريب القربان كان لا عن سبب، ولا عن تدارئ في امرأة، كما تقدم عن جماعة ممن تقدم ذكرهم، وهو ظاهر القرآن ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْـَٔاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ فالسياق يقتضي أنه إنما غضب عليه وحسده لقبول قربانه دونه».

(٣) في «الدر المنثور» (٥/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩).

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٣٠٩) من طريق العوفي بسند ضعيف.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٣٢٩) بسند ضعيف.

وأخرج ابن المنذر[(١)] عن ابن جريج نحوه.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، عن مجاهد[(٢)] في قوله: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ﴾ يقول: إني أريد أَنْ تكون عليك خطيئتُك، ودمي، فتبوء بهما جميعاً.

وأخرج ابن جرير[(٣)] عنه ﴿بِإِثۡمِي﴾: قال: بقتلك إياي، ﴿وَإِثۡمِكَ﴾، قال: بما كان منك قبل ذلك.

وأخرج عن قتادة[(٤)] والضحاك[(٥)] مثله.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، عن مجاهد[(٦)] في قوله: ﴿فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ﴾ قال: شجعته على قتل أخيه.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، عن قتادة[(٧)] في الآية قال: زَيّنت له نفسه.

وأخرج ابنُ جرير[(٨)]، عن ابن مسعود وناس من الصحابة في قوله: ﴿فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ﴾ فطلبه ليقتله، فراغ الغلام منه في رؤوس الجبال، فأتاه يوماً من الأيام وهو يرعى غنماً له وهو نائم، فرفع صخرة فشدخ بها رأسه فمات، فتركه بالعراء، ولا يعلم كيف يدفن، فبعث الله غرابين أخوين فاقتتلا، فقتل أحدهما صاحبه، فحفر له ثم حثا عليه، فلما رآه ﴿قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ﴾.

وقد ثبت في «الصحيحين»[(٩)]، وغيرهما من حديث ابن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقتل نفسٌ ظلماً إلا كان على ابن آدم الأوّل كِفْل من دمها؛ لأنه أوّل من سنّ القتل».

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٥٨).
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٣٣١) بسند صحيح.
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٣٣١) بسند صحيح.
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٣٣١) بسند صحيح.
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٣٣١) بسند صحيح.
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٣٣٧) بسند صحيح.
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٣٣٧) بسند صحيح.
(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٣٣٧) بسند ضعيف.
(٩) أخرجه البخاري رقم (٣٣٣٥)، ومسلم رقم (١٦٧٧)، وأحمد (١/ ٣٨٣).

وقد روي في صفة قتله لأخيه روايات الله أعلم بصحتها.

[شريعة القصاص]:

﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

[حد الحرابة، أو حكم قطع الطرق]:

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾.

قوله: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: من أجل ذلك القاتل وجريرته وبسبب معصيته.

وقال الزجاج(١): أي: من جنايته، قال: يقال: أجَل الرجل على أهله شرّاً يأجُل أَجْلاً إذا جنى مثل أخذ يأخُذ أخْذاً.

وقرأ أبو جعفر: «مِنِ أجل» بكسر النون(٢) وحذف الهمزة، وهي لغة.

قال في «شرح الدرة»: قرأ أبو جعفر منفرداً: «من أجل ذلك» بكسر الهمزة مع نقل حركتها إلى النون قبلها؛ وقيل: يجوز أن يكون قولَه: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ﴾ متعلقاً بقوله: ﴿ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ [المائدة: ٣١]، فيكون الوقف على قوله: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ﴾ والأَوْلى ما قدّمنا.

والمعنى: أن نبأ ابني آدم هو الذي تسبّب عنه الكتب المذكور على بني إسرائيل، وعلى هذا جمهور(٣) المفسرين. وخصّ بني إسرائيل بالذكر؛ لأن السياق

---

(١) في «معاني القرآن» (٢/ ١٦٨).

(٢) «المحتسب» (١/ ٢٠٩)، و«النشر» (٢/ ٢٥٤)، و«مجمع البيان» (٦/ ٧٩)، و«القراءات الشاذة» (ص٣٢). وهي قراءة متواترة عنه، وقرأ الجمهور بسكون النون وفتح الهمزة، ولكن ورش ينقل حركة الهمزة مفتوحة إلى النون. تخريج القراءات في «فتح القدير» (ص١١٣).

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٧/ ٤٢٨)، و«جامع البيان» (٨/ ٣٤٧ ـ ٣٤٨).

في تعداد جناياتهم، ولأنهم أوّل أمة نزل الوعيد عليهم في قتل الأنفس، ووقع التغليظ فيهم إذ ذاك لكثرة سفكهم للدماء، وقتلهم للأنبياء، وتقديم[1] الجار والمجرور على الفعل الذي هو متعلق به ـ أعني: كتبنا ـ، يفيد القصر؛ أي: من أجل ذلك لا من غيره، ومن لابتداء الغاية ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا﴾ واحدة من هذه النفوس ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾؛ أي: بغير نفس توجب القصاص، فيخرج عن هذا من قتل نفساً بنفس قصاصاً.

قوله: ﴿أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ قرأ الجمهور[2] بالجرّ عطفاً على نفس.

وقرأ الحسن بالنصب[3] على تقدير فعل محذوف يدلّ عليه أوّل الكلام تقديره: أو أحدث فساداً في الأرض، وفي هذا ضعف.

ومعنى قراءة الجمهور: أن من قتل نفساً بغير سبب من قصاص، أو فساد في الأرض، فكأنما قتل الناس جميعاً.

وقد تقرر أَنَّ كل حكم مشروط بتحقق أحد شيئين، فنقيضه مشروط بانتفائهما معاً، وكل حكم مشروط بتحققهما معاً، فنقيضه مشروط بانتفاء أحدهما ضرورة أن نقيض كل شيء مشروط بنقيض شرطه.

وقد اختلف[4] في هذا الفساد المذكور في هذه الآية ماذا هو؟ فقيل: هو الشرك، وقيل: قطع الطريق.

وظاهر النظم القرآني: أنه ما يصدق عليه أنه فسادٌ في الأرض؛ فالشرك فساد في الأرض، وقطع الطريق فساد في الأرض، وسفك الدماء وهتك الحُرَم، ونهب الأموال فساد في الأرض، والبغي على عباد الله بغير حق فساد في الأرض، وهدم البنيان وقطع الأشجار، وتغوير الأنهار فساد في الأرض، فعرفت بهذا أنه يصدق على هذه الأنواع أنها فساد في الأرض.

---

(١) «التبيان» (١/ ٤٣٣)، و«روح المعاني» (٧/ ١٥٧)، و«البحر المحيط» (٤/ ٢٣٧).
(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٧/ ٤٢٨)، و«روح المعاني» (٧/ ١٥٨)، و«البحر المحيط» (٤/ ٢٣٩).
(٣) «القراءات الشاذة» (ص٣٢)، و«مشكل إعراب القرآن» (١/ ٢٢٤)، و«المحتسب» (١/ ٢١٠). وهي قراءة شاذة.
(٤) «جامع البيان» (٨/ ٣٤٩ ـ ٣٥٠).

وهكذا الفساد الذي سيأتي في قوله: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾ يصدق على هذه الأنواع، وسيأتي تمام الكلام على معنى الفساد قريباً.

قوله: ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ اختلف المفسرون[١] في تحقيق هذا التشبيه للقطع بأن عقاب مَنْ قتل الناس جميعاً أشدّ من عقاب من قتل واحداً منهم. فروي عن ابن عباس أنه قال: المعنى: مَنْ قتل نبيّاً أو إمام عدلٍ فكأنما قتل الناس جميعاً، ومَنْ أحياه بأن شدّ عضده ونصره فكأنما أحيا الناس جميعاً. أخرج هذا عنه ابن جرير[٢].

وروي عن مجاهد أَنَّه قال: المعنى: أن الذي يقتل النفس المؤمنة متعمداً جعل الله جزاءه جهنم، وغضب عليه ولعنه وأعدّ له عذاباً عظيماً، فلو قتل الناس جميعاً لم يزد على هذا قال: ومَنْ سَلِمَ مِنْ قتلٍ، فلم يقتل أحداً، فكأنما أحيا الناس جميعاً.

وقد أخرج [٢/٢٢] نحو هذا عنه عبد بن حميد، وابن جرير[٣]، وابن المنذر.

وروي عن ابن عباس[٤] أيضاً أنه قال في تفسير هذه الآية: أوبق نفسه كما لو قتل الناس جميعاً، أخرجه عنه ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

وروي عن الحسن[٥] أنه قال: فكأنما قتل الناس جميعاً في الوِزْر، وكأنما أحيا الناس جميعاً في الأجر.

وقال ابن زيد[٦]: المعنى: أَنَّ من قتل نفساً فيلزمه من القَوَد والقصاص ما يلزم من قتل الناس جميعاً ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾؛ أي: من عفا عمن وجب قتله، حكاه عنه القرطبي[٧].

وحكي عن الحسن[٨] أنه العفو بعد القدرة: يعني: أحياها.

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٧/٤٢٨)، و«جامع البيان» (٨/ ٣٥٠).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/٣٤٨ ـ ٣٤٩) بسند حسن.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٣٥١) بسند صحيح.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٣٥٠) بسند ضعيف.

(٥) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٦٥) إلى ابن حميد وابن المنذر. وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٣٥٧) بسند حسن.

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٣٥٣ ـ ٣٥٤) بسند صحيح.

(٧) في «تفسيره» (٧/ ٤٢٩ ـ ٤٣٠).

(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥) بسند حسن.

وروي عن مجاهد[١] أن إحياءها: إنجاؤها من غرق أو حرقٍ أو هدم أو هلكة، حكاه عنه ابن جرير وابن المنذر.

وقيل: المعنى: أن من قتل نفساً فالمؤمنون كلهم خصماؤه؛ لأنه قد وتر الجميع ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۚ﴾؛ أي: وجب على الكل شكره؛ وقيل: المعنى: أن من استحل واحداً، فقد استحلّ الجميع؛ لأنه أنكر الشرع.

وعلى كلِّ حالٍ؛ فالإحياء هنا عبارة عن الترك والإنقاذ من هلكة فهو مجاز، إذ المعنى الحقيقي مختص بالله عَجَّلَ.

والمراد بهذا التشبيه[٢] في جانب القتل: تهويل أمر القتل، وتعظيم أمره في النفوس حتى ينزجرَ عنه أهل الجرأة والجسارة، وفي جانب الإحياء: الترغيب إلى العفو عن الجناة واستنقاذ المتورطين في الهلكات.

قوله: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ جملة مستقلة مؤكِّدة باللام الموطئة للقسم متضمنة للإخبار بأن الرسل عليهم الصلاة والسلام قد جاءوا العباد بما شرعه الله لهم من الأحكام التي من جملتها أمر القتل، وثم في قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم﴾ للتراخي[٣] الرتبي والاستبعاد العقلي، والإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى ما ذكر مما كتبه الله على بني إسرائيل؛ أي: إن كثيراً منهم بعد ذلك الكَتْب ﴿فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ في القتل.

قوله: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ قد اختلف الناس[٣] في سبب نزول هذه الآية؛ فذهب الجمهور[٤] إلى أنها نزلت في العُرَنيّين، وقال مالك[٥] والشافعي[٦] وأبو ثور[٧] وأصحاب الرأي[٨]: إنها نزلت فيمن خرج من المسلمين يقطع الطريق ويسعى في الأرض بالفساد.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٣٥٥) بسند ضعيف.
(٢) «المحرر الوجيز» (٥/ ٨٤ ـ ٨٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٧/ ٤٢٩).
(٣) «البحر المحيط» (٤/ ٢٣٩)، و«تفسير أبي السعود» (٢/ ٤٦٥).
(٤) «جامع البيان» (٨/ ٣٥٩ ـ ٣٤٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٧/ ٤٣١).
(٥) «مواهب الجليل» (٨/ ٤٢٧)، و«حاشية الدسوقي» (٦/ ٣٥٩).
(٦) «البيان للعمراني» (١٢/ ٥٠٣)، و«روضة الطالبين» (١٠/ ١٥٤).
(٧) «موسوعة أبي ثور» (ص٤٧٢).
(٨) «بدائع الصنائع» (٧/ ٩٢ ـ ٩٣)، و«الاختيار» (٤/ ٣٧٨).

قال ابن المنذر[(١)]: قول مالك صحيح.

قال أبو ثور[(٢)] محتجّاً لهذا القول: إن قوله في هذه الآية: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْۖ﴾ يدلّ على أنها نزلت في غير أهل الشرك؛ لأنهم قد أجمعوا على أن أهل الشرك إذا وقعوا في أيدينا فأسلموا أن دماءهم تحرم، فدلّ ذلك على أن الآية نزلت في أهل الإسلام. انتهى.

وهكذا يدلّ على هذا قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨]، وقوله ﷺ: «الإسلام يهدم ما قبله» أخرجه مسلم[(٣)] وغيره، وحكى ابن جرير[(٤)] الطبري في «تفسيره» عن بعض أهل العلم أن هذه الآية ـ أعني: آية المحاربة ـ نسخت فعل النبي ﷺ في العرنيين، ووقف الأمر على هذه الحدود.

وروي عن محمد بن سيرين[(٥)] أنه قال: كان هذا قبل أن تنزل الحدود؛ يعني: فعله ﷺ بالعرنيين وبهذا قال جماعة من أهل العلم.

وذهب جماعة آخرون إلى أن فعله ﷺ بالعرنيين منسوخ[(٦)] بنهي النبي ﷺ عن المثلة، والقائل بهذا مُطالب ببيان تأخر الناسخ، وسيأتي سياق الروايات الواردة في سبب النزول.

والحقُّ أَنَّ هذه الآية تعمّ المشرك وغيرَه ممّن ارتكب ما تضمنته، ولا اعتبار بخصوص السبب؛ بل الاعتبار بعموم اللفظ.

قال القرطبي[(٧)] في «تفسيره»: ولا خلاف بين أهل العلم في أن حكم هذه الآية مترتب في المحاربين من أهل الإسلام، وإن كانت نزلت في المرتدين، أو اليهود. انتهى.

ومعنى قوله: مترتب؛ أي: ثابت؛ قيل: المراد بمحاربة الله المذكورة في

---

(١) في «الإشراف» (١/ ٥٢٩ ـ ٥٣٠). (٢) «موسوعة أبي ثور» (ص٤٧٢).

(٣) أخرجه مسلم رقم (١٢١/ ١٩٢)، والبيهقي (٩/ ٩٨)، وأحمد رقم (١٧٧٧٧) من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه.

(٤) في «جامع البيان» (٨/ ٣٦٨).

(٥) أخرجه أبو داود رقم (٤٣٧٢)، و«النسائي» رقم (٤٠٥٧).

(٦) انظر: «الناسخ والمنسوخ» للنحاس (٢/ ٢٧٧).

(٧) في «تفسيره» (٧/ ٤٣٣).

الآية: هي محاربة[1] رسول الله ﷺ ومحاربة المسلمين في عصره، ومِنْ بعد عصره بطريق العبارة دون الدلالة ودون القياس؛ لأن ورود النص ليس بطريق خطاب المشافهة حتى يختص حكمه بالمكلّفين عند النزول، فيحتاج في تعميم الخطاب لغيرهم إلى دليل آخر؛ وقيل: إنها جعلت محاربة المسلمين محاربة لله ولرسوله إكباراً لحربهم وتعظيماً لأذيتهم؛ لأن الله سبحانه لا يحارب ولا يغالب.

والأَوْلى أَنْ تفسّر محاربة الله سبحانه: بمعاصيه ومخالفة شرائعه، ومحاربة الرسول تحمل على معناها الحقيقيِ، وحكم أمته حكمُه وهم أسوته. والسعي في الأرض فساداً، يطلق على أنواع من الشرّ كما قدمنا قريباً.

قال ابن كثير[2] في «تفسيره»: قال كثير من السلف منهم سعيد بن المسيب: إن قرض الدراهم والدنانير من الإفساد في الأرض، وقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥]. انتهى.

إذا تقرر لك ما قررناه، من عموم الآية ومن معنى المحاربة والسعي في الأرض فساداً.

فاعلم أن ذلك يَصْدقُ على كل من وقع منه ذلك، سواء كان مسلماً أو كافراً، في مصر وغير مصر، في كل قليل وكثير، وجليل وحقير، وأن حكم الله في ذلك هو ما ورد في هذه الآية [٢/٢٣] من القتل أو الصَّلْب، أو قطع الأيدي والأرجل من خلاف، أو النفي من الأرض، ولكن لا يكون هذا حكم من فعل أيّ ذنب من الذنوب.

بَلْ من كان ذنبه هو التعدّي على دماء العباد وأموالهم فيما عدا ما قد ورد له حكم غير هذا الحكم في كتاب الله، أو سُنَّة رسوله كالسرقة وما يجب فيه القصاص؛ لأنا نعلم أنه قد كان في زمنه ﷺ من تقع منه ذنوب ومعاص غير ذلك، ولا يجرى عليه ﷺ هذا الحكم المذكور في هذه الآية.

وبهذا تعرف ضعف ما روي عن مجاهد في تفسير المحاربة المذكورة في هذه الآية أنها الزنا والسرقة، ووجه ذلك أن هذين الذنبين قد ورد في كتاب الله، وفي سُنَّة رسوله ﷺ لهما حكم غير هذا الحكم.

---

(١) «جامع البيان» (٨/ ٣٧٢ ـ ٣٧٣).
(٢) في «تفسيره» (٥/ ١٨٤).

وإذا عرفت ما هو الظاهر من معنى هذه الآية، على مقتضى لغة العرب التي أُمرنا بأن نفسّر كتاب الله وسُنَّة رسوله بها، فإيّاك أن تغترّ بشيء من التفاصيل المروية، والمذاهب المحكية، إلَّا أن يأتيك الدليل الموجب لتخصيص هذا العموم أو تقييد هذا المعنى المفهوم مِنْ لغة العرب، فأنت وذاك اعمل به، وضعه في موضعه، وأما ما عداه:

فدعْ عنك نهباً صِيح في حُجُراته وهاتِ حديثاً ما حديثُ الرواحل؟

على أنا سنذكر من هذه المذاهب ما تسمعه.

اعلم أنه قد اختلف العلماء فيمن يستحق اسم المحاربة؛ فقال ابن عباس[١] وسعيد بن المسيب، ومجاهد وعطاء والحسن البصري، وإبراهيم النخعي والضحاك وأبو ثور: إن من شَهر السلاحَ في قُبة الإسلام، وأخاف السبيل ثم ظفر به وقدر عليه فإمام المسلمين فيه بالخيار: إن شاء قتله، وإن شاء صلبه، وإن شاء قطع يده ورجله.

وبهذا قال مالك[٢]، وصرّح بأن المحارب عنده من حمل على الناس في مصر أو في بريّة، أو كابرهم على أنفسهم وأموالهم دون نائرة ولا ذَحْل ولا عداوة. قال ابن المنذر[٣]: اختلف عن مالك في هذه المسألة، فأثبت المحاربة في المصر مرّة، ونفى ذلك مرةً.

وروي عن ابن عباس[٤] غير ما تقدّم، فقال في قطاع الطريق: إذا قتلوا وأخذوا المال قُتلوا وصلبوا، وإذا قتلوا ولم يأخذوا المال قتلوا ولم يصلبوا، وإذا أخذوا المال ولم يقتلوا قطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف، وإذا أخافوا السبيل ولم يأخذوا مالاً نفوا من الأرض.

وروي[٥] عن أبي مِجْلَز وسعيد بن جبير، وإبراهيم النخعي، والحسن وقتادة والسديّ، وعطاء، على اختلاف في الرواية عن بعضهم، وحكاه ابن كثير[٦] عن الجمهور. وقال أيضاً: وهكذا عن غير واحد من السلف والأئمة.

---

(١) «فتح الباري» (١/ ٣٣٧)، و«المهذب» (٥/ ٤٤٨)، و«البيان للعمراني» (١٢/ ٥٠٠).
(٢) «مواهب الجليل» (٨/ ٤٢٩)، و«حاشية الدسوقي» (٦/ ٣٥٩).
(٣) في «الإشراف» (١/ ٥٢٩ ـ ٥٣٠).
(٤) «فتح الباري» (١/ ٣٣٧).
(٥) انظر: الإشراف (١/ ٥٣٠).
(٦) في «تفسيره» (٥/ ١٩٢ ـ ١٩٣).

وقال أبو حنيفة[(١)]: إذا قَتل قُتل وإذا أخذ المال ولم يقتل قطعت يده ورجله من خلاف، وإذا أخذ المال وقتل فالسلطان مُخيّر فيه: إن شاء قطع يديه ورجليه، وإن شاء لم يقطع وقتله وصلبه.

وقال أبو يوسف[(١)]: القتل يأتي على كل شيء، ونحوه قول الأوزاعي[(٢)].

وقال الشافعي[(٣)]: إذا أخذ المال قطعت يده اليمنى وحُسِمتْ، ثم قطعت رجله اليسرى وحُسِمت وخُلِّيَ؛ لأن هذه الجناية زادت على السرقة بالحرابة؛ وإذا قَتل قُتل، وإذا أخذ المال وقَتل، قُتِل وصُلِب.

وروي[(٤)] عنه أنه قال: يُصلب ثلاثة أيام.

وقال أحمد[(٥)]: إن قَتل قُتل، وإن أخذ المال قطعت يده ورجله؛ كقول الشافعي، ولا أعلم لهذه التفاصيل دليلاً لا من كتاب الله ولا من سُنَّة رسوله، إلا ما رواه ابن جرير[(٥)] في «تفسيره»، وتفرّد بروايته، فقال: حدثنا عليّ بن سهل، حدثنا الوليد بن مسلم، عن يزيد بن أبي حبيب: أن عبد الملك بن مروان كتب إلى أنس بن مالك يسأله عن هذه الآية، فكتب إليه يخبره أن هذه الآية نزلت في أولئك النفر العُرَنيّين، وهم من بجيلة، قال أنس: فارتدوا عن الإسلام وقتلوا الراعي واستاقوا الإبل، وأخافوا السبيل وأصابوا الفَرْجَ الحرام؛ قال أنس: فسأل رسول الله ﷺ جبريل عَنْ القضاء فيمن حارب، فقال: مَنْ سرق وأخاف الطريق، فاقطع يده لسرقته ورجله بإخافته، ومَنْ قتل، فاقتله؛ ومن قتل وأخاف السبيل واستحلّ الفرج[(٦)] الحرام، فاصلبه. وهذا مع ما فيه مَنْ النكارة الشديدة، لا يُدرى كيف صحته؟

قال ابن كثير[(٧)] في «تفسيره» بعد ذكره لشيء من هذه التفاصيل الذي ذكرناها ما لفظه: ويشهد لهذا التفصيل الحديث الذي رواه ابن جرير في «تفسيره» إن صح سنده ثم ذكره.

---

(١) «الاختيار» (٤/ ٣٧٨)، و«بدائع الصنائع» (٧/ ٩٢ ـ ٩٣).
(٢) موسوعة فقه عبد الرحمٰن الأوزاعي (ص٢٣٧).
(٣) «البيان» للعمراني (١٢/ ٥٠٠)، و«روضة الطالبين» (١٠/ ١٥٤)، و«المهذب» (٥/ ٤٤٨).
(٤) في «المغني» (١٢/ ٤٧٥ ـ ٤٧٦).
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٣٨٣) بسند ضعيف. لضعف ابن لهيعة.
(٦) وفي قوله هذا، مخالفة للرواية الصحيحة.
(٧) في «تفسيره» (٥/ ١٩٥).

قوله: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾ هو إما منتصب[١] على المصدرية، أو على أنه مفعول له، أو على الحال بالتأويل؛ أي: مفسدين.

قوله: ﴿أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ﴾ ظاهره أنهم يصلبون أحياءً حتى يموتوا؛ لأنه أحد الأنواع التي خيَّر الله بينها.

وقال قوم: الصلب إنما يكون بعد القتل، ولا يجوز أن يصلب قبل القتل فيحال بينه وبين الصلاة والأكل والشرب.

ويجاب: بأن هذه عقوبة شرعها الله سبحانه في كتابه لعباده.

قوله: ﴿أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ ظاهر قطع إحدى اليدين وإحدى الرجلين من خلاف سواء كانت المقطوعة من اليدين هي اليمنى أو اليسرى، وكذلك الرجلان، ولا يعتبر إلا أن يكون القطع من خلاف، إما يمنى اليدين مع يسرى الرجلين، أو يسرى اليدين مع يمنى الرجلين؛ وقيل: المراد بهذا: قطع اليد اليمنى والرجل اليسرى فقط.

قوله: ﴿أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ اختلف المفسرون[٢] في معناه، فقال السديّ[٣]: هو أن يطلب بالخيل والرَّجل حتى يُؤخذ فيقام عليه الحدّ، أو يُخرج من دار الإسلام هرباً.

وهو محكيّ عن ابن عباس[٤]، [٢/٢٤] وأنس ومالك والحسن البصري، والسدي والضحاك وقتادة وسعيد بن جبير والربيع بن أنس، والزهري، حكاه[٥] الرُّماني في كتابه عنهم.

وحُكي عن الشافعي[٦] أنهم يُخرجون مِنْ بلد إلى بلد ويُطلبون لتقام عليهم الحدود، وبه قال الليث بن سعد.

وروي عَنْ مالك[٧] أنه ينفى من البلد الذي أحدث فيه إلى غيره، ويُحبس فيه

---

(١) «البحر المحيط» (٤/ ٢٤٠)، و«روح المعاني» (٧/ ١٦١).
(٢) «جامع البيان» (٨/ ٣٨٣ ـ ٣٨٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٧/ ٤٣٧).
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٣٨٤) بسند حسن.
(٤) انظر: «المغني» (١٢/ ٤٨٠ ـ ٤٨١)، و«الإشراف» (١/ ٥٣٤ ـ ٥٣٥).
(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٧/ ٤٣٨).
(٦) «البيان للعمراني» (١٢/ ٥٠٨)، و«روضة الطالبين» (١٠/ ١٥٦).
(٧) «حاشية الدسوقي» (٦/ ٣٦١)، و«مواهب الجليل» (٨/ ٤٢٩ ـ ٤٣٠).

كالزاني، ورجحه ابن جرير[١] والقرطبي[٢].

وقال الكوفيون[٣]: نفيهم سجنهم، فينفى مِنْ سعة الدنيا إلى ضيقها. والظاهر من الآية: أنّه يطرد مِنْ الأرض التي وقع منه فيها ما وقع، مِنْ غير سجنٍ ولا غيره.

والنفي قد يقع بمعنى: الإهلاك، وليس هو مراداً هنا.

قوله: ﴿ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا﴾ الإشارة إلى ما سبق ذكره من الأحكام، والخزي: الذل والفضيحة.

قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ استثنى الله سبحانه التائبين قبل القدرة عليهم من عموم المعاقبين بالعقوبات السابقة، والظاهر: عدم الفرق بين الدماء والأموال، وبين غيرها من الذنوب الموجبة للعقوبات المعينة المحدودة، فلا يطالب التائب قبل القدرة بشيء من ذلك، وعليه عمل الصحابة.

وذهب بعض أهل العلم[٤] إلى أنه لا يَسْقط القصاصُ وسائر حقوق الآدميين بالتوبة قبل القدرة، والحق الأوّل. وأما التوبة بعد القدرة فلا تسقط بها العقوبة المذكورة في الآية، كما يدل عليه ذكر قيد: ﴿قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ﴾ قال القرطبي[٥]: وأجمع أهل العلم على أن السلطان وليّ من حارب، فإن قتل محارب أخا امرئ أو أباه في حال المحاربة، فليس إلى طالب الدم من أمر المحاربة شيء، ولا يجوز عفو وليّ الدم.

وقد أخرج ابن جرير[٦] عن الضحاك في قوله: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ يقول: من أجل ابن آدم الذي قتل أخاه ظلماً.

وأخرج ابن جرير[٧] عن الحسن أنه قيل له في هذه الآية؛ يعني قوله:

---

(١) في «جامع البيان» (٨/ ٣٤٨). (٢) في «تفسيره» (٧/ ٤٣٨).

(٣) انظر: «المغني» (١٢/ ٤٨١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٧/ ٤٣٨).

(٤) «أحكام القرآن» لابن العربي (٢/ ٦٠٠)، و«الإشراف» (١/ ٥٣٦).

(٥) في «تفسيره» (٧/ ٤٤٣).

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٣٤٨) بسند حسن.

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٣٥٦ ـ ٣٥٧)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٩/ ٣٥٩، ٣٦٠) بسند صحيح.

﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾: أهي لنا كما كانت لبني إسرائيل؟ فقال: إي والذي لا إله غيره.

وأخرج أبو داود والنسائي عن ابن عباس[(١)] في قوله: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ قال: نزلت في المشركين، فمن تاب منهم قبل أن يُقدَر عليه لم يكن عليه سبيل، وليست تَحرُز هذه الآية الرجلَ المسلمَ مِنْ الحدّ إن قتل أو أفسد في الأرض أو حارب الله ورسوله.

وأخرج ابن جرير والطبراني في «الكبير»[(٢)] عنه في هذه الآية قال: كان قوم من أهل الكتاب بينهم وبين رسول الله ﷺ عهدٌ وميثاق، فنقضوا العهدَ وأفسدوا في الأرض، فخيّر الله نبيَّه فيهم: إن شاء قتل وإن شاء صلب، وإن شاء أن يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، وأما النفي فهو الهرب في الأرض، فإن جاء تائباً فدخل في الإسلام قُبل منه، ولم يؤخذ بما سلف.

وأخرج ابن مردويه[(٣)] عن سعد بن أبي وقاص أن هذه الآية نزلت في الحرورية.

وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أنس[(٤)] أن نفراً من عكل[(٥)] قدموا على رسول الله ﷺ، فأسلموا واجتووا[(٦)] المدينة، فأمرهم النبيّ ﷺ أن يأتوا إبل الصدقة، فيشربوا من أبوالها وألبانها، فقتلوا راعيها واستاقوها؛ فبعث النبي ﷺ في طلبهم[(٧)] قافة، فأتي بهم، فقطع أيديهم وأرجلهم، وسمل[(٨)] أعينهم، ولم

---

(١) أخرجه أبو داود في «السنن» رقم (٤٣٧٢)، والنسائي رقم (٣٥٠٩) وهو حديث حسن.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٣٦٠)، والطبراني في «الكبير» رقم (١٣٠٣٢) بسند صحيح.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/٧): «وعلي بن أبي طلحة لم يدرك ابن عباس».

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٦٦).

(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٢٣٣، ٣٠١٨، ٤١٩٣، ٤٦١٠، ٦٨٠٢ ـ ٦٨٠٥) و(٦٨٩٩)، ومسلم رقم (١٠ ـ ١٢/ ١٦٧١)، وأبو داود رقم (٤٣٦٢ ـ ٤٣٦٦)، والنسائي في «التفسير» (ص١٦٣).

(٥) عُكلْ: قبيلة من الرباب تُستَحق «معجم البلدان» (٣/ ٦ ـ ٧).

(٦) اجتتوا: أصابهم الجوى وهو المرض وداء الجوف، إذا لم يوافقهم هواءُها «النهاية» (١/ ٣١٨).

(٧) القافة جمع قائف وهو الذي يعرف الآثار.

(٨) سمل أعينهم: فقأ أعينهم بحديدة محماة «النهاية» (١/ ٣٠٦).

يحسمهم[١] وتركهم حتى ماتوا، فأنزل الله: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ﴾ الآية.

وفي مسلم[٢] عن أنس أنه قال: إنما سمل النبيّ ﷺ أعين أولئك لأنهم سملوا أعين الرعاة.

وأخرج الشافعي في «الأم»، وعبد الرزاق والفريابي، وابن أبي شيبة، وعبد بن حُميد وابن جرير، وابن المنذر وابن أبي حاتم، والبيهقي، عن ابن عباس[٣] في الآية قال: إذا خرج المحارب فأخذ المال ولم يقتل قُطع من خلاف، وإذا خرج فقَتل ولم يأخذ المال قُتل، وإذا خرج وأخذ المال وقَتل، قُتل وصُلِب، وإذا خرج فأخاف السبيل، ولم يأخذ المال ولم يقتل نُفي.

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم[٤] عنه في الآية قال: مَنْ شَهر السلاح في فئة الإسلام، وأفسد السبيل، فظُهر عليه وقُدِر، فإمام المسلمين مخيَّر فيه: إن شاء قتله، وإن شاء صلبه، وإن شاء قطع يده ورجله، قال: ﴿أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ يهربوا ويخرجوا من دار الإسلام إلى دار الحرب.

وأخرج ابن جرير[٥] عنه قال: نفيه أن يُطلب.

وأخرج[٦] أيضاً عن أنس نحوه.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا، وابن جرير، وابن أبي حاتم، عَنْ الشعبي[٧] قال: كان حارثة بن بدر التيمي من أهل البصرة قد أفسد

---

(١) أي: لم يقطع عنهم الدم بالكيِّ «النهاية» (١/ ٣٨٦).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (١٤/ ١٦٧١).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٣٧٣)، و«البيهقي» (٨/ ٢٨٣)، وابن أبي شيبة في «الجهاد» رقم (١٢٨٣٥)، و«الشافعي في الأم»، (٦/ ١٥١، ١٥٢)، وعبد الرزاق في «مصنفه» رقم (١٨٥٤٤) بسند ضعيف.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠)، و«النحاس في ناسخه» (ص٣٩٢) بسند صحيح.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٣٨٤) بسند ضعيف.

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٣٨٤ ـ ٣٨٥) بسند ضعيف.

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٣٩٣ ـ ٣٩٤)، وابن أبي شيبة (١٢/ ٢٨١، ٢٨٢)، وابن أبي الدنيا في «الإشراف في منازل الأشراف» رقم (٤٠٩)، وابن عساكر في «تاريخ مدينة دمشق» (١١/ ٣٨٩، ٣٩٠) بسند حسن.

في الأرض وحارب، فكلَّم رجالاً مِنْ قريش أن يستأمنوا له علياً، فأبوا فأتى سعيد بن قيس الهمداني، فأتى عليّاً فقال: يا أمير المؤمنين ما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً؟ قال: ﴿أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ ثم قال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ فقال سعيد: وإن كان حارثة بن بدر، قال: وإن كان حارثة بن بدر، قال: هذا حارثة بن بدر، قد جاء تائباً فهو آمن، قال: نعم، فجاء به إليه فبايعه، وقبل ذلك منه وكتب له أماناً.

[الوسيلة، ومعناها]:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴿٣٧﴾﴾.

﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ﴾ اطلبوا ﴿إِلَيۡهِ﴾ لا إلى غيره، و﴿ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ فعيلة مِنْ توسلتُ إليه: إذا تقرّبت إليه. قال عنترة[1]:

إنَّ الرجالَ لهم إليكِ وسيلةٌ ... إنْ يأخذوكِ تَكحّلي وتخضّبي

وقال آخر[2]:

إذا غفَل الواشون عُدنا لوصلنا ... وعاد التصافي بيننا والوسائلُ

فالوسيلة: القربة التي ينبغي أنْ تُطلب، وبه قال أبو وائل والحسن ومجاهد، وقتادة والسدي وابن زيد[3].

وروي[3] [٢/٢٥] عن ابن عباس، وعطاء، وعبد الله بن كثير.

---

(١) انظر: «ديوان عنترة» (ص٣٣).

(٢) ذكره ابن جرير في «تفسيره» (٨/٤٠٣)، وأبو عبيدة في «مجاز القرآن» (١/١٦٤) بدون نسبة. وانظر: «الحماسة البصرية» (٢/٨٩).

(٣) أخرج هذه الأقوال ابن جرير في «جامع البيان» (٨/٤٠٣ ـ ٤٠٤).

قال ابن كثير[١] في «تفسيره»: وهذا الذي قاله هؤلاء الأئمة، لا خلاف بين المفسرين فيه. والوسيلة أيضاً درجة في الجنة مختصة برسول الله ﷺ.

وقد ثبت في «صحيح البخاري»[٢] مِنْ حديث جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال حين يسمع النداء: اللَّهُمَّ ربّ هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، إلا حلّت له الشفاعة يوم القيامة».

وفي «صحيح مسلم»[٣]، مِنْ حديث عبد الله بن عمرو، أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليّ، فإنه من صلى عليّ صلاةً صلى الله عليه عشراً، ثم سلوا لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة، لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلّت عليه الشفاعة».

وفي الباب أحاديث.

وعطف ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ على ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ يفيد أن الوسيلة غير التقوى؛ وقيل: هي التقوى؛ لأنها ملاك الأمر، وكل الخير، فتكون الجملة الثانية على هذا مُفسِّرة للجملة الأولى.

والظاهر: أن الوسيلة التي هي القربة تَصْدق على التقوى، وعلى غيرها من خصال الخير التي يتقرب العباد بها إلى ربهم. ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ﴾ مَنْ لم يقبل دينه ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾.

قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ كلام مبتدأ مسوق لزجر الكفار، وترغيب المسلمين في امتثال أوامر الله سبحانه ﴿لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ من أموالها ومنافعها.

وقيل: المراد: لكل واحد منهم ليكون أشدّ تهويلاً، وإن كان الظاهر من ضمير الجمع خلاف ذلك، و﴿جَمِيعٗا﴾ تأكيد.

وقوله: ﴿وَمِثۡلَهُۥ﴾ عطف على ما في الأرض، و﴿مَعَهُۥ﴾ في محل نصب[٤]

---

(١) في «تفسيره» (٥/ ٢٠٠).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٦١٤، ٤٧١٩).

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (٣٨٤)، وأبو داود رقم (٥٢٣)، والترمذي رقم (٣٦١٤) وقال: «حسن صحيح».

(٤) «روح المعاني» (٧/ ١٨٣)، و«البحر المحيط» (٤/ ٢٤٣).

على الحال ﴿لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ﴾؛ ليجعلوه فدية لأنفسهم، وأفرد الضمير إما لكونه راجعاً إلى المذكور، أو لكونه بمنزلة اسم الإشارة؛ أي: ليفتدوا بذلك، و﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ متعلق بالفعل المذكور ﴿مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ﴾ ذلك، وهذا هو جواب لو.

قولُه: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ هذا استئناف[١] بياني، كأنه قيل: كيف حالهم فيما هم فيه من هذا العذاب الأليم؟ فقيل: يريدون أن يخرجوا من النار. وقرئ ﴿أَن يُخْرَجوا﴾ من أخرج، ويضعف هذه القراءة ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا﴾ ومحل هذه الجملة، أعني: قوله: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا﴾ النصب[٢] على الحال؛ وقيل: إنها جملة اعتراضية.

وقد أخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس[٣] في قوله: ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ قال: الوسيلة القُربة.

وأخرج الحاكم[٤] وصححه، عَنْ حذيفة مثلَه.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عن قتادة[٥] في قوله: ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ قال: تقرّبوا إلى الله بطاعته والعمل بما يُرضيه.

وأخرج مسلم، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، عن جابر بن عبد الله[٦] أن رسول الله ﷺ قال: «يخرج مِنْ النار قوم فيدخلون الجنة» قال: يزيد الفقير، فقلت لجابر: يقول الله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ﴾ قال: اتل أوّل الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ﴾ ألا إنهم الذين كفروا.

وأخرج ابن جرير[٧] عن عكرمة: أن نافع بن الأزرق قال لابن عباس: تزعم

---

(١) «روح المعاني» (٦/ ١٨٦).
(٢) «البحر المحيط» (٤/ ٢٤٤)، و«روح المعاني» (٦/ ١٨٦). وقراءة «أَنْ يُخرجَوا» قراءة شاذة.
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٤٠٣ ـ ٤٠٤) بسند صحيح.
(٤) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣١٢).
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٤٠٤) بسند صحيح.
(٦) أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (١٩١/ ٣١٩).
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٤٠٦ ـ ٤٠٧) من طريق يزيد النحوي، به.

أن قوماً يخرجون من النار، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا﴾ فقال ابن عباس: ويحك، اقرأ ما فوقها هذه للكفار.

قال الزمخشري[1] في «الكشّاف» بعد ذكره لهذا: إنه مما لفّقته المُجْبرة.

ويا لله العجب مِنْ رجل لا يفرق بين أصحّ الصحيح، وبين أكذب الكذب على رسول الله ﷺ، يتعرض للكلام على ما لا يعرفه ولا يدري ما هو؟ قد تواترت الأحاديث تواتراً لا يخفى، على مَنْ له أدنى إلمام بعلم الرواية بأن عُصاة الموحدين يخرجون مِنْ النار، فمن أنكر هذا فليس بأهلٍ للمناظرة؛ لأنه أنكر ما هو من ضروريات الشريعة، اللَّهُمَّ غفراً.

[حد السارق]:

﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾.

لمّا ذكر سبحانه حكم من يأخذ المال جهاراً وهو المحارب، عقّبه بذكر من يأخذ المال خفيةً، وهو السارق، وذكر السارقة مع السارق؛ لزيادة البيان لأن غالب القرآن الاقتصار على الرجال في تشريع الأحكام.

وقد اختلف أئمة النحو في خبر السارق والسارقة، هل هو مقدر أم هو فاقطعوا؟ فذهب إلى الأول سيبويه[2]، وقال تقديره: فيما فُرض عليكم أو فيما يتلى عليكم، السارق والسارقة؛ أي: حكمهما.

وذهب المبرد والزجّاج[3] إلى الثاني، ودخول الفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط، إذ المعنى: الذي سرق والتي سرقت.

وقرئ: ﴿وَالسَّارِقَ وَالسَّارِقَةَ﴾ بالنصب[4] على تقدير اقطعوا، ورجح هذه

---

(١) (٢/ ٢٣٢). (٢) في «الكتاب» (١/ ١٤٤).

(٣) في «معاني القرآن» (٢/ ١٧٢).

(٤) «القراءات الشاذة» (ص٣٢)، و«حاشية الشهاب» (٣/ ٢٤١)، و«إعراب القرآن للنحاس» (١/ ١٩ ـ ٢٠). وهي قراءة شاذة.

القراءة سيبويه[١]، قال: الوجه في كلام العرب النصب، كما تقول: زيداً اضربه، ولكن العامة أبت إلا الرفع؛ يعني: ـ عامة القراء. والسرِقة بكسر الراء: ـ اسم الشيء المسروق، والمصدر من سَرَق يَسرِقُ سَرَقاً؛ قاله الجوهري[٢]. وهو أخذ الشيء في خُفيةٍ من الأعين، ومِنْه استرقَ السمعُ، وسارقَه النظرُ.

قوله: ﴿فَٱقۡطَعُوٓاْ﴾ القطع: معناه: الإبانة والإزالة، وجمع الأيدي لكراهة الجمع بين تثنيتين. وقَد بينتِ السُّنَّة المطهرة أن موضع القطع[٣] الرُّسْغ. وقال قوم: يقطع مِنْ المرفق.

وقال الخوارج: من المَنكِب.

والسرقة لا بد أن تكون ربع دينار فصاعداً، ولا بد أن تكون مِنْ حرز، كما وردت بذلك الأحاديث الصحيحة[٤].

وقد ذهب إلى اعتبار الربع الدينار الجمهور[٥].

وذهبَ قوم إلى التقدير بعشرة دراهم[٦].

وذهب الجمهور[٧] إلى اعتبار الحرز.

---

(١) «الكتاب» (١/ ١٤٤).

(٢) في «الصحاح» (٤/ ١٤٩٦).

(٣) انظر: «الإشراف» (١/ ٥١١)، و«أحكام القرآن» للجصاص (٢/ ٤٢٠ ـ ٤٢١).

(٤) (منها): ما أخرجه أحمد (٢/ ٨٠)، و«البخاري» رقم (٦٧٩٥)، ومسلم رقم (٦/ ١٦٨٦)، وأبو داود رقم (٤٣٨٥)، والترمذي رقم (١٤٤٦)، والنسائي رقم (٤٩٢١) من حديث عائشة ﵂.
قالت: «كان رسول الله ﷺ يقطع يد السارق في ربع دينار فصاعداً».
(ومنها): ما أخرجه أحمد (٦/ ١٠٤)، ومسلم رقم (٢/ ١٦٨٤)، والنسائي (٤٩٢٨)، وابن ماجه رقم (٢٥٨٥) عن عائشة بلفظ: أنّ النبي ﷺ قال: «لا تقطع يد السارق إلا في ربع دينار فصاعداً» وهو حديث صحيح.

(٥) انظر: «المغني» (١٢/ ٤١٨)، و«البناية في شرح الهداية» (٦/ ٣٧٦)، و«المدونة» (٤/ ٤١٢)، و«عيون المجالس» (٥/ ٢١١٧ ـ ٢١١٨).

(٦) «البناية في شرح الهداية» (٦/ ٣٧٦).

(٧) «فتح الباري» (١٢/ ١٠٦)، و«الاستذكار» (٢٤/ ١٨١)، و«المبسوط» (٩/ ١٤٨)، و«المغني» (١٢/ ٤١٦).

وقال الحسن البصري(١): إذا جمع الثيابَ في البيت قُطِع.

وقد أطال الكلام في بحث السرقة أئمة الفقه، وشرّاح الحديث، [٢/٢٦] بما لا يأتى التطويل به هاهنا بكثير فائدة.

قولُه: ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا﴾ مفعول له؛ أي: فاقطعوا للجزاء، أو مصدر مؤكد لفعل محذوف؛ أي: فجازوهما جزاءً، والباء سببية، و(ما) مصدرية؛ أي: بسبب كسبهما، أو موصولة؛ أي: جزاءً بالذي كسباه مِنْ السرقة.

وقوله: ﴿نَكَٰلًا﴾ بدل مِنْ جزاء؛ وقيل: هو علة للجزاء، والجزاء علة للقطع، يقال: نكلت به: إذا فعلت به ما يجب أَنْ يَنْكُل به عن ذلك الفعل.

قوله: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ﴾ السياق يفيد أن المراد بالظلم هنا السرقة؛ أي: فمن تاب من بعد سرقته، وأصلح أمره: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۗ﴾ ولكن اللفظ عام، فيشمل السارق وغيره من المذنبين، والاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

وقد استدلّ بهذا عطاء(٢)، وجماعة، على أن القطع يُسقط بالتوبة، وليس هذا الاستدلال بصحيح؛ لأن هذه الجملة الشرطية لا تفيد إلا مجرد قبول التوبة، وأنَّ الله يتوب على مَنْ تاب، وليس فيها ما يفيد أنه لا قطع على التائب.

وقد كان في زمن النبوّة يأتي إلى النبيّ ﷺ من وجب عليه حدّ تائباً عن الذنب الذي ارتكبه، طالباً لتطهيره بالحدّ، فيحدّه النبي ﷺ.

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال للسارق بعد قطعه: «تُب إلى الله، ثم قال: تاب الله عليك». أخرجه الدارقطني(٣) من حديث أبي هريرة.

وأخرج أحمد(٤) وغيره، أن هذه الآية نزلت في المرأة التي كانت

---

(١) «موسوعة فقه الحسن البصري» (٢/ ٥٢٧)، و«فتح الباري» (١٢/ ١٠٧).

(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٧/ ٤٧٢).

(٣) أخرجه الدارقطني في «السنن» (٣/ ١٠٢ رقم ٧١)، والحاكم (٤/ ٣٨١)، والبيهقي (٨/ ٢٧٥ ـ ٢٧٦).

وهو حديث ضعيف والله أعلم.

(٤) أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ١٧٧) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

=

تسرق المتاع، لمّا قالت للنبي ﷺ بعد قطعها، هل لي من توبة؟

وقد ورد في السُّنَّة[1] ما يدلّ على أن الحدود إذا رُفعت إلى الأئمة وجبتْ وامتنع إسقاطها.

قوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ هذا الاستفهام للإنكار مع تقرير العلم، وهو كالعنوان لقوله: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾؛ أي: من كان له ملك السمٰوات والأرض، فهو قادر على هذا التعذيب الموكول إلى المشيئة والمغفرة الموكولة إليها.

وقد أخرج عبد بن حميد، وأبو الشيخ، عن قتادة[2] في قوله: ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ قال: لا تَرْثُوا لهم فيه، فإنه أمر الله الذي أمرَ به. قال: وذكر لنا أن عمر بن الخطاب كان يقول: اشتدوا على الفُسّاق، واجعلوهم يداً يداً ورجلاً رجلاً.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، عن مجاهد[3] في قوله: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾ يقول: الحدّ كفارته.

والأحاديث في قدر نصاب[4] السرقة، وفي سائر ما يتعلق بتفاصيل هذا الحدّ مذكورة في كتب الحديث، فلا نطيل بذلك.

= وأخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (٨ ـ ١٦٨٨/١٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(١) • عن عبد الله بن عمرو: أنّ رسول الله ﷺ قال: «تعافوا الحدود فيما بينكم فما بلغني من حدٍّ فقد وجب».

[النسائي (٤٨٨٥)، وأبو داود رقم (٤٣٧٦) وهو حديث صحيح].

• وعن ربيعة بن أبي عبد الرحمٰن، أن الزبير بن العوام لقي رجلاً قد أخذ سارقاً وهو يريد أن يذهب به إلى السلطان فشفع له الزبير ليرسله، فقال: لا، حتى أبلغ به السلطان، فقال الزبير: «إذا بلغت به السُّلطان فلعن الله الشافع والمشفع».

[أخرجه مالك في «الموطأ» (٢/ ٨٣٥ رقم ٢٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ٣٣٣) وهو أثر موقوف صحيح].

(٢) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٧٣).

(٣) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٧٣).

(٤) انظر: «نيل الأوطار» (١٣/ ٣٢٣ ـ ٣٥٨)، ط. ابن الجوزي.

[موقف اليهود من أحكام التوراة]:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٤١﴾ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوۡنَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٣﴾﴾.

[إعراض اليهود عن حكم الله في التوراة]:

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

قوله: ﴿لَا يَحۡزُنكَ﴾ قرأ نافع بضم الياء(١) وكسر الزاي والباقون بفتح الياء(٢) وضم الزاي، والحَزنُ خلافُ السرور، وحَزِنَ الرجل بالكسر، فهو حَزِنٌ وحَزين، وأحزنه غيرُه وحَزنه.

قال اليزيدي(٣): حَزنَه لغة قريش وأحزنه لغة تميم، وقد قُرئ بهما.

وفي الآية النهي له ﷺ عن التأثر لمسارعة الكفرة في كفرهم تأثراً بليغاً؛

---

(١) التيسير (ص٩٦ ـ ٩٧)، و«حاشية الجمل» (١/ ٤٩٠)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٢٠)، و«النشر» (٢/ ٢٤٤). وهما قراءتان متواترتان.

(٢) انظر: المصادر المتقدمة.

(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٧/ ٤٨٢)، والجوهري في «الصحاح» (٥/ ٢٠٩٨).

لأن الله سبحانه قد وعده في غير موطن بالنصر عليهم. والمسارعة إلى الشيء: الوقوع فيه بسرعة.

والمراد هنا: وقوعهم في الكفر بسرعة عند وجود فرصة، وآثر لفظ ﴿فِي﴾ على لفظ إلى للدلالة على استقرارهم فيه، و«من» في قوله: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ﴾ بيانية، والجملة مبينة للمسارعين في الكفر، «والباء»[1] في ﴿بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ متعلقة بقالوا لا بآمنا، وهؤلاء الذين قالوا آمنا بأفواههم، ولم تؤمن قلوبهم هم المنافقون.

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾؛ يعني: اليهود، وهو معطوف على ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ وهو تمام الكلام. والمعنى: أن المسارعين في الكفر طائفة المنافقين وطائفة اليهود.

وقوله: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هم سمّاعون للكذب، فهو راجع إلى الفريقين، أو إلى المسارعين، واللام في قوله: ﴿لِلْكَذِبِ﴾ للتقوية[2] أو لتضمين السماع معنى القبول؛ وقيل: إن قوله: ﴿سَمَّٰعُونَ﴾ مبتدأ خبره ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾؛ أي: ومن الذين هادوا قوم [٢/٢٧] ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾؛ أي: قابلون لكذب رؤسائهم المحرّفين للتوراة.

قولُه: ﴿سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾ خبر ثان[3]، واللام فيه كاللام في «للكذب»؛ وقيل: اللام للتعليل في الموضعين؛ أي: سماعون لكلام رسول الله ﷺ لأجل الكذب عليه، وسماعون لأجل قوم آخرين، وجهوهم عيوناً لهم لأجل أن يبلغوهم، ما سمعوا من رسول الله ﷺ.

قوله: ﴿لَمْ يَأْتُوكَ﴾ صفة لقوم؛ أي: لم يحضروا مجلسك، وهم طائفة من اليهود، كانوا لا يحضرون مجلس رسول الله ﷺ تكبّراً وتمرّداً؛ وقيل: هم جماعة مِن المنافقين، كانوا يتجنبون مجالس رسول الله ﷺ. قال الفراء[4]: ويجوز سمّاعين، كما قال: ﴿مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ﴾ [الأحزاب: ٦١].

قوله: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ مِنْ جملة صفات القوم المذكورين؛

---

(١) «التبيان» (١/ ٤٣٦)، و«البحر المحيط» (٤/ ٢٦٠).
(٢) «روح المعاني» (٧/ ١٩٧).
(٣) «البحر المحيط» (٤/ ٢٦١)، و«روح المعاني» (٧/ ١٩٨).
(٤) في «معاني القرآن له» (١/ ٣٠٩).

أي: يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها، ويتأوّلونه على غير تأويله.

والمحرّفون هم اليهود؛ وقيل: إنّ هذه الجملة خبر[1] مبتدأ محذوف، وقيل: في محل نصب على الحال من ﴿لَمْ يَأْتُوكَ﴾ وقيل: مستأنفة لا محل لها من الإعراب، لقصد تعداد معايبهم ومثالبهم.

ومعنى ﴿مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾: من بعد كونه موضوعاً في مواضعه، أو من بعد وضعه في مواضعه التي وضعه الله فيها، من حيث لفظه، أو من حيث معناه.

قوله: ﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ﴾ جملة حالية، من ضمير يحرفون، أو مستأنفة، أو صفة لقوم، أو خبر مبتدأ محذوف.

والإشارة بقولهم: ﴿هَذَا﴾ إلى الكلام المحرّف؛ أي: إن أوتيتم من جهة محمد هذا الكلام الذي حرّفناه، فخذوه واعملوا به، وإن لم تؤتوه بل جاءكم بغيره، فاحذروا من قبوله والعمل به.

قوله: ﴿وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾؛ أي: ضلالته ﴿فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾؛ أي: فلا تستطيع دفع ذلك عنه ولا تقدر على نفعه وهدايته، وهذه الجملة مستأنفة مقرّرة لما قبلها، وظاهرها العموم ويدخل فيها هؤلاء الذين سياق الكلام معهم دخولاً أوّليّاً.

والإشارة بقوله: ﴿أُولَئِكَ﴾ إلى مَنْ تقدم ذكرهم، ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾، وهو مبتدأ وخبره الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم؛ أي: لم يرد تطهيرها من أرجاس الكفر والنفاق، كما طهّر قلوب المؤمنين ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ بظهور نفاق المنافقين، وبضرب الجزية على الكافرين، وظهور تحريفهم وكتمهم لما أنزل الله في التوراة.

قوله: ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ كرّره تأكيداً لقبحه، وليكون كالمقدّمة لما بعده، وهو: ﴿أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾، وهما من جملة أخبار ذلك المبتدأ المقدّر سابقاً.

والسُّحْت[2]، بضم السين وسكون الحاء: المال الحرام، وأصله الهلاك[3]

---

(١) «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٢٠)، و«روح المعاني» (٧/ ١٩٩)، و«مجمع البيان» (٦/ ٩٦).

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» (٤/ ٢٨٥).

(٣) «جامع البيان» (٨/ ٤٢٨ ـ ٤٢٩).

والشدّة، من سَحَتَه: إذا هَلَكه، ومنه: ﴿فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ﴾ [طه: ٦١]، ومنه قول الفرزدق(١):

وعضُّ زمانٍ يا ابنَ مروانَ لم يدَعْ   من المال إلا مُسْحَتٌ أو مُجلَّفُ

ويقال للحالق: أسْحِتْ؛ أي: استأصِل؛ وسُمي الحرامُ سُحْتاً؛ لأنه يَسْحَت الطاعات؛ أي: يُذْهبها ويستأصلها.

وقال الفرّاء(٢): أصله كَلَبُ الجوع؛ وقيل: هو الرشوة، والأوّل أولى، والرشوة تدخل في الحرام دخولاً أوّليّاً.

وقد فسّره جماعة بنوع من أنواع الحرام خاصٍ كالهدية، لمن يقضى له حاجة، وحُلْوان الكاهن، والتعميم أولى بالصواب.

قوله: ﴿فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ فيه تخيّير لرسول الله ﷺ بين الحكم بينهم والإعراض عنهم.

وقد استدلّ به على أن حكام المسلمين مخيرون بين الأمرين.

وقد أجمع(٣) العلماء على أنه يجب على حكام المسلمين أن يحكموا بين المسلم والذمي إذا ترافعا إليهم.

واختلفوا في أهل الذمة إذا ترافعوا فيما بينهم؛ فذهب قوم إلى التخيير، وذهب آخرون إلى الوجوب، وقالوا: إن هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٩] وبه قال ابن عباس، ومجاهد وعكرمة، والزهري وعمر بن عبد العزيز والسديّ: وهو الصحيح من قولي الشافعي، وحكاه القرطبي(٤) عن أكثر العلماء.

قوله: ﴿وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا﴾؛ أي: إن اخترت الإعراض عن الحكم بينهم، فلا سبيل لهم عليك؛ لأن الله حافظك وناصرك عليهم، وإن اخترت الحكم بينهم ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾؛ أي: بالعدل الذي أمرك الله به وأنزله عليك.

---

(١) انظر: «الشعر والشعراء» (ص٨٩)، و«معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٨٢)، و«تهذيب اللغة» (٤/ ٢٨٥).

(٢) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٨٢).

(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٧/ ٤٨٨) عن المهدويّ.

(٤) في «تفسيره» (٧/ ٤٨٩ ـ ٤٩٠). وانظر: «التمهيد» (١٤/ ٢٨٩)، و«الناسخ والمنسوخ» للنحاس (٢/ ٢٩٣).

قوله: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ﴾ فيه تعجيب له ﷺ من تحكيمهم إياه، مع كونهم لا يؤمنون به ولا بما جاء به، مع أن ما يُحكِّمونه فيه هو موجود عندهم في التوراة كالرّجم، ونحوه، وإنما يأتون إليه ﷺ ويُحكِّمونه طمعاً منهم في أن يوافق تحريفهم، وما صنعوه بالتوراة مِنْ التغيير.

قوله: ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ﴾ عطف على يحكمونك ﴿مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: من بعد تحكيمهم لك، وجملة قوله: ﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ لتقرير مضمون ما قبلها.

وقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ استئناف يتضمن تعظيم التوراة، وتفخيم شأنها وأن فيها الهدى والنور، وهو بيان الشرائع، والتبشير بمحمد ﷺ وإيجاب اتباعه [٢/٢٨].

قولُه: ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ﴾ هم أنبياء بني إسرائيل، والجملة إما مستأنفة أو حالية، و﴿ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟﴾ صفة مادحة للنبيين، وفيه إرغام لليهود المعاصرين له ﷺ بأن أنبياءهم كانوا يدينون بدين الإسلام الذي دان به محمد ﷺ؛ وقيل: المراد بالنبيين: محمد ﷺ، وعبّر عنه بلفظ الجمع تعظيماً.

قوله: ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ متعلق بيحكم. والمعنى: أنّه يحكم بها النبيون للذين هادوا وعليهم.

والربانيون العلماء الحكماء، وقد سبق تفسيره، والأحبار: العلماء، مأخوذ من التحبير وهو التحسين فهم يُحبّرون العلم؛ أي: يُحسّنونه. قال الجوهري[١]: الحبر واحد أحبار اليهود بالفتح وبالكسر والكسر أفصح. وقال الفرّاء[٢]: هو بالكسر، وقال أبو عُبيد[٣]: هو بالفتح.

قوله: ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ الباء للسببية واستحفظوا أُمروا بالحفظ؛ أي: أمرهم الأنبياء بحفظ التوراة عَنْ التغيير والتبديل، والجار والمجرور متعلق بيحكم؛ أي: يحكمون بها بسبب هذا الاستحفاظ.

قوله: ﴿وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ﴾؛ أي: على كتاب الله، والشهداء الرقباء، فهم

(١) في «الصحاح» (٢/ ٦٢٠ ـ ٦٢١). (٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٧/ ٤٩٦).
(٣) في «الغريبين» (٢/ ٣٩٧).

يحمونه عن التغيير والتبديل بهذه المراقبة، والخطاب بقوله: ﴿فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ﴾ لرؤساء اليهود، وكذا في قوله: ﴿وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَـٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًاۚ﴾ والاشتراء: الاستبدال، وقد تقدّم تحقيقه.

قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ لفظ ﴿وَمَن﴾ من صيغ العموم فيفيد أن هذا غير مختص بطائفة معينة؛ بل بكل من ولي الحكم؛ وقيل: إنها مختصة بأهل الكتاب؛ وقيل: بالكفار مطلقاً لأن المسلم لا يكفر بارتكاب الكبيرة؛ وقيل: هو محمول على أن الحكم بغير ما أنزل الله، وقع استخفافاً، أو استحلالاً، أو جحداً.

والإشارة بقوله: ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ﴾ إلى «مَنْ»، والجمع باعتبار معناها، وكذلك ضمير الجماعة في قوله: ﴿هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾.

وقد أخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس[1] في قوله: ﴿لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ﴾ قال: هم اليهود ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْۛ﴾ قال: هم المنافقون.

وأخرج أحمد، وأبو داود، وابن جرير، وابن المنذر والطبراني، وأبو الشيخ، وابن مردويه عنه[2] قال: إن الله أنزل: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾، ﴿ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، ﴿ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧]، أنزلها الله في طائفتين من اليهود، قهرت إحداهما الأخرى في الجاهلية حتى اصطلحوا على أن كل قتيل قتلته العزيزة من الذليلة فديته خمسون وَسْقاً، وكل قتيل قتلته الذليلة من العزيزة فديته مائة وسق، فكانوا على ذلك حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة، فذلت الطائفتان كلتاهما لمقدم رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ يومئذ لم يظهر عليهم، فقتلت الذليلة من العزيزة، فأرسلت العزيزة إلى الذليلة أن ابعثوا إلينا بمائة وسق، فقالت الذليلة: وهل كان هذا في حيين قط دينهما واحد ونسبهما واحد، وبلدهما واحد، ودية بعضهم نصف دية بعض؟ إنما أعطيناكم هذا ضَيماً منكم لنا وفَرَقاً منكم، فأما إذ قدم محمد ﷺ، فلا نعطيكم ذلك، فكانت الحرب تهيج بينهما،

(١) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٧٤) وهو عند ابن أبي حاتم في «تفسيره» رقم (٦٣٥١).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٤٦١ ـ ٤٦٢)، وأحمد في «مسنده» (٤/ ٨٨ ـ ٩٠)، وأبو داود رقم (٣٥٧٦)، والطبراني رقم (١٠٧٣٢) بسند صحيح.

ثم ارتضوا على أن جعلوا رسول الله ﷺ بينهما، ففكّرت العزيزة، فقالت: والله ما محمد يعطيكم منهم ضعف ما يعطيهم منكم، ولقد صدقوا، ما أعطونا هذا إلا ضَيماً وقهراً لهم، فدسوا إلى رسول الله ﷺ مَنْ يخبر لكم رأيه، فإن أعطاكم ما تريدون حكّمتوه، وإن لم يعطكم حَذرْتموه ولم تحكّموه؛ فدسّوا إلى رسول الله ﷺ ناساً مِنْ المنافقين يختبرون لهم رأيه، فلما جاءوا رسولَ الله ﷺ، أخبر اللهُ رسولَه بأمرهم كله وما أرادوا، فأنزل الله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ ثم قال: «فيهم: والله أنزلت وإياهم عَنَى».

وأخرج عبد الرزاق، وأحمد، وعبد بن حميد، وأبو داود، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «الدلائل» عن أبي هريرة(١)، قال: أوّل مرجومٍ رجمه رسولُ الله ﷺ مِنْ اليهود زنى رجل منهم وامرأةٌ، فقال بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى هذا النبيّ، فإنّه نبيّ بُعث بالتخفيف، فإن أفتانا بفتيا دون الرجم قبلناها واحتججنا بها عند الله وقلنا: فتيا نبيّ مِنْ أنبيائك، قال: فأتوا النبيّ ﷺ، وهو جالس في المسجد وأصحابه، فقالوا: يا أَبا القاسم ما ترى في رجلٍ وامرأة منهم زنيا، فلم يكلمهم حتى أتَى بيت مِدْراسهم، فقام على الباب فقال: «أنشُدُكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى، ما تجدون في التوراة على مَنْ زنى إذا أحصن؟» قالوا: يُحمّم ونُجَبِّيهِ ويُجلد ـ والتجبيةُ: أَنْ يحمل الزانيان على حمار وتقابل أقفيتهما ويطاف بهما ـ وسكت شابٌ منهم، فلما رآه النبي ﷺ سكت ألظّ به النِّشْدة فقال: اللّهُمَّ إذْ نشدتنا نجب فإنّا نجد في التوراة الرجمَ، فقال النبيّ ﷺ: «فما أوّل ما ارتخصتم أمر الله؟» قال: زنى رجل ذو قرابة مِنْ ملك من ملوكنا، فأخّر عنه الرجم، ثم زنى رجل في أسرة مِنْ الناس فأراد رجمه، فحال قومُه دونه، وقالوا: والله لا ترجم صاحبنا حتى تجيء بصاحبك فترجمه، فاصطلحوا هذه العقوبة بينهم، قال النبي ﷺ: «فإنّي أحكم بما في التوراة»، فأمر بهما فَرُجما.

قال الزهري: فبلغنا أنَّ هذه الآية نزلت فيهم: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟﴾ فكان النبيّ ﷺ منهم [٢/٢٩].

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/٤١٤ ـ ٤١٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ٢٤٦)، وفي «الدلائل» (٦/ ٢٧٠)، وأبو داود رقم (٤٤٥١)، وابن إسحاق (١/ ٥٦٤ ـ «السيرة النبوية»). وهو حديث ضعيف والله أعلم.

وأخرجه ابن إسحاق، وابن جرير، وابن المنذر، والبيهقي في «سننه»، من طريق أخرى عن أبي هريرة[١]، وذكر فيه أن الشاب المذكور هو عبد الله بن صُوريا.

وأخرج نحو حديث أبي هريرة أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي من حديث البراء بن عازب[٢].

وأخرج البخاري ومسلم، وغيرهما، مِنْ حديث عبد الله بن عمر[٣]: أن اليهود جاءوا إلى رسول الله ﷺ، فذكروا له أن رجلاً منهم وامرأة زنيا، فقال لهم رسول الله ﷺ: «ما تجدون في التوراة؟» قالوا: نفضحهم ويجلدون. قال عبد الله بن سلام: كذبتم إنَّ فيها آيةَ الرجم، فأتوا بالتوراة فنشروها، فوضع أحدهم يده على آية الرجم، فقرأ ما قبلها وما بعدها، فقال عبد الله بن سلام: ارفع يدك، فرفع يده فإذا آية الرجم، قالوا: صدق، فأمر بهما رسول الله ﷺ فَرُجما.

وأخرج ابنُ جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن جابر بن عبد الله[٤] في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ﴾ قال: يهود المدينة ﴿سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ﴾ قال: يهود فَدَك ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ﴾ قال: يهود فدك يقولون ليهود المدينة: ﴿إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا﴾ الجلد ﴿فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْ﴾ الرجم.

وأخرج أبو داود، وابن ماجه، وابن المنذر، وابن مردويه، عنه[٥] قال: زنى رجل مِنْ أهل فَدَك، فكتب أهلُ فَدَك إلى ناسٍ من اليهود بالمدينة أن سلوا محمداً، وذكر القصة.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/٤١٦ ـ ٤١٨)، والبيهقي في «الدلائل» (٦/٢٦٩، ٢٧٠)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (١/١٨٩، ١٩٠)، وفي «مصنفه» رقم (١٣٣٣٠)، وابن إسحاق (١/٥٦٦ ـ ٥٦٨ ـ السيرة النبوية). وهو حديث ضعيف، والله أعلم.

(٢) أخرجه أحمد رقم (١٨٥٦٢، ١٨٦٦٣)، ومسلم رقم (١٧٠٠)، وأبو داود رقم (٤٤٤٧، ٤٤٤٨)، والنسائي في «الكبرى» رقم (٧٢١٨، ١١١٤٤)، وابن جرير في «جامع البيان» (٨/٤١٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/١١٣٢ رقم ٦٤٦٥)، والبيهقي (٨/٢٤٦)، وابن أبي شيبة (٦/٥٠١، ١٤/٤٨). وهو حديث صحيح.

(٣) أخرجه البخاري رقم (٣٦٣٥)، ومسلم رقم (١٦٩٩).

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/٤١٩، ٤٢٠)، وابن أبي حاتم في«تفسيره» (٤/١١٣٠، ١١٣١ رقم ٦٣٥٤، ٦٣٥٧). وهو حديث صحيح.

(٥) أخرجه أبو داود رقم (٤٤٥٢، ٤٤٥٥)، وابن ماجه رقم (٢٥٥٧) وهو حديث صحيح.

وأخرج ابن جرير[(١)] عن ابن عباس في قوله: ﴿أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ﴾ قال: أخذوا الرشوة في الحكم وقضوا بالكذب.

وأخرج عبد الرزاق، والفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن ابن مسعود[(٢)] قال: السُّحْت: الرشوة في الدين. قال سفيان: يعني: في الحُكْم.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، والبيهقي في «شعب الإيمان»، عن ابن مسعود[(٣)] أيضاً قال: مَنْ شَفع لرجل ليدفع عنه مظلمةً، أو يردّ عليه حقّاً، فأهدى له هدية فقبلها، فذلك السحت، فقيل له: يا أبا عبد الرحمٰن إنا كنا نعدّ السُّحتَ الرشوة في الحكم، فقال: ذلك الكفر ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ وقد روي نحو هذا عنه من طرق.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس[(٤)] قال: رشوة الحكام حرام. وهي السحت الذي ذكر الله في كتابه.

وأخرج عبد بن حميد عن زيد بن ثابت[(٥)] قال: السحت الرشوة.

وأخرج عبد بن حميد[(٦)] عن عليّ بن أبي طالب أنه سئل عن السحت فقال: الرشا، فقيل له: في الحكم، قال: ذاك الكفر.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير عن عمر[(٧)] قال: بابان من السحت يأكلهما الناس: الرشاء في الحكم، ومهر الزانية.

وقد ثبت عن رسول الله ﷺ في تحريم الرشوة ما هو معروف.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٤٣٣) بسند ضعيف.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٤٣٠)، وعبد الرزاق في مصنفه رقم (١٤٦٦٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٣٤) رقم (٦٣٨) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٣٤ رقم ٦٣٨٢)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٥٥٠٤).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٣٤ رقم ٦٣٧٩) بسند صحيح.

(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٨١).

(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٨١).

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٤٣٤)، وعبد بن حميد كما في «التغليق» (٣/ ٢٨٦) مرسلاً بسند صحيح.

وأخرج أبو داود في ناسخه، وابن أبي حاتم، والطبراني، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «سُنَنِه»، عن ابن عباس[١] قال: آيتان نُسختا من سورة المائدة: آية القلائد، وقوله: ﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ﴾، فكان رسول الله ﷺ مُخيراً: إن شاء حكم بينهم، وإن شاء أعرض عنهم، فردّهم إلى أحكامهم، فنزلت: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ [المائدة: ٤٩] قال: فأمر رسول الله ﷺ أن يحكم بينهم بما في كتابنا.

وأخرج نحوه في الآية الآخرة عنه[٢] أبو عُبيد وابن المنذر، وابن مردويه.

وأخرج عبد الرزاق[٣] عن عكرمة نحوه.

وأخرج ابن إسحاق، وابن جرير، وابن المنذر، والطبراني، وأبو الشيخ، وابن مردويه عن ابن عباس[٤] أن الآيات من المائدة التي قال فيها: ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ إنما نزلت في الدية مِنْ بني النضير وقريظة، وذلك أن قتلى بني النضير كان لهم شرف يودون الدية كاملة، وأن بني قريظة كانوا يودون نصفَ الدية، فتحاكموا في ذلك إلى رسول الله ﷺ، فأنزل الله ذلك فيهم، فحملهم رسول الله ﷺ على الحق في ذلك، فجعل الدية سواء.

وأخرج نحوه عنه[٥] ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، وابن مردويه، والحاكم وصححه، والبيهقي في «سننه».

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه[٦] في قوله: ﴿وَعِندَهُمُ

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٣٥، ١١٣٦ رقم ٦٣٨٨)، والطبراني رقم (١١٠٥٤)، والحاكم (٢/ ٣١٢)، والبيهقي (٨/ ٢٤٨)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص٣٩٧) بسند صحيح.

(٢) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٨٣).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ١٩٠) وفي «المصنف» رقم (١٠٠١٠، ١٩٢٣٩)، وابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٤٤٣) بسند حسن.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٤٣٧ ـ ٤٣٨)، وابن إسحاق (١/ ٥٦٦ ـ السيرة النبوية)، والطبراني رقم (١١٥٧٣) بسند صحيح.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٤٣٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٣٦ رقم ٢٣٩١)، والحاكم (٤/ ٣٦٦، ٣٦٧)، والبيهقي (٨/ ٢٤)، وابن أبي شيبة (٩/ ٤٣٢، ٤٣٣) بسند صحيح.

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٤٤٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٣٧ =

﴿ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ﴾؛ يعني: حدود الله فأخبره الله بحكمه في التوراة، قال: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌۚ﴾ [المائدة: ٤٥].

وأخرج عبد بن حُميد، وابن جرير، وأبو الشيخ عن الحسن[(١)] في قوله: ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ﴾؛ يعني: النبي ﷺ ﴿لِلَّذِينَ هَادُواْ﴾؛ يعني: اليهود.

وأخرج ابن جرير[(٢)] عن عكرمة قال: الذين أسلموا النبي ومَنْ قبله من الأنبياء يحكمون بما فيها من الحق.

وأخرج ابن جرير[(٣)] عن الحسن قال: الربّانيون والأحبار: الفقهاءُ والعلماء.

وأخرج عَنْ مجاهد[(٤)] قال: الربانيون: العلماء الفقهاء، وهم فوق الأحبار.

وأخرج ابنُ أبي حاتم[(٥)] عن الحسن قال: الربانيون: العبّاد، والأحبار: العلماء.

وأخرج ابن أبي حاتم[(٦)] عن ابن عباس قال: الربانيون الفقهاء العلماء.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم[(٧)] عنه قال: الربانيون: هم المؤمنون، والأحبار: هم القرّاء.

وأخرج ابن جرير[(٨)]، عن السدي ﴿فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ﴾ فتكتموا ما أَنزلتُ ﴿وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًاۚ﴾ على أَنْ تكتموا ما أنزلت.

وأخرج ابن جرير[(٩)] عن ابن زيد ﴿وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًاۚ﴾ قال: لا تأكلوا السُّحْتَ على كتابي.

= رقم (٦٣٩٥) بسند صحيح.

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٤٥١) بسند حسن.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٤٥١) بسند حسن.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٤٥٣) بسند ضعيف.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٤٥٣)، وسعيد بن منصور في «سننه» رقم (٧٦٧ ـ تفسير)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٣٩ رقم ٦٤٠٦) بسند صحيح.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٣٩ رقم ٦٤٠٧) بسند صحيح.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٣٩ رقم ٦٤٠٥) بسند ضعيف.

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٤٥٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٣٩، ١١٤٠ رقم ٦٤٠٩، ٦٤١٣) بسند ضعيف.

(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٤٥٦) بسند حسن.

(٩) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٤٥٥ ـ ٤٥٦) بسند صحيح.

وأخرج ابنُ جرير، وابن المنذر، وابنُ أَبي حاتم، عن ابن عباس[١] في قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم﴾ يقول: مَنْ جحد الحكم بما أنزل الله فقد كفر، ومن أقرّ به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق.

وأخرج الفريابي، وسعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، والبيهقي في «سُننه»، عن ابن عباس[٢] في قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ الْكَـٰفِرُونَ﴾ قال: إنه ليس بالكفر الذي يذهبون إليه، وإنه ليس كفر ينقل مِنْ الملّة بل كفرٌ دون كفر.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر عن عطاء بن أبي رباح[٣] في قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ الْكَـٰفِرُونَ﴾، ﴿هُمُ الظَّـٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، ﴿هُمُ الْفَـٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧] قال: كفر دون كفر وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق.

وأخرج سعيد بن منصور، وأبو الشيخ، وابن مردويه عن ابن عباس[٤] قال: إنما أنزل الله ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ الْكَـٰفِرُونَ﴾ ـ و ـ ﴿الظَّـٰلِمُونَ﴾ ـ و ـ ﴿الْفَـٰسِقُونَ﴾ في اليهود خاصة. وقد روى نحو هذا عن جماعة من السلف [٢/٣٠].

وأخرج عبد الرزاق، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، عن حُذيفة[٥]، أن هذه الآيات ذكرت عنده ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ الْكَـٰفِرُونَ﴾ و﴿الظَّـٰلِمُونَ﴾ و﴿الْفَـٰسِقُونَ﴾ فقال رجل: إن هذا في بني إسرائيل، فقال حذيفة: نعم الإخوة لكم بنو إسرائيل، إن كان لكم كل حُلْوة ولهم كل مُرّة كلّا والله، لتسلكنّ طريقهم قِدّ الشراك.

وأخرج ابن المنذر[٦] نحوه عن ابن عباس.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٤٦٧، ٤٦٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٤٢، ١١٤٦ رقم ٦٤٢٦، ٦٤٥٠) بسند صحيح.

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في «سننه» رقم (٧٤٩ ـ تفسير)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٤٢ رقم ٦٤٣٤)، والحاكم (٢/ ٣١٣)، والبيهقي (٨/ ٢٠) بسند ضعيف.

(٣) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٨٧).

(٤) أخرجه سعيد بن منصور في «سننه» رقم (٧٥٠ ـ تفسير) بسند ضعيف. وهو صحيح لغيره.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٤٥٩)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ١٩١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٤٣ رقم ٦٤٣٠)، والحاكم (٢/ ٣١٢).

(٦) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٨٨).

[المساواة في الدماء، والمساواة في العقوبة]:

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًاۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

قوله: ﴿وَكَتَبْنَا﴾ معطوف على أنزلنا التوراة، ومعناها: فرضنا. بيَّن الله سبحانه في هذه الآية ما فرضَه على بني إسرائيل مِن القَصاص في النفس، والعين، والأنف، والأذن، والسنّ، والجروح. وقد استدلّ أبو حنيفة(١) وجماعة من أهل العلم بهذه الآية فقالوا: إنه يُقتل المسلمُ بالذميّ لأنّه نفس.

وقال الشافعي(٢) وجماعة من أهل العلم: إن هذه الآية خبر عن شرع من قبلنا وليس بشرع لنا.

وقد قدّمنا في البقرة في شرح قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَىۖ﴾ [البقرة: ١٧٨] ما فيه كفاية.

---

(١) «البناية في شرح الهداية» (١٢/ ١٠٤)، و«مختصر اختلاف العلماء» (٥/ ١٥٥).

(٢) «الأم» (٧/ ٩٨).

وقد اختلف أهل العلم في شرع من قبلنا هل يلزمنا أم لا؟ فذهب الجمهور[١] إلى أنه يلزمنا إذا لم ينسخ، وهو الحق.

وقد ذكر ابن الصبّاغ[٢] في «الشامل» إجماع العلماء على الاحتجاج بهذه الآية على ما دلت عليه[٣].

قال ابن كثير[٤] في «تفسيره»: وقد احتج الأئمة كلُّهم على أن الرجل يُقتل بالمرأة لعموم هذه الآية الكريمة. انتهى.

وقد أوضحنا ما هو الحق في هذا في شرحنا على «المنتقى»[٥].

وفي هذه الآية توبيخ لليهود وتقريع؛ لكونهم يخالفون ما كتبه الله عليهم في التوراة كما حكاه هنا، ويفاضلون بين الأنفس كما سبق بيانه، وقد كانوا يَقيدون بني النضير من بني قريظة، ولا يَقيدون بني قريظة من بني النضير.

قولُه: ﴿وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ﴾ قرأ نافع وعاصم والأعمش وحمزة بالنصب[٦] في جميعها على العطف.

وقرأ ابن كثير، وابن عامر، وأبو عمرو، وأبو جعفر بالنصب أيضاً في الكل إلا في الجروح[٧] فبالرفع.

وقرأ الكسائي[٨]، وأبو عُبيد بالرفع في الجميع عطفاً على المحل؛ لأن النفس قبل دخول الحرف الناصب عليها كانت مرفوعة على الابتداء.

---

(١) «إرشاد الفحول» (ص٧٨٣)، ط. ابن كثير. و«البحر المحيط» للزركشي (٦/ ٤٠).
(٢) ذكره ابن كثير في «تفسيره» (٥/ ٢٣٤).
(٣) «أحكام القرآن» لابن العربي (٢/ ١٢٢)، و«المغني» (١١/ ٥٠٠).
(٤) في «تفسيره» (٥/ ٢٣٤).
(٥) في «نيل الأوطار» (١٣/ ٣٩ ـ ٥٢)، ط. ابن الجوزي.
(٦) «التيسير» (ص٩٩)، و«النشر» (٢/ ٢٥٤)، و«زاد المسير» (٢/ ٣٦٧)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٠٩)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٢/ ٢٢). ومع مَن ذكر يعقوب وخلف.
(٧) انظر: المصادر المتقدمة. وهي قراءة متواترة ولكن الجميع متفقون على نصب «النفسَ» وإنما الخلاف بين القرّاء مِنْ «العين» إلى «الجروح».
(٨) «النشر» (٢/ ٢٥٤)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٠٩)، و«حاشية الجمل» (١/ ٤٩٤)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٢٢)، و«التبصرة» (ص٤٨٥). وهي قراءة متواترة.

وقال الزّجاج[١]: يكون عطفاً على المضمر في النفس؛ لأن التقدير: إن النفس هي مأخوذة بالنفس؛ فالأسماء معطوفة على هي.

قال ابن المنذر[٢]: ومَنْ قرأ بالرفع جعل ذلك ابتداء كلام يتضمن بيان الحكم للمسلمين.

والظاهر مِنْ النظم القرآني: أَنَّ العين إذا فقئت حتى لم يبق فيها مجال للإدراك أنها تفقأ عين الجاني بها، والأنف إذا جدعت جميعها فإنها تجدع أنف الجاني بها، والأذن إذا قطعت جميعها فإنها تقطع أذن الجاني بها، وكذلك السنّ؛ فأما لو كانت الجناية ذهبت ببعض إدراك العين، أو ببعض الأنف، أو ببعض الأذن، أو ببعض السنّ، فليس في هذه الآية ما يدلّ على ثبوت القصَاص.

وقد اختلف أهل العلم[٣] في ذلك إذا كان معلوم القدر يمكن الوقوف على حقيقته، وكلامهم مدوّن في كتب الفروع.

والظاهر مِنْ قوله: ﴿وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ﴾: أنه لا فرق بين الثنايا والأنياب والأضراس والرباعيات، وأَنَّه يؤخذ بعضها ببعض؛ ولا فضل لبعضها على بعض. وإليه ذهب أكثر أهل العلم، كما قال ابن المنذر[٤]، وخالف في ذلك عمر بن الخطاب[٥] رضي الله عنه ومن تبعه، وكلامهم مدوّن في مواطنه، ولكنه ينبغي أن يكون المأخوذ في القصاص مِنْ الجاني هو المماثل للسنّ المأخوذة من المجنيّ عليه، فإن كانت ذاهبة فما يليها.

قوله: ﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌۚ﴾؛ أي: ذوات قصاص. وقد ذكر أهل العلم[٦] أنه

---

(١) في «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٧٩). (٢) في «الإشراف» (٢/ ١٥٥).

(٣) انظر: «البناية في شرح الهداية» (١٢/ ٢١١)، و«المبسوط» (٢٦/ ٧٥)، و«الأم» (٧/ ٢٩٧)، و«البيان» للعمراني (١٢/ ٦ ـ ٧)، و«عيون المجالس» (٥/ ٢٠٢٠)، و«المغني» (٢/ ١٢١ ـ ١٢٢).

(٤) في «الإشراف» (٢/ ١٥٩).

(٥) انظر: «التمهيد» (١٧/ ٣٧٣ ـ ٣٧٤)، و«الموطأ» (٢/ ٨٦١).

(٦) انظر: «بدائع الصنائع» (٧/ ٣٠٣)، و«مدونة الفقه المالكي» أدلته (٤/ ٥١١)، و«البيان» للعمراني (١١/ ٤١٢).

لا قصاص في الجروح التي يخاف منها التلف، ولا فيما كان لا يُعرف مقداره عُمْقاً أو طولاً أو عرضاً.

وقد قدّر أئمة الفقه أَرش كلِّ جراحة بمقادير معلومة، وليس هذا موضع بيان كلامهم، ولا موضع استيفاء بيان ما ورد له [٢/٣١] أرش مقدّر.

قولُه: ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾؛ أي: من تصدّق من المستحقين للقصاص بالقصاص، بأن عفا عن الجاني فهو كفارة للمتصدّق، يكفِّر الله عنه بها ذنوبَه. وقيل: إنّ المعنى: فهو كفارة[١] للجارح فلا يؤاخذ بجنايته في الآخرة؛ لأن العفو يقوم مقام أخذ الحق منه.

والأوّل أرجح؛ لأنّ الضمير يعود على هذا التفسير الآخر إلى غير مذكور.

قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ ضمير الفصل مع اسم الإشارة، وتعريف[٢] الخبر يستفاد منها أن هذا الظلم الصادر منهم ظلم عظيم بالغ إلى الغاية.

قولُه: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ هذا شروع في بيان حكم الإنجيل بعد بيان حكم التوراة؛ أي: جعلنا عيسى ابن مريم يقفو آثارهم؛ أي: آثار النبيين الذين أَسلموا من بني إسرائيل، يقال: قفّيتُه مثل عقّبته: إذا أتبعتَه؛ ثم يقال: قفيته بفلان وعقّبته به فيتعدى إلى الثاني بالباء، والمفعول الأول محذوف استغناءً عنه بالظرف، وهو على آثارهم؛ لأنّه إذا قفّى به على أثره فقد قَفَى به إيّاه، وانتصاب ﴿مُصَدِّقًا﴾ على الحال مِنْ عيسى[٣] ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾ عطف على قفينا، ومحل الجملة أعني: ﴿فِيهِ هُدًى﴾ النصب على الحال من الإنجيل ﴿وَنُورٌ﴾ عطف على هدى.

وقوله: ﴿وَمُصَدِّقًا﴾ معطوف على محل ﴿فِيهِ هُدًى﴾؛ أي: أن الإنجيل أوتيه عيسى حال كونه مشتملاً على الهدى والنور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة؛ وقيل:

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٣٣)، و«الإشراف» (٢/ ١٨١ ـ ١٨٢)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ١١٦).

(٢) «روح المعاني» (٧/ ٢٢٧)، و«البحر المحيط» (٤/ ٢٧٧).

(٣) انظر: «روح المعاني» (٧/ ٣٣١)، و«التبيان» (١/ ٤٣٩).

إن مصدّقاً[(١)] معطوف على مصدّقاً الأوّل، فيكون حالاً من عيسى مؤكداً للحال الأول ومقرّراً له. والأوّل أولى؛ لأن التأسيس خير مِنْ التأكيد.

قوله: ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ عطف على مصدّقاً داخل تحت حكمه، منضماً إليه؛ أي: مصدقاً وهادياً وواعظاً للمتقين.

قولُه: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ هذا أمر لأهل الإنجيل بأن يحكموا بما أنزل الله فيه، فإنه قبل البعثة المحمدية حق، وأما بعدها فقد أمروا في غير موضع بأن يعملوا بما أُنزل الله على محمد ﷺ في القرآن الناسخ لكل الكتب المنزلة.

وقرأ الأعمش وحمزة بنصب[(٢)] الفعل مِنْ يحكم على أن اللام لام كي.

وقرأ الباقون[(٣)] بالجزم على أن اللام للأمر. فعلى القراءة الأولى، تكون اللام متعلقة بقوله: وآتيناه الإنجيل ليحكمَ أهلهُ بما أنزل الله فيه، وعلى القراءة الثانية: هو كلام مستأنف.

قال مكي[(٤)]: والاختيار الجزم؛ لأن الجماعة عليه، ولأن ما بعده من الوعيد والتهديد يدلّ على أنه إلزام من الله لأهل الإنجيل.

وقال النحاس[(٥)]: والصواب عندي: أنهما قراءتان حسنتان؛ لأن الله سبحانه لم ينزل كتاباً إلا ليعمل بما فيه.

قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ خطاب لمحمد ﷺ، والكتاب: القرآن والتعريف للعهد، و﴿بِالْحَقِّ﴾ متعلق بمحذوف وقع حالاً؛ أي: متلبساً بالحق؛ وقيل: هو حال من فاعل أنزلنا؛ وقيل: من ضمير النبي ﷺ و﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ حال من الكتاب، والتعريف في الكتاب، أعني: قوله: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ﴾

---

(١) «التبيان» (١/ ٥٣٩)، و«البحر المحيط» (٤/ ٢٧٩)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٢٣).

(٢) «التيسير» (ص٩٩)، و«النشر» (١/ ٢٥٤)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤١٠)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٢٣)، و«زاد المسير» (٢/ ٢٦٨)، و«جامع البيان» (٨/ ٤٨٣ ـ ٤٨٤).

(٣) انظر: المصادر المتقدمة. وهما قراءتان متواترتان.

(٤) في «الكشف عن وجوه القراءات السبع» (١/ ٤١١).

(٥) في «إعراب القرآن» له (٢/ ٢٣).

للجنس[١]؛ أي: أنزلنا إليك يا محمد القرآن حال كونه مُتلبِّساً بالحق، وحال كونه مصدّقاً لما بين يديه من كتب الله المنزلة؛ لكونه مشتملاً على الدعوة إلى الله، والأمر بالخير، والنهي عن الشرّ، كما اشتمل عليه قوله: ﴿وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ﴾ عطف على مصدّقاً، والضمير في «عليه» عائد إلى الكتاب الذي صدّقه القرآن وهيمن عليه. والمهيمن: الرقيبُ؛ وقيل: الغالبُ المرتفع؛ وقيل: الشاهدُ، وقيل: الحافظ؛ وقيل: المؤتمن[٢].

قال المبرد[٣]: أصله مُؤَيْمن أبدل مِنْ الهمزة هاء، كما قيل في أَرَقْتُ الماء هرقتُ، وبه قال الزجّاج[٤] وأبو عليّ الفارسي[٥].

وقال الجوهري[٦]: هو مِنْ آمن غيره من الخوف، وأصله أَأْمَنَ بهمزتين فهو مؤأمِن بهمزتين قُلبت الثانيةُ ياءً كراهة لاجتماعهما، فصار مُؤَيْمن ثم صيرت الأولى هاء، كما قالوا: هَراق الماءَ وأَراقه، يقال: هيمن على الشيء يُهيمن: إذا كان له حافظاً، فهو له مُهيمن كذا عَنْ أبي عُبيد[٧].

وقرأ مجاهد وابن مُحيصن: «مُهَيْمَناً عليه» بفتح الميم[٨]؛ أي: هَيمَنَ عليه الله سبحانه.

والمعنى على قراءة الجمهور[٩]: أنَّ القرآن صار شاهداً بصحة الكتب المنزلة، ومقرِّراً لما فيها ممّا لم ينسخ، وناسخاً لما خالفه منها، ورقيباً عليها، وحافظاً لما فيها مِنْ أصول الشرائع، وغالباً لها لكونه المرجع في المُحْكَم منها والمنسوخ، ومؤتمناً عليها لكونه مشتملاً على ما هو معمول به منها وما هو مَتْروك.

---

(١) «التبيان» (١/ ٥٤١)، و«روح المعاني» (٧/ ٢٣١).
(٢) انظر: «جامع البيان» (٨/ ٤٨٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٣٥ ـ ٣٦).
(٣) انظر: «معاني القرآن» للنحاس (٢/ ٣١٨)، و«زاد المسير» (٢/ ٣٧٠).
(٤) «معاني القرآن» (٢/ ١٨٠).
(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٨/ ٣٦).
(٦) في «الصحاح» (٦/ ٢٢١٧ ـ ٢٢١٨).
(٧) انظر: الغريبين (٦/ ١٩٤٣).
(٨) «القراءات الشاذة» (ص٣٢)، و«حاشية الشهاب» (٣/ ٢٥)، و«البحر المحيط» (٤/ ٢٨٢).
● مهيمَناً بفتح الميم الثانية ـ وهو شاذ ـ. وفي «حاشية الجمل» (١/ ٤٩٦): بفتح الميم الثانية على أنه اسم مفعول، بمعنى أنّه حفظ عليه من التغيير والتبديل والحافظ هو الله تعالى.
(٩) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٣٧)، و«البحر المحيط» (٤/ ٢٨٢)، و«روح المعاني» (٧/ ٢٣٢ ـ ٢٣٣).

قوله: ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ﴾؛ أي: بما أنزله إليك في القرآن؛ لاشتماله على جميع ما شرعه الله لعباده في جميع الكتب السابقة عليه ﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾؛ أي: أهواء أهل الملل السابقة.

وقولُه: ﴿عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ﴾ مُتعلِّق «بلا تتبع» على تضمينه معنى لا تعدل أو لا تنحرف ﴿عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ﴾ متبعاً لأهوائهم؛ وقيل: متعلق بمحذوف؛ أي: لا تتبع أهواءهم عادلاً أو منحرفاً عَنْ الحق.

وفيه النهي له ﷺ عن أن يتبع أهوية أهل الكتاب، ويعدل عن الحق الذي أنزله الله عليه، فإنّ كل ملة من الملل تهوى أن يكون الأمر على ما هم عليه، وما أدركوا عليه سلفهم، وإن كان باطلاً منسوخاً أو محرّفاً عن الحكم الذي أنزله الله على الأنبياء، كما وقع في الرجم ونحوه مما حرفوه من كتب الله [٢/٣٢].

قوله: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾ الشرعة والشريعة في الأصل: الطريقة الظاهرة التي يتوصل بها إلى الماء، ثم استُعملت فيما شرعه الله لعباده من الدين.

والمنهاج: الطريقة الواضحة البيّنة.

وقال أبو العباس(١) محمد بن يزيد المبرِّد: الشريعة: ابتداء الطريق، والمنهاج: الطريق المستمر.

ومعنى الآية: أنّه جعل التوراة لأهلها، والإنجيل لأهله، والقرآن لأهله، وهذا قبل نسخ الشرائع السابقة بالقرآن، وأما بعده فلا شرعة ولا منهاج إلا ما جاء به محمد ﷺ.

قوله: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ بشريعة واحدة، وكتاب واحدٍ، ورسول واحد ﴿وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ﴾؛ أي: ولكن لم يشأ ذلك الاتحاد؛ بل شاء الابتلاء لكم باختلاف الشرائع، فيكون ﴿لِّيَبۡلُوَكُمۡ﴾ متعلّقاً بمحذوف دلّ عليه سياق الكلام وهو ما ذكرنا.

ومعنى: ﴿فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ﴾: فيما أنزله عليكم مِنْ الشرائع المختلفة باختلاف الأوقات والرسل؛ هل تعملون بذلك وتذعنون له، أو تتركونه وتخالفون ما اقتضته مشيئة الله وحكمته، وتميلون إلى الهوى، وتشترون الضلالة بالهدى؟

---

(١) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٣٩)، و«معاني القرآن» للنحاس (٢/ ٣١٩).

وفيه دليل على أن اختلاف الشرائع هو لهذه العلة، أعني: الابتلاء والامتحان، لا لكون مصالح العباد مختلفة باختلاف الأوقات والأشخاص.

قوله: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾؛ أي: إذا كانت المشيئة قد قضت باختلاف الشرائع فاستبقوا إلى فعل ما أمرتم بفعله وترك ما أمرتم بتركه. والاستباق: المسارعة. ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ لا إلى غيره وهذه الجملة كالعلّة لما قبلها.

قوله: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ عطف على الكتاب؛ أي: أنزلنا عليك الكتاب، والحكم بما فيه. وقد استدلّ بهذا على نسخ التخيير[(١)] المتقدّم في قوله: ﴿أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ وقد تقدم تفسير ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾.

قوله: ﴿وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾؛ أي: يضلوك عنه ويصرفوك بسبب أهوائهم التي يريدون منك أن تعمل عليها وتؤثرها ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾؛ أي: إن أعرضوا عن قبول حكمك بما أنزل الله عليك، فذلك لما أراده الله من تعذيبهم ببعض ذنوبهم وهو ذنب التولي عنك، والإعراض عما جئت به ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ متمرّدون عن قبول الحق خارجون عن الإنصاف.

قوله: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ الاستفهام للإنكار والتوبيخ، والفاء للعطف على مقدّر كما في نظائره.

والمعنى: أَيعرُضون عَنْ حكمك بما أنزل الله عليك، ويتولون عنه ويبتغون حكم الجاهلية، والاستفهام في ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ للإنكار أيضاً؛ أي: لا أحسن مِنْ حكم الله عند أهل اليقين لا عند أهل الجهل والأهواء.

وقد أخرج ابن المنذر[(٢)] عن ابن عباس: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا﴾ في التوراة. وأخرج عبد الرزاق وابن المنذر عنه[(٣)]، قال: كُتب عليهم هذا في التوراة، وكانوا يقتلون الحرّ بالعبد، فيقولون: كتب علينا أنَّ النفسَ بالنفس.

---

(١) «الناسخ والمنسوخ» للنحاس (٢/ ٢٩٤)، و«أحكام القرآن» لابن العربي (٢/ ٦٢٩).
(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٩١).
(٣) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» رقم (١٨١٣٤).

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في «سننه»، عن ابن عمرو[1] في قوله: ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾ قال: يُهدُم عنه من ذنوبه بقدر ما تصدّق به.

وأخرج ابن أبي حاتم[2] عن جابر بن عبد الله ﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾ قال: للمجروح.

وأخرج أحمد، والترمذي، وابن ماجه، عن أبي الدرداء[3] قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من مسلم يُصاب بشيءٍ في جسده فيتصدّق به إلا رفعه الله به درجةً وحط عنه به خطيئة».

وأخرج سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي عن ابن عباس[4] ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ قال: مؤتمناً عليه.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، والبيهقي[5] عنه قال: المهيمن الأمين، والقرآن أمين على كلِّ كتاب قبله.

وأخرج سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، وابن مردويه[6]، عنه في قوله: ﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ قال: سبيلاً وسُنَّة.

وأخرج ابن إسحاق، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «الدلائل»،

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٤٧٢)، وابن أبي شيبة (٩/ ٤٣٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٤٦ رقم ٦٤٤٨)، والبيهقي (٨/ ٥٤) بسند حسن.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٤٦ بإثر رقم ٦٤٤٩) من طريق شعبة عن عمارة؛ يعني ابن أبي حفصة به. سنده ضعيف.

(٣) أخرجه أحمد (٦/ ٤٤٨)، والترمذي رقم (١٣٩٣) وقال: «غريب»، وابن ماجه رقم (٢٦٩٣) وهو حديث ضعيف، والله أعلم.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٤٨٧)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (١٠٨)، وسعيد بن منصور في «سننه» رقم (٧٦٣ ـ تفسير) بسند ضعيف. وهو حديث حسن لغيره.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٤٨٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٥٠ رقم ٦٤٧٤)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (١٠٩) بسند صحيح.

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٤٩٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٥١ رقم ٦٤٨٥) بسند ضعيف.

عن ابن عباس(١) قال: قال كعب بن أسد، وعبد الله بن صُوريا وشاس بن قيس: اذهبوا بنا إلى محمد لعلنا أن نفتنه عن دينه، فأتوه فقالوا: يا مُحمد إنك قد عرفت أنّا أحبارُ يهود وأشرافهم وساداتهم، وإنا إن اتبعناك اتبعنا يهود، وإن بيننا وبين قومنا خصومة فنحاكمهم إليك، فتقضي لنا عليهم ونؤمن بك ونصدقك، فأبى ذلك، وأنزل الله فيهم: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ إلى قوله: ﴿لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن مجاهد(٢) في قوله: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ قال: يهود.

وأخرج عبد بن حميد(٣) عن قتادة قال: هذا في قتيل اليهود.

[الولاء للمؤمنين، والبراءة من الكفار والمشركين ومن اليهود والنصارى]:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ [٢/٣٣] إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ﴾ الظاهر: أنه خطاب(٤) للمؤمنين حقيقة؛

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/٥٠٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/١١٥٤ رقم ٦٤٩٨)، والبيهقي (٢/٥٣٣ ـ ٥٣٦)، وابن إسحاق (١/٥٦٧)، و«السيرة النبوية» لابن هشام بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/٥٠٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/١١٥٥ رقم ٦٥٠٣) بسند صحيح.

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/٩٧).

(٤) «جامع البيان» (٨/٥٠٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/٤٧)، و«أحكام القرآن» للكيا (٣/٨٢ ـ ٨٣).

وقيل: المراد بهم: المنافقون، ووصفهم بالإيمان باعتبار ما كانوا يظهرونه. وقد كانوا يوالون اليهود والنصارى فنهوا عن ذلك. والأَوْلى أَنْ يكون خطاباً لكل من يتصف بالإيمان أعمّ من أن يكون ظاهراً وباطناً أو ظاهراً فقط، فيدخل المسلم والمنافق، ويؤيد هذا قوله: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ والاعتبار بعموم اللفظ، وسيأتي في بيان سبب نزول الآية ما يتضح به المراد. والمراد من النهي عن اتخاذهم أولياء: أن يُعاملوا معاملة الأولياء في المصادقة والمعاشرة والمناصرة.

وقوله: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ تعليل للنهي[1]، والمعنى: أَنّ بعض اليهود أولياء البعض الآخر منهم، وبعض النصارى أولياء البعض الآخر منهم، وليس المراد بالبعض إحدى طائفتي اليهود والنصارى، وبالبعض الآخر: الطائفة الأخرى للقطع بأنهم في غاية من العداوة والشقاق ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ [البقرة: ١١٣] وقيل: المراد: أَنّ كل واحدة من الطائفتين توالي الأخرى وتعاضدها، وتناصرها على عداوة النبي ﷺ وعداوة ما جاء به، وإن كانوا في ذات بينهم متعادين متضادّين.

ووجه تعليل النهي بهذه الجملة: أنها تقتضي أن هذه الموالاة هي شأن هؤلاء الكفار لا شأنكم، فلا تفعلوا ما هو من فعلهم فتكونوا مثلهم، ولهذا عقّب هذه الجملة التعليلية بما هو كالنتيجة[2] لها فقال: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾؛ أي: فإنه مِنْ جملتهم وفي عدادهم، وهو وعيدٌ شديد فإنّ المعصية الموجبة للكفر، هي التي قد بلغت إلى غاية ليس وراءها غاية.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ تعليل للجملة التي قبلها؛ أي: أن وقوعهم في الكفر هو بسبب عدم هدايته سبحانه لمن ظلم نفسه بما يوجب الكفر كمن يوالي الكافرين.

قوله: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ﴾ الفاء للسببية[3]، والخطاب إما للرسول ﷺ، أو لكل من يصلح له؛ أي: ما ارتكبوه من الموالاة ووقعوا فيه من الكفر هو بسبب ما في قلوبهم من مرض النفاق.

---

(١) ذكره أبو السعود في «تفسيره» (٢/ ٤٩٢)، والألوسي في «روح المعاني» (٧/ ٢٤٢ ـ ٢٤٣).
(٢) «روح المعاني» (٧/ ٢٤٢ ـ ٢٤٣)، و«تفسير أبي السعود» (٢/ ٤٩٢).
(٣) «تفسير أبي السعود» (٢/ ٤٩٢)، و«روح المعاني» (٧/ ٣٤٣).

وقوله: ﴿يُسَٰرِعُونَ﴾ في محل نصب[١] إما على أنه المفعول الثاني إذا كانت الرؤية قلبية، أو على أنه حال إذا كانت بَصَرية، وجعل المسارعة في موالاتهم مسارعة فيهم للمبالغة في بيان رغوبهم في ذلك، حتى كأنهم مستقرّون فيهم داخلون في عدادهم. وقد قُرئ «فَيرى» بالتحتية.

واختلف في فاعله ما هو؟ فقيل: هو الله ﷻ؛ وقيل: هو كل من تصح منه الرؤيا؛ وقيل: هو الموصول ومفعوله: ﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ﴾ على حذف أن المصدرية؛ أي: فيرى القوم الذين في قلوبهم مرض أن يسارعوا فيهم، فلما حذفت ارتفع الفعل كقوله:

ألا أيهذا اللائمي أحضرُ الوغا[٢]

والمرض في القلوب: هو النفاق والشك في الدين.

وقوله: ﴿يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ﴾ جملة مشتملة على تعليل[٣] المسارعة في الموالاة؛ أي: أن هذه الخشية هي الحاملة لهم على المسارعة؛ وقيل: إن الجملة حال من ضمير يسارعون. والدائرة: ما تدور من مكاره الدهر؛ أي: نخشى أن يظفر الكفار بمحمد ﷺ، فتكون الدولة لهم وتبطل دولته فيصيبنا منهم مكروه، ومنه قول الشاعر[٤]:

يردّ عنكَ القَدَرُ المقدورا ودائراتِ الدهر أن تدورا

أي: دولات الدهر الدائرة مِنْ قوم إلى قوم.

وقوله: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ﴾ ردٌّ عليهم، ودفع لما وقع لهم من الخشية، وعسى في كلام الله: وعد صادق لا يتخلف.

والفتح: ظهور النبيّ ﷺ على الكافرين، ومنه ما وقع مِنْ قتل مقاتلة بني قريظة وسبي ذراريهم، وإجلاء بني النضير.

---

(١) «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٢٥ ـ ٢٦)، وقراءة «فيرى» بالتحتية التي سيذكرها المؤلف بعد قليل هي قراءة شاذة.

(٢) وعجزه: وأن أشهد اللذَّات هل أنت مُخلِدِي.
انظر: ديوان طرفة بن العبد (ص٣٢).

(٣) انظر: «البحر المحيط» (٤/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣)، و«روح المعاني» (٧/ ٢٤٣ ـ ٢٤٤).

(٤) وهو: حميد الأرقط. انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ١٦٩)، و«جامع البيان» (٨/ ٥١٣)، و«مجمع البيان» (٦/ ١٦٨).

وقيل: هو فتح بلاد المشركين[١] على المسلمين؛ وقيل: فتح مكة[٢].

والمراد بالأمر من عنده سبحانه: هو كل ما تندفع به صولة اليهود ومن معهم وتنكسر به شوكتهم.

وقيل: هو إظهار[٣] أمر المنافقين، وإخبار النبي ﷺ بما أسروا في أنفسهم، وأمره بقتلهم.

وقيل: هو الجزية[٤] التي جعلها الله عليهم.

وقيل: الخِصبُ[٥] والسعة للمسلمين، فيصبح المنافقون ﴿عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ من النفاق الحامل لهم على الموالاة ﴿نَٰدِمِينَ﴾ على ذلك؛ لبطلان الأسباب التي تخيلوها وانكشاف خلافها.

قولُه: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ قرأ أبو عمرو، وابن أبي إسحاق، وأهل الكوفة بإثبات الواو[٦].

وقرأ الباقون[٧] بحذفها، فعلى القراءة الأولى مع رفع، يقول: يكون كلاماً مبتدأ، مسوقاً لبيان ما وقع من هذه الطائفة، وعلى قراءة النصب: يكون عطفاً على ﴿فَيُصۡبِحُواْ﴾.

وقيل: على ﴿يَأۡتِيَ﴾ والأولى أولى؛ لأن هذا القول إنما يصدر عن المؤمنين عند ظهور ندامة الكافرين لا عند إتيان الفتح.

---

(١) قاله أبو علي: «مجمع البيان» (٦/ ١٢٠).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٥١٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٥٨رقم ٦٥٢٤) بسند حسن.

(٣) انظر في «مجمع البيان» (٦/ ١٢٠).

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٥١٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٥٩ رقم ٦٥٢٦) بسند حسن.

(٥) «مجمع البيان» (٦/ ١٢٠).

(٦) «التيسير» (ص٩٩)، و«النشر» (٢/ ٢٥٤)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤١١)، و«جامع البيان» (٨/ ٥١٦)، و«البحر المحيط» (٤/ ٢٩٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٤٩). ومعهم يعقوب من العشرة.

(٧) انظر: المصادر المتقدمة. وهما قراءتان متواترتان.

وقيل: هو معطوف على الفتح كقول الشاعر:

لَـلُـبْـسُ عَـبَـاءةٍ وتَـقَـرَّ عَـيْـنِـي[(١)]

وأما على قراءة حذف الواو: فالجملة مستأنفة[(٢)] جواب سؤال مقدّر، والإشارة بقوله: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ إلى المنافقين؛ أي: يقول الذين آمنوا مخاطبين لليهود ومشيرين إلى المنافقين: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾ بالمناصرة والمعاضدة في القتال، أو يقول بعض المؤمنين لبعض مشيرين إلى المنافقين، وهذه الجملة مفسرة للقول. وجَهْدُ الأَيمان: أغلظها، وهو منصوب على المصدر أو على الحال؛ أي: أقسموا بالله [٢/٣٤] جاهدين.

قولُه: ﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾؛ أي: بطلت وهو من تمام قول المؤمنين، أو جملة مستأنفة، والقائل الله سبحانه. والأعمال هي التي عملوها في الموالاة أو كل عمل يعملونه.

قولُه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ﴾ قرأ أهل المدينة والشام: يرتدد[(٣)] بدالين بفك الإدغام، وهي لغة تميم.

وقرأ غيرهم[(٤)] بالإدغام.

وهذا شروع في بيان أحكام المرتدّين، بعد بيان أن موالاة الكافرين من المسلم كفر، وذلك نوع من أنواع الردّة.

والمراد بالقوم الذين وعد الله سبحانه بالإتيان بهم هم: أبو بكر الصديق رضي الله عنه

---

(١) وهو: ل «ميسون بنت بَحْدل الكعبية».
وعجزه:

أحَـبُّ إلـيَّ مِـن لُـبْـس الـشـفـوف

«خزانة الأدب» (٨/ ٥٠٣)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٢٧).

(٢) «روح المعاني» (٧/ ٢٤٧)، و«البحر المحيط» (٤/ ٢٩٤ ـ ٢٩٥)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٢٧).

(٣) «البحر المحيط» (٤/ ٢٩٧)، و«النشر» (٢/ ٢٥٥)، و«حاشية الجمل» (١/ ٥٠١)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٢٧)، و«جامع البيان» (٨/ ٥١٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٥١)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤١٢)، و«التيسير» (ص٩٩).

(٤) انظر: المصادر المتقدمة. الذين قرأوا بالإدغام هم ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي.

وجيشه من الصحابة والتابعين، الذين قاتل بهم أهل الردّة، ثم كل من جاء بعدهم من المقاتلين للمرتدّين في جميع الزمن. ثم وصف سبحانه هؤلاء القوم بهذه الأوصاف العظيمة، المشتملة على غاية المدح، ونهاية الثناء من كونهم يحبون الله وهو يحبهم، ومن كونهم: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾.

والأذلةُ: جَمعُ ذليلٍ[(١)] لا ذلول، والأعزّة: جمع عزيز؛ أي: يظهرون الحُنوَّ والعطفَ والتواضع للمؤمنين، ويظهرون الشدة والغلظة والترفع على الكافرين، ويجمعون بين المجاهدة في سبيل الله، وعدم خوف الملامة في الدين؛ بل هم متصلبون لا يبالون بما يفعله أعداء الحق، وحزب الشيطان من الإزراء بأهل الدين، وقلب محاسنهم مساوئ، ومناقبهم مثالب؛ حسداً وبغضاً، وكراهة للحق وأهله، والإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى ما تقدّم من الصفات التي اختصهم الله بها. والفضل: اللطف والإحسان.

قوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ﴾ لما فرغ سبحانه من بيان من لا تحلّ موالاته، بيّن من هو الوليّ الذي تجب موالاته، ومحل ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الرفع[(٢)] على أنه صفة للذين آمنوا، أو بدل منه، أو النصب على المدح.

وقوله: ﴿وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ جملة حالية[(٣)] من فاعل الفعلين اللذين قبله. والمراد بالركوع: الخشوع والخضوع؛ أي: يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم خاشعون خاضعون لا يتكبرون؛ وقيل: هو حال من فاعل الزكاة.

والمراد بالركوع هو المعنى المذكور؛ أي: يضعون الزكاة في مواضعها غير متكبرين على الفقراء، ولا مترفعين عليهم.

وقيل: المراد بالركوع على المعنى الثاني: ركوع الصلاة، ويدفعه عدم جواز

---

(١) «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٢٧)، و«معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٨٣)، و«جامع البيان» (٨/ ٥١٧ ـ ٥١٨).

(٢) «التبيان» (١/ ٤٤٦)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٢٨).

(٣) «تفسير أبي السعود» (٢/ ٥٠٠)، و«التبيان» (١/ ٤٤٦)، و«روح المعاني» (٧/ ٢٦٤)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٢٨).

إخراج الزكاة في تلك الحال، ثم وعد سبحانه مَنْ يتولى الله ورسوله والذين آمنوا بأنهم الغالبون لعدوّهم، وهو من وضع الظاهر موضع المضمر، ووضع حزب الله موضع ضمير الموالين لله ولرسوله وللمؤمنين.

والحزب: الصنف مِنْ الناس، مِنْ قولهم: حزبه كذا؛ أي: نَابه، فكأن المتحزّبين مجتمعون كاجتماع أهل النائبة التي تنوب، وحزبُ الرجل: أصحابهُ، والحِزْبُ: الورد. وفي الحديث[١]: «فمن فاتَه حزبه مِنْ الليل» وتحزّبوا: اجتمعوا. والأحزاب: الطوائف.

وقد وقع ـ ولله الحمد ـ ما وعد الله به أولياءه وأولياء رسله، وأولياء عباده المؤمنين مِنْ الغلب لعدوّهم، فإنهم غلبوا اليهود بالسبي والقتل والإجلاء وضرب الجزية، حتى صاروا ـ لعنهم الله ـ أذلّ الطوائف الكفرية، وأقلها شوكة، وما زالوا تحت كلكل المؤمنين يطحنونهم كيف شاءوا، ويمتهنونهم كما يريدون مِنْ بعد البعثة الشريفة المحمدية إلى هذه الغاية.

وقد أخرج ابن إسحاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل»، وابن عساكر، عن عُبادة[٢] بن الوليد بن عبادة بن الصامت قال: لما حاربت بنو قينقاع رسول الله ﷺ تشبث بأمرهم عبد الله بن أُبيّ ابن سلول وقام دونهم، ومشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله ﷺ وتبرأ إلى الله وإلى رسوله مِنْ حلفهم، وكان أحد بني عوف بن الخزرج، وله من حلفهم مثل الذي كان لهم من عبد الله بن أُبيّ ابن سلول، فخلعهم إلى رسول الله ﷺ وقال: أتبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم. وفيه وفي

---

(١) • أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» رقم (١٤٦٩) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه موقوفاً.
• وأخرجه مسلم رقم (٧٤٧)، وأبو داود رقم (١٣١٣)، والترمذي رقم (٥٨١)، والنسائي في «السنن الكبرى» رقم (١٤٦٦)، وابن ماجه رقم (١٤٤٣) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: «من نام عن حزبه، أو عن شيء منه، فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر، كتب له كأنما قرأه من الليل».

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٥٠٥)، والبيهقي في «الدلائل» (٣/ ١٧٤)، وابن إسحاق (٢/ ٤٩ ـ السيرة النبوية)، وابن عساكر في «تاريخه» (٢٦/ ١٩١، ١٩٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٥٥، ١١٥٧، ١١٥٨ رقم ٦٥٠٦، ٦٥١٦، ٦٥٥٣) بسند حسن.

عبد الله بن أُبيّ نزلت الآيات في المائدة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾ إلى قوله: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾.

وأخرج ابن مردويه(١) عن ابن عباس قال: أسلم عبد الله بن أُبيّ ابن سلول، ثم قال: إن بيني وبين قريظة والنضير حلفاً، وإني أخاف الدوائر، فارتدّ كافراً. وقال عبادة بن الصامت: أتبرأ إلى الله من حلف قريظة والنضير وأتولى الله ورسوله، فنزلت.

وأخرج ابن مردويه(٢) أيضاً من طريق عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت، عن أبيه، عن جدّه نحو ذلك.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن جرير، عن عطية بن سعد(٣) قال: جاء عبادة فذكر نحو ما تقدّم.

وأخرج ابن جرير(٤)، عن الزهري قال: لما انهزم أهل بدر قال المسلمون لأوليائهم من يهود: آمنوا قبل أن يصيبكم الله بيوم مثل يوم بدر، فقال مالك بن الصيف: غرّكم أن أصبتم رهطاً من قريش لا علم لهم بالقتال، أما لو أصررنا العزيمة أَنْ نستجمع عليكم، لم يكن لكم يدٌ أن تقاتلونا، فقال عبادة، ذكر نحو ما تقدم عنه وعن عبد الله بن أُبيّ.

وأخرج ابن جرير(٥)، عن ابن عباس في هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ قال: إنها في الذبائح «مَنْ دخل في دين قوم فهو منهم».

وأخرج عبد بن حميد(٦) عن حذيفة قال: «ليتق أحدكم أن يكون يهوديّاً أو نصرانيّاً وهو لا يشعر، وتلا: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾».

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٩٨).

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٩٩).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٥٠٤)، وابن أبي شيبة (١٢/ ١٣٧) بسند ضعيف؛ لضعف عطية بن سعد وهو العوفي.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٥٠٤ ـ ٥٠٥) بسند ضعيف لإرساله.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٥٠٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٥٦ رقم ٦٥٠٨) بسند صحيح.

(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٩٩).

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم [٢/٣٥] عن عطية[١] ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ كعبد الله بن أُبيّ ﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ﴾: في ولايتهم.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وأبو الشيخ، والبيهقي في «سننه»، وابن عساكر، عن قتادة[٢] قال: أنزل الله هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾ وقد علم أنه سيرتدّ مرتدّون من الناس، فلما قبض الله نبيّه ﷺ، ارتدّ عامة العرب عن الإسلام إلا ثلاثةَ مساجد: أهل المدينة، وأهل مكة، وأهل الجواثا من عبد القيس؛ وقال الذين ارتدّوا: نصلي الصلاة ولا نزكي، والله لا تغصب أموالنا. فكُلِّم أبو بكر في ذلك ليتجاوز عنهم، وقيل له: لو أنهم قد فقهوا أدّوا الزكاة؛ فقال: والله لا أفرّق بين شيء جمعه الله، ولو منعوني عِقالاً مما فرض الله ورسولُه لقاتلتهم عليه، فبعث الله عصائب مع أبي بكر، فقاتلوا حتى أقروا بالماعون، وهو الزكاة. قال قتادة: فكنا نتحدث أن هذه الآية نزلت في أبي بكر وأصحابه: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ إلى آخر الآية.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، والبيهقي في «الدلائل»، عَنْ الحسن[٣] نحوه.

وأخرج ابن جرير، عن شُريح بن عبيد[٤] قال: لما أنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾ الآية، قال عمر: أنا وقومي يا رسول الله؟ قال: لا بل هذا وقومه؛ يعني: أبا موسى الأشعري.

وأخرج ابن سعد، وابن أبي شيبة في «مسنده»، وعبد بن حميد، والحكيم، والترمذي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وأبو الشيخ،

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٥١٠ ـ ٥١١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٥٨ رقم ٦٥٢٠) بسند ضعيف.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٥٢٠)، والبيهقي (٨/ ١٧٧، ١٧٨)، وابن عساكر في «تاريخ مدينة دمشق» (٣١٩/٣٠) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٥١٩/٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٦٠ رقم ٦٥٣٧)، وابن عساكر في «تاريخ مدينة دمشق» (٣٠٩/٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٣٦٢).

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٥٢٢ ـ ٥٢٣) من طريق عبد الرحمٰن بن جبير، عن شريح بن عبيد.

وابن مردويه، والحاكم وصححه، والبيهقي في «الدلائل»، عن عياض[١] الأشعري قال: لما نزلت: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ قال رسول الله ﷺ: «هم قوم هذا»، وأشار إلى أبي موسى الأشعري.

وأخرج أبو الشيخ، وابن مردويه، والحاكم في جمعه لحديث شعبة، والبيهقي، وابن عساكر، عن أبي موسى الأشعري[٢] قال: تليت عند النبي ﷺ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ﴾ الآية، فقال النبي ﷺ: «قومك يا أبا موسى، أهلُ اليمن».

وأخرج ابن أبي حاتم، والحاكم في «الكنى»، والطبراني في «الأوسط»، وأبو الشيخ، وابن مردويه بسند حسن عن جابر بن عبد الله[٣] قال: سئل رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ الآية، فقال: «هؤلاء قوم من أهل اليمن، ثم كِنْدة، ثم السكون، ثم تُجيب».

وأخرج البخاري في «تاريخه»، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن ابن عباس[٤] في الآية قال: هم قوم من أهل اليمن، ثم من كندة ثم من السكون.

وأخرج ابن أبي شيبة[٥] عنه قال: هم أهل القادسية.

وأخرج البخاري[٦] في «تاريخه» عن القاسم بن مُخَيمِرة قال: أتيتُ ابنَ عمر فرحّب بي، ثم تلا: ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ﴾ الآية، ثم ضرب على منكبي وقال: أحلف بالله إنهم لمنكم أهل اليمن ثلاثاً.

---

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٤/ ١٠٧)، وابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٥٢١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٦٠ رقم ٦٥٣٥)، والحكيم الترمذي (٣/ ٣٤)، والطبراني (ج١٧ رقم ١٠١٦)، والحاكم (٢/ ٣١٣)، والبيهقي (٥/ ٣٥١، ٣٥٢) بسند صحيح.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٦): «ورجاله رجال الصحيح».

(٢) أخرجه الحاكم (٢/ ٣١٣)، والبيهقي (٥/ ٣٥١، ٣٥٢)، وابن عساكر في «تاريخ مدينة دمشق» (٣٢/ ٣٣).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٦٠ رقم ٦٥٣٤)، والطبراني في «الأوسط» رقم (١٣٩٢)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٩): «رواه الطبراني في «الأوسط» وإسناده حسن».
• قال ابن كثير في «تفسيره» (٥/ ٢٦٠): «وهذا حديث غريب جدّاً».

(٤) أخرجه البخاري في «تاريخه» (١/ ١٩٤).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٢/ ٥٧١).

(٦) أخرجه البخاري في «تاريخه» (٧/ ١٦٠).

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن عطية بن سعد[١] قال في قوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾: إنها نزلت في عبادة بن الصامت.

وأخرج الخطيب في «المتفق والمفترق» عن ابن عباس[٢] قال: تصدّق عليٌّ بخاتم وهو راكع، فقال النبي ﷺ للسائل: «مَنْ أعطاك هذا الخاتم؟» قال: ذاك الراكع، فأنزل الله فيه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾.

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وأبو الشيخ، وابن مردويه عن ابن عباس قال: نزلت في عليّ بن أبي طالب[٣].

وأخرج أبو الشيخ، وابن مردويه، وابن عساكر، عن عليّ بن أبي طالب[٤] نحوه.

وأخرج ابن مردويه[٥]، عن عمار[٦]، نحوه أيضاً.

وأخرج الطبراني في «الأوسط» بسند فيه مجاهيل[٧] عنه نحوه.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٥٢٤ ـ ٥٢٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٦٠، ١١٦١ رقم ٦٥٣٦، ٦٥٤١) بسند ضعيف.

(٢) أخرجه الخطيب في «المتفق والمفترق» (ص١٠٨) فيه مطلب بن زياد، وثقه أحمد وابن معين، وقال أبو حاتم: «لا يحتج بحديثه».

(٣) أخرجه عبد الرزاق كما في «تفسير ابن كثير» (٥/ ٢٦٦).

(٤) أخرجه ابن مردويه كما في «تفسير ابن كثير» (٥/ ٢٦٥)، وابن عساكر في «تاريخ مدينة دمشق» (٤٢، ٣٥٦، ٣٥٧). وقال ابن كثير: «هذا إسناد لا يفرح به».

(٥) ذكره ابن كثير في «تفسيره» (٥/ ٢٦٦).

(٦) أخرجه الطبراني رقم (٦٢٣٢).

قال ابن كثير في «تفسيره» (٥/ ٢٦٤ ـ ٢٦٥): «وأما قوله: وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ فقد توهم بعضهم أن هذه الجملة في موضع الحال من قوله: ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾؛ أي: في حال ركوعهم، ولو كان هذا كذلك، لكان دفع الزكاة في حال الركوع أفضل من غيره؛ لأنه ممدوح، وليس الأمر كذلك عند أحد من العلماء ممن نعلمه من أئمة الفتوى، وحتى إن بعضهم ذكر في هذا أثراً عن علي بن أبي طالب أن هذه الآية نزلت فيه، وذلك أنه مر به سائل في حال ركوعه، فأعطاه خاتمة»، ثم ذكر آثاراً في ذلك ثم قال: «وليس يصح شيء منها بالكلية؛ لضعف أسانيدها وجهالة رجالها».

(٧) «جامع البيان» (٨/ ٥٣٣) وفي «الأوسط» للطبراني رقم (٦٢٣٢).

[النهي عن التناصر والتحالف مع اليهود والنصارى]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

قوله: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا﴾ هذا النهي عن موالاة[1] المتخذين للدين هزواً ولعباً يعم كلَّ مَنْ حصل منه ذلك من المشركين، وأهل الكتاب وأهل البدع المنتمين إلى الإسلام، والبيان بقوله: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ إلى آخره لا ينافي دخول غيرهم تحت النهي إذا وجدت فيه العلة المذكورة التي هي الباعثة على النهي.

قوله: ﴿وَٱلْكُفَّارَ﴾ قرأ أبو عمرو، والكسائي بالجر على تقدير من؛ أي: ومن الكفار.

قال الكسائي[2]: وفي حرف أُبيّ[3]: «ومن الكفار» وقرأ من عداهما[4] بالنصب.

قال النحاس[5]: وهو أوضح وأبين.

وقال مكي[6]: لولا اتفاق الجماعة على النصب؛ لاخترت الخفض لقوّته في

---

(١) «التيسير» (ص١٠٠)، و«البحر المحيط» (٤/ ٣٠٢)، و«جامع البيان» (٨/ ٥٣٥)، و«المبسوط» (ص١٨٦).

(٢) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ٢٩).

(٣) «القراءات الشاذة» (ص٣٣)، و«جامع البيان» (٨/ ٥٣٥)، و«حاشية الجمل» (١/ ٥٠٤). وهي قراءة شاذة لمخالفتها للرسم.

(٤) «البحر المحيط» (٤/ ٣٠٢)، و«المبسوط» (ص١٨٦)، و«جامع البيان» (٨/ ٥٣٥).

(٥) في «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٢٩).

(٦) في «الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤١٤). والقراءتان النصب والجرِّ كلاهما متواترتان، انظر: «تخريج القراءات في فتح القدير» (ص١١٤).

الإعرابِ وفي المعنى، والمراد بالكفَّار هنا: المشركون، وقيل: المنافقون، ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ بترك ما نهاكم عنه، مِنْ هذا وغيره ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ فإن الإيمان يقتضي ذلك.

والنداء: الدعاء[١] برفع الصوت، وناداه مناداةً ونداءً: صاح به، وتنادوا؛ أي: نادى بعضُهم بعضاً. وتنادوا؛ أي: جلسوا في النادي.

والضمير في ﴿ٱتَّخَذُوهَا﴾ للصلاة؛ أي: اتخذوا[٢] صلاتكم هزواً ولعباً؛ وقيل: الضمير للمناداة المدلول عليها بناديتم.

قيل: وليس في كتاب الله تعالى ذكر الأذان إلا في هذا الموضع.

وأما قوله تعالى في الجمعة: ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ﴾ [الجمعة: ٩] فهو خاص بنداء الجمعة.

وقد اختلف [٢/٣٦] أهل العلم في كون الأذان واجباً[٣] أو غير واجب، وفي ألفاظه وهو مبسوط في مواطنه.

قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾؛ أي: ذلك بسبب أنهم قوم لا يعقلون؛ لأن الهزؤ واللعب شأن أهل السفه والخفّة والطيش.

قوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ﴾ يقال: نَقَمتُ على الرجل فأنا ناقِم: إذا عبت عليه.

---

(١) «الصحاح» (٦/ ٢٥٠٥).

(٢) انظر: «مجمع البيان» (٦/ ١٣٢)، و«أحكام القرآن» لابن العربي (٢/ ٦٣٠).

(٣) قال ابن المنذر في «الأوسط» (٣/ ٢٤): «فالأذان والإقامة واجبان على كل جماعة في الحضر والسفر؛ لأنّ النبي ﷺ أمر بالأذان وأمره الفرض، وقد أمر النَّبي ﷺ أبا محذورة أن يؤذن بمكة، وأمر بلال بالأذان، وكل هذا يدل على وجوب الأذان».

وقال ابن قدامة في «المغني» (٢/ ٧٣): «وقال عطاء ومجاهد والأوزاعي: هو فرض لأن النّبيّ ﷺ أَمر به مالكاً وصاحبَه وداوم عليه هو وخلفاؤه وأصحابه والأمر يقتضي الوجوب، ومداومته على فعله دليل على وجوبه؛ ولأنه من شعائر الإسلام الظاهرة فكان فرضاً كالجهاد».

انظر: «الاستذكار» (١/ ٧٠ ـ ٧١)، و«المدونة» (١/ ٦٠)، و«المنتقى» (١/ ١٣٤)، و«البيان» (٢/ ٦١)، و«الأم» (٢/ ٦٢)، و«المجموع شرح المهذب» (٣/ ٩٨)، و«البناية في شرح الهداية» (٢/ ٩٠ ـ ٩١).

قال الكسائي[١]: نَقِمتُ بالكسر لغة، وَنَقَمتُ الأمر أيضاً ونَقِمته: إذا كرهته، وانتقم الله منه؛ أي: عاقبه، والاسم منه النَّقِمة، والجمع نَقِمات، مثل كَلْمة وكَلِمات، وإن شئت سكنت القاف ونقلت حركتها إلى النون، والجمع: نِقَمٌ مثل نعمة ونِعَم؛ وقيل: المعنى: يسخطون؛ وقيل: يُنكرون. قال عبد الله بن قيس[٢] الرقيّات:

مـا نـقَـمـوا مـن بـنـي أُمـيـةَ إلا ... أنـهـم يـحـلُـمـون إن غـضِـبـوا

وقال الله سبحانه: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ﴾ [البروج: ٨] والمعنى في الآية: هل تعيبون أو تسخطون أو تنكرون أو تكرهون منّا إلا إيماننا بالله وبكتبه المنزلة، وقد علمتم بأنا على الحق ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَسِقُونَ﴾ بترككم للإيمان، والخروج عن امتثال أوامر الله.

وقوله: ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَسِقُونَ﴾ معطوف على «أن آمنا»؛ أي: ما تنقمون منا إلا الجمع بين إيماننا وبين تمرّدكم وخروجكم عَنْ الإيمان.

وفيه أن المؤمنين لم يجمعوا بين الأمرين المذكورين، فإن الإيمان من جهتهم والتمرّد والخروج مِنْ جهة الناقمين؛ وقيل: هو على تقدير محذوف؛ أي: واعتقادنا أن أكثركم فاسقون.

وقيل: إن قوله: ﴿أَنْ ءَامَنَّا﴾ هو منصوب على أنه مفعول له، والمفعول محذوف، فيكون ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَسِقُونَ﴾ معطوفاً عليه عطف العلة على العلة، والتقدير: وما تنقمون منا إلا لأن آمنا، ولأن أكثركم فاسقون.

وقيل: معطوف على علَّةٍ محذوفة؛ أي: لقلة إنصافكم، ولأن أكثركم فاسقون.

وقيل: الواو في قوله: ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَسِقُونَ﴾ هي التي بمعنى مع[٣]؛ أي: ما تنقمون منا إلا الإيمان مع أَنَّ أكثركم فاسقون.

وقيل: هو منصوب بفعلٍ محذوف يدل عليه هل تنقمون؛ أي: ولا تنقمون أن أكثركم فاسقون.

وقيل: هو مرفوع على الابتداء والخبر محذوف؛ أي: وفسقكم معلوم فتكون الجملة حالية، وقرئ[٤] بكسر إنّ من قوله: ﴿وَإِنَّ أَكْثَرَكُمْ فَسِقُونَ﴾ فتكون جملة مستأنفة.

---

(١) ذكره الجوهري في «الصحاح» (٥/ ٢٠٤٥).

(٢) انظر: «ديوانه» (ص٤).

(٣) «روح المعاني» (٧/ ٢٧٨)، و«التبيان» (١/ ٤٤٧)، و«البحر المحيط» (٤/ ٣٠٤ ـ ٣٠٥).

(٤) «القراءات الشاذة» (ص٣٣)، و«حاشية الجمل» (١/ ٥٠٥)، و«البحر المحيط» (٤/ ٣٠٤).
وقراءة الكسر قراءة شاذة.

قولُه: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ﴾ بيَّن الله سبحانه لرسوله أن فيهم من العيب ما هو أولى بالعيب، وهو ما هم عليه من الكفر الموجب للعن الله وغضبه ومسخه؛ والمعنى: هل أنبئكم بشر من نقمكم علينا أو بشرّ مما تريدون لنا من المكروه أو بشرّ من أهل الكتاب أو بشرّ من دينهم.

وقولُه: ﴿مَثُوبَةً﴾؛ أي: جزاء ثابتاً[١]، وهي مختصة بالخير كما أن العقوبة مختصة بالشرّ. ووضعت هنا موضع العقوبة على طريقة ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١] وهي منصوبة[٢] على التمييز من «بشرّ».

وقوله: ﴿مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ﴾ خبر لمبتدأ[٣] محذوف مع تقدير مضاف محذوف؛ أي: هو لعنُ مَنْ لعنه الله أو هو دينُ مَنْ لعنه الله، ويجوز أن يكون في محل جر بدلاً من شرّ.

قوله: ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾؛ أي: مسخ بعضَهم قردةً وبعضَهم خنازير وهم اليهود، فإن الله مسخ أصحاب السبت قردةً، وكفار مائدة عيسى منهم خنازير.

وقولُه: ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ قرأ حمزة[٤] بضم الباء من عَبُد وكسر التاء من ﴿الطَّاغُوتَ﴾؛ أي: جعل منهم عَبُدَ الطاغوت بإضافة عبد إلى الطاغوت. والمعنى: وجعل مِنْهم مَنْ يبالغ في عِبادة الطاغوت؛ لأن فَعُل من صيغ المبالغة؛ كحَذُر وفَطُن للتبليغ في الحذر والفطنة.

وقرأ الباقون بفتح الباء مِنْ «عَبَدَ» وفتح التاء من ﴿الطَّاغُوتَ﴾ على أنه فعل ماض معطوف على فعل ماض وهو غضب ولعن، كأنَّه قيل: ومَنْ عبدَ الطاغوت، أو معطوف على القردة والخنازير؛ أي: جعل مِنْهم القردة والخنازير، وجعل منهم عبد الطاغوت حَمْلاً على لفظ مِنْ.

وقرأ أُبيّ[٥] وابن مسعود: «وعبدوا الطاغوت» حملاً على معناها.

---

(١) ذكره الألوسي في «روح المعاني» (٧/ ٢٨٠)، وأبو السعود في «تفسيره» (٢/ ٥٠٣).
(٢) «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٢٩)، و«التبيان» (١/ ٥٤٨)، و«البحر المحيط» (٤/ ٣٠٥).
(٣) «البحر المحيط» (٤/ ٣٠٥)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٢٩)، و«روح المعاني» (٧/ ٢٨٠ ـ ٢٨١).
(٤) «الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤١٤)، و«التيسير» (ص١٠٠)، و«روح المعاني» (٧/ ١٨٤).
(٥) «القراءات الشاذة» (ص٣٣ ـ ٣٤)، و«المحتسب» (ص٢١٥)، و«روح المعاني» (٧/ ١٨٤)، و«البحر المحيط» (٤/ ٤٠٧). المتواترة في ذلك قراءة حمزة، والجمهور، وغير ذلك شاذ. انظر: «تخريج القراءات في فتح القدير» (ص١١٤).

وقرأ ابن عباس ﴿وَعُبُدَ﴾ بضم العين[١] والباء كأنه جمع عَبْد، كما يقال: سَقْف وسُقُف. ويجوز أن يكون جمع عبيد؛ كرغيف ورُغُف، أو جمع عابد كبازل وبُزُل.

وقرأ أبو واقد[٢]: «وعُبّاد» جمع عابد للمبالغة؛ كعامل وعمال.

وقرأ البصريون[٣]: «وعِبادَ» جمع عابد أيضاً؛ كقائم وقيام، ويجوز أن يكون جمع عبد.

وقرأ أبو جعفر الرقاشي[٤]: «وعُبِدَ الطاغوت» على البناء للمفعول، والتقدير «وعبد الطاغوت» فيهم.

وقرأ عون العقيلي[٥]، وابن بريدة: «وعابد الطاغوت» على التوحيد.

وروي عن ابن مسعود[٦] وأُبيّ أنهما قرآ: «وعُبدَت الطاغوت».

وقرأ عُبيد بن عمير[٧]: «وأعبد الطاغوت» مثل: كلب وأكلب. وقرئ: ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ عطفاً على الموصول بناء على تقدير مضاف محذوف، وهي قراءة ضعيفة جدّاً، والطاغوت: الشيطان أو الكهنة أو غيرهما مما قد تقدّم مستوفى.

قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ الإشارة إلى الموصوفين بالصفات المتقدمة، وجعلت الشرارة للمكان، وهي لأهله[٨] للمبالغة، ويجوز أن يكون الإسناد مجازياً.

---

(١) (وعُبُدَ). «المحتسب» (١/ ٢١٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٧٨).

(٢) «معاني القرآن» للنحاس (٢/ ٢٣٠ ـ ٢٣١)، و«المحتسب» (١/ ٢١٤ ـ ٢١٥)، و«روح المعاني» (٧/ ١٨٥)، و«البحر المحيط» (٤/ ٤٠٧). وهي قراءة شاذة.

(٣) «المحتسب» (١/ ٢١٥).

(٤) «القراءات الشاذة» (ص٣٣)، و«المحتسب» (١/ ٢١٥)، و«البحر المحيط» (٤/ ٤٠٧).

(٥) «المحتسب» (١/ ٢١٥)، و«القراءات الشاذة» (ص٣٤)، و«البحر المحيط» (٤/ ٤٠٧ ـ ٤٠٨).

(٦) قرأ أُبيّ وابن مسعود: (عُبدت الطاغوت) على تأنيث الجماعة، كما قال تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ﴾ [الحجرات: ١٤]. وهي قراءة شاذة.

(٧) «البحر المحيط» (٤/ ٣٠٧ ـ ٣٠٨)، و«معاني القرآن» للنحاس (٢/ ٢٣٠).

(٨) قال النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ٣٠): «ومن أحسن ما قيل فيه: أولئك الذين لعنهم الله شرٌّ مكاناً في الآخرة من مكانكم في الدنيا، لما لحقكم من الشر.
وقيل: أولئك الذين لعنهم الله شرٌّ مكاناً من الذين نقموا عليكم.
وقيل: أولئك الذين نقموا عليكم شرٌّ مكاناً من الذين لعنهم الله».

قوله: ﴿وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ معطوف على شرٌّ؛ أي: هم أضلّ من غيرهم عن الطريق المستقيم، والتفضيل في الموضعين للزيادة مطلقاً أو لكونهم أشرّ وأضل مما يشاركهم في أصل الشرارة والضلال.

قوله: ﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾؛ أي: إذا جاؤوكم أظهروا الإسلام. [٢/٣٧] قوله: ﴿وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ﴾ جملتان حاليتان؛ أي: جاءوكم حال كونهم قد دخلوا عندك متلبّسين بالكفر، وخرجوا من عندك متلبسين به لم يؤثّر فيهم ما سمعوا منك؛ بل خرجوا كما دخلوا ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ﴾ عندك من الكفر، وفيه وعيد شديد، وهؤلاء هم المنافقون؛ وقيل: هم اليهود الذين قالوا: ﴿ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ﴾ [آل عمران: ٧٢].

قوله: ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ أو لكل من يصلح له، والضمير في ﴿مِّنْهُمْ﴾ عائد إلى المنافقين، أو اليهود، أو إلى الطائفتين جميعاً ﴿يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ﴾ في محلٍّ نصبٍ على الحال، على أن الرؤية بَصَرية أو هو مفعول ثان لترى على أنها قَلْبية.

والمسارعة: المبادرة. والإثم: الكذبُ أو الشرك أو الحرام. والعدوان: الظلم المتعدِّي إلى الغير أو مجاوزة الحدّ في الذنوب. والسحت: الحرام، فعلى قول من فسّر الإثم بالحرام يكون تكريره للمبالغة، والربانيون: علماء النّصارى، والأحبار: علماء اليهود؛ وقيل: الكل من اليهود لأن هذه الآيات فيهم؛ ثم وبّخ[1] علماءهم في تركهم لنهيهم فقال: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ وهذا فيه زيادة على قوله: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ لأن العمل لا يبلغ[2] درجة الصُّنع حتى يتدرّب فيه صاحبه، ولهذا تقول العرب: سيف صَنيع إذا جَوّد عاملُه عملَه فالصُّنع هو العمل الجيد لا مطلق العمل، فوبّخ سبحانه الخاصة، وهم العلماء

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٨٠ ـ ٨١).

(٢) قال أبو السعود في «تفسيره» (٢/٥٠٦): «وهذا أبلغ مما قيل في حق عامتهم لما أن العمل لا يبلغ درجة الصنع ما لم يتدرب فيه صاحبه ولم يحصل فيه مهارة تامة، ولذلك ذمَّ به خواصَّهم، ولأن ترك الحسنة أقبح من مواقعة المعصية؛ لأن النفس تلتذ بها وتميل إليها، ولا كذلك ترك الإنكار عليها، فكان جديراً بأبلغ ذم».

التاركون للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بما هو أغلظ وأشدّ من توبيخ فاعل المعاصي.

فَلْيفتَح العلماء لهذه الآية مسامعَهم، ويفرجوا لها عن قلوبهم، فإنها قد جاءت بما فيه البيان الشافي لهم؛ بأن كفَّهم عن المعاصي، مع ترك إنكارهم على أهلها لا يُسمن ولا يُغني مِنْ جوع؛ بل هم أشدّ حالاً وأعظم وبالاً من العصاة، فرحم الله عالماً قام بما أوجبه الله عليه من فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهو أعظم ما افترضه الله عليه وأوجب ما أوجب عليه النهوض به.

اللَّهُمَّ اجعلنا مِنْ عبادك الصالحين الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر الذين لا يخافون فيك لومة لائم، وأعنّا على ذلك، وقوّنا عليه، ويسّره لنا، وانصرنا على مَنْ تعدى حدودك، وظلم عبادك، إنّه لا ناصر لنا سواك، ولا مستعان غيرك، يا مالك يوم الدين، إيّاك نعبد، وإيّاك نستعين.

وقد أخرج ابن إسحاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن ابن عباس[1] قال: كان رفاعة بن زيد بن التابوت، وسويد بن الحارث، قد أظهرا الإسلامَ، ونافقا، وكان رجال من المسلمين يوادّونهما، فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا﴾ إلى قوله: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ﴾.

وأخرج البيهقي[2] في «الدلائل» مِنْ طريق الكلبي، عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا﴾ قال: كان منادي رسول الله ﷺ إذا نادى بالصلاة، فقام المسلمون إلى الصلاة، قالت اليهود والنصارى: قد قاموا لا قاموا، فإذا رأوهم ركعوا وسجدوا استهزءوا بهم وضحكوا منهم. قال: وكان رجل من اليهود تاجراً، إذا سمع المنادي ينادي بالأذان قال: أَحرقَ اللهُ الكاذبَ؛ قال: فبينما هو كذلك، إذ دخلت جاريته بشعلةٍ من نار، فطارت شرارة منها في البيت فأحرقته.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٥٣٣ ـ ٥٣٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٦٣ رقم ٦٥٥٦)، وابن إسحاق (١/ ٥٦٨ ـ السيرة النبوية) بسند ضعيف.

(٢) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٢٧٤، ٢٧٥) بسند ضعيف جدّاً.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن السديّ[١] قال: كان رجل من النصارى فذكر نحو قصة الرجل اليهودي.

وأخرج ابن إسحاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن ابن عباس[٢] قال: أتى النبيَّ ﷺ نفرٌ من اليهود، فسألوه عمّن يؤمن به من الرسل فقال: «أومن بالله وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، وما أوتي موسى وعيسى، وما أوتي النبيون من ربهم، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون»؛ فلما ذكر عيسى جحدوا نبوّته، وقالوا: لا نؤمن بعيسى ولا نؤمن بمن آمن به، فأنزل الله فيهم: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ﴾ إلى قوله: ﴿فَٰسِقُونَ﴾.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن مجاهد[٣] في قوله: ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ﴾ قال: مُسِخت من يهود.

وأخرج أبو الشيخ[٤]، عن أبي مالك أنه قيل له: كانت القردة والخنازير قبل أن يمسخوا؟ قال: نعم، وكانوا مما خُلِق من الأمم.

وأخرج مسلم، وابن مردويه، عن ابن مسعود[٥] قال: سُئل رسول الله ﷺ عن القردة والخنازير هما مما مسخَ الله؟ فقال: إن الله لم يُهلِك قوماً، أو قال: لم يمسخ قوماً فيجعل لهم نسلاً ولا عاقبةً، وإن القردة والخنازير كانت قبل ذلك.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن قتادة[٦] في قوله: ﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا﴾ الآية، قال: أناسٌ من اليهود، كانوا

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٥٣٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٦٤ رقم ٦٥٥٧) بسند حسن.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٥٣٧ ـ ٥٣٨)، وابن إسحاق (١/ ٥٦٧ ـ السيرة النبوية لابن هشام)، وابن أبي حاتم (١/ ٢٤٣ رقم ١٢٩٩) و(٤/ ١١٦٤ رقم ٦٥٥٩) بسند ضعيف.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٥٤١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٦٤، ١١٦٥ رقم ٦٥٦١) بسند صحيح.

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ١٠٩).

(٥) أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (٢٦٦٣).

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٥٤٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٦٥ رقم ٦٥٦٤) بسند صحيح.

يدخلون على النبي ﷺ فيخبرونه أنهم مؤمنون راضون بالذي جاء به، وهم متمسّكون بضلالتهم وبالكفر، فكانوا يدخلون بذلك ويخرجون به مِنْ عند رسول الله ﷺ.

وأخرجَ ابن جرير[1]، عَنْ السدي في الآية قال: هؤلاء ناس من المنافقين كانوا يهوداً، يقول: دخلوا كفاراً وخرجوا كفاراً.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن ابن زيد[2] في قوله: ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ قال: هؤلاء اليهود ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ إلى قوله: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ قال: يصنعون ويعملون واحد، قال لهؤلاء حين لم ينتهوا، كما قال لهؤلاء حين عملوا.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن ابن عباس[3] في قوله: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ﴾ قال: فَهلّا يَنهاهم الربانيون [٢/٣٨] والأحبار، وهم الفقهاء والعلماء.

وأخرج ابن جرير، وأبو الشيخ، عن ابن عباس[4] قال: ما في القرآن آية أشد توبيخاً من هذه الآية: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ﴾.

وأخرج ابن المبارك في «الزهد»، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، عن الضحاك بن مزاحم[5] نحوه.

وقد وردت أحاديث كثيرة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا حاجة لنا في بسطها هنا.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٥٤٧) بسند حسن.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٥٤٧ ـ ٥٤٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٦٦ رقم ٦٥٦٨) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٣٩ رقم ٦٤٠٥) بسند ضعيف. الضحاك لم يلق ابن عباس.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٥٥١) عن ابن عباس قال: ما في القرآن آية أشدُّ توبيخاً من هذه الآية: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾.

● والقراءة بلفظ: ﴿يَعْمَلُونَ﴾ شاذة مخالفة لرسم المصحف.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٥٥١)، وابن المبارك (٥٧ ـ زيادات المروزي) من طريق سلمة بن نبيط، عن الضحاك.

[إلحاد اليهود في صفات الله ﷻ]:

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾.

قولُه: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ اليد: عند العرب تطلق على الجارحة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾ [صٓ: ٤٤] وعلى النِّعمة، يقولون: كم يد لي عند فلان؛ وعلى القدرة. ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٧٣] أو على التأييد، ومنه قوله ﷺ: «يد الله مع القاضي حين يقضي»(١) وتطلق على معان أخر.

وهذه الآية هي على طريق التمثيل؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ [الإسراء: ٢٩] والعرب تطلق غلّ اليد على البخل، وبسطها على الجود مجازاً، ولا يريدون الجارحة كما يصفون البخيل بأنه جَعْد الأنامل ومقبوض الكفّ، ومنه قول الشاعر(٢):

كانت خُراسانُ أرضاً إذ يزيدُ بها ... وكلُّ باب مِنْ الخيرات مفتوحُ
فاستبدلت بعده جَعْداً أناملُه ... كأنّما وجهُه بالخل منضوحُ

[إحقاق هذه الصفة عليهم ولعنهم وطردهم من رحمة الله جزاء على قولهم]:

فمراد اليهود هنا عليهم لعائنِ الله: أن الله بخيل، فأجاب سبحانه عليهم بقوله:

---

(١) أخرجه أحمد (٥/٤١٤)، والبيهقي في «أدب القاضي» (١٠/١٣٢) من حديث أبي أيوب الأنصاري.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/١٩٦): «وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن وفيه ضعف».

(٢) قيل: إنّه نهار بن تَوسعة، وقيل لمالك بن الريب.
«الشعر والشعراء» (١/٥٣٧)، و«فتوح البلدان» (ص٤٠٢)، و«عيون الأخبار» (٣/١٥٥).

﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ دعاء عليهم بالبخل، فيكون الجواب عليهم مطابقاً لما أرادوه بقولهم: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ ويجوز أن يراد: غلّ أيديهم حقيقة بالأسر في الدنيا، أو بالعذاب في الآخرة، ويقوّي المعنى الأوّل: أَنّ البخل قد لزم اليهود لزوم الظلّ للشمس، فلا ترى يهوديّاً، وإنْ كان ماله في غاية الكثرة، إلا وهو من أبخل خلق الله، وأيضاً المَجاز أوفق بالمقام لمطابقته لما قبله.

قولُه: ﴿وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾ معطوف على ما قبله والباء سببية[(١)]؛ أي: أُبْعدوا من رحمة الله بسبب قولهم: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾، ثم رد سبحانه بقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾؛ أي: بل هو في غاية ما يكون مِنْ الجود، وذكر اليدين مع كونهم لم يذكروا إلا اليد الواحدة مبالغة في الردّ عليهم بإثبات ما يدل على غاية السخاء، فإن نسبة الجود إلى اليدين أبلغ من نسبته إلى اليد الواحدة، وهذه الجملة الإضرابية معطوفة على جملة مقدّرة يقتضيها المقام؛ أي: كلا ليس الأمر كذلك: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ وقيل: المراد بقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾: نعمة الدنيا[(٢)] الظاهرة ونعمتها الباطنة؛ وقيل: نعمة المطر والنبات؛ وقيل: الثواب والعقاب.

---

(١) «البحر المحيط» (٤/ ٣١٤)، و«روح المعاني» (٧/ ٢٩٤).

(٢) الشوكاني هنا أغفل إثبات صفة اليدين، بل وصرفها عن حقيقتها.

• فاليدان صفة ذاتية خبرية لله ﷻ نثبتها كما نثبت باقي صفاته تعالى، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، وهي ثابتة بالكتاب والسُّنَّة.

الدليل من الكتاب:

أ ـ الآية ٦٤ من سورة المائدة.

ب ـ قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [صٓ: ٧٥].

الدليل من السُّنَّة:

أ ـ ما أخرجه مسلم رقم (٢٧٦٠) عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها».

ب ـ حديث الشفاعة والذي فيه: «... فيأتونه فيقولون: يا آدم! أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه...». [أخرجه البخاري رقم (٣٣٤٠)، ومسلم رقم (١٩٤)].

ج ـ ما أخرجه البخاري رقم (٧٤١١)، ومسلم رقم (٩٩٣) عن أبي هريرة ﷺ قال: قال ﷺ: «يد الله ملأى لا يغيضها نفقة... وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع...».

د ـ حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله ﷻ يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة: فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، والخير في يديك...». [أخرجه البخاري رقم =

وحكى الأخفش[١] عن ابن مسعود أنه قرأ: «بل يداه بُسُطان»؛ أي: منطلقتان كيف يشاء.

قوله: ﴿يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ جملة مستأنفة[٢] مؤكِّدة لكمال جوده سبحانه؛ أي: إنفاقه على ما تقتضيه مشيئته، فإن شاء وسّع، وإن شاء قتر، فهو الباسط القابض؛ فإن قبض كان ذلك لما تقتضيه حكمته الباهرة، لا لشيء آخر، فإن خزائن ملكه لا تفنى وموادّ جوده لا تتناهى.

قوله: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم﴾ إلخ، اللّام هي لام القسم؛ أي: ليزيدنّ كثيراً من اليهود والنصارى ما أُنزل إليك من القرآن المشتمل على هذه الأحكام الحسنة ﴿طُغْيَنًا وَكُفْرًا﴾؛ أي: طغياناً إلى طغيانهم، وكفراً إلى كفرهم.

قوله: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ﴾؛ أي: بين اليهود ﴿الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَآءَ﴾ أو بين اليهود والنصارى.

قوله: ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾؛ أي: كلّما جمعوا للحرب جمعاً، وأعدوا له عُدّة شتّت الله جَمْعهم، وذهب بريحهم، فلم يظفروا بطائل ولا عادوا بفائدة؛ بل لا يحصلون من ذلك إلا على الغلب لهم، وهكذا لا يزالون يهيجون الحروب، ويجمعون عليها، ثم يبطل الله ذلك، والآية مشتملة على استعارة بليغة[٣]،

= (٧٥١٨)، ومسلم رقم ٢٨٢٩)].

قال ابن خزيمة في كتاب «التوحيد» (١/ ١١٨): «باب ذكر إثبات اليد للخالق البارئ ﷻ، والبيان أنَّ الله تعالى له يدان كما أعلمنا في محكم تنزيله...».

وقال ابن تيمية في «مجموع فتاوى» (٦/ ٢٦٣): «إنَّ لله تعالى يدين مختصتان به ذاتيتان له كما يليق بجلاله».

(١) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ٣٠)، والقرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٨٥)، وابن خالويه في «القراءات الشاذة» (ص٣٤). وهي قراءة شاذة مخالفة للرسم.

(٢) «روح المعاني» (٧/ ٢٩٥)، و«البحر المحيط» (٤/ ٣١٥).

(٣) حكى أبو حيان في «البحر المحيط» (٤/ ٣١٧ ـ ٣١٨) في الآية قولين:

• «فعن قوم: أنّ الإيقاد حقيقة، وكذا الإطفاء؛ أي: كلما أوقدوا ناراً للمحاربة أُلقي عليهم الرعب فتقاعدوا وأطفؤوها، وإضافة الإطفاء إليه تعالى إضافة المتسبِّب إلى السبب الأصلي».

• وعن الجمهور: أنّ الكلام مخرجٌ مخرج الاستعارة، والمراد من إيقاد النار عبارة عن إظهار الحقد والكيد والمكر بالمؤمنين، والاغتيال والقتال، وإطفاؤها صرف الله عنهم ذلك، وتفرّق آرائهم وحل عزائمهم، وتفرّق كلمتهم، وإلقاء الرعب في قلوبهم...». =

وأسلوب بديع ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾؛ أي: يجتهدون في فعل ما فيه فساد، ومن أعظمه ما يريدونه من إبطال الإسلام، وكيد أهله؛ وقيل: المراد بالنار هنا: الغضب؛ أي: كلما أثاروا في أنفسهم غضباً أطفأه الله بما جعله من الرعب في صدورهم، والذلة والمسكنة المضروبتين عليهم.

قوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ إن كانت اللام للجنس[1]، فهم داخلون في ذلك دخولاً أوّليّاً، وإن كانت للعهد فوضع الظاهر موضع المضمر لبيان شدّة فسادهم، وكونهم لا ينفكون عنه [٢/٣٩].

قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ﴾؛ أي: لو أن المتمسّكين بالكتاب، وهم اليهود والنصارى، على أن التعريف للجنس ﴿ءَامَنُواْ﴾ الإيمان الذي طلبه الله منهم، ومن أهمه الإيمان بما جاء به محمد ﷺ كما أمروا بذلك في كتب الله المنزلة عليهم ﴿وَٱتَّقَوْاْ﴾ المعاصي التي من أعظمها ما هم عليه من الشرك بالله، والجحود لما جاء به رسولُ الله ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ التي اقترفوها، وإن كانت كثيرة متنوّعة؛ وقيل: المعنى: لوسّعنا عليهم في أرزاقهم، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾؛ أي: أقاموا ما فيهما[2] من الأحكام التي من جملتها الإيمان بما جاء به محمد ﷺ.

قوله: ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ﴾ من سائر كُتب الله التي من جملتها القرآن، فإنها كلها وإن نزلت على غيرهم، فهي في حكم المنزلة عليهم؛ لكونهم متعبدين بما فيها؛ ﴿لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ ذكر «فوق وتحت» للمبالغة في تيسر أسباب الرزق لهم وكثرتها، وتعدد أنواعها.

قوله: ﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾ جواب سؤال مقدّر، كأنه قيل: هل جميعهم متصفون بالأوصاف السابقة، أو البعض منهم دون البعض؟ والمقتصدون منهم هم: المؤمنون كعبد الله بن سلام، ومَنْ تبعه، وطائفة من النصارى ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ وهم المصرّون على الكفر المتمرّدون عن إجابة محمد ﷺ والإيمان بما جاء به.

وقد أخرج ابن إسحاق، والطبراني في الكبير، وابن مردويه، عن ابن عباس[3]

= قال الألوسي في «روح المعاني» (٧/٢٩٨) ولعل القول بالكناية ألطف منهما.

(١) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٤/٣١٨)، والألوسي في «روح المعاني» (٧/٢٩٩).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٨٧ ـ ٨٨).

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» رقم (١٢٤٩٧). =

قال: قال رجل من اليهود يقال له: النباش بن قيس: إن ربك بخيل لا ينفق، فأنزل الله: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ﴾ الآية.

وأخرج أبو الشيخ[١] عنه أنها نزلت في فِنْحاص اليهودي.

وأخرج مثله ابن جرير[٢] عن عكرمة.

وأخرج عبد بن حميد، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس[٣] في قوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ﴾؛ أي: بخيلة.

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم[٤] عنه نحوه.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة[٥] في قوله: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۚ﴾ قال: حملهم حسدُ محمدٍ والعربِ على أن تركوا القرآن، وكفروا بمحمد ودينه، وهم يجدونه مكتوباً عندهم.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم وأبو الشيخ، عن مجاهد[٦] في قوله: ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ﴾ قال: حرب محمد ﷺ.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عن السديّ[٧] في الآية: كلما أجمعوا أمرهم على شيء فرّقه الله، وأطفأ حسدهم ونارهم، وقذف في قلوبهم الرعب.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ

= قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٠) وقال: «رواه الطبراني ورجاله ثقات».

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ١١٣).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٥٥٥) بسند ضعيف.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٦٧ رقم ٦٥٧٥) بسند ضعيف.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٥٥٣ ـ ٥٥٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٦٧ رقم ٦٥٧٦) بسند صحيح.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٥٥٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٦٨ رقم ٦٥٨٣) بسند صحيح.

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٥٦١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٦٩ رقم ٦٥٨٧) بسند ضعيف.

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٥٦١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٦٩ رقم ٦٥٨٨) بسند حسن.

عن قتادة[(١)] في قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟﴾ قال: آمنوا بما أُنزل على محمد، واتقوا ما حرّم الله.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن مجاهد[(٢)] في قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ قال: العمل بهما، وأما (ما أنزل إليهم)؛ فمحمد ﷺ، وما أنزل عليه، وأما: ﴿لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ﴾ فأرسلت عليهم مطراً، وأما: ﴿وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ يقول: أنبتّ لهم مِن الأرض من رزقي ما يُغنيهم، ﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾ وهم مُسلِمة أهل الكتاب.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس[(٣)] ﴿لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ﴾؛ يعني: لأرسل عليهم السماء مدراراً ﴿وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ قال: تخرج الأرض من بركتها.

وأخرج ابن جرير، وأبو الشيخ، عن الربيع بن أنس[(٤)] قال: الأمة المقتصدة: الذين لا هم فسقوا في الدين ولا هم غلوا. قال: والغلوّ: الرغبة، والفسق: التقصير عنه.

وأخرج أبو الشيخ[(٥)]، عن السديّ ﴿أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾ يقول: مؤمنة.

وأخرج ابن مردويه[(٦)] قال: حدّثنا عبد الله بن جعفر، حدّثنا أحمد بن يونس الضبّي، حدثنا عاصم بن عليّ، حدّثنا أبو معشر عن يعقوب بن زيد بن طلحة، عن زيد بن أسلم، عَنْ أنس بن مالك قال: كنّا عند رسول الله ﷺ فذكر حديثاً، قال: ثم حدّثهم النبيّ ﷺ قال: «تفرقت أمةُ موسى على اثنتين وسبعين ملة، واحدة منها في

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٥٦٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٦٩ رقم ٦٥٩٢) بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٥٦٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٧٠، ١١٧١ رقم ٦٥٩٨) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٥٦٤) بسند ضعيف.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٥٦٦ ـ ٥٦٧) بسند حسن.

(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ١١٥).

(٦) أخرجه عنه ابن كثير في «تفسيره» (٥/ ٢٨٤).
وأخرجه أبو يعلى في «مسنده» رقم (٣٦٦٨) كلاهما بسند ضعيف؛ لضعف أبي معشر نجيح.
قال ابن كثير في «تفسيره» (٥/ ٢٨٤): «وهذا حديث غريب جدّاً من هذا الوجه.

الجنة وإحدى وسبعون منها في النار؛ وتفرّقت أمة عيسى على اثنتين وسبعين ملة، واحدة منها في الجنة وإحدى وسبعون منها في النار، تعلوا أمتي على الفريقين جميعاً بملةٍ واحدة في الجنة وثنتان وسبعون منها في النار»، قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: «الجماعات الجماعات» قال يعقوب بن زيد: كان عليّ بن أبي طالب إذا حدّث بهذا الحديث عن رسول الله ﷺ تلا فيه قرآناً، قال: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ وتلا أيضاً: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١]؛ يعني: أمة محمد ﷺ.

قال ابن كثير(١) في «تفسيره» بعد ذكره لهذا الحديث ما لفظه: وحديث افتراق الأمم إلى بضع وسبعين، مرويّ من طرق عديدة قد ذكرناها في موضع آخر. انتهى.

قلتُ: أما زيادة كونها في النار إلا واحدة، فقد ضعفها جماعة من المحدثين؛ بَلْ قال ابنُ حزم: إنَّها موضوعة.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾.

العموم الكائن في ﴿مَآ أُنزِلَ﴾ يفيد أنه يجب عليه ﷺ أن يبلغ جميع ما أنزله الله إليه، لا يكتم منه شيئاً.

وفيه دليل على أنه لم يُسِرّ إلى أحد مما يتعلق بما أنزل الله إليه شيئاً، ولهذا ثبت في «الصحيحين»(٢) عن عائشة ﵂ أنها قالت: من زعم أن محمداً ﷺ كتم شيئاً من الوحي فقد كذب.

وفي «صحيح البخاري»(٣) من حديث أبي جُحيفة وهَبْ بن عبد الله السّوائي

---

(١) في «تفسيره» (٥/ ٢٨٤).

(٢) أخرجه البخاري رقم (٤٦١٢، ٤٨٥٥، ٧٥٣١)، ومسلم رقم (١٧٧/ ٢٨٧)، والترمذي رقم (٣٠٦٨) وقال: «حسن صحيح». والنسائي في «التفسير» (١٦٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٥٥٢)، وأبو عوانة (٢/ ١٥٣ ـ ١٥٦)، وابن حبان رقم (٦٠)، وأحمد (٦/ ٤٩).

(٣) أخرجه البخاري رقم (١١١، ٣٠٤٧، ٦٩٠٣، ٦٩١٥)، والترمذي رقم (١٤١٢) وقال: «حسن صحيح». والنسائي (٨/ ٢٣ ـ ٢٤)، وابن ماجه رقم (٢٦٥٨).

قال: قلتُ لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: هل عندكم شيء من الوحي مما ليس في القرآن؟ فقال: لا والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة، إلا فهماً يعطيه الله رجلاً في القرآن وما في هذه الصحيفة. قلتُ: وما في هذه الصحيفة؟ قال: العَقْل، وفكاك الأسير، وأن لا يُقتل مُسلم بكافر.

﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ﴾ ما أمرت به مِنْ تبليغ الجميع؛ بل كتمتَ ولو بعضاً من ذلك [٢/٤٠] ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾. قرأ أبو عمرو[(١)]، وأهل الكوفة إلا شعبة: «رسالته» على التوحيد. وقرأ أهل المدينة[(٢)] وأهل الشام: «رسالاته» على الجمع.

قال النحاس[(٣)]: والجمع أبين لأن رسول الله ﷺ كان ينزل عليه الوحي شيئاً فشيئاً، ثم يبينه. انتهى. وفيه نظر، فإنّ نفي التبليغ عن الرسالة الواحدة أبلغ من نفيه عَنْ الرسالات، كما ذكره علماء البيان على خلاف في ذلك.

وقد بلَّغ رسول الله ﷺ لأمته ما نزل إليهم، وقال لهم في غير موطن: «هل بلغتُ؟» فيشهدون له بالبيان، فجزاه الله عَنْ أمته خيراً؛ ثم إنّ الله سبحانه وعده بالعصمة مِنْ الناس دفعاً لما يظنّ أنه حامل على كتم البيان، وهو خوف لحوق الضرر من الناس، وقد كان ذلك بحمد الله، فإنّه بيَّن لعباد الله ما نزل إليهم على وجه التمام، ثم حمل مَنْ أبىٰ من الدخول في الدين على الدخول فيه طوعاً أو كرهاً، وقتل صناديد الشرك، وفرّق جموعهم وبدّد شملهم، وكانت كلمة الله هي العليا، فأسلم كل من نازعه ممن لم يسبق فيه السيف العذل، حتّى قال يوم الفتح لصناديد قريش وأكابرهم: «ما تظنون أني فاعل بكم؟».

فقالوا: أخ كريم وابن أخ كريم. فقال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»[(٤)].

وهكذا من سبقت له العناية من علماء هذه الأمة يعصمه الله مِنْ الناس، إن قام

---

(١) «البحر المحيط» (٤/ ٣٢١)، و«النشر» (٢/ ٢٥٥)، و«زاد المسير» (٢/ ٣٩٧)، و«حاشية الجمل» (١/ ٥١٠)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤١٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٩٢).

(٢) انظر: المصادر المتقدمة.

(٣) في «إعراب القرآن» (٢/ ٣١).

(٤) أخرجه ابن إسحاق (٤/ ٧٨ ـ السيرة النبوية لابن هشام)، والبيهقي (٩/ ١١٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وهو حديث ضعيف، والله أعلم.

ببيان حجج الله، وإيضاح براهينه، وصَرخ بين ظهراني مَن ضادّ الله وعانده، ولم يمتثل لشرعه كطوائف المبتدعة.

وقد رأينا مِنْ هذا في أنفسنا وسمعنا مِنْه في غيرنا ما يزيد المؤمن إيماناً وصلابةً في دين الله، وشدّة شكيمة في القيام بحجة الله، وكل ما يظنه[١] متزلزلو الأقدام، ومضطربو القلوب، من نزول الضرر بهم، وحصول المحن عليهم فهو خيالات مختلة، وتوهمات باطلة، فإن كل محنة في الظاهر هي منحة في الحقيقة؛ لأنها لا تأتي إلا بخير في الأولى والأخرى ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ جملة متضمنة لتعليل ما سبق من العصمة؛ أي: إن الله لا يجعل لهم سبيلاً إلى الإضرار بك، فلا تخف وبَلّغ ما أمرت بتبليغه.

وقد أخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن مجاهد[٢] قال: لما نزلت: ﴿بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ قال: «يا رب إنما أنا واحد كيف أصنع؟ يجتمع عليّ الناس»، فنزلت: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾.

وأخرج أبو الشيخ[٣]، عن الحسن، أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله بعثني برسالة فضقت بها ذرعاً وعرفت أن الناس مكذبيّ، فوعدني لأبلغن أو ليعذبني»، فأنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس[٤] في قوله: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾؛ يعني: إن كتمت آية مما أنزل إليك لم تبلّغ رسالته.

---

(١) في المخطوط: (كلما) بوصلها.
ولا يخفى أن كل مبتدأ وليست (كلما) الشرطية.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/٥٦٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/١١٧٣ رقم ٦٦١٣) بسند ضعيف.

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/١١٦).

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/٥٦٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/١١٧٣ رقم ٦٦١٢) بسند صحيح.

وأخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه، وابن عساكر، عن أبي سعيد الخدري[١] قال: نزلت هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ على رسول الله ﷺ يوم غدير خمّ، في عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

وأخرج ابن مردويه[٢]، عن ابن مسعود قال: كنا نقرأ على عهد رسول الله ﷺ: «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك إن علياً مولى المؤمنين وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس».

وأخرج ابن أبي حاتم[٣]، عن عنترة، قال: كنت عند ابن عباس فجاءه رجل فقال: إن ناساً يأتونا فيخبرونا أن عندكم شيئاً لم يبده رسول الله ﷺ للناس، فقال: ألم تعلم أنّ الله قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ والله ما ورّثنا رسول الله ﷺ سوداء في بيضاء.

وأخرج ابن مردويه، والضياء في «المختارة» عن ابن عباس[٤] أن رسول الله ﷺ سئل: أيّ آية أنزلت من السماء أشدّ عليك؟ فقال: «كنت بمنىً أيام موسم، فاجتمع مشركو العرب، وأفناءُ الناس في الموسم، فأنزل عليّ جبريل فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ الآية، فقال: فقمت عند العقبة فناديت: يا أيها الناس من ينصرني على أن أبلِّغ رسالة ربي وله الجنة؟ أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله وأنا رسول الله إليكم، تُفلحوا وتُنْجحوا ولكم الجنّة، قال: فما بقي رجل ولا امرأة ولا صبيّ إلا يرمون بالتراب والحجارة، ويَبزقون في وجهي، ويقولون: كذّاب صابئ، فعرض عليّ عارض فقال: يا محمد إن كنت رسول الله فقد آن لك أن تدعو عليهم كما دعا نوح على قومه بالهلاك، فقال النبيّ ﷺ: اللَّهُمَّ اهد قومي فإنهم لا يعلمون»، فجاء العباس عمه فأنقذه منهم وطردهم عنه.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/١١٧٢ رقم ٦٦٠٩)، وابن عساكر في «تاريخ مدينة دمشق» (٤٢/٢٣٧) بسند ضعيف. وقال الألباني في «الضعيفة» رقم (٤٩٢٢): موضوع.

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/١١٧). وهي قراءة شاذة من دسائس الرافضة.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/١١٧٢ رقم ٦٦١١) من طريق أحمد بن منصور الرمادي، به.

(٤) أخرجه الضياء في «المختارة» (١٠/١٣، ١٤).

قال الأعمش: فبذلك يفتخر بنو العباس ويقولون فيهم نزلت: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦] هوى النبيّ ﷺ أبا طالب، وشاء الله عباس بن عبد المطلب.

وأخرج عبد بن حميد، والترمذي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، والحاكم، وابن مردويه، وأبو نعيم والبيهقي كلاهما في «الدلائل»، عن عائشة(١) قالت: كان رسول الله ﷺ يُحْرس حتى نزلت: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ فأخرج رأسه من القبة فقال: أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله.

قال الحاكم في «المستدرك»: صحيح الإسناد ولم يخرّجاه.

وأخرج نحوه الطبراني، وابن مردويه من حديث أبي سعيد(٢).

وقد روي في هذا المعنى أحاديث.

وأخرج ابن أبي حاتم(٣) عن جابر بن عبد الله قال: لما غزا رسول الله ﷺ بني أنمار نزل ذات الرقيع بأعلى نخل [٢/٤١]، فبينما هو جالس على رأس بئر قد دلّى رجليه، فقال الوارث من بني النجار: لأقتلنّ محمداً، فقال له أصحابه: كيف تقتله؟ قال: أقول له أعطني سيفك فإذا أعطانيه قتلته به؛ فأتاه فقال: يا محمد أعطني سيفك أشُمّه، فأعطاه إياه، فرعدت يده حتى سقط السيف من يده، فقال رسول الله ﷺ: «حال الله بينك وبين ما تريد»، فأنزل الله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ الآية.

---

(١) أخرجه الترمذي رقم (٣٠٤٦)، وابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٥٦٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٧٣ رقم ٦٦١٥)، والحاكم (٢/ ٣١٣)، والبيهقي (٩/ ٨)، وسعيد بن منصور في «سننه» رقم (٧٦٨ ـ تفسير). وهو حديث حسن إن شاء الله.

(٢) أخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (٣٥١٠)، وفي «الصغير» (١/ ١٤٩)، وابن مردويه كما في «تفسير ابن كثير» (٥/ ٢٩٠) بسند ضعيف.
قال الطبراني: «لم يرو هذا الحديث عن فضيل بن مرزوق إلا معلى بن عبد الرحمٰن، ولا يروى عن أبي سعيد إلا بهذا الإسناد».
وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٠): «فيه عطية العوفي وهو ضعيف».

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٧٣ رقم ٦٦١٤) بسند ضعيف؛ لضعف موسى بن عبيدة الربذي.

قال ابن كثير[١]: وهذا حديث غريب من هذا الوجه.

وأخرج ابنُ حِبّان في «صحيحه»، وابن مردويه عن أبي هريرة[٢] نحو هذه القصة، ولم يسمّ الرجل.

وأخرج ابن جرير[٣] من حديث محمد بن كعب القرظي نحوه.

وفي الباب روايات. وقصة غورث بن الحارث ثابتة في «الصحيح»[٤]، وهي معروفة مشهورة.

[دعوة أهل الكتاب للإيمان برسالة محمد ﷺ]:

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾﴾.

[التحذير من وصف أحد بالألوهية إلا الله سبحانه]:

﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا

---

(١) في «تفسيره» (٥/ ٢٩٢).

(٢) أخرجه ابن حبان رقم (١٧٣٩ ـ موارد)، وابن مردويه كما في «تفسير ابن كثير» (٥/ ٢٩٢). وهو حديث صحيح بشواهده.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٥٧٠) بسند ضعيف؛ لضعف نجيح السندي، وهو أبو معشر.

(٤) أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٣٦٤، ٣٦٥)، والبخاري رقم (٢٩١٠ و٤١٣٥ و٤١٣٦) تعليقاً، وابن حبان في «صحيحه» رقم (٢٨٧٢).

لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ
إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾
أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا
رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ٱنظُرْ كَيْفَ
نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾.

قوله: ﴿عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ فيه تحقير وتقليل لما هم عليه؛ أي: لستم على شيء يُعتدّ به حتى تقيموا التوراة والإنجيل؛ أي: تعملوا بما فيهما من أوامر الله ونواهيه التي من جملتها أمركم باتباع محمد ﷺ، ونهيكم عن مخالفته. قال أبو عليّ الفارسي[(١)]: ويجوز أن يكون ذلك قبل النسخ لهما.

قوله: ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ قيل: هو القرآن، فإن إقامة الكتابين لا تصح بغير إقامته، ويجوز أن يكون المراد ما أُنزل إليهم على لسان الأنبياء من غير الكتابين.

قوله: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾؛ أي: كفراً إلى كفرهم وطغياناً إلى طغيانهم، والمراد بالكثير منهم: مَنْ لم يسلم، واستمرّ على المعاندة؛ وقيل: المراد به: العلماء منهم، وتصدير هذه الجملة بالقسم لتأكيد مضمونها.

قوله: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾؛ أي: دع عنك التأسّف على هؤلاء، فإن ضرر ذلك راجع إليهم ونازل بهم، وفي المتبعين لك من المؤمنين غنى لك عنهم.

قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾... إلخ، جملة مستأنفة[(٢)] لترغيب من عداهم من المؤمنين. والمراد بالمؤمنين هنا: الذين آمنوا بألسنتهم وهم المنافقون ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾؛ أي: دخلوا في دين اليهود ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ مرتفع على الابتداء وخبره محذوف، والتقدير: والصابئون والنصارى كذلك.

---

(١) انظر: «مجمع البيان» (٦/ ١٥٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٩٣).

(٢) «روح المعاني» (٧/ ٣٣٤).

قال الخليل[١] وسيبويه[٢]: الرفع محمول على التقديم والتأخير، والتقدير: إن الذين آمنوا والذين هادوا من آمن بالله واليوم الآخر، وعمل صالحاً، فلا خوف عليهم، ولا هم يحزنون، والصابئون والنصارى كذلك، وأنشد سيبويه، قول الشاعر:

وإلا فاعلَموا أنا وأنتم بُغاةٌ ما بقِينا في شِقاقِ[٣]

أي: وإلّا فاعلموا أنا بُغاة وأنتم كذلك، ومثله قول ضابئ[٤] البُرجمي:

فمن يكُ أمسى بالمدينة رحلُه فإني وقيّارٌ بها لغريبُ

أي: فإنّي لغريب وقيارٌ كذلك.

وقال الكسائي[٥] والأخفش: إن «الصابئون» معطوف على المضمر في هادوا.

قال النحاس[٦]: سمعتُ الزجاج يقول وقد ذكر له قول الكسائي والأخفش: هذا خطأ من وجهين: **(أحدهما)** أن المضمر المرفوع لا يعطف عليه حتى يؤكّد. **(وثانيهما)** أن المعطوف شريك المعطوف عليه، فيصير المعنى: إن الصابئين قد دخلوا في اليهودية، وهذا محال.

وقال الفرّاء[٧]: إنما جاز الرفع لأن «إن» ضَعيفة فلا تؤثّر إلا في الاسم دون الخبر، فعلى هذا هو عنده معطوف على محل «اسم إنّ»، أو على مجموع إنّ واسمها، وقيل: إن خبر «إنَّ» مقدر، والجملة الآتية خبر الصابئون والنصارى، كما في قول الشاعر:

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راضٍ والرأيُ مختلفُ[٨]

---

(١) «البحر المحيط» (٤/ ٣٢٥)، و«مشكل إعراب القرآن» لمكي (١/ ٢٣٣).
(٢) «الكتاب» (٢/ ١٥٥، ١٥٦).
(٣) قائله: بشر بن أبي حازم. انظر: «ديوانه» (ص١٨٠).
(٤) انظر: «الشعر والشعراء» (١/ ٣٥٠)، و«خزانة الأدب» (١٠/ ٣١٢).
(٥) ذكره عنهما النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ٣٢).
(٦) في «إعراب القرآن» (٢/ ٣٢).
(٧) في «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣١٠ ـ ٣١١).
(٨) نسبه البغدادي في «خزانة الأدب» (٤/ ٢٨٣)، وأبو البركات ابن الأنباري في «الإنصاف» =

وقيل: إنّ «إن» هنا بمعنى: نَعم؛ فالصابون مرتفع بالابتداء، ومثلُه قول قيس بن الرقيّات[١]:

بَكَرَ العواذلُ في الصبا ... حِ يلُمْنَنِي وألومُهُنَّهْ
ويَقُلْنَ شَيْبٌ قد علا ... كَ وقد كَبِرتَ فقلتُ إنّهْ

قال الأخفش[٢]: إنه بمعنى نعم والهاء للسكت. وقد تقدم الكلام على الصابئين والنصارى في البقرة، وقُرئ «الصابيون»[٣] صريحة تخفيفاً للهمزة، وقرئ «الصابون» بدون ياء، وهو من صَبا يصبو لأنهم صَبوا إلى اتباع الهوى، وقرئ «والصابئين» عطفاً على اسم إنّ. قولُه: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ مبتدأ وخبره ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ والمبتدأ وخبره خبر لأنّ، ودخول الفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط، والعائد إلى اسم إن محذوف؛ أي: من آمن منهم، ويجوز أن يكون من آمن بدلاً من اسم «إنّ» وما عطف عليه، ويكون خبر إنّ ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

والمعنى على تقدير كون المراد بالذين آمنوا المنافقين كما قدّمنا: أن من آمن: مِنْ هذه الطوائف إيماناً خالصاً على الوجه المطلوب، وعمل عملاً صالحاً، فهو الذي لا خوف عليه ولا حزن.

وأما على تقدير كون المراد بالذين آمنوا جميع أهل الإسلام: المخلص والمنافق؛ فالمراد بمن آمن من اتصف بالإيمان الخالص واستمرّ عليه، ومن أحدث إيماناً خالصاً بعد نفاقه.

قوله: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ كلام مبتدأ؛ لبيان بعض أفعالهم [٢/٤٢] الخبيثة. وقد تقدّم في البقرة بيان معنى الميثاق.

﴿وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا﴾ ليعرّفوهم بالشرائع وينذروهم ﴿كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ﴾ جملة شرطية[٤] وقعت جواباً لسؤال نشأ من الإخبار بأخذ الميثاق

= (١/ ٩٥) لدرهم بن زيد الأنصاري، وهو في «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣١١)، و«معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٥٥٣)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٣٢) بدون نسبه. وقد نسبه سيبويه في «الكتاب» (٢/ ١٥٦) لقيس بن الخطيم.

(١) كذا في المخطوط وصوابه: عبيد الله بن قيس الرُّقيات. انظر: «ديوانه» (ص٦٦).

(٢) «روح المعاني» (٧/ ٣٤١)، و«البحر المحيط» (٤/ ٣٢٥)، و«تفسير أبي السعود» (٢/ ٥١٦).

(٣) المتواتر من ذلك الصابون عن نافع، و(الصائبون) عن الباقين، وغيره شاذ، انظر: «النشر» (١/ ٣٩٧)، و«تخريج القراءات في فتح القدير» (ص١١٥).

(٤) انظر: «تفسير أبي السعود» (٢/ ٥١٦)، و«الكشاف» (١/ ٣٧٤).

وإرسال الرسل كأنه قيل: ماذا فعلوا بالرسل؟ وجواب الشرط محذوف؛ أي: عَصوه.

وقوله: ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ جملة مستأنفة أيضاً جواب عن سؤال ناشئٍ عن الجواب الأوّل كأنه قيل: كيف فعلوا[1] بهم؟ فقيل: فريقاً منهم كذبوهم ولم يتعرضوا لهم بضرر، وفريقاً آخر[2] منهم قتلوهم، وإنما قال: ﴿وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ لمراعاة رؤوس الآي، فممن كذبوه: عيسى وأمثاله من الأنبياء، وممن: قتلوه زكريا ويحيى.

قوله: ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾؛ أي: حسب هؤلاء الذين أخذ الله عليهم الميثاق أن لا يقع من الله ﷻ ابتلاء واختبار بالشدائد اعتزازاً بقولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَاؤُا اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة: ١٨].

قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي ﴿تَكُونُ﴾ بالرفع[3] على أنّ «أنْ» هي المخففة من الثقيلة، و«حسب» بمعنى: عَلِم؛ لأن «أنْ» معناها: التحقيق.

وقرأ الباقون بالنصب[4] على أن «أنّ» ناصبة للفعل، و«حسب» بمعنى: الظن، قال النحاس: والرفع عند النحويين في حسبت وأخواتها أجود، ومثله:

ألا زعمَتْ بسْباسةُ اليوم أنني ... كبِرتُ وأنْ لا يشهدُ اللهوَ أمثالي[5]

قوله: ﴿فَعَمُوا وَصَمُّوا﴾؛ أي: عموا عن إبصار[6] الهدى، وصموا عن استماع الحق، وهذه إشارة إلى ما وقع من بني إسرائيل في الابتداء من مخالفة أحكام التوراة، وقتل شعيا، ثم تاب الله عليهم حين تابوا، فكشف عنهم القحط ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ وهذا إشارة إلى ما وقع منهم بعد التوبة من قتل يحيى بن زكريا وقصدهم لقتل عيسى، وارتفاع[7] ﴿كَثِيرٌ﴾ على البدل من الضمير في الفعلين.

---

(١) أي: لم يكتفوا بتكذيبهم بل قتلوهم.

(٢) «الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤١٦)، و«النشر» (٢/ ٥٥٥)، و«روح المعاني» (٧/ ٣٤٥)، و«حاشية الجمل» (١/ ٥١٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٩٧). هما قراءتان متواترتان، ومع مَنْ يقرأ بالرفع كذلك يعقوب، وخلف ، انظر: «تخريج القراءات في فتح القدير» (ص١١٥).

(٣) انظر: التعليقة المتقدمة.

(٤) في «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٣٢).

(٥) قائله: امرؤ القيس. انظر: «ديوانه» (ص٢٨).

(٦) «جامع البيان» (٨/ ٥٧٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٩٨).

(٧) «روح المعاني» (٧/ ٣٤٧)، و«التبيان» (١/ ٤٥٣).

قال الأخفش[(١)]: كما تقول: رأيتُ قومَك ثلاثتهم، وإن شئت كان على إضمار مبتدأ؛ أي: العُمُيُ والصُمُّ كثيرٌ منهم، ويجوز أن يكون كثير مرتفعاً على الفاعلية على لغة مَنْ قال: أكلوني البراغيث، ومنه قول الشاعر[(٢)]:

ولـــكـــنْ ديـــافـــيّ أبـــوه وأمُـــه بـحُوران يعصِرْن السليطَ أقاربُه

وقرئ: «عموا وصموا» بالبناء للمفعول؛ أي: أعماهم الله وأصمهم.

قوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ هذا كلام مبتدأ يتضمن بيان بعض فضائح[(٣)] أهل الكتاب، والقائلون بهذه المقالة هم فرقة منهم يقال لهم: اليعقوبية؛ وقيل: هم الملكانية، قالوا: إن الله ﷻ حلّ في ذات عيسى، فردّ الله عليهم بقوله: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾؛ أي: والحال أنه قد قال المسيح هذه المقالة، فكيف يدّعون الإلٰهية لمن يعترف على نفسه بأنه عبد مثلهم؟!

قولُه: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ الضمير[(٤)] للشأن، وهذا كلام مبتدأ يتضمن بيان أن الشرك يوجب تحريم دخول الجنة، وقيل: هو من قول عيسى: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ ينصرونهم فيدخلونهم الجنة أو يخلصونهم من النار.

قوله: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ وهذا كلام أيضاً مبتدأ لبيان بعض مخازيهم. والمراد بثالث ثلاثة: واحد من ثلاثة، ولهذا يضاف إلى ما بعده، ولا يجوز فيه التنوين كما قال الزجاج وغيره، وإنما ينوّن وينصب ما بعده إذا كان ما بعده دونه بمرتبة نحو ثالث اثنين ورابع ثلاثة، والقائل بأنه ﷻ ثالث ثلاثة هم النصارى، والمراد بالثلاثة: الله سبحانه، وعيسى، ومريم كما يدل عليه.

قوله: ﴿أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ﴾ [المائدة: ١١٦] وهذا هو المراد بقولهم: ثلاثة أقانيم: إقنيم الأب، وإقنيم الابن، وإقنيم روح القدس، وقد تقدّم في سورة النساء كلام في هذا، ثم رد الله سبحانه عليهم هذه الدعوى الباطلة فقال:

---

(١) «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٤٧٤).

(٢) وهو: الفرزدق. انظر: «ديوانه» (ص٤٦)، وقراءة «عُمو وصُمو» بالبناء للمعقول قراءة شاذة.

(٣) ذكره أبو السعود في «تفسيره» (٢/ ٥١٩)، والقرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ١٠٠).

(٤) «روح المعاني» (٧/ ٣٤٨)، و«البحر المحيط» (٤/ ٣٢٩).

﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۚ﴾؛ أي: ليس في الوجود إلا الله سبحانه، وهذه الجملة حالية، والمعنى: قالوا تلك المقالة، والحال أنه لا موجود إلا الله، و«من» في قوله: ﴿مِنْ إِلَٰهٍ﴾ لتأكيد الاستغراق[١] المستفاد من النفي: ﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ﴾ من الكفر، ﴿لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ جواب قسم محذوف سادّ مسدّ جواب الشرط، و«من» في ﴿مِنْهُمْ﴾ بيانية أو تبعيضية[٢] ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥۚ﴾ الفاء للعطف على مقدّر، والهمزة للإنكار[٣].

قوله: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾؛ أي: هو مقصور على الرسالة، لا يجاوزها كما زعمتم.

وجملة: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ صفة لرسول: أيّ ما هو إلا رسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله، وما وقع منه من المعجزات لا يوجب كونه إلٰهاً؟! فقد كان لمن قبله مِنْ الرسل مثلها، فإن الله أحيا العصا في يد موسى، وخلق آدم من غير أب، فكيف جعلتم إحياء عيسى للموتى، ووجوده من غير أب يوجبان كونه إلٰهاً، فإن كان كما تزعمون إلٰهاً لذلك، فمَنْ قبله من الرسل الذين جاؤوا بمثل ما جاء به آلهة، وأنتم لا تقولون بذلك.

قوله: ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌۖ﴾ عطف على المسيح؛ أي: وما أمه إلا صدّيقة؛ أي: صادقة فيما تقوله، أو مصدّقة لما جاء به ولدها من الرسالة، وذلك لا يستلزم الإلٰهية لها؛ بل هي كسائر من يتصف بهذا الوصف من النساء[٤].

قوله: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ﴾ استئناف يتضمن التقرير لما أشير إليه من أنهما كسائر أفراد[٥] البشر؛ أي: مَنْ كان يأكل الطعام كسائر المخلوقين فليس بربٍّ؛ بل هو عبد[٦] مربوب ولدته النساء، فمتى يصلح لأن يكون رباً [٢/٤٣]؟

---

(١) ذكره الألوسي في «روح المعاني» (٧/ ٣٤٨).

(٢) «الإملاء» (٢/ ٤٤٨)، و«البحر المحيط» (٤/ ٣٢٩).

(٣) «التبيان» (١/ ٤٥٣)، و«روح المعاني» (٧/ ٣٥٠).

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ١٠١)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ١٦٢)، و«جامع البيان» (٨/ ٥٨٢).

(٥) «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ١٠١)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٣٤)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ١٦٢)، و«جامع البيان» (٨/ ٥٨٢ ـ ٥٨٣).

(٦) «تفسير أبي السعود» (٢/ ٥٢١).

وأما قولكم: إنَّه كان يأكل الطعام بناسوته لا بلاهوته، فهو كلام باطل يستلزم اختلاط الإلٰه بغير الإلٰه، واجتماع الناسوت واللاهوت، ولو جاز اختلاط القديم بالحادث لجاز أن يكون القديم حادثاً، ولو صحّ هذا في حق عيسى لصح في حق غيره من العباد.

﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾؛ أي: الدلالات، وفيه تعجيب من حال هؤلاء الذين يجعلون تلك الأوصاف مستلزمة للإلٰهية! ويغفلون عن كونها موجودة فيمن لا يقولون بأنه إلٰه ﴿ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾؛ أي: كيف يُصْرَفون عن الحق بعد هذا البيان؟ يقال: أفَكَه يأفِكُه إذا صرفه، وكرر الأمر بالنظر للمبالغة في التعجيب، وجاء بثمّ لإظهار ما بين العجبين مِنْ التفاوت.

وقد أخرج ابن إسحاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن ابن عباس(١) قال: جاء رافع بن حارثة وسلَام بن مِشْكَم، ومالك بن الصَّيف، ورافع بن حرملة فقالوا: يا محمدُ، ألستَ تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه، وتؤمن بما عندنا من التوراة وتشهد أنها من الله حق؟ فقال النبي ﷺ: «بلى ولكنّكم أحدثتم وجحدتم ما فيها مما أخذ عليكم مِنْ الميثاق، وكفرتم منها بما أمرتم أن تبينوه للناس، فبرئت مِنْ إحداثكم»، قالوا: فإنا نؤخذ بما في أيدينا وإنا على الهدى والحق، ولا نؤمن بك ولا نتبعك، فأنزل الله فيهم: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن الحسن(٢) في قوله: ﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾ قال: بلاء.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن قتادة(٣) مثله.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٥٧٢ ـ ٥٧٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٧٤ رقم ٦٦١٨)، وابن إسحاق (١/ ٥٦٧ ـ السيرة النبوية) وسنده ضعيف، والله أعلم.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٥٧٧ ـ ٥٧٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٦٣٨ رقم ٦٦٣٨) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٥٧٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٧٨ رقم ٦٦٤١) بسند صحيح.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن السديّ[١] نحوه.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن مجاهد[٢] في قوله: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ﴾ قال: النصارى يقولون: إن الله ثالث ثلاثة، وكذبوا.

وأخرج ابن أبي حاتم[٣] عنه قال: تفرّقت بنو إسرائيل ثلاث فرق في عيسى، فقالت فرقة: هو الله، وقالت فرقة: هو ابن الله، وقالت فرقة: هو عبد الله وروحه، وهي المقتصدة وهي مُسْلمة أهل الكتاب.

[تعريف الناس بحقيقة الألوهية وإفراد الله سبحانه بخصائصها وتجريد البشر وسائر الخلائق من هذه الخصائص]:

﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَـٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَـٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾.

أمر الله سبحانه رسولَه ﷺ أن يقول لهم هذا القول؛ إلزاماً لهم وقطعاً لشبهتهم؛ أي: أتعبدون مِنْ دون الله متجاوزين إيّاه ما لا يملك[٤] لكم ضرّاً ولا

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٥٧٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٧٨ رقم ٦٦٣٩) بسند حسن.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٥٨١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٧٨ رقم ٦٦٤٤) بسند ضعيف.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٧٩ رقم ٦٦٤٥) بسند صحيح.

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ١٠٢).

نفعاً؟ بل هو عبد مأمور، وما جرى على يده من النفع، أو دفع من الضر، فهو بإقدار الله له وتمكينه منه.

وأما هو فهو يعجز عَنْ أن يملك لنفسه شيئاً مِنْ ذلك، فضلاً عن أن يملكه لغيره، ومن كان لا ينفع ولا يضر فكيف تتخذونه إلٰهاً وتعبدونه، وأي سبب يقتضي ذلك؟

والمراد هنا: المسيح عليه السلام، وقدّم سبحانه الضرّ على النفع لأن دفع المفاسد أهمّ من جلب المصالح.

﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾؛ أي: كيف تعبدون ما لا يملك لكم ضرّاً ولا نفعاً، والحال أن الله هو السميع العليم، ومن كان كذلك فهو القادر على الضرّ والنفع لإحاطته بكل مسموع ومعلوم، ومن جملة ذلك مضارّكم ومنافعكم.

قولُه: ﴿لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾ لما أبطل سبحانه جميع ما تعلّقوا به من الشُّبَه الباطلة، نهاهم عن الغلوّ في دينهم، وهو: المجاوزةُ للحد كإثبات الإلٰهية لعيسى، كما يقوله النصارى، أو حطّه عن مرتبته العلية، كما يقوله اليهود، فإن كل ذلك من الغلوّ المذموم وسلوك طريقة الإفراط أو التفريط، واختيارهما على طريق الصواب.

﴿غَيْرَ﴾ منصوب على أنه نعت لمصدر محذوف؛ أي: غلوّاً غير غلوّ الحق، وأما الغلوّ في الحق بإبلاغ كلية الجهد في البحث عنه، واستخراج حقائقه فليس بمذموم، وقيل: إن النصب على الاستثناء[1] المتصل؛ وقيل: على المنقطع.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ﴾ وهم أسلاف أهل الكتاب من طائفتي اليهود والنصارى؛ أي: قبل البعثة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم ﴿وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا﴾ مِنْ الناس ﴿وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾؛ أي: عن قصدهم طريق محمد ﷺ بعد البعثة.

والمراد: أنَّ أسلافهم ضلوا مِنْ قبل البعثة وأضلوا كثيراً من الناس إذ ذاك، وضلوا مِنْ بعد البعثة، إما بأنفسهم، أو جعل ضلال مَنْ أضلوه ضلالاً لهم؛ لكونهم سَنُّوا لهم ذلك ونهجوه لهم؛ وقيل: المراد بالأول: كفرهم بما يقتضيه العقل، وبالثاني: كفرهم بما يقتضيه الشرع.

(١) «روح المعاني» (٧/ ٣٥٥)، و«البحر المحيط» (٤/ ٣٣٥).

[من أسباب لعنهم عصيانهم واعتدائهم]:

قوله: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾؛ أي: لعنهم الله سبحانه ﴿عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ﴾؛ أي: في الزبور والإنجيل على لسان داود وعيسى بما فعلوه من المعاصي؛ كاعتدائهم في السبت، وكفرهم بعيسى.

قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ﴾ جملة مستأنفة[1] جواب عَنْ سؤال مقدر، والإشارة بذلك إلى اللعن؛ أي: ذلك اللعن بسبب المعصية والاعتداء لا بسبب آخر، ثم بيَّن سبحانه المعصية والاعتداء بقوله: ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ [٢/٤٤] عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ﴾، فأسند الفعل إليهم لكون فاعله من جملتهم وإن لم يفعلوه جميعاً.

والمعنى: أنهم كانوا لا ينهون العاصي عن معاودة معصية قد فعلها، أو تهيأ لفعلها، ويحتمل أن يكون وصفهم بأنهم قد فعلوا المنكر باعتبار حالة النزول لا حالة ترك الإنكار، وبيان العصيان والاعتداء بترك التناهي عن المنكر؛ لأن من أخلّ بواجب النهي عن المنكر فقد عصى الله سبحانه وتعدّى حدوده. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهمّ القواعد الإسلامية[2]، وأجلّ الفرائض الشرعية، ولهذا كان تاركه شريكاً لفاعل المعصية، ومستحقاً لغضب الله وانتقامه كما وقع لأهل السبت، فإن الله سبحانه مسخ مَنْ لم يشاركهم في الفعل، ولكن ترك الإنكار عليهم، كما مسخ المعتدين فصاروا جميعاً قردة وخنازير ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ﴾ [قٓ: ٣٧]

ثم إن الله سبحانه قال مقبحاً لعدم التناهي عن المنكر: ﴿لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾؛ أي: من تركهم لإنكار ما يجب عليهم إنكاره ﴿تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ﴾؛ أي: مِنْ اليهود مثل كعب بن الأشرف وأصحابه ﴿يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾؛ أي: المشركين وليسوا على دينهم.

﴿لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ﴾؛ أي: سوّلت[3] وزيّنت، أو ما قدّموه لأنفسهم؛ ليردوا عليه يوم القيامة، والمخصوص بالذم هو ﴿أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾؛ أي:

---

(١) «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٣٥)، و«جامع البيان» (٨/ ٥٨٧ ـ ٥٨٨).
(٢) «المحرر الوجيز» (٥/ ١٦٦ ـ ١٦٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ١٠٤).
(٣) «معالم التنزيل» (٢/ ٥٦)، و«زاد المسير» (٢/ ٤٠٧).

موجب سخط الله عليهم على حذف مضاف أو هو سخطُ الله عليهم على حذف المبتدأ.

وقيل: هو أي: أن سخط الله عليهم ـ بدل من «ما» ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ﴾؛ أي: نبيهم ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ﴾ من الكتاب ﴿مَا اتَّخَذُوهُمْ﴾؛ أي: المشركين ﴿أَوْلِيَاءَ﴾؛ لأن الله سبحانه، ورسوله المرسل إليهم، وكتابه المنزل عليهم قد نهوهم عن ذلك ﴿وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾؛ أي: خارجون عن ولاية الله وعن الإيمان به وبرسوله وبكتابه.

وقد أخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن قتادة[١] في قوله: ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ يقول: لا تبتدعوا.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن زيد[٢] قال: كانوا مما غلوا فيه أن دعوا لله صاحبةً وولداً.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن مجاهد[٣] في قوله: ﴿وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ قال: يهود.

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وأبو داود، والترمذي وحسّنه، وابن ماجه، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، والبيهقي عن ابن مسعود[٤] قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أوّل ما دخل النقص على بني إسرائيل كان الرجل يَلْقى الرجلَ فيقول له: يا هذا اتقِ الله ودعْ ما تصنع فإنه لا يحلّ لك، ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيلَه وشريبَه وقعيدَه، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٨٠ رقم ٦٦٥٦) بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٨٠ رقم ٦٦٥٧) بسند ضعيف.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٥٨٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٨١ رقم ٦٦٥٩) بسند صحيح.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ١٩٤، ١٩٥)، وأحمد (٦/ ٢٥٠)، والترمذي رقم (٣٠٤٨)، وأبو داود رقم (٤٣٣٦)، وابن ماجه رقم (٤٠٠٦)، وابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٥٨٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٨١ رقم ٦٦٦١)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٧٥٤٤، ٧٥٤٥). وهو حديث ضعيف، والله أعلم.

﴿لِسَانِ دَاوُدَ﴾ إلى قوله: ﴿فَاسِقُونَ﴾ ثم قال: كلا، والله لتأمُرنّ بالمعروف ولتنهونّ عن المنكر ولتأخذُنّ على يد الظالم ولتأطِرُنّه على الحق أطراً».

وقد روي هذا الحديث من طرق كثيرة، والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدّاً فلا نطول بذكرها.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس(١) في قوله: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُدَ﴾؛ يعني: في الزبور ﴿وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾؛ يعني: في الإنجيل.

وأخرج أبو عبيد، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن أبي مالك الغِفاريّ(٢) في الآية قال: لعنوا على لسان داود فجعلوا قردة، وعلى لسان عيسى فجعلوا خنازير.

وأخرج ابن جرير عن مجاهد(٣) مثله.

وأخرج عبد بن حميد، وأبو الشيخ، عن قتادة(٤) نحوه.

وأخرج الديلمي(٥) في «مسند الفردوس»، عن أبي عُبيدة بن الجراح مرفوعاً: «قَتَلَتْ بنو إسرائيل ثلاثةً وأربعين نبيّاً مِنْ أوّل النهار، فقام مائة واثنا عشر رجلاً من عُبّادهم فأمروهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر، فقتلوا جميعاً في آخر النهار، فهم الذين ذكر الله: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾» الآيات.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن ابن عباس(٦) في قوله: ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ قال: ما أمرتهم.

وأخرج ابن أبي حاتم، والخرائطي في «مساوئ الأخلاق»، وابن مردويه،

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٥٨٦، ٥٨٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٨١، ١١٨٢ رقم ٦٦٦٢) بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٨/ ٥٨٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٨٢ رقم ٦٦٦٤)، وسعيد بن منصور في «سننه» رقم (٧٧٠ ـ تفسير) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٥٨٧) بسند ضعيف.

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ١٢٦).

(٥) أخرجه الديلمي في «مسند الفردوس» رقم (٨٤٤١).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٨٢ رقم ٦٦٦٧) بسند ضعيف. الضحاك لم يلق ابن عباس.

والبيهقي في «شُعب الإيمان» وضعّفه، عن حذيفة[١] عن النبي ﷺ قال: «يا معشر المسلمين إياكم والزِّنا، فإن فيه ستَّ خصال: ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة؛ فأما التي في الدنيا: فذهاب البهاء، ودوام الفقر، وقِصَر العمر؛ وأما التي في الآخرة: فسخط الله، وسوء الحساب، والخلود في النار» ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾.

قال ابن كثير[٢] في «تفسيره»: هذا الحديث ضعيف على كل حال.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن مجاهد[٣] في قوله: ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ قال: المنافقون.

[بيان شدة عداوة اليهود للمسلمين]:

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾﴾.

قوله: ﴿لَتَجِدَنَّ﴾... إلخ هذه جملة مستأنفة[٤] لما قبلها من تعداد مساوئ

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٨٣ رقم ٦٦٦٨)، والخرائطي رقم (٤٨٢)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٥٤٧٥)، وابن مردويه كما في «تفسير ابن كثير» (٥/ ٣٠٩)، والطبراني في «الأوسط» رقم (٧٠٩٦).
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٢٥٨): «فيه عمرو بن جميع وهو متروك». وهو حديث ضعيف. انظر: «الضعيفة» رقم (١٤٣).

(٢) في «تفسيره» (٥/ ٣٠٩).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٥٩٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٨٣ رقم ٦٦٦٩) بسند صحيح.

(٤) «روح المعاني» (٧/ ٣٦٢)، و«تفسير أبي السعود» (٢/ ٥٢٧).

اليهود وهناتهم، ودخول لام القسم عليها يزيدها تأكيداً وتقريراً، والخطاب لرسول الله ﷺ، أو لكل مَنْ يصلح له كما في غير هذا الموضع من الكتاب العزيز.

والمعنى في الآية: [٢/٤٥] أن اليهود والمشركين ـ لعنهم ـ الله أشدّ جميع الناس عداوة للمؤمنين وأصلبهم في ذلك.

وأن النصارى أقرب[١] الناس مودّة للمؤمنين، واللام في ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ في الموضعين متعلقة بمحذوف وقع صفة لعداوة ومودّة، وقيل: هو متعلق بعداوة ومودة؛ والإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى كونهم أقرب مودّة، والباء في ﴿بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ﴾ للسببية[٢]؛ أي: ذلك بسبب أن منهم قسيسين، وهو جمع قسّ وقسيس. قال قُطْرُبُ[٣]: والقِسّيس: العالِم، وأصله من قَسَّ: إذا تتبع الشيء وطلبه. قال الراجز:

يُصبحن عن قَسِّ الأذى غوافلا[٤]

وتقسّسْتُ أصواتَهم بالليل تسمّعتُها، القَسُّ: النميمة. والقَسّ أيضاً: رئيس النصارى في الدين والعلم، وجمعه قسوس أيضاً، وكذلك القِسيس[٥] مثل: الشرّ والشرّير، ويقال في جمع قسيس تكسيراً: قساوسة بإبدال أحد السينين واواً، والأصل قساسسة؛ فالمراد بالقسيسين في الآية: المتّبعون للعلماء والعباد، وهو إما عجميّ[٦] خلطته العرب بكلامها، أو عربيّ.

والرهبان: جَمعُ راهبٍ كركبان وراكب، والفعل رهب الله يرهبه؛ أي: خافه. والرهبانية والترهب: التعبد في الصوامع.

قال أبو عُبيد[٧]: وقد يكون رهبان للواحد والجمع.

قال الفرّاء[٨]: ويجمع رهبان إذا كان للمفرد رهبان ورهابين كقربان وقرابين.

---

(١) «جامع البيان» (٨/ ٥٩٢).

(٢) «روح المعاني» (٧/ ٣٦٥)، و«تفسير أبي السعود» (٢/ ٥٢٨).

(٣) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٢/ ٥٨)، والقرطبي في «تفسيره» (٨/ ١١٠)، والألوسي في «روح المعاني» (٧/ ٣٦٥).

(٤) هو: رؤبة بن العجاج. انظر: «ديوانه» (ص١٢١).

(٥) «تهذيب اللغة» (٨/ ٢٥٨)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٣٧).

(٦) «المحرر الوجيز» (٥/ ١٦٩).

(٧) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ٣٧).

(٨) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٣٧)، و«تهذيب اللغة» (٦/ ٢٩٠).

وقد قال جرير[١] في الجمع:

رُهبانُ مدينَ لو رأوكِ ترهبوا[٢]

وقال الشاعر[٣] في استعمال رهبان مفرداً:

لو أبصرتْ رهبانَ دير في الجبل لانحدر الرهبانُ يسعى ونَزَلْ

ثم وصفهم الله سبحانه بأنهم لا يستكبرون عن قول الحق؛ بل هم متواضعون، بخلاف اليهود فإنهم على ضدّ ذلك، وهذه الجملة معطوفة على الجملة التي قبلها: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ معطوف على جملة: ﴿وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾. ﴿تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ﴾؛ أي: تمتلئ فتفيض؛ لأن الفيض لا يكون إلا بعد الامتلاء، جعل الأعين تفيض، والفائض: إنما هو الدمع قصداً للمبالغة كقولهم دمعت عينه. قال امرؤ القيس[٤]:

ففاضت دموعُ العين مني صَبابةً على النحر حتى بلّ دمعيَ مِحْملي

قوله: ﴿مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ﴾ من الأولى لابتداء الغاية[٥]، والثانية بيانية؛ أي: كان ابتداء الفيض ناشئاً من معرفة الحق، ويجوز أن تكون الثانية تبعيضية، وقرئ: ﴿تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ﴾ على البناء للمجهول.

وقوله: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا﴾ استئناف مسوق لجواب سؤال مقدّر، كأنه قيل: فما حالهم عند سماع القرآن؟ فقال: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾؛ أي:

---

(١) انظر: «ديوان جرير» (١/ ٣٠٨).

(٢) وهو هكذا في «الديوان».

رُهبان مَدْين لو رأوك تنزَّلوا والعُصْمُ من شعفِ العُقُولِ الفَادر

(٣) ذكره ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٥٩٨)، والقرطبي في «تفسيره» (٨/ ١١٢)، والألوسي في «روح المعاني» (٧/ ٣٦٥) مع اختلاف الرواية.

لو عاينت رُهبانَ دير في قُلَلْ لأقبل الرُّهبان يعدو نزلْ

قال السمين الحلبي في «الدر المصون» (٤/ ٩١٠): «وهذا لا حجة فيه؛ لأنه قد عاد ضمير المفرد على الجمع الصريح لتأوله بواحد؛ كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ﴾ [النحل: ٦٦]؛ فالهاء في ﴿بُطُونِهِۦ﴾ تعود على ﴿ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾.

(٤) انظر: «ديوان امرؤ القيس» (ص٩).

(٥) «روح المعاني» (٧/ ٣٦٨)، و«الإملاء» (٢/ ٤٥٢)، و«التبيان» (١/ ٤٥٥). وقراءة «تُرى أعينُهم» بالبناء للمجهول، قراءة شاذة، انظر: «البحر المحيط» (٤/ ٦).

آمنا بهذا الكتاب النازل من عندك على محمد، وبمن أنزلته عليه فاكتبنا مع الشاهدين على الناس يوم القيامة من أمة محمد أو مع الشاهدين بأنه حق، أو مع الشاهدين بصدق محمد وأنه رسولك إلى الناس.

قوله: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾ كلام مستأنف[١]، والاستفهام للاستبعاد ﴿لَنَا﴾ متعلق بمحذوف، و﴿لَا نُؤْمِنُ﴾ في محل نصب[٢] على الحال، والتقدير: أيّ شيء حصل لنا حال كوننا لا نؤمن بالله وبما جاءنا من الحق؟

والمعنى: أنهم استبعدوا انتفاء الإيمان منهم مع جود المقتضى له، وهو الطمع في إنعام الله؛ فالاستفهام والنفي متوجهان إلى القيد والمقيَّد جميعاً؛ كقوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣]، والواو في ﴿وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ للحال أيضاً بتقدير مبتدأ؛ أي: أيّ شيء حصل لنا غير مؤمنين ونحن نطمع في الدخول مع الصالحين؟

فالحال الأولى والثانية صاحبهما الضمير في ﴿لَنَا﴾ وعاملهما الفعل المقدّر؛ أي: حصل، ويجوز أن تكون الحال الثانية من الضمير في ﴿نُؤْمِنُ﴾ والتقدير: وما لنا نجمع بين ترك الإيمان وبين الطمع في صحبة الصالحين.

قوله: ﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ﴾ إلخ أثابهم على هذا القول مخلصين له معتقدين لمضمونه.

قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ التكذيب بالآيات كفر، فهو من باب عطف الخاص على العام. والجحيم[٣]: النار الشديدة الإيقاد، ويقال: جحم فلان النار: إذا شدّد إيقادها، ويقال أيضاً لعين الأسد: جَحْمَة لشدّة اتقادها. قال الشاعر[٤]:

والحربُ لا تُبقي لجا حمها التَّخيُّلِ والمِراحُ

وقد أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن مجاهد[٥]،

---

(١) «البحر المحيط» (٤/ ٣٤٧ ـ ٣٤٨)، و«تفسير أبي السعود» (٢/ ٥٣١).

(٢) «روح المعاني» (٧/ ٣٦٩)، و«التبيان» (١/ ٤٥٦).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٠٠).

(٤) قيل: هو سعد بن مالك بن ضبيعة بن ثعلبة. «خزانة الأدب» (١/ ٤٦٨).
وقيل: هو الحارث بن عُباد. «الكتاب» لسيبويه (٢/ ٣٢٤).

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٥٩٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٨٣ =

في قوله: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً﴾ الآية قال: هم الوفد الذين جاؤوا مع جعفر وأصحابه من أرض الحبشة.

وأخرج أبو الشيخ(١)، وابن مردويه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما خلا يهوديّ بمسلم إلا همّ بقتله» وفي لفظ: «إلا حدّث نفسه بقتله» قال ابن كثير: وهو غريب جدّاً.

وأخرج ابن أبي حاتم(٢) عن عطاء قال: ما ذكر الله به النصارى من خير فإنما يراد به النجاشي وأصحابه.

وأخرج أبو الشيخ(٣) عنه قال: هم ناس من الحبشة آمنوا إذ جاءتهم مهاجرة المؤمنين فذلك لهم.

وأخرج النسائي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وأبو الشيخ، وابن مردويه عن عبد الله بن الزبير(٤) قال: نزلت هذه الآية في النجاشي وأصحابه: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ﴾.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن أبي حاتم، وأبو نعيم في «الحلية»، والواحدي من

= بإثر رقم ٦٦٦٩) بسند صحيح.

(١) أخرجه ابن مردويه كما في «تفسير ابن كثير» (٥/ ٣١١ ـ ٣١٢). وقال ابن كثير: «وهذا حديث غريب جدّاً».
وأخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٨/ ٣١٦) من طريق محمد بن سيرين، عن أبي هريرة رضي الله عنه.
وقال الخطيب: «هذا غريب جدّاً».
وأخرجه ابن حبان في «المجروحين» (٣/ ١٢١ ـ ١٢٢) في ترجمة يحيى بن عبيد الله بن موهب، وقال: كان من خيار عباد الله، يروي عن أبيه ما لا أصل له.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٨٣ رقم ٦٦٧٠) من طريق حمزة، عن ابن عطاء، عن أبيه.

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٠٤) طبعة د. التركي.

(٤) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» رقم (١١١٤٨)، وابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٦٠٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٨٥ رقم ٦٦٨٠)، والطبراني (ج١٣ رقم ٢٥٨)، والبزار في «مسنده» رقم (٢١٨٣ ـ كشف) من طرق. بسند صحيح.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٤١٩): «رجاله رجال الصحيح غير محمد بن عثمان بن بحر، وهو ثقة».

طريق ابن شهاب قال: أخبرني سعيد بن المسيب وأبو بكر بن عبد الرحمٰن بن الحارث بن هشام، وعروة بن الزبير[(١)] قالوا: بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضّمْري وكتب معه كتاباً إلى النجاشي، فقدم على النجاشي فقرأ كتاب رسول الله ﷺ، ثم دعا جعفر بن أبي طالب والمهاجرين معه، وأرسل النجاشي إلى الرهبان والقِسّيسين فجمعهم، ثم أمر جعفر بن أبي طالب أن يقرأ عليهم القرآن، فقرأ عليهم سورة مريم، فآمنوا بالقرآن وفاضت أعينهم من الدمع، وهم الذين أنزل الله فيهم: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً﴾ إلى قوله: ﴿مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، وابن مردويه، عن سعيد بن جبير[(٢)] في الآية قال: هم رُسُل النجاشي بإسلامه وإسلام قومه، كانوا سبعين رجلاً يختارهم من قومه، الخير فالخير، في الفقه والسنّ، وفي لفظ: بعث من خيار أصحابه إلى رسول الله ﷺ ثلاثين رجلاً، فلما أتوا رسول الله ﷺ دخلوا عليه فقرأ عليهم سورة يسٓ، فبكوا حين سمعوا القرآن وعرفوا أنه الحق، فأنزل الله فيهم: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا﴾ الآية ونزلت هذه الآية فيهم أيضاً: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ [القصص: ٥٢] إلى قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ﴾ [القصص: ٥٤].

وأخرج عبد بن حميد، والطبراني، وأبو الشيخ، وابن مردويه [٢/٤٦]، عن ابن عباس[(٣)] نحوه بدون ذكر العدد.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن السدي[(٤)] قال: بعث النجاشي إلى

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٤/ ٣٤٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٨٥ رقم ٦٦٧٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١١٧)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص١٥١) بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٦٠٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ٢٩٨٨ رقم ١٦٩٧٧)، وابن مردويه كما في «تخريج أحاديث الكشاف» (١/ ٤١٦) بسند صحيح.

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» رقم (١٢٤٥٥)، وفي «الأوسط» رقم (٤٦٣٩). وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٨): «فيه العباس بن الفضل الأنصاري». وهو ضعيف.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٥٩٦، ٦٠١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٨٤ رقم ٦٦٧٥) بسند حسن.

رسول الله ﷺ اثني عشر رجلاً، سبعة قسيسين وخمسة رهباناً، ينظرون إليه ويسألونه فلما لقوه فقرأ عليهم ما أنزل الله بكوا وآمنوا، فأنزل الله فيهم: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾ الآية، والروايات في هذا الباب كثيرة، وهذا المقدار يكفي، فليس المراد إلا بيان سبب نزول الآية.

وأخرج ابن أبي حاتم[(١)] عن الحسن في قوله: ﴿قِسِّيسِينَ﴾ قال: هم علماؤهم.

وأخرج ابن جرير[(٢)] عن ابن زيد قال: القسيسون: عُبَّادهم.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه من طرق عن ابن عباس[(٣)] في قوله: ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ قال: أمة محمد ﷺ.

[التشريع قضية الألوهية، الله هو الذي يحرم ويحلل]:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾.

الطيبات: هي المستلذات لما أحلّه الله لعباده، نهى الذين آمنوا عن أن يحرّموا على أنفسهم شيئاً منهم، إما لظنهم أن في ذلك طاعةً لله وتقرّباً إليه، وأنه من الزهد في الدنيا رفع النفس عن شهواتها، أو لقصد أن يحرّموا[(٤)] على أنفسهم شيئاً مما أحلّه لهم كما يقع من كثير من العوام من قولهم: حرام عليّ، وحرّمته على نفسي، ونحو ذلك من الألفاظ التي تدخل تحت هذا النهي القرآني.

قال ابن جرير[(٥)] الطبري: لا يجوز لأحد من المسلمين تحريم شيء مما أحلّ الله لعباده المؤمنين على نفسه من طيبات المطاعم والملابس والمناكح، ولذلك

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٨٤ رقم ٦٦٧٤) بسند حسن.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٥٩٨) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٦٠٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٨٥ رقم ٦٦٨١) بسند حسن.

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ١١٦)، و«البحر المحيط» (٤/ ٣٤٩).

(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٨/ ١١٨).

ردّ النبيّ ﷺ[١] التبتل على عثمان بن مظعون.

فثبت أنه لا فضل في ترك شيء مما أحله الله لعباده، وأن الفضل والبرّ إنما هو في فعل ما ندب الله عباده إليه، وعمل به رسول الله ﷺ وسنَّه لأمته، واتبعه على منهاجه الأئمة الراشدون، إذ كان خير الهدي هدي نبينا محمد ﷺ.

فإذا كان ذلك كذلك، تبيَّن خطأ من آثر لباس الشَعَر والصوف على لباس القطن والكِتّان إذا قدر على لباس ذلك من حله، وآثر أكل الخشن من الطعام، وترك اللحم، وغيره حذراً من عارض الحاجة إلى النساء.

قال[٢]: فإن ظن ظانّ أن الفضل في غير الذي قلنا لما في لباس الخشن وأكله من المشقة على النفس وصرف ما فضل بينهما من القيمة إلى أهل الحاجة، فقد ظنّ خطأ، وذلك أن الأولى بالإنسان صلاح نفسه وعونه لها على طاعة ربها، ولا شيء، أضرّ للجسم من المطاعم الردية؛ لأنها مفسدة لعقله، ومضعفة لأدواته التي جعلها الله سبباً إلى طاعته.

قوله: ﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ﴾؛ أي: لا تعتدوا على الله بتحريم طيبات ما أحلّ الله لكم، أو لا تعتدوا فتحلوا ما حرّم الله عليكم؛ أي: تترخصوا فتحللوا حراماً كما نهيتم عن التشديد على أنفسكم بتحريم الحلال.

وقد ذهب جمهور[٣] العلماء إلى أن من حرّم على نفسه شيئاً مما أحله الله له فلا يحرم عليه ولا يلزمه كفارة.

وقال أبو حنيفة[٤] وأحمد[٥] ومن تابعهما: إن من حرّم شيئاً صار محرّماً عليه، وإذا تناوله لزمته الكفارة، وهو خلاف ما في هذه الآية، وخلاف ما دلت عليه الأحاديث الصحيحة، ولعله يأتي في سورة التحريم ما هو أبسط من هذا إن شاء الله.

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٥٠٧٣، ٥٠٧٤)، ومسلم رقم (٦ ـ ٨/ ١٤٠٢)، وأحمد (١/ ١٧٦)، والدارمي (٢/ ١٣٣) من حديث سعد بن أبي وقاص. قال: «لقد ردَّ رسول الله ﷺ على عثمان رضي الله عنه التبتل ولو أحله لاختصينا».

(٢) قاله ابن جرير الطبراني كما في «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ١١٨).

(٣) انظر: «جامع البيان» (٨/ ٦٠٦ ـ ٦٠٧)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ١٧٣ ـ ١٧٤).

(٤) «أحكام القرآن» للكيا (٣/ ٨٧).

(٥) «أحكام القرآن» لابن العربي (٢/ ٦٣٤).

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ تعليل لما قبله، وظاهره: تحريم كل اعتداء؛ أي: مجاوزة لما شرعه الله في كل أمر من الأمور ﴿وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ حال كونه ﴿حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ﴾؛ أي: غير محرّم ولا مستقذر، أو أكلاً حلالاً طيباً، أو كلوا حلالاً طيباً مما رزقكم الله، ثم وصاهم الله سبحانه بالتقوى فقال: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ﴾.

وقد أخرج الترمذي وحسّنه، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن عديّ في «الكامل»، والطبراني، وابن مردويه، عن ابن عباس(١): أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني إذا أكلت اللحم انتشرت للنساء، وأخذتني شهوة، وإني حرّمت عليّ اللحم، فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ وقد روي من وجه آخر مرسلاً، وروي موقوفاً على ابن عباس.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، عنه(٢) في الآية قال: نزلت في رهط من الصحابة قالوا: نقطع مذاكيرنا ونترك شهوات الدنيا، ونسيح في الأرض كما يفعل الرهبان، فبلغ ذلك النبي ﷺ فأرسل إليهم، فذكر لهم ذلك فقالوا: نعم، فقال النبي ﷺ: «لكني أصوم وأفطر وأصلي وأنام وأنكح النساء، فمن أخذ بسُنَّتي فهو مني، ومن لم يأخذ بسُنَّتي فليس مني».

وقد ثبت نحو هذا في «الصحيحين»(٣) وغيرهما، من دون ذكر أن ذلك سبب نزول الآية.

وأخرج عبد بن حميد، وأبو داود، في المراسيل، وابن جرير، عن أبي مالك(٤) أن هؤلاء الرهط: هم عثمان بن مظعون وأصحابه، وفي الباب روايات كثيرة بهذا المعنى، وكثير منها مصرّح بأن ذلك سبب نزول الآية.

---

(١) أخرجه الترمذي رقم (٣٠٥٤)، وابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٦١٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٨٦ رقم ٦٦٨٧)، وابن عدي في «الكامل» (٥/ ١٨١٧)، والطبراني رقم (١١٩٨١). وهو حديث صحيح.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٦١١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٨٧ رقم ٦٦٨٩)، وابن مردويه كما في «تفسير ابن كثير» (٥/ ٣١٦) بسند ضعيف، من طريق العوفي.

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٥٠٦٣)، ومسلم رقم (١٤٠١) من حديث عائشة ﵂.

(٤) أخرجه أبو داود في «مراسيله» رقم (٢٠٩)، وابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٦٠٧)، وسعيد بن منصور في «سننه» رقم (٧٧١ ـ تفسير) بسند صحيح ولكنه مرسل.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم[(١)] أن عبد الله بن رواحة ضافه ضيفٌ من أهله، وهو عند النبي ﷺ ثم رجع إلى أهله، فوجدهم لم يُطعموا ضيفهم انتظاراً له، فقال لامرأته: حبستِ ضيفي من أجلي! هو حرام عليّ، فقالت امرأته: هو حرام عليّ، فقال الضيف: هو حرام عليّ، فلما رأى ذلك وضع يده وقال: كلوا بسم الله، ثم ذهب إلى النبيّ ﷺ فأخبره، فقال رسول الله ﷺ: «قد أصبت» فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ وهذا أثر منقطع، ولكن في «صحيح البخاري» في قصة الصدِّيق مع أضيافه ما هو شبيه بهذا.

وأخرج ابن أبي حاتم[(٢)] عن مسروق قال: كنا عند عبد الله فجيء بضرع، فتنحى رجل، فقال له عبد الله: ادنُ، فقال: إني حرّمت أن آكله، فقال عبد الله: ادن فاطعم وكفِّر عن يمينك، وتلا هذه الآية.

وأخرج أيضاً الحاكم[(٣)] في «مستدركه»، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

[الأيمانُ وكفّارتها]

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٨٩)﴾.

قد تقدم تفسير اللّغو، والخلاف فيه، في سورة البقرة، و﴿فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ صلة ﴿يُؤَاخِذُكُمُ﴾، قيل: و﴿فِيٓ﴾ بمعنى: «من» والأيمان جمع يمين. وفي الآية دليل على أن أيمان اللغو لا يؤاخذ الله الحالف بها، ولا تجب فيها الكفارة.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٦١٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٨٧ رقم ١٦٩٢) بسند منقطع.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٨٧ رقم ٦٦٩١) بسند صحيح.

(٣) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣١٣، ٣١٤) وصحّحه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

وقد ذهب الجمهور[١] من الصحابة، ومن بعدهم، إلى أنها قول الرجل: لا والله، وبلى والله في كلامه، غير معتقد لليمين، وبه فسّر الصحابة الآية وهم أعرف بمعاني القرآن.

قال الشافعي[٢]: وذلك عند اللَّجاج والغضب والعجلة.

قولُه: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾ قرئ بتشديد «عَقّدتم» وبتخفيفه، وقرئ[٣] «عاقدتم». والعقد على ضربين: حسي؛ كعقد الحَبْل، وحُكْمي؛ كعقد البيع، واليمين، والعهد. قال الشاعر[٤]:

قوم إذا عقدوا عقداً لجارهم ... شدوا العِناجَ وشدوا فوقه الكَرَبا

فاليمين المعقدة من عقد القلب ليفعلن أو لا يفعلن في المستقبل؛ أي: ولكن يؤاخذكم بأيمانكم المعقّدة الموثقة بالقصد والنية إذا حنثتم فيها. [٢/٤٧]

وأما اليمين الغموس: فهي يمينُ مكرٍ وخديعة، وكذب قد باء الحالف بإثمها، وليست بمعقودة ولا كفارة فيها كما ذهب إليه الجمهور[٥].

وقال الشافعي[٦]: هي يمين معقودة لأنّها مكتسبة بالقلب معقودة بخبر مقرونة باسم الله، والراجح الأول.

وجميع الأحاديث الواردة في تكفير اليمين متوجهة إلى المعقودة ولا يدل شيء منها على الغموس؛ بل ما ورد في الغموس إلا الوعيد والترهيب، وإنها من الكبائر؛ بل مِنْ أكبر الكبائر، وفيها نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ الآية [آل عمران: ٧٧].

قوله: ﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ﴾ الكفارة: هي مأخوذة من التكفير وهو التستير، وكذلك

---

(١) «فتح الباري» (١١/ ٥٤٧)، و«المغني» (١٣/ ٤٨٤).
(٢) «الإشراف» (١/ ٤٣٠)، و«الأم» (٨/ ١٥٥ ـ ١٥٦).
(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ١٢٥)، و«البحر المحيط» (٨/ ٣٥٠)، و«التيسير» (ص١٠٠)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٣٨). وهي ثلاث قراءات متواترة، فقراءة (عاقدتم) هم ابن ذكوان عن ابن عامر و(عقدتم) بالتخفيف عن شعبة وحمزة، والكسائي، وخلف، وقرأ الباقون بالتشديد. (عقَّدتم)، انظر: «تخريج القراءات في فتح القدير» (ص١١٦).
(٤) هو: الحطيئة. انظر: «ديوانه» (ص١٢٨).
(٥) «أحكام القرآن» لابن العربي (٢/ ٦٣٥)، و«فتح الباري» (١١/ ٥٤٧).
(٦) «الأم» (٨/ ١٥٥ ـ ١٥٦)، و«الإشراف» (١/ ٤٢٦).

الكَفْر هو الستر، والكافر هو: الساتر؛ لأنها تستر الذنب وتغطيه، والضمير في كفارته راجع إلى «ما» في قوله: ﴿بِمَا عَقَّدتُّمُ﴾.

﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ المراد بالوسط هنا: المتوسط بين طرفي الإسراف والتقتير، وليس المراد به الأعلى كما في غير هذا الموضع؛ أي: أطعموهم مِنْ المتوسط مما تعتادون إطعام أهليكم منه، ولا يجب عليكم أن تطعموهم من أعلاه، ولا يجوز لكم أن تطعموهم من أدناه، وظاهره أنه يجزئ إطعام عشرة حتّى يشبعوا.

وقد روي عن علي بن أبي طالب(١) أنه قال: لا يجزئ إطعام العشرة غداء دون عشاء حتى يغديَهم ويعشيهم.

قال أبو عمر(٢): هو قول أئمة الفتوى بالأمصار.

وقال الحسن(٣) البصري وابن سيرين: يكفيه أن يطعم عشرة مساكين أَكْلةً واحدة: خبزاً وسمناً، أو خبزاً ولحماً.

وقال عمر بن الخطاب(٤)، وعائشة، ومجاهد، والشعبي، وسعيد بن جبير، وإبراهيم النخعي، وميمون بن مهران، وأبو مالك، والضحاك، والحكم، ومكحول، وأبو قلابة، ومقاتل: يدفع إلى كل واحد مِنْ العشرة نصف صاع من برّ أو تمر.

وروي ذلك عن عليّ.

وقال أبو حنيفة(٥): نصف صاع برّ وصاع مما عداه.

وقد أخرج ابن ماجه، وابن مردويه، عن ابن عباس(٦) قال: كفَّر رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٦٢٦، ٦٣٤)، وسعيد بن منصور في «سننه» رقم (٧٩٥ ـ تفسير) بسند ضعيف؛ لضعف الحارث الأعور، وضعف الحجاج بن أرطأة من قبل حفظه.

(٢) في «الاستذكار» (١٥/ ٩٠).

(٣) ذكره عنهما ابن عبد البر في «الاستذكار» (١٥/ ٩٠ رقم ٢١١٣٢).

(٤) انظر: «الإشراف» لابن المنذر (١/ ٤١٢).

(٥) «المبسوط» (٨/ ١٤٧)، و«مختصر اختلاف العلماء» (٣/ ٢٤٧).

(٦) أخرجه ابن ماجه رقم (٢١١٢)، وابن مردويه كما في «تفسير ابن كثير» (٥/ ٣٢٤).
وقال ابن كثير: «لا يصح هذا الحديث، لحال عمر بن عبد الله هذا، فإنَّه مجمع على ضعفه، وذكروا أنّه كان يشرب الخمر»، وقال الدارقطني: «متروك». وهو حديث ضعيف، والله أعلم.

بصاع من تمر وكفَّر الناس به، ومن لم يجد فنصف صاع من برّ، وفي إسناده عمر بن عبد الله بن يعلى[١] الثقفي وهو مجمع على ضعفه، وقال الدارقطني[٢]: متروك.

قوله: ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ عطف على إطعام. قرئ[٣] بضم الكاف وكسرها[٤] وهما لغتان مثل: أسوة وإسوة.

وقرأ سعيد بن جبير[٥]، ومحمد بن السميفع اليماني: «أو كأسوتهم»: يعني: كأسوة أهليكم. والكسوة في الرجال تصدق على ما يكسو البدن، ولو كان ثوباً واحداً، وهكذا في كسوة النساء؛ وقيل: الكسوة للنساء دِرْع وخمار؛ وقيل: المراد بالكسوة: ما تجزئ به الصلاة.

قولُه: ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾؛ أي: إعتاق مملوك، والتحرير: الإخراج من الرقّ، ويستعمل التحرير في فكّ الأسير وإعفاء المجهود بعمل عن عمله، وترك إنزال الضرر به، ومنه قول الفرزدق[٦]:

أبني غُدانةَ إنني حرّرتُكم ... فوهبتُكم لعطيةَ بنِ جعال

أي: حررتكم من الهجاء الذي كان سيضع منكم، ويضرّ بأحسابكم.

ولأهل العلم أبحاث في الرقبة التي تجزئ في الكفارة، وظاهر هذه الآية أنها تجزئ كل رقبة على أيّ صفة كانت.

وذهب جماعة منهم الشافعي[٧] إلى اشتراط الإيمان فيها، قياساً على كفارة

---

(١) قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٢/ ١٤٧): «هذا إسناد فيه عمر بن عبد الله بن يعلى الثقفي». وهو ضعيف.

(٢) ذكره ابن كثير في «تفسيره» (٥/ ٣٢٤).

(٣) قرأ النخعي وابن المسيب وابن عبد الرحمٰن، واليماني والسُّلمي وأبو الجوزاء ويحيى بن يعمر (كُسوتهم) بضم الكاف. وهي قراءة شاذة، وقراءة الكسر متواترة.
انظر: «القراءات الشاذة» (ص٣٤)، و«حاشية الشهاب» (٣/ ٢٧٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ١٤٦).

(٤) وهي قراءة الجمهور: (كِسْوتهم) بكسر الكاف. «البحر المحيط» (٤/ ٣٥٤)، و«زاد المسير» (٢/ ٣١٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ١٤٦).

(٥) «القراءات الشاذة» (ص٣٤)، و«المحتسب» (١/ ٢١٨)، و«البحر المحيط» (٤/ ٣٥٤). وهي قراءة شاذة.

(٦) نسبه القرطبي في «تفسيره» إلى الفَرزدق بن غالب. وانظر: «طبقات فحول الشعراء» (١/ ٤٩٢).

(٧) «روضة الطالبين» (٨/ ١٩٣).

القتل: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ﴾؛ أي: فمن لم يجد شيئاً من الأمور المذكورة فكفارته صيام ثلاثة أيام.

وقرئ[1]: «متتابعات» حُكي ذلك عن ابن مسعود وأُبيّ، فتكون هذه القراءة مُقيدة لمطلق الصوم. وبه قال أبو حنيفة[2] والثوري[3]، وهو أحد قولي الشافعي[4].

وقال مالك[5]، والشافعي[6] في قوله الآخر: يجزئ التفريق ﴿ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾؛ أي: ذلك المذكور كفارة إيمانكم إذا حلفتم وحنثتم، ثم أمرهم بحفظ الأيمان، وعدم المسارعة إليها أو إلى الحنث بها، والإشارة بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ إلى مصدر الفعل المذكور بعده؛ أي: مثل ذلك البيان ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ وقد تكرّر هذا في مواضع من الكتاب العزيز، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ما أنعم به عليكم من بيان شرائعه وإيضاح أحكامه.

وقد أخرج ابن جرير، عن ابن عباس[7] قال: لما نزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ في القوم الذين كانوا حرّموا على أنفسهم النساء واللحم قالوا: يا رسولَ الله كيف نصنع بأيماننا التي حلفنا عليها؟ فأنزل الله: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾.

وأخرج عبد بن حميد[8]، عن سعيد بن جبير، في اللغو قال: هو الرجل يحلف على الحلال.

وأخرج عبد بن حميد[9] عن مجاهد قال: هما الرجلان يتبايعان، يقول أحدهما: والله لا أبيعك بكذا، ويقول الآخر: والله لا أشتريه بكذا.

---

(١) أخرجها ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٦٥٢) عن أُبيّ بن كعب بسند صحيح.
وأخرجها ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٦٥٢) عن ابن مسعود بسند صحيح. لكنها قراءة شاذة مخالفة للرسم. انظر: «البحر المحيط» (٤/ ١٢).

(٢) «الهداية» (١/ ١٢٥ ـ ١٢٦)، و«المبسوط» (٨/ ٩٩).

(٣) انظر: «المغني» (١١/ ٢٦٥).

(٤) «روضة الطالبين» (٨/ ١٩٣)، و«الإشراف» (١/ ٤٣٨).

(٥) «عيون المجالس» (٣/ ١٠٠١)، و«المدونة» (٢/ ٤٧)، و«التمهيد» (٢١/ ٢٥٢).

(٦) انظر: «الإشراف» (١/ ٤٣٨).

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٦١٦) بسند ضعيف من طريق العوفي.

(٨) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ١٥٠). وبقية الأثر: «أن يُحرِّمه...».

(٩) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ١٥٠).

وأخرج عبد بن حميد، وأبو الشيخ، عن النخعي[١] قال: اللغو أن يصل كلامه بالحلف: والله لتأكلنّ والله لتشربنّ ونحو هذا لا يريد به يميناً ولا يتعمد حلفاً، فهو لغو اليمين ليس عليه كفارة، وقد تقدّم الكلام في البقرة.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عن مجاهد[٢] ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾ قال: بما تعمّدتم.

وأخرج عبد بن حميد، وأبو الشيخ، عن قتادة[٣] نحوه.

وأخرج ابن مردويه[٤]، عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ كان يُقيِّم كفارة اليمين مدّاً مِنْ حنطة، وفي إسناده النضر بن زرارة بن عبد الكريم الذهلي الكوفي.

قال أبو حاتم: مجهول، وذكره ابن حبان في الثقات. وقد تقدّم حديث ابن عباس وتضعيفه.

وأخرج ابن مردويه[٥] عن أسماء بنت أبي بكر قالت: كنا نعطي في كفارة اليمين بالمدّ الذي نقتات به.

وأخرج عبد الرزاق، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وأبو الشيخ، عن عمر بن الخطاب[٦] قال: إني أحلف لا أعطي أقواماً، ثم يبدو لي فأعطيهم، فأطعم عشرة مساكين كل مسكين صاعاً من شعير، أو صاعاً من تمر أو نصف صاع من قمح.

وأخرج عبد الرزاق، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن عليّ بن أبي طالب[٧] قال: في كفارة اليمين إطعام عشرة مساكين لكل مسكين نصف صاع من حنطة.

---

(١) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ١٥٠).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٦١٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٩١ رقم ٦٧١٢) بسند صحيح.

(٣) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ١٥٠).

(٤) أخرجه ابن مردويه كما في «تفسير ابن كثير» (٥/ ٣٢٥). وقال ابن كثير: إسناده ضعيف.

(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ١٥٠).

(٦) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» رقم (١٦٠٧٥، ١٦٠٧٦)، وابن أبي شيبة (القسم الأول من الجزء الرابع ص٧)، وابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٦٢٨)، وسعيد بن منصور في «سننه» رقم (٧٨٥، ٧٨٦ ـ تفسير) بسند صحيح.

(٧) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» رقم (١٦٠٧٧)، وابن أبي شيبة (القسم الأول من الجزء =

وأخرج عبد بن حميد[١]، عن ابن عباس مثله.

وأخرج عنه[٢] عبد الرزاق، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ من طرق قال: في كفارة اليمين مدّ من حنطة لكل مسكين.

وأخرج هؤلاء إلا ابن أبي حاتم عن زيد بن ثابت[٣] مثله.

وأخرج هؤلاء أيضاً عن ابن عمر[٤] مثله.

وأخرج ابن المنذر[٥] عن أبي هريرة مثله.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن عليّ بن أبي طالب[٦] قال: تغديهم وتعشيهم [٢/٤٨] إن شئت خبزاً ولحماً، أو خبزاً وزيتاً، أو خبزاً وسمناً، أو خبزاً وتمراً.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٧] في قوله: ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ قال: من عُسْركم ويُسْرِكم.

وأخرج ابن ماجه[٨] عنه قال: كان الرجل يقوت أهله قوتاً فيه سعة، وكان

= الرابع ص٧)، وابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٦٢٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٩١ رقم ٦٧١٥) بسند صحيح.

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ١٥١).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» رقم (١٦٠٦٨)، وابن أبي شيبة (القسم الأول من الجزء الرابع ص٩)، وابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٦٣٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٩٢ رقم ٦٧١٦) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٦٣١ ـ ٦٣٢)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (القسم الأول من الجزء الرابع ص٩)، وعبد الرزاق رقم (١٦٠٦٨) بسند صحيح.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٦٣٢)، وابن أبي شيبة (القسم الأول من الجزء الرابع ص٨) بسند صحيح.

(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ١٥٢).

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٦٣٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٩٢ رقم ٦٧١٩)، وسعيد بن منصور في «سننه» رقم (٧٩٥ ـ تفسير) بسند ضعيف. وقد تقدم.

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٦٣٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٩٣ رقم ٦٧٢٤) بسند حسن.

(٨) أخرجه ابن ماجه في «السنن» رقم (٢١١٣). وهو حديث صحيح.

الرجل يقوت أهله قوتاً فيه شدّة، فنزلت: ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، وابن مردويه[١] عنه نحو ذلك.

وأخرج الطبراني وابن مردويه، عن عائشة[٢] عن النبي ﷺ في قوله: ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ قال: «عباءة لكل مسكين»، قال ابن كثير: حديث غريب.

وأخرج ابن مردويه[٣] عن حذيفة قال: قلتُ: يا رسولَ اللهِ، ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ ما هو؟ قال: «عباءةٌ عباءة».

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس[٤] قال: عباءة لكل مسكين أو شملة.

وأخرج ابن أبي حاتم، عن ابن عمر[٥] قال: الكسوة: ثوب أو إزار.

وأخرج ابن جرير، والبيهقي في «سننه»، عن ابن عباس[٦] قال: في كفارة اليمين هو بالخيار في هؤلاء الثلاثة الأوّلَ فالأوّلَ، فإن لم يجد من ذلك شيئاً فصيام ثلاثة أيام متتابعاتٍ.

وأخرج ابن مردويه[٧] عنه نحوه.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٦٣٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٩٣ رقم ٦٧٢٢) بسند حسن.

(٢) أخرجه ابن مردويه كما في «تفسير ابن كثير» (٥/ ٣٢٧) بسند ضعيف.

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ١٥٣).

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٦٤٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٩٣ رقم ٦٧٢٧) بسند صحيح.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٩٣ رقم ٦٧٢٥) من طريق نافع، عن ابن عمر.

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٦٥٣، ٦٥٤)، والبيهقي (١٠/ ٥٩، ٦٠) بسند صحيح.

(٧) أخرجه ابن مردويه كما في «تفسير ابن كثير» (٥/ ٣٢٩ ـ ٣٣٠) بسند ضعيف. وابن جريج لم يدرك ابن عباس.
وقال ابن كثير: «وهذا حديث غريب جدّاً».

[النص القاطع الأخير في تحريم الخمر]:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾.

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ خطاب لجميع[1] المؤمنين. وقد تقدم تفسير الميسر في سورة البقرة ﴿وَٱلْأَنصَابُ﴾ هي: الأصنام المنصوبة للعبادة، ﴿وَٱلْأَزْلَٰمُ﴾. قد تقدّم تفسيرها في أوّل هذه السورة، والرجس يطلق على العَذِرة والأقذار، وهو خبر للخمر، وخبر المعطوف عليه محذوف. وقوله: ﴿مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ صفة لرجس؛ أي: كائن مِنْ عمل الشيطان، بسبب تحسّينه لذلك وتزيينه له. وقيل: هو الذي كان عمل هذه الأمور بنفسه فاقتدى به بنو آدم والضمير في ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ راجع إلى الرجس أو إلى المذكور.

وقولُه: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ علة لما قبله. قال في «الكشاف»[2]: أكد تحريم الخمر والميسر وجوهاً مِنْ التأكيد، منها: تصدير الجملة بإنما.

ومنها: أنّه قرنهما بعبادة الأصنام ومنه قوله ﷺ: «شارب الخمر كعابد الوثن»[3]، ومنها: أنه جعلهما رجساً، كما قال: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحج: ٣٠].

ومنها: أَنَّه جعلهما من عمل الشيطان، والشيطان لا يأتي منه إلا الشرّ البحت.

ومنها: أنه أمر بالاجتناب.

ومنها: أنه جعل الاجتناب مِنْ الفلاح، وإذا كان الاجتناب فلاحاً كان الارتكاب خيبة ومحقة.

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ١٥٦). (٢) «الكشاف» (٢/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩).

(٣) انظر: «جامع البيان» (٨)، و«التمهيد» (١٤/ ١٥٠)، و«فتح الباري» (١٠/ ١٣١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ١٥٧)، و«مختصر اختلاف العلماء» (٤/ ٣٧١).

ومنها أَنَّه ذكر ما ينتج منهما مِنْ الوبال، وهو وقوع التعادي والتباغض بين أصحاب الخَمْر والقَمْر، وما يؤديان إليه مِنْ الصدّ عن ذكر الله، وعن مراعاة أوقات الصلوات. انتهى.

وفي هذه الآية دليل على تحريم الخمر لما تضمنه الأمر بالاجتناب من الوجوب وتحريم الصدّ، ولما تقرّر في الشريعة مِنْ تحريم قربان الرجس، فضلاً عن جعله شراباً يُشرب.

قال أهل العلم[١] مِنْ المفسرين وغيرهم: كان تحريم الخمر بتدريج ونوازل كثيرة؛ لأنهم كانوا قد ألفوا شربها وحببها الشيطان إلى قلوبهم.

فأوّل ما نزل في أمرها: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢١٩] فترك عند ذلك بعض من المسلمين شربها، ولم يتركه آخرون، ثم نزل قوله تعالى: ﴿لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ [النساء: ٤٣] فتركها البعض أيضاً، وقالوا: لا حاجة لنا فيما يشغلنا عن الصلاة، وشربها البعض في غير أوقات الصلاة، حتى نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾ فصارت حراماً عليهم، حتى كان يقول بعضهم ما حرّم الله شيئاً أشدّ من الخمر، وذلك لما فهموه من التشديد فيما تضمنته هذه الآية من الزواجر، وفيما جاءت به الأحاديث الصحيحة من الوعيد لشاربها، وأنها من كبائر الذنوب.

وقد أجمع[٢] على ذلك المسلمون إجماعاً لا شك فيه ولا شبهة، وأجمعوا أيضاً على تحريم بيعها والانتفاع بها ما دامت خمراً، وكما دلت هذه الآية على تحريم الخمر، دلت أيضاً على تحريم الميسر، والأنصاب، والأزلام.

وقد أشارت هذه الآية إلى ما في الخمر والميسر من المفاسد الدنيوية بقوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾ ومن المفاسد الدينية بقوله: ﴿وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾.

قوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ فيه زجر بليغ يفيده الاستفهام الدال على التقريع[٣] والتوبيخ.

---

(١) سبق تخريجه في الصفحة السابقة، حاشية رقم (٣).

(٢) انظر: «التمهيد» (١٤/ ١٥).

(٣) «تفسير أبي السعود» (٢/ ٥٣٩)، و«روح المعاني» (٧/ ٣٩٢ ـ ٣٩٣).

ولهذا قال عمر[1] رضي الله عنه لما سمع هذا: انتهينا. ثم أكد الله سبحانه هذا التحريم بقوله: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا﴾؛ أي: مخالفتهما؛ أي: مخالفة الله ورسوله، فإن هذا وإن كان أمراً مطلقاً؛ فالمجيء به في هذا الموضع يفيد ما ذكرناه من التأكيد.

وهكذا ما أفاده بقوله: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾؛ أي: إن أعرضتم عن الامتثال، فقد فعل الرسول ما هو الواجب عليه من البلاغ الذي فيه رشادكم وصلاحكم، ولم تضرّوا بالمخالفة إلا أنفسكم، وفي هذا من الزجر ما لا يُقادَرُ قدْره ولا يبلغ مداه.

قوله: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾؛ أي: من المطاعم التي يشتهونها، والطَعْم وإن كان استعماله في الأكل أكثر لكنه يجوز استعماله في الشرب، ومنه قوله تعالى: [٢/٤٩] ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ [البقرة: ٢٤٩] أباح الله سبحانه لهم في هذه الآية جميع ما طعموا كائناً ما كان مقيداً بقوله: ﴿إِذَا مَا اتَّقَوا﴾؛ أي: اتقوا ما هو محرّم عليهم كالخمر وغيره من الكبائر، وجميع المعاصي ﴿وَآمَنُوا﴾ بالله ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ من الأعمال التي شرعها الله لهم؛ أي: استمروا على عملها.

قوله: ﴿ثُمَّ اتَّقَوا﴾ عطف على اتقوا الأوّل؛ أي: اتقوا ما حرّم عليهم بعد ذلك مع كونه كان مباحاً فيما سبق ﴿وَآمَنُوا﴾ بتحريمه ﴿ثُمَّ اتَّقَوا﴾ ما حرّم عليهم بعد التحريم المذكور قبله مما كان مباحاً من قبل، ﴿وَأَحْسَنُوا﴾؛ أي: عملوا الأعمال الحسنة، هذا معنى الآية.

وقيل: التكرير[2] باعتبار الأوقات الثلاثة.

وقيل: إن التكرير باعتبار المراتب الثلاث: المبدأ، والوسط، والمنتهى؛ وقيل: إن التكرار باعتبار ما يتقيه الإنسان، فإنه ينبغي له أن يترك المحرّمات توقياً من العذاب، والشبهات توقياً من الوقوع في الحرام، وبعض المباحات حفظاً للنفس عن

---

(١) أخرجه أحمد رقم (٣٧٨)، وأبو داود رقم (٣٦٧٠)، والترمذي رقم (٣٠٤٩)، والنسائي في «المجتبى» (٨/ ٢٨٦ ـ ٢٨٧)، وفي «الكبرى» رقم (٥٠٣١). وهو حديث صحيح.
(٢) «المحرر الوجيز» (٥/ ١٨٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ١٧٢).

الخسة؛ وقيل: إنه لمجرّد التأكيد، كما في قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ٣، ٤]، هذه الوجوه كلها مع قطع النظر عن سبب نزول الآية إما مع النظر إلى سبب نزولها، وهو أنه لما نزل تحريم الخمر، قال قوم من الصحابة: كيف بمن مات منّا وهو يشربها ويأكل الميسر؟ فنزلت.

فقد قيل: إن المعنى ﴿اتَّقَوا﴾ الشركَ ﴿وَءَامَنُوا﴾ بالله ورسوله ﴿ثُمَّ اتَّقَوا﴾ الكبائرَ ﴿وَءَامَنُوا﴾؛ أي: ازدادوا إيماناً ﴿ثُمَّ اتَّقَوا﴾ الصغائرَ ﴿وَأَحْسَنُوا﴾؛ أي: تنفلّوا.

قال ابن جرير[1] الطبري:

(الاتقاء الأول): هو الاتقاء بتلقي أمر الله بالقبول، والتصديق والدينونة، به والعمل.

(والاتقاء الثاني): الاتقاء بالثبات على التصديق.

(والثالث): الاتقاء بالإحسان والتقرّب بالنوافل.

وقد أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «الشعب»، عن ابن عمر[2] قال: نزل في الخمر ثلاثُ آيات، فأول شيء: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ الآية [البقرة: ٢١٩]، فقيل: «حرّمت الخمر». فقيل: يا رسول الله دعنا ننتفع بها كما قال الله، فسكت عنهم، ثم نزلت هذه الآية: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ﴾ [النساء: ٤٣]، فقيل: «حرّمت الخمر». فقالوا: يا رسول الله لا نشربها قُرْب الصلاة، فسكت عنهم، ثم نزلت: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِنَّمَا الْخَمْرُ﴾ الآية، فقال رسول الله ﷺ: «حرّمت الخمر».

وأخرج أحمد[3] عن أبي هريرة قال: حرّمت الخمر ثلاث مرات، وذكر نحو حديث ابن عمر، فقال الناس: يا رسول الله، ناس قتلوا في سبيل الله وماتوا على فراشهم كانوا يشربون الخمر ويأكلون الميسر، وقد جعله الله رجساً من عمل الشيطان، فأنزل الله: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الآية، وقال النبيّ ﷺ: «لو حُرّم عليهم لتركوه كما تَركتم».

---

(١) في «جامع البيان» (٨/ ٦٦٥).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٣/ ٦٨١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ١٩٩ رقم ٢٠٤٦) (٤/ ١٩٩ رقم ٦٧٦٢)، والطيالسي رقم (٢٠٦٩)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٥٥٧٠) بسند ضعيف؛ لضعف محمد بن أبي حميد.

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ٤٤٣) بسند صحيح.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والنحاس في «ناسخه»، وأبو الشيخ، وابن مردويه، عن سعد بن أبي وقاص[(١)] قال: فيَّ نزل تحريم الخمر، صنع رجل من الأنصار طعاماً، فدعا ناساً، فأتوه، فأكلوا وشربوا، حتى انتشوا من الخمر، وذلك قبل تحرم الخمر فتفاخروا، فقالت الأنصار: الأنصار خير من المهاجرين، وقالت قريش: قريش خير. فأهوى رجل بلحى جمل فضرب على أنفي، فأتيت النبيّ ﷺ فذكرت ذلك له، فنزلت هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾ الآية.

وأخرج عبد بن حميد، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر، والطبراني، وأبو الشيخ، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي عن ابن عباس[(٢)] قال: أُنزل تحريم الخمر في قبيلتين مِنْ الأنصار شربوا، فلما أن ثَمِل القوم عبث بعضهم ببعض، فلما أن صحوا جعل يرى الرجل منهم الأثرَ بوجهه وبرأسه ولحيته، فيقول: صنع بي هذا أخي فلانٌ وكانوا إخوةً ليس في قلوبهم ضغائن، والله لو كان بي رؤوفاً رحيماً ما صنع بي هذا حتى وقعت الضغائن في قلوبهم، فأنزل الله هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾ إلى قوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ فقال ناس من المتكلِّفين: هي رِجْسٌ، وهي في بطن فلان قتل يوم بدر، وفلان قتل يوم أُحد، فأنزل الله هذه الآية: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ﴾ الآية.

وقد رويت في سبب النزول روايات كثيرة موافقة لما قد ذكرناه.

وأخرجَ عبدُ بن حُميدٍ[(٣)] عن قتادة قال: الميسر هو القمار كله.

وأخرج ابن مردويه[(٤)]، عن وهب بن كيسان قال: قلت لجابر: متى حرّمت الخمر؟ قال: بَعد أُحد.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٦٥٩، ٦٦٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٠٠ رقم ٢٧٦٧)، والنحاس في «ناسخه» (ص١٤٩، ١٥٠) بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٦٦١)، والنسائي في «السنن الكبرى» رقم (١١١٥١)، والطبراني رقم (١٢٤٥٩)، والبيهقي (٨/ ٢٨٥)، والحاكم (٤/ ١٤١) وصحَّحه ووافقه الذهبي.

وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢١): «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح».

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ١٦٠).

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ١٦٣).

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، عن قتادة[١] قال: نزل تحريم الخمر في سورة المائدة، بعد غزوة الأحزاب.

وأخرج عبد الرزاق، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وأبو الشيخ، عن ابن عباس[٢] قال: كل القمار من الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز والكعاب.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن المنذر، عن عليّ بن أبي طالب[٣] قال: النرد والشطرنج من الميسر.

وأخرج عبد بن حميد[٤] عن عليّ قال: الشطرنج ميسر الأعاجم.

وأخرج ابن أبي حاتم[٥]، عن القاسم بن محمد، أنه سئل عن النرد أهي من الميسر؟ قال: كلُّ ما ألهى عَنْ ذكر الله وعن الصلاة فهو ميسر.

وأخرج عبد بن حميد، وابن أبي الدنيا في «ذمّ الملاهي»، والبيهقي في «الشعب»، عنه[٦] أيضاً أنه قيل له: هذه النرد تكرهونها فما بال الشطرنج؟ قال: كل ما ألهى عن ذكر الله وعن الصلاة فهو من الميسر.

وأخرجوا[٧] أيضاً عن ابن الزبير قال: يا أهل مكة بلغني عن رجال يلعبون بلعبة يقال لها: النَرْدَشير، والله يقول في كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ﴾ إلى قوله: ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ وإني أحلف بالله لا أُوتى بأحدٍ يلعب بها إلا عاقبته في شَعَره وبَشَره، وأعطيتُ سَلَبَه مَنْ أتاني به.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٣/ ٦٨٥) بسند صحيح.

(٢) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/١٦٨) إلى ابن المنذر.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» رقم (٨/٥٤٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/١٩٩٧ رقم ٦٧٥١) بسند حسن.

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/١٦٨).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/١١٩٧ رقم ٦٧٥٠) بسند حسن.

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في «ذم الملاهي» رقم (٩٧)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٦٥١٩) بسند صحيح.

(٧) أخرجه ابن أبي الدنيا في «ذم الملاهي» رقم (٨٥)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٦٥١١)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/٢١٦)، والبخاري في «الأدب المفرد» رقم (١٢٧٥) بسند حسن.

وأخرج ابن أبي الدنيا[١] عن مالك بن أنس قال: الشطرنج من النرد، بلغنا عن ابن عباس أنه ولي مالَ يتيمٍ فأحرقَها.

وأخرج ابن أبي الدنيا[٢]، عن عبيد الله بن عُمر قال: سئل ابن عمر عن الشطرنج؟ فقال: هي شرٌّ مِنْ النرد.

وأخرج ابن أبي الدنيا[٣]، عن عبد الملك بن عُمير قال: رأى رجل من أهل الشام أنه يُغفر لكل مؤمن في كل يوم اثنتا عشرة مرّةً إلا أصحاب الشاه؛ يعني: أصحاب الشطرنج [٢/٥٠].

وأخرج ابن أبي الدنيا[٤] عن أبي جعفر أنه سئل عن الشطرنج، فقال: تلك المجوسية فلا تلعبوا بها.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن أبي الدنيا، عن أبي موسى الأشعري[٥] قال: قال رسول الله ﷺ: «من لعب بالنردشير فقد عصى الله ورسوله».

وأخرج أحمد عن عبد الرحيم[٦] الخطمي، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مثل الذي يلعب بالنرد ثم يقوم فيصلِّي مثل الذي يتوضأ بالقيح ودم الخنزير ثم يقوم فيصلي».

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن أبي الدنيا عن عبد الله بن عمر[٧] قال: اللاعب بالنرد قماراً كآكل لحم الخنزير، واللاعب بها من غير قمار كالمدّهن بِوَدَك الخنزير.

وأخرج ابن أبي الدنيا، عن يحيى بن كثير[٨] قال: «مرّ رسول الله ﷺ بقوم يلعبون بالنرد فقال: قلوب لاهية، وأيدي عليلة، وألسنة لاغية».

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «ذم الملاهي» رقم (١٠١)، والبيهقي (١٠/ ٢١٢) بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «ذم الملاهي» رقم (١٠٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٢١٢) بسند حسن.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا رقم (٩٩) بسند ضعيف؛ لضعف شريك. وهو سيئ الحفظ.

(٤) ابن أبي الدنيا في «ذم الملاهي» رقم (٩٤).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (٨/ ٥٤٩)، وابن أبي الدنيا رقم (٨٤) بسند حسن.

(٦) أخرجه أحمد رقم (٢٣١٣٨) بسند ضعيف. وفي النسخة الأم عبد الرحيم الخَطْمي، وصوابه أَبي عبد الرحمن الخَطْمي».

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة (٨/ ٥٤٩)، وابن أبي الدنيا رقم (٨١) بسند صحيح.

(٨) أخرجه ابن أبي الدنيا في «ذم الملاهي» رقم (٨٧) بسند ضعيف. وهو معضل. هكذا في النسخة الأم «يحيى بن كثير» وصوابه يحيي بن أبي كثير.

وأخرج عبد بن حميد، وابن أبي الدنيا، وأبو الشيخ، عن قتادة[١] قال: الميسر القمار.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، من طريق ليث عن عطاء وطاوس، ومجاهد[٢] قالوا: كل شيء فيه قمار، فهو من الميسر، حتى لعب الصبيان بالجَوز والكِعاب.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن أبي الدنيا، وأبو الشيخ عن ابن سيرين[٣] قال: القمار من الميسر.

وأخرج ابن أبي الدنيا، وأبو الشيخ، عنه[٤] قال: ما كان من لعب فيه قمار، أو صياح، أو شرّ، فهو من الميسر.

وأخرج ابن أبي حاتم[٥]، عن يزيد بن شريح، أن النبي ﷺ قال: «ثلاث من الميسر: الصَّفير بالحَمام، والقمار، والضرب بالكعاب».

وأخرج ابن أبي حاتم[٦] عن ابن عباس قال: الأنصاب: حجارة كانوا يذبحون لها، والأزلام: قداح كانوا يستقسمون بها الأمور.

وأخرج ابن أبي حاتم[٧] عن سعيد بن جبير قال: كانت لهم حصيات إذا أراد أحدهم أن يغزو أو يجلس استقسم بها.

وأخرج ابن المنذر[٨] عن مجاهد في الأزلام قال: هي كِعاب فارس التي يقتمرون بها، وسهام العرب.

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا رقم (١١٣) بسند ضعيف؛ لضعف عمرو بن حمران.
(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٨/ ٥٥٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٩٧ رقم ٦٧٤٩)، وابن أبي الدنيا رقم (١١٥) بسند ضعيف؛ لضعف ليث بن أبي سليم.
(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا رقم (١١٤)، وابن أبي شيبة (٨/ ٥٥٣) بسند حسن.
(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا رقم (١١٧) بسند صحيح.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ٣٩١ رقم ٢٠٥٨). وهو أثر ضعيف، والله أعلم، وضعفه الألباني في «السلسلة الضعفية» رقم (٣٤٤١).
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٩٨ رقم ٦٧٥٤) بسند ضعيف.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٩٨ رقم ٦٧٥٧) بسند صحيح.
(٨) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ١٧١).

وقد وردت أحاديث كثيرة في ذمّ الخمر وشاربها، والوعيد الشديد عليه، وأن كل مسكر حرام، وهي مدوّنة في كُتب الحديث، فلا نطوّل المقام بذكرها، فلسنا بصدد ذلك؛ بل نحن بصدد ما هو مُتعلّق بالتفسير.

[الصيد في حالة الإحرام وكفارة قتله]:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٩٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ أُحِلَّ لَكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَحۡرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِلسَّيَّارَةِۖ وَحُرِّمَ عَلَيۡكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَرِّ مَا دُمۡتُمۡ حُرُمٗاۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٩٦﴾﴾.

[مكانة البيت الحرام والشهر الحرام]:

﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَٱلۡهَدۡيَ وَٱلۡقَلَٰٓئِدَۚ ذَٰلِكَ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾﴾ ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٩٨﴾ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ﴿٩٩﴾﴾.

قوله: ﴿لَيَبۡلُوَنَّكُمُ﴾؛ أي: ليختبرنكم، واللّامُ جواب قسم محذوف، كان الصيدُ أحدَ معايش العرب فابتلاهم الله بتحريمه مع الإحرام وفي الحَرَم، كما ابتلى بني إسرائيل أن لا يعتدوا في السبت، وكان نزول الآية في عام الحُديبية[1]، أحرم بعضهم وبعضهم لم يحرم، فكان إذا عرض صيد اختلفت فيه أحوالهم.

وقد اختلف العلماء[2] في المخاطبين بهذه الآية، هل هم المحلّون أو المُحْرِمون؟

(١) «أحكام القرآن» لابن العربي (٢/ ٦٥٦).
(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ١٧٧).

فذهب إلى الأوّل: مالك، وإلى الثاني: ابنُ عباس.

والراجح: أن الخطاب للجميع، ولا وجه لقصره على البعض دون البعض.

و«من» في ﴿مِّنَ ٱلصَّيۡدِ﴾ للتبعيض(١) وهو صيد البر، قاله ابن جرير(٢) الطبري وغيره؛ وقيل: إن «من» بيانية؛ أي: شيء حقير من الصيد، وتنكير «شيء» للتحقير.

قوله: ﴿تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ﴾ قرأ ابن وثَّاب(٣): (يناله) بالياء التحتية. هذه الجملة تقتضي تعميم الصيد، وأنه لا فرق بين ما يؤخذ باليد، وهو ما لا يُطيق الفرار كالصغار والبَيض، وبين ما تناله الرماح: وهو ما يُطيق الفرار. وخصّ(٤) الأيدي بالذكر؛ لأنها أكثر ما يتصرّف به الصائد في أخذ الصيد، وخص الرماح بالذكر؛ لأنها أعظم الآلات للصيد عند العرب.

قوله: ﴿لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ﴾؛ أي: ليتميز عند الله من يخافه منكم بسبب عقابه الأخروي فإنه غائب عنكم غير حاضر، ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾؛ أي: بعد هذا البيان الذي امتحنكم الله به؛ لأن الاعتداء بعد العلم بالتحريم معاندة لله سبحانه وتجرئة عليه.

قوله: ﴿لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ﴾ نهاهم عن قتل الصيد في حال الإحرام، وفي معناه: ﴿غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ﴾ [المائدة: ١] وهذا النهي شامل لكل أحد من ذكور المسلمين وإناثهم؛ لأنه يقال: رجل حرام وامرأة حرام والجمع حُرُم، وأحرم الرجل: دخل في الحرم.

قوله: ﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا﴾ المتعمد: هو القاصد للشيء مع العلم بالإحرام، والمخطئ: هو الذي يقصد شيئاً فيصيب صيداً، والناسي: هو الذي يتعمد الصيد ولا يذكر إحرامه.

وقد استدل ابن عباس، وأحمد(٥) في رواية عنه، وداود باقتصاره سبحانه على

---

(١) «روح المعاني» (٧/ ٤٠١)، و«البحر المحيط» (٤/ ٣٦١).
(٢) في «جامع البيان» (٨/ ٦٧٠).
(٣) «القراءات الشاذة» (ص٣٥)، و«روح المعاني» (٧/ ٤٠١)، و«البحر المحيط» (٤/ ٣٦٢). وهي قراءة شاذة.
(٤) «أحكام القرآن» لابن العربي (٢/ ٦٥٧).
(٥) انظر: «المغني» (٥/ ٣٩٧)، و«الإقناع» لابن المنذر (١/ ٢١٥).

العامد بأنه لا كفارة على غيره؛ بل لا تجب إلا عليه وحده. وبه قال سعيد بن جبير، وطاوس، وأبو ثور.

وقيل: إنها تلزم الكفارة المخطئ والناسي كما تلزم المتعمد، وجعلوا قيد التعمد خارجاً مخرج الغالب، روي عن عمر[١]، والحسن، والنخعي، والزهري، وبه قال مالك[٢] والشافعي[٣] وأبو حنيفة[٤] وأصحابهم، وروي عن ابن عباس.

وقيل: إنه يجب[٥] التكفير على العامد [٢/٥١] الناسي لإحرامه، وبه قال مجاهد، قال: فإن كان ذاكراً لإحرامه فقد حلّ، ولا حج له، لارتكابه محظور إحرامه، فبطل عليه كما لو تكلم في الصلاة أو أحدث فيها.

قوله: ﴿فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾؛ أي: فعليه جزاء مماثل لما قتله، و﴿مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ بيان للجزاء المماثل. قيل: المراد المماثلة في القيمة، وقيل: في الخِلْقة.

وقد ذهب إلى الأوّل: أبو حنيفة[٦]، وذهب إلى الثاني: مالك[٧] والشافعي[٨] وأحمد[٩] والجمهور، وهو الحق لأن البيان للمماثل بالنعم يفيد ذلك، وكذلك يفيده هدياً بالغ الكعبة.

وروي عن أبي حنيفة[٦] أنه يجوز إخراج القيمة ولو وجد المِثْلَ، وأن المُحْرِم مخيّر.

وقرئ[١٠]: ﴿فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ﴾ وقرئ: (فجزاءُ مثلِ) على إضافة[١١] جزاء إلى

---

(١) انظر: «جامع البيان» (٨/ ٦٧٨)، و«المغني» (٥/ ٣٩٦ ـ ٣٩٧)، و«أحكام القرآن» لابن العربي (٢/ ٦٦٣).

(٢) انظر: «الاستذكار» (١١/ ٣٠٣). (٣) «المجموع شرح المهذب» (٧/ ٣٤٥).

(٤) «البناية في شرح الهداية» (٤/ ٣٢٧).

(٥) انظر: «المغني» (٥/ ٢٩٦ ـ ٢٩٧)، و«أحكام القرآن» لابن العربي (٢/ ٦٦٣).

(٦) «البناية في شرح الهداية» (٤/ ٣٥٧).

(٧) «الاستذكار» (١٣/ ٣١٦ ـ ٣١٧)، و«عيون المجالس» (٢/ ٨٨٠).

(٨) «الأم» (٣/ ٤٩٠)، و«المجموع» (٧/ ٤٥٣). (٩) «المغني» (٥/ ١٨٦).

(١٠) «فجزاءُ مثلُ» برفع «جزاء» وتنوينه، و«مثلُ» على الصفة والخبر مضمر، التقدير: فعليه جزاء مماثل واجب أو لازم من النَّعم، وهذه القراءة تقتضي أن يكون المثل هو الجزاء بعينه. «التيسير» (ص١٠٠)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤١٨)، و«الحجة» للفارسي (٣/ ٢٥٤)، و«جامع البيان» (٨/ ٦٨٠).

(١١) وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر: «فجزاءُ مثلِ» برفع جزاء =

مثل، وقرئ بنصبهما[١] على تقدير فليخرج جزاء مثلَ ما قتل.

وقرأ الحسن: ﴿النَعْم﴾ بسكون العين[٢] تخفيفاً.

﴿يَحْكُمُ بِهِۦ﴾؛ أي: بالجزاء أو بمثل ما قتل ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾؛ أي: رجلان معروفان بالعدالة بين المسلمين، فإذا حكما بشيء لزم، وإن اختلفا رجع إلى غيرهما، ولا يجوز أن يكون الجاني أحد الحكمين؛ وقيل: يجوز، وبالأوّل: قال أبو حنيفة[٣]، وبالثاني: قال الشافعي[٤] في أحد قوليه، وظاهر الآية يقتضي حكمين غير الجاني.

قوله: ﴿هَدْيَۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ نصب هدياً على الحال، أو البدل من «مثل»، و﴿بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ صفة لهدياً؛ لأن الإضافة غير حقيقية، والمعنى: أنهما إذا حكما بالجزاء فإنه يفعل به ما يفعل بالهدي من الإرسال إلى مكة والنحر هنالك، والإشعار والتقليد، ولم يرد الكعبة بعينها، فإن الهدي لا يبلغها، وإنما أراد الحرم، ولا خلاف في هذا.

قوله: ﴿أَوْ كَفَّٰرَةٌ﴾ معطوف على محل من النعم[٥]: وهو الرفع لأنه خبر مبتدأ محذوف، و﴿طَعَامُ مَسَٰكِينَ﴾ عطف بيان لكفارة، أو بدل منه، أو خبر مبتدأ محذوف ﴿أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ﴾ معطوف على طعام؛ وقيل: هو معطوف على جزاء، وفيه ضعف.

فالجاني مخيّر بين هذه الأنواع المذكورة. وعَدْلُ الشيء ما عادله من غير جنسه، و﴿صِيَامًا﴾ منصوب على التمييز.

وقد قدّر العلماء[٦] عدلَ كل صيدٍ من الإطعام والصيام، وقد ذهب إلى أن

= وإضافته إلى «مثل»، والمعنى فعليه «جزاء مثلِ».
«النشر» (٢/ ٢٥٥)، و«جامع البيان» (٨/ ٦٨٠)، و«حاشية الشهاب» (٣/ ٢٨٢)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٤٠ ـ ٤١).

(١) انظر: «القراءات الشاذة» (ص٣٤)، و«حاشية الشهاب» (٣/ ٢١٢)، و«البحر المحيط» (٤/ ٣٦٤). وقراءة نصيب «مثْلَ» شاذة.

(٢) «القراءات الشاذة» (ص٣٥). وهي قراءة شاذة. انظر: «تخريج القراءات في فتح لاقدير» (ص١١٦).

(٣) «أحكام القرآن» للجصاص (٢/ ٤٧١)، و«البناية في شرح الهداية» (٤/ ٣٥٩ ـ ٣٦٠).

(٤) «المجموع شرح المهذب» (٧/ ٣٥٠).

(٥) «البحر المحيط» (٤/ ٣٦٥ ـ ٣٦٦)، و«روح المعاني» (٧/ ٤١٣).

(٦) «جامع البيان» (٨/ ٦٩٦ ـ ٦٩٧).

الجاني يخيّر بين الأنواع المذكورة جمهور[١] العلماء.

وروي عن ابن عباس أنه لا يجزئ المُحْرِمِ الإطعام والصوم إلا إذا لم يجد الهدي، والعَدْل بفتح العين وكسرها لغتان، وهما: المثل. قاله الكسائي[٢].

وقال الفراء[٣]: عِدْل الشيء بكسر العين مثله من جنسه، وبفتح العين مثله من غير جنسه، وبمثل قول الكسائي قال البصريون.

قوله: ﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ﴾ عليه لإيجاب الجزاء؛ أي: أوجبنا ذلك عليه ليذوق وبال أمره، والذوق مستعار لإدراك المشقة، ومثله: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩] والوبال: سوء العاقبة، والمرعى الوبيل: الذي يُتأذى به بعد أكله، وطعام وبيل: إذا كان ثقيلاً.

قوله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾؛ يعني: في جاهليتكم من قتلكم للصيد، وقيل: عما سلف قبل نزول الكفارة ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ إلى ما نُهيتم عنه من قتل الصيد بعد هذا البيان، ﴿فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ﴾ خبر مبتدأ محذوف؛ أي: فهو ينتقم الله منه. وقيل: المعنى: إن الله[٤] ينتقم منه في الآخرة فيعذبه بذنبه، وقيل: ينتقم منه بالكفارة. قال شريح وسعيد بن جبير: يحكم عليه في أوّل مرة، فإذا عاد لم يحكم عليه بل يقال له: اذهب ينتقم الله منك؛ أي: ذنبك أعظم من أن يكفَّر.

قوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ﴾ الخطاب لكل مسلم أو للمُحْرِمين خاصة. وصيد البحر: ما يُصاد فيه؛ والمراد بالبحر هنا: كلُّ ماءٍ يوجد فيه صيد بحريّ وإن كان نهراً أو غديراً. قوله: ﴿وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ الطعام لكل ما يَطعم، وقد تقدّم.

وقد اختلف في المراد به هنا فقيل: هو ما قذف[٥] به البحر وطفا عليه، وبه قال كثير من الصحابة والتابعين.

---

(١) «أحكام القرآن» لابن العربي (٢/ ٦٧٠ ـ ٦٧١).

(٢) «المحرر الوجيز» (٥/ ١٩٦). (٣) في «معاني القرآن» له (١/ ٣٢٠).

(٤) انظر: «معالم التنزيل» (٢/ ٦٥)، و«معاني القرآن» للنحاس (٢/ ٣٦٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٢٠٨).

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٧٢٧)، وسعيد بن منصور في «سننه» رقم (٨٣٥ ـ تفسير)، والبيهقي (٩/ ٢٥٥) بسند صحيح، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقيل: طعامه ما مَلُحَ منه وبقي، وبه قال جماعة، وروي عن ابن عباس[(١)].

وقيل: طعامه ملحه الذي[(٢)] ينعقد مِنْ مائه وسائر ما فيه من نبات وغيره، وبه قال قوم؛ وقيل: المراد به: ما يطعم[(٣)] من الصيد؛ أي: ما يحل أكله وهو السمك فقط، وبه قالت الحنفية. والمعنى: أحلّ لكم الانتفاع بجميع ما يصاد في البحر، وأحلّ لكم المأكول منه وهو السمك، فيكون التخصيص بَعد التعميم، وهو تكلّف لا وجه له، ونصب[(٤)] «متاعاً» على أنه مصدر؛ أي: مُتعتم به متاعاً، وقيل: مفعول له مختص بالطعام؛ أي: أحلّ لكم طعام البحر متاعاً، وهو تكلف جاء به مَنْ قال بالقول الأخير؛ بل إذا كان مفعولاً له كان مِنْ الجميع؛ أي: أحلّ لكم مَصِيدُ البحر وطعامه تمتيعاً لكم؛ أي: لمن كان مقيماً منكم يأكله طرياً ﴿وَلِلسَّيَّارَةِ﴾؛ أي: المسافرين منكم يتزوّدونه ويجعلونه قديداً، وقيل السيارة: هم الذين يركبونه خاصة.

قوله: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾؛ أي: حرّم عليكم ما يصاد في البر ما دمتم مُحْرمين، وظاهره تحريم صيده على المحرم ولو كان الصائد حلالاً، وإليه ذهب الجمهور[(٥)] إن كان الحلال صاده للمحرم لا إذا لم يصده لأجله، وهو القول الراجح، وبه يجمع بين الأحاديث؛ وقيل: إنه يحلّ له مطلقاً، وإليه ذهب جماعة: وقيل: يحرم عليه مطلقاً، وإليه ذهب آخرون، وقد بسطنا هذا في شرحنا لـ«المنتقى»[(٦)].

قوله: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾؛ أي: اتقوا الله فيما نهاكم عنه ﴿ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ لا إلى غيره، وفيه تشديد ومبالغة في التحذير. وقرئ: ﴿وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ﴾ بالبناء للفاعل وقرئ ﴿مَا دِمْتُمْ﴾ بكسر الدال[(٧)].

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٧٣١ ـ ٧٣٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما. بسند صحيح.
(٢) انظر: «التمهيد» (١٦/ ٢٢٣).
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٧٢٨)، وعبد الرزاق في «مصنفه» رقم (٨٦٦٢)، وابن أبي شيبة (٥/ ٣٨١)، والبيهقي (٩/ ٢٥٥) عن جابر بن عبد الله. بسند صحيح.
(٤) انظر: «روح المعاني» (٧/ ٤٢٠).
(٥) «فتح الباري» (٤/ ٣٢)، و«المغني» (٥/ ١٣٥ ـ ١٣٦)، و«التمهيد» (١٦/ ٢٢٥)، و«المجموع شرح المهذب» (٧/ ٣٤٦).
(٦) انظر: «نيل الأوطار» (٩/ ٢١١ ـ ٢٢٥) ط. ابن الجوزي.
(٧) كلاهما قراءتان شاذتان انظر: «تخريج القراءات في فتح القدير» (ص١١٦).

قوله: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَمًا لِّلنَّاسِ﴾ جعل هنا بمعنى: خلق[١]، وسميت الكعبة كعبة لأنها مُربّعة[٢]، والتكعيب التربيع، وأكثر بيوت[٣] العرب مُدوّرة لا مُربّعة؛ وقيل: سميت كعبة لنتوئها وبروزها، وكل بارز كعب مستديراً كان أو غير مستدير، ومنه كعب القدم، وكعوب القنا، وكعب ثدي المرأة.

و﴿ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ عطف بيان، وقيل: مفعول ثان ولا وجه له، وسمي بيتاً؛ لأنَّ له سقوفاً وجدراً وهي حقيقة البيت، وإن لم يكن به ساكن، وسمى حراماً لتحريم الله سبحانه إياه.

وقوله: ﴿قِيَمًا لِّلنَّاسِ﴾ كذا قرأ الجمهور[٤]، [٢/٥٢] وقرأ ابن عامر[٥]: «قِيَماً» وهو منصوب على أنه المفعول الثاني إن كان جعل هو المتعدي إلى مفعولين، وإن كان بمعنى خلق كما تقدّم، فهو منتصب على الحال، ومعنى كونه قياماً: أنه مدار لمعاشهم ودينهم؛ أي: يقومون[٦] فيه بما يصلح دينهم ودنياهم: يأمن فيه خائفهم، ويُنصر فيه ضعيفهم، ويُربح فيه تجارهم، ويُتعبد فيه متعبدهم.

قوله: ﴿وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾ عطف على الكعبة[٧]، وهو ذو الحجة، وخصّه من بين الأشهر الحرم؛ لكونه زمان تأدية الحج، وقيل: هو اسم جنس[٨]. والمراد به: الأشهر الحرم، ذو القعدة، وذو الحجة، ومحرّم، ورجب، فإنهم كانوا لا يطلبون فيها دماً، ولا يقاتلون بها عدوّاً، ولا يهتكون فيها حُرمةً، فكانت من هذه الحيثية قياماً للناس ﴿وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾؛ أي: وجعل الله الهدي والقلائد قياماً للناس.

---

(١) «أحكام القرآن» لابن العربي (٢/ ٦٨٤).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٥) عن مجاهد. بسند صحيح.
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٦) عن عكرمة. بسند ضعيف.

(٣) «النكت والعيون» (٢/ ٦٩)، و«مجمع البيان» (٧/ ٢٠١ ـ ٢٠٢).

(٤) «النشر» (٢/ ٢٤٧، ٢٥٥)، و«التيسير» (ص١٠٠)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٤٢)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤١٩).

(٥) «القراءات الشاذة» (ص٣٥)، و«البحر المحيط» (٤/ ٣٧٣). وهما قراءتان متواترتان.

(٦) «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٢٢١)، و«أحكام القرآن» لابن العربي (٢/ ٢٨٦).

(٧) «روح المعاني» (٧/ ٤٣١)، و«البحر المحيط» (٤/ ٣٧٣).

(٨) «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٠٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٢٢٢).

والمراد بالقلائد: ذواتُ القلائد[١] مِنْ الهدي، ولا مانع من أن يراد بالقلائد أنفسها، والإشارة بذلك إلى الجعل؛ أي: ذلك الجعل ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: لتعلموا أن الله يعلم تفاصيل أمر السمٰوات والأرض، ويعلم مصالحكم الدينية والدنيوية فإنّها من جملة ما فيهما، فكل ما شرعه لكم فهو جلب لمصالحكم، ودفع لما يضرّكم ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ هذا تعميم بعد التخصيص[٢]. ثم أمرهم بأن يعلموا بأن الله لمن انتهك محارمه ولم يتب عن ذلك ـ شديد العقاب، وأنه لمن تاب وأناب غفور رحيم، ثم أخبرهم أن ما على رسوله إلا البلاغ لهم، فإن لم يمتثلوا ويطيعوا فما ضرّوا إلا أنفسهم، وما جنوا إلا عليها، وأما الرسول عليه الصلاة والسلام فقد فعل ما يجب عليه، وقام بما أمره الله به.

وقد أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «سننه»، عن ابن عباس[٣] في قوله: ﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا﴾ قال: إن قتله متعمداً أو ناسياً أو خطأً حُكم عليه، فإن عاد متعمداً عُجِّلت له العقوبة إلا أن يعفو الله عنه، وفي قوله: ﴿فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ قال: إذا قتل المحرم شيئاً مِنْ الصيد حُكم عليه فيه، فإن قتل ظبياً أو نحوه فعليه شاة تُذبح بمكة، فإن لم يجد فإطعام ستة مساكين، فإن لم يجد فصيام ثلاثة أيام، فإن قتل أيِلاً ونحوه فعليه بقرةٍ، فإن لم يجد أطعم عشرين مسكيناً، فإن لم يجد صام عشرين يوماً، وإن قتل نعامة أو حمار وحش أو نحوه فعليه بدَنة، فإن لم يجد أطعم ستين مسكيناً، فإن لم يجد صام ثلاثين يوماً، والطعام مدّ يُشبعهم.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن أبي حاتم، عن الحكم[٤]، أَنَّ عمر كتب أن يُحكم عليه في الخطأ والعمد.

---

(١) انظر: «روح المعاني» (٧/ ٤٣٢ ـ ٤٣٥).
(٢) «تفسير أبي السعود» (٢/ ٥٤٩)، و«روح المعاني» (٧/ ٤٣٥).
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٦٧٨، ٦٨٤، ٦٨٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٠٥، ٢٠٨ رقم ٦٧٩٦، ٦٨٠١)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٥/ ١٨٦، ١٨٧) بسند حسن.
(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٤/ ٢٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٠٤ رقم ٢٧٩٥) بسند حسن.

وأخرجا نحوه عن عطاء[١].

وقد روي نحو هذا عن جماعات من السلف، من غير فرق بين العامد والخاطئ والناسي، وروي عن آخرين اختصاص ذلك بالعامد.

وللسلف في تقدير الجزاء المماثل، وتقدير القيمة أقوال مبسوطة في مواطنها.

وأخرج أبو الشيخ[٢]، عن أبي هريرة عن النبيّ ﷺ قال في بيضة النعام: «صيام يوم أو إطعام مسكين».

وأخرج ابن أبي شيبة[٣] عن عبد الله بن ذكوان، عن النبيّ ﷺ مثله.

وأخرج أيضاً عن عائشة[٤]، عنه ﷺ نحوه.

وأخرج أبو الشيخ، وابن مردويه، من طريق أبي المهزّم عن أبي هريرة[٥]، عن النبيّ ﷺ قال: «في بَيض النعام ثَمَنُه».

وقد استثنى النبي ﷺ من حيوانات الحرم الخمس، الفواسق، كما ورد ذلك في الأحاديث[٦] فإنه يجوز للمحرم أن يقتلها ولا شيء عليه.

وأخرج ابن جرير[٧]، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ﴾: «ما لفَظه ميتاً فهو طعامه».

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٤/ ٢٤، ٢٦)، وابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٦٧٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٠٦ رقم ٦٨٠٣) بسند ضعيف.

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ١٩٠) حيث قال: «وأخرج أبو الشيخ، من طريق أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن النبيّ ﷺ».
قال أبو حاتم في «العلل» (١/ ٢٧٠): «هذا حديث ليس بصحيح عندي».

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٤/ ١٣).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٤/ ١٣) من طريق أبي الزناد، عن عائشة.
سنده منقطع أبو الزناد لم يدرك عائشة رضي الله عنها.

(٥) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ١٩٠)، وأخرجه ابن ماجه رقم (٦٥٩). وهو حديث ضعيف. وانظر: الإرواء (٤/ ٢١٦).

(٦) (منها): ما أخرجه أحمد (٦/ ٩٧ ـ ٩٨)، والبخاري رقم (١٨٢٩)، ومسلم رقم (٦٦/ ١١٩٨) عن عائشة قالت: «أمرَ رسول الله ﷺ بقتل خمس فواسق في الحِلِّ والحرام: الغراب والحدأة والعقرب، والفأرة، والكلب العقور».

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٧٣٥) مرفوعاً، والموقوف أصح.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن أبي هريرة[١] موقوفاً مثله.

وأخرج أبو الشيخ[٢]، عن أبي بكر الصدّيق نحوه.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن عكرمة أن أبا بكر الصدّيق[٣] قال في قوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ﴾ قال: صيد البحر ما تصطاده أيدينا، وطعامه ما لاثه البحر، وفي لفظ: «طعامه كلُّ ما فيه». وفي لفظ: «طعامه مَيتتُه».

ويؤيد هذا ما في «الصحيحين»[٤] من حديث العنبرة التي ألقاها البحر فأكل الصحابة منها، وقرّرهم رسول الله ﷺ على ذلك.

وحديث هو: «الطهور[٥] ماؤه والحل ميتته».

وحديث: «أحلّ لكم ميتتان ودمان»[٦].

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس[٧] في قوله: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ قال: قياماً لدينهم ومعالمَ لحجَّهم.

وأخرج ابن جرير[٨]، عنه قال: قيامها أن يأمن مَنْ توجّه إليها.

وأخرج ابن أبي حاتم[٩]، عن ابن شهاب قال: جعل الله الكعبة البيت الحرام

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٧٣٥)، وابن أبي شيبة (٥/ ٣٨٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢١١ رقم ٦٨٣٤) موقوفاً. بسند حسن.

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ١٩٧).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٥٢٥، ٧٢٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢١٢ رقم ٦٨٤٠) بسند حسن.

(٤) أخرجه مالك في «الموطأ» (٢/ ٧٠٩ رقم ٢٤)، والبخاري رقم (٢٤٨٣) و(٤٣٦٠)، ومسلم رقم (٢١/ ١٩٣٥) من حديث جابر بن عبد الله.

(٥) أخرجه أحمد (٢/ ٣٦١) وغيرُه عن أبي هريرة وسنده صحيح.

(٦) أخرجه أحمد (٢/ ٩٧)، وابن ماجه رقم (٣٢١٨، ٣٣١٤)، والدارقطني (٤/ ٢٧١ رقم ٢٥)، والشافعي (ج٢ رقم ٦٠٨ ـ ترتيب)، وعبد بن حميد رقم (٨٢٠)، وقد تقدم. وهو حديث صحيح.

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ٢١٤ رقم ٦٨٥٤) بسند صحيح.

(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/٩) بسند ضعيف.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢١٤ رقم ٦٨٥٨) بسند ضعيف.

والشهر الحرام قياماً للناس يأمنون به في الجاهلية الأولى، لا يَخاف بعضُهم من بعض حين يلقونهم عند البيت، أو في الحرم، أو في الشهر الحرام.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وأبو الشيخ، عن قتادة(١) في قوله: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ﴾ قال: حواجز أبقاها الله بين الناس في الجاهلية، فكان الرجل لو جَرّ كل جريرة ثم لجأ إلى الحرم لم يُتْناول ولم يُقْرَب، وكان الرجل لو لقي قاتل أبيه في الشهر الحرام لم يَعْرِض له ولم يقربه، وكان الرجل لو لقي الهديَ مُقلّداً وهو يأكل العَصَبَ من الجوع لم يَعْرض له ولم يقربه، وكان الرجل إذا أراد البيت تقلد قلادة من شَعَر، فحمته ومنعته من الناس، وكان إذا نفر تقلّد قلادة من الأذخِر أو من السّمُر، فتمنعه من الناس حتى يأتي أهلَه، حواجز أبقاها الله بين الناس في الجاهلية.

وأخرج أبو الشيخ(٢)، عن زيد بن أسلم ﴿قِيَامًا لِّلنَّاسِ﴾ قال: أمْناً. [٢/٥٣].

[ليست العبرة بالكثرة، وإنما العبرة بالتقوى]:

﴿قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٠١) قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ (١٠٢) مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (١٠٣) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (١٠٤)﴾.

قيل: المراد بالخبيث والطيب: الحرام والحلال(٣)، وقيل: المؤمن(٤)

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/٩ ـ ١٠) بسند صحيح.
(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/٢٠٣).
(٣) قاله الحسن. «الجامع لأحكام القرآن» (٨/٢٢٥).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/١٢) عن السدي. بسند حسن.

والكافر، وقيل: العاصي[١] والمطيع، وقيل: الرديء[٢] والجيد. والأولى أن الاعتبار بعموم[٣] اللفظ فيشمل هذه المذكورات وغيرها مما يتصف بوصف الخُبْث والطيبْ مِنْ الأشخاص والأعمال والأقوال؛ فالخبيث لا يساوي الطيب بحال من الأحوال.

قوله: ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ قيل: الخطاب للنبيّ ﷺ، وقيل: لكل مخاطب يصلح لخطابه بهذا.

والمراد: نفي الاستواء في كلِّ الأحوال، ولو في حال كون الخبيث مُعْجِباً للرائي للكثرة التي فيه، فإن هذه الكثرة مع الخبيث في حكم العدم؛ لأن خبث الشيء يُبطل فائدته، ويمحق بركته، ويذهب بمنفعته، والواو إمّا للحال[٤] أو للعطف على مقدّر؛ أي: لا يستوي الخبيث والطيب، لو لم تعجبك كثرة الخبيث، ولو أعجبك كثرة الخبيث؛ كقولك: أحسن إلى فلان، وإن أساء إليك؛ أي: أحسن إليه إن لم يسئ إليك وإن أساء إليك، وجواب «لو» محذوف؛ أي: ولو أعجبك كثرة الخبيث فلا يستويان.

[الأدب الواجب مع رسول الله ﷺ بعدم سؤاله عما لا حاجة منه]:

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾؛ أي: لا تسألوا عن أشياء لا حاجة لكم بالسؤال عنها، ولا هي مما يَعنيكم في أمر دينكم، فقوله: ﴿إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ في محلِّ جر صفة لأشياء؛ أي: لا تسألوا عن أشياء متصفة بهذه الصفة مِنْ كونها إذا بدت لكم؛ أي: ظهرت وكُلِّفتم بها ساءتكم. نهاهم الله عن كثرة مساءلتهم لرسول الله ﷺ، فإن السؤال عما لا يعني ولا تدعو إليه حاجة قد يكون سبباً لإيجابه على السائل وعلى غيره.

قوله: ﴿وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ﴾ هذه الجملة من جملة صفة أشياء، والمعنى: لا تسألوا عن أشياء إن تسألوا عنها حين يُنزّل القرآن، وذلك مع

---

(١) انظر: «زاد المسير» (٢/ ٤٣٣). (٢) «النكت والعيون» (٢/ ٧٠).
(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٢٢٥)، و«جامع البيان» (٩/ ١٢).
(٤) «روح المعاني» (٧/ ٤٣٥)، و«البحر المحيط» (٤/ ٣٧٥).

وجود رسول الله ﷺ بين أظهركم، ونزول الوحي عليه. ﴿تُبْدَ لَكُمْ﴾؛ أي: تظهر لكم بما يجيب عليكم به النبيّ ﷺ، أو ينزل به الوحي، فيكون ذلك سبباً للتكاليف الشاقة وإيجاب ما لم يكن واجباً، وتحريم ما لم يكن محرّماً، بخلاف السؤال عنها بعد انقطاع الوحي بموت رسول الله ﷺ، فإنّه لا إيجاب ولا تحريم يتسبب عن السؤال.

وقد ظنّ بعض أهل التفسير(١)، أن (إنْ) الشرطية الثانية فيها إباحة السؤال مع وجود رسول الله ﷺ ونزول الوحي عليه، فقال: «إن» الشرطية الأولى: أفادت عدم جواز السؤال، والثانية: أفادت جوازه، فقال: إن المعنى: وإن تسألوا عن غيرها مما مسّت إليه الحاجة تبد لكم بجواب رسول الله ﷺ عنها، وجعل الضمير(٢) في ﴿عَنْهَا﴾ راجعاً إلى أشياء غير الأشياء المذكورة، وجعل ذلك كقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢] وهو: آدم، ثم قال: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً﴾ [المؤمنون: ١٣]؛ أي: ابن آدم.

قوله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا﴾؛ أي: عمّا سلف من مسألتكم فلا تعودوا إلى ذلك. وقيل: المعنى: إن تلك الأشياء التي سألتم عنها هي مما عفا عنه، ولم يوجبه عليكم، فكيف تتسببون بالسؤال لإيجاب ما هو عفو من الله غير لازم؟ وضمير(٣) ﴿عَنْهَا﴾ عائد إلى المسألة الأولى، وإلى «أشياء» على الثاني، على أن تكون جملة «عفا الله عنها» صفة ثالثة لأشياء، والأوّل أولى؛ لأن الثاني يستلزم أن يكون ذلك المسؤول عنه قد شرعه الله ثم عفا عنه، ويمكن أن يقال: إن العفو بمعنى الترك؛ أي: تركها الله ولم يذكرها بشيء فلا تبحثوا عنها، وهذا معنى صحيح لا يستلزم ذلك اللازم الباطل. ثم جاء سبحانه بصيغة المبالغة في كونه غفوراً حليماً ليدلّ بذلك على أنه لا يعاجل مَنْ عصاه بالعقوبة؛ لكثرة مغفرته وسعة حلمه(٤).

قوله: ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَـٰفِرِينَ﴾ الضمير يرجع إلى المسألة المفهومة من ﴿لَا تَسْـَٔلُوا۟﴾ لكن ليست هذه المسألة بعينها؛ بل مثلها في كونها مما لا حاجة إليه، ولا توجبه الضرورة الدينية ثم لم يعملوا بها؛ بل أصبحوا بها

---

(١) انظر: «البحر المحيط» (٤/ ٣٧٥ ـ ٣٧٦)، و«أحكام القرآن» لابن العربي (٢/ ٦٨٩).

(٢) «التبيان» (١/ ٤٦٤)، و«تفسير أبي السعود» (٢/ ٥٥١)، و«روح المعاني» (٧/ ٤٣٣).

(٣) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٤٤٢ ـ ٤٤٣).

(٤) «البحر المحيط» (٤/ ٣٧٧)، و«روح المعاني» (٧/ ٤٤٠).

كافرين؛ أي: ساترين لها تاركين للعمل بها، وذلك كسؤال قوم صالح الناقة، وأصحاب عيسى المائدة، ولا بدّ مِنْ تقييد النهي في هذه الآية بما لا تدعو إليه حاجة كما قدمنا؛ لأن الأمر الذي تدعو الحاجة إليه في أمور الدين والدنيا، قد أذن الله بالسؤال عنه فقال: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣، الأنبياء: ٧] وقال ﷺ: «قاتلهم الله ألا سألوا فإنما شفاء العيّ السؤال»[١].

قوله: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ﴾ هذا كلام مبتدأ يتضمن الردّ على أهل الجاهلية فيما ابتدعوه، وجعل ههنا بمعنى سمي كما قال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣]. والبحيرة: فَعيلة بمعنى مفعولة كالنَّطيحة والذَّبيحة، وهي مأخوذة من البحر، وهو شقّ الأذن.

قال ابن سيده[٢]: البحيرة هي التي خُلِّيت بلا راع.

قيل: هي التي يجعل درّها للطواغيت[٣]، فلا يحتلبها أحد من الناس، وجعل شق أذنها علامة لذلك.

وقال الشافعي[٤]: كانوا إذا نُتِجت الناقة خمسةَ أبطن إناثاً بُحِرت أُذنها فَحُرّمت؛ وقيل: إن الناقة إذا نُتِجت خمسة أبطن، فإن كان الخامس ذكراً، بحروا أذنه فأكله الرجال والنساء، وإن كان الخامس أنثى، بحروا أذنها وكانت حراماً على النساء لحمها ولبنها.

وقيل: إذا نُتجت الناقة خمسة أبطن من غير تقييد بالإناث شقوا أذنها وحرّموا ركوبها ودرّها[٥]. [٢/٥٤].

والسائبة: الناقة تُسّيب، أو البعير بسبب نذر على الرجل إنْ سلّمه الله من مرضٍ أو بلّغه منزلة، فلا يُحبس عن رعي ولا ماء، ولا يركبه أحد، قاله أبو عُبيدة[٦]. قال الشاعر:

---

(١) أخرجه أبو داود رقم (٣٣٦)، والدارقطني (١/ ١٨٩ رقم ٣) من حديث جابر رضي الله عنه. وهو حديث حسن بدون بلاغ عطاء.

(٢) في «المحكم» و«البحر المحيط» لابن سيده (٣/ ٣٢١).

(٣) انظر: «فتح الباري» (٨/ ٢٨٤)، و«مجمع البيان» (٧/ ٢١١).

(٤) «الأم» (٦/ ١٨١).

(٥) انظر: «المحكم» و«المحيط الأعظم» (٣/ ٣١٢).

(٦) في «مجاز القرآن» (١/ ١٧٩).

وسائبةٍ للّه تُنمىٰ تشكرا إنِ اللّهُ عافا عامراً ومُجاشعا[١]

وقيل: هي التي تُسيّب لله فلا قيد عليها ولا راعي لها، ومنه قول الشاعر:

عقرتم ناقةً كانت لربي مسيَّبة فقوموا للعقاب[٢]

وقيل: هي التي تابعت بين عشر إناث ليس بينهنّ ذكَر، فعند ذلك لا يركب ظهرها، ولا يجزّ وبرها ولا يشرب لبنها إلا ضيف؛ وقيل: كانوا يُسيّبون العبدَ، فيذهب حيث يشاء لا يد عليه لأحد.

والوصيلة[٣]: قيل: هي الناقة إذا ولدت أنثى بعد أنثى؛ وقيل: هي الشاة كانت إذا ولدت أنثى فهي لهم، وإن ولدت ذكراً فهو لآلهتهم، وإن ولدت ذكراً وأنثى قالوا: وصلت أخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم؛ وقيل: كانوا إذا ولدت الشاة سبعة أبطن نظروا؛ فإن كان السابع ذكراً ذُبح فأكل منه الرجال والنساء، وإن كانت أنثى تُركت في الغنم، وإن كان ذكراً وأنثى قالوا: وصلت أخاها فلم يذبح لمكانها، وكان لحمها حراماً على النِّساء، إلَّا أن يموت فيأكلها الرجال والنساء.

والحام: الفحل[٤] الحامي ظهره عَنْ أن يركب، وكانوا إذا رُكب ولد الفحل قالوا: حمى ظهره فلا يركب، قال الشاعر:

حماها أبو قابوسَ في عز مُلكه كما قد حمىَ أولادَ أولادِه الفحلُ[٥]

وقيل: هو الفحل إذا نُتج[٦] من صلبه عشرة، قالوا: قد حمى ظهره فلا يُركب ولا يُمنع من كلأ ولا ماء، ثم وصفهم الله سبحانه بأنهم ما قالوا ذلك إلا افتراء على الله وكذباً، لا لشرع شرعه الله لهم، ولا لعقل دلهم عليه، وسبحان الله العظيم!! ما أركّ عقول هؤلاء وأضعفَها، يفعلون هذه الأفاعيل التي هي محض الرقاعة، ونفس الحمق.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ

---

(١) انظره في: «مجمع البيان» (٧/ ٢١١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٢٣٩).
(٢) «النكت والعيون» (٢/ ٧٣).
(٣) «جامع البيان» (٩/ ٢٠)، و«مجمع البيان» (٧/ ٢١٢).
(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٢٤٠).
(٥) «مجمع البيان» (٧/ ٢١٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٢٤٠).
(٦) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٥/ ١٢).

﴿ءَابَآءَنَآ﴾ وهذه أفعال آبائهم، وسننهم التي سنُّوها لهم، وصدق الله سبحانه حيث يقول: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾؛ أي: ولو كانوا جهلة ضالين، والواو للحال دخلت عليها همزة[(١)] الاستفهام؛ وقيل: للعطف على جملة مقدّرة؛ أي: أحسبهم ذلك ولو كان آباؤهم.

وقد تقدّم الكلام على مثل هذه الآية في البقرة.

وقد صارت هذه المقالة التي قالتها الجاهليةُ نصب أعين المقلّدة وعصاهم التي يتوكأون عليها؛ إن دعاهم داعي الحق وصَرخ لهم صارخ الكتاب والسُّنَّة، فاحتجاجهم بمن قلّدوه ممن هو مثلهم في التعبد بشرع الله، مع مخالفة قوله لكتاب الله، أو لسُنَّة رسوله، هو كقول هؤلاء، وليس الفرق إلا في مجرّد العبارة اللفظية، لا في المعنى الذي عليه تدور الإفادة والاستفادة، اللَّهُمَّ غفراً.

وقد أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن السديّ[(٢)] في الآية قال: الخبيث هم المشركون، والطيب هم المؤمنون.

وأخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما، عن أنس[(٣)] قال: «خطب النبي ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط، فقال رجل: مَنْ أبي؟ فقال: فلان»، فنزلت هذه الآية: ﴿لَا تَسْـَٔلُوا عَنْ أَشْيَآءَ﴾.

وأخرج البخاري وغيره نحوه من حديث ابن عباس[(٤)].

وقد بيَّن هذا السائل في روايات أخر، أنّه عبد الله بن حذافة، وأنه قال: «من أبي؟ قال النبي ﷺ: أبوك حذافة»[(٥)].

وأخرج ابن حبان[(٦)]، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ خطب فقال: «يا أيها

(١) «روح المعاني» (٧/ ٤٥٠)، و«الإملاء» (٢/ ٤٧٢)، و«البحر المحيط» (٤/ ٣٨٦).
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ١٢ ـ ١٣) بسند حسن.
(٣) أخرجه البخاري رقم (٤٦٢١، ٧٢٩٥)، ومسلم رقم (١٣٤، ١٣٥/ ٢٣٥٩)، والنسائي في «التفسير» رقم (١٧٤).
(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٤٦٢٢)، وابن جرير في «البيان» (٩/ ١٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢١٧ رقم ٦٨٧٧)، والطبراني رقم (١٢٦٩٥).
(٥) أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (١٣٦، ١٣٧/ ٢٣٥٩)، وابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ١٥).
(٦) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» رقم (٣٧٠٤) بسند صحيح.

الناس إن الله قد افترض عليكم الحجّ، فقام رجل، فقال: أكلَّ عام يا رسول الله؟ فسكت عنه، فأعادها ثلاث مرات، فقال: لو قلتُ: نعم لوجبت، ولو وجبت ما قمتم بها، ذروني ما تركتكم فإنما هلَك الذين قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بشيءٍ فأتوا منه ما استطعتم»، وذلك أن هذه الآية: أعني ﴿لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ﴾ نزلت في ذلك.

وقد أخرج عنه[1] نحو هذا ابن جرير، وأبو الشيخ، وابن مردويه.

وأخرج ابن جرير، والطبراني، وابن مردويه، عن أبي أُمامة[2] الباهلي نحوه.

وأخرج ابن مردويه، عن أبي مسعود[3]، نحوه أيضاً.

وأخرج ابن مردويه[4]، عن ابن عباس نحوه أيضاً.

وأخرج أحمد، والترمذي، وابن ماجه، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والدارقطني، والحاكم، وابن مردويه، عن عليّ[5] نحوه، وكل هؤلاء صرحوا في أحاديثهم أن الآية نزلت في ذلك.

وأخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما، عن سعد بن أبي وقاص[6]، قال: كانوا يسألون عن الشيء وهو لهم حلال، فما زالوا يسألون حتى يحرم عليهم، وإذا حرّم عليهم وقعوا فيه.

وأخرج ابن المنذر[7] عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أعظم المسلمين في

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/١٨) بسند ضعيف.
قال ابن كثير في «تفسيره» (٥/ ٣٨٣): «وإبراهيم بن مسلم الهجري ضعيف».

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ١٩ ـ ٢٠)، والطبراني في «الكبير» رقم (٧٦٧١) بسند حسن.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/٢٠٧): «وإسناده حسن جيد».

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧).

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٢٠٧).

(٥) أخرجه أحمد (٢/ ٢٣٦)، والترمذي رقم (٨١٤، ٣٠٥٥)، وابن ماجه رقم (٢٨٨٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢١٧ رقم ٦٨٧٥)، والدارقطني (٢/ ٢٨٠)، والحاكم (٢/ ٢٩٣، ٢٩٤). وهو حديث ضعيف، والله أعلم.

(٦) أخرجه مسلم رقم (١٣٢/ ٢٣٥٨).

(٧) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٢٠٨). وهو عند البخاري رقم (٧٢٨٩)، ومسلم رقم (٢٣٥٨).

المسلمين جرماً من سأل عن شيء لم يحرم فيحرم من أجل مسألته».

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، والحاكم وصححه، عن أبي ثعلبة[١] الخشني قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله حدّ حدوداً فلا تعتدوها، وفَرَض لكم فرائض فلا تُضيعوها، وحرّم أشياء فلا تنتهكوها، وترك أشياء في غير نسيان ولكن رحمة لكم فاقبلوها ولا تبحثوا عنها».

وأخرج سعيد بن منصور، وابن جرير، وابن المنذر، وأبو الشيخ، وابن مردويه، عن ابن عباس[٢] في قوله: ﴿لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ﴾ قال: البُحيرة والسائبة والوصيلة والحام.

وأخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما، عَنْ سعيد بن المسيب[٣] قال: البحيرة التي يُمنع دَرّها للطواغيت، ولا يحلبها أحد من الناس؛ والسائبة: كانوا يسيبونها لآلهتهم لا يحمل عليها شيء؛ والوصيلة: الناقة البكر، تبكر في أوّل نتاج الإبل ثم تثني بعد بأنثى، وكانوا يسيبونها لطواغيتهم إن وصلت إحداهما بالأخرى، ليس بينهما ذكر؛ والحامي فحل الإبل، يضرب الضراب المعدود، فإذا قضى ضرابه ودعوه [٢/٥٥] للطواغيت وأعفوه من الحمل، فلم يحمل عليه شيء وسموه الحامي.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، من طريق عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس[٤] قال: البَحيرة: الناقة إذا نُتجت خمسة أبطن نظروا إلى الخامس، فإن كان ذكراً ذبحوه فأكله الرجال دون النساء، وإن كانت أنثى جدعوا آذانها فقالوا: هذه بحيرة؛ وأما السائبة فكانوا يُسيبون من أنعامهم لآلهتهم لا يركبون لها ظهراً، ولا يحلبون لها لبناً، ولا يجزون لها وبراً، ولا يحملون عليها شيئاً؛ وأما الوصيلة فالشاة إذا نُتجت سبعة أبطن نظروا إلى السابع، فإن كان ذكراً أو أنثى وهو ميت اشترك فيه الرجال دون النساء، وإن كانت أنثى استحيوها، وإن كان ذكراً أو أنثى في

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢٤)، والحاكم (٤/ ١١٥)، والدارقطني (٤/ ١٨٣، ١٨٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ١٧)، والبيهقي (١٠/ ١٣). وهو حديث ضعيف، والله أعلم.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢٢)، وسعيد بن منصور في «سننه» رقم (٨٣٩ ـ تفسير) بسند ضعيف.

(٣) البخاري رقم (٣٥٢١)، ومسلم (٢٨٥٦).

(٤) أخرجه ابن جرير (٩/ ٣٥) مختصراً، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٢٠) وسنده صحيح.

بطن استحيوهما وقالوا: وصلته أخته فحرّمته علينا، وأما الحام فالفحل من الإبل إذا وُلد لولده قالوا: حَمَى هذا ظهره فلا يحملون عليه شيئاً، ولا يجُزّون له وبراً، ولا يمنعونه من حمى ولا من حوض يشرب منه، وإن كان الحوض لغير صاحبه.

وأخرج نحوه عنه[(١)] ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه من طريق العوفيّ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾.

أي: الزموا أنفسكم أو احفظوها كما تقول: عليك زيداً؛ أي: الزمه، قرئ: ﴿لَا يَضُرَّكُم﴾ بالجزم[(٢)] على أنَّه جواب الأمر الذي يدلّ عليه اسم الفعل. وقرأ نافع[(٣)] وغيره بالرفع على أنه مستأنف؛ كقول الشاعر:

فقال رائدُهم أرْسوا نُزاولها

أو على أن ضم الراء للاتباع، وقرئ: «لَا يَضِرُّكُمْ» بكسر الضاد[(٤)]، وقرئ: «لا يضيركم»[(٥)] والمعنى: لا يضركم ضلالُ مَنْ ضلّ مِنْ الناس إذا اهتديتم للحق أنتم في أنفسكم، وليس في الآية ما يدلّ على سقوط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فإن من تركه مع كونه من أعظم الفروض الدينية فليس بمهتد. وقد قال الله

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢٠ ـ ٢١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢١٨، ١٢١٩ رقم ٦٨٨١، ٦٨٨٤) بسند ضعيف.

(٢) «القراءات الشاذة» (ص٣٥)، و«المحتسب» (١/ ٢٢٠)، و«حاشية الشهاب» (٣/ ٢٩١)، و«روح المعاني» (٧/ ٥١ ـ ٥٢)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٤٤).

(٣) وهي قراءة الجمهور: «لا يَضرُّكم» بضم الضاد والراء وتشديدها وهي الأجود عند الأخفش، والرفع فيه على الاستئناف، فهو خبر، أو هو جواب للام المجزوم، وضُمت الراء اتباعاً لضمة الضاد ويجوز أن يكون نهياً.
«البحر المحيط» (٤/ ٤٤)، و«روح المعاني» (٧/ ٥١ ـ ٥٢)، و«حاشية الشهاب» (٣/ ٢٩١)، و«معاني الفراء» (١/ ٣٢٣). وقراءة الجزم شاذة. انظر: «تخريج القراءات في فتح القدير» (ص١١٧).

(٤) قرأ بها النخعي وابن وثّاب والحسن.
«البحر المحيط» (٤/ ٤٤)، و«القراءات الشاذة» (ص٣٥)، و«المحتسب» (١/ ٢٢٠).

(٥) «حاشية الشهاب» (٣/ ٢٩١)، و«روح المعاني» (٧/ ٥٢)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٤٤).

سبحانه: ﴿إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ وقد دلّت الآيات القرآنية، والأحاديث المتكاثرة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجوباً مُضيّقاً متحتماً، فتحمل هذه الآية على مَنْ لا يقدر على القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو لا يظن التأثير بحال من الأحوال، أو يخشى على نفسه أَنْ يحلّ به ما يضرّه ضرراً يسوغ له معه الترك، ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ يوم القيامة ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا فيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

وقد أخرج ابن أبي شيبة، وأحمد، وعبد بن حميد، وأبو داود، والترمذي وصححه، والنسائي، وابن ماجه، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن حبان، والدارقطني والضياء في «المختارة» وغيرهم، عن قيس بن أبي حازم(١) قال: قام أبو بكر، فحمد الله وأثنى عليه وقال: «يا أيُّها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ وإنكم تضعونها على غير مواضعها، وإنِّي سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: إن الناس إذا رأوا المنكر ولم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب».

وفي لفظ لابن جرير(٢) عنه: «والله لتأمرنّ بالمعروف ولتنهونّ عن المنكر، أو ليعُمنّكم الله منه بعقاب».

وأخرج الترمذي وصححه، وابن ماجه، وابن جرير، والبغوي في «معجمه»، وابن أبي حاتم، والطبراني، وأبو الشيخ، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «الشعب» عن أبي أمية(٣) الشعباني قال: «أتيت أبا ثعلبة الخشني فقلت له: كيف

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١٥/ ١٧٤)، وأحمد (١/ ١٧٧، ١٩٧، ٢٠٨)، وعبد بن حميد في «مسنده» رقم (١ ـ المنتخب)، والحميدي رقم (٣)، وأبو داود رقم (٤٣٣٨)، والترمذي رقم (٢١٦٨، ٣٠٥٧)، والنسائي في «الكبرى» رقم (١١١٥٧)، وابن ماجه رقم (٤٠٠٥)، وأبو يعلى رقم (١٣٢)، وابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٥١، ٥٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٢٦ رقم ٦٩١٩)، وابن حبان رقم (٣٠٤، ٣٠٥)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٧٥٥٠)، والضياء في «المختارة» رقم (٥٨، ٦٠). وهو حديث صحيح.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٥٢، ٥٣).

(٣) أخرجه الترمذي رقم (٣٠٥٨)، وابن ماجه رقم (٤٠١٤)، وابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٤٨، ٤٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٢٥ رقم ٦٩١٥)، والطبراني (ج٢٢ رقم ٥٨٧)، =

تصنع في هذه الآية؟ قال: أيَّة آيةٍ؟ قلت: قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ قال: أمَّا والله لقد سألت عنها خبيراً، سألت عنها رسول الله ﷺ قال: «بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع عنك أمر العوام، فإن مِنْ ورائكم أياماً الصبر فيهنّ مثل القبض على الجمر، للعامل فيهنّ أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم».

وفي لفظ: «قيل: يا رسول الله، أجر خمسين رجلاً منا أو منهم؟ قال: بل أجر خمسين منكم».

وأخرج أحمد، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه، عن أبي عامر الأَشْعري[1] أنّه كان فيهم أعمى، فاحتبس على رسول الله ﷺ ثم أتاه فقال: ما حبسك؟ قال: يا رسول الله قرأت هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ قال: فقال له النبي ﷺ: «أين ذهبتم؟ إنما هي: لا يضرّكم مَنْ ضلّ من الكفار إذا اهتديتم».

وأخرج عبد الرزاق، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، والطبراني، وأَبو الشيخ عن الحسن[2]: أنّ ابن مسعود سأله رجل عن قوله: ﴿عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ﴾ فقال: يا أيها الناس إنّه ليس بزمانها إنها اليوم مقبولة، ولكنه قد أوشك أن يأتي زمان تأمرون بالمعروف فيصنع بكم كذا وكذا، أو قال: فلا يقبل منكم، فحينئذٍ عليكم أنفسَكم لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم..

وأخرج سعيد بن منصور، وعبد بن حميد[3] عَنْه في الآية قال: مُروا بالمعروف

= والحاكم (٤/ ٣٢٢)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٧٥٥٣).
قال الألباني: ضعيف، لكن بعضه صحيح، وهو قوله: «فإن من ورائكم أيام الصبر، الصابر فيهنَّ مثل القابض على الجمر». «السلسلة الصحيحة» رقم (٩٥٧).

(١) أخرجه أحمد رقم (١٧١٦٥، ١٧٧٩٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٢٦ رقم ٦٩٢٠)، والطبراني (ج٢٢ رقم ٧٩٩) بسند ضعيف منقطع.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ١٩٩)، وسعيد بن منصور في «سننه» رقم (٨٤٣، ٨٤٩ ـ تفسير)، وابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٤٣ ـ ٤٥)، والطبراني في «الكبير» رقم (٩٠٧٢) بسند ضعيف منقطع.

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في «سننه» رقم (٨٤٤ ـ تفسير) بسند ضعيف جدّاً؛ لضعف جويبر والانقطاع بين الضحاك وابن مسعود.

وانهوا عن المنكر، ما لم يكن مِنْ دون ذلك السوط والسيفُ، فإذا كان كذلك فعليكم أنفسَكم.

وأخرج ابنُ جرير، وابن مردويه، عن ابن عمر(١)، أنه قال في هذه الآية: إنها لأقوام يجيئون مِنْ بعدنا إنْ قالوا لم يقبل منهم.

وأخرج عبد الرزاق، وابن جرير، عن رجل(٢) قال: كنت في خلافة عمر بن الخطاب بالمدينة في حلقة فيهم أصحاب رسول الله ﷺ، فإذا فيهم شيخ حسبت أنه قال أُبيّ بن كعب، فقرأ: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ فقال: إنما تأويلها في آخر الزمان.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وأبو الشيخ، عن أبي مازن(٣) قال: انطلقتُ على عهد عثمان إلى المدينة، فإذا قوم جلوس فقرأ أحدهم: «عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ» فقال أكثرهم: لم يجئ تأويل هذه الآية اليوم.

وأخرج ابنُ جرير(٤) عَنْ جبير بن نفير قال: كنت في حلقة فيها أصحاب النبي ﷺ وإني لأصغرُ [٤/٥٦] القوم، فتذاكروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقلت: أليس الله يقول: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾؟ فأقبلوا عليّ بلسان واحد فقالوا: تنزع آيةً من القرآن لا تعرفها ولا تدري ما تأويلها؟! حتى تمنيت أني لم أكن تكلمت، ثم أقبلوا يتحدّثون، فلما حضر قيامهم قالوا: إنك غلام حَدَثُ السن، وإنك نزعت آية لا تدري ما هي؟ وعسى أن تدرك ذلك الزمان «إذا رأيت شُحاً مطاعاً، وهوى متبعاً، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بنفسك لا يضرك من ضل إذا اهتديتَ».

وأخرج ابن مردويه(٥)، عن معاذ بن جبل، عن النبي ﷺ بنحو حديث أبي ثعلبة الخشني المتقدّم، وفي آخره: «كأجر خمسين رجلاً منكم».

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٤٤) بسند حسن لغيره.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ١٩٩)، وابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٤٥، ٤٦) بسند صحيح إلى قتادة.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٤٦) بسند صحيح.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٤٦) بسند ضعيف؛ لضعف الحسين وهو أبو داود الملقب بسُنيد.

(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٢١٧).

وأخرج ابن مردويه(١)، عَنْ أبي سعيد الخدري قال: ذكرت هذه الآية عند رسول الله ﷺ، فقال النبيّ ﷺ: «لم يجئ تأويلها، لا يجيء تأويلها حتى يهبط عيسى ابن مريم عليه السلام».

والروايات في هذا الباب كثيرة، وفيما ذكرناه كفاية، ففيه ما يرشد إلى ما قدّمناه مِنْ الجمع بين هذه الآية وبين الآيات والأحاديث الواردة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

[من أحكام المعاملات في المجتمع المسلم، وهو الخاص بتشريع الإشهاد على الوصية في حالة الضرب في الأرض]:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ ١٠٦ فَإِنۡ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسۡتَحَقَّآ إِثۡمٗا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَوۡلَيَٰنِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعۡتَدَيۡنَآ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٧ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجۡهِهَآ أَوۡ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيۡمَٰنُۢ بَعۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡمَعُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ١٠٨﴾.

قال مكيّ(٢): هذه الآيات الثلاث عند أهل المعاني مِنْ أشكل ما في القرآن إعراباً ومعنى وحكماً.

قال ابن عطية(٣): هذا كلام من لم يقع له الثلج(٤) في تفسيرها، وذلك بيِّن من كتابه رحمه الله؛ يعني: من كتاب مكي.

قال القرطبي(٥): ما ذكره مكي ذكره أبو جعفر النحاس(٦) قبله أيضاً.

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٢١٧).
(٢) في «مشكل إعراب القرآن» (ص٢٤٣)، و«الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه» (ص٢٧٧).
(٣) في «المحرر الوجيز» (٥/ ٢١٧).
(٤) ثلجت نفسي بالشيء ثلجاً: اشتفت به واطمأنت إليه، وقيل: عرفته وسُرّت به. «لسان العرب» (٢/ ٢٢٢).
(٥) في «تفسيره» (٨/ ٢٥٤).
(٦) في «إعراب القرآن» (٢/ ٤٤).

قال السعدُ في «حاشيته على الكشاف»: واتفقوا على أنها أصعب ما في القرآن إعراباً ونظماً وحكماً.

قوله: ﴿شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ﴾ أضاف الشهادة إلى البين توسعاً لأنها جارية بينهم؛ وقيل: أصله شهادة ما بينكم فحذفت «ما»، وأضيفت إلى الظرف كقوله تعالى: ﴿بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [سبأ: ٣٣] ومنه قول الشاعر[(١)]:

تُصافح مَنْ لاقَيتَ لي ذا عداوةٍ صِفَاحًا وعني بين عَينَيك مُنزوي

أراد ما بين عينيك، ومثله قول الآخر:

ويوماً شهدناه سليماً وعامراً[(٢)]

أي: شهدنا فيه، ومنه قوله تعالى: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ﴾ [الكهف: ٧٨] قيل: والشهادة هنا بمعنى: الوصية؛ وقيل: بمعنى: الحضور للوصية.

وقال ابن جرير[(٣)] الطبري: هي هنا بمعنى: اليمين، فيكون المعنى: يمين ما بينكم أَنْ يحلف اثنان، واستدل على ما قاله بأنه لا يعلم لله حكماً يجب فيه على الشاهد يمين.

واختار هذا القول القفّال، وضعف ذلك ابن عطية[(٤)]، واختار أن الشهادة هنا هي الشهادة التي تُؤدّى مِنْ الشهود.

قوله: ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ ظرف للشهادة، والمراد: إذا حضرت علاماته؛ لأن من مات لا يمكنه الإشهاد، وتقديم المفعول للاهتمام ولكمال تمكن الفاعل عند النفس.

وقوله: ﴿حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ﴾ ظرف[(٥)] لحضَر أو للموت، أو بدل من الظرف الأوّل.

وقوله: ﴿ٱثۡنَانِ﴾ خبر «شهادة» على تقدير محذوف؛ أي: شهادة اثنين أو فاعل

---

(١) وهو: يزيد بن الحكم الثقفي. انظر: «خزانة الأدب» (٣/ ١٣٢).
(٢) وعجزه: قليلاً سِوَى الطَّعْن النِّهالِ نوافلُهْ.
انظر: «الكتاب» (١/ ١٧٨)، و«المقتضب» (٣/ ١٠٥).
(٣) في «جامع البيان» (٨/ ٥٨ ـ ٥٩).
(٤) في «المحرر الوجيز» (٥/ ٢١٧ ـ ٢١٨).
(٥) «البحر المحيط» (٤/ ٣٩٢)، و«التبيان» (١/ ٤٦٧).

للشهادة على أن خبرها محذوف؛ أي: فيما فُرض عليكم شهادة بينكم اثنان على تقدير أَنْ يشهد اثنان، ذكر الوجهين أبو عليّ الفارسي(١).

قوله: ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ صفة للاثنان، وكذا منكم؛ أي: كائنان منكم؛ أي: مِنْ أقاربكم ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ﴾ معطوف على اثنان، و ﴿مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ صفة له؛ أي: كائنان من الأجانب.

وقيل: إن الضمير(٢) في ﴿مِّنكُمْ﴾ للمسلمين، وفي ﴿غَيْرِكُمْ﴾ للكفار وهو الأنسب لسياق الآية، وبه قال أبو موسى الأشعري(٣) وعبد الله بن عباس وغيرهما، فيكون في الآية دليل على جواز شهادة أهل الذمة على المسلمين في السفر، في خصوص الوصايا كما يفيده النظم القرآني، ويشهد له السبب للنزول وسيأتي.

فإذا لم يكن مع الموصي مَنْ يشهد على وصيته من المسلمين فليشهد رجلان من أهل الكفر، فإذا قدما وأدّيا بالشهادة على وصيته، حلفا بعد الصلاة أنهما ما كذبا ولا بدّلا، وأن ما شهدا به حق، فيحكم حينئذ بشهادتهما.

﴿فَإِنْ عُثِرَ﴾ بعد ذلك ﴿عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا﴾ كذبا أو خانا حلف رجلان من أولياء الموصي، وغرم الشاهدان الكافران ما ظهر عليهما مِنْ خيانة أو نحوها، هذا معنى الآية عند من تقدم ذكره، وبه(٤) قال سعيد بن المسيب، ويحيى بن يعمر، وسعيد بن جبير، وأبو مِجْلز، والنخعي، وشريح، وعَبيدة السلماني، وابن سيرين، ومجاهد، وقتادة، والسديّ، والثوري، وأبو عبيد، وأحمد بن حنبل.

وذهب إلى الأول ـ أعني: تفسير ضمير ﴿مِّنكُمْ﴾ بالقرابة أو العشيرة، وتفسير ﴿مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ بالأجانب ـ الزهري والحسن وعكرمة.

وذهب مالك والشافعي وأبو حنيفة وغيرهم من الفقهاء أن الآية منسوخة(٥)، واحتجوا بقوله: ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

---

(١) في «الحجة» (٣/ ٢٦٤).
(٢) «البحر المحيط» (٤/ ٣٩٢ ـ ٣٩٣)، و«روح المعاني» (٧/ ٤٥٧).
(٣) انظر: «الناسخ والمنسوخ» للنحاس (٢/ ٣٠٣)، و«جامع البيان» (٩/ ٥٨ ـ ٦٠).
(٤) انظر: «النكت والعيون» (٢/ ٧٧)، و«أحكام القرآن» لابن العربي (٢/ ٧١٥)، و«الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه» لمكي (ص٢٧٧).
(٥) انظر: المصادر المتقدمة.

وقولُه: ﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [الطلاق: ٢] والكفار ليسوا بمرضيين ولا عدول، وخالفهم الجمهور فقالوا: الآية محكمة، وهو الحق لعدم وجود دليل صحيح يدل على النسخ.

وأما قولُه تعالى: ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾ [البقرة: ٢٨٢] وقوله: ﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ فهما عامان في الأشخاص والأزمان والأحوال، وهذه الآية خاصة بحالة الضرب في الأرض وبالوصية وبحالة عدم الشهود المسلمين، ولا تعارض بين عامّ وخاص.

قوله: ﴿إِنْ أَنتُمْ﴾ هو فاعل فعل(١) محذوف يفسره ﴿ضَرَبْتُمْ﴾ [٢/٥٧]، أو مبتدأ وما بعده خبره، والأوّل: مذهب الجمهور(٢) من النحاة، والثاني: مذهب الأخفش والكوفيين، والضرب في الأرض هو السفر.

وقوله: ﴿فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِۚ﴾ معطوف على ما قبله وجوابه محذوف؛ أي: إن ضربتم في الأرض فنزل بكم الموت، وأردتم الوصية، ولم تجدوا شهوداً عليها مسلمين، ثم ذهبا إلى ورثتكم بوصيتكم وبما تركتم فارتابوا في أمرهما وادّعوا عليهما خيانة؛ فالحكم أن تحبسوهما، ويجوز أن يكون استئنافاً لجواب سؤال مقدّر؛ كأنهم قالوا: فكيف نصنع إن ارتبنا في الشهادة؟ فقال: تحبسونهما من بعد الصلاة إن ارتبتم في شهادتهما.

وخص بعد الصلاة؛ أي: صلاة العصر، قاله الأكثر(٣)؛ لكونه الوقت الذي يغضب الله على من حلف فيه فاجراً كما في الحديث(٤) الصحيح.

وقيل: لكونه وقت اجتماع الناس وقعود الحكام للحكومة؛ وقيل: صلاة الظهر؛ وقيل: أي صلاة كانت.

---

(١) «البحر المحيط» (٤/ ٣٩٥)، و«روح المعاني» (٧/ ٤٥٨).

(٢) ذكره أبو السعود في «تفسيره» (٢/ ٥٦٠)، والألوسي في «روح المعاني» (٧/ ٤٥٨).

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٢٦٦)، و«معالم التنزيل» (٢/ ٧٤)، و«جامع البيان» (٩/ ٧٦ ـ ٧٧).

(٤) أخرجه أحمد في «المسند» رقم (١٠٢٢٦)، والبخاري رقم (٢٣٦٩)، ومسلم رقم (١٠٨) من حديث أبي هريرة ﷺ بلفظ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم... ورجلٌ حلف عن يمين كاذبة بعد العصر ليقتطع بها مال رجل مسلم».

• ولفظ المصنف ذكره ابن العربي في «أحكام القرآن» (٢/ ٧١٧).

قال أبو عليّ الفارسي[1]: ﴿تَحْبِسُونَهُمَا﴾ صفة لآخران، واعترض بين الصفة والموصوف بقوله: ﴿إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾، والمراد بالحبس: توقيف الشاهدين في ذلك الوقت لتحليفهما، وفيه دليل على جواز الحبس بالمعنى العام، وعلى جواز التغليظ على الحالف بالزمان والمكان ونحوهما.

قوله: ﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ﴾ معطوف على ﴿تَحْبِسُونَهُمَا﴾؛ أي: يقسم بالله الشاهدان على الوصية أو الوصيان.

وقد استدلّ بذلك ابن أبي ليلى[2] على تحليف الشاهدين مطلقاً إذا حصلت الريبة في شهادتهما، وفيه نظر؛ لأن تحليف الشاهدين هنا إنما هو لوقوع الدعوى عليهما بالخيانة أو نحوها.

قوله: ﴿إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾ جواب هذا الشرط محذوف دلّ عليه ما تقدّم كما سبق.
قوله: ﴿لَا نَشْتَرِي بِهِۦ ثَمَنًا﴾ جواب القسم، والضمير في ﴿بِهِۦ﴾ راجع إلى الله تعالى.

والمعنى: لا نبيع حظنا من الله تعالى بهذا العَرَض النزر، فنحلف به كاذبين لأجل المال الذي ادّعيتموه علينا.

وقيل: يعود إلى القَسَم؛ أي: لا نستبدل بصحة القسم بالله عَرَضاً من أعراض الدنيا؛ وقيل: يعود إلى الشهادة، وإنما ذكر الضمير لأنها بمعنى القول؛ أي: لا نستبدل بشهادتنا ثمناً.

قال الكوفيون[3]: المعنى: ذا ثمنٍ، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، وهذا مبنيّ على أن العروض لا تسمى ثمناً، وعند الأكثر أنها تسمى ثمناً، كما تسمى مبيعاً.

قوله: ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾؛ أي: ولو كان المقسم له، أو المشهود له قريباً فإنا نؤثر الحقَ والصدقَ، ولا نؤثر العرض الدنيوي، ولا القرابة، وجواب «لو» محذوف لدلالة ما قبله عليه؛ أي: ولو كان ذا قربى، لا نشتري به ثمناً.

قوله: ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ﴾ معطوف على ﴿لَا نَشْتَرِي﴾ داخل معه في

---

(١) في «الحجة» (٣/ ٢٦٤ ـ ٢٦٥).
(٢) انظر: «أحكام القرآن» لابن العربي (٢/ ٧١٨).
(٣) انظر: «زاد المسير» (٢/ ٤٤٨)، و«مشكل إعراب القرآن» (١/ ٢٤٢).

حكم القسم، وأضاف الشهادة إلى الله سبحانه لكونه الآمر بإقامتها والناهي عن كتمها.

قوله: ﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا﴾ عثر على كذا: اطّلع عليه، يقال: عَثَرْتُ منه على خيانة؛ أي: اطَّلعت وأعثرتُ غيري عليه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ [الكهف: ٢١] وأصل العثور: الوقوع والسقوط على الشيء، ومنه قول الأعشى[١]:

بذات لَوثٍ عَفرْنَاةٍ[٢] إذا عَثَرَتْ فالتعسُ أولى لها مِنْ أن أقول لَعَا

والمعنى: أنه إذا اطّلع بعد التحليف على أن الشاهدين أو الوصيين استحقا إثماً؛ أي: استوجبا إثماً إما بكذب في الشهادة أو اليمين، أو بظهور خيانة.

قال أبو علي الفارسي[٣]: الإثم هنا اسم الشيء المأخوذ؛ لأنّ آخذه يأثم بأخذه، فسُمّي إثماً كما سُمّي ما يؤخذ بغير حق: مَظْلَمة.

وقال سيبويه[٤]: المَظْلمة اسم ما أخذ منك. فكذلك سُمي هذا المأخوذ، باسم المصدر. قولُه: ﴿فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾؛ أي: فشاهدان آخران أو فحالفان آخران يقومان مقام اللذينِ عثر على أنهما استحقا إثماً؛ فيشهدان أو يحلفان على ما هو الحق، وليس المراد: أنهما يقومان مقامهما في أداء الشهادة التي شهدها المستحقان للإثم.

قولُه: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ﴾ «استُحِق» مبنيّ[٥] للمفعول في قراءة الجمهور، وقرأ عليّ وأُبيّ وابن عباس وحفص على البناء للفاعل[٦]، و﴿ٱلْأَوْلَيَـٰنِ﴾ على القراءة الأولى مرتفع على أنه خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هما الأوليان، كأنه قيل: من هما؟ فقيل: هما الأوليان؛ وقيل: هو بدل من الضمير في «يقومان» أو من «آخران».

---

(١) انظر: «ديوان الأعشى» (ص١٥٣).
(٢) ناقة عفرنَاة؛ أي: قوية. «الصحاح» (٢/ ٧٥٢).
(٣) في «الحجة» (٣/ ٣٦٨).
(٤) في «الكتاب» (٤/ ٩١).
(٥) «روح المعاني» (٧/ ٤٦٢)، و«التبيان» (١/ ٤٦٩).
(٦) هما قراءتان متواترتان، فحفص بالبناء للفاعل، والباقون بالبناء للمفعول. انظر: «النشر» (٢/ ٢٥٦).

وقرأ يحيى بن وثّاب والأعمش[١] وحمزة: «الأوَّلينَ» جمع أول على أنه بدل مِنْ الذين، أو من الهاء والميم في عليهم.

وقرأ الحسن[٢]: «الأوْلانِ».

والمعنى[٣] على بناء الفعل للمفعول: مِنْ الذين استحق عليهم الإثم؛ أي: جنى عليهم، وهم أهل الميت وعشيرته فإنهم أحق بالشهادة أو اليمين من غيرهم؛ فالأوليان تثنية أولى.

والمعنى على قراءة البناء للفاعل: مِنْ الذين استَحَقَّ عليهم الأوْليانِ من بينهم بالشهادة أن يجردوهما للقيام بالشهادة ويظهروا بهما كذب الكاذبين لكونهما الأقربين إلى الميت. فالأوليانِ، فاعل استحقّ، ومفعوله أن يجردوهما للقيام بالشهادة.

وقيل: المفعول محذوف، والتقدير: مِنْ الذين استَحقَ عليهم الأوليان بالميت وصيتُه التي أوصى بها.

قوله: ﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ﴾ عطف على ﴿يَقُومَانِ﴾؛ أي: فيحلفان بالله لشهادتنا؛ أي: يميننا؛ فالمراد بالشهادة هنا: اليمين، كما في قوله تعالى: ﴿فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ﴾ [النور: ٦]؛ أي: يحلفان لشهادتنا على أنهما كاذبان خائنان أحق من شهادتهما؛ أي: من يمينهما على أنهما صادقان أمينان ﴿وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ﴾؛ أي: تجاوزنا الحق في يميننا ﴿إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ إنْ كنا حلفنا على باطل.

قوله: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ﴾؛ أي: ذلك البيان الذي قدمه الله سبحانه، في هذه القصة، وعرفنا كيف يصنع مَنْ أراد الوصية في السفر؟ ولم يكن عنده أحد من أهله، وعشيرته، وعنده كفار، ﴿أَدْنَىٰٓ﴾؛ أي: أقرب إلى أن يؤدي الشهود المتحمّلون للشهادة على الوصية بالشهادة على وجهها، فلا يحرّفوا ولا يبدّلوا، ولا يخونوا، وهذا كلام[٤] مبتدأ يتضمن ذكر المنفعة والفائدة في هذا [٢/٥٨]

---

(١) «النشر» (٢/٢٥٦)، و«التيسير» (ص١٠٠)، و«حاشية الجمل» (١/٥٣٧)، و«البحر المحيط» (٤/٣٩٩)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/٤٧). قراءة «الأوّلينَ» قراءة متواترة، وقد قرأها مع حمزة أبو بكر عن عاصم ويعقوب، وخلف،والقراءة المتواترة الأخرى عَنْ الجمهور «الأوليان».انظر: تخريج من فتح القدير (ص١١٧).

(٢) «القراءات الشاذة» (ص٣٥)، و«مشكل إعراب القرآن» (١/٢٤٣)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٢٠). وهي قراءة شاذة.

(٣) «جامع البيان» (٩/ ٩٥).

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (٨/٢٧٨)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/٤٨).

الحكم الذي شرعه الله في هذا الموضع من كتابه؛ فالضمير في ﴿يَأْتُواْ﴾ عائد إلى شهود الوصية مِنْ الكفار؛ وقيل: إنّه راجع إلى المسلمين المخاطبين بهذا الحكم. والمراد: تحذيرهم مِنْ الخيانة، وأمرهم بأن يشهدوا بالحق.

قوله: ﴿أَوْ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْۗ﴾؛ أي: تردّ على الورثة فيحلفون على خلاف ما شهد به شهود الوصية فيفتضح حينئذ شهود الوصية، وهو معطوف على قوله: ﴿أَن يَأْتُواْ﴾ فتكون الفائدة في شرع الله سبحانه لهذا الحكم هي أحد[١] الأمرين: إمَّا احتراز شهود الوصية عن الكذب والخيانة فيأتون بالشهادة على وجهها.

أو يخافوا الافتضاح إذا ردّت الأيمان على قرابة الميت فحلفوا بما يتضمن كذبهم أو خيانتهم؛ فيكون ذلك سبباً لتأدية شهادة شهود الوصية على وجهها من غير كذب ولا خيانة.

وقيل: إن ﴿يَخَافُوٓاْ﴾ معطوف على مقدّر بعد الجملة الأولى، والتقدير: ذلك أدنى أَنْ يأتوا بالشهادة على وجهها، ويخافوا عذاب الآخرة بسبب الكذب والخيانة، أو يخافوا الافتضاح بردّ اليمين، فأيّ الخوفين وقع حصل المقصود ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في مخالفة أحكامه ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ الخارجين عَنْ طاعته بأيّ ذنب، ومنه الكذب في اليمين أو الشهادة.

وحاصل ما تضمنه[٢] هذا المقام مِنْ الكتاب العزيز: أَنّ مَنْ حضرته علامات الموت، أشهد على وصيته عدلين مِنْ عدول المسلمين، فإنْ لم يجد شهوداً مسلمين، وكان في سفر، ووجد كفاراً جاز له أن يُشهد رجلين منهم على وصيته، فإن ارتاب بهما ورثة الموصي حلفا بالله على أنهما شهدا بالحق، وما كتما مِنْ الشهادة شيئاً ولا خانا مما تركه الميت شيئاً، فإن تبين بعد ذلك خلاف ما أقسما عليه من خلل في الشهادة أو ظهور شيء مِنْ تركة الميت زعماً أنه قد صار في ملكهما بوجه من الوجوه حلف رجلان مِنْ الورثة وعمل بذلك.

وقد أخرج الترمذي وضعّفه، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والنحاس في

---

(١) «البحر المحيط» (٤/٤٠١)، و«روح المعاني» (٧/٤٦٩ ـ ٤٧٠).
(٢) «المحرر الوجيز» (٥/٢١٨ ـ ٢١٩).

«ناسخه»، وأبو الشيخ، وابن مردويه، وأبو نُعيم في «المعرفة» من طريق أبي النضر وهو الكلبي، عن باذان مولى أم هانىء، عن ابن عباس[(١)]، عن تميم الداري في هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ قال: برئ الناس منها غيري وغير عديّ بن بَدَّاء، ـ وكانا نصرانيين يختلفان إلى الشام قبل الإسلام ـ، فأتيا الشام لتجارتهما، وقدم عليهما مولى لبني سهم يقال له: بُديل بن أبي مريم بتجارة، ومعه جام مِنْ فضة يريد به المَلِكَ، وهو عُظْم تجارته، فمرض فأوصى إليهما وأمرهما أن يبلغا ما ترك أهله. قال تميمٌ: فلما مات أخذنا ذلك الجام فبعناه بألف درهم، ثم اقتسمناه أنا وعديّ بن بَدّاء، فلما قدمنا إلى أهله دفعنا إليهم ما كان معنا، وفقدوا الجام فسألونا عَنْه، فقلنا: ما ترك غير هذا، أو ما دفع إلينا غيرَه؛ قال تميم: فلما أسلمتُ بعد قدوم رسول الله ﷺ المدينة تأثَّمت مِنْ ذلك، فأتيت أهله فأخبرتهم الخبر، وأدّيت إليهم خمسمئة درهم، وأخبرتهم أن عند صاحبي مثلَها، فأتوا به رسولَ الله ﷺ، فسألهم البيّنة فلم يجدوا، فأمرهم أن يستحلِفوه بما يُعظَّم به على أهل دِينه، فحلف فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ فقام عمرو بن العاص ورجل آخر فحلفا، فنُزعت الخمسمئة درهم من عديّ بن بدّاء.

وفي إسناده أبو النضر، وهو محمد بن السائب الكلبي[(٢)] صاحب التفسير، قال الترمذي: تركه أهلُ العلم بالحديث.

وأخرج البخاري في «تاريخه»، والترمذي وحسّنه، وابن جرير، وابن المنذر، والنحاس، والطبراني، وأبو الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في «سننه»، عن ابن عباس[(٣)] قال: خرج رجل مِنْ بني سهم مع تميم الداري وعدي بن بَدّاء، فمات

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٨٨)، والترمذي رقم (٣٠٥٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٣٠ رقم ٦٩٤١)، والبيهقي (١٠/ ١٦٥)، و«النحاس في الناسخ والمنسوخ» (ص٤٠٩). وهو حديث ضعيف جداً.

(٢) محمد بن السائب بن بشر الكلبي، أبو النضر الكوفي (ت٤٦هـ)، النسّابة المفسر، متهم بالكذب ورُمي بالرفض. «تقريب التهذيب» رقم (٥٩٣٨).

(٣) أخرجه البخاري في «تاريخه» (١/ ٢١٥)، والترمذي رقم (٣٠٦٠)، وابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٨٧ ـ ٨٨)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص٤٠٨)، والبيهقي (١٠/ ١٦٥)، والطبراني رقم (١٢٥٠٩). وهو حديث صحيح.

السهميّ بأرض ليس فيها مسلم، فأوصى إليهما فلما قدما بتركته فقدوا جاماً من فضة مُخوَّصاً بالذهب، فأحلفهما رسول الله ﷺ بالله ما كتمتماها ولا اطلعتما، ثم وجدوا الجام بمكة، فقيل: اشتريناه مِنْ تميم وعديّ، فقام رجلان مِنْ أولياء السهميّ فحلفا بالله لشهادتنا أحقّ مِنْ شهادتهما وإن الجام لصاحبهم، وأخذوا الجام، قال: وفيهم نزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ﴾ الآية، وفي إسناده محمد بن أبي القاسم الكوفي، قال الترمذي: قيل: إنَّه صالح الحديث، وقد روى ذلك أبو داود من طريقه.

وقد روى جماعة من التابعين أن هذه القصة هي السبب في نزول الآية، وذكرها المفسرون في تفاسيرهم.

وقال القرطبي[1]: إنَّه أجمع أهل التفسير على أن هذه القصة هي سبب نزول الآية.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والنحاس من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس[2] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ﴾ الآية قال: هذا لمن مات وعنده المسلمون؛ أمره الله أَنْ يُشهدَ على وصيته عدلين مسلمين. ثم قال: ﴿أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ فهذا لمن مات وليس عنده أحدٌ من المسلمين، أمر الله بشهادة رجلين مِنْ غير المسلمين، فإن ارتيب بشهادتهما استحلفا بالله بعد الصلاة ما اشتريا بشهادتهما ثمناً قليلاً، فإن اطّلع الأولياء على أن الكافرين كذبا في شهادتهما، وثمّ رجلان من الأولياء فحلفا بالله أن شهادة الكافرين باطلة، [٢/٥٩] فذلك قوله: ﴿فَإِنۡ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسۡتَحَقَّآ إِثۡمٗا﴾ يقول: إن اطلع على أن الكافرين كذبا ﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن﴾ يأتي الكافران ﴿بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجۡهِهَآ أَوۡ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيۡمَٰنُۢ بَعۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡۗ﴾ فتترك شهادة الكافرين ويحكم بشهادة الأولياء، فليس على شهود المسلمين إقسام، إنما الإقسام إذا كانا كافرين.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن ابن مسعود[3] أنه سئل عن هذه الآية

---

(١) في «تفسيره» (٨/ ٢٧١).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٧٣)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص٤٠٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٢٩ رقم ٦٩٣٢، ٦٩٣٣) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٢٩ رقم ٦٩٣١) بسند صحيح.

فقال: هذا رجل خرج مسافراً ومعه مال فأدركه قَدَره، فإن وجَدَ رجلين من المسلمين دفع إليهما تَرِكتَه، وأشهد عليهما عدلين من المسلمين، فإن لم يجد عدلين من المسلمين فرجلين مِنْ أهل الكتاب، فإن أدى فسبيل ما أدّى، وإن جحد استُحلف بالله الذي لا إله إلا هو دُبر صلاةٍ، إن هذا الذي دُفع إليّ، وما غيّبت منه شيئاً، فإذا حلف برئ. فإذا أتى بعد ذلك صاحبا الكتاب فشهدا عليه، ثم ادّعى القوم عليه من تَسميتهم ما لهم، جُعلت أيمان الورثة مع شهادتهم ثم اقتطعوا حقَّه، فذلك الذي يقول الله: ﴿ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، وابن مردويه، والضياء في المختارة عن ابن عباس[(١)] في قوله: ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ قال: من غير المسلمين من أهل الكتاب.

وأخرج ابن جرير[(٢)]، عن ابن عباس قال: هذه الآية منسوخة.

وأخرج ابن جرير[(٣)] عَنْ زيد بن أسلم في الآية قال: كان ذلك في رجل تُوفّي وليس عنده أحد مِنْ أهل الإسلام، وذلك في أوّل الإسلام، والأرض حرب، والناس كفار، إلا رسول الله ﷺ وأصحابه بالمدينة، وكان الناس يتوارثون بالوصية، ثم نُسخت الوصية وفُرضت الفرائض وعمل المسلمون بها. وأخرج ابن جرير أيضاً عن الزهري قال: مضت السُّنَّة أن لا تجوز شهادة كافر في حضر ولا سفر، إنما هي في المسلمين.

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، عن عَبيدة[(٤)] في قوله: ﴿تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ قال: صلاة العصر.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن ابن زيد[(٥)] في قوله: ﴿لَا نَشْتَرِى بِهِۦ

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٢٩ رقم ٦٩٣٤)، والضياء في «المختارة» رقم (١٤٩) بسند حسن.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ١٠٧) بسند ضعيف.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٦٧) بسند صحيح، ولكنه مرسل.
قال ابن كثير في «تفسيره» (٥/ ٤٠٢): وفي هذا نظر.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٢٠٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٣٠ رقم ١٩٤٠) من طريق معمر، عن أيوب، عن ابن سيرين، به.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٧٩) من طريق يونس بن عبد الأعلى، عن ابن وهب، به. وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٣٢ رقم ٦٩٤٧) من طريق أصبغ بن الفرج، عن ابن وهب، به.

﴿ثَمَنًا﴾ قال: لا نأخذ به رشوةً ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ﴾ وإن كان صاحبها بعيداً.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، عن قتادة[1] في قوله: ﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا﴾؛ أي: اطُّلع منهما على خيانة على أنهما كذبا أو كتما.

وأخرج ابن جرير[2]، عن ابن زيد، في قوله: ﴿ٱلْأَوْلَيَٰنِ﴾ قال: بالميت.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عَنْ قتادة[3] في قوله: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ﴾ يقول: ذلك أحرى أن يصدقوا في شهادتهم ﴿أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ يقول: وأن يخافوا العقِبَ.

وأخرج ابن جرير[4] عن ابن زيد في قوله: ﴿أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ قال: فيبطل أيمانهم ويؤخذ أيمان هؤلاء.

[الرسل يعلنون أن العلم الحق لله وحده]

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾﴾.

[استعراض المعجزات التي آتاها الله عيسى عليه السلام ليصدق الناس برسالته]:

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾.

قوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾ العامل في الظرف[5] فعل مقدّر؛ أي: اسمعوا، أو

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٨٤) بسند صحيح.
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ١٠٣) بسند صحيح.
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ١٠٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٣٤، ١٢٣٥ رقم ٦٩٦٢، ٦٩٦٦) بسند صحيح.
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ١٠٥ ـ ١٠٦) بسند صحيح.
(٥) «روح المعاني» (٧/ ٤٧١)، و«البحر المحيط» (٤/ ٤٠٥).

اذكروا، أو احذروا(١).

وقال الزجاج(٢): هو منصوب بقوله: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [المائدة: ١٠٨] المذكور في الآية الأولى؛ وقيل: بدل من مفعول «اتقُوا» بدل اشتمال؛ وقيل: ظرف لقول: ﴿لَا يَهۡدِي﴾ [المائدة: ١٠٨] المذكور قبله؛ وقيل: مَنْصوب بفعل مقدّر متأخر تقديره: ﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾ يكون مِنْ الأحوال كذا وكذا.

قوله: ﴿مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ﴾؛ أي: أيّ إجابة أجابتكم به أممُكم الذين بعثكم الله إليهم؟ أو أيّ جواب أجابوكم به؟

وعلى الوجهين(٣) تكون «ما» منصوبة بالفعل المذكور بعدها، وتوجيه السؤال إلى الرسل لقصد توبيخ قومهم، وجوابهم بقولهم: ﴿لَا عِلۡمَ لَنَآۖ﴾ مع أنهم عالمون بما أجابوا به عليهم، تفويضٌ منهم، وإظهار للعجز، وعدم القدرة، ولا سيما مع علمهم بأن السؤال سؤال(٤) توبيخ، فإن تفويض الجواب إلى الله أبلغ في حصول ذلك، وقيل: المعنى: لا علم لنا بما أحدثوا بعدنا؛ وقيل: لا علم لنا بما اشتملت عليه بواطنهم(٥). وقيل: المعنى: لا علم لنا إلّا علم ما أنت أعلم به منا؛ وقيل(٦): إنهم ذُهلوا عما أجاب به قومهم لهول المحشر.

قوله: ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ﴾ «إذ» بدل(٧)، من ﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُ﴾، وهو تخصيص بعد التعميم، وتخصيص عيسى عليه السلام من بين الرسل لاختلاف طائفتي اليهود

---

(١) في «معاني القرآن» (٢/ ٢١٨).

(٢) «البحر المحيط» (٤/ ٤٠٥)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٤٨).

(٣) «التبيان» (١/ ٤٧٠)، و«روح المعاني» (٧/ ٤٧١).

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٢٧٩)، و«روح المعاني» (٧/ ٤٧٢).

(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٧٨) عن الحسن.

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ١١٠) عن السدي بسند حسن.
- وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ١١٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٣٥ رقم ٦٩٧١) بسند ضعيف.
- وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ١١٠ ـ ١١١)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٢٠١) بسند صحيح.
- قال النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ٤٨): «وهذا لا يصح؛ لأنَّ الرُّسل صلوات الله عليهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون».

(٧) ذكره الألوسي في «روح المعاني» (٧/ ٤٧٥).

والنصارى فيه إفراطاً وتفريطاً؛ هذه تجعله إلهاً، وهذه تجعله كاذباً، وقيل: هو منصوب بتقدير: اذكر.

قولُه: ﴿ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ﴾ ذكّره سبحانه نعمتَه عليه وعلى أمه، مع كونه ذاكراً لها، عالماً بتفضّل الله سبحانه بها؛ لقصد تعريف الأمم[1] بما خصهما الله به مِن الكرامة، وميزهما به من علوّ المقام، أو لتأكيد الحجة، وتبكيت الجاحد بأن منزلتهما عند الله هذه المنزلة، وتوبيخ من اتخذهما إلهين، ببيان أن ذلك الإنعام عليهما كله مِنْ عند الله سبحانه، وأنهما عبدان من جملة عباده، منعم عليهما بنعم الله سبحانه، ليس لهما من الأمر شيء. [٢/٦٠]

قوله: ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ «إذ» ظرف[2] للنعمة؛ لأنها بمعنى: المصدر؛ أي: اذكر إنعامي عليك وقت تأييدي لك، أو حال من النعمة؛ أي: كائنة ذلك الوقت ﴿أَيَّدتُّكَ﴾: قوّيتك مأخوذ من الأيد، وهو القوّة.

وفي روح القُدُس وجهان[3]: أحدهما: أنّها الروح الطاهرة التي خصه الله بها، وقيل: إنه جبريل عليه السلام، وقيل: إنه الكلام الذي يحيي به الأرواح. والقُدُس: الطهر، وإضافته إليه لكونه سببه، وجملة ﴿تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ﴾ مبينة لمعنى التأييد، و﴿فِى ٱلْمَهْدِ﴾ في محل نصب على الحال؛ أي: تكلم الناس حال كونك صبياً وكهلاً، لا يتفاوت كلامك في الحالتين مع أن غيرك يتفاوت كلامه فيهما تفاوتاً بيناً.

وقوله: ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ معطوف على ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ﴾؛ أي: واذكر نعمتي عليك وقت تعليمي لك الكتاب؛ أي: جنس الكتاب، أو المراد بالكتاب: الخط، وعلى الأوّل يكون ذكر التوراة والإنجيل مِنْ عطف الخاص على العام، وتخصيصهما بالذكر لمزيد اختصاصه بهما.

أما التوراة فقد كان يحتج بها على اليهود في غالب ما يدور بينه وبينهم من الجدال، كما هو مصرح بذلك في الإنجيل.

وأما الإنجيل: فلكونه نازلاً عليه مِن عند الله سبحانه. والمراد بالحكمة: جنس الحكمة؛ وقيل: هي الكلام المُحْكَم ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾؛ أي: تصوّر تصويراً مثل صورة الطير ﴿بِإِذْنِى﴾ لك بذلك وتيسيري له، ﴿فَتَنفُخُ﴾ في الهيئة المصوّرة

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٢٨٢).

(٢) انظر: «روح المعاني» (٧/ ٤٧٦)، و«البحر المحيط» (٤/ ٤٠٦).

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٢٨٢).

﴿فَتَكُونُ﴾ هذه الهيئة «طائراً» متحركاً حيّاً كسائر الطيور ﴿وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِي﴾ لك، وتسهيله عليك وتيسيره لك، وقد تقدّم تفسير هذا مطوّلاً في البقرة، فلا نعيده.

﴿وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ من قبورهم، فيكون ذلك آية لك عظيمة ﴿بِإِذْنِي﴾، وتكرير «بإذني» في المواضع الأربعة؛ للاعتناء بأن ذلك كله من جهة الله، ليس لعيسى عليه السلام فيه فعل إلا مجرد امتثاله لأمر الله سبحانه.

قوله: ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ﴾ معطوف على «إذْ تخرج»، كففت: معناه: دفعتُ وصرفت ﴿بَنِي إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ﴾ حين همّوا بقتلك ﴿إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزات الواضحات ﴿فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾؛ أي: ما هذا الذي جئت به إلا سحر بيِّن، لما عظم ذلك في صدورهم، وانبهروا منه لم يقدروا على جحده بالكلية؛ بل نسبوه إلى السحر.

قوله: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي﴾ هو معطوف على ما قبله، وقد تقدّم تفسير ذلك.

والوحي[١] في كلام العرب معناه: الإلهام؛ أي: ألهمتُ الحواريين وقذفت في قلوبهم؛ وقيل: معناه: أمرتهم على ألسنة الرسل أن يؤمنوا بي بالتوحيد والإخلاص ويؤمنوا برسالة رسولي.

قوله: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ جملة مستأنفة، كأنه قيل: ماذا قالوا؟ فقال: قالوا آمنا ﴿وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾؛ أي: مخلصون للإيمان؛ أي: واشهد يا رب، أو واشهد يا عيسى[٢].

وقد أخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن مجاهد[٣] في قوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾ فيفزعون فيقولون: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ فترُدّ إليهم أفئدتهم فيعلمون.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن السديّ[٤] في الآية قال:

---

(١) «معاني القرآن» للنحاس (٢/ ٣٨٣ ـ ٣٨٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٣١٣).

(٢) انظر: «النكت والعيون» (٢/ ٨١).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ١١٠ ـ ١١١)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٠١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٣٦ رقم ٦٩٧٣) بسند صحيح.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ١١٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٣٦ رقم ٦٩٧٣) بسند حسن.

ذلك أنهم نزلوا منزلاً ذَهِلت فيه العقول، فلما سُئلوا قالوا: لا علم لنا، ثم نزلوا منزلاً آخر فشهدوا على قومهم.

وأخرج ابنُ أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن ابن عباس(١) قال: قالوا: لا علم لنا فَرَقاً يذهل عقولهم، ثم يردّ الله إليهم عقولهم، فيكونون هم الذين يسألون بقول الله: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦].

وأخرج ابنُ أبي حاتم، وابن مردويه، وابن عساكر، عن أبي موسى الأشعري(٢) قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة يُدعى بالأنبياء وأممها ثم يُدعى بعيسى فيُذكّره نعمته عليه فيقرّ بها، فيقول: ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ﴾ الآية، ثم يقول: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦]؟ فيُنكر أَنْ يكون قال ذلك؛ فيؤتى بالنصارى فيُسألون، فيقولون: نعم، هو أمرنا بذلك. فيطولُ شعر عيسى حتى يأخذ كل مَلَك مِنْ الملائكة بشعرة من شعر رأسه وجسده، فيجاثيهم بين يدي الله مقدار ألف عام حتى يوقع عليهم الحجة، ويرفع لهم الصليب، وينطلق بهم إلى النار».

وأخرج ابن أبي حاتم(٣)، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾؛ أي: بالآيات التي وضع على يديه من إحياء الموتى، وخلقه من الطين كهيئة الطير، وإبراء الأسقام، والخبر بكثير من الغيوب.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن السديّ(٤) في قوله: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ﴾ يقول: قذفت في قلوبهم.

وأخرج عبد بن حميد(٥) عن قتادة نحوه.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٣٥ رقم ٦٩٧٠) بسند ضعيف. الضحاك لم يسمع من ابن عباس.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٣٦ رقم ٦٩٧٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٧/ ٤٠) بسند ضعيف.
قال ابن كثير في «تفسيره» (٥/ ٤٢٦): «وهذا حديث غريب عزيز».

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٤٢ رقم ٧٠٠٤) بسند صحيح.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ١١٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٤٢ رقم ٧٠٠٥) بسند حسن.

(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٢٣٠).

[قصة المائدة]

﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾. [٢/٦١]

قوله: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ﴾ الظرف منصوب بفعل مقدر؛ أي: اذكر أو نحوه كما تقدّم، قيل: والخطاب لمحمد ﷺ.

قرأ الكسائي[1] «هل تستطيع» بالفوقية، ونصب «ربَّك»، وبه قرأ عليّ، وابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد.

وقرأ الباقون[2] بالتحتية ورفع «ربُّك».

واستشكلت[3] القراءة الثانية بأنه قد وصف سبحانه الحواريين بأنهم قالوا: ﴿ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: ١١١] والسؤال عن استطاعته لذلك ينافي ما حكوه عن أنفسهم.

وأجيب بأن هذا كان في أوّل معرفتهم قبل أن تستحكم معرفتهم بالله، ولهذا قال عيسى في الجواب عن هذا الاستفهام الصادر منهم: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾؛ أي: لا تشكوا في قدرة الله؛ وقيل: إنهم ادّعوا الإيمان والإسلام دعوى باطلة، ويردّه أن الحواريين هم خلصاء عيسى وأنصاره، كما قال: ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢] وقيل: إن ذلك صدر ممن كان معهم، وقيل: إنهم لم يشُكّوا في استطاعة البارئ سبحانه، فإنهم كانوا مؤمنين عارفين بذلك، وإنما هو كقول الرجل: هل يستطيع فلان أن يأتي؟ مع علمه بأنه يستطيع ذلك ويقدر عليه.

---

(١) «الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٢٢)، و«جامع البيان» (٩/ ١١٨)، و«التيسير» (ص١٠١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٢٨٦). وهما قراءتان متواترتان كما ذكره المؤلف رحمه الله.

(٢) «البحر المحيط» (٤/ ٤١٠)، و«المبسوط» (ص١٨٩)، و«مجمع البيان» (٢/ ٢٣٥)، و«حاشية الشهاب» (٢/ ٣٠٠)، و«التبصرة» (ص٤٨٩).

(٣) «جامع البيان» (٩/ ١١٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٢٨٦).

فالمعنى: هل يفعل ذلك وهل يجيب إليه؟ وقيل: إنهم طلبوا الطمأنينة، كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ الآية [البقرة: ٢٦٠]، ويدل على هذا قولهم من بعد: ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ وأما على القراءة الأولى؛ فالمعنى: هل تستطيع أن تسأل ربك؟.

قال الزجاج[١]: المعنى: هل تستدعي طاعة ربك فيما تسأله؟ فهو من باب: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢].

والمائدة: الخوان إذا كان عليه الطعام، من ماده: إذا أعطاه ورفده كأنها تميد من تقدّم إليه؛ قاله قُطْرب[٢] وغيره، وقيل: هي فاعلة بمعنى مفعولة كعيشة راضية قاله أبو عُبيدة[٣]، فأجابهم عيسى عليه السلام بقوله: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾؛ أي: اتقوه من هذا السؤال وأمثاله إن كنتم صادقين في إيمانكم، فإن شأن المؤمن ترك الاقتراح على ربه على هذه الصفة؛ وقيل: إنه أمرهم بالتقوى ليكون ذلك ذريعة إلى حصول ما طلبوه.

قوله: ﴿قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا﴾ بيّنوا به الغَرَض مِنْ سؤالهم نزول المائدة، وكذا ما عطف عليه من قولهم: ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ والمعنى: تطمئن قلوبُنا بكمال قدرة الله، أو بأنك مرسل إلينا من عنده، أو بأن الله قد أجابنا إلى ما سألناه، ونعلم علماً يقيناً بأنك قد صدقتنا في نبوّتك، ونكون عليها من الشاهدين عند من لم يحضرها من بني إسرائيل، أو من سائر الناس، أو من الشاهدين لله بالوحدانية، أو من الشاهدين؛ أي: الحاضرين دون السامعين.

ولما رأى عيسى ما حكوه عن أنفسهم من الغرض بنزول المائدة قال: ﴿ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾؛ أي: كائنة أو نازلة من السماء، وأصل «اللَّهُمَّ» عند سيبويه[٤] وأتباعه: ياالله، فجعلت الميم بدلاً مِنْ حرف النداء، وربنا: نداء ثان، وليس بوصف، و﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا﴾ وصف لمائدة.

وقرأ الأعمش[٥]: «يكون لنا عيداً»؛ أي: يكون يوم نزولها لنا عيداً.

---

(١) في «معاني القرآن» (٢/ ٢٢٠).
(٢) «النكت والعيون» (٢/ ٨٢).
(٣) في «مجاز القرآن» (١/ ١٨٢).
(٤) في «الكتاب» (٢/ ١٩٦).
(٥) «القراءات الشاذة» (ص٣٦)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٢٥)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٥١). وهي قراءة شاذة.

وقد كان نزولها يوم الأحد، وهو يوم عيد لهم؛ والعيد واحد الأعياد، وإنما جُمع بالياء وأصله الواو للزومها في الواحد؛ وقيل: للفرق بينه وبين أعواد جمع عود، ذكر معناه الجوهري[١]؛ وقيل: أصله مِنْ عاد يعود؛ أي: رجع، فهو عود بالواو، وتقلب ياء لانكسار ما قبلها، مثل الميزان والميقات والميعاد، فقيل ليوم الفطر والأضحى: عيدان؛ لأنهما يعودان في كل سنة.

وقال الخليل[٢]: العيد كل يوم مَجْمَعٍ كأنهم عادوا إليه.

قوله: ﴿لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا﴾ بدل من الضمير[٣] في «لنا» بتكرير العامل؛ أي: لمن في عصرنا ولمن يأتي بعدنا من ذرارينا وغيرهم.

قوله: ﴿وَءَايَةً مِّنكَۖ﴾ عطف على عيداً؛ أي: دلالةً وحجة واضحة على كمال قدرتك، وصحة إرسالك من أرسلته ﴿وَٱرْزُقْنَا﴾؛ أي: أعطنا هذه المائدة المطلوبة، أو ارزقنا رزقاً نستعين به على عبادتك ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ بل لا رازق في الحقيقة غيرُك، ولا معطي سواك؛ فأجاب الله سبحانه سؤال عيسى عليه السلام فقال: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا﴾؛ أي: المائدة ﴿عَلَيْكُمْۖ﴾.

وقد اختلف[٤] أهل العلم هل نزلت عليهم المائدة أم لا؟ فذهب الجمهور إلى الأوّل: وهو الحقُّ؛ لقوله سبحانه: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْۖ﴾ ووعده الحق وهو لا يخلف الميعاد.

وقال مجاهد[٥]: ما نزلت وإنما هو ضَرْبُ مَثَلٍ ضربه الله لخلقه نهياً لهم عن مسألة الآيات لأنبيائه.

وقالِ الحسن[٦]: وعدهم بالإجابة، فلما قال: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ﴾ استغفروا الله وقالوا: لا نريدها.

---

(١) في «الصحاح» (٢/ ٥١٤). (٢) في «العين» (ص٦٩٤).
(٣) «روح المعاني» (٧/ ٤٨٧).
(٤) «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٣٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٢٩٢)، و«معالم التنزيل» (٢/ ٧٨).
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ١٣٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٤٨ رقم ٧٠٣٣) بسند ضعيف.
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ١٣٠) بسند صحيح.

قوله: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ﴾؛ أي: بعد تنزيلها: ﴿فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا﴾؛ أي: تعذيباً ﴿لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ﴾ صفة لعذاباً، والضمير عائد إلى العذاب بمعنى التعذيب؛ أي: لا أعذب مثل ذلك التعذيب ﴿أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قيل: المراد: عالمي زمانهم، وقيل: جَميع العالمين، وفي هذا مِنْ التهديد والترهيب ما لا يُقَادر قدره.

وقد أخرج ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، وابن مردويه، عن عائشة(١) قالت: كان الحواريون أعلمَ بالله مِنْ أن يقولوا: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ إنما قالوا: هل تستطيع أنت ربك، أَنْ تدعوه.

ويؤيد هذا ما أخرجه الحاكم وصححه، والطبراني، وابن مردويه، عن معاذ بن جبل(٢) أنه قال: أقرأني رسول الله ﷺ «هل تَستطيع ربَّك» بالتاء؛ يعني: الفوقية.

وأخرج أبو عبيد، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وأبو الشيخ، عن ابن عباس(٣)، أنه قرأها كذلك.

وأخرج ابن أبي حاتم(٤)، عن سعيد بن جبير [٢/٦٢] قال: المائدة: الخوان، وتطمئن: تُوقن.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن السديّ(٥) في قوله: ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا﴾ يقول: نتخذ اليوم الذي نزلت فيه عيداً نُعظِّمه نحن ومَن بعدنا.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن ابن عباس(٦): أنه كان

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/١١٧ ـ ١١٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٤٣ رقم ٧٠١٤) بسند صحيح.

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/٢٣٨)، والطبراني في «الكبير» (ج٢٠ رقم ١٢٨)، وفي «مسند الشاميين» رقم (٢٢٤٤).

(٣) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٣/٢٣١).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/١٢٤٤ ـ ١٢٤٥ رقم ٧٠١٨، ٧٠٢١) بسند صحيح.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/١٢٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/١٢٤٨ رقم ٧٠٣٥) بسند حسن.

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/١٢١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/١٢٤٤ رقم ٧٠١٦) بسند صحيح.

يحدّث عن عيسى ابن مريم أنه قال لبني إسرائيل: هل لكم أَنْ تصوموا لله ثلاثين يوماً، ثم تسألوه فيعطيَكم ما سألتم؟ فإن أجر العامل على مَن عمل له، ففعلوا ثم قالوا: يا مُعلِّم الخير، قلتَ لنا: إن أجر العامل على مَنْ عمل له، وأمرتنا أن نصوم ثلاثين يوماً ففعلنا، ولم نكن نعمل لأحد ثلاثين يوماً إلا أطعمنا فـ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً﴾ إلى قوله: ﴿أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فأقبلت الملائكة تطير بمائدة مِنْ السماء عليها سبعة أحوات، وسبعة أرغفة، حتى وضعتها بين أيديهم، فأكل منها آخر الناس كما أكل أوّلهم.

وأخرج الترمذي، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، وابن مردويه، عن عمّار بن ياسر[(١)]، قال: قال رسول الله ﷺ: «نزلت المائدة من السماء خبزاً ولحماً، وأُمروا أن لا يخونوا ولا يدّخروا لغدٍ، فخانوا وادّخروا، ورفعوا لغد فمسخوا قردةً وخنازير» وقد روي موقوفاً على عمار. قال الترمذي: والوقف أصح.

وأخرج ابن أبي حاتم[(٢)] عن ابن عباس قال: المائدة سمكة وأَرْغفةٌ.

وأخرج ابن جرير[(٣)] من طريق العوفيّ عنه قال: نزلت على عيسى ابن مريم، والحواريين، خِوان عليه سمك وخبز، يأكلون منه أينما تولّوا إذا شاؤوا.

وأخرج ابن جرير[(٤)] نحوه عنه من طريق عكرمة.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وأبو الشيخ، عن عبد الله بن عمرو[(٥)] قال: إن أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة من كفر من أصحاب المائدة، والمنافقون، وآل فرعون.

---

(١) أخرجه الترمذي رقم (٣٠٦١)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٢٨/٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٢٤٥/٤، ١٢٥١، ١٢٥٢ رقم ٧٠٢٢، ٧٠٤٥)، وأبو الشيخ في «العظمة» رقم (١٠١٢). وهو حديث ضعيف، والله أعلم.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٢٤٦/٤ رقم ٧٠٢٥) بسند حسن.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٢٦/٩) بسند ضعيف.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٢٨/٩)، والأنباري في «الأضداد» (ص٣٥٠) بسند حسن.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٣٢/٩) بسند صحيح.

[تبرئة عيسى من مزاعم النصارى]

﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾﴾.

قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ﴾ معطوف على ما قبله في محل نصب[١] بعامله أو بعامل مقدّر هنا؛ أي: اذكر.

وقد ذهب جمهور[٢] المفسرين إلى أن هذا القول منه سبحانه هو يوم القيامة. والنكتة: توبيخ[٣] عُبّاد المسيح وأمه من النصارى. وقال السديّ[٤] وقطرب[٥]: إنه قال له هذا القول عند رفعه إلى السماء، لما قالت النصارى فيه ما قالت، والأوّل أولى: قيل: ﴿وَإِذْ﴾ هنا بمعنى: «إذا» كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟﴾ [سبأ: ٥١]؛ أي: إذا فزعوا، وقول أبي النجم[٦]:

ثم جزاك اللَّه عني إذ جزى ... جناتِ عدنٍ في السمٰوات العُلى

أي: إذا جزى، وقول الأسود بن جعفر الأسدي[٧]:

---

(١) «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٥٢)، و«روح المعاني» (٧/ ٤٩٢).

(٢) «البحر المحيط» (٤/ ٤١٦)، و«روح المعاني» (٧/ ٤٩٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٣٠٢).

(٣) «روح المعاني» (٧/ ٤٩٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٣٠١).

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ١٣٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٥٣ رقم ٧٠٥١) بسند حسن.

(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٨/ ٣٠٠).

(٦) والذي في «ديوانه» (ص٢١٠):

ثم جزاء اللَّه عنا إذ جزى ... جنات عدن في العلاليّ العُلى

(٧) نسبه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ١٣٤) للأسود، وانظر: «الأضداد» (ص١١٩)، و«والتبيان» (٤/ ٦٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٣٠٠ ـ ٣٠١).

وفـى الآنَ إذْ هـازلـتُـهـنّ فـإنـمـا يقُلنَ ألا لِمْ يذهبُ الشيخُ مذهبا

أي: إذا هازلتهنّ تعبيراً عَنْ المستقبل بلفظ الماضي تنبيهاً على تحقيق وقوعه.

وقد قيل في توجيه هذا الاستفهام منه تعالى: إنه لقصد[1] التوبيخ كما سبق؛ وقيل: لقصد تعريف المسيح بأن قومه غيّروا بعده وادّعوا عليه ما لم يقله.

وقوله: ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ متعلق بقوله: ﴿ٱتَّخِذُونِي﴾ على أنه حال؛ أي: متجاوزين الحدّ، ويجوز أن يتعلق بمحذوف هو صفة لإلٰهين؛ أي: كائنين من دون الله.

قوله: ﴿سُبۡحَٰنَكَ﴾ تنزيه له سبحانه؛ أي: أنزهك تنزيهاً ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ﴾؛ أي: ما ينبغي لي أن أدّعي لنفسي ما ليس من حقها، ﴿إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ﴾ ردّ ذلك إلى علمه سبحانه، وقد علم أنه لم يقله، فثبت بذلك عدم القول منه.

قوله: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ﴾ هذه الجملة في حكم التعليل لما قبلها؛ أي: تعلم معلومي ولا أعلم معلومك، وهذا الكلام من باب المشاكلة[2]

---

(١) «روح المعاني» (٧/ ٤٩٣).

(٢) المشاكلة في اللغة: المماثلة، والذي تحرّر في المصطلح عند علماء المعاني والبيان أنّ المشاكلة هي: ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبة ذلك الغير.
ومثال ذلك: قوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى: ٤٠]؛ فالجزاء عن السيئة في الحقيقة غير سيئة، والأصل: وجزاء سيئة عقوبة مثلها.
ومثله قوله تعالى: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ﴾، قالوا: «الأصل تعلم ما في نفسي، ولا أعلم ما عندك، فإن الحق تعالى وتقدّس لا يستعمل في حقه لفظ «النفس» إلا أنها استعملت هنا مشاكلة، لما تقدم من لفظ «النفس».
«معجم البلاغة العربية» (ص٣١٦ ـ ٣١٧)، و«المطوّل» (ص٦٤٨ ـ ٦٤٩).
• وأهل السُّنَّة والجماعة يثبتون النَّفْس لله تعالى، ونفسه هي ذاته ﷻ وهي ثابتة بالكتاب والسُّنَّة.
الدليل من الكتاب:
أ ـ قوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ﴾ [آل عمران: ٢٨، ٣٠].
ب ـ وقوله تعالى: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ﴾.
ج ـ وقوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۖ﴾ [الأنعام: ٥٤].
الدليل من السُّنَّة:
أ ـ حديث: «يا عبادي إنِّي حرمت الظلم على نفسي. . .» [أخرجه مسلم رقم (٢٥٧٧)].
ب ـ حديث عائشة ﵂: «. . وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» [مسلم رقم (٤٨٦)].
=

كما هو معروف عند علماء المعاني والبيان، وقيل: المعنى: تعلم ما في غيبي[(١)] ولا أعلم ما في غيبك، وقيل: تعلم ما أخفيه ولا أعلم ما تخفيه، وقيل: تعلم ما أريد ولا أعلم ما تريد.

قوله: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ﴾ هذه جملة مقرّرة لمضمون ما تقدّم؛ أي: ما أمرتهم إلا بما أمرتني: ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ﴾ هذا تفسير لمعنى ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ﴾؛ أي: ما أمرتهم، وقيل: عطف بيان للمضمر في ﴿بِهِۦٓ﴾ وقيل: بدل منه ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾؛ أي: حفيظاً ورقيباً أرعى أحوالهم، وأمنعهم عن مخالفة أمرك ﴿مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾؛ أي: مدّة دوامي فيهم ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى﴾ قيل: هذا يدل على أن الله سبحانه توفّاه قبل أن يرفعه، وليس بشيء؛ لأن الأخبار قد تضافرت بأنه لم يمت، وأنه باقٍ في السماء على الحياة التي كان عليها في الدنيا، حتى ينزل إلى الأرض آخر الزمان، وإنما المعنى: فلما رفعتني إلى السماء.

قيل: الوفاة في كتاب الله سبحانه جاءت على ثلاثة أوجه[(٢)]: بمعنى الموت، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢] وبمعنى النوم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾ [الأنعام: ٦٠]؛ أي: ينيمكم، وبمعنى الرفع، ومنه ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى﴾. ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ﴾ [آل عمران: ٥٥]. ﴿كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ أصل المراقبة: المراعاة؛ أي: كنت الحافظ لهم والعالم بهم والشاهد عليهم.

= ج ـ حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي» [البخاري رقم (٧٤٠٥)، ومسلم رقم (٢٦٧٥)].

● قال ابن تيمية في «مجموع فتاوى» (١٤/١٩٦) عن نفس الله: «ونفسه: هي ذاته المقدسة».
ثم قال في «مجموع فتاوى» (٩/٢٩٢ ـ ٢٩٣): «ويراد بنفس الشيء ذاته وعينه، كما يقال: رأيت زيداً نفسه وعينه».

ثم ذكر الآيات والأحاديث المتقدم ذكرها: ثم قال: «فهذه المواضع المراد فيها بلفظ «النفس» عند جمهور العلماء: الله نفسه، التي هي ذاته، المتصفة بصفاته، ليس المراد بها ذاتاً منفكة عن الصفات، ولا المراد بها صفة للذات، وطائفة من الناس يجعلونها من باب الصفات، كما يظن طائفة أنها الذات المجردة عن الصفات، وكِلا القولين خطأ».

وانظر: «كتاب التوحيد» لابن خزيمة (١/١١)، و«قطف الثمر» (ص٦٥).

(١) انظر: التعليقة المتقدمة.

(٢) انظر: «مجمع البيان» (٧/٢٤٧)، و«إعراب القرآن» (٢/٥٢).

﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ تصنع بهم ما شئت، وتحكم فيهم بما تريد، ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾؛ أي: القادر على ذلك، الحكيم في أفعاله، قيل: قاله على وجه الاستعطاف كما يستعطف السيد لعبده.

ولهذا لم يقل: إنْ تعذبهم فإنهم عصوك، وقيل: قاله على وجه التسليم لأمر الله والانقياد له، ولهذا عدل[1] عن الغفور الرحيم إلى العزيز الحكيم.

قوله: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾؛ أي: صدقهم في الدنيا، وقيل: في الآخرة، والأوّل أولى.

قرأ نافع وابن محيصن: «يومَ» بالنصب[2].

وقرأ الباقون[3] بالرفع، فوجه النصب أنه ظرف للقول؛ أي: قال الله هذا القول يوم ينفع الصادقين، ووجه الرفع أنه خبر للمبتدأ هو وما أضيف إليه.

وقال الكسائي[4]: نصب «يَوْمَ» هاهنا لأنه مضاف إلى الجملة، وأنشد[5]:

على حينَ عاتبتُ المشيب على الصِّبا   وقلت ألمّا أصْحُ والشيبُ وازعُ [٢/ ٦٣]

وبه قال الزجاج[6]، ولا يجيز البصريون ما قالاه إلا إذا أضيف الظرف إلى فعل ماض.

وقرأ الأعمش[7]: ﴿هَٰذَا يَوْمٌ يَنفَعُ﴾ بتنوين «يومٌ» كما في قوله: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ [البقرة: ٤٨] فكلاهما مقطوع عن الإضافة بالتنوين.

وقد تقدّم تفسير قوله: ﴿لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾.

---

(١) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٣٠٥)، و«روح المعاني» (٧/ ٥٠٤).

(٢) «البحر المحيط» (٤/ ٤٢١ ـ ٤٢٢)، و«النشر» (٢/ ٢٤٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٣٠٧)، و«حاشية الجمل» (١/ ٥٤٧).

(٣) «النشر» (٢/ ٢٤٧)، و«البحر المحيط» (٤/ ٤٢١)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٢٣)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٥٣)، و«زاد المسير» (٢/ ٤٦٦)، و«جامع البيان» (٩/ ١٤٠). وهما قراءتان متواترتان.

(٤) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ٥٣)، والفراء في «معاني القرآن» (١/ ٣٢٧).

(٥) أي: للنابغة الذبياني. انظر: «ديوانه» (ص٧٩).

(٦) في «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٢٤).

(٧) «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٥٣)، و«معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٢٥)، و«حاشية الجمل» (١/ ٥٣٧)، و«البحر المحيط» (٤/ ٤٢٢).

قوله: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُۚ﴾؛ أي: رضي عنهم بما عملوه من الطاعات الخالصة له، ورضوا عنه بما جازاهم به، مما لا يخطر لهم على بال، ولا تتصوره عقولهُم. والرضا منه سبحانه هو أرفع درجات النعيم، وأعلى منازل الكرامة، والإشارة بذلك إلى نيل ما نالوه من دخول الجنة والخلود فيها أبداً، ورضوان الله عنهم. والفوز: الظفرُ بالمطلوب على أتمّ الأحوال.

قوله: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ﴾ جاء سبحانه بهذه الخاتمة دفعاً لما سبق من إثبات من أثبت إلٰهية عيسى وأمه، وأخبر بأن ملك السمٰوات والأرض له دون عيسى وأمه، ودون سائر مخلوقاته، وأنه القادر على كل شيء دون غيره؛ وقيل: المعنى: إنَّ له ملك السمٰوات والأرض يعطي الجنات للمطيعين، جعلنا الله منهم.

وقد أخرج الترمذي وصححه، والنسائي، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، وابن مردويه، عن أبي هريرة[1] قال: يُلقّى عيسى حُجّته، والله لقّاه في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾ قال أبو هريرة، عن النبيّ ﷺ: «فلقّاه الله ﴿سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّۚ﴾ الآية».

وأخرج عبد الرزاق، وابن جرير، وابن أبي حاتم، عَنْ قتادة[2] في الآية قال: يقول الله هذا يوم القيامة، ألا ترى أنه يقول: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْۚ﴾.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن السديّ[3] قال: قال الله ذلك لمّا رُفع عيسى إليه، وقالت النصارى ما قالت.

وأخرج أبو الشيخ[4] عن ابن عباس في قوله: ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْۚ﴾ قال: سيدي وسيدكم.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٥٣ رقم ٧٠٥٢)، والترمذي رقم (٣٠٦٢)، والنسائي في «السنن الكبرى» رقم (١١١٦٢) بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ١٣٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٥٣ رقم ٧٠٥٠)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٢٠١) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ١٣٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٥٣ رقم ٧٠٥١) بسند حسن.

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٢٣٩).

وأخرج ابن المنذر[١]، عنه في قوله: ﴿كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ قال: الحفيظ.

وأخرج الطبراني[٢] عن ابن مسعود قال: قال النبيّ ﷺ: ﴿وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ﴾ قال: «ما كنت فيهم».

وأخرج أبو الشيخ[٣] عن ابن عباس ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ﴾ يقول: عبيدُك قد استوجبوا العذاب بمقالتهم، ﴿وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾؛ أي: مَنْ تركتَ منهم، ومُدّ في عمره حتى أَهبطَ مِنْ السماء إلى الأرض لقتل الدجّال، فزالوا عن مقالتهم ووحَّدوك ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ[٤] عنه في قوله: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ﴾ يقول: هذا يوم ينفع الموحدين توحيدُهم.

۞ ۞ ۞

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٢٤٠).

(٢) أخرجه الطبراني كما في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٩)، وقال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح».

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٢٣٩).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٥٦ رقم ٧٠٦٣) بسند ضعيف. الضحاك لم يلق ابن عباس.

سُورَةُ الأَنْعَامِ

قال الثعلبي[(١)]: سورة الأنعام مكية، إلا ستّ آيات نزلت بالمدينة، وهي ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١] إلى آخر ثلاث آيات.

و﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١] إلى آخر ثلاث آيات.

قال ابن عطية[(٢)]: وهي الآيات المُحْكَمات؛ يعني: في هذه السورة.

وقال القرطبي[(٣)]: هي مكية إلا آيتين هما ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ نزلت في مالك بن الصَّيف، وكعب بن الأشرف اليهوديّين، وقوله تعالى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّـٰتٍ مَّعْرُوشَـٰتٍ﴾ [الأنعام: ١٤١] نزلت في ثابت بن قيس بن شمّاس.

وأخرج أبو الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل»، عن ابن عباس[(٤)] قال: أُنزلت سورة الأنعام بمكة.

وأخرج أبو عبيد، وابن المنذر، والطبراني، وابن مردويه[(٥)] عنه، قال: أنزلت سورة الأنعام بمكة ليلاً جملةً، وحولها سبعون ألف ملَك يجأرون حولها بالتسبيح.

وأخرج ابن مردويه[(٦)]، عن ابن مسعود قال: نزلت سورة الأنعام يشيعها سبعون ألفاً من الملائكة.

وأخرج ابن مردويه[(٦)]، عن أسماء قالت: نزلت سورة الأنعام على النبيّ ﷺ، وهو في مسير في زَجَلٍ من الملائكة وقد نُظِموا ما بين السماء والأرض.

---

(١) في تفسيره «الكشف والبيان» (٤/ ١٣١). (٢) في «المحرر الوجيز» (٧/ ١).

(٣) في «تفسيره» (٨/ ٣١٠).

(٤) أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٧/ ١٤٢ ـ ١٤٤)، وابن الضريس في «فضائل القرآن» رقم (١٧) بسند حسن.

(٥) أخرجه الطبراني في «الكبير» (ج١٢ رقم ١٢٩٣٠)، وأبو عبيد بن سلام في «فضائل القرآن» (ص٢٤٠)، وابن الضريس في «فضائل القرآن» رقم (١٩٦) بسند ضعيف؛ لضعف علي بن زيد بن جدعان.

(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٢٤٣).

وأخرج الطبرانيّ، وابن مردويه، عَنْ أسماء بنت يزيد[١] نحوه.

وأخرج الطبراني، وابن مردويه، عن ابن عمر[٢] قال: قال رسول الله ﷺ: «نزلت عليّ سورةُ الأنعام جملةً واحدةً، يُشيِّعها سبعون ألف ملَك لهم زَجَل بالتسبيح والتحميد»، وهو مِنْ طريق إبراهيم بن نائلة شيخ الطبراني، عن إسماعيل بن عمرو، عن يوسف بن عطية[٣] عن ابن عون، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ، فذكره. وابن مردويه، رواه عن الطبراني عن إسماعيل المذكور به.

وأخرج الطبراني، وابن مردويه، وأبو الشيخ، والبيهقي في «الشعب»، عن أنس[٤] قال: قال رسول الله ﷺ: «نزلت سورة الأنعام ومعها مَوكب من الملائكة يَسدّ ما بين الخافقين، لهم زَجَل بالتسبيح والتقديس، والأرض تَرتج» ورسول الله ﷺ يقول: «سبحان الله العظيم، سبحان الله العظيم».

وأخرج الحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم، والإسماعيلي في «معجمه»، والبيهقي عن جابر[٥] قال: لما نزلت سورة الأنعام سبح رسول الله ﷺ ثم قال: «لقد شَيّع هذه السورة من الملائكة ما سدّ الأفق».

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (ج٢٤ رقم ٤٤٩، ٤٥٠) بسند ضعيف. في سنده: ليث بن أبي سليم وشهر بن حوشب، كلاهما فيه مقال.

(٢) أخرجه الطبراني في «الصغير» (١/ ٨١) بسند ضعيف جدّاً. وقال الطبراني: «لم يروه عن ابن عون إلا يوسف بن عطية، تفرد به إسماعيل بن عمرو».
وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٤٤) وقال: «غريب من حديث ابن عون لم نكتبه إلا من حديث إسماعيل عن يوسف».

(٣) يوسف بن عطية بن ثابت الصفّار البصري، متروك. «تقريب التهذيب» رقم (٧٩٣٠). وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٩ ـ ٢٠): «فيه يوسف بن عطية الصفار وهو ضعيف».

(٤) أخرجه البيهقي في «الشعب» رقم (٢٤٣٤)، والطبراني في «الأوسط» رقم (٦٤٤٧) بسند ضعيف.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٣): «رواه الطبراني عن شيخه محمد بن عبد الله بن عرس، عن أحمد بن محمد بن أبي بكر السالمي، ولم أعرفهما، وبقية رجاله ثقات».

(٥) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣١٤ ـ ٣١٥)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٢٤٣١).
قال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم. . .» وتعقبه الذهبي بقوله: «لا والله، لم يدرك جعفر السُّدي، وأظن هذا موضوعاً».

وأخرج البيهقي وضعّفه، والخطيب في «تاريخه»، عن عليّ بن أبي طالب[1] قال: أُنزل القرآن خمساً خمساً، ومَنْ حفظه خمساً خمساً لم يَنْسه، إلا سورة الأنعام، فإنّها نزلت جُملة يشيعها مِنْ كل سماء سبعون ملكاً، حتى أدّوها إلى النبيّ ﷺ، ما قرئت على عليلٍ إلا شفاه الله.

وأخرج أبو الشيخ[2]، عن أُبيّ بن كعب، مرفوعاً نحو حديث ابن عمر.

وأخرج النحاس[3] في «ناسخه»، عن ابن عباس قال: سورة الأنعام نزلت بمكة جملة واحدةً، فهي مكية إلا ثلاث آيات [١٥١ ـ ١٥٣] منها نزلن بالمدينة ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ إلى تمام الآيات الثلاث [٢/٦٤].

وأخرج الديلمي[4] بسند ضعيف عن أنس مرفوعاً: «ينادي مُنادٍ: يا قارئ سورة الأنعام هَلُمّ إلى الجنة بحبِّك إيّاها وتلاوتها».

وأخرج ابن المنذر[5]، عن أبي جُحيفة قال: نزلت سورة الأنعام جميعاً معها سبعون ألف مَلَك كلها مكية إلا ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ [الأنعام: ١١١] فإنها مدنية.

وأخرج أبو عبيد في «فضائله»، والدارمي في «مسنده»، ومحمد بن نصر في «كتاب الصلاة»، وأبو الشيخ، عن عمر بن الخطاب[6] قال: الأنعام من نواجب القرآن.

وأخرج محمد بن نصر[7]، عن ابن مسعود مثله.

وأخرج السِّلَفي بسند واهٍ عن ابن عباس[8] مرفوعاً: «مَنْ قرأ إذا صلى الغداة ثلاث آيات من أوّل سورة الأنعام إلى ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ نزل إليه أربعون ألف

---

(١) أخرجه البيهقي في «الشعب» رقم (٢٤٣٥)، والخطيب في «تاريخه» (٧/ ٢٧١، ٢٧٢) بسند ضعيف.

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٢٤٤).

(٣) أخرجه النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص٤١٥).

(٤) أخرجه الديلمي في «مسنده» رقم (٨٨٦٨) بسند ضعيف.

(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٢٤٤).

(٦) أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص١٢٩)، والدارمي في «مسنده» (٢/ ٤٥٣).

(٧) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٢٤٥).

(٨) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٢٤٥).

مَلَكٍ يُكتب له مثلُ أعمالهم، ونزل إليه مَلَك مِنْ فوق سبع سمٰوات ومعه مِرْزبة من حديد، فإنْ أوحى الشيطان في قلبه شيئاً مِنْ الشرّ ضرَبه ضربةً حتى يكون بينه وبينه سبعونَ حجاباً، فإذا كان يوم القيامة، قال الله تعالى: أنا ربُّك وأنت عبدي، امش في ظُلِّي، واشرب من الكوثر، واغتسلْ من السلسبيل، وادخُلِ الجنّةَ بغير حساب ولا عذابٍ».

وأخرج الديلمي(١) عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ صلّى الفجر في جماعة، وقعد في مُصلّاه، وقرأ ثلاث آيات من أوّل سورة الأنعام، وَكَّل الله به سبعين ملكاً يُسبّحون الله ويستغفرون له إلى يوم القيامة».

وفي فضائل هذه السورة روايات عَنْ جماعة من التابعين مرفوعة وغير مرفوعة.

قال القرطبي(٢): قال العلماء: هذه السورة أَصلٌ في محاجة المشركين وغيرهم مِنْ المبتدعين، ومَنْ كذب بالبعث والنشور، وهذا يقتضي إنزالها جملة واحدة؛ لأنها في معنى واحد من الحجة، وإن تصرف ذلك بوجوه كثيرة، وعليها بنى المتكلمون أصول الدين.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[من دلائل وجود الله ووحدانيته]:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾﴾.

بدأ سبحانه هذه السورة بالحمد لله، للدلالة على أن الحمد كله له، ولإقامة الحجة على الذين هم بربهم يعدلون.

وقد تقدّم في سورة الفاتحة ما يُغني عن الإعادة له هنا، ثم وصف نفسَه بأنه الذي خلق السمٰوات والأرض إخباراً عن قدرته الكاملة، الموجبة لاستحقاقه لجميع

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٢٤٥).

(٢) في «تفسيره» (٨/ ٣١٢).

المحامد، فإن من اخترع ذلك وأوجده، هو الحقيق بإفراده بالثناء وتخصيصه بالحمد. والخلقُ يكون بمعنى: الاختراع، وبمعنى: التقدير.

وقد تقدّم تحقيق ذلك، وجمع السمٰوات لتعدّد طباقها، وقدّمها على الأرض لتقدّمها في الوجود ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٣٠].

قولُه: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ معطوف على ﴿خَلَقَ﴾، ذكر سبحانه خلق الجواهر بقوله: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ ثم ذكر خلق الأعراض بقوله: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ لأنّ الجواهر لا تستغني عن الأعراض.

واختلف أهل العلم في المعنى المراد بالظلمات والنور، فقال جمهور[(١)] المفسرين: المراد بالظلمات: سواد الليل، وبالنور: ضياء النهار.

وقال الحسن[(٢)]: الكفر والإيمان.

قال ابن عطية[(٣)]: وهذا خروج عَنْ الظاهر. انتهى.

والأولى أَنْ يقال: إن الظلمات تشمل كلَّ ما يطلق عليه اسم الظلمة، والنور يشمل كل ما يطلق عليه اسم النور، فيدخل تحت ذلك ظلمة الكفر ونور الإيمان. ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [الأنعام: ١٢٢]. وأفرد النور لأنه جنس يشمل جميع أنواعه، وجمعَ الظلمات؛ لكثرة أسبابها وتعدد أنواعها.

قال النحاس[(٤)]: جعل هنا بمعنى: خلق، وإذا كانت بمعنى خلق لم تتعدّ إلا إلى مفعول واحد.

وقال القرطبي[(٥)]: جعل هنا بمعنى: خَلَق لا يجوز غيره. قاله ابن عطية[(٦)]، وعليه يتفق اللفظ والمعنى في النسَق، فيكون الجمع معطوفاً على الجمع، والمفرد معطوفاً على المفرد. وتقديم الظلمات على النور لأنها الأصل، ولهذا كان النهار مسلوخاً من الليل.

---

(١) «المحرر الوجيز» (٦/ ٥ ـ ٦)، و«جامع البيان» (٩/ ١٤٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٣١٦).

(٢) انظر: «معالم التنزيل» (٣/ ٨٣).

(٣) في «المحرر الوجيز» (٦/ ٦).

(٤) في «إعراب القرآن» (٢/ ٥٥).

(٥) في «تفسيره» (٨/ ٣١٧).

(٦) «المحرر الوجيز» (٦/ ٢).

قوله: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ معطوف على ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، أو على ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾، و«ثم» لاستبعاد ما صنعه الكفار من كونهم بربهم يعدلون، مع ما تبين من أَنْ الله سبحانه حقيقٌ بالحمد على خلقه السمٰوات والأرض، والظلمات والنور، فإن هذا يقتضي الإيمان به، وصرف الثناء الحسن إليه، لا الكفر به، واتخاذ شريك له، وتقديم المفعول للاهتمام، ورعاية الفواصل، وحذف المفعول لظهوره؛ أي: يعدلون به ما لا يَقْدر على شيء مما يقدر عليه، وهذا نهاية الحُمْق وغاية الرقاعة، حيث يكون منه سبحانه تلك النعم، ويكون من الكفرة الكفر.

قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾ في معناه قولان:

(أحدهما): وهو الأشهر، وبه قال الجمهور(١): أن المراد آدم عليه السلام، وأخرجه مخرج الخطاب للجميع؛ لأنهم ولده ونسله.

(الثاني): أن يكون المراد: جميع البشر باعتبار أن النطفة التي خلقوا منها مخلوقة مِنْ الطين، ذكر الله سبحانه خلق آدم وبنيه بعد خلق السمٰوات والأرض إتباعاً للعالم الأصغر بالعالم الأكبر، والمطلوب بذكر هذه الأمور دفع كفر الكافرين بالبعث، وردّ لجحودهم بما هو مشاهد لهم لا يمترون فيه.

قولُه: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ﴾ جاء بكلمة «ثم» لما بين خلقهم وبين موتهم من التفاوت.

وقد اختلف السلف ومَنْ بعدهم في تفسير الأجلين، فقيل: ﴿قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ﴾؛ يعني: الموت ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ﴾؛ يعني: القيامة، وهو مروي عن ابن عباس(٢)، وسعيد بن جبير، والحسن، وقتادة، والضحاك، ومجاهد، وعكرمة، وزيد بن أسلم، وعطية، والسديّ، وخصيف، ومقاتل وغيرهم(٣).

وقيل: **الأوّل**: ما بين أن يُخلق إلى أن يموت.

والثاني: ما بين أن يموت إلى أن يُبعث، وهو قريب من الأوّل.

وقيل: **الأوّل**: مدّة الدنيا؛ [٢/٦٥]

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٣١٨/٨).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥١/٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٢٦٠/٤ رقم ٧٠٩٠) بسند حسن.

(٣) «جامع البيان» (١٥٠/٩ ـ ١٥١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٣١٨/٨).

والثاني: عُمر الإنسان إلى حين موته. وهو مرويّ عن ابن عباس[(١)] ومجاهد[(٢)].

وقيل: **الأوّل**: قبض الأرواح في النوم.

والثاني: قبض الروح عند الموت.

وقيل: **الأوّل**: ما يعرف مِنْ أوقات الأهلّة والبروج وما يشبه ذلك.

والثاني: أجل الموت.

وقيل: **الأوّل**: لمن مضى.

والثاني: لمن بقي ولمن يأتي.

وقيل: **إن الأوّل**: الأجل الذي هو محتوم.

والثاني: الزيادة في العمر لمن وصل رحمَه، فإنْ كان برّاً تقياً وصولاً لرحمه زِيد في عُمره، وإن كان قاطعاً للرحم لم يزد له، ويرشد إلى هذا قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ [فاطر: ١١].

وقد صح عن رسول الله ﷺ[(٣)] أنَّ صلة الرحم تزيد في العمر، وورد عنه أن دخول البلاد التي قد فشا بها الطاعون والوباء مِنْ أسباب الموت.

وجاز الابتداء[(٤)] بالنكرة في قوله: ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ لأنها قد تخصصت بالصفة.

قوله: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ استبعاد لصدور الشك منهم مع وجود المقتضى لعدمه؛ أي: كيف تشكون في البعث مع مشاهدتكم في أنفسكم من الابتداء والانتهاء ما يذهب بذلك ويدفعه؟! فإنّ مَنْ خلقكم من طين، وصيّركم أحياء تعلمون وتعقلون، وخلق لكم هذه الحواس والأطراف، ثم سلب ذلك عنكم فصرتم أمواتاً، وعدتم إلى

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/١٥٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/١٢٦١ رقم ٧٠٩٣، ٧٠٩٧) بسند ضعيف.

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» (٦/٢ ـ ٣).

(٣) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سرَّه أن يبسط عليه رزقه، أو ينسأ في أثره، فليصل رحمه» [أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٢٠٦٧، ٥٩٨٦)، ومسلم في «صحيحه» رقم (٥٩٨٦)].

(٤) «إعراب القرآن» للنحاس (٢/٥٦)، و«البحر المحيط» (٤/٤٣٢).

ما كنتم عليه مِنْ الجمادية، لا يعجزه أن يبعثكم ويُعيدَ هذه الأجسام كما كانت، ويردّ إليها الأرواح التي فارقتها بقدرته وبديع حكمته.

قولُه: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ قيل: إن في السمٰوات وفي الأرض مُتعلِّق باسم الله باعتبار ما يدل عليه من كونه معبوداً ومتصرفاً ومالكاً؛ أي: هو المعبودُ أو المالك أو المتصرِّف(١) في السمٰوات والأرض، كما تقول: زيد الخليفةُ في الشرق والغرب؛ أي: حاكم أو متصرف فيهما.

وقيل: المعنى: وهو اللهُ يعلم سركم وجهركم في السمٰوات وفي الأرض، فلا تخفى عليه خافية، فيكون العامل فيهما ما بعدهما. قال النحاس(٢): وهذا من أحسن ما قيل فيه.

وقال ابنُ جرير(٣): هو الله في السمٰوات، ويعلم سركم وجهركم في الأرض. والأوّل أولى، ويكون ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ جملة مقرّرة لمعنى الجملة الأولى؛ لأن كونه سبحانه في السماء والأرض، يستلزم علمه بأسرار عباده وجهرهم، وعلمه بما يكسبونه من الخير والشرّ، وجلب النفع ودفع الضرر.

وقد أخرج ابن أبي حاتم(٤)، عن عليّ أن هذه الآية ـ أعني: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، إلى قوله: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ ـ نزلت في أهل الكتاب.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وأبو الشيخ، عن عبد الرحمٰن بن أبزى(٥) عن أبيه نحوه.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن مجاهد(٦) قال: نزلت هذه الآية في الزنادقة، قالوا: إنّ الله لم يخلق الظلمة ولا الخنافس، ولا العقارب، ولا شيئاً قبيحاً، وإنما يخلق النور وكلَّ شيء حسن، فأُنزلت فيهم هذه الآية.

---

(١) «جامع البيان» (٩/ ١٥٥ ـ ١٥٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٣٢١).

(٢) في «إعراب القرآن» (٢/ ٥٦).

(٣) في «جامع البيان» (٩/ ١٥٥).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٦٠ رقم ٧٠٨٦) من طريق حفص بن عمر، به.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ١٤٨) بسند ضعيف.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٥٩ رقم ٧٠٨١) بسند حسن.

وأخرج أبو الشيخ[(١)]، عن ابن عباس: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَٰتِ وَالنُّورَ﴾ قال: الكفر والإيمان.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن قتادة[(٢)] قال: إن الذين بربهم يعدلون: هم أهل الشرك. وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عن السديّ مثله.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن مجاهد[(٣)] قال: ﴿يَعْدِلُونَ﴾: يشركون.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن ابن زيد[(٤)] في قوله: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ قال: الآلهة التي عبدوها عدلوها بالله، وليس لله عِدْلٌ ولا نِدّ، وليس معه آلهة، ولا اتخذ صاحبةً ولا ولداً.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس[(٥)]: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾؛ يعني: آدم ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا﴾؛ يعني: أجل الموت ﴿وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ أجل الساعة والوقوف عند الله.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، والحاكم وصححه[(٦)]، عنه في قوله: ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا﴾ قال: أجل الدنيا، وفي لفظ: أجل موته، ﴿وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ قال: الآخرة، لا يعلمه إلا الله.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عنه[(٧)] ﴿قَضَىٰ أَجَلًا﴾ قال: هو النوم يقبض

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٢٤٧).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ١٤٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٥٩ رقم ٧٠٧٩، ٧٠٨٣) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ١٤٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٦٠ رقم ٧٠٨٨) بسند صحيح.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ١٤٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٦٠ رقم ٧٠٨٩) بسند صحيح.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ١٥٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٦١ - ١٢٦٢ رقم ٧٠٩٦، ٧١٠١) بسند صحيح.

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ١٥١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٦٠ - ١٢٦١ رقم ٧٠٩٠، ٧٠٩١) بسند حسن.

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ١٥٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٦١رقم ٧٠٩٢) بسند ضعيف.

فيه الروحُ، ثم ترجع إلى صاحبها من اليقظة ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ قال: هو أجل موت الإنسان.

[من أسباب الكفر عدم الاستجابة والعناد والإصرار والإعراض عن النظر والتدبر في الآيات والعلامات الدالة على الإيمان]:

﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝٤ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٥ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ۝٦﴾ ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ۝٨ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ۝٩﴾ ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝١٠ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝١١﴾.

قوله: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم﴾ إلخ كلام مبتدأ؛ لبيان بعض أسباب كفرهم وتمرّدهم، وهو الإعراض عَنْ آيات الله التي تأتيهم كمعجزات الأنبياء، وما يصدر عن قدرة الله الباهرة مما لا يشك مَنْ له عقل أنه فعل الله سبحانه.

والإعراض: تركُ النظر في الآيات التي يجب أن يستدلوا بها على توحيد الله. و«من» في ﴿مِّنْ ءَايَةٍ﴾ مزيدة[1] للاستغراق و «مِنْ» في ﴿مِّنْ ءَايَٰتِ﴾ تبعيضية[2]؛ أي: وما تأتيهم آية مِنْ الآيات التي هي بعض آيات ربهم، إلا كانوا عنها معرضين.

والفاء في ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟﴾ جواب شرط مُقدّر؛ أي: إنْ كانوا معرضين عنها فقد كذّبوا بما هم أعظم من ذلك، وهو الحق ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ قيل: المراد بالحق هنا:

---

(١) «البحر المحيط» (٤/٤٣٦).

(٢) «المحرر الوجيز» (٦/٥)، و«المحرر الوجيز» (٤/٤٣٦).

القرآن، وقيل: محمد ﷺ ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾؛ أي: أخبار الشيء الذي كانوا به [٢/٦٦] يستهزءون وهو القرآن، أو محمد ﷺ، على أن «ما» عبارة عن ذلك تهويلاً للأمر وتعظيماً له؛ أي: سَيعرفون أن هذا الشيء الذي استهزؤوا به ليس بموضع للاستهزاء، وذلك عند إرسال عذاب الله عليهم، كما يقال: اصبر فسوف يأتيك الخبر، عند إرادة الوعيد والتهديد، وفي لفظ الأنباء ما يرشد إلى ذلك، فإنّه لا يُطلق إلا على خبر عظيم.

قوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ كلام مبتدأ؛ لبيان ما تقدّمه، والهمزة للإنكار، و«كم» يحتمل أَنْ تكون الاستفهامية وأن تكون الخبرية وهي مُعلّقة لفعل الرؤية عن العمل فيما بعده.

و﴿مِّن قَرْنٍ﴾ تمييز، والقرن: يُطلق على أهل[١] كل عصر، سموا بذلك لاقترانهم؛ أي: ألم يعرفوا بسماع الأخبار، ومعاينة الآثار، كم أهلكنا من قبلهم من الأمم الموجودة في عصر بعد عصر؛ لتكذيبهم أنبياءهم. وقيل: القرن مدّة من الزمان. وهي ستون عاماً أو سبعون أو ثمانون أو مائة على اختلاف الأقوال، فيكون ما في الآية على تقدير مضاف محذوف؛ أي: مِنْ أهل قرن[٢].

قوله: ﴿مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ﴾ مكّن له في الأرض: جُعل له مكاناً فيها، ومكّنه في الأرض: أثبته فيها، والجملة مستأنفة جواب سؤال مقدّر كأنه قيل: كيف ذلك؟

وقيل: إن هذه الجملة[٣] صفة لقرن، والأوّل أولى، و«ما» في ﴿مَا لَمْ نُمَكِّن﴾ نكرة موصوفة بما بعدها؛ أي: مكّناهم تمكيناً لم نمكّنه لكم، والمعنى: أنا أعطينا القرون الذين هم قبلكم، ما لم نعطكم من الدنيا، وطول الأعمار وقوّة الأبدان، وقد أهلكناهم جميعاً، فإهلاككم وأنتم دونهم بالأولى[٤].

قوله: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا﴾ يريد المطر الكثير، عبّر عنه بالسماء؛ لأنه

---

(١) «معاني القرآن» للنحاس (٢/ ٤٠٠).
(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٣٢٤)، و«معالم التنزيل» (٢/ ٨٥).
(٣) «البحر المحيط» (٤/ ٤٣٨)، و«روح المعاني» (٨/ ٤٢).
(٤) «التبيان» (١/ ٤٨١)، و«البحر المحيط» (٤/ ٤٣٨).

ينزل من السماء، ومنه قول الشاعر[١]:

إذا نـزل الـسـمـاء بـأرض قـوم[٢]

والمدرار صيغة مبالغة تدل على الكثرة كمذكار للمرأة التي كَثُرت ولادتُها للذكور، ومئناث[٣] للتي تلد الإناث، يقال: دَرّ اللبن يَدُرّ: إذا أقبل على الحالب بكثرة. وانتصاب. ﴿مِّدْرَارًا﴾ على الحال؛ وجريان الأنهار مِنْ تحتهم معناه: من تحت أشجارهم ومنازلهم؛ أي: أن الله وسّع عليهم النعمَ بعد التمكين لهم في الأرض، فكفروها، فأهلكهم الله بذنوبهم، ﴿وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾؛ أي: من بعد إهلاكهم ﴿قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾ فصاروا بدلاً من الهالكين، وفي هذا بيان لكمال قدرته سبحانه، وقوّة سلطانه، وأنه يُهلك مَنْ يشاء ويُوجد مَنْ يشاء.

قوله: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ في هذه الجملة بيان شدّة[٤] صلابتهم في الكفر، وأنهم لا يؤمنون ولو أنزل الله على رسوله كتاباً مكتوباً في قرطاس بمرأى منهم ومشاهدة، ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ حتى يجتمع لهم إدراك الحاستين[٥]: حاسة البصر، وحاسة اللمس ﴿لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ منهم ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ ولم يعملوا بما شاهدوا ولمسوا، وإذا كان هذا حالهم في المرئيّ المحسوس، فكيف فيما هو مجرد وحي إلى رسول الله ﷺ بواسطة ملَك، لا يرونه، ولا يحسونه؟ والكتاب مصدر بمعنى الكتابة، والقرطاس: الصحيفة.

قوله: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ هذه الجملة مشتملة على نوع آخر من أنواع جحدهم[٦] لنبوّته ﷺ وكفرهم بها؛ أي: قالوا: هَلّا أنزل الله عليك ملَكاً نراه،

---

(١) قائله معاوية بن مالك. «المفضليات» (ص٣٥٩).

(٢) وعجز البيت:

رَعَـيْـنـاهُ وإن كـانـوا غِـضـابـا

«خزانة الأدب» (٩/ ٥٥٥)، و«شرح الحماسة» (٣/ ١٤٣٢ ـ المرزوقي).

(٣) «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٢٩).

(٤) استئنافٌ سيق بطريق تلوين الخطاب لبيان شدة شكيمتهم في المكابرة، وما يتفرَّع عليها من الأقاويل الباطلة.

(٥) «روح المعاني» (٨/ ٤٦ ـ ٤٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٣٢٦).

(٦) «جامع البيان» (٩/ ١٦٠).

ويكلمنا؛ أنه نبيّ حتى نؤمن به ونتبعه؟ كقولهم: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ٧].

﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾؛ أي: لو أنزلنا ملكاً على الصفة التي اقترحوها بحيث يشاهدونه ويخاطبونه ويخاطبهم ﴿لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾؛ أي: لأهلكناهم إذا لم يؤمنوا عند نزوله، ورؤيتهم له؛ لأن مثل هذه الآية البيّنة، وهي: نزولُ الملك على تلك الصفة إذا لم يقع الإيمان بعدها، فقد استحقوا الإهلاك والمعاجلة بالعقوبة.

﴿ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾؛ أي: لا يُمهلون بعد نزوله ومشاهدتهم له، وقيل: إن المعنى: إنّ الله سبحانه لو أنزل ملكاً مُشَاهداً لم تطق قواهم البشرية أن يبقوا بعد مشاهدته أحياء؛ بل تزهق أرواحهم عند ذلك، فيبطل ما أرسل الله له رسله، وأنزل به كتبه من هذا التكليف الذي كلف به عباده ﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٧].

قوله: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾؛ أي: لو جعلنّا الرسولَ إلى النبيّ مَلكاً يشاهدونه، ويخاطبونه، لجعلنا ذلك المَلَك رَجُلاً؛ لأنهم لا يستطيعون أن يروا المَلَك على صورته التي خلقه الله عليها إلا بعد أن يتجسّم بالأجسام الكثيفة المشابهة لأجسام بني آدم؛ لأن كل جنس يأنس بجنسه، فلو جعل الله سبحانه الرسول إلى البشر، أو الرسول إلى رسوله، مَلَكاً مُشاهداً مخاطباً لنفروا منه ولم يأنسوا به، ولداخلهم(١) الرعبُ وحصل معهم من الخوف ما يمنعهم مِنْ كلامه ومشاهدته، هذا أقلّ حال فلا تتمّ المصلحة من الإرسال.

وعند أن يجعله الله رجلاً؛ أي: على صورة رجل مِنْ بني آدم، ليسكنوا إليه ويأنسوا به، سيقول الكافرون: إنَّه ليس بملَك وإنما هو بشر، ويعودون إلى مثل ما كانوا عليه.

قوله: [٦٧/٢] ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾؛ أي: لخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم؛ لأنهم إذا رأوه في صورة إنسان قالوا: هذا إنسان وليس بملَك، فإن استُدل لهم بأنه ملك كذبوه.

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٨/ ٣٢٧ ـ ٣٢٨).

قال الزجاج[(١)]: المعنى للبسنا عليهم؛ أي: على رؤسائهم كما يلبسون على ضعفتهم، وكانوا يقولون لهم: إنما محمد بشر وليس بينه وبينكم فرق، فيلبسون عليهم بهذا ويشككونهم، فأعلم الله ﷻ أنّه لو نزل مَلَكاً في صورة رجل، لوجدوا سبيلاً إلى اللبس كما يفعلون.

واللبس: الخَلْط، يقال: لَبستُ عليه الأمرَ ألبِسه لَبْساً؛ أي: خَلَطته[(٢)]، وأصله التستر بالثوب ونحوه.

ثم قال سبحانه مؤنساً لنبيِّه ﷺ[(٣)] ومسلياً له: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ يقال: حاق الشيء يَحيق حَيقاً وحُيوقاً وحَيَقاناً: نزل؛ أي: فنزل بهم ما كانوا به يستهزءون، وأحاط بهم[(٤)]: وهو الحق حيثُ أهلكوا من أجل الاستهزاء به ﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: قل يا محمد لهؤلاء المستهزئين: سافروا في الأرض، وانظروا آثار مَنْ كان قبلكم لتعرفوا ما حلّ بهم من العقوبات، وكيف كانت عاقبتهم بعدما كانوا فيه من النعيم العظيم الذي يفوق ما أنتم فيه، فهذه ديارهم خاربة، وجناتهم مغبرة، وأراضيهم مكفهرة، فإذا كانت عاقبتهم هذه العاقبة، فأنتم بهم لاحقون، وبعد هلاكهم هالكون.

وقد أخرج ابن أبي حاتم[(٥)]، عن قتادة في قوله: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ يقول: ما يأتيهم من شيء من كتاب الله إلا أعرضوا عنه، وفي قوله: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ يقول: سيأتيهم يوم القيامة أنباءُ ما استهزءوا به من كتاب الله ﷻ.

وأخرج ابن أبي حاتم[(٦)] عن أبي مالك في قوله: ﴿مِّن قَرْنٍ﴾ قال: أُمّةٌ.

---

(١) في «معاني القرآن» (٢/ ٢٣١).
(٢) «جامع البيان» (٩/ ١٦٣ ـ ١٦٤)، و«روح المعاني» (٨/ ٥٦).
(٣) «روح المعاني» (٨/ ٥٧)، و«تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٦/ ١٢).
(٤) «الجامع لأحكم القرآن» (٨/ ٣٢٩).
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٦٣ رقم ٧١٠٧، ٧١٠٨) بسند صحيح.
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٦٣ رقم ٧١٠٩) بسند حسن.

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن قتادة[١] في قوله: ﴿مَكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ﴾ يقول: أعطيناهم ما لم نعطكم.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن هارون التيمي[٢] في الآية قال: المطر في إبّانة.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، مِنْ طريق العوفي عن ابن عباس[٣]، في قوله: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ﴾ يقول: لو أنزلنا من السماء صحفاً فيها كتاب ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ لزادهم ذلك تكذيباً.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن مجاهد[٤] في قوله: ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ قال: فمَسُّوه ونظروا إليه لم يصدقوا به.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن محمد بن إسحاق[٥] قال: دعا رسول الله ﷺ قومه إلى الإسلام، وكلَّمهم فأبلغ إليهم فيما بلغني، فقال له زمعة بن الأسود بن المطلب، والنضر بن الحارث بن كَلَدة، وعَبدةُ بن عبد يغوث، وأُبيّ بن خلف بن وهب، والعاص بن وائل بن هشام: لو جُعل معك يا محمد مَلَك يحدّث عنك الناس ويُرى معك، فأنزل الله: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ الآية.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ١٥٦ ـ ١٥٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٦٣ رقم ٧١١٠) بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٦٤ رقم ٧١١٣) من طريق إسحاق بن أحمد الرازي.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ١٥٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٦٤ رقم ٧١١٨) بسند ضعيف.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ١٥٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٦٤ رقم ٧١١٦، ٧١١٩) بسند صحيح.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٦٥ رقم ٧١٢٠) بسند حسن.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن مجاهد(١) في قوله: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ قال: ملَك في صورة رجل ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ لقامت الساعة.

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن قتادة(٢) في قوله: ﴿لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ يقول: لو أنزل الله ملكاً ثم لم يؤمنوا لعجّل لهم العذاب.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن ابن عباس(٣) في قوله: ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا﴾ قال: ولو أتاهم ملَكٌ في صورته ﴿لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ لأهلكناهم ﴿ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾ لا يؤخرون ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾ يقول: لو أتاهم ملك ما أتاهم إلا في صورة رجل؛ لأنهم لا يستطيعون النظر إلى الملائكة ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ يقول: لخلطنا عليهم ما يخلطون.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، عن مجاهد(٤) في قوله: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾ قال: في صورة رجل، في خَلْق رجل.

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وأبو الشيخ، عن قتادة(٥) في قوله: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾ يقول: في صورة آدميّ.

وأخرج ابن جرير(٦)، عن ابن زيد نحوه.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ١٦١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٦٥ رقم ٧١٢١، ٧١٢٤) بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ١٦١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٦٥ رقم ٧١٢٥)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٢٠٤) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ١٦٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٦٦ رقم ٧١٢٩) بسند ضعيف.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ١٦٢) بسند صحيح.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ١٦٣)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٢٠٣) بسند صحيح.

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ١٦٣) بسند صحيح.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[(١)] ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم﴾ يقول: شَبَّهنا عليهم.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن السدي[(٢)] في الآية قال: شبهنا عليهم ما يُشبّهون على أنفسهم.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن محمد بن إسحاق[(٣)] قال: مرّ رسول الله ﷺ فيما بلغني بالوليد بن المغيرة، وأمية بن خلف، وأبي جهل بن هشام فهمزوه واستهزءوا به فغاظه ذلك، فأنزل الله: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ
ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ
وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا
يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ
إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ
ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ [٢/٦٨] وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ
عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ
قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ
ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ
يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى
ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾﴾.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ١٦٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٦٧ رقم ٧١٣٢) بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ١٦٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٦٧ رقم ٧١٣٥) بسند حسن.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٦٧ رقم ٧١٣٧) بسند حسن.

قوله: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ هذا احتجاج عليهم وتبكيت لهم، والمعنى: قل لهم هذا القول، فإنْ قالوا: لمنْ هو؟ فقل لله، وإذا ثبت أن له ما في السمٰوات والأرض إما باعترافهم، أو بقيام الحجة عليهم، فالله قادر على أن يعاجلهم بالعقاب.

ولكنه كتب على نفسه الرحمة؛ أي: وَعد بها فضلاً منه وتكرّماً، وذكر النفس هنا عبارة عَنْ تأكد وعده[1]، وارتفاع الوسائط دونه، وفي الكلام ترغيب للمتولين عنه إلى الإقبال إليه، وتسكين خواطرهم بأنه رحيم بعباده لا يعاجلهم بالعقوبة، وأنه يقبل منهم الإنابة والتوبة، ومن رحمته لهم إرسال الرسل، وإنزال الكتب، ونصب الأدلة[2].

قوله: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ اللام جواب قسم محذوف. قال الفراء[3] وغيره: يجوز أن يكون تمام الكلام عند قوله: ﴿ٱلرَّحْمَةَ﴾ ويكون ما بعدها مستأنفاً على جهة التبيين، فيكون المعنى: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ ليمهلنكم وليؤخرنّ جمعكم.

وقيل: المعنى: ليجمعنكم[4] في القبور إلى اليوم الذي أنكرتموه. وقيل: ﴿إِلَىٰ﴾ بمعنى: في؛ أي: ليجمعنكم في يوم القيامة.

وقيل: يجوز أن يكون موضع ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ النصب[5] على البدل من الرحمة، فتكون اللام بمعنى: «أَنْ».

والمعنى: كتب ربكم على نفسه الرحمة أَنْ يجمعكم كما قالوا في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ﴾ [يوسف: ٣٥]؛ أي: أن يسجنوه، وقيل: إن جملة ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ مسوقة للترهيب بعد الترغيب، وللوعيد بعد الوعد؛ أي: إن أمهلكم برحمته فهو مجازيكم بجمعكم في معاقبة مَنْ يستحق عقوبته من العصاة، والضمير في ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ لليوم أو للجمع.

---

(١) انظر: الكلم على صفة النفس لله ﷻ (ص٢٣٣).
(٢) «جامع البيان» (٩/ ١٦٧)، و«معالم التنزيل» (٢/ ٨٧).
(٣) في «معاني القرآن» (١/ ٣٢٨).
(٤) «معالم التنزيل» (٢/ ٨٧)، و«الوسيط» للواحدي (٢/ ٢٥٦).
(٥) «روح المعاني» (٨/ ٦٥)، و«الإملاء» (٢/ ٥١٦)، و«البحر المحيط» (٤/ ٤٤٧).

عامر، على البناء[١] للمفعول؛ أي: مَنْ يُصرف عنه العذابُ، واختار هذه القراءة سيبويه[٢]. وقرأ الكوفيون على البناء[٣] للفاعل، وهو اختيار أبي حاتم[٤]، فيكون الضمير على هذه القراءة لله.

ومعنى ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾: يوم العذاب العظيم، ﴿فَقَدۡ رَحِمَهُۥۚ﴾ الله؛ أي: نجّاه وأنعم عليه وأدخله الجنة، والإشارة بذلك إلى الصرف أو إلى الرحمة؛ أي: فذلك الصرف أو الرحمة ﴿ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ﴾؛ أي: الظاهر الواضح، وقرأ أُبيّ[٥]: «مَنْ يصرف الله عنه».

قوله: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ﴾؛ أي: إن ينزل الله بك ضرّاً من فقر أو مرض ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ﴾؛ أي: لا قادر على كشفه سواه ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ﴾ من رخاء أو عافية ﴿فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ ومن جملة ذلك المسّ بالشرّ والخير.

قوله: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ﴾ القهر[٦]: الغلبة، والقاهر: الغالب، وأقهر الرجل: إذا صار مقهوراً ذليلاً، ومنه قول الشاعر[٧]:

تمنّى حُصينٌ أن يسود خُزاعةً ... فأمسى حصينٌ قد أذلَّ وأقهرا

ومعنى: ﴿فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ﴾: فوقية الاستعلاء[٨] بالقهر، والغلبة عليهم، [٢/٦٩]

---

(١) «البحر المحيط» (٤/ ٤٥٤)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٥٩)، و«جامع البيان» (٩/ ١٧٨)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٢٥)، و«روح المعاني» (٨/ ٧٩)، و«النشر» (٢/ ٢٥٧)، وهما قراءتان متواترتان ولكن الكوفيون قراءتهم عدا حفص عن عاصم ومعهم يعقوب (يَصرف) بالبناء للفاعل، وقرأ الباقون بالبناء للمفعول وقراءة أُبيّ قراءة وهي شاذة مخالفة للرسم.

(٢) انظر: «البحر المحيط» (٤/ ٤٥٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٣٣٤).

(٣) «القراءات الشاذة» (ص٣٦)، و«حاشية الشهاب» (٤/ ٣٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٣٣٤).

(٤) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ٥٩)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (٤/ ٤٥٤)، والقرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٣٣٤).

(٥) «القراءات الشاذة» (ص٣٦)، و«البحر المحيط» (٤/ ٤٥٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٣٣٤).

(٦) القهر: صفة ذاتية لله ﷻ ثابتة بالكتاب، ويوصف الله أنّه القاهر، والقهار، وهما اسمان لله تعالى.

(٧) قائله: المخبل السعدي.
انظر: «خزانة الأدب» (٨/ ١٠١)، و«أدب الكاتب» (ص٤٤٧). وفي الخزانة ضبط كلمة «خزاعة» «جِذاعه».

(٨) «جامع البيان» (٩/ ١٨٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٣٣٦). وصفة العلو، وفوقيه الله سبحانه صفة ثانية وقد أثبتها المؤلف في كتابه «التحف في الإرشاد إلى مذهب السلف» (ص٥٨ تحقيق د. محمد سعيد بكران.)

لا فوقية المكان كما تقول: السلطان فوق رعيته؛ أي: بالمنزلة والرفعة.

وفي القهر معنى زائد[١] ليس في القدرة، وهو منع غيره عن بلوغ المراد ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ في أمره ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ بأفعال عباده.

قولُه: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً﴾؛ أي: مبتدأ، وأكبر خبره، وشهادة تمييز، والشيء يطلق على القديم والحادث، والمحال والممكن. والمعنى: أي شهيد أكبر شهادة، فوضع شيء موضع شهيد.

وقيل: إن ﴿شَيْءٍ﴾ هنا موضوع موضع[٢] اسم الله تعالى. والمعنى: الله أكبر شهادة؛ أي: انفراده بالربوبية، وقيام البراهين على توحيده أكبر شهادة، وأعظم فهو شهيد بيني وبينكم.

وقيل: إن قوله: ﴿ٱللَّهُ شَهِيدُۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ هو الجواب؛ لأنه إذا كان الشهيد بينه وبينهم كان أكبر شهادة له ﷺ؛ وقيل: إنه قد تمّ الجواب عند قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾؛ يعني: الله أكبر شهادة، ثم ابتدأ فقال: ﴿شَهِيدُۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾؛ أي: هو شهيد بيني وبينكم.

قولُه: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾؛ أي: أوحى الله إليّ هذا القرآن الذي تلوته عليكم؛ لأجل أن أنذركم به، وأنذر به من بلغ إليه؛ أي: كل من بلغ إليه من موجود ومعدوم سيوجد في الأزمنة المستقبلة. وفي هذه الآية من الدلالة على شمول أحكام القرآن لمن سيوجد؛ كشمولها لمن قد كان موجوداً وقت النزول، ما لا يحتاج معه إلى تلك الخزعبلات المذكورة في علم أصول الفقه، وقرأ أبو نَهيك: «وأوحَى» على البناء[٣] للفاعل، وقرأ مَنْ عداه على البناء للمفعول[٤].

قوله: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ﴾ الاستفهام للتوبيخ[٥] والتقريع

---

(١) «معالم التنزيل» (٢/ ٨٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٣٣٦).

(٢) «البحر المحيط» (٤/ ٤٥٨)، و«روح المعاني» (٨/ ٩١).

(٣) «القراءات الشاذة» (ص٣٦)، و«البحر المحيط» (٤/ ٤٦٠)، و«زاد المسير» (٣/ ١٢) وهي قراءة شاذة.

(٤) انظر: المصادر المتقدمة.

(٥) «روح المعاني» (٨/ ٩٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٣٣٧).

على قراءة من قرأ بهمزتين[1] على الأصل أو بقلب الثانية، وأما مَنْ قرأ على الخبر[2] فقد حقّق عليهم شِرْكهُم، وإنما قال: ﴿ءَالِهَةً أُخْرَىٰ﴾ لأن الآلهة جمع، والجمع يقع عليه التأنيث، كذا قال الفراء[3].

ومثله قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠] وقال: ﴿فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [طه: ٥١]. ﴿قُل لَّآ أَشْهَدُ﴾؛ أي: فأنا لا أشهد معكم، فحُذف لدلالة الكلام عليه، وذلك لكون هذه الشهادة باطلة، ومثلُه: ﴿فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥٠] و«ما» في ﴿مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ موصولة أو مصدرية؛ أي: مِنْ الأصنام التي تجعلونها آلهة، أو من إشراككم بالله.

قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ﴾ الكتاب للجنس فيشمل التوراة والإنجيل وغيرهما؛ أي: يعرفون رسول الله ﷺ. قال به جماعة من السلف، وإليه ذهب الزجّاج[4].

وقيل: إن الضمير[5] يرجع إلى الكتاب؛ أي: يعرفونه معرفة محققة، بحيث لا يلتبس عليهم منه شيء، و﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ﴾ بيان لتحقق تلك المعرفة وكمالها وعدم وجود شك فيها، فإن معرفة الآباء للأبناء هي البالغة إلى غاية الإتقان إجمالاً وتفصيلاً.

قوله: ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ في محل رفع على الابتداء، وخبره ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ودخول الفاء في الخبر، لتضمن المبتدأ معنى الشرط؛ وقيل: إن الموصول خبر مبتدأ محذوف؛ وقيل: هو نعتٌ للموصول الأوّل.

---

(١) قرأ بها عاصم وحمزة والكسائي وابن عامر وابن ذكوان وخلف وروح وهشام والداجواني والحلواني ورويس والحسن والأعمش.
انظر: «النشر» (١/ ٣٧٠)، و«البحر المحيط» (٤/ ٤٦١)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٥٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٣٣٧).

(٢) «البحر المحيط» (٤/ ٤٦١)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٥٩).

(٣) في «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٢٩).

(٤) في «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٣٤).

(٥) «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٥٩).

وعلى الوجهين الأخيرين يكون ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ معطوفاً على جملة ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾.

والمعنى على الوجه الأوّل: أن الكفار الخاسرين لأنفسهم بعنادهم وتمرّدهم لا يؤمنون بما جاء به رسول الله ﷺ، وعلى الوجهين الأَخيرين: أن أولئك الذين آتاهم الله الكتاب هم الذين خسروا أنفسهم بسبب ما وقعوا فيه من البُعدِ عن الحق، وعدم العمل بالمعرفة التي ثبتت لهم فهم لا يؤمنون.

قولُه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾؛ أي: اختلق على الله الكذب فقال: إنَّ في التوراة أو الإنجيل ما لم يكن فيهما ﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ﴾ التي يلزمه الإيمان بها مِنْ المعجزة الواضحة البينة. فجمع بين كونه كاذباً على الله، ومكذِّباً بما أمره الله بالإيمان به، ومن كان هكذا فلا أحد مِنْ عباد الله أظلم منه، والضمير في ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ للشأن.

وقد أخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن سلمان الفارسيّ(١) قال: إنا نجد في التوراة أن الله خلق السمٰوات والأرض، ثم جعل مائة رحمة قبل أن يخلق الخلق، ثم خلق الخلق فوضع بينهم رحمةً واحدةً، وأمسك عنده تسعاً وتسعين رحمة، فبها يتراحمون، وبها يتعاطفون، وبها يتباذَلون، وبها يتزاورون وبها تحنّ الناقة، وبها تُنْتج البقرة، وبها تَيْعرُ الشاة، وبها تتابع الطير، وبها تتابع الحيتان في البحر، فإذا كان يوم القيامة جمع تلك الرحمة إلى ما عنده، ورحمته أفضل وأوسع.

وقد أخرج مسلم، وأحمد، وغيرهما، عن سلمان(٢) عن النبيّ ﷺ قال: «خلق الله يوم خلق السمٰوات والأرض مائة رحمة: منها رحمة يتراحم بها الخلق، وتسعة وتسعون ليوم القيامة، فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة».

وثبت في «الصحيحين» وغيرهما عن أبي هريرة(٣) قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/١٦٨ ـ ١٦٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/١٢٦٨ رقم ٧١٤٢)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (١/٢٠٣ ـ ٢٠٤) بسند صحيح.

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (٢٧٥٣)، وأحمد في «مسنده» رقم (٢٣٧٠)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (١٠٣٧).

(٣) أخرجه البخاري رقم (٧٤٠٤، ٧٥٥٤)، ومسلم رقم (٢٧٥١)، وابن جرير في «جامع البيان» =

«لما قضى الله الخلق كتب كتاباً فوضعه عنده فوق العرش: إنّ رحمتي سبقت غضبي».

وقد روي مِنْ طرق أخرى بنحو هذا.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن السديّ(١) في قوله: ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ يقول: ما استقرّ في الليل والنهار، وفي قوله: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ قال: أما الولي فالذي تولاه، ويُقرّ له بالربوبية.

وأخرجَ ابنُ أَبي حاتم، وأَبو الشيخ، عن ابن عباس(٢) في قوله: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قال: بديع السمٰوات والأرض.

وأخرج أبو عُبيدٍ في «فضائله» وابن جرير، وابن الأنباري(٣)، عنه قال: كنت لا أدري ما فاطر السمٰوات والأرض؟ حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما: أنا فطرتها، يقول: أنا ابتدأتها.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن السديّ(٤) في قوله: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ قال: يَرْزُق ولا يُرْزَق.

وأخرج عبد الرزاق، وابن جرير، وابن أبي حاتم، عن قتادة(٥) في قوله: ﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ﴾ قال: مَنْ يصرف عنه العذاب.

وأخرج أبو الشيخ عن السديّ(٦) في قوله: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾ يقول: بعافية.

= (٩/ ١٦٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٦٨ رقم ٧١٤١)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٢٠٥)، وابن أبي شيبة (١٣/ ١٨٠)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٨٤١، ٨٨١).

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ١٧٤ ـ ١٧٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٦٩ رقم ٧١٤٦، ٧١٤٧) بسند حسن.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٦٩ رقم ٧١٤٨) بسند حسن.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ١٧٥)، وأبو عبيد في «فضائله» (ص٢٠٦)، والبيهقي في «الشعب» رقم (١٦٨٢) بسند حسن.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ١٧٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٧٠ رقم ٧١٥٠، ٧١٥١) بسند حسن.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ١٧٩)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٢٠٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٧٠ رقم ٧١٥٥) بسند صحيح.

(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٢٥٦).

وأخرج ابن إسحاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن ابن عباس(١) قال: جاء النَّحام بن زيد، وقَرْدمُ بن كعب، وبَحْريّ بن عمرو فقالوا: يا محمد ما نعلم مع الله إلٰهاً غيره؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا إله إلا الله، بذلك بُعثت وإلى ذلك أدعو»، فأنزل الله: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً﴾ الآية.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبدُ بن حميد، [٢/٧٠] وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، والبيهقي في «الأسماء والصفات» عن مجاهد(٢) قال: أُمِر محمد ﷺ أن يسأل قريشاً: أيّ شيء أكبر شهادة؟ ثم أمره أن يخبرهم فيقول: الله شهيدٌ بيني وبينكم.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «الأسماء والصفات»، عن ابن عباس(٣) في قوله: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ﴾؛ يعني: أهلَ مكة ﴿وَمَنۢ بَلَغَ﴾؛ يعني: مَنْ بلغه هذا القرآن مِنْ الناس فهو له نذير.

وأخرج أبو الشيخ، وابن مردويه، عن أنس(٤) قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ﴾ كتب رسول الله ﷺ إلى كِسرى، وقيصر، والنجاشي، وكلِّ جبارٍ يدعوهم إلى الله ﷻ، وليس بالنجاشي الذي صلَّى عليه النبي ﷺ.

وأخرج ابن مردويه(٥)، وأبو نعيم، والخطيب، وابن النجار، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ بلغه القرآن فكأنما شافهتُه به، ثم قرأ: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾».

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن الضريس، وابن جرير، وابن المنذر وابن أبي

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ١٨٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٧٢ رقم ٧١٦٨)، وابن إسحاق (١/ ٥٦٨ ـ السيرة النبوية) لابن هشام. بسند ضعيف.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ١٨١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٧١ رقم ٧١٥٩)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٦١٤) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ١٨٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٧١ رقم ٧١٦٣)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٥٩٤) بسند صحيح.

(٤) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٢٥٦).

(٥) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٢٥٧).
وأخرجه الخطيب في «تاريخه» (٢/ ٥١) وقال: «وهذا الحديث بهذا الإسناد باطل».

حاتم، وأبو الشيخ، عن محمد بن كعب[١] القرظي قال: «مَنْ بلغه القرآن فكأنما رأى النبي ﷺ» وفي لفظ: «مَنْ بلغه القرآنُ حتى تفهمه وتعقله كان كمن عاين رسول الله ﷺ وكلَّمه».

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، والبيهقي في «الأسماء والصفات»، عن مجاهد[٢] في قوله: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ﴾ قال: العرب ﴿وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ قال: العجم.

وأخرج ابن أبي حاتم، عن عكرمة[٣] قال: قال النضر وهو من بني عبد الدار: إذا كان يوم القيامة شَفعتْ لي اللّات والعُزّى؛ فأنزل الله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ الآية.

[موقف المشركين يوم الحساب وحالهم عند رؤيتهم للنار]:

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًاۚ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١٠/ ٤٦٨)، وابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ١٨٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٧١ رقم ٧١٦٥) بسند ضعيف؛ لضعف موسى بن عبيدة. وقد توبع كما في رواية ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ١٨٣)، وسعيد بن منصور رقم (٨٧٠ ـ تفسير) من طريق أبي معشر، به.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ١٨٣ ـ ١٨٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٧١ رقم ٧١٦٢) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٧٣ رقم ٧١٧٣) بسند صحيح.

قوله: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ قرأ الجمهور بالنون[١] في الفعلين، وقرئ بالياء[٢] فيهما، وناصب الظرف محذوف مقدر متأخراً؛ أي: يوم نحشرهم كان كيت وكيت.

والاستفهام في ﴿أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ﴾: للتقريع والتوبيخ[٣] للمشركين. وأضاف الشركاء إليهم؛ لأنها لم تكن شركاء لله في الحقيقة؛ بل لما سموها شركاء أضيفت إليهم، وهي ما كانوا يعبدونه من دون الله، أو يعبدونه مع الله.

قوله: ﴿الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾؛ أي: تزعمونها شركاء، فحذف المفعولان معاً، ووجه[٤] التوبيخ بهذا الاستفهام أن معبوداتهم غابت عنهم في تلك الحال، أو كانت حاضرة ولكن لا ينتفعون بها بوجه من الوجوه، فكان وجودها كعدمها.

قوله: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ قال الزجاج[٥]: تأويل هذه الآية: أن الله ﷻ أخبر بقصص المشركين وافتتانهم بشركهم، ثم أخبر أن فتنتهم لم تكن حتى رأوا الحقائق إلا أن انتفوا من الشرك، ونظير هذا في اللغة أن ترى إنساناً يحب غاوياً، فإذا وقع في هَلَكةٍ تبرأ منه. فتقول: ما كانت محبتك إياه إلا أن تبرأت منه. انتهى.

فالمراد[٦] بالفتنة على هذا: كفرهم؛ أي: لم تكن عاقبة كفرهم الذي افتخروا به، وقاتلوا عليه، إلَّا ما وقع منهم من الجحود والحَلْف على نفيه بقولهم: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾.

وقيل: المراد[٧] بالفتنة هنا جوابهم؛ أي: لم يكن جوابهم إلا الجحود

---

(١) وهي قراءة الجمهور من القرّاء.
«البحر المحيط» (٤/ ٤٦٤)، و«زاد المسير» (٣/ ١٥)، و«روح المعاني» (٨/ ١٠٠)، و«النشر» (٢/ ٢٥٧). وهما قراءتان متواترتان فالياء فيهما عن يعقوب، والنون فيهما عن الباقين «تخريج القراءات في فتح القدير» (ص١١٨).
(٢) «القراءات الشاذة» (ص٣٦)، و«حاشية الجمل» (٣/ ١٦)، و«المحرر الوجيز» (٦/ ٢٤).
(٣) «البحر المحيط» (٤/ ٤٦٤)، و«روح المعاني» (٨/ ١٠٠).
(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٣٣٩)، و«البحر المحيط» (٤/ ٤٦٤).
(٥) في «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦).
(٦) «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٤٠٧ ـ ٤٠٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٣٤٠).
(٧) «جامع البيان» (٩/ ١٨٩)، و«المحرر الوجيز» (٦/ ٢٦ ـ ٢٧).

والتبرئ، فكان هذا الجواب فتنةً لكونه كذباً، وجملة: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ﴾ معطوفة على عامل الظرف المقدّر كما مرّ والاستثناء[١] مفرّغ.

وقرئ[٢]: «فِتْنَتَهُمْ» بالرفع وبالنصب. ويكن وتكن والوجه ظاهر.

وقرئ[٣]: «وما كان فتنتهم» وقرئ ﴿رَبِّنَا﴾ بالنصب[٤] على النداء ﴿انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ بإنكار ما وقع منهم في الدنيا من الشرك، ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾؛ أي: زال وذهب افتراؤهم وتلاشى، وبطل ما كانوا يظنونه من أن الشركاء يقرّبونهم إلى الله، هذا على أنّ «ما» مصدرية.

وقيل: هي موصولة[٥] عبارة عَنْ الآلهة؛ أي: فارقهم ما كانوا يعبدون من دون الله، فلم يغن عنهم شيئاً، وهذا تعجيب لرسول الله ﷺ من حالهم المختلفة ودعواهم المتناقضة.

وقيل: لا يجوز أن يقع منهم كذب في الآخرة؛ لأنّها دار لا يجري فيها غير الصدق؛ فمعنى ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾: نفي شركهم عند أنفسهم، وفي اعتقادهم، ويؤيد هذا قوله تعالى: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢].

قولُه: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ هذا كلام مبتدأ؛ لبيان ما كان يصنعه بعض المشركين في الدنيا، والضمير عائد إلى الذين أشركوا؛ أي: وبعضُ الذين أشركوا يستمع إليك حين تتلو القرآن.

﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾؛ أي: فعلنا ذلك بهم مجازاةً على كفرهم.

---

(١) «البحر المحيط» (٤/ ٤٦٥ ـ ٤٦٦).

(٢) «البحر المحيط» (٤/ ٤٦٥)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٦٠)، و«النشر» (٢/ ٢٤٨)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٢٦)، و«جامع البيان» (٩/ ١٨٩)، و«زاد المسير» (٣/ ١٦). والرفع والنصب قراءتان متواترتان، فالرفع عن ابن كثير وابن عامر وحفص والنصب عن الباقين. وقراءة «لكن» و«تكن» متواترتان فيكن عن شعبة وحمزة والكسائي ويعقوب، والتاء عن الباقين، انظر: «تخريج القراءات في فتح القدير» (ص١١٨).

(٣) «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٦٠)، و«البحر المحيط» (٤/ ٤٦٥)، و«زاد المسير» (٣/ ١٧).

(٤) «جامع البيان» (٩/ ١٩٢)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٢٧)، و«النشر» (٢/ ٢٥٧)، و«البحر المحيط» (٤/ ٤٦٥) قراءة «ربَّنا» بالنصب وبالخفض متواترة، فالنصب قراءة حمزة والكسائي وخلف والخفض عن الباقين..

(٥) «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٦٠ ـ ٦١)، و«البحر المحيط» (٤/ ٤٦٦)، و«روح المعاني» (٨/ ١٠٤).

والأكنّة: الأغطية[١]، جَمعُ كنان مثل الأسنّة والسنان، كننت الشيء في كِنِّه: إذا جعلته فيه، وأكننته: أخفيته.

وجملة: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ مستأنفة للإخبار بمضمونها، أو في محل نصب على الحال؛ أي: وقد جعلنا على قلوبهم أغطيةً كراهة أن يفقهوا القرآن، أو لئلا يفقهوه، والوَقْر: الصّمَمُ؛ يقال: وَقِرتْ أُذنه[٢] تَقِرَ وَقْراً؛ أي: صُمّت.

وقرأ طلحة بن مُصِّرف ﴿وِقْراً﴾ بكسر الواو[٣]؛ أي: جعل في آذانهم ما سدّها عن استماع القول على التشبيه بوِقْر البعير، وهو مقدار ما يطيق أن يحمله. وذكرُ الأكنّة والوَقْر تمثيل؛ لفرط بعدهم عَنْ فهم الحق وسماعه، كأن قلوبهم لا تعقل، وأسماعهم لا تُدرك.

﴿وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ [٢/٧١]؛ أي: لا يؤمنوا بشيء من الآيات التي يرونها من المعجزات، ونحوها؛ لعنادهم وتمرّدهم.

قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ «حتى» هنا هي الابتدائية التي تقع بعدها الجمل، وجملة «يجادلونك» في محل نصب على الحال.

والمعنى: أنهم بلغوا من الكفر والعناد أنهم إذا جاءوك مجادلين لم يكتفوا بمجرد عدم الإيمان؛ بل يقولون: إن هذا إلا أساطير الأوّلين.

وقيل: «حتى» هي الجارة[٤] وما بعدها في محل جر، والمعنى: حتى وقت مجيئهم مجادلين يقولون: إن هذا إلا أساطير الأوّلين، وهذا غاية التكذيب ونهاية العناد.

والأساطير قال الزجاج[٥]: واحدها أسطار.

وقال الأخفش[٦]: أسطورة.

(١) «معاني القرآن» للزجاج (٢/٢٣٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/٣٤٤).
(٢) «جامع البيان» (٩/١٩٨)، و«الصحاح» (٢/٨٤٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/٣٤٥).
(٣) «القراءات الشاذة» (ص٣٦)، و«حاشية الشهاب» (٤/٤١). وهي قراءة شاذة.
(٤) «البحر المحيط» (٤/٤٧٠)، و«روح المعاني» (٨/١٠٩)، و«التبيان» (١/٤٨٨).
(٥) في «معاني القرآن» للزجاج (٢/٢٣٨).
(٦) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/٤٨٦).

وقال أبو عبيدة[١]: إِسْطَارة.

وقال النحاس[٢]: أُسطور.

وقال القشيري[٣]: أُسطير.

وقيل: هو جمع لا واحد له كعباديد وأبابيل.

والمعنى: ما سطره الأوّلون في الكتب من القصص والأحاديث.

قال الجوهري[٤]: الأساطير: الأباطيل والتُرهّات.

قوله: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾؛ أي: ينهى المشركون الناس عن الإيمان بالقرآن، أو بمحمد ﷺ ويبعدون هم في أنفسهم عنه.

وقيل: إنها نزلت في أبي طالب[٥]، فإنه كان ينهى الكفار عن أذية النبيّ ﷺ، ويبعد هو عن إجابته ﴿وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾؛ أي: ما يهلكون بما يقع منهم من النهي والنأي، إلا أنفسهم بتعريضها لعذاب الله وسخطه، والحال: أنهم ما يشعرون بهذا البلاء الذي جلبوه على أنفسهم.

قولُه: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ، أو لكل من تتأتّى منه الرؤية، وعبَّر عن المستقبل يوم القيامة بلفظ الماضي تنبيهاً على تحقق وقوعه، كما ذكره علماء المعاني.

و﴿وُقِفُواْ﴾ معناه: حُبِسوا، يقال: وقفته وَقْفاً ووقف وُقوفاً، وقيل: معنى ﴿وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ أدخلوها، فتكون «على» بمعنى «في»؛ وقيل: هي بمعنى الباء[٦]؛ أي: وقفوا بالنار؛ أي: بقربها معاينين لها، ومفعول ترى محذوف، وجواب لو محذوف[٧]، ليذهب السامع كل مذهب، والتقدير: لو تراهم إذا وقفوا على النار؛ لرأيتَ منظراً هائلاً وحالاً فظيعاً ﴿فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ﴾؛ أي: إلى الدنيا ﴿وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ

---

(١) في «مجاز القرآن» (١/ ١٨٩).
(٢) في «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٦١).
(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٨/ ٣٤٦).
(٤) في «الصحاح» (٢/ ٦٨٤).
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢٠٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٧٦، ١٢٧٨ رقم ٧١٩٩، ٧٢٠٦)، وسعيد بن منصور في «سننه» رقم (٨٧٤ ـ تفسير)، والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ٣٤٠)، والحاكم (٢/ ٣١٥)، والطبراني رقم (١٢٦٨٢) من طريق حبيب بن أبي ثابت قال: ثني من سمع ابن عباس يقول: فذكره .....: بسند ضعيف.
(٦) «روح المعاني» (٨/ ١١٣)، و«البحر المحيط» (٤/ ٤٧٣)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٦١).
(٧) «البحر المحيط» (٤/ ٤٧٣)، و«روح المعاني» (٨/ ١١٤).

﴿رَبِّنَا﴾؛ أي: التي جاءنا بها رسولُه ﷺ، ﴿وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بها العاملين بما فيها، والأفعال الثلاثة داخلة تحت التمنّي؛ أي: تمنوا الردَّ، وأن لا يكذّبوا، وأن يكونوا من المؤمنين، برفع[1] الأفعال الثلاثة كما هي قراءة الكسائي وأهل المدينة، وشعبة، وابن كثير، وأبي عمرو.

وقرأ حفص، وحمزة، بنصب[2] نكذبَ ونكونَ بإضمار أن بعد الواو على جواب التمنّي، واختار سيبويه[3] القطع في ﴿وَلَا نُكَذِّبُ﴾ فيكون غير داخل في التمني، والتقدير[4]: ونحن لا نكذب على معنى الثبات على ترك التكذيب؛ أي: لا نكذب رُددنا أو لم نردّ، قال: وهو مثل: دعني ولا أعود؛ أي: لا أعود على كل حال تركتني أو لم تتركني.

واستدل أَبو عمرو بن العلاء[5] على خروجه من التمني بقوله: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾؛ لأنَّ الكذب لا يكون في التمنّي. وقرأ ابن عامر[6]: ﴿وَنَكُونَ﴾ بالنصب، وأدخل الفعلين الأوّلين في التمني، وقرأ أُبيّ[7]: «ولا نكذب بآيات ربنا أبداً» وقرأ هو وابن مسعود: «يا ليتنا نرد فلا نكذب» بالفاء[8] والنصب، والفاء ينصب بها في جواب التمني كما ينصب بالواو كما قال الزجاج[9]، وقال أكثر البصريين[10]: لا يجوز الجواب إلا بالفاء.

قوله: ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ﴾ هذا إضراب عما يدل عليه التمنّي من

---

(١) «التيسير» (ص١٠٢)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٢٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٣٥٢)، و«زاد المسير» (٣/ ٢٢)، و«النشر» (٢/ ٢٥٧)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٦٢). وهي قراءات متواترة ويزاد مع حفص يعقوب بالنصب فيهما ومع الكسائي خلف بالرفع فيهما «تخريج القراءات في فتح القدير» (ص١١٩).

(٢) انظر: المصادر المتقدمة.

(٣) «الكتاب» (٣/ ٤٤).

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٣٥٢)، و«معاني القرآن» للنحاس (٢/ ٤١٣).

(٥) انظر: «الحجة» للفارسي (٣/ ٢٩٣ ـ ٢٩٤).

(٦) «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٦٢)، و«معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٤٠)، و«البحر المحيط» (٤/ ٤٧٦)، و«حاشية الشهاب» (٤/ ٤٤).

(٧) انظر: المصادر المتقدمة. زيادة «أبداً» شاذة مخالف للرسم،

(٨) «البحر المحيط» (٤/ ٤٧٦)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٦٢). وهي شاذة مخالفة للرسم.

(٩) في «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٤٠).

(١٠) انظر: «الإنصاف» لابن الأنباري (٢/ ٥٥٥ ـ ٥٥٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٣٥٣).

الوعد بالإيمان والتصديق؛ أي: لم يكن ذلك التمني منهم عَنْ صدق نية، وخلوص اعتقاد؛ بل هو لسبب آخر، وهو أنه بدا لهم ما كانوا يُخفون؛ أي: يجحدون من الشرك، وعرفوا أنهم هالكون بشركهم، فعدلوا إلى التمنّي والمواعيد الكاذبة.

وقيل: بدا لهم ما كانوا يُخْفون مِنْ النِّفاق[1] والكفر بشهادة جوارحهم عليهم.

وقيل: بدا لهم ما كانوا يكتمون مِنْ أعمالهم[2] القبيحة، كما قال تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧].

وقال المبرِّد[3]: بدا لهم جزاء كفرِهم الذي كانوا يخفونه، وهو مثل القول الأوّل.

وقيل: المعنى: أَنَّه ظهر للذين اتبعوا الغُواة ما كان الغواة يخفون عنهم من أمر البعث والقيامة.

﴿وَلَوْ رُدُّواْ﴾ إلى الدنيا حسبما تمنّوا ﴿لَعَادُواْ﴾ لفعل ما نهوا عنه من القبائح التي رأسها الشرك، كما عاين إبليس[4] ما عاين من آيات الله ثم عاند، ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾؛ أي: مُتصفون[5] بهذه الصفة لا ينفكون عنها بحال من الأحوال ولو شاهدوا ما شاهدوا.

وقيل: المعنى: وإنهم لكاذبون فيما أخبروا به عن أنفسهم من الصدق والإيمان.

وقرأ يحيى بن وثَّاب: ﴿وَلَوْ رِدُّوا﴾ بكسر الراء[6]؛ لأن الأصل رُدِدوا فنقلت كسرة الدال إلى الراء، وجملة ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ معترضة[7] بين المعطوف وهو ﴿وَقَالُوٓاْ﴾، وبين المعطوف عليه وهو ﴿لَعَادُواْ﴾؛ أي: لعادوا إلى ما نهوا عنه ﴿وَقَالُوٓاْ

(١) «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٦٢).
(٢) «معالم التنزيل» (٢/ ٩٢)، و«زاد المسير» (٣/ ٢٣).
(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٨/ ٣٥٤)، والبغوي في «معالم التنزيل» (٢/ ٩٢).
(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٨/ ٣٥٤). (٥) «جامع البيان» (٩/ ٢١١).
(٦) «البحر المحيط» (٤/ ٤٧٨)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٦٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٣٥٥).
(٧) «البحر المحيط» (٤/ ٤٧٩)، و«روح المعاني» (٨/ ١١٩).

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾؛ أي: ما هي إلا حياتنا الدنيا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ بعد الموت، وهذا مِنْ شدّة تمرّدهم وعنادهم، حيثُ يقولون هذه المقالة على تقدير أنهم رجعوا إلى الدنيا بعد مشاهدتهم للبعث.

قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ﴾ قد تقدّم تفسيره في قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾؛ أي: حُبسوا على ما يكون من أمر ربهم فيهم؛ وقيل: «على» بمعنى: «عند»، وجواب «لو» محذوف؛ أي: لشاهدت أمراً عظيماً.

والاستفهام في ﴿أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّۚ﴾ للتقريع والتوبيخ(١)؛ أي: أليس هذا البعث الذي ينكرونه كائناً موجوداً؟ وهذا الجزاء الذي يجحدونه حاضراً.

﴿قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ﴾ اعترفوا بما أنكروا، وأكدوا اعترافهم بالقسم ﴿قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾ الذي تشاهدونه وهو عذاب النار ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾؛ أي: بسبب كفركم به، أو بكل شيء مما أمرتم بالإيمان به في دار الدنيا.

وقد أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس(٢) في قوله: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ﴾ قال: معذرتهم.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عنه(٣) ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ﴾ قال: حجتهم ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾؛ يعني: المنافقين والمشركين قالوا وهم في النار: هلمّ فلنكْذب فلعلّه أن ينفعنا، فقال الله: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْۚ وَضَلَّ عَنْهُم﴾ في القيامة [٢/٧٢] ﴿مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ يَكْذِبون في الدنيا.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر(٤)، عنه في قوله: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ ثم قال: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢] قال: بجوارحهم.

وأخرج عبد بن حميد(٥) عن قتادة: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْۚ﴾ قال:

---

(١) «روح المعاني» (٨/ ١٢١)، و«البحر المحيط» (٤/ ٤٨٠).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ١٩١) عن قتادة بسند صحيح.
وأخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٧٣ بإثر رقم ٧١٧٧) معلقاً.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٧٣ ـ ١٢٧٥ رقم ٧١٧٦، ٧١٨١، ٧١٨٦) بأسانيد يقوي بعضها بعضاً.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ١٩٤) بسند صحيح.

(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٢٥٩).

باعتذارهم الباطل ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ قال: ما كانوا يشركون.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن مجاهد[١] في قوله: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ قال: قريش، وفي قوله: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ قال: كالجَعْبة للنبْل.

وأخرج عبد الرزاق، وابن جرير، وابن أبي حاتم، عن قتادة[٢] في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ قال: يسمعونه بآذانهم ولا يعون منه شيئاً؛ كمثل البهيمة التي تسمع النداءَ ولا تدري ما يقال لها.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن السديّ[٣] قال: الغطاء أكنّ قلوبَهم أن يفقهوه، والوَقْر: الصمم، و﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أساجيع الأوّلين.

وأخرج ابن جرير[٤]، عن ابن عباس قال: أساطير الأوّلين: أحاديث الأوّلين.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة[٥] قال: أساطير الأوّلين: كَذِبُ الأوّلين وباطلهم.

وأخرج عبد الرزاق، والفريابي، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وأبو الشيخ، والحاكم وصحّحه، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل»، عن ابن عباس[٦] في قوله: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ قال: نزلت في أبي طالب كان ينهى المشركين أن يردّوا رسول الله ﷺ، ويتباعد عما جاء به.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/١٩٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/١٢٧٥ رقم ٧١٨٨، ٧١٨٩) بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (ص١٩٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/١٢٧٦ رقم ٧١٩٢)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (١/٢٠٩) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/١٢٧٦ رقم ٧١٩٧)، وابن جرير في «جامع البيان» (٩/٢٠٠) بسند حسن.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/١٩٩ ـ ٢٠٠) بسند صحيح.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/١٢٧٦ رقم ٧١٩٨) بسند صحيح.

(٦) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/٢٠٦)، وابن جرير في «جامع البيان» (٩/٢٠٣ ـ ٢٠٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/١٢٧٦ ـ ١٢٧٨ رقم ٧٢٠٦)، والطبراني رقم (١٢٦٨٢)، وسعيد بن منصور في «سننه» رقم (٨٧٤ ـ تفسير)، والحاكم (٢/ ٣١٥)، والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ٣٤٠) بسند ضعيف. وقد تقدم.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وأبو الشيخ، عن القاسم[١] بن مُخَيمرة نحوه.

وأخرج ابن جرير[٢] عن عطاء نحوه أيضاً.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، عن ابن عباس[٣] في الآية قال: يَنْهون عنه الناس أن يؤمنوا به، وينأون عنه: يتباعدون.

وأخرج ابن جرير[٤]، من طريق العوفيّ عنه قال: لا يَلقونه ولا يَدَعون أحداً يأتيه.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن محمد بن الحنفية[٥]، في الآية قال: كفار مكة كانوا يَدْفعون الناس عنه ولا يجيبونه.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن مجاهد[٦] نحوه.

وأخرج عبد الرزاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن قتادة[٧] قال: ينهون عن القرآن، وعن النبيّ ﷺ، وينأون عنه يتباعدون عنه.

وأخرج ابن أبي حاتم[٨]، عن سعيد بن أبي هلال، في الآية قال: نزلت في عمومة النبيّ ﷺ وكانوا عشرة، فكانوا أشدّ الناس معه في العلانية، وأشدّ الناس عليه في السرّ.

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر وابن أبي

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢٠٥) بسند صحيح من طريق إسماعيل بن أبي خالد، به.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢٠٥) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢٠١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٧٧، ١٢٧٨ رقم ٧٢٠٠، ٧٢٠٧) بسند صحيح.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢٠٢) بسند ضعيف.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢٠١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٧٧ رقم ٧٢٠١) بسند ضعيف.

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢٠٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٧٧ رقم ٧٢٠٢) بسند صحيح.

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢٠٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٧٧ رقم ٧٢٠٣)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٢٠٥) بسند صحيح.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٧٧ رقم ٧٢٠٤) بسند ضعيف.

حاتم، وأبو الشيخ، عن قتادة[١] في قوله: ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ﴾ قال: مِنْ أعمالهم ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ يقول: ولو وصل الله لهم دنيا كدنياهم التي كانوا فيها لعادوا إلى أعمالهم، أعمال السوء التي كانوا نُهوا عنها.

وأخرج ابن أبي حاتم[٢]، عن ابن عباس قال: أخبر الله سبحانه أنهم لو ردّوا لم يَقْدروا على الهدى، فقال: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾؛ أي: ولو ردّوا إلى الدنيا لحيل بينهم وبين الهدى كما حيل بينهم وبينه أوّل مرّة، وهم في الدنيا.

[الخسارة الحقيقية هي خسارة الآخرة]:

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَـٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا
فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ
وَلَلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا
يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا
كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن
كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم
بِـَٔايَةٍ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ
يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

قوله: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾ هم الذين تقدّم ذكرهم. والمراد من تكذيبهم بلقاء الله: تكذيبهم بالبعث، وقيل: تكذيبهم بالجزاء. والأوّل أولى؛ لأنهم الذين قالوا قريباً: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [الأنعام: ٢٩]. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً﴾؛ أي: القيامة، وسُميت ساعة لسرعة الحساب فيها.

ومعنى بغتة: فجأة، يقال: بَغتهم الأمرُ يبغتهم بَغْتاً وبغتة.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢١٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٧٩ رقم ٧٢١٣، ٧٢١٨، ٧٢١٩)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٢٠٧) بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٧٩ رقم ٧٢١٧) بسند صحيح.

قال سيبويه[(١)]: وهي مصدر في موضع الحال، قال: ولا يجوز أن يقاس عليه، فلا يقال: جاء فلان سُرعةً.

و﴿حَتَّىٰٓ﴾ غاية للتكذيب لا للخسران، فإنه لا غاية له ﴿قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا﴾ هذا جواب ﴿إِذَا جَآءَتْهُمُ﴾ أوقعوا النداء على الحسرة، وليست بمنادى في الحقيقة ليدلّ ذلك على كثرة تحسرهم.

والمعنى: يا حسرتنا احضري، فهذا أوانُك، كذا قال سيبويه[(٢)] في هذا النداء وأمثاله؛ كقولهم: يا للعجب ويا للرجاء.

وقيل: هو تنبيه للناس على عظم ما يحلّ بهم مِنْ الحسرة؛ كأنهم قالوا: يا أيها الناس تنبهوا على عظيم ما بنا من الحسرة، والحسرة: الندم الشديد ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾؛ أي: على تفريطنا في الساعة؛ أي: في الاعتداد لها، والاحتفال بشأنها، والتصديق بها.

ومعنى فرّطنا: ضيعنا، وأصله التقدّم[(٣)]، يُقال: فَرَط فلان؛ أي: تقدّم وسبق إلى الماء، ومنه قوله ﷺ[(٤)]: «وأنا فَرطُكم على الحوض»، ومنه الفارط؛ أي: المتقدم فكأنّهم أرادوا بقولهم: ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا﴾؛ أي: على ما قدّمنا مِنْ عجزنا عن التصديق بالساعة والاعتداد لها.

وقال ابنُ جرير[(٥)] الطبري: إن الضمير في فرّطنا فيها يرجع إلى الصفقة، وذلك أنَّهم لما تبين لهم خسران صفقتهم ببيعهم الإيمان بالكفر، والدنيا بالآخرة ﴿قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا﴾ في صفقتنا، وإنْ لم تُذكر في الكلام، فهو دالّ عليها؛ لأن الخسران لا يكون إلا في صفقة. وقيل: الضمير راجع إلى الحياة؛ أي: على ما فرّطنا في حياتنا.

قوله: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْۚ﴾ هذه الجملة حالية[(٦)]؛ أي: يقولون

---

(١) في «الكتاب» (١/ ٣٧١).
(٢) في «الكتاب» (٢/ ٢١٧).
(٣) «المحرر الوجيز» (٦/ ٣٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٣٥٨).
(٤) أخرجه البخاري رقم (٦٥٨٩)، ومسلم رقم (٢٢٨٩) من حديث جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه.
وأخرجه البخاري رقم (٦٥٧٥)، ومسلم رقم (٢٢٩٧) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.
(٥) في «جامع البيان» (٩/ ٢١٤ ـ ٢١٥).
(٦) «جامع البيان» (٩/ ٢١٤)، و«الصحاح» (٢/ ٨٤٥).

تلك المقالة، والحال أنهم: ﴿يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾؛ أي: ذنوبهم، جمع وِزْر: يقال: وَزَر يَزِر، فهو وازر ومَوْزور، وأصله من الوَزَر. [٢/٧٣]

قال أبو عُبيدة[١]: يقال للرجلِ إذا بسط ثوبهَ، فجعل فيه المتاع: احمل وِزْرَك؛ أي: ثِقْلك، ومنه الوزير؛ لأنه يحمل أثقال ما يُسند إليه من تدبير الولاية.

والمعنى: أنها لزمتهم الآثامُ فصاروا مُثقلين بها، وجعلها محمولة على الظهور تمثيل ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾؛ أي: بئس ما يحملون.

[حقيقة وزن الدنيا ووزن الآخرة في ميزان الله]:

قوله: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾؛ أي: وما متاع الدنيا إلا لعب ولهو على تقدير حذف مضاف، أو: ما الدنيا مِنْ حيث هي، إلا لعب ولهو.

والقصد بالآية تكذيب الكفار في قولهم: ﴿مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾ [الجاثية: ٢٤]، واللعب معروف، وكذلك اللهو، وكل ما يشغلك فقد ألهاك[٢]؛ وقيل: أصله الصرف عَنْ الشيء.

وردّ بأن اللهو بمعنى الصرف[٣] لامه ياء، يقال: لهيتُ عنه، ولام اللهو واو، يقال: لهوتُ بكذا.

﴿وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ سُميت آخرة لتأخرها عن الدنيا؛ أي: هي خير للذين يتقون الشركَ والمعاصي، أفلا تعقلون ذلك.

قرأ ابن عامر[٤]: «وَلَدَارُ الآخِرَةِ» بلام واحدة، وبالإضافة.

وقرأ الجمهور[٥] باللام التي للتعريف معها، وجعل الآخرة نعتاً لها والخبر خير.

وقرئ[٦]: «تعقلون» بالفوقية والتحتية.

---

(١) في «مجاز القرآن» (١/ ١٩٠).
(٢) «مجمع اللغة» (٣/٨٠٩).
(٣) انظر: «الصحاح» (٦/ ٢٤٨٧).
(٤) «البحر المحيط» (٤/ ٤٨٥)، و«التيسير» (ص١٠٢)، و«النشر» (٢/ ٢٥٧)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٢٩)، و«حاشية الشهاب» (٤/ ٥٠)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٦٤).
(٥) انظر: المصادر المتقدمة. وهما قراءتان متواترتان.
(٦) «الحجة» للفارسي (٣/ ٣٠١)، و«البحر المحيط» (٤/ ٤٨٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٣٦٤). وهما قراءتان متواترتان، فالفوقية عن أهل المدينة والشام وحفص ويعقوب، والتحتية عن الباقين «تخريج القراءات في فتح القدير» (ص١١٩).

قولُه: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ﴾ هذا الكلام مبتدأٌ مسوقٌ لتسلية رسول الله ﷺ عما ناله مِنْ الغمّ والحزن بتكذيب الكفار له. ودخول قد للتكثير، فإنّها قد تأتي لإفادته كما تأتي رُبّ والضمير في ﴿إِنَّهُۥ﴾ للشأن.

وقرئ[1] بفتح الياء من «يَحزُنك» وضمِّها.

وقرئ[2] «يُكذّبونك» مشدّداً ومخففاً، واختار أبو عبيد قراءة التخفيف.

قال النحاس[3]: وقد خولف أبو عبيد[4] في هذا. ومعنى «يُكذِّبونك» على التشديد: ينسبونك إلى الكذب ويردّون عليك ما قلته. ومعنى المخفف: أنهم لا يجدونك كذاباً، يقال: أكذبتُه: وجدته كذّاباً، وأبخلته: وجدته بخيلاً.

وحكى الكسائي[5] عن العرب: أكذبت الرجلَ: أُخبرت أنه جاء بالكذب، وكذّبته: أخبرت أنه كاذب.

وقال الزجاج[6]: كذبته إذا قلت له: كذبتَ، وأكذبته: إذا أردت أَنْ ما أتى به كذب.

والمعنى: أن تكذيبهم ليس يرجع إليك، فإنهم يعترفون لك بالصدق، ولكن تكذيبهم راجع إلى ما جئتَ به، ولهذا قال: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ ووضع الظاهر موضع المضمر لزيادة التوبيخ لهم، والإزراء عليهم، ووصفهم بالظلم لبيان أن هذا الذي وقع منهم ظلم بيِّن.

قولــه: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا﴾ هذا من جملة التسلية[7] لرسول الله ﷺ؛ أي: أن هذا الذي وقع من هؤلاء إليك

---

(١) «حاشية الشهاب» (٤/ ٥١)، و«المبسوط» (ص١٧١)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٦٤)، و«النشر» (٢/ ٢٤٤). وهما قراءتان متواترتان، فالضم مع كسر الزاي عن نافع، والفتح مع ضم الزاي عن الباقين.

(٢) «البحر المحيط» (٤/ ٤٨٦ ـ ٤٨٧)، و«النشر» (٢/ ٢٥٧)، و«جامع البيان» (٩/ ٢١٩)، و«حجة القراءات» (ص٥٤٧). هما متواترتان فالتخفيف عن نافع والكسائي والتشديد عن الباقين فالتخفيف بضم الياء وسكون الكاف وكسر الذال، والتشديد بضم الياء وفتح الكاف وكسر الذال مشدّدة. انظر: «تخريج القراءات في فتح القدير» (ص١٢٠).

(٣) ذكره النحاس في «معاني القرآن» (٢/ ٤١٧).

(٤) في «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٢٤٢)، وفي «معاني القرآن» (٢/ ٤١٨).

(٥) ذكره النحاس في «معاني القرآن» (٢/ ٢٤٢)، والقرطبي في «تفسيره» (٨/ ٣٦٥).

(٦) في «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٤٢).

(٧) «جامع البيان» (٩/ ٢٢٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٣٦٥ ـ ٣٦٦).

ليس هو بأوّل ما صنعه الكفار مع مَنْ أرسله الله إليهم؛ بل قد وقع التكذيب لكثير من الرسل المرسلين مِنْ قبلك، فاقتد بهم ولا تحزن واصبر كما صبروا على ما كذبوا به، وأوذوا، حتى يأتيك نصرنا كما أتاهم فإنا لا نخلف الميعاد و﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨] ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غافر: ٥١] ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١ ـ ١٧٣] ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ [المجادلة: ٢١] ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ﴾؛ بل وعده كائن، وأنت منصور على المكذبين، ظاهر عليهم. وقد كان ذلك ولله الحمد.

﴿وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ما جاءك مِنْ تجرّي قومهم عليهم في الابتداء، وتكذيبهم لهم، ثم نصرهم عليهم في الانتهاء، وأنت ستكون عاقبة هؤلاء المكذبين لك كعاقبة المكذبين للرسل، فيرجعون إليك ويدخلون في الدين الذي تدعوهم إليه طوعاً أو كرهاً[١].

قوله: ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾، كان النبيّ ﷺ يكبر عليه إعراض قومه، ويتعاظمه، ويحزن له، فبيَّن له الله سبحانه أن هذا الذي وقع منهم مِنْ توليهم عن الإجابة له، والإعراض عما دعا إليه، هو كائن لا محالة لما سبق في علم الله ﷻ، وليس في استطاعته وقدرته إصلاحهم وإجابتهم قبل أن يأذن الله بذلك، ثم علق ذلك بما هو محال، فقال: ﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فتأتيهم بآية منه ﴿أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ﴾ منها فافعل، ولكنّك لا تستطيع ذلك فدع الحزن ـ ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ [فاطر: ٨] و﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: ٢٢] والنفق: السِرب والمنفذ، ومنه النافِقاء لجُحْر اليربوع، ومنه المنافق.

وقد تقدّم في البقرة ما يغني عن الإعادة.

والسُّلَّم: الدرج الذي يُرتقى عليه، وهو مذكر لا يؤنث، وقال الفراء[٢]: إنه يؤنث.

قال الزجاج[٣]: وهو مشتق مِنْ السلامة؛ لأنّه يسلك به إلى موضع الأمن.

---

(١) انظر: التعليقة المتقدمة.

(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٨/ ٣٦٦)، والنحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ٦٤).

(٣) في «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٤٤).

وقيل: إنّ الخطاب وإن كان لرسول الله ﷺ فالمراد به أمته؛ لأنها كانت تضيق صدورهم بتمرّد الكفرة وتصميمهم على كفرهم، ولا يشعرون أن لله سبحانه في ذلك حكمةً، لا تبلغها العقول، ولا تدركها الأفهام، فإن الله سبحانه لو جاء لرسوله ﷺ بآية تضطرهم إلى الإيمان لم يبق للتكليف الذي هو الابتلاء والامتحان معنى، ولهذا قال: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ جمع إلجاء وقَسْرٍ، ولكنه لم يشأ ذلك، ولله الحكمة[1] البالغة. ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ فإن شدّة الحُرص والحزن لإعراض الكفار عن الإجابة قبل أن يأذن الله بذلك هو صنيع أهل الجهل، ولست منهم، فدع الأمور مفوّضة إلى عالم الغيب والشهادة، فهو أعلم بما فيه المصلحة، ولا تحزن لعدم حصول ما يطلبونه مِنْ الآيات التي لو بدا لهم بعضُها، لكان إيمانهم بها اضطراراً.

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾؛ أي: إنما يستجيب لك إلى ما تدعو إليه الذين يسمعون[2] سماع تفهم بما تقتضيه العقول وتوجبه الأفهام، وهؤلاء ليسوا كذلك؛ بل هم بمنزلة الموتى الذين لا يسمعون ولا يعقلون لما جعلنا [٢/٧٤] على قلوبهم من الأكنَّة، وفي آذانهم مِنْ الوَقْر، ولهذا قال: ﴿وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ شبههم بالأموات بجامع أنهم جميعاً لا يفهمون الصوابَ، ولا يعقلون الحق؛ أي: أن هؤلاء لا يلجئهم الله إلى الإيمان وإن كان قادراً على ذلك، كما يقدر على بعثة الموتى للحساب ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ إلى الجزاء فيجازي كلّاً بما يليق به كما تقتضيه حكمته البالغة.

وقد أخرج ابن أبي حاتم[3]، عن ابن عباس، في قوله: ﴿قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا﴾ قال: الحسرة الندامة.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، والطبراني، وأبو الشيخ، وابن مردويه، والخطيب بسند صحيح، عَنْ أبي سعيد الخدري[4] قال: قال رسول ﷺ في

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٣٦٧)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٦٥).

(٢) «جامع القرآن» (٩/ ٢٢٩).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٨٠ رقم ٧٢٢٥) بسند ضعيف. الضحاك لم يلق ابن عباس.

(٤) أخرجه جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢١٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٨٠ معلقاً عن الأعمش)، والخطيب في «تاريخه» (٣/ ٣٨٩) بسند صحيح.

قوله: ﴿يَحَسْرَتَنَا﴾ قال: «الحسرةُ أَنْ يرى أهلُ النار منازلهم من الجنة، فتلك الحسرة».

وأخرج عبد الرزاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن قتادة[١] في قوله: ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ قال: ما يعملون.

وأخرج ابن أبي حاتم[٢] عن مجاهد في قوله: ﴿لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ قال: كل لعبٍ: لهو.

وأخرج الترمذي، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، وابن مردويه، والحاكم وصححه، والضياء في «المختارة»، عن عليّ بن أبي طالب[٣]، قال: قال أبو جهل للنبيّ ﷺ: إنا لا نُكذّبك ولكن نكذّب بما جئتَ به، فأنزل الله: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن أبي يزيد المدني[٤]، أن أبا جهل قال: واللهِ إني لأعلم أنّه صادق، ولكن متى كنا تبعاً لبني عبد مناف؟.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن مردويه، عن أبي ميسرة[٥]، نحو رواية عليّ بن أبي طالب.

وأخرج عبد الرزاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن قتادة[٦] في قوله: ﴿وَلَكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ قال: يعلمون أنك رسول الله ويجحدون.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٢٠٧)، وابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢١٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٨١ رقم ٧٢٣٠) بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٨٢ رقم ٧٢٣١) عن مجاهد قال: اللهو هو اللعب. وسنده صحيح.

(٣) أخرجه الترمذي رقم (٣٠٦٤)، وابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٨٢ رقم ٧٢٣٤)، والحاكم (٢/ ٣١٥)، والضياء في «المختارة» رقم (٧٤٨) بسند ضعيف.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٨٢ رقم ٧٢٣٩) بسند حسن.

(٥) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٤٠) ط ـ التركي.

(٦) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٢٠٧)، وابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢١٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٧٩ رقم ٧٢١٣، ٧٢١٨، ٧٢١٩) بسند صحيح.

وأخرج ابن جرير[١] عن الضحاك في قوله: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ قال: يُعزّي نبيه ﷺ.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر عن ابن جريج[٢] مثله.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «الأسماء والصفات»، عن ابن عباس[٣] قال: ﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ والنفق: السَّرَب، فتذهب فيه فتأتيهم بآية، أو تجعلَ لهم سُلّماً في السماء فتصعد عليه ﴿فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ﴾ أفضل مما أتيناهم به، فافعل ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ يقول سبحانه: لو شئتَ لجمعتهم على الهدى أجمعين.

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن قتادة[٤] في قوله: ﴿نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ قال: سَرَباً ﴿أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ قال: يعني: الدَّرَج.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن الحسن[٥] في قوله: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ قال: المؤمنون ﴿وَٱلْمَوْتَىٰ﴾ قال: الكفار.

وأخرج هؤلاء عن مجاهد[٦] مثله.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢٢٥) بسند ضعيف.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢٢٥) بسند حسن.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢٢٦)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٣٧٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٨٤ رقم ٧٢٤٥، ٧٢٤٨، ٧٢٤٩) بسند صحيح.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢٢٦)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٢٠٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٨٤ رقم ٧٢٤٦، ٧٢٤٧) بسند صحيح.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢٣٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٨٥ رقم ٧٢٥١، ٧٢٥٤) بسند صحيح.

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢٣٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٨٥ رقم ٧٢٥٢، ٧٢٥٥) بسند صحيح.

[من دلائل الهدى وموجبات الإيمان لو تدبروه وعقلوه]:

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾.

هذا كان منهم تعنتاً ومكابرة(١)، حيث لم يعتّدوا بما قد أنزله الله على رسوله من الآيات البينات التي من جملتها القرآن، وقد علموا أنهم قد عجزوا عن أن يأتوا بسورة مثله، ومرادهم بالآية هنا: هي التي تضطرهم إلى الإيمان كنزول الملائكة بمرأى منهم ومسمع، أو نتق الجبل كما وقع لبني إسرائيل، فأمره الله سبحانه أن يجيبهم بأن الله قادر على أن ينزل على رسوله آيةً تضطرهم إلى الإيمان، ولكنه ترك ذلك لتظهر فائدة التكليف(٢) الذي هو الابتلاء والامتحان، وأيضاً لو أنزل آية كما طلبوا لم يمهلهم بعد نزولها بل سيعاجلهم بالعقوبة إذا لم يؤمنوا.

قال الزجّاج(٣): طلبوا أن يجمعهم على الهدى؛ يعني: جمع إلجاء ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن الله قادر على ذلك، وأنه تركه لحكمة بالغة لا تبلغها عقولهم.

[ما من خلق حي في هذه الأرض إلا وهو منتظم في أمة، ذات خصائص واحدة]:

قوله: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ الدابة من دبّ يدبّ فهو دابّ: إذا مشى مشياً فيه تقارب خَطْوٍ.

وقد تقدّم بيان ذلك في البقرة.

﴿وَلَا طَـٰٓئِرٍ﴾ معطوف على ﴿دَآبَّةٍ﴾ مجرور في قراءة الجمهور(٤).

وقرأ الحسن(٥) وعبد الله بن أبي إسحاق: ﴿وَلَا طَائِرٌ﴾ بالرفع عطفاً على موضع «من دابة» على تقدير زيادة مِنْ.

---

(١) «معالم التنزيل» (٢/ ٩٥)، و«المحرر الوجيز» (٦/ ٤٥ ـ ٤٦).

(٢) «جامع البيان» (٩/ ٢٣١). (٣) في «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٤٥).

(٤) انظر: المصادر في التعليقة التالية.

(٥) «إعراب القرآن» (٢/ ٦٥)، و«البحر المحيط» (٤/ ٥٠١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٣٦٩). قراءة الجمهور متواترة وقراءة الحسن ومَنْ معه شاذة. انظر: «تخريج القراءات في فتح القدير» (ص١٢٠).

و﴿بِجَنَاحَيْهِ﴾ لدفع الإبهام(١)؛ لأن العرب تستعمل الطيران لغير الطير كقولهم: طِرْ في حاجتي؛ أي: أسرع؛ وقيل: إن اعتدال جسد الطائر بين الجناحين يعينه على الطيران، ومع عدم الاعتدال يميل، فأعلمنا سبحانه أن الطيران بالجناحين؛ وقيل: ذكر الجناحين للتأكيد(٢)؛ كضرب بيده وأبصر بعينيه ونحو ذلك.

والجناح: أحد ناحيتي(٣) الطير الذي يتمكن به من الطيران في الهواء، وأصله: الميل إلى ناحية من النواحي. والمعنى: ما مِنْ دابة من الدواب التي تدبّ في أيّ مكان من أمكنة الأرض، ولا طائر يطير في أيّ ناحية من نواحيها ﴿إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾؛ أي: جماعات مثلُكم خلقهم الله كما خلقكم، ورزقهم كما رزقكم داخلة تحت علمه، وتقديره، وإحاطته بكل شيء.

وقيل: أمثالنا في ذكر الله والدلالة عليه؛ وقيل: أمثالنا في كونهم محشورين، روي ذلك عن أبي هريرة(٤).

وقال سفيان بن عيينة(٥): أي: ما مِنْ صنف مِنْ الدوابّ والطير إلا في الناس شبهٌ مِنْه، فمنهم مَنْ يعدو كالأسد، ومنهم مَنْ يَشْرَه كالخنزير، ومنهم من يعوي كالكلب، ومنهم من يزهو كالطاووس.

وقيل: ﴿أَمْثَالُكُمْ﴾ في أن لها أسماء(٦) تُعرف بها.

وقال الزجاج(٧): ﴿أَمْثَالُكُمْ﴾ في الخلق والرزق، [٢/٧٥] والموت، والبعث، والاقتصاص. والأولى أن تحمل المماثلة على كلِّ ما يمكن وجود شبه فيه كائناً ما كان.

---

(١) «مجمع البيان» (٧/٥٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/٣٦٩).

(٢) ذكره القصَّاب في «نُكت القرآن الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام» (١/٣٤١) ط. ابن القيِّم، والزجاج في «معاني القرآن» (٢/٢٤٥)، وابن جزي في «التسهيل» (٢/٨)، والقرطبي في «تفسيره» (٨/٣٦٩).

(٣) «مجمع البيان» (٧/٥٦)، و«جامع البيان» (٩/٦٣٢).

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/٢٣٥ ـ ٢٣٦)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (١/٢٠٦)، والحاكم (٢/٣١٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/١٢٨٦ رقم ٧٢٦٢) بسند صحيح.

(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٨/٣٧٠).

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/٢٣٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/١٢٨٥ رقم ٧٢٥٦) عن مجاهد بسند صحيح.

(٧) في «معاني القرآن» للزجاج (٢/٢٤٥).

قوله: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾؛ أي: ما أغفلنا عَنْه ولا ضيعنا فيه من شيء. والمراد بالكتاب: اللوح المحفوظ، فإن الله أثبت فيه جميع الحوادث(١).

وقيل: إن المراد به: القرآن(٢)؛ أي: ما تركنا في القرآن من شيء من أمر الدين إما تفصيلاً أو إجمالاً، ومثله قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]، وقال: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

ومن جملة ما أجمله في الكتاب العزيز قوله: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧] فأمر في هذه الآية باتباع ما سنَّه رسول الله ﷺ، فكل حكم سنَّه الرسول لأمته قد ذكره الله سبحانه في كتابه العزيز، بهذه الآية وبنحو قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى﴾ [آل عمران: ٣١] وبقوله: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، «ومن» في ﴿مِن شَىْءٍ﴾ مزيدة للاستغراق(٣).

قولُه: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾؛ يعني: الأمم المذكورة، وفيه دلالة على أنها تحشر كما يحشر بنو آدم، وقد ذهب إلى هذا جمع من العلماء، ومنهم: أبو ذرّ(٤)، وأبو هريرة(٥)، والحسن(٦)، وغيرهم(٧).

وذهب ابن عباس(٨) إلى أن حشرها موتها، وبه قال الضحاك(٩).

والأوّل أرجح للآية، ولما صح في السُّنَّة المطهرة من أنه يُقاد يوم القيامة للشاة الجلحاء مِنْ الشاة القَرْناء، ولقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: ٥].

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢٣٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٨٦ رقم ٧٢٥٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما بسند صحيح.

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٣٧١).

(٣) ذكره أبو السعود في «تفسيره» (٣/ ٤٤) ط. دار الفكر.

(٤) أخرجه أحمد (٥/ ١٦٢)، وابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢٣٦)، والطيالسي رقم (٤٨٠). وهو حديث صحيح.

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٨/ ٣٧٢).

(٧) ذكرهم جميعاً القرطبي في «تفسيره» (٨/ ٣٧٢)، وفي «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة» (ص٢٧٤ ـ ٢٧٦).

(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢٣٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٨٦ رقم ٧٢٦١) بسند حسن.

(٩) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢٣٥) بسند ضعيف.

وذهبت طائفة من العلماء[١] إلى أن المراد بالحشر المذكور في الآية: حشر الكفار، وما تخلل كلام معترِض.

قالوا: وأما الحديث فالمقصود به التمثيل على جهة تعظيم أمر الحساب والقصاص.

واستدلوا أيضاً بأنَّ في هذا الحديث خارج الصحيح عَنْ بعض الرواة زيادة[٢]، ولفظه: «حتى يُقاد للشاة الجلحاء من القرناء، وللحَجَر لِمَا ركب على الحجر؟ والعود لما خدش العود؟» قالوا: والجمادات لا يُعقل خطابها ولا ثوابها ولا عقابها[٣].

قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ﴾؛ أي: لا يسمعون بأسماعهم ولا ينطقون بألسنتهم، نزلهم منزلة مَنْ لا يسمع ولا ينطق، لعدم قبولهم لما ينبغي قبوله من الحجج الواضحة و«الدلائل» الصحيحة.

وقال أبو علي[٤]: يجوز أن يكون صممهم وبكمهم في الآخرة.

قوله: ﴿فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ﴾؛ أي: في ظلمات الكفر[٥]، والجهل والحيرة، لا يهتدون لشيء مما فيه صلاحهم. والمعنى: كائنين في الظلمات التي تمنع من إبصار المبصرات، وضموا إلى الصمم، والبكم، عدمَ الانتفاع بالأبصار لتراكم الظلمة عليهم، فكانت حواسهم كالمسلوبة التي لا ينتفع بها بحال.

وقد تقدّم في البقرة تحقيق المقام بما يغني عن الإعادة.

ثم بيَّن سبحانه أن الأمر بيده ما شاء فَعل، مَنْ شاء تعالى أن يُضَلّه أضله، ومَنْ شاء أن يهديه جعله على صراط مستقيم، لا يذهب به إلى غير الحق. ولا يمشي فيه إلا إلى صوب الاستقامة.

وقد أخرج الفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٣٧٢).

(٢) أخرجه الخطيب في «الرحلة في طلب العلم» رقم (٣٣) بسند ضعيف جدّاً.

(٣) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٣٧٣)، و«جامع البيان» (٩/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦).

(٤) أبو علي الجبائي. ذكر قوله القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٣٧٤)، والطبرسي في «مجمع البيان» (٧/ ٥٨)، والرازي في «تفسيره» (١٢/ ٢٢٠).

(٥) «روح المعاني» (٨/ ١٥٥).

حاتم، وأبو الشيخ في قوله: ﴿إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمۚ﴾ قال: أصنافاً مصنفة تعرف بأسمائها[(١)].

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن قتادة[(٢)] في الآية قال: الطير أمة، والإنس أمة، والجن أمة.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن السديّ[(٣)]: قال: خَلْق أمثالكم.

وأخرج ابن جرير، وأبو الشيخ، عن ابن جُريج[(٤)] في الآية قال: الذرّة فما فوقها من ألوان ما خلق الله من الدواب.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، عن ابن عباس[(٥)] ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍۚ﴾؛ يعني: ما تركنا شيئاً إلا وقد كتبناه في أُم الكتاب.

وأخرج عبد الرزاق، وأبو الشيخ، عَنْ قتادة[(٦)] نحوه.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن ابن عباس[(٧)] في قوله: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ قال: موت البهائم حَشْرُها، وفي لفظ[(٨)] قال: يعني بالحشر: الموت.

وأخرج عبد الرزاق، وأبو عبيد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، عن أبي هريرة[(٩)] قال: «ما من دابةٍ ولا طائر إلا سيُحشر يوم القيامة، ثم يُقتصّ لبعضها مِنْ بعض، حتى يقتص للجلحاء من ذات القرن، ثم يقال

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢٣٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٨٥ رقم ٧٢٥٦) عن مجاهد بسند صحيح.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٢٠٨)، وابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢٣٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٨٥ رقم ٧٢٥٧) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢٣٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٨٦ رقم ٧٢٥٨) بسند حسن.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢٣٣ ـ ٢٣٤) بسند حسن.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢٣٤) بسند صحيح.

(٦) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٢٠٧) بسند صحيح.

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٨٦ رقم ٧٢٦١) بسند حسن.

(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢٣٥) بسند ضعيف.

(٩) تقدم تخريجه. وهو حديث صحيح.

لها: كوني تراباً، فعند ذلك يقول الكافر: ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾ [النبأ: ٤٠] وإن شئتم فاقرءوا: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمّٞ وَبُكۡمٞ﴾ الآية».

وأخرج ابن جرير[1]، عن أبي ذرّ قال: انتطحت شاتان عند النبيّ ﷺ فقال لي: «يا أبا ذرّ أتدري فيم انتطحتا؟ قلتُ: لا. قال: لكنّ الله يدري وسيقضي بينهما» قال أبو ذرّ: ولقد تركنا رسولُ الله ﷺ، وما يُقلّب طائر جناحيه في السماء إلّا ذكر لنا مِنْه علماً.

وأخرجه أيضاً أحمد[2].

وفي «صحيح مسلم»[3] أن رسول الله ﷺ قال: «لتؤدّنّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يُقاد للشاة الجلحاء مِنْ الشاة القرناء».

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوۡ أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوۡنَ مَا تُشۡرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

قوله: ﴿أَرَءَيۡتَكُمۡ﴾ الكاف والميم عند البصريين[4] للخطاب، ولا حظ لهما في الإعراب، وهو اختيار الزجّاج[5].

وقال الكسائي[6] والفرّاء[7] وغيرهما: إن الكاف والميم في محل نصب بوقوع الرؤية عليهما.

والمعنى: أرأيتم أنفسكم.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢٣٦). وهو حديث صحيح. وقد تقدم.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٥/ ١٦٢). وقد تقدم.

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (٦٠/ ٢٥٨٢) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٨/ ٣٧٥).

(٥) في «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٤٦).

(٦) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ٦٦).

(٧) في «معني القرآن» للفراء (١/ ٣٣٣).

قال في «الكشاف»[(١)] مرجحاً للمذهب الأوّل: إنه لا محل للضمير الثاني؛ يعني: الكاف من الإعراب؛ لأنك تقول: أرأيتك زيداً ما شأنه، فلو جعلت للكاف محلّاً لكنت كأنك تقول: أرأيت نفسك زيداً ما شأنه؟ وهو خُلْف من القول. انتهى.

والمعنى: أخبروني ﴿إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ﴾ كما أتى غيركم من الأمم ﴿أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾؛ أي: القيامة ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ﴾ هذا على طريقة التبكيت والتوبيخ[(٢)]؛ أي: أتدعون غير الله في هذه الحالة من الأصنام التي تعبدونها، أم تدعون الله سبحانه.

وقوله: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ تأكيد لذلك التوبيخ[(٣)]؛ أي: أغير الله من الأصنام تدعون إن كنتم صادقين أن أصنامكم تضرّ وتنفع، وأنها آلهة كما تزعمون.

قوله: ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾ معطوف على منفيّ مقدّر؛ أي: لا تدعون غيره؛ بل إياه [٢/٧٦] تخصّون بالدعاء ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾؛ أي: فيكشف عنكم ما تدعونه إلى كشفه إن شاء أن يكشفه عنكم، لا إذا لم يشأ ذلك.

قوله: ﴿وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾؛ أي: وتنسون عند أن يأتيكم العذاب ما تشركون به تعالى؛ أي: ما تجعلونه شريكاً له من الأصنام ونحوها فلا تدعونها، ولا ترجون كشف ما بكم منها؛ بل تعرضون عنها إعراض الناس.

وقال الزجاج[(٤)]: يجوز أن يكون المعنى: وتتركون ما تشركون.

قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ كلام مبتدأ مسوق[(٥)] لتسلية النبي ﷺ؛ أي: ولقد أرسلنا إلى أممٍ كائنة من قبلك رسلاً فكذبوهم ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾؛ أي: البؤس والضرّ.

وقيل: البأساء: المصائب في الأموال، والضراء: المصائب في الأبدان، وبه قال الأكثر.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾؛ أي: يدعون الله بضراعة، مأخوذ مِنْ الضراعة وهي:

---

(١) (٢/٣٤٤).

(٢) ذكره أبو السعود في «تفسيره» (٣/ ٤٥ ـ ٤٦).

(٣) في «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٤٧).

(٤) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٣٧٦)، و«جامع البيان» (٩/ ٢٤٢).

(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٨/ ٣٧٧).

الذّل، يقال: ضرع فهو ضارع، ومِنْه قول الشاعر[١]:

لِيُبكَ يزيدُ ضارعٌ لخصومة ومختبطٌ مما تُطيح الطوائحُ

قوله: ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟﴾؛ أي: فهلا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا لكنهم لم يتضرعوا، وهذا عتاب لهم على ترك الدعاء[٢] في كل الأحوال حتى عند نزول العذاب بهم لشدة تمرّدهم وغلوّهم في الكفر، ويجوز أن يكون المعنى: أنهم تضرّعوا عند أن نزل بهم العذاب، وذلك تضرّع ضروري لم يصدر عن إخلاص، فهو غير نافع لصاحبه.

والأول أولى، كما يدل عليه ﴿وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾؛ أي: صَلُبت وغَلُظت ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: أغوالهم بالتصميم على الكفر والاستمرار على المعاصي.

قوله: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾؛ أي: تركوا ما ذُكروا به، أو أعرضوا عما ذكروا به؛ لأن النسيان لو كان على حقيقته لم يؤاخذوا به، إذ ليس هو من فعلهم، وبه قال ابن عباس[٣]، وابن جريج[٤]، وأبو علي الفارسي[٥].

والمعنى: أنهم لما تركوا الاتعاظ بما ذُكروا به من البأساء والضرّاء وأعرضوا عن ذلك ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾؛ أي: لما نسوا ما ذكروا به استدرجناهم بفتح أبواب كل نوع من أنواع الخير عليهم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟﴾ من الخير على أنواعه، فرحُ بطرٍ وأشر، وأعجبوا بذلك، وظنوا أنهم إنما أعطوه لكون كفرهم الذي هم عليه حقاً وصواباً ﴿أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾؛ أي: فجأةً وهم غير مترقبين لذلك. والبغتةُ: الأخذ على غِرّة من غير تقدمة أمارة، وهي مصدر في موضع الحال، لا يقاس عليها

---

(١) وهو: نهشل بن حرِّي، شاعر إسلامي. ونسب لغيره.
«شرح أبيات مغني اللبيب» (٧/ ٢٩٥ رقم ٨٤٩ ـ البغدادي)، و«المقتضب» (٢/ ٢٨٢)، و«الكتاب» (١/ ١٤٥، ١٨٣).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٣٧٨)، و«جامع البيان» (٩/ ٢٤٣).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢٤٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٩٠ رقم ٧٢٨٢) بسند صحيح.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢٤٤) بسند حسن.

(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٨/ ٣٧٩)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٦٢ ـ ٦٣).

عند سيبويه(١).

قوله: ﴿فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ المبلس: الحزين الآيس من الخير لشدّة ما نزل به من سوء الحال، ومن ذلك اشتق اسم إبليس، يقال: أبلس الرجل إذا سكت، وأبلست الناقة إذا لم تَرْغُ. قال العجاج(٢):

صاح هل تعرفُ رسماً مُكْرَساً قال نعم أعرِفه وأبْلَسَا

أي: تحير لهول ما رأى، والمعنى: فإذا هم محزونون متحيرون آيسون من الفرح.

قولُه: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ۚ﴾ الدابر: الآخر، يقال: دَبَر القومُ يَدْبُرهم دَبْراً: إذا كان آخرهم في المجيء، والمعنى: أنه قطع آخرهم؛ أي: استُؤصلوا جميعاً حتى آخرهم. قال قطرب: يعني: أنهم استؤصلوا وأهلكوا. قال أمية بن أبي الصلت(٣):

فأُهلكوا بعذابٍ حَصّ دابرَهم فما استطاعوا له صَرْفاً ولا انتصروا

ومنه التدبير(٤)؛ لأنه إحكام عواقب الأمور.

قوله: ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ أي: على هلاكهم، وفيه تعليم للمؤمنين كيف يحمدونه سبحانه عند نزول النعم التي من أجلها هلاك الظلمة الذين يفسدون في الأرض، ولا يُصلحون، فإنّهم أشدّ على عباد الله من كل شديد، اللَّهُمَّ أَرحْ عبادك المؤمنين من ظلم الظالمين، واقطع دابرهم، وأبدلهم بالعدل الشامل لهم.

وقد أخرج أبو الشيخ(٥)، عن سعيد بن جبير، في قوله: ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ قال: خوف السلطان وغلاء السِّعر.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس(٦) في قوله: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ قال: يعني: تركوا ما ذكروا به.

---

(١) في «الكتاب» (١/ ٣٧٠ ـ ٣٧١). (٢) انظر: «ديوان العجاج» (ص١٥٦).

(٣) انظر: «ديوان أمية بن الصلت» (ص٨٠).

(٤) ذكره القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٣٨٢).

(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٢٦٨).

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢٤٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٩٠ رقم ٧٢٨٢) بسند صحيح.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، عن ابن جُريج[1] ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ قال: ما دعاهم الله إليه ورسلُه، أبوه وردّوه عليهم.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن مجاهد[2] في قوله: ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ قال: رخاء الدنيا ويسرها.

وأخرج عبد الرزاق، وابن جرير، وابن أبي حاتم، عن قتادة[3] نحوه.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن السدي[4]، في قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ﴾ قال: مِنْ الرزق ﴿أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ قال: مُهلَكون متغيّر حالهم ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ يقول: فقطع أصل الذين ظلموا.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن محمد بن النضر[5] الحارثي في قوله: ﴿أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾ قال: أُمهلوا عشرين سنة. ولا يخفى أن هذا مخالف لمعنى البغتة لغةً ومحتاج إلى نقل عن الشارع، وإلا فهو كلام لا طائل تحته.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن ابن زيد[6] قال: المُبْلِس المجهودُ المكروب الذي قد نزل به الشرّ الذي لا يدفعه، والمبلس أشدّ مِنْ المستكين، وفي قوله: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ قال: استؤصلوا.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢٤٤) بسند حسن.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢٤٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٩٠ رقم ٧٢٨٥) بسند صحيح.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٢٠٩)، وابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢٤٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٩٠ رقم ٧٢٨٦) بسند صحيح.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢٤٥، ٢٤٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٩١ رقم ٧٢٩٠) بسند حسن.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢٤٦ ـ ٢٤٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٩٢ رقم ٧٢٩٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٢٢٠) بسند صحيح.

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢٤٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٩٢ رقم ٧٣٠١) بسند صحيح.

[بيان عجزهم أمام بأس الله من جانب، مع بيان حقيقة ما يشركون به من دون الله]:

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

هذا تكرير للتوبيخ(١) لقصد تأكيد الحجة عليهم، ووحّد السمع لأنه مصدر يدل على الجمع بخلاف البصر، ولهذا جَمعه، والختم: الطبعُ، وقد تقدّم تحقيقه في البقرة.

والمراد: أخذ المعاني القائمة بهذه الجوارح أو أخذ الجوارح نفسها.

والاستفهام في ﴿مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ﴾ للتوبيخ، «ومَنْ» مبتدأ(٢).

و«إلٰه» خبره، و«غير الله» صفة للخبر، ووحّد الضمير في «به» مع أن المرجع متعدد على معنى: فمن يأتيكم بذلك المأخوذ [٢/٧٧] أو المذكور، وقيل: الضمير راجع إلى أحد هذه المذكورات.

وقيل: إن الضمير بمنزلة اسم الإشارة؛ أي: يأتيكم بذلك المذكور. ثم أمر رسول الله ﷺ بالنظر في تصريف الآيات، وعدم قبولهم لها تعجيباً له من ذلك. والتصريف: المجيءُ بها على جهات مختلفة، تارة إنذار وتارة إعذار، وتارة ترغيب، وتارة ترهيب.

وقوله: ﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ عطف على نُصرِّف، ومعنى يصدفون: يُعرضون، يقال: صدف عن الشيء: إذا أعرض عنه صَدْفاً وصُدُوفاً.

قوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: أخبروني عن ذلك، وقد تقدّم تفسير البغتة قريباً أنّها الفجأة.

قال الكسائي(٣): بغتهم يبغتُهم بَغْتاً وبغتةً: إذا أتاهم فجأة؛ أي: من دون تقديم مقدّمات تدل على العذاب.

---

(١) «تفسير أبي السعود» (٣/ ٤٥)، و«روح المعاني» (٨/ ١٦٦).

(٢) «روح المعاني» (٨/ ١٦٧)، و«البحر المحيط» (٤/ ٥١٠).

(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٨/ ٣٨٤)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٦٧).

والجهرة: أن يأتي العذاب بعد ظهور مقدمات تدل عليه؛ وقيل: البغتة: إتيان العذاب ليلاً، والجهرة: إتيان العذاب نهاراً كما في قوله تعالى: ﴿بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا﴾ [يونس: ٥٠].

﴿هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ الاستفهام للتقرير؛ أي: ما يَهْلك هلاك تعذيب وسخطٍ إلا القوم الظالمون.

وقرئ[1]: «يُهلك» على البناء للفاعل.

قال الزجاج[2]: معناه: هل يُهلك إلا أنتم ومن أشبهكم[3]؟ انتهى.

قوله: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ كلام مبتدأ؛ لبيان الغَرَض من إرسال الرسل؛ أي: مبشرين لمن أطاعهم بما أعدّ الله له من الجزاء العظيم، ومنذرين لمن عصاهم بما له عند الله من العذاب الوبيل.

وقيل: مبشرين في الدنيا بسعة[4] الرزق، وفي الآخرة بالثواب، ومنذرين[5] مخوّفين بالعقاب، وهما حالان مقدرّتان؛ أي: ما نرسلهم إلا مقدّرين تبشيرهم وإنذارهم.

﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ﴾؛ أي: آمن بما جاءت به الرسل ﴿وَأَصْلَحَ﴾ حال نفسه بفعل ما يدعونه إليه، ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ بوجه من الوجوه ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ بحال من الأحوال.

هذا حال مَنْ آمن وأصلح، وأما حال المكذبين فهو أنه يمسّهم العذاب بسبب فسقهم؛ أي: خروجهم عن التصديق والطاعة.

وقد أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن ابن عباس[6] في قوله: ﴿يَصْدِفُونَ﴾ قال: يَعْدِلون.

---

(١) «البحر المحيط» (٤/ ٥١٧)، و«المحرر الوجيز» (٦/ ٥٣)، و«روح المعاني» (٨/ ١٦٩). وهي قراءة شاذة عزاها في «البحر المحيط» (٤/ ٥١٧) لابن محيصن.

(٢) في «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٥٠).

(٣) وتمام العبارة: لأنكم كفرتم مُعاندين، فقد علمتم أنكم ظالمون.

(٤) قاله الحسن كما في «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٣٨٤).

(٥) «جامع البيان» (٩/ ٢٥٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٣٨٤).

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢٥٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٩٤ رقم ٧٣١٠) بسند صحيح.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن مجاهد[(١)]، في قوله: ﴿يَصْدِفُونَ﴾ قال: يُعْرضون، وقال في قوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَنكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً﴾ قال: فجأة آمنين، أو جهرةً، قال: وهم ينظرون.

وأخرج ابن جرير[(٢)]، عن ابن زيد قال: كل فسق في القرآن فمعناه: الكذِبُ.

[مواجهة المشركين بحقيقة الرسالة، وطبيعة الرسول]:

﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾.

أمره الله سبحانه بأن يخبرهم لما كثر اقتراحُهم عليه، وتعنّتهم بإنزال الآيات التي تضطرهم إلى الإيمان، أنه لم يكن عنده خزائن الله حتى يأتيَهم بما اقترحوه من الآيات، والمراد: خزائن قُدرته التي تشتمل على كل شيء من الأشياء، ويقول لهم: إنّه لا يعلم الغيبَ حتى يخبرهم به ويعرّفهم بما سيكون في مستقبل الدهر ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾ حتى تُكلِّفوني من الأفعال الخارقة للعادة ما لا يطيقه البشر، وليس في هذا ما يدل على أن الملائكة أفضل مِنْ الأنبياء.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (ص٢٥٣، ٢٥٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٩٤ رقم ٧٣١) بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢٥٥) بسند صحيح.

وقد اشتغل بهذه المفاضلة قوم من أهل العلم، ولا يترتب على ذلك فائدة دينية ولا دُنيوية. بل الكلام في مثل هذا مِنْ الاشتغال بما لا يعني، «ومِنْ حسن إسلام المرء تَركه ما لا يَعْنيه»[١].

﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾؛ أي: ما أتبع إلا ما يوحيه الله إليّ. وقد تمسّك بذلك مَنْ لم يثبت اجتهاد الأنبياء عملاً بما يفيده القصر في هذه الآية، والمسألة مدوّنة في الأصول[٢] والأدلة عليها معروفة.

وقد صحَّ عنه ﷺ أنه قال: «أوتيتُ القرآن ومثلَه معه»[٣].

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ هذا الاستفهام للإنكار، والمراد: أنه لا يستوى الضالّ والمهتدي، أو المسلم والكافر أو مَنْ اتبع ما أوحي إليه ومن لم يتبعه، والكلام تمثيل: ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ في ذلك حتى تعرفوا عدم الاستواء بينهما، فإنّه بيّن لا يلتبس على مَنْ له أدنى عقل، وأقلّ تفكر.

قوله: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ الإنذار: الإعلام، والضمير في «به» راجع إلى ﴿مَا يُوحَىٰٓ﴾؛ وقيل: إلى الله؛ وقيل: إلى اليوم الآخر.

وخص الذين يخافون أن يحشروا؛ لأن الانذار يؤثِّر فيهم لما حلّ بهم من الخوف، بخلاف مَنْ لا يخاف الحشر من طوائف الكفر لجحوده به وإنكاره له، فإنه لا يؤثر فيه ذلك.

قيل: ومعنى يَخافون: يعلمون[٤] ويتيقنون أَنّهم محشورون، فيشمل كل من آمن بالبعث من المسلمين، وأهل الذمة، وبعض المشركين.

وقيل: معنى الخوف على حقيقته، والمعنى: أنه يُنذر به مَنْ يظهر عليه الخوف مِنْ الحشر عند أن يسمع النبي ﷺ يذكره، وإن لم يكن مصدقاً به في الأصل، لكنه

---

(١) أخرجه الترمذي في «السنن» رقم (٢٣١٧)، وابن ماجه في «السنن» رقم (٣٩٧٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وهو حديث صحيح.

(٢) «إرشاد الفحول» (ص٨٣٣ ـ ٨٣٤) ط. دار ابن كثير.
«البحر المحيط» (٦/ ٢١٤)، و«شرح الكوكب المنير» (٤/ ٤٧٤).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٤/ ١٣١)، وأبو داود في «السنن» رقم (٤٦٠٤). وهو حديث حسن.

(٤) ذكره ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢٥٨).

يخاف أن يصح ما أخبر به النبي ﷺ، فإن من كان كذلك تكون الموعظة فيه أنجع والتذكير له أنفع.

قوله: ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ الجملة في محل[1] نصب على الحال؛ أي: أنذر به هؤلاء الذين يَخافون الحشرَ حال كونهم لا وليّ لهم يواليهم ولا نصير يناصرهم، ولا شفيع يشفع لهم من دون الله، وفيه ردّ على مَنْ زعم من الكفار المعترفين بالحشر أن آباءهم يشفعون لهم، وهم أهل الكتاب، أو أن أصنامهم تشفع لهم، وهم المشركون.

قوله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ [٢/ ٧٨] وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ الدعاء: العبادة مطلقاً؛ وقيل: المحافظة على صلاة الجماعة؛ وقيل: الذكر وقراءة القرآن؛ وقيل: المراد الدعاء لله بجلب النفع ودفع الضرر. قيل: والمراد بذكر الغداة والعشيّ: الدوام على ذلك والاستمرار؛ وقيل: هو على ظاهره، و﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ في محل[2] نصب على الحال.

والمعنى: أنهم مُخْلصون[3] في عبادتهم لا يريدون بذلك إلا وجه الله تعالى؛ أي: يتوجهون بذلك إليه لا إلى غيره.

قولُه: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ﴾ هذا كلام معترض بين النهي وجوابه، متضمن لنفي الحامل على الطرد؛ أي: حساب[4] هؤلاء الذين أردتَ أن تطردهم موافقة لمن طلب ذلك منك هو على أنفسهم ما عليك منه شيء، وحسابُك على نفسك ما عليهم منه شيء فعلام تطردهم؟ هذا على فرض صحة وصف مَنْ وصفهم بقوله: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾ [هود: ٢٧] وطعن عندك في دينهم وحسبهم، فكيف وقد زكاهم الله ﷻ بالعبادة والإخلاص؟! وهذا هو مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤،

---

(١) «البحر المحيط» (٤/ ٥٢٠)، و«روح المعاني» (٨/ ١٧٦).
(٢) «التبيان» (١/ ٤٩٨)، و«البحر المحيط» (٤/ ٥٢٢).
(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٨/ ٣٨٨).
(٤) «جامع البيان» (٩/ ١٦٩ ـ ١٧٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٣٩٠)، و«تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٦/ ٤٢).

الإسراء: ١٥، فاطر: ١٨، النور: ٧] وقوله: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٩]، وقوله: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي﴾ [الشعراء: ١١٣].

قوله: ﴿فَتَطْرُدَهُمْ﴾ جواب النفي في قوله: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ وهو مِنْ تمام الاعتراض؛ أي: إذا كان الأمر كذلك فأقبل عليهم، وجالسهم ولا تطردهم مراعاةً لحق من ليس على مثل حالهم في الدين والفضل، و«مِنْ» في ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ للتبعيض[1]، والثانية للتوكيد. وكذا في ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ﴾.

قولُه: ﴿فَتَكُونَ مِنَ الظَّٰلِمِينَ﴾ جواب[2] للنهي أعني: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾؛ أي: فإن فعلت ذلك كنت من الظالمين، وحاشاه عن وقوع ذلك. وإنما هو مِنْ باب التعريض لئلا يفعل ذلك غيره ﷺ من أهل الإسلام؛ كقوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥]. وقيل: إن ﴿فَتَكُونَ مِنَ الظَّٰلِمِينَ﴾ معطوف على ﴿فَتَطْرُدَهُمْ﴾ على طريق التسببِّ، والأوّل أولى.

قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾؛ أي: مثل ذلك الفتن العظيم فتنّا بعض الناس ببعض.

والفتنةُ: الاختبار[3]؛ أي: عاملناهم معاملة المختبرين.

واللّام في ﴿لِّيَقُولُوٓا﴾ للعاقبة[4]؛ أي: ليقول البعض الأوّل مشيرين إلى البعض الثاني: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ الذين ﴿مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾؛ أي: أكرمهم بإصابة الحق دوننا. قال النحاس[5]: وهذا من المشكل؛ لأنه يقال: كيف فُتنوا ليقولوا هذا القول؟ وهو إن كان على طريقة الإنكار كفر، وأجاب بجوابين:

الأوّل: أن ذلك واقع منهم على طريقة الاستفهام لا على سبيل الإنكار.

والثاني: أنهم لما اختُبروا بهذا كان عاقبته هذا القول منهم كقوله: ﴿فَالْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨].

---

(١) «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٦٨)، و«التبيان» (١/ ٤٩٩)، و«البحر المحيط» (٤/ ٥٢٣).
(٢) «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٥٢)، و«معاني القرآن» للنحاس (٢/ ٤٣٠).
(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٣٩٢)، و«جامع البيان» (٩/ ٢٧٠).
(٤) «روح المعاني» (٨/ ١٨٦)، و«التبيان» (١/ ٤٩٩).
(٥) في «إعراب القرآن» (٢/ ٦٨).

قولُه: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ هذا الاستفهام للتقرير[١].

والمعنى: أن مرجع الاستحقاق لنعم الله سبحانه هو الشكر، وهو أعلم بالشاكرين له، فما بالكم تعترضون بالجهل وتنكرون الفضل.

قولُهُ: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ هم الذين نهاه الله عَنْ طردهم وهم المستضعفون من المؤمنين؛ كما سيأتي بيانه.

﴿فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ أمره الله بأن يقول لهم هذا القول تطييباً لخواطرهم، وإكراماً لهم. والسلام، والسلامة: بمعنى واحد، فمعنى سلام عليكم: سلّمكم الله.

وقد كان النبي ﷺ بعد نزول هذه الآية إذا رآهم بدأهم[٢] بالسلام؛ وقيل: إن هذا السلام هو من جهة الله؛ أي: أبلغهم منا السلام[٣].

قوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾؛ أي: أوجب ذلك إيجاب فضل وإحسان؛ وقيل: كتب ذلك في اللوح المحفوظ. قيل: هذا من جملة ما أمره الله سبحانه بإبلاغه إلى أولئك الذين أمره بإبلاغ السلام إليهم تبشيراً بسعة مغفرة الله، وعظيم رحمته.

قوله: ﴿أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ﴾ قرأ ابن عامر[٤]، وعاصم، ونافع بفتح أنَّ من أنه.

وقرأ الباقون[٥] بكسرها. فعلى القراءة الأولى: تكون هذه الجملة بدلاً من الرحمة؛ أي: كتب ربكم على نفسه أنه من عمل... إلى آخره.

وعلى القراءة الثانية: تكون هذه الجملة مفسِّرة للرحمة بطريق الاستئناف، وموضع بجهالة النصب على الحال؛ أي: عمله وهو جاهل.

قيل: والمعنى: أنه فَعل فِعل الجاهلين؛ لأن مَنْ عمل ما يؤدي إلى الضرر في

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٨/ ٣٩٢).

(٢) «زاد المسير» (٣/ ٤٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٣٩٣).

(٣) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» عن ابن زيد.

(٤) «جامع البيان» (٩/ ٢١٤)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٢٣)، و«البحر المحيط» (٤/ ٥٢٨)، و«النشر» (٢/ ٢٥٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٣٩٤)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٦٩). هما قراءتان متواترتان، ومع مَنْ يفتح كذلك أبو جعفر ويعقوب.

(٥) انظر: المصادر المتقدمة.

العاقبة مع علمه بذلك أو ظنه، فقد فُعل فِعل أهل الجهل، والسّفَه، لا فعل أهل الحكمة، والتدبير.

وقيل: المعنى: أنه عمل ذلك وهو جاهل لما يتعلق به مِن المضّرة، فتكون فائدة التقييد بالجهالة الإيذان بأن المؤمن لا يباشر ما يعلم أَنَّه يؤدي إلى الضرر.

قوله: ﴿ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾؛ أي: من بعد عمله ﴿وَأَصۡلَحَ﴾ ما أفسده بالمعصية، فراجع الصواب وعمل الطاعة ﴿فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾. قرأ ابن عامر، وعاصم، بفتح[1] الهمزة من «فإنه»، وقرأ الباقون[1] بالكسر. فعلى القراءة الأولى تكون أن وما بعدها خبر مبتدأ محذوف؛ أي: فأمره أنّ الله غفور رحيم، وهذا اختيار سيبويه[2]، واختار أبو حاتم[3] أن الجملة في محل رفع على الابتداء، والخبر مضمر؛ كأنه قيل: فله ﴿فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ قال: لأن المبتدأ هو ما بعد الفاء. وأما على القراءة الثانية: فالجملة مستأنفة.

قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾؛ أي: مثل ذلك التفصيل نفصّلها، والتفصيل: التبيينُ، والمعنى: أن الله فصّل لهم ما يحتاجون إليه مِنْ أمر الدين، وبيَّن لهم حكم كل طائفة.

قولُه: ﴿وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾.

قال الكوفيون[4]: هو معطوف على مقدّر؛ أي: وكذلك نفصل الآيات لنبين لكم، ولتستبين قال النحاس: وهذا الحذف لا يحتاج إليه.

وقيل: إن دخول الواو للعطف على المعنى. قرئ[5]: «لتستبين» بالفوقية والتحتية، فالخطاب على الفوقية للنبي ﷺ؛ أي: لتستبين يا محمد سبيل المجرمين، وسبيلُ منصوب على قراءة نافع.

---

(١) «البحر المحيط» (٤/٥٢٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/٣٩٥)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/٤٣٣)، و«النشر» (٢/٢٥٨)، و«جامع البيان» (٩/٢٧٤)، و«الحجة» للفارسي (٣/٣١١ ـ ٣١٢). وهما متواترتان، ومع مَنْ يفتح كذلك يعقوب «تخريج القراءات في فتح القدير» (ص١٢٠).

(٢) «الكتاب» (٣/١٣٤).

(٣) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٢/٦٩).

(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٨/٣٩٦)، والنحاس في «إعراب القرآن» (٢/٧٠).

(٥) «جامع البيان» (٩/٢٧٦)، و«المبسوط» (ص١٩٥)، و«زاد المسير» (٣/٥٠)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/٤٣٣)، و«النشر» (٢/٢٥٨)، و«البحر المحيط» (٤/٥٢٩).

وأما على قراءة ابن كثير[١]، وأبي عمرو، وابن عامر، وحفص بالرفع، فالفعل مُسند إلى سبيل وأما على التحتية فالفعل مسند إلى سبيل أيضاً، وهي قراءة حمزة والكسائي وشعبة بالرفع، وإذا استبان سبيل المجرمين فقد استبان سبيل المؤمنين.

وقد أخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن قتادة[٢] في قوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ قال: الأعمى الكافر، الذي عَمِي عن حق الله وأمره ونِعمه عليه، والبصير: العبدُ المؤمن، الذي أبصر بصراً نافعاً [٢/٧٨] فوحّد الله وحده، وعمل بطاعة ربه، وانتفع بما أتاه الله.

وأخرج أحمد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وأبو الشيخ، وابن مردويه، وأبو نعيم في «الحلية»، عن عبد الله بن مسعود[٣]: قال: مرّ الملأ مِنْ قريش على النبي ﷺ، وعنده صهيب، وعمّار، وبلال، وخبّاب ونحوهم مِنْ ضعفاء المسلمين، فقالوا: يا محمد أرضيتَ بهؤلاءِ مِنْ قومك ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾ أنحن نكون تبعاً لهؤلاء! أطردهم عنا، فلعلك إن طردتهم أن نتبعك، فأنزل الله فيهم القرآن: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وقد أخرج هذا السبب مطوّلاً ابن جرير، وابن المنذر، عن عكرمة[٤]، وفيه: إن الذين جاءوا إلى النبيّ ﷺ عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وقرظة بن عبد، وعَمْرو بن نوفل، والحارث بن عامر بن نوفل، ومُطعِم بن عدي بن الخيار بن نوفل في أشراف الكفار مِنْ عبد مناف.

---

(١) انظر: المصادر المتقدمة. قراءة «لتستبينَ» بالفوقية، والتحتية، قراءتان متواترتان فالتحتية عن الكوفيين عدا حفص، والفوقية الباقين. وكذلك قراءة «سبيل» بالرفع والنصب متواترتان، فالرفع عند الجمهور والنصب عند نافع وأبي جعفر.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/٢٥٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/١٢٩٦ رقم ٧٣٢٥) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/٢٥٨ ـ ٢٥٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٩٩ رقم ٧٣٤٢)، وأحمد (٧/٩٢)، والطبراني رقم (١٠٥٢٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/٣٤٦) بسند حسن.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/٢٦٢ ـ ٢٦٣) مرسلاً بسند ضعيف.

وأخرجه ابن أبي شيبة، وابن ماجه، وأبو يعلى، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وأبو الشيخ، وابن مردويه، وأبو نعيم في «الحلية»، والبيهقي في «الدلائل»، عن خَبّاب[1] قال: جاء الأقرع بن حابس التميمي، وعُيينة بن حصن الفزاري، فذكر نحو حديث عبد الله بن مسعود مطوّلاً. قال ابن كثير: هذا حديثٌ غريب، فإن هذه الآية مكية، والأقرع وعُيينة إنما أسلما بعد الهجرة بدهر.

وأخرج مسلم، والنسائي، وابن ماجه، وغيرهم، عن سعد بن أبي وقاص[2] قال: لقد نزلت هذه الآية في ستةٍ: أنا وعبد الله بن مسعود، وبلال، ورجل من هذيل، ورجلان لست أسميهما، فقال المشركون للنبي ﷺ: اطرد هؤلاءِ عنك لا يجترئون علينا، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع، فحدّث نفسه، فأنزل الله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾. وقد روي في بيان السبب روايات موافقة لما ذكرنا في المعنى.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس[3] في قوله: ﴿بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ قال: يعني: الصلاة المكتوبة.

وأخرج ابنُ جرير، وابن أبي حاتم، عَنْ مجاهد[4] قال: الصلاة المكتوبة الصبح والعصر.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١٢/ ٢٠٧، ٢٠٨)، وابن ماجه رقم (٤١٢٧)، وأبو يعلى كما في «المطالب العالية» رقم (٣٩٧٧)، وابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢٥٩ ـ ٢٦١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٩٧، ١٣٠٠ رقم ٧٣٣١، ٧٣٤٦)، والطبراني رقم (٣٦٩٣)، وأبو نعيم في «الحلية»، والبيهقي في «الدلائل» (١/ ٣٥٢، ٣٥٣). وهو حديث صحيح.

(٢) أخرجه مسلم رقم (٢٤١٣)، والنسائي في «الكبرى» رقم (٨٢٢٠)، وابن ماجه رقم (٤١٢٨)، وابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢٦٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٩٨ بإثر رقم ٧٣٣١)، وابن حبان رقم (٦٥٧٣)، والحاكم (٣/ ٣١٩)، وأبو نعيم (١/ ٣٤٦)، والبيهقي (١/ ٣٥٣)، وعبد بن حميد في «مسنده» رقم (١٣١ ـ المنتخب). وهو حديث صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢٦٣ ـ ٢٦٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٩٨ رقم ٧٣٣٣) بسند صحيح.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢٦٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٩٨، ١٢٩٩ رقم ٧٣٣٦، ٧٣٣٧) بسند صحيح.

الشيخ، عن إبراهيم النخعي[١] في الآية قال: هم أهل الذكر لا تطردهم عن الذكر. قال سفيان: أي: أهل الفقه.

وأخرج ابنُ جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس[٢] في قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾؛ يعني: أنه جعل بعضَهم أغنياء وبعضهم فقراء، فقال الأغنياء للفقراء: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾؛ يعني: أهؤلاء هداهم الله، وإنما قالوا ذلك استهزاءً وسخرية.

وأخرج ابن المنذر[٣] عن ابن جريج ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾؛ أي: لو كان لهم كرامة على الله ما أصابهم هذا الجَهْد.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن ماهان[٤] قال: أتى قومٌ النبي ﷺ، فقالوا: إنا أصبنا ذنوباً عظاماً. فما ردّ عليهم شيئاً فانصرفوا، فأنزل الله: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ الآية، فدعاهم فقرأها عليهم.

وأخرج ابن المنذر[٥]، عن ابن جريج، قال: أُخبرت أن قوله: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ كانوا إذا دخلوا على النبي ﷺ بدأهم بالسلام، فقال: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ وإذا لقيهم فكذلك أيضاً.

وأخرج عبد الرزاق، وابن جرير، عن قتادة[٦] في قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ﴾ قال: نُبيّن الآيات.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن ابن زيد[٧] في قوله: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ قال: الذين يأمرونك بطرد هؤلاء.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٩٨ رقم ٧٣٣٤) بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢٧١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٩٩ رقم ٧٣٤١) بسند صحيح.

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٢٧٥).

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢٧٢ ـ ٢٧٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٠٠ رقم ٧٣٤٥) مرسلاً بسند ضعيف.

(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٢٧٦).

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢٧٧)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٢١٧) بسند صحيح.

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢٧٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٠٢ =

[حقيقة توحيد الألوهية]:

﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾.

قوله: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ﴾ أمره الله سبحانه أَنْ يعود إلى مخاطبة الكفار، ويخبرهم بأنه نهى عن عبادة ما يدعونه ويعبدونه من دون الله؛ أي: نهاه الله عن ذلك وصرفه وزجره، ثم أمره سبحانه بأن يقول لهم: ﴿لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ﴾؛ أي: لا أسلك المسلك الذي سلكتموه في دينكم، مِنْ اتباع الأهواء، والمشي على ما توجبه المقاصد الفاسدة التي يتسبب عنها الوقوع في الضلال.

قولُه: ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا﴾؛ أي: إن اتبعت أهواءكم فيما طلبتموه من عبادة معبوداتكم، وطرد مَنْ أردتم طرده ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ إن فعلت ذلك، وهذه الجملة الاسمية معطوفة على الجملة التي قبلها، والمجيء بها اسمية عقب تلك الفعلية للدلالة على الدوام والثبات.

وقُرِئ: ﴿ضَلَلْتُ﴾ بفتح اللام[١] وكسرها وهما لغتان. قال أبو عمرو: ضَلِلتُ بكسر اللام لغة تميم، وهي قراءة ابن وثّاب[٢] وطلحة بن مُصِّرف.

والأولى[٣] هي الأصح والأفصح؛ لأنها لغة أهل الحجاز، وهي قراءة الجمهور.

= رقم (٧٣٥٧) بسند صحيح.

(١) «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٧٠)، و«البحر المحيط» (٤/ ٥٣٠)، و«جامع البيان» (٩/ ٢٧٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٣٩٧).

(٢) «القراءات الشاذة» (ص٣٧)، و«البحر المحيط» (٤/ ٥٣٠)، و«جامع البيان» (٩/ ٢٧٨). فتح اللّام هي القراءة المتواترة والكسر قراءة شاذة.

(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٨/ ٣٩٧).

قال الجوهري[(١)]: والضلال والضلالة ضدّ الرشاد، وقد ضَلَلْتُ أضِلّ، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى﴾ [سبأ: ٥٠] قال: فهذه يعني المفتوحة لغة نجد وهي الفصيحة، وأهل العالية يقول: ضَلِلتُ بالكسر أضلّ. انتهى.

قولُه: ﴿قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى﴾ البيّنة: الحُجة والبرهان؛ أي: إني على برهان من ربي ويقين، لا على هوى وشك. أمره الله سبحانه بأن يبين لهم أن ما هو عليه من عبادة ربه هو عن حجة برهانية يقينية، لا كما هم عليه من اتباع الشبه الداحضة، والشكوك الفاسدة التي لا مستند لها إلا مُجرّد الأهوية الباطلة.

قوله: ﴿وَكَذَّبْتُم بِهِۦ﴾؛ أي: بالربّ، أو بالعذاب، أو بالقرآن، أو بالبينة، والتذكير للضمير باعتبار المعنى. وهذه الجملة إما حالية[(٢)] بتقدير قد؛ أي: والحال أن قد كذبتم به، أو جملة مستأنفة مبينة لما هم عليه من التكذيب بما جاء به رسول الله ﷺ مِنْ الحجج الواضحة والبراهين البينة.

قوله: ﴿مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ﴾ أخبرهم بأنه لم يكن عنده ما يتعجلونه من العذاب، فإنهم كانوا لفرط تكذيبهم يستعجلون نزوله استهزاءً، نحو قوله: ﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ [الإسراء: ٩٢]، وقولهم: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنفال: ٣٢]، وقولهم: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [يونس: ٤٨]، وقيل: ﴿مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ﴾ من الآيات التي تقترحونها عليّ.

قوله: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾؛ أي: ما الحكم في كل شيء إلا لله سبحانه، ومن جملة ذلك ما تستعجلون به من العذاب أو الآيات المقترحة.

والمراد: الحكم الفاصل بين الحق والباطل.

قوله: ﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾ قرأ نافع وابن كثير وعاصم: ﴿يَقُصُّ﴾ بالقاف[(٣)] والصاد المهملة.

---

(١) في «الصحاح» (٥/١٧٤٨).

(٢) «البحر المحيط» (٤/ ٥٣١)، و«الإملاء» (٢/ ٥٥٤)، و«روح المعاني» (٨/ ١٩٩).

(٣) «جامع البيان» (٩/ ٢٨٠)، و«البحر المحيط» (٤/ ٥٣١)، و«معاني القرآن» للنحاس =

وقرأ الباقون[1] «يَقْضِي» بالضاد المعجمة والياء، وكذا قرأ علي وأبو عبد الرحمٰن السُّلَمي، وسعيد بن المسيب، وهو مكتوب في المصحف بغير ياء.

فعلى القراءة الأولى، هو مِنْ القصص؛ أي: يقصّ القصَصَ الحق، أو من قصّ أثره؛ أي: يتبع الحق فيما يحكم به.

وعلى القراءة الثانية، هو مِنْ القضاء؛ أي: يقضي القضاء الحق بين عباده، والحق منتصب على المفعولية، أو على أنه صفة لمصدر محذوف؛ أي: يقضي القضاء الحق، أو يقص القصص الحق ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾؛ أي: بين الحق والباطل بما يقضي به بين عباده ويفصله لهم في كتابه.

ثم أمره الله سبحانه أن يقول لهم: ﴿لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ﴾؛ أي: ما تطلبون تعجيله بأن يكون إنزاله بكم مقدوراً لي وفي وسعي ﴿لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾؛ أي: لقضى اللهُ الأمر بيننا [٢/٨٠] بأن ينزله الله سبحانه بكم بسؤالي له وطلبي ذلك؛ أو المعنى: لو كان العذاب الذي تطلبونه وتستعجلون به عندي، وفي قبضتي لأنزلته بكم، وعند ذلك يُقضى الأمر بيني وبينكم ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وبالوقت الذي ينزل فيه عذابهم وبما تقتضيه مشيئته من تأخيره استدراجاً لهم، وإعذاراً إليهم.

قولُه: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ المفاتح جمع مَفْتَح بالفتح، وهو المخزن؛ أي: عنده مخازن الغيب، جَعل للأمور الغيبية مخازنَ تخزن فيها على طريق الاستعارة، أو جمع مِفْتح بكسر الميم، وهو المفتاح، جعل للأمور الغيبية مفاتح يتوصل بها إلى ما في المخازن منها على طريق الاستعارة أيضاً، ويؤيد أنها جمع مِفْتح بالكسر قراءة ابن السميفع[2] «وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ» فإن المفاتيح جمع مفتاح والمعنى: إن عنده سبحانه خاصة مخازن الغيب، أو المفاتح التي يتوصل بها إلى المخازن.

= (٢/ ٤٣٤)، و«حاشية الجمل» (٢/ ٣٧)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٣٤)، و«زاد المسير» (٣/ ٥٢).

(١) انظر: المصادر المتقدمة. وهما قراءتان متواترتان، ومع نافع أبو جعفر، انظر: «تحريج القراءات في فتح القدير» (ص١٢١).

(٢) «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٧١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٤٠١)، و«حاشية الجمل» (٢/ ٣٦)، و«البحر المحيط» (٤/ ٥٣٤). وهي قراءة شاذة

وقوله: ﴿لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ جملة مؤكّدة لمضمون الجملة الأولى، وأنه لا علم لأحدٍ من خلقه بشيء من الأمور الغيبية التي استأثر الله بعلمها، ويندرج تحت هذه الآية علم ما يستعجله الكفار مِنْ العذاب كما يرشد إليه السياق اندراجاً أوّلياً.

وفي هذه الآية الشريفة ما يدفع أباطيل الكُهّان والمنجّمين والرمليين وغيرهم مِن المدّعين ما ليس من شأنهم، ولا يدخل تحت قدرتهم، ولا يحيط به علمُهم، ولقد ابتلي الإسلام وأهله بقوم سوءٍ من هذه الأجناس الضالة، والأنواع المخذولة، ولم يربحوا من أكاذيبهم وأباطيلهم بغير خطة السوء المذكورة في قول الصادق المصدوق ﷺ: «مَنْ أتى كاهناً أو منجماً فقد كفر بما أنزل على محمد»[1].

قولُه: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ خصّهما بالذكر؛ لأنهما من أعظم مخلوقات الله؛ أي: يعلم ما فيهما مِنْ حيوان وجماد علماً مفصلاً لا يخفى عليه منه شيء، أو خصهما لكونهما أكثر ما يشاهده النّاس ويتطلعون لعلم ما فيهما ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾؛ أي: مِنْ ورق الشجر وهو تخصيص بعد التعميم؛ أي: يعلمها ويعلم زمان سقوطها ومكانه.

وقيل: المراد بالورقة: ما يُكتب فيه الآجال والأرزاق. وحكى النّقاش[2] عن جعفر بن محمد، أن الورقة يراد بها هنا السقط مِنْ أولاد بني آدم.

قال ابن عطية[3]: وهذا قول جارٍ على طريقة الرموز، ولا يصح عن جعفر بن محمد، ولا ينبغي أن يلتفت إليه.

﴿وَلَا حَبَّةٍ﴾ كائنة ﴿فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: في الأمكنة المظلمة.

وقيل: في بطن الأرض. ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ﴾ بالخفض عطفاً على حبة: وهي معطوفة على ورقة.

وقرأ ابن السميفع[4]، والحسن، وغيرهما بالرفع عطفاً على موضع من ورقة، وقد شمل وصف الرطوبة واليبوسة جميع الموجودات.

---

(١) أخرجه أبو داود رقم (٣٩٠٤)، وابن ماجه رقم (٦٣٩)، والدارمي رقم (١١٧٦)، وابن الجارود رقم (١٠٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وهو حديث صحيح.

(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٨/٤٠٦). (٣) في «المحرر الوجيز» (٦/٦٥).

(٤) «القراءات الشاذة» (ص٣٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/٤٠٦)، و«البحر المحيط» (٤/٥٣٦). وهي قراءة شاذة

قوله: ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ هو اللّوحُ المحفوظ، فتكون هذه الجملة بدل[١] اشتمال من ﴿إِلَّا يَعۡلَمُهَا﴾ وقيل: هو عبارة عن علمه فتكون هذه الجملة بدل كلٍ من تلك الجملة.

وقد أخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن أبي عمران الجوني[٢]، في قوله: ﴿قُلۡ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي﴾ قال: على ثقة.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن عكرمة[٣] في قوله: ﴿لَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۗ﴾ قال: لقامت الساعة.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن السديّ[٤] في قوله: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ قال: يقول: خزائن الغيب.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، عن ابن عباس[٥] في قوله: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ قال: هنّ خمس ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ إلى قوله: ﴿عَلِيمٌ خَبِيرُۢ﴾ [لقمان: ٣٤].

وأخرج أحمد، والبخاري، وغيرهما، عن ابن عمر[٦] أن رسول الله ﷺ قال: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما في غدٍ إلا الله، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر إلا الله، ولا تدري نفس بأيّ أرض تموت إلا الله، ولا يعلم أحد متى تقوم الساعة إلا الله».

وأخرج سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، عن ابن عباس[٧] ﴿وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا﴾ قال: ما

---

(١) ذكره الألوسي في «روح المعاني» (٨/ ٢٠٥)، وانظر: «التبيان» (١/ ٥٠٢)، و«تفسير أبي السعود» (٣/ ٦١).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٠٣ رقم ٧٣٥٩) من طريق جعفر بن سليمان، به.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٠٣ رقم ٧٣٦٤) بسند صحيح.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢٨٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٠٤ رقم ٧٣٦٨) بسند حسن.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢٨٢) بسند ضعيف.

(٦) أخرجه أحمد رقم (٤٧٦٦، ٥١٣٣، ٥٢٢٦، ٥٥٧٩، ٦٠٤٣)، والبخاري في «صحيحه» رقم (١٠٣٩، ٤٦٢٧، ٤٦٩٧، ٧٣٧٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٠٤ رقم ٧٣٦٧).

(٧) أخرجه سعيد بن منصور في «سننه» رقم (٨٨١ ـ تفسير)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٠٤ رقم ٧٣٦٩) بسند ضعيف.

من شجرة في برّ ولا بحر إلا وبها مَلَكٌ يكتب ما يسقط مِنْ ورقها.

وأخرج أبو الشيخ[١]، عن مجاهد نحوه.

وأخرج أبو الشيخ[٢]، عن محمد بن جحادة، في قوله: ﴿وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ﴾ قال: لله تبارك وتعالى شجرةٌ تحت العرش، ليس مخلوق إلا له فيها ورقة، فإذا سقطت ورقته خرجت روحُه من جسده، فذلك قوله: ﴿وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا﴾.

وأخرج الخطيب[٣] في «تاريخه» بسند ضعيفٍ، عن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ قال: «ما من زرعٍ على الأرض ولا ثمارٍ على أشجار إلا عليها مكتوب بسم الله الرحمٰن الرحيم، هذا رزق فلان بن فلان» فذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا تَسۡقُطُ مِن﴾ الآية.

وقد رواه[٤] يزيد بن هارون، عَنْ محمد بن إسحاق، عن نافع، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ فذكره.

وأخرج أبو الشيخ[٥]، عن ابن عباس أنه تلا هذه الآية: ﴿وَلَا رَطۡبٍ وَلَا يَابِسٍ﴾ فقال: الرطب واليابس من كل شيء.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمّٗىۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾.

قوله: ﴿يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ﴾؛ أي: يُنيمُكم فيقبضُ فيه نفوسَكم التي بها تميزون وليس ذلك موتاً حقيقةً، فهو مثل قوله: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٢٧٨).
(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٢٧٨).
(٣) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٤/ ١٣٠).
(٤) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٤/ ١٣٠).
(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٢٧٩).

﴿فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢] والتوفي: استيفاءُ الشيء، وتَوفيت الشيءَ واستوفيتُه: إذا أخذته أجمع، قال الشاعر[1]:

إن بني الأدْرمِ ليسوا مِن أحدْ ولا توفَّاهمْ قريشٌ في العددْ

قيل[2]: الروح إذا خرجت مِنْ البدن في المنام بقيت فيه الحياة.

وقيل[3]: لا تخرج منه الروح بل الذهن فقط، والأولى أن هذا أمر لا يعرفه إلا الله سبحانه.

قوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾؛ أي: كسبتم بجوارحكم مِنْ الخير والشرّ.

قوله: ﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾؛ أي: في النهار؛ يعني: اليقظة؛ وقيل: يبعثكم من القبور فيه؛ أي: في شأن ذلك الذي قطعتم فيه أعماركم من النوم بالليل والكسب بالنهار.

وقيل: في الكلام[4] تقديم وتأخير، والتقدير: هو الذي يتوفاكم بالليل ثم يبعثكم بالنهار ويعلم ما جرحتم فيه.

وقيل: ﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾؛ أي: في المنام، ومعنى الآية: أن إمهاله تعالى للكفار ليس للغفلة عَنْ كفرهم، فإنه عالم بذلك ولكن ﴿لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾؛ أي: مُعيّن لكل فرد من أفراد العباد من حياة ورزق ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾؛ أي: رجوعكم بعد الموت ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيجازى المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته.

قولُه: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ المراد: فوقية القدرة[5] والرتبة كما يقال: السلطان فوق الرعية، وقد تقدّم بيانه في أوّل السورة.

قوله: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾؛ أي: ملائكة، جعلهم الله حافظين لكم، ومنه قوله: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ [الإنفطار: ١٠] والمعنى: أنه يرسل عليكم من يحفظكم مِنْ الآفات ويحفظ أعمالكم.

---

(١) هو: منظور الوَبْري كما في «مجاز القرآن» (٢/ ١٣٢)، و«تهذيب اللغة» (١٥/ ٥٨٥).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٤٠٧). (٣) «تفسير السمرقندي» (١/ ٤٩٠).

(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٨/ ٤٠٨).

(٥) تقدم ذكره. والتنبيه على ما هو الحق في ذلك (ص٢٥٩).

والحَفَظة: جمعُ حافظٍ، مثل كَتَبة: جمع كاتِب و﴿عَلَيْكُمْ﴾ متعلق بيرسل لما فيه من معنى الاستيلاء، وتقديمه على «حفظة» ليفيد العناية بشأنه، وأنه أمر حقيق بذلك؛ [٢/٨١] وقيل: هو متعلق بحفظة.

قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ حتى يحتمل أن تكون هي الغائية[١]؛ أي: ويرسل عليكم حفظة يحفظون ما أمروا بحفظه مما يتعلق بكم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾. ويحتمل أن تكون الابتدائية[٢]، والمراد بمجيء الموت: مجيء علاماته.

وقرأ حمزة[٣]: «توفاه رسلُنا» وقرأ الأعمش[٤] «تتوفاه». والرسل: هم أعوان مَلَك الموت.

ومعنى توفته: استوفت روحَه: ﴿لَا يُفَرِّطُونَ﴾؛ أي: لا يُقصِّرون ولا يضيعون، وأصله من التقدّم.

وقال أبو عُبيدة[٥]: لا يتوانون.

وقرأ [عُبيد بن عُمير][٦]: «لا يُفْرِطون» بالتخفيف[٧]؛ أي: لا يجاوزون الحد فيما أُمروا به من الإكرام والإهانة.

قوله: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ﴾ معطوف على توفّته، والضمير راجع إلى أحد؛ لأنه في معنى الكل مع الالتفات من الخطاب إلى الغيبة؛ أي: ردّوا بعد الحشر إلى الله؛ أي: إلى حُكْمه وجزائه.

﴿مَوْلَىٰهُمُ﴾: مالكهم الذي يلي أمورهم.

---

(١) «تفسير السَّمرقندي» (١/ ٤٩٠).
(٢) «تفسير أبي السعود» (٣/ ٦٢)، و«روح المعاني» (٨/ ٣١٤).
(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٤١٠)، و«التيسير» (ص١٠٣)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ١٨٦، ٤٣٥)، و«النشر» (٢/ ٢٥٨). قراءة الجمهور (توفّته) وقرأ حمزة (توفّاه) بالتذكير وهما متواترتان.
(٤) وهي قراءة شاذة.
«البحر المحيط» (٤/ ٥٤٠)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٧١)، و«روح المعاني» (٨/ ٢١٥).
(٥) في «مجاز القرآن» (١/ ١٩٤).
(٦) كذا في المخطوط، وصوابه: عمرو بن عبيد. كما في المصادر الآتية.
(٧) «البحر المحيط» (٤/ ٥٤٠)، و«المحتسب» (١/ ٢٢٣)، و«روح المعاني» (٨/ ٢١٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٤١١). وهي قراءة شاذة.

﴿ٱلۡحَقِّۚ﴾ قرأ الجمهور[(١)] بالجر صفة لاسم الله.

وقرأ الحسن[(٢)] «الْحَقَّ» بالنصب على إضمار فعل؛ أي: أعني أو أمدح، أو على المصدر، ﴿وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ﴾ لكونه لا يحتاج إلى ما يحتاجون إليه من الفكر والروية والتدبر.

وقد أخرج أبو الشيخ، وابن مردويه، عن ابن عباس[(٣)] قال: قال رسول الله ﷺ: «مع كل إنسان ملَك إذا نام يأخذ نفسَه، فإذا أذن الله في قبض روحه قَبضَه وإلا ردّها إليه، فذلك قوله تعالى: ﴿يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ﴾».

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن عكرمة[(٤)]، في الآية قال: ما من ليلة إلا والله يقبض الأرواح كلَّها، فيسأل كل نفس عما عمل صاحبها من النهار، ثم يدعو ملَك الموت فيقول: اقبض روح هذا؛ وما مِنْ يوم إلا ومَلك الموت ينظر في كتاب حياة الإنسان، قائل يقول: ثلاثاً، وقائل يقول: خمساً.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن مجاهد[(٥)] في الآية قال: أما وفاته إياهم بالليل فمنامهم، وأما ﴿جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ فيقول: ما اكتسبتم بالنهار ﴿ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ﴾ قال: في النهار ﴿لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمّٗىۖ﴾ وهو الموت.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس[(٦)] ﴿وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم﴾ قال: ما كسبتم من الإثم.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن السديّ[(٧)] في قوله:

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٤١١)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٧٥)، و«البحر المحيط» (٤/ ٥٤٠)، و«النشر» (٢/ ٢٣٦).

(٢) «القراءات الشاذة» (ص٣٧). قراءة الجمهور متواترة، وقراءة الحسن شاذة.

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٢٨٠).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٠٥ رقم ٧٣٧٢). وأبو الشيخ في «العظمة» رقم (٤٣٢).

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٠٥، ١٣٠٦ رقم ٧٣٧٥، ٧٣٧٨، ٧٣٧٩) بسند صحيح.

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢٨٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٠٥ رقم ٧٣٧٦) بسند صحيح.

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢٨٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٠٦ رقم ٧٣٨٠) بسند حسن.

﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ قال: هم المُعقِّبات من الملائكة يحفظونه ويحفظون عمله.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن جريرٍ، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن ابن عباس[١] في الآية قال: أعوان ملك الموت من الملائكة.

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عنه[٢] في قوله: ﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ يقول: لا يُضيّعون.

[محاكمتهم إلى فطرتهم التي تعرف حقيقة الألوهية، وتلتجئ إلى إلٰهها الحق في ساعة الشدة]:

﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾.

قيل: المراد بظلمات البرّ والبحر: شدائدهما.

قال النحاس[٣]: والعرب تقول: يوم مُظلِم: إذا كان شديداً، فإذا عظمت ذلك قالت: يوم ذو كوكب؛ أي: يحتاجون فيه لشدّة ظلمته إلى كوكب، وأنشد سيبويه[٤]:

بني أسدٍ هل تعلمون بلاءَنا ... إذا كان يومٌ ذو كواكبَ أَشْنَعا[٥]

والاستفهام للتقريع والتوبيخ[٦]؛ أي: مَنْ ينجيكم مِنْ شدائدهما العظيمة؟ قرأ

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢٩١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٠٧ رقم ٧٣٨٧)، وأبو الشيخ في «العظمة» رقم (٤٥٨)، وابن أبي شيبة (١٣/ ٣٧٢) بسند ضعيف منقطع. إبراهيم وهو النخعي لم يسمع من ابن عباس.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢٩٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٠٨ رقم ٧٣٨٩) بسند صحيح.

(٣) في «معاني القرآن» (٢/ ٤١٩).

(٤) في «الكتاب» (١/ ٤٧).

(٥) نسبه في الكتاب لعمرو بن شأس. وانظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٥٩)، و«روح المعاني» (٨/ ٢١٩).

(٦) «البحر المحيط» (٤/ ٥٤١)، و«تفسير أبي السعود» (٣/ ٦٣).

أبو بكر عن عاصم: «خِفْية» بكسر الخاء[١]، وقرأ الباقون بضمها[٢]، وهما لغتان.

وقرأ الأعمش[٣] «وَخِيفَةً» مِنَ الخوف، وجملة ﴿تَدْعُونَهُۥ﴾ في محل نصب على الحال؛ أي: مَنْ ينجيكم من ذلك حال دعائكم له دعاء تضرّع وخفية، أو متضرّعين ومُخْفين. والمراد بالتضرّع هنا: دعاء الجهر.

قولُه: ﴿لئن أنجيتنا﴾ كذا قرأ أهل المدينة[٤] وأهل الشام. وقرأ الكوفيون: ﴿لَّئِنْ أَنجَىٰنَا﴾ والجملة في محل نصب[٥] على تقدير القول؛ أي: قائلين: لئن أنجيتنا من هذه الشدّة التي نزلت بنا وهي الظلمات المذكورة ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ لك على ما أنعمتَ به علينا من تخليصنا من هذه الشدائد.

قولُه: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ﴾ قرأ الكوفيون[٦]: ﴿يُنَجِّيكُم﴾ بالتشديد، وقرأ الباقون[٧] بالتخفيف، وقراءة التشديد تفيد التكثير.

وقيل: معناهما واحد، والضمير في ﴿مِّنْهَا﴾ راجع إلى الظلمات.

والكَرْب: الغمُّ يأخذُ بالنّفس، ومِنْه رجل مكروب.

قال عنترة[٨]:

ومكروبٍ كشفتُ الكربَ عنه ... بطعنةِ فَيصلٍ لمَّا دعاني

[قدرة الله على أخذ العباد بالعذاب من حيث شاء وكيف شاء]:

﴿ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ بالله سبحانه بعد أن أحسَن إليكم بالخلوص من الشدائد،

---

(١) «النشر» (٢/ ٢٥٩)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٣٥)، و«زاد المسير» (٣/ ٥٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٤١٢)، و«التيسير» (ص١٠٣).

(٢) انظر: المصادر المتقدمة. وهما قراءتان متواترتان.

(٣) وهي قراءة شاذة.
انظر: «البحر المحيط» (٤/ ٥٤٢)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٧٢)، و«حاشية الجمل» (٢/ ٤١).

(٤) «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٧٢)، و«التيسير» (ص١٠٣)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٣٥)، و«النشر» (٢/ ٢٥٩). ومع قراءة أهل المدينة كذلك أهل مكلة والبصرة.

(٥) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٧٢)، و«البحر المحيط» (٤/ ٥٤٢).

(٦) انظر: «النشر» (٢/ ٢٥٩)، و«البحر المحيط» (٤/ ٥٤٢).

(٧) انظر: «النشر» (٢/ ٢٥٩)، و«البحر المحيط» (٤/ ٥٤٢)، وهما قراءتان متواترتان ومع مَنْ بشدّد أبو جعفر، انظر: «تخريج القراءات في فتح القدير» (ص١٢٢).

(٨) انظر: «ديوان عنترة» (ص٧١).

وذهاب الكروب، شركاءَ لا ينفعونكم ولا يضرّونكم، ولا يَقْدرون على تخليصكم من كلِّ ما ينزل بكم، فكيف وضعتم هذا الشرك موضع ما وعدتم به عَنْ أنفسكم من الشكر؟ ثم أَمَره الله سبحانه أن يقول لهم: ﴿هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا﴾؛ أي: الذي قدر على إنجائكم من تلك الشدائد، ودفع عنكم تلك الكروب قادر على أن يعيدكم في شدّة ومحنة وكرب يبعث عذابه عليكم مِنْ كل جانب.

فالعذاب المبعوث من جهة الفوق: ما ينزل من السماء[1] من المطر والصواعق. والمبعوث من تحت الأرجل: الخسف والزلازل والغرق، وقيل: ﴿مِّن فَوْقِكُمْ﴾ يعني: الأمراء الظلمة ﴿مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾؛ يعني: السفلة وعبيد السوء[2].

قوله: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ قرأ الجمهور[3] بفتح التحتية، من لبَّس الأمر: إذا خلطه، وقرأ أبو عبد الله المديني[4] بضمها؛ أي: يَجعل ذلك لباساً لكم.

قيل: والأصل: أو يلبس عليكم أمركم، فحذف أحد المفعولين مع حرف الجرّ كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ﴾ [المطففين: ٣] والمعنى: يجعلكم مختلطي الأهواء، مختلفي النِّحل، متفرقي الآراء.

وقيل: يجعلكم فرقاً يقاتل بعضُكم بعضاً. والشيع: الفِرَق؛ أي: يخلطكم فرقاً.

قوله: ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾؛ أي: يصيب بعضكم بشدّة بعض مِنْ قتل وأسر ونهب ﴿وَيُذِيقَ﴾ معطوف على ﴿يَبْعَثَ﴾. وقرئ[5]: «نذيق» بالنون ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ﴾ نبيّن لهم الحجج والدلالات من وجوه مختلفة ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ الحقيقة فيعودون إلى الحق الذي بيّناه لهم بيانات متنوّعة.

وقد أخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٤١٣ ـ ٤١٤)، و«النكت والعيون» (٢/ ١٢٦)، و«جامع البيان» (٩/ ٢٩٦).

(٢) قال ابن عباس ومجاهد. سيأتي تخريجهما.

(٣) «البحر المحيط» (٤/ ٥٤٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٤١٤)، و«روح المعاني» (٨/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣).

(٤) وهي قراءة شاذة. «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٧٢)، و«المحرر الوجيز» (٦/ ٧٠)، و«البحر المحيط» (٤/ ٥٤٤).

(٥) «البحر المحيط» (٤/ ٥٤٥)، و«روح المعاني» (٨/ ٢٢٣). وهي قراءة شاذة وعزاها في «البحر» للأعمش.

الشيخ، عن قتادة[١] في قوله: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ يقول: مِنْ كُرب البرّ والبحر.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، في تفسير الآية عن ابن عباس[٢] قال: يقول: إذا أضلّ الرجل الطريقَ دعا الله لئن أنجيتنا من هذه لنكوننّ من الشاكرين.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم[٣]، عنه في قوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ قال: يعني: من أمرائكم ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾؛ يعني: سفلتكم ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾؛ يعني: بالشيع: الأهواء المختلفة ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [٢/٨٢] قال[٤]: يُسلّط بعضَكم على بعض بالقتل والعذاب.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ[٥]، عنه من وجه آخر في تفسير الآية قال: ﴿عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ أئمة السُّوء ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قال: خدم السوء.

وأخرج أبو الشيخ[٦] عنه أيضاً من وجه آخر قال: ﴿مِّن فَوْقِكُمْ﴾: من قبل أمرائكم وأشرافكم ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قال: من قبل سِفْلَتكم وعبيدكم.

وأخرج عبد بن حميد، وأبو الشيخ، عن أبي مالك[٧] ﴿عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ قال: القَذْف ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قال: الخَسْف.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢٩٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٠٨ رقم ٧٣٩١) بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢٩٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٠٨ رقم ٧٣٩٤) بسند ضعيف.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢٩٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣١١ رقم ٧٤٠٨) بسند صحيح.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٣٠٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣١١ رقم ٧٤١٢) بسند صحيح.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٣٠٠ ـ ٣٠١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣١٢ رقم ٧٤١٦) بسند صحيح.

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢٩٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٠٩، ١٣١٠ رقم ٧٤٠٠، ٧٤٠٧) ومن طريق عامر بن عبد الرحمٰن، به.

(٧) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٢٨٣).

وأخرج أبو الشيخ[١] عن مجاهد مثله.

وأخرج أبو الشيخ[٢]، عن مجاهد أيضاً ﴿مِّن فَوْقِكُمْ﴾ قال: الصيحة والحجارة والريح ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قال: الرجفة والخسف، وهما عذاب أهل التكذيب ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قال: عذاب أهل الإقرار.

وأخرج البخاري وغيره، عَنْ جابر بن عبد الله[٣] قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ قال رسول الله ﷺ: «أعوذ بوجهك» ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قال: «أعوذ بوجهك» ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قال: «هذا أهون أو أيسر».

وأخرج أحمد، وعبد بن حميد، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه وغيرهم، من حديث طويل عن ثوبان[٤]، وفيه: «وسألته أن لا يُسلِّط عليهم عدوّاً من غيرهم فأعطانيها، وسألته أن لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها».

وأخرج مسلم وغيره من حديث سعد بن أبي وقاص[٥]: «أن النبيّ ﷺ أقبل ذات يوم من العالية، حتى إذا مرّ بمسجد بني معاوية دخل فركع فيه ركعتين وصلينا معه ودعا ربه طويلاً، ثم انصرف إلينا فقال: سألتُ ربي ثلاثاً فأعطاني اثنتين ومنعني واحدةً: سألته أن لا يهلك أمتي بالغرق، وسألته أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيهما، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها».

---

(١) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٢٨٣).
• وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢٩٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣١٠، ١٣١١ رقم ٧٤٠٢، ٧٤٠٩) من طريق عبد الرحمٰن بن مهدي، به.

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٢٨٣).

(٣) أخرجه البخاري رقم (٤٦٢٨، ٧٣١٣، ٧٦٠٤)، والترمذي رقم (٣٠٦٥)، والنسائي في «الكبرى» رقم (١١٦٤، ١١٦٥)، وابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٣٠٢، ٣٠٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٠٩ ـ ١٣١١ رقم ٧٣٩٦، ٧٤٠٦، ٧٤٠١)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٦٤٦، ٦٤٧)، ونعيم بن حماد (١٧٣٠)، وابن حبان رقم (٧٢٢٠)، والحميدي رقم (١٢٥٩).

(٤) أخرجه مسلم رقم (٢٨٨٩)، وأحمد رقم (٢٢٤٥٢)، والترمذي رقم (٢١٧٦)، وابن ماجه رقم (٣٩٥٢)، وابن حبان رقم (٦٧١٤، ٧٢٣٨)، والحاكم (٤/ ٤٤٩، ٤٥٠).

(٥) أخرجه أحمد رقم (١٥١٦، ١٥٧٤)، ومسلم رقم (٢٨٩٠)، وابن أبي شيبة (١٠/ ٣٢٠)، وابن خزيمة رقم (١٢١٧)، وابن حبان رقم (٧٢٣٧).

وأخرج أحمد، والحاكم وصححه، من حديث جابر بن عتيك[١] نحوه.

وأخرج نحوه أيضاً ابن مردويه، من حديث أبي هريرة[٢].

وأخرج أيضاً ابن أبي شيبة، وابن مردويه، من حديث حذيفة بن اليمان[٣] نحوه.

وأخرج أحمد والنسائي، وابن مردويه، عن أنس[٤] نحوه أيضاً.

وأخرج أحمد، والترمذي وحسنه، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، عن سعد بن أبي وقاص[٥] عَنْ النبي ﷺ في هذه الآية: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ فقال النبي ﷺ: «أما إنها كائنة ولم يأت تأويلها بعد».

وأخرج ابن أبي شيبة، وأحمد، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، وابن مردويه، وأبو نعيم في «الحلية» والضياء في «المختارة»، عن أُبيّ بن كعب[٦] في هذه الآية قال: هنّ أربع وكلهنّ عذاب وكلهنّ واقع لا محالة. فمضت اثنتان بعد وفاة رسول الله ﷺ بخمس وعشرين سنة، فألبسوا شيعاً، وذاق بعضهم بأس بعض؛ وبقيت اثنتان واقعتان لا محالة: الخسف، والرجم. والأحاديث في هذا الباب كثيرة وفيما ذكرناه كفاية.

---

(١) أخرجه أحمد رقم (٢٣٧٤٩)، والحاكم (٤/ ٥١٧). وهو حديث صحيح.
وأورده الهيثمي في«مجمع الزوائد» (٧/ ٢٢٤) وقال: «رواه أحمد ورجاله ثقات».

(٢) أخرجه ابن كثير في «تفسيره» (٦/ ٧١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣١٢ رقم ٧٤١٥) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (١٠/ ٣١٨)، وابن كثير في «تفسيره» (٦/ ٦٣) بسند ضعيف.

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» رقم (١٢٤٨٦، ١٢٥٨٩)، والنسائي في «السنن الكبرى» كما في «التحفة» رقم (٩٢٠). وهو حديث صحيح لغيره.

(٥) أخرجه أحمد رقم (١٤٦٦١)، والترمذي رقم (٣٠٦٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ٣٠٩ رقم ٧٣٩٧)، ونعيم بن حمَّاد رقم (٤٣، ١٧٠٠) بسند ضعيف.

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة (١٥/ ١٨٠)، وابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٣٠٩، ٣١٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٠٩ رقم ٣٧٩٨)، وأبو نعيم في «الحليلة» (١/ ٢٥٣)، والضياء رقم (١١٤٩، ١١٥٠)، ونعيم بن حماد رقم (١٧١٧) بسند ضعيف؛ لضعف أبي جعفر الرازي.

[الإعراض عن الخائضين في آيات الله]:

﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ
تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا
يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ
مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟
دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ
لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ
أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى
ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى
ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ
إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن
فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ
ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾﴾.

قولُه: ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ﴾ الضمير راجع إلى القرآن أو إلى العذاب. وقومه المكذبون: هم قريش، وقيل: كل معاند، وجملة: ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾ في محل نصب على الحال؛ أي: كذبوا بالقرآن أو العذاب، والحال أنه حق.

وقرأ ابن أبي عبلة «وَكَذَّبتْ»[1] بالتاء ﴿قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾؛ أي: لست بحفيظ على أعمالكم حتى أجازيكم عليها.

قيل: وهذه الآية منسوخة[2] بآية القتال؛ وقيل[3]: ليست بمنسوخة إذ لم يكن إيمانُهم في وسعه.

---

(١) «البحر المحيط» (٤/ ٤٥٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٤١٧). وهي قراءة شاذة.
(٢) انظر: «الناسخ والمنسوخ» للنحاس (٢/ ٣١٨).
(٣) «الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه» (ص٢٨١)، و«الناسخ والمنسوخ» للنحاس (٢/ ٣١٨).

[تهديد يزلزل القلوب]:

قوله: ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾؛ أي: لكل شيء وقت يقع فيه. والنبأ: الشيء الذي ينبأ عنه؛ وقيل: المعنى: لكلِّ عملٍ جزاء.

قال الزجاج(١): يجوز أن يكون وعيداً لهم بما ينزل بهم في الدنيا.

وقال الحسن(٢): هذا وعيد من الله للكفار؛ لأنهم كانوا لا يقرّون بالبعث ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ذلك بحصوله ونزوله بهم؛ كما علموا يوم بدر بحصول ما كان النبي ﷺ يتوعدهم به.

قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ الخطاب للنبي ﷺ، أو لكل من يصلح له.

والخوض: أصله في الماء، ثم استُعمل في غَمَرات الأشياء التي هي مجاهل تشبيهاً بغمرات الماء(٣)، فاستعير مِنْ المحسوس للمعقول.

وقيل: هو مأخوذ من الخلط، وكل شيء خُضْته فقد خلطته، ومنه خاض الماء بالعسل: خَلَطه. والمعنى: إذا رأيتَ الذين يخوضون في آياتنا بالتكذيب(٤)، والردّ والاستهزاء فدعهم، ولا تقعد معهم لسماع مثل هذا المنكر العظيم حتى يخوضوا في حديث مغاير له، أمره الله سبحانه بالإعراض عن أهل المجالس التي يستهان فيها بآيات الله إلى غاية هي الخوض في غير ذلك.

[مجالسة أهل المنكر لا تحل]:

وفي هذه الآية موعظة عظيمة لمن يتمسّح بمجالسة(٥) المبتدعة الذين يحرّفون كلام الله، ويتلاعبون بكتابه وسُنَّة رسوله، ويردّون ذلك إلى أهوائهم المضلة وبدعهم

---

(١) في «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٦٠).

(٢) «النكت والعيون» (٢/ ١٢٩).

(٣) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٦/ ٧٢ ـ ٧٣).

(٤) «روح المعاني» (٨/ ٢٢٦)، و«مجمع البيان» (٧/ ٩٤)، و«أحكام القرآن» لابن العربي (٢/ ٧٣١).

(٥) «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٤١٩)، و«جامع البيان» (٩/ ٣١٢ ـ ٣١٣)، و«معاني القرآن» للنحاس (٢/ ٤٤٢).

الفاسدة، فإنّه إذا لم ينكر عليهم، ويُغيّر ما هم فيه فأقلّ الأحوال أن يترك مجالستهم، وذلك يسير عليه غير عسير.

وقد يجعلون حضورَه معهم مع تنزّهه عما يتلبسون به؛ شبهةً يُشبهون بها على العامة، فيكون في حضوره مفسدةً زائدة على مجرد سماع المنكر.

وقد شاهدنا مِنْ هذه المجالس الملعونة ما لا يأتي عليه الحصر، وقمنا في نصرة الحق ودفع الباطل بما قدرنا عليه وبلغت إليه طاقتنا، ومَنْ عرف هذه الشريعة المطهرة حقّ معرفتها، علم أن مجالسة[1] أهل البدع المضلة فيها من المفسدة أضعاف أضعاف ما في مجالسة مَنْ يعصي الله بفعل شيء من المحرّمات، ولا سيما لمن كان غير راسخ القدم في علم الكتاب والسُّنَّة، فإنه ربما يَنفق عليه من كذباتهم وهذيانهم ما هو من البطلان بأوضح مكان، فينقدح في قلبه ما يصعب علاجه، ويعسر دفعه، فيعمل بذلك مدّة عمره ويلقى الله به معتقداً أنه من الحق، وهو من أبطل الباطل وأنكر المنكر [٢/٨٣].

قوله: ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ «إما» هذه هي الشرطية[2] وتلزمها غالباً نون التأكيد ولا تلزمها نادراً، ومنه قول الشاعر[3]:

إما يُصِبْك عدوٌّ في منازله ... يوماً فقل كيف يستعلي وينتصر

وقرأ ابن عباس[4]: «يُنَسِّيك» بتشديد السين.

ومثله قول الشاعر[5]:

وقد يُنسّيك بعضَ الحاجة الكسلُ[6]

---

(١) «أحكام القرآن» لابن العربي (٢/ ٧٣١).

(٢) «البحر المحيط» (٤/ ٥٤٦)، و«التبيان» (١/ ٥٠٦)، و«روح المعاني» (٨/ ٢٢٧).

(٣) هو: أعشى باهلة.
«الكامل» (٣/ ١٤٣٢).

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٤٢٠). وهي قراءة متواترة عن ابن عامر، وهي بضم الياء، وفتح النون وكسر السين مشددة، وقراءة الجهور بضم الياء، وسكون النون، وكسر السين مُخففة. انظر: «تخريج القراءات في فتح القدير» (١٢٢).

(٥) ذكره القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٤٢٠) دون نسبة.

(٦) وصدر البيت:
قالت سُليمَى أَتَسْرِي اليوم أم تَقِلُ

والمعنى: إنْ أنساك الشيطان أَنْ تقوم عنهم فلا تقعد بعد الذكرى إذا ذكرت ﴿مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ أي: الذين ظلموا أنفسهم بالاستهزاء بالآيات والتكذيب بها.

وقيل: وهذا الخطاب[1] وإنْ كان ظاهره للنبي ﷺ فالمراد التعريض لأمته لتنزّهه عَنْ أن ينسيه الشيطان.

وقيل: لا وجه لهذا فالنسيان جائز عليه كما نطقت بذلك الأحاديث الصحيحة: «إنما أنا بشر أنسى كما تَنْسون، فإذا نسيت فذكِّروني»[2] ونحو ذلك.

قوله: ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾؛ أي: ما على الذين يتقون مجالسةَ الكفار عند خوضهم في آيات الله من حساب الكفار من شيء.

وقيل: المعنى: ما على الذين يتقون ما يقع منهم مِنْ الخوض في آيات الله في مجالستهم لهم من شيء: وعلى هذا التفسير ففي الآية الترخيص للمتقين من المؤمنين في مجالسة الكفار إذا اضطروا إلى ذلك كما سيأتي عند ذكر السبب.

قيل: وهذا الترخيص كان في أوّل الإسلام، وكان الوقتُ وقتَ تَقيّة، ثم نزل قوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ﴾ [النساء: ١٤٠] فنسخ ذلك.

قولُه: ﴿وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ﴾، «ذكرى» في موضع[3] نصب على المصدر، أو رفع على أنها مبتدأ، وخبرها محذوف؛ أي: ولكن عليهم ذكرى.

وقال الكسائي[4]: المعنى: ولكن هذه ذكرى.

والمعنى: على الاستدراك مِنْ النفي السابق؛ أي: ولكن عليهم الذكرى للكافرين بالموعظة والبيان لهم بأن ذلك لا يجوز.

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٤٢٣).
(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٤٠١)، ومسلم رقم (٥٧٢)، وأحمد رقم (٣٥٦٦) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.
(٣) «البحر المحيط» (٤/ ٥٤٧)، و«روح المعاني» (٨/ ٢٣١)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٧٣).
(٤) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ٧٣)، والقرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٤٢٣).

أما على التفسير الأوّل: فلأن مُجرد اتقاء مجالس هؤلاء الذين يخوضون في آيات الله لا يُسقط وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وأمّا على التفسير الثاني: فالترخيص في المجالسة لا يسقط التذكير ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الخوضَ في آيات الله إذا وقعت منكم الذكرى لهم. وأما جعل الضمير للمتقين فبعيد جدّاً.

قولُه: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾؛ أي: اترك هؤلاء الذين اتخذوا الدين الذي كان يجب عليهم العمل به والدخول فيه لعباً ولهواً، ولا تعلق قلبك بهم فإنهم أهل تعنت(١)، وإن كنت مأموراً بإبلاغهم الحجة.

وقيل: هذه الآية منسوخة(٢) بآية القتال.

وقيل: المعنى: أنهم اتخذوا دينهم الذي هم عليه لعباً ولهواً كما في فعلهم بالأنعام من تلك الجهالات والضلالات المتقدم ذكرها.

وقيل: المراد بالدين هنا: العيد؛ أي: اتخذوا عيدهم لعباً ولهواً.

وجملة: ﴿وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ معطوفة على ﴿اتَّخَذُوا﴾؛ أي: غرّتهم حتى آثروها على الآخرة وأنكروا البعث وقالوا: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [المؤمنون: ٣٧].

قوله: ﴿وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ﴾ الضمير في ﴿بِهِ﴾ للقرآن أو للحساب. والإبسال: تسليم المرء نفسه للهلاك، ومنه أبسلت(٣) ولدي؛ أي: رهنته في الدم؛ لأن عاقبة ذلك الهلاك. قال النابغة(٤):

ونحن رهنّا بالأُفاقة عامرًا بما كان في الدرداء رهْناً فأُبْسلا

أي: فهلك، والدرداء: كتيبة كانت لهم معروفة بهذا الاسم، فالمعنى: وذكّر به خشيةَ أو مخافةَ أو كراهةَ أن تَهْلَك نفسٌ بما كسبت؛ أي: ترتهن وتسلم للهلكة، وأصلُ الإبسال: المنع، ومنه شجاع باسل؛ أي: ممتنع مِنْ قِرْنه.

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٨/ ٤٢٣). (٢) «الناسخ والمنسوخ» للنحاس (٢/ ٣٢١).
(٣) «مجمل اللغة» (١/ ١٢٥)، و«الصحاح» (٤/ ١٦٣٤).
(٤) انظر: «ديوان النابغة» (ص١٢١). وهو النابغة الجعديّ.

قوله: ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ﴾ العدل هنا: الفدية. والمعنى: وإن بذلت تلك النفس التي سلمت للهلاك كلَّ فدية لا يؤخذ منها ذلك العدل حتى تنجو به مِنْ الهلاك، وفاعل ﴿يُؤْخَذْ﴾ ضمير يرجع إلى العدل؛ لأنه بمعنى: المفدى به كما في قوله: ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة: ٤٨].

وقيل: فاعله[١] منها؛ لأنّ العدل هنا مصدر لا يسند إليه الفعل، وكل عدل منصوب على المصدر؛ أي: عدلاً كل عدلٍ. والإشارة بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إلى المتخذين دينَهم لعباً ولهواً، وخبره ﴿ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ﴾؛ أي: هؤلاء الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً هم الذين سلموا للهلاك بما كسبوا.

و﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ جواب سؤال[٢] مقدّر كأنه قيل: كيف حال هؤلاء؟ فقيل: لهم شراب مِنْ حميم، وهو الماء الحارّ، ومثله قوله تعالى: ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾ [الحج: ١٩] وهو هنا شراب يشربونه فيقطع أمعاءهم.

قوله: ﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾ أمره الله سبحانه بأن يقول لهم هذه المقالة، والاستفهام للتوبيخ[٣]؛ أي: كيف ندعوا من دون الله أصناماً لا تنفعنا بوجه من وجوه النفع إن أردنا منها نفعاً؟ ولا نخشى ضرّها بوجه من الوجوه، ومَنْ كان هكذا فلا يستحق العبادة ﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا﴾ عطف على «ندعوا».

والأعقابُ: جمع عقب؛ أي: كيف ندعوا من كان كذلك ونرجع إلى الضلالة التي أخرجنا الله منها.

قال أبو عبيدة[٤]: يقال: لمن رُدّ عَنْ حاجته ولم يظفر بها: قد رُدّ على عقبيه.

وقال المبرِّد[٥]: تُعُقّب بالشر بعد الخير، وأصله مِنْ المعاقبة والعُقْبى، وهما ما كان تالياً للشيء واجباً أن يتبعه، ومنه ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣، الأعراف: ١٢٨]، ومنه عَقِب الرجل، ومِنْه العقوبة؛ لأنها تالية للذنب.

---

(١) «التبيان» (١/ ٥٠٧)، و«روح المعاني» (٨/ ٢٣٦).
(٢) «البحر المحيط» (٤/ ٥٥١)، و«روح المعاني» (٨/ ٢٣٧)، و«التبيان» (١/ ٥٠٧).
(٣) «تفسير أبي السعود» (٣/ ٦٩).
(٤) في «مجاز القرآن» (١/ ١٩٦).
(٥) ذكره النحاس في «معاني القرآن» (٢/ ٤٤٥)، والقرطبي في «تفسيره» (٨/ ٤٢٦).

قولُه: ﴿كَالَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ هوى يَهوي إلى الشيء: أسرع إليه.

وقال الزجّاج[١]: هو من هَوى النفس؛ أي: زيّن له الشيطان هواه، و﴿ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ هوت به.

والكاف في ﴿كَالَّذِى﴾ إما نعت مصدر محذوف؛ أي: نُردّ على أعقابنا ردّاً كالذي، أو في محل نصب[٢] على الحال مِنْ فاعل نردّ؛ أي: نردّ حال كوننا مشُبهين للذي استهوته الشياطين؛ أي: ذهبت به مردة الجنّ بعد أن كان بين الإنس.

قرأ الجمهور[٣]: «استهوته» وقرأ حمزة: «استهواه» على تذكير[٤] الجمع.

وقرأ ابن مسعود[٥] والحسن «استهواه الشيطان» وهو كذلك في قراءة أُبيّ.

و﴿حَيْرَانَ﴾ حال؛ أي: حال كونه مُتحيّراً تائهاً لا يدري كيف يصنع؟

والحيران: هو الذي لا يهتدي[٦] لجهة، وقد حار يحار حيرةً وحَيرورة: إذا تَردّد، وبه سُمي الماء المستنقِع الذي لا منفذ له: حائراً.

قوله: ﴿لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى﴾ صفة لحيران أو حالية[٧]؛ أي: له رفقة يدعونه إلى الهدى يقولون له: ائتنا فلا يجيبهم ولا يهتدي بهديهم.

قوله: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ أمره الله سبحانه بأن يقول لهم: ﴿إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ﴾؛ أي: دينه الذي ارتضاه لعباده ﴿هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ وما عداه باطل: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

﴿وَأُمِرْنَا﴾ معطوف على الجملة الاسمية؛ أي: من جملة ما أمره الله بأن يقوله،

---

(١) في «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٦٢).

(٢) «البحر المحيط» (٤/ ٥٥١)، و«التبيان» (١/ ٥٠٧)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٧٤).

(٣) «البحر المحيط» (٤/ ٥٥١)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٣٥)، و«النشر» (٢/ ٢٥٨)، و«زاد المسير» (٣/ ٦٦).

(٤) انظر: المصادر المتقدمة. وهما قراءتان متواترتان.

(٥) «القراءات الشاذة» (ص٣٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٤٢٧)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٧٤). وهي قراءة شاذة.

(٦) «تهذيب اللغة» (٥/ ٢٣١)، و«الصحاح» (٢/ ٦٤٠ ـ ٦٤١).

(٧) «التبيان» (١/ ٥٠٨)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٧٤)، و«البحر المحيط» (٤/ ٥٥٢).

واللام في ﴿لِنُسْلِمَ﴾ هي لام العلة[١]، والمعلل هو الأمر؛ أي: أمرنا لأجل نسلم لربّ العالمين.

وقال الفرّاء[٢]: المعنى: أمرنا بأنْ نسلم لأن العرب تقول: أمرتك لتذهبَ، وبأنْ تذهب بمعنى.

وقال النحاس[٣]: سمعتُ ابن كيسان يقول: هي لام الخفض [٢/٨٤].

قوله: ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ﴾ معطوف على «لنسلم» على معنى: وأمرنا أنْ نسلم وأن أقيموا، ويجوز أن يكون عطفاً على يدعونه على المعنى؛ أي: يدعونه إلى الهدى ويدعونه أن أقيموا. ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ فكيف تخالفون أمره؟! ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ خلقاً ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أو حال كون الخلق بالحق فكيف تعبدون الأصنام المخلوقة.

قوله: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾؛ أي: واذكر يومَ يقول: كن فيكون، أو: واتقوا يومَ يقول كُنْ فيكون.

وقيل: هو عَطْفٌ على الهاء في ﴿وَٱتَّقُوهُ﴾.

وقيل: إن «يوم» ظرف لمضمون جملة ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ والمعنى: وأمره المتعلق بالأشياء الحق؛ أي: المشهود له بأنه حق.

وقيل: قولُه مبتدأ، والحق صفة له ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ﴾ خبره مقدّماً عليه، والمعنى: قوله المتصف بالحق كائن يوم يقول: كن فيكون.

وقيل: إن قوله مرتفع بيكون، والحق صفته؛ أي: يوم يقول: كن يكون قوله الحق.

وقرأ ابن عامر[٤]: «فنكون» بالنون، وهو إشارة إلى سرعة الحساب.

---

(١) «روح المعاني» (٨/ ٢٤١)، و«تفسير أبي السعود» (٣/ ٧٠).

(٢) في «معاني القرآن» له (١/ ٣٣٩). (٣) في «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٧٤).

(٤) قال القرطبي في «تفسيره» (٨/ ٤٢٩) وقرأ ابن عامر: «فيكونَ» بالنصب، وهو إشارة إلى سرعة الحساب والبعث.

● والصواب: قرأ الحسن: «فيكونَ» بالنصب.

«القراءات الشاذة» (ص٣٨)، و«البيان» (١/ ٣٢٦)، و«البحر المحيط» (١/ ٢٦٦)، و«التيسير» (ص٧٦). والمتواتر عن ابن عامر كالجمهور (فيكون).

وقرأ الباقون[(١)] بالياء التحتية وهو الصواب.

قولُه: ﴿وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ﴾ الظرف منصوب بما قبله؛ أي: له الملك في هذا اليوم، وقيل: هو بدل مِنْ اليوم الأوّل. والصور: قَرْن ينفخ فيه النفخة الأولى للَفناء، والثانية للإنشاء، وكذا قال الجوهري[(٢)]: إن الصور القرن، قال الراجز:

لقد نطحناهمْ غداةَ الجمعينْ   نطْحاً شديداً لا كنطح الصُورَيْن[(٣)]

والصُّور بضم الصاد وبكسرها لغة، وحُكى عَنْ عمرو بن عبيد أنه قرأ «يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّوَرِ» بتحريك الواو[(٤)]، جمع صورة، والمراد: الخَلْق.

قال أبو عبيدة[(٥)]: وهذا وإن كان محتملاً يردّ بما في الكتاب والسُّنَّة.

وقال الفرّاء[(٦)]: كن فيكون، يقال: إنّه للصور خاصة؛ أي: ويوم يقول للصور: كُنْ فيكون.

قوله: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ﴾ رفع عالم على أنه صفة للذي خلق السمٰوات والأرض، ويجوز أن يرتفع على إضمار مبتدأ؛ أي: هو عالم الغيب والشهادة.

ورُوي عَنْ بعضهم أنه قرأ: «يُنفخ» بالبناء للفاعل[(٧)]، فيجوز على هذه القراءة أن يكون الفاعل ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ ويجوز أن يرتفع بفعل مقدّر كما أنشد سيبويه[(٨)]:

لِيُبكَ يزيدُ ضارعٌ لخصومة   ومختبطٌ مما تطيح الطوائحُ[(٩)]

---

(١) وقراءة الجمهور: «فيكونُ» بالرفع على الاستئناف؛ أي: فهو يكون. وقد تقدم في الآية ١١٧ من سورة البقرة.

(٢) في «الصحاح» (٢/ ٧١٦).

(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٨/ ٤٣١)، وأبو علي القالي في «أماليه» (١/ ٣٦)، والجوهري في «الصحاح» (٢/ ٧١٦) دون نسبة.

(٤) «البحر المحيط» (٤/ ٥٥٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٤٣١). وهي قراءة شاذة.

(٥) في «مجاز القرآن» (١/ ١٩٦).

(٦) في «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٤٠).

(٧) «البحر المحيط» (٤/ ٥٥٦ ـ ٥٥٧)، و«القراءات الشاذة» (ص٣٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٤٣٢). وهي قراءة شاذة.

(٨) في «الكتاب» (١/ ٢٨٨، ٣٦٦).

(٩) وهو لنهشل بن حرِّي. وقد تقدم ذكره.
«شرح أبيات مغني اللبيب» (٧/ ٢٩٥ رقم ١٤٩ ـ البغدادي)، و«المقتضب» (٢/ ٢٨٢)، و«الكتاب» (١/ ١٤٥، ١٨٣).

أي: يبكيه مختبط.

وقرأ الحسن[١] والأعمش: ﴿عَالِمِ﴾ بالخفض على البدل من الهاء في ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ﴾ ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ في جميع ما يصدر عنه ﴿الْخَبِيرُ﴾ بكل شيء.

وقد أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن السديّ[٢] في قوله: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ﴾ يقول: كذبت قريش بالقرآن ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾. وأما الوكيل فالحفيظ، وأما ﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ﴾ فكان نبأ القوم استقرّ يوم بدر بما كان يَعِدُهم من العذاب.

وأخرج النحاس[٣] في «ناسخه»، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ [يونس: ١٠٨] قال: نسخ هذه الآية آية السيف: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة ٥].

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس[٤] ﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ﴾ يقول: حقيقة.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن الحسن[٥] أنه قال في قوله: ﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ﴾ قال: حُبست عقوبتُها حتى عُمل ذنبُها أُرسلت عقوبتها.

وأخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس[٦] في قوله: ﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ﴾ قال: فعلٌ وحقيقة ما كان منه في الدنيا وما كان منه في الآخرة.

---

(١) «القراءات الشاذة» (ص٣٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢/ ٧٥)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٧٥). وهي قراءة شاذة، انظر: «تخريج القراءات في فتح القدير» (ص١٢٣).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٣١٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣١٣ رقم ٧٤٢٠، ٧٤٢١، ٧٤٢٤) بسند حسن.

(٣) في «ناسخه» (ص٤١٦).
قال النحاس عقب هذا الأثر: «هذا خبر لا يجوز أن ينسخ، ومعنى وكيل: حفيظ ورقيب. والنبيُّ ﷺ ليس هو عليهم بحفيظ، إنما عليه أن ينذرهم، وعقابهم إلى الله ﷻ».اهـ.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٣١٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣١٣ رقم ٧٤٢٢) بسند صحيح.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٣١٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣١٣ رقم ٧٤٢٣) بسند حسن.

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٣١٢) بسند ضعيف.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس[١] في قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ ونحو هذا في القرآن قال: أمر الله المؤمنين بالجماعة، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم أنما أهلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن مجاهد[٢] في قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ قال: يستهزئون بها، نُهِي محمداً ﷺ أن يقعد معهم إلا أن يَنْسى، فإذا ذَكر، فليقم وذلك قول الله: ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وأخرج عبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عَنْ محمد بن سيرين[٣] أَنَّه كان يرى أن هذه الآية نزلت في أهل الأهواء.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وأبو نعيم في «الحلية»، عن أبي جعفر[٤] قال: لا تجالسوا أهل الخصومات؛ فإنهم الذين يخوضون في آيات الله.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، عن محمد بن علي[٥] قال: إنّ أصحابَ الأهواء من الذين يخوضون في آيات الله.

وأخرج أبو الشيخ[٦]، عَنْ مقاتل قال: كان المشركون بمكة إذا سمعوا القرآن من أصحاب النبي ﷺ خاضوا واستهزءوا، فقال المسلمون: لا تصلح لنا مجالستُهم نخاف أن نخرج حين نسمع قولهم، ونجالسهم فلا نَعيب عليهم، فأنزل الله هذه الآية.

وأخرج أبو الشيخ[٦] أيضاً عن السديّ أنه قال: إن هذه الآية منسوخة بآية السيف.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٣١٤ ـ ٣١٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣١٤ رقم ٧٤٢٦) بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٣١٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣١٥ رقم ٧٤٣٣) بسند ضعيف.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣١٤ رقم ٧٤٢٨) بسند حسن.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٣١٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ١٨٤) بسند ضعيف.

(٥) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٢٩٢).

(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٢٩٣).

وأخرج النحاس(١) عن ابن عباس في قوله: ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ قال: نُسخت هذه الآية المكية بالآية المدنية، وهي قوله: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا﴾ الآية [النساء: ١٤٠].

وأخرج عبد بن حميد، وأبو الشيخ، عن مجاهد(٢) ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ إنْ قعدوا ولكن لا تقعدوا.

وأخرج ابن أبي شيبة(٣) عن هشام بن عروة، عن عمر بن عبد العزيز، أنه أتى بقوم قعدوا على شراب معهم رجل صائم فضربه وقال: ﴿فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ﴾ [النساء: ١٤٠].

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن مجاهد(٤) في قوله: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ قال: هو مثل قوله: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدثر: ١١]؛ يعني: أنّه للتهديد.

وأخرج عبد بن حميد، وأبو داود في «ناسخه»، عن قتادة(٥)، في هذه الآية قال: نسختها آية السيف.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عنه(٦) في قوله: ﴿لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ قال: أكلاً وشرباً.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس(٧) في

---

(١) في «ناسخه» (ص٤١٧) وقال: ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ خبر، ومحال نسخه، والمعنى فيه بيّن: ليس على من اتقى الله ﷻ إذا نهى إنساناً عن منكر من حسابه شيء، الله ﷻ مطالبه ومعاقبه، وعليه أن ينهاه ولا يقعد معه راضياً بقوله وفعله، وإلا كان مثله، وهذان الحديثان وإن كانا عن ابن عباس، فإنهما مِنْ حديث جويبر.

(٢) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٢٩٣).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٢٩٤).

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٣١٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣١٧ رقم ٧٤٤٧) بسند صحيح.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٣١٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣١٧ رقم ٧٤٤٨)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٢١٢) بسند صحيح.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣١٨ رقم ٧٤٤٩) بسند حسن.

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٣٢٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣١٨ رقم ٧٤٥٣) بسند صحيح.

قوله: ﴿أَن تُبْسَلَ﴾ قال: أن تُفْضحَ، وفي قوله: ﴿أُبْسِلُوا﴾ قال: فُضِحوا.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عنه[١] في قوله: ﴿أَن تُبْسَلَ﴾ قال: تُسلَم، وفي قوله: ﴿أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا﴾ قال: أُسلموا بجرائرهم.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عنه[٢] أيضاً في قوله: ﴿قُلْ أَنَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ﴾ قال: هذا مَثَلٌ ضربه الله للآلهة وللدعاة الذين يدعون إلى الله، وقوله: ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ﴾ يقول: أضلته، وهم الغِيلان يدعونه باسمه، واسم أبيه، وجدّه، فيتبعها ويرى أنه في شيء فَيُصبحُ وقد ألقته في هلكةٍ، وربما أكلته، أو تُلقيه في مضلة من الأرض، يهلِكُ فيها عطشاً، فهذا مثل مَنْ أجاب الآلهة التي تعبد من دون الله.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عنه[٣] أيضاً في قوله: ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ﴾ قال: هو الرجل لا يستجيب لهُدى الله، وهو الرجل أطاع الشيطان وعمل في الأرض بالمعصية، وحاد عَنْ الحق وضلّ عنه، و﴿لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى﴾ ويزعمون أن الذي يأمرونه به هدى، يقول الله ذلك لأوليائهم مِنْ الإِنس يقول: ﴿إِنَّ هُدَى اللَّهِ﴾ والضلالة ما تدعو إليه الجنُّ.

وأخرج ابن المبارك في «الزهد»، وعبد بن حميد، وأبو داود، والترمذي وحسنه، والنسائي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن حبان، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «البعث»، عن عبد الله بن عمرو[٤] قال: «سئل النبي ﷺ [٢/٨٥] عن الصور فقال: «قَرْن يُنفخ فيه».

والأحاديث الواردة في كيفية النفخ ثابتة في كتب الحديث لا حاجة لنا إلى إيرادها ها هنا.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/١٣١٨ رقم ٧٤٥٢) بسند ضعيف.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/٣٢٩ ـ ٣٣٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/١٣٢١ رقم ٧٤٦٩، ٧٤٧٣) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/٣٣١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/١٣٢٢ رقم ٧٤٧٥) بسند ضعيف.

(٤) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» رقم (١٥٩٩)، وأبو داود رقم (٤٧٤٢)، والترمذي رقم (٢٤٣٠، ٣٢٤٤)، والنسائي في «الكبرى» كما في «تحفة الأشراف» (٦/٢٨٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/١٣٢٣ رقم ٧٠٨٣)، وابن حبان رقم (٧٣١٢)، والحاكم (٢/٤٣٦، ٥٠٦). وهو حديث صحيح.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس(١)، في قوله: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾؛ يعني: أن عالم الغيب والشهادة هو الذي ينفخ في الصور.

[مناظرة الخليل لقومه في وحدانية الله ﷻ]:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾
وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ
رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا
رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً
قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ
لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ
أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا وَسِعَ رَبِّى
كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ
أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ
﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ
ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾.

قوله: ﴿لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾ قال الجوهري(٢): آزر اسمٌ أعجمي، وهو مشتق مِنْ آزر فلانٌ فلاناً إذا عاونَه، فهو مؤازرٌ قومه على عبادة الأصنام.

وقال ابن فارس(٣): إنه مشتق من القوّة.

قال الجويني في «النكت»(٤) مِنْ التفسير له: ليس بين الناس اختلاف في أن اسم والد إبراهيم تارخ، والذي في القرآن يدل على أن اسمه آزر.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٣٤١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٢٤ رقم ٧٤٨٥).

(٢) في «الصحاح» (٢/ ٥٧٨). (٣) في «مجمل اللغة» (١/ ٩٥).

(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٨/ ٤٣٤). والجوني هذا اسمه أبو بكر محمد بن محمد بن الحسن الجونيي، وليس هو إمام الحرمين.

وقد تُعقب في دعوى الاتفاق بما روي[١] عن ابن إسحاق، والضحاك، والكلبي أنه كان له اسمان: آزر وتارخ.

وقال مقاتل[٢]: آزر لقب، وتارخ اسم.

وقال سليمان[٣] التيمي: إنّ آزر سَبٌّ «وعيب»، ومعناه في كلامهم: المُعْوج.

وقال الضحاك[٤]: معنى آزر: الشيخ الهِمّ بالفارسية.

وقال الفرّاء[٥]: هي صفة ذم بلغتهم كأنَّه قال: يا مُخطئ، وروي مثله عن الزجاج[٦].

وقال مجاهد[٧]: هو اسم صنم. وعلى هذا إطلاق اسم الصنم على أبيه: إما للتعيير له لكونه معبوده، أو على حذفٍ مضاف؛ أي: قال لأبيه عابد آزر، أو: أتعبد آزر على حذف الفعل.

وقرأ ابن عباس[٨]: «أإزر» بهمزتين الأولى مفتوحة والثانية مكسورة، وروي عنه أنه قرأ بهمزتين[٩] مفتوحتين.

ومحل ﴿وَإِذْ قَالَ﴾ النصب على تقدير: واذكرْ إذْ قال إبراهيم، ويكون هذا

---

(١) انظر: «جامع البيان» (٩/ ٢٤٣، ٣٤٦)، و«معالم التنزيل» (٢/ ١٠٨)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٢ ـ ٣).

(٢) ذكره البغوي في «تفسيره» (٢/ ١٠٨).

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٤٣٣)، و«معالم التنزيل» (٢/ ١٠٨)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٧٦).

(٤) انظر: المصادر المتقدمة.

(٥) بل قاله الزجاج في «معاني القرآن» له (٢/ ٢٦٥)، وقال الفراء في «معاني القرآن» له (١/ ٣٤٠): «وقد بلغني أن معنى «آزر» في كلامهم معوج، كأنه عابه بزيفه وبعوجه عن الحق». وانظر: «جامع البيان» (٩/ ٣٤٥).

(٦) في «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٦٥).

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٣٤٣ ـ ٣٤٤) بسند صحيح.

(٨) «القراءات الشاذة» (ص٣٨)، و«المحتسب» (١/ ٢٢٣)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٧٦). وهي قراءة شاذة.

(٩) «المحتسب» (١/ ٢٢٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٤٣٥)، و«البحر المحيط» (٤/ ٥٦٠)، و«روح المعاني» (٨/ ٢٥٠ ـ ٢٥١). وهي قراءة شاذة أيضاً والمتواتر (آزر) الجر بالفتحة عند الجمهور والرفع عند يعقوب، انظر: «تخريج القراءات في فتح القدير» (ص١٢٣).

المقدر معطوفاً على ﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ٧١]، وقيل: هو معطوف على ﴿وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ﴾ [الأنعام: ٧٠]. وآزر عطفُ بيان.

قولُه: ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾ الاستفهام(١) للإنكار؛ أي: أتجعلها آلهةً لك تعبدها ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ﴾ المتبعين لك في عبادة الأصنام في ﴿ضَلَٰلٍ﴾ عن طريق الحق ﴿مُّبِينٍ﴾ واضح ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾؛ أي: ومثل تلك الإراءة نُري إبراهيم، والجملة معترضة و﴿مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ملكهما، وزيدت التاء والواو للمبالغة في الصفة.

ومثلُه: الرَّغبوت والرَّهبوت مبالغة في الرغبة والرهبة. قيل: أراد بملكوت السمٰوات والأرض ما فيهما مِنْ الخلق؛ وقيل: كشف الله(٢) له عن ذلك حتى رأى إلى العرش وإلى أسفل الأرَضين؛ وقيل: رأى مِنْ ملكوت السمٰوات والأرض ما قصه الله في هذه الآية؛ وقيل: المراد بملكوتهما: الربوبية والإلٰهية؛ أي: نريه ذلك ونوقفه لمعرفته بطريق الاستدلال التي سلكها؛ ومعنى «نُرَى»: أريناه، حكاية(٣) حال ماضية.

قولُه: ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ متعلق بمقدّر؛ أي: أريناه ذلك ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ وقد كان آزر وقومُه يعبدون الأصنام والكواكب والشمس والقمر، فأراد أن ينبههم على الخطأ؛ وقيل: إنه ولد في سَرَبٍ، وجعل رزقه في أطراف أصابعه، فكان يمصها. وسبب جعله في السرب، أن النمروذ رأى رؤيا أن ملكه يذهب على يد مولود فأمر بقتل كل مولود، والله أعلم.

قولُه: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ﴾؛ أي: ستره بظلمته، ومنه الجَنّة والمِجَنّ والجِنّ كله مِنْ السِّتْر، قال الشاعر(٤):

ولولا جَنانُ الليل أدرك ركضُنا بذي الرِّمث والأرطىٰ عياضَ بنَ ناشِبِ

والفاء للعطف على «قال إبراهيم»؛ أي: واذكر إذ قال، وإذ جنّ عليه الليل، فهو قصة أخرى غير قصة عرض الملكوت عليه، وجواب لما ﴿رَءَا كَوْكَبًا﴾ قيل:

---

(١) «التبيان» (١/ ٥١٠)، و«البحر المحيط» (٤/ ٥٦٢)، و«روح المعاني» (٨/ ٢٥٠).
(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٤٣٦).
(٣) «البحر المحيط» (٤/ ٥٦٢)، و«التبيان» (١/ ٥١٠ ـ ٥١١).
(٤) دريد بن الصمة. انظر: «ديوانه» (ص٢٩).

رآه[١] مِنْ شق الصخرة الموضوعة على رأس السَرَب الذي كان فيه.

وقيل: رآه لما أخرجه أبوه مِنْ السَرَب وكان وقت غيبوبة الشمس، قيل: رأى المشتري وقيل: الزهرة[٢].

قولُه: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ جملة مستأنفة جواب سؤال مقدّر؛ كأنّه قيل: فماذا قال عند رؤية الكوكب؟ وكان هذا منه عند قصور[٣] النظر؛ لأنَّه في زمن الطفولية؛ وقيل: أراد قيام الحجة على قومه كالحاكي لما هو عندهم وما يعتقدونه لأجل إلزامهم، وبالثاني قال الزجّاج[٤].

وقيل: هو على حذف حرف الاستفهام؛ أي: أهذا ربي؟ ومعناه: إنكار أن يكون مثل هذا ربّاً، ومثلُه قوله تعالى: ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤]؛ أي: أفهم الخالدون، ومثله قول الهُذلي[٥]:

رَفَوني وقالوا يا خُويلدُ لم تُرَعْ ... فقلتُ وأنكرتُ الوجوهَ هُمُ هُمُ

أي: أهمُ همُ، وقول الآخر[٦]:

لعَمُركَ ما أدري وإنْ كنتُ داريا ... بسبعٍ رمينَ الجمرَ أم بثمانيا

أي: أبسبع.

وقيل المعنى: وأنتم تقولون: هذا ربي فأضمر القولَ، وقيل: المعنى: على حذف مضاف؛ أي: هذا دليلُ ربي. ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ﴾؛ أي: غَرَب.

﴿قَالَ﴾ إبراهيم ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ﴾؛ أي: الآلهة التي تغرب، فإن الغروب تغيّر مِنْ حال إلى حال، وهو دليل الحدوث.

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا﴾؛ أي: طالعاً، يقال: بَزَغ القمر[٧] إذا ابتدأ في الطلوع، والبَزْغُ: الشَّق كأنّه يشق بنوره الظلمةَ.

﴿فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾؛ أي: لئن لم يُثبّتني على الهداية، ويوفقني للحجة ﴿لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾ الذين لا يهتدون للحق فيظلمون أنفسَهم ويحرمونها حظها من الخير.

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٤٣٨).
(٢) «معالم التنزيل» (٢/ ١١٠).
(٣) «جامع البيان» (٩/ ٣٥٣).
(٤) في «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٦٦).
(٥) وهو: أبو خراش. «ديوان الهذليين» (٢/ ١٤٤).
(٦) وهو: عمر بن أبي ربيعة. انظر: «ديوانه» (ص٢٠٩).
(٧) «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٤٤١).

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً﴾ بازغاً وبازغة منصوبان على الحال؛ لأن الرؤية بصرية، وإنما ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾ مع كون الشمس مؤنثة؛ لأن مراده هذا الطالع، قاله: الكسائي[١] والأخفش[٢].

وقيل: هذا الضوء؛ وقيل: الشخص ﴿هَٰذَآ أَكۡبَرُ﴾؛ أي: بما تقدّمه من الكوكب والقمر.

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾؛ أي: من الأشياء التي تجعلونها شركاء لله وتعبدونها، وما موصولة[٣] أو مصدرية، قال بهذا لما ظهر له أن هذه الأشياء مخلوقة لا تنفع ولا تضرّ، مستدلاً على ذلك بأفولها الذي هو دليل حدوثها.

﴿إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ﴾؛ أي: قصدت[٤] بعبادتي وتوحيدي الله ﷻ.

وذكر الوجه لأنه العضو الذي يعرف به الشخص، أو لأنه يطلق على الشخص كله كما تقدّم.

وقد تقدّم معنى ﴿فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗا﴾ مائلاً إلى الدين الحق.

قوله: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥ﴾؛ أي: وقعت منهم المحاججة له في التوحيد بما يدل على ما يدّعونه من أن ما يشركون به، ويعبدونه من الأصنام آلهة. فأجاب إبراهيم ﵇ بما حكاه الله عنه أنه قال: ﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ﴾؛ أي: في كونه لا شريك له، ولا ندّ ولا ضدّ.

وقرأ نافع[٥] بتخفيف نون أتحاجوني.

وقرأ الباقون بتشديدها[٦] بإدغام نون الجمع في نون الوقاية، ونافع خفف

---

(١) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ٧٧)، والقرطبي في «تفسيره» (٨/ ٤٤١).
(٢) في «معاني القرآن» للأخفش (١/ ٤٩٦).
(٣) «التبيان» (١/ ٥١٣)، و«روح المعاني» (٨/ ٢٧٣).
(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٤٤٢)، و«جامع البيان» (٩/ ٣٦٢ ـ ٣٦٣).
(٥) «البحر المحيط» (٤/ ٥٦٩)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٣٦)، و«روح المعاني» (٨/ ٢٧٠)، و«حاشية الجمل» (٢/ ٥٤).
(٦) انظر: المصادر المتقدمة. قال في «تخريج القراءات في فتح القدير» للشيخ إيهاب فكري: «التشديد والتخفيف في النون قراءتان متواترتان، ولكن العزو غير دقيق، فمع نافع في ذلك ابن عامر من رواية ابن ذكوان، وكذلك من رواية هشام بخلاف عنه، ومعهم كذلك أبو جعفر. والباقون بالتشديد، ويكفي في الرد علي المحكى عن أبي عمرو ـ مع أن الإمام الشوكاني، حكاها بصيغة التمريض للإشارة لضعفها ـ أنها قراءة ابن عامر العربي الصريح، وهو حجة في اللغة. ا.هـ.

فحذف إحدى النونين، وقد أجاز ذلك سيبويه[١].

وحُكي عَنْ أبي عمرو بنِ العلاء أَنّ قراءة نافع لحنٌ، وجملة ﴿وَقَدْ هَدَىٰنِۚ﴾ في محل نصب[٢]، على الحال؛ أي: هداني إلى توحيده وأنتم تريدون أن أكون مثلكم في الضلالة والجهالة وعدم الهداية.

قولُه: ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ﴾ قال: هذا لما خوّفوه من آلهتهم بأنها ستغضب عليه، وتصيبه بمكروه؛ أي: إني لا أخاف ما هو مخلوق من مخلوقات الله لا يضرّ ولا ينفع.

والضمير[٣] في [٢/٨٦] «به» يجوز رجوعه إلى الله وإلى معبوداتهم المدلول عليها بما في ﴿مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔاۗ﴾؛ أي: إلا وقت مشيئة ربي بأن يلحقني شيئاً من الضرر بذنب عملته فالأمر إليه، وذلك منه لا من معبوداتكم الباطلة التي لا تضرّ ولا تنفع.

والمعنى: على نفي حصول ضرر من معبوداتهم على كل حال، وإثبات الضرر والنفع لله سبحانه، وصدورهما حسب مشيئته، ثم علّل ذلك بقوله: ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًاۗ﴾؛ أي: إنّ علمه محيط بكل شيء، فإذا شاء الخير كان حسب مشيئته، وإذا شاء إنزال شرّ بي كان، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

ثم قال لهم مكملاً للحجة عليهم، ودافعاً لما خوّفوه به: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًاۚ﴾ أي: كيف أخاف ما لا يضرّ ولا ينفع ولا يخلق ولا يرزق؟! والحال أنكم لا تخافون ما صدر مِنْكم من الشرك بالله، وهو الضارّ النافع الخالق الرازق، أورد عليهم هذا الكلام الإلزامي الذي لا يجدون عنه مخلصاً ولا متحوّلاً، والاستفهام[٤] للإنكار عليهم والتقريع لهم.

و ﴿مَا﴾ في ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًاۚ﴾ مفعول أشركتم؛ أي: ولا تخافون أَنّكم جعلتم الأشياء التي لم يُنزل بها عليكم سلطاناً شركاء لله، أو المعنى:

---

(١) في «الكتاب» (٣/ ٥٢٠).

(٢) «البحر المحيط» (٤/ ٥٦٩ ـ ٥٧٠)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٧٨).

(٣) «البحر المحيط» (٤/ ٥٦٩)، و«روح المعاني» (٨/ ٢٧١)، و«التبيان» (١/ ٥١٣).

(٤) «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٧٨)، و«روح المعاني» (٨/ ٨١٠)، و«التبيان» (١/ ٥١٤).

أنّ الله سبحانه لم يأذن بجعلها شركاء له، ولا نزل عليهم بإشراكها حجةً يحتجون بها، فكيف عبدوها واتخذوها آلهة، وجعلوها شركاء لله سبحانه؟!

قولُه: ﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ﴾ المراد: بالفريقين: فريق المؤمنين[١] وفريق المشركين؛ أي: إذا كان الأمر على ما تقدم من أن معبودي هو الله المتصف بتلك الصفات، ومعبودكم هي تلك المخلوقات، فكيف تخوّفوني بها، وكيف أخافها وهي بهذه المنزلة؟ ولا تخافون من إشراككم بالله سبحانه، وبعد هذا فأخبروني أي الفريقين أحق بالأمن وعدم الخوف ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ بحقيقة الحال، وتعرفون البراهين الصحيحة وتميزونها عن الشُّبه الباطلة. ثم قال الله سبحانه قاضياً بينهم ومبيناً لهم: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾؛ أي: هم الأحق بالأمن من الذين أشركوا؛ وقيل: هو من تمام قول إبراهيم؛ وقيل: هو من قول قوم إبراهيم.

ومعنى ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾: لم يخلطوه بظلم. والمراد بالظلم: الشرك، لما ثبت في «الصحيحين» وغيرهما من حديث ابن مسعود[٢] قال: لما نزلت هذه الآية شقّ ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، وقالوا: أيُّنا لم يظلم نفسَه؟ فقال رسول الله ﷺ: «ليس هو كما تظنون، إنما هو كما قال لقمان: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]»، والعجب مِنْ صاحب «الكشاف»[٣] حيث يقول في تفسير هذه الآية: وأبى تفسير الظلم بالكفر لفظ اللّبس. وهو لا يدري أن الصادق المصدوق قد فسرها بهذا، وإذا جاء نهر الله[٤] بطل نهر مَعقِل.

والإشارة بقوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ إلى الموصول المتصف بما سبق، و﴿لَهُمُ ٱلْأَمْنُ﴾ جملة وقعت خبراً عن اسم الإشارة، هذا أوضح ما قيل مع احتمال غيره من الوجوه.

---

(١) «جامع البيان» (٩/ ٣٦٨ ـ ٣٦٩).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٣٢) و(٣٣٦٠) و(٣٤٢٨) و(٣٤٢٩)، ومسلم رقم (١٩٧، ١٩٨/ ١٢٤).

(٣) في «الكشاف» (٢/ ٣٦٩).

(٤) هذا مثل من الأمثال الفصحى، وكثيرا ما يشتهد به المؤلف انظر: «مجمع الأمثال للميداني» (١/ ٨٧) وهو مثلٌ يضرب لمن أرد تقديم ما في فكره وعقله على ما جاء من عند الله.

﴿وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ إلى الحقِّ، ثابتون عليه، وغيرهم على ضلال وجهل، والإشارة بقوله: ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ﴾ إلى ما تقدّم من الحجج[١] التي أوردها إبراهيم عليهم؛ أي: تلك البراهين التي أوردها إبراهيم عليهم من قوله: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ﴾ إلى قوله: ﴿وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ﴾؛ أي: أعطيناه إيّاها وأرشدناه إليها.

وجملة ﴿ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ في محل نصب[٢] على الحال، أو في محل رفع على أنها خبر ثان لاسم الإشارة ﴿عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ﴾؛ أي: حجة على قومه ﴿نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ﴾ بالهداية والإرشاد إلى الحق وتلقين الحجة، أو بما هو أعم من ذلك ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ﴾؛ أي: حكيم في كل ما يصدر عنه، عليم بحال عباده، وأن منهم مَنْ يستحق الرفع ومنهم من لا يستحقه.

وقد أخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن ابن عباس[٣] قال في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾ قال: الآزر: الصنمُ، وأبو إبراهيم اسمه يازر، وأمه اسمها مثلى، وامرأته اسمها سارة، وسرّيتُه أم إسماعيل اسمها هاجر.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد[٤] قال: آزر لم يكن بأبيه، ولكنه اسم صنم. وأخرج ابن أبي حاتم[٥]، عن السديّ قال: اسم أبيه تارخ واسم الصنم آزر.

وأخرج ابن المنذر[٦] عن ابن جريج نحوه.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن سليمان التيمي[٧]، أنه قرأ ﴿وَإِذۡ

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٤٤٥)، و«جامع البيان» (٩/ ٣٧٩).

(٢) «روح المعاني» (٨/ ٢٧٨)، و«التبيان» (١/ ٥١٤ ـ ٥١٥).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٢٤ رقم ٧٤٨٩) بسند حسن.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٣٤٣ ـ ٣٤٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٢٥ رقم ٧٤٩٢) بسند صحيح.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٢٤ رقم ٧٤٩٠)، وابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٣٤٤) بسند حسن.

(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٠٠).

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٢٥ رقم ٧٤٩٣) معلقاً.

﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾ قال: بلغني أنها أعوج وأنها أشدّ كلمة قالها إبراهيم لأبيه.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن ابن عباس[١] أنه قال: إن والد إبراهيم لم يكن اسمه آزر، وإنما اسمه تارخ.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «الأسماء والصفات»، عنه[٢] في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قال: الشمس والقمر والنجوم.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عنه[٣] قال: في الآية «كُشف ما بين السمٰوات حتى نظر إليهنّ على صخرة، والصخرةُ على حوتٍ، وهو الحوت الذي منه طعام الناس، والحوت في سلسلة، والسلسلة في خاتم العزّة.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، عن مجاهد[٤] في الآية قال: سلطانهما.

وأخرج ابن أبي حاتم[٥]، عن الربيع بن أنس، في قوله: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ﴾ يقول: خاصموه. وأخرج ابن أبي حاتم[٦]، عن ابن عباس في قوله: ﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى﴾ قال: أتخاصموني.

وأخرج ابن أبي شيبة، والحكيم الترمذي، وابن جرير، وابن المنذر، وأبو الشيخ، وابن مردويه، عن أبي بكر الصديق[٧] أنه فسّر ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ بالشرك.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٢٥ رقم ٧٤٩١) بسند ضعيف.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٣٥٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٢٦ رقم ٧٤٩٨)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٦١٢) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٢٥ رقم ٧٤٩٦) من طريق ابن أبي ليلى، به.

(٤) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٠١).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٣١ رقم ٧٥٣١) بسند حسن.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٣١ رقم ٧٥٣٢) بسند ضعيف.

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٣٧٢)، والحكيم الترمذي (١/ ٢٣١)، والحاكم (٢٤٤٠) بسند ضعيف.

وكذلك أخرج أبو الشيخ[١] عن عمر بن الخطاب، وكذلك أخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وأبو الشيخ، عن حذيفة بن اليمان[٢].

وكذلك أخرج عبد بن حميد، وابن جرير، عن سلمان الفارسي[٣].

وكذلك أخرجا أيضاً عن أُبيّ بن كعب[٤].

وكذلك أخرج ابن المنذر، وابن مردويه، عن ابن عباس[٥].

وأخرج عنه[٦] من طريق أخرى عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وأبو الشيخ مثله، وقد روي عن جماعة من التابعين مثل ذلك.

ويغني عن الجميع ما قدّمنا عن رسول الله ﷺ في تفسير الآية كما هو ثابت في «الصحيحين»[٧] وغيرهما.

وأخرج ابن المنذر، عن ابن جريج[٨]، في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ قال: خصمهم.

وأخرج أبو الشيخ[٩]، عن زيد بن أسلم، في قوله: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ قال: بالعلم.

وأخرج أبو الشيخ[٩]، عن الضحاك قال: إن للعلماء درجاتٍ كدرجات الشهداء.

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٠٨).
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٣٧٣) بسند ضعيف.
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٣٧٣) بسند ضعيف.
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٣٧٥) بسند صحيح.
(٥) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣١٠).
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٣٧٣ ـ ٣٧٤) بسند ضعيف.
(٧) تقدم نصّه وتخريجه.
(٨) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣١٠).
(٩) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣١٠).

[الأمر بالاقتداء بالأنبياء، وذكر جمعٍ منهم]:

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾.

قولُه: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ﴾ معطوف على جملة «وتلك حجتنا» عطف جملة فعلية [٨٧/٢] على جملة اسمية، وقيل: معطوف على آتيناها والأوّل: أولى. والمعنى: ووهبنا له ذلك جزاء له على الاحتجاج[(١)] في الدين وبذل النفس فيه، و﴿كُلًّا هَدَيْنَا﴾ انتصاب[(٢)] «كلّاً» على أنه مفعول لما بعده مقدّم عليه للقصر؛ أي: كل واحد منهما هديناه، وكذلك نوحاً منصوب بهدينا الثاني، أو بفعل مضمر يفسره ما بعده.

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾؛ أي: من ذرية إبراهيم، وقال الفراء[(٣)]: من ذرية نوح. واختاره ابن جرير[(٤)] الطبري، والقشيري[(٥)]، وابن عطية[(٦)].

واختار الأوّل الزجاج[(٧)]، واعُترض[(٨)] عليه بأنه عدّ من هذه الذرية يونس ولوطاً، وما كانا من ذرية إبراهيم، فإن لوطاً هو ابن أخي إبراهيم.

وانتصب ﴿دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ بفعل مضمر؛ أي: وهدينا مِنْ ذريته داود وسليمان، وكذلك ما بعدهما، وإنما عدّ الله سبحانه هداية هؤلاء الأنبياء من النعم التي عدّدها

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٤٤٦/٨).
(٢) «إعراب القرآن» للنحاس (٧٩/٢)، و«روح المعاني» (٢٨٣/٨)، و«التبيان» (٥١٥/١).
(٣) في «معاني القرآن» للفراء (٣٤٢/١).
(٤) في «جامع البيان» (٣٨١/٩ ـ ٣٨٢).
(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٤٤٦/٨).
(٦) في «المحرر الوجيز» (١٠٠/٦).
(٧) في «معاني القرآن» للزجاج (٢٦٩/٢).
(٨) «المحرر الوجيز» (١٠٠/٦ ـ ١٠١)، و«جامع البيان» (٣٨١/٩ ـ ٣٨٢).

على إبراهيم، لأن شرف الأبناء متصل بالآباء، ومعنى «مِنْ قبلُ» في قوله: ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾؛ أي: من قبل إبراهيم.

والإشارة بقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ إلى مصدر الفعل المتأخر؛ أي: ومثل ذلك الجزاء ﴿نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَإِلْيَاسَ﴾ قال الضحاك[1]: هو مِنْ ولد إسماعيل.

وقال القتيبي[2]: هو من سبط يوشع بن نون.

وقرأ الأعرج[2] والحسن، وقتادة ﴿وَإِلْيَاسَ﴾ بوصل الهمزة.

وقرأ أهل الحرمين وأبو عمرو وعاصم «وَالْيَسَع»[3] مخففاً.

وقرأ الكوفيون[4] إلا عاصماً بلامين، وكذا قرأ الكسائي، ورد القراءة الأولى، ولا وجه[5] للردّ فهو اسم أعجمي، والعجمةُ لا تؤخذ بالقياس، بل تؤدى على حسب السماع[6]، ولا يمتنع أن يكون في الاسم لغتان للعجم، أو تغيره العرب تغييرين.

قال المهدوي[7]: من قرأ بلام واحدة فالاسم يَسَع، والألف واللام مزيدتان، كما في قول الشاعر[8]:

رأيتُ الوليد بن اليزيد مُباركاً شديداً بأعباء الخلافة كاهلُه

ومن قرأ بلامين فالاسم لَيْسَع، وقد توهم قوم أن اليسع هو إلياس وهو وهم، فإن الله أفرد كل واحد منهما.

---

(١) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٤٤٨).
ذكره القرطبي في «تفسيره» (٨/ ٤٤٨).

(٢) ذكره عنهم النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ٨٠)، والقرطبي في «تفسيره» (٨/ ٤٤٨). وهي قراءة شاذة.

(٣) «التيسير» (ص١٠٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٤٤٨)، و«البحر المحيط» (٤/ ٥٧٤)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٨٠). هما قراءتان متواترتان، ومع القارئين بالتخفيف ابن عامر ويعقوب. انظر: «تخريج القراءات في فتح القدير» (ص١٢٤).

(٤) انظر: المصادر المتقدمة.

(٥) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٨٠).

(٦) «الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٣٨)، و«النشر» (٢/ ٢٦٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٤٤٩).

(٧) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٨/ ٤٤٩).

(٨) انظر: «ديوان ابن ميادة الرماح بن أبرد» (ص١٩٢).

وقال وهب[١]: اليسع صاحب إلياس، وكانوا قبل يحيى وعيسى وزكريا.

وقيل[٢]: إلياس هو إدريس، وهذا غير[٣] صحيح؛ لأن إدريس جدّ نوح وإلياس مِنْ ذريته

وقيل: إلياس[٣] هو الخضر؛ وقيل: لا، بل اليسع[٤] هو الخضر.

﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ أي: كل واحد فضلناه بالنبوّة على عالمي زمانه، والجملة معترضة.

قوله: ﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ﴾؛ أي: هدينا، «ومِنْ» للتبعيض[٥]؛ أي: هدينا بعض آبائهم وذرياتهم وأزواجهم ﴿وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ﴾ معطوف على فضّلنا، والاجتباء[٦]: الاصطفاء أو التخليص أو الاختيار، مشتق من جَبَيتُ الماء في الحوض جمعته، فالاجتباء ضم الذي تجتبيه إلى خاصيتك.

قال الكسائي[٧]: جبيت الماء في الحوض جبي مقصور، والجابية الحوض، قال الشاعر[٨]:

كجابية الشيخ العراقي تفهقُ[٩]

والإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ﴾ إلى الهداية والتفضيل والاجتباء المفهومة من الأفعال السابقة. ﴿يَهْدِى بِهِۦ﴾ الله ﴿مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ وهم الذين وفقهم للخير، واتباع الحق.

﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟﴾؛ أي: هؤلاء المذكورون بعبادة غير الله ﴿لَحَبِطَ عَنْهُم﴾ من

---

(١) انظر: «المعارف» لابن قتيبة (ص٥٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٤٥٠).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٣٨٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٣٦ رقم ٧٥٥٦)، وابن حبان في «الثقات» (٩/ ٢٠٠)، وابن عساكر في «تاريخ مدينة دمشق» (٩/ ٢٠٧) من طريق عبيدة بن ربيعة، عن عبد الله بن مسعود.

(٣) ذكره ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٣٨٣).

(٤) «مجمع البيان» (٢/ ١٢٢).

(٥) «روح المعاني» (٨/ ٢٩١)، و«البحر المحيط» (٤/ ٥٧٦).

(٦) «تهذيب اللغة» (١١/ ٢١٤)، و«الصحاح» (٦/ ٢٢٩٧).

(٧) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٨/ ٤٥١)، والجوهري في «الصحاح» (٦/ ٢٢٩٧).

(٨) الأعشى. انظر: «ديوانه» (ص٢٧٥).

(٩) وصدر البيت:

نفَى الذمَّ عن آل المحلَّق جفنةٌ

حسناتهم ﴿مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ والحبوط البطلان. وقد تقدّم تحقيقه في البقرة.

والإشارة بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ إلى الأنبياء المذكورين سابقاً؛ أي: جنس الكتاب، ليصدق على كل ما أُنزل على هؤلاء المذكورين: ﴿وَٱلْحُكْمَ﴾ العلم ﴿وَٱلنُّبُوَّةَ﴾ الرسالة أو ما هو أعمّ من ذلك. ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الضمير في «بها» للحكم والنبوّة والكتاب، أو للنبوّة فقط، والإشارة بـ «هؤلاء» إلى كفار قريش المعاندين لرسول الله ﷺ ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا﴾ هذا جواب[1] الشرط؛ أي: ألزمنا بالإيمان بها قوماً ﴿لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ وهم المهاجرون والأنصار، أو الأنبياء المذكورون سابقاً، وهذا أولى لقوله فيما بعد: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ فإن الإشارة إلى الأنبياء المذكورين لا إلى المهاجرين والأنصار إذ لا يصح أن يؤمر النبي ﷺ بالاقتداء بهداهم، وتقديم بهداهم على الفعل يفيد تخصيص[2] هداهم بالاقتداء، والاقتداء: طلبُ موافقة الغير في فعله.

وقيل: المعنى: اصبر كما صبروا؛ وقيل: اقتد بهم في التوحيد، وإن كانت جزئيات الشرائع مختلفة[3]. وفيها دلالة على أنه ﷺ مأمور بالاقتداء بمن قبله من الأنبياء فيما لم يرد عليه فيه نصّ.

قوله: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ أمره الله بأن يخبرهم بأنه لا يسألهم أجراً على القرآن، وأن يقول لهم ما ﴿هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ﴾ يعني: القرآن ﴿لِلْعَٰلَمِينَ﴾؛ أي: موعظة وتذكير للخلق كافة، الموجودين عند نزوله ومَنْ سيوجد من بعد.

وقد أخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن محمد بن كعب[4] قال: الخال والدٌ، والعمُّ والد، نسَب اللهُ عيسى إلى أخواله فقال: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾ حتى بلغ إلى قوله: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ﴾.

وأخرج أبو الشيخ، والحاكم، والبيهقي عن عبد الملك[5] بن عمير قال: دخل

---

(١) «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٧٠)، و«روح المعاني» (٨/ ٢٩٤).
(٢) «البحر المحيط» (٤/٥٧٨)، و«تفسير أبي السعود» (٣/ ٨٤).
(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٤٥٢)، و«جامع البيان» (٩/ ٣٩١ ـ ٣٩٢).
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٣٦ رقم ٧٥٥٥) من طريق موسى بن عبيدة، به.
(٥) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ١٦٤)، والبيهقي (٦/ ١٦٦) من طريق بشر بن مهران، عن شريك، عن عبد الملك بن عمير.

يحيى بن يَعْمَر على الحجاج فذكر الحسين، فقال الحجاج: لم يكن من ذرية النبي، فقال يحيى: كذبتَ، فقال: لتأتيني على ما قلتَ ببينة فتلا: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾ إلى قوله: ﴿وَعِيسَىٰ﴾ فأخبر الله أن عيسى مِنْ ذرية آدم بأمِّه، فقال: صدقت.

وأخرج ابن أبي حاتم(١)، عن أبي حرب ابن أبي الأسود قال: أرسل الحجاج إلى يحيى بن يَعمَر فقال: بلغني أنك تزعم أن الحسن والحسين من ذرية النبي، تجده في كتاب الله؟ وقد قرأتُه من أوّله إلى آخره فلم أجده، فذكر يحيى بن يعمر نحو ما تقدم.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن مجاهد(٢) في قوله: ﴿وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ﴾ قال: أخلصناهم.

وأخرج ابن أبي حاتم(٣)، عن ابن زيد في قوله: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ قال: يريد هؤلاء الذين هديناهم وفعلنا بهم.

وأخرج أبو الشيخ(٤)، عن مجاهد قال: الحكم: اللُّب.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس(٥) في قوله: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني: أهل مكة. يقول: إن يكفروا بالقرآن ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ يعني: أهل المدينة والأنصار.

وأخرج عبد الرزاق، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن قتادة(٦) في قوله: ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا﴾ قال: هم الأنبياء الثمانية عشر الذين قال الله فيهم: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٣٥ رقم ٧٥٥٤) بسند ضعيف؛ لضعف علي بن عابس.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ٣٣٦ رقم ٧٥٥٨)، وابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٣٨٦) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٣٧ رقم ٧٥٦٣) بسند ضعيف.

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣١٢).

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٣٨٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٣٨ رقم ٧٥٧١، ٧٥٧٤) بسند صحيح.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٣٨، ١٣٣٩ رقم ٧٥٧٢، ٧٥٧٦)، وابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٣٩٠)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٢١٣) بسند صحيح.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن أبي رجاء العطاردي(١) قال في الآية: هم الملائكة.

وأخرج البخاري، والنسائي وغيرهما، عن ابن عباس(٢)، في قوله: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ قال: أُمر رسول الله ﷺ أَنْ يقتدي بهداهم، وكان يسجد في صٓ.

ولفظ ابن أبي حاتم(٣) عن مجاهد: سألت ابن عباس عن السجدة التي في صٓ، فقال هذه الآية، وقال: أُمر نبيكم أن يقتدي بداود عليه السلام.

وأخرج ابن أبي حاتم(٤)، عن ابن عباس، في قوله: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ قال: قل لهم يا محمد: لا أسألكم على ما أدعوكم إليه عَرَضاً مِنْ عروض الدنيا.

[التكذيب بالرسالات طعن في الألوهية]:

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ [٢/٨٨] إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَـٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾.

قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ قَدرتُ الشيء وقدّرته: عرفتُ مقداره، وأصله:

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/١٣٣٩ رقم ٧٥٧٧) بسند صحيح.

(٢) أخرجه البخاري رقم (١٠٦٩، ٣٤٢١، ٤٦٣٢، ٤٨٠٦، ٤٨٠٧)، والنسائي في «الكبرى» رقم (١١٦٩، ١١١٧)، وسعيد بن منصور في «سننه» رقم (٨٨٨، ٨٨٩ ـ تفسير)، والطبراني في «الكبير» رقم (١١٠٣٥، ١١٠٣٧، ١١٨٦٤، ١١٨٦٥).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/١٣٣٩ ـ ١٣٤٠ رقم ٧٥٧٩).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/١٣٤٠ رقم ٧٥٨٥) بسند ضعيف.

الستر، ثم استُعمل في معرفة الشيء؛ أي: لم يعرفوه حق معرفته[١]، حيث أنكروا[٢] إرساله للرسل، وإنزاله للكتب.

وقيل: المعنى: وما قدروا نِعَم الله حقّ تقديرها[٣].

وقرأ أبو حيوة: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدَره﴾ بفتح[٤] الدال: وهي لغة.

ولما وقع منهم هذا الإنكار وهم من اليهود، أمر الله نبيّه ﷺ أن يورد عليهم حجةً لا يطيقون دفعها، فقال: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ﴾ وهم يعترفون بذلك، ويذعنون له، فكان في هذا من التبكيت لهم[٥] والتقريع، ما لا يُقَادر قدره، مع إلجائهم إلى الاعتراف بما أنكروه من وقوع إنزال الله على البشر، وهم الأنبياء عليهم السلام، فبطل جحدهم، وتبيَّن فساد إنكارهم؛ وقيل: إن القائلين بهذه المقالة هم كفار قريش فيكون إلزامهم بإنزال الله الكتاب على موسى من جهة أنهم يعترفون بذلك ويعلمونه بالأخبار من اليهود، وقد كانوا يصدقونهم. و﴿نُورًا وَهُدًى﴾ منتصبان[٦] على الحال و﴿لِّلنَّاسِ﴾ متعلق بمحذوف هو صفة لهدى؛ أي: كائناً للناس.

قوله: ﴿تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ﴾؛ أي: تجعلون الكتاب الذي جاء به موسى في قراطيس تضعونه فيها؛ ليتمّ لكم ما تريدونه من التحريف والتبديل، وكتم صفة النبي ﷺ المذكورة فيه، وهذا ذمّ لهم.

والضمير في ﴿تُبْدُونَهَا﴾ راجع إلى القراطيس، وفي ﴿تَجْعَلُونَهُ﴾ راجع إلى الكتاب، وجملة تجعلونه في محل نصب على الحال، وجملة تبدونها صفة لقراطيس ﴿وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ معطوف على «تبدونها»؛ أي: وتخفون كثيراً منها.

والخطابُ في ﴿وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ﴾ لليهود؛ أي: والحال أنكم قد عُلّمتم[٧] ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم، ويحتمل أن تكون هذه الجملة استئنافية

---

(١) قاله أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (١/ ٢٠٠).

(٢) قاله النحاس في «معاني القرآن» (٢/ ٤٥٦).

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٤٥٥).

(٤) «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٨٢)، و«البحر المحيط» (٤/ ٥٧٩)، و«التبيان» (١/ ٥١٨). وهي قراءة شاذة، وعزاها في «البحر المحيط» (٤/ ٥٧٧) للحسن وعيسى لكن ذكر أنهما يشدّدان الدال من «قدَّروا»، انظر: «تخريج القراءات في فتح القدير» (ص١٢٤).

(٥) «البحر المحيط» (٤/ ٥٧٩ ـ ٥٨٠)، و«روح المعاني» (٨/ ٢٩٩ ـ ٣٠٠).

(٦) «روح المعاني» (٨/ ٣٠١)، و«التبيان» (١/ ٥١٨).

(٧) «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٤٥٦)، و«جامع البيان» (٩/ ٣٩٩ ـ ٤٠٠).

مقرّرة لما قبلها، والذي علموه هو الذي أخبرهم به نبيّنا محمد ﷺ من الأمور التي أوحى الله إليه بها، فإنّها اشتملت على ما لم يعلموه من كتبهم، ولا على لسان أنبيائهم، ولا عَلِمه آباؤهُم، ويجوز أن تكون «ما» في ﴿مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟﴾ عبارة عما علموه مِنْ التوراة، فيكون ذلك على وجه المنّ عليهم بإنزال التوراة.

وقيل: الخطاب[1] للمشركين من قريش وغيرهم، فتكون «ما» عبارة عما علموه من رسول الله ﷺ. ثم أمر الله رسوله ﷺ بأن يجيب عن ذلك الإلزام الذي ألزمهم به حيث قال: ﴿مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ﴾ فقال: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾؛ أي: أنزله الله ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾؛ أي: ذرهم في باطلهم حال كونهم يلعبون؛ أي: يصنعون صنع الصبيان الذين يلعبون.

قوله: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ هذا من جملة الرد عليهم في قولهم: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ أَخْبرهم بأن الله أنزل التوراة على موسى، وعقبه بقوله: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾ يعني: على محمد ﷺ، فكيف تقولون: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾؟ ومبارَك ومُصدّق صفتان لكتاب، والمبارك: كثيرُ البركة، والمصدِّق: كثير التصديق، والذي بين يديه: ما أنزله الله من الكتب على الأنبياء من قبله؛ كالتوراة والإنجيل، فإنه يوافقها في الدعوة إلى الله، وإلى توحيده، وإنْ خالفها في بعض الأحكام.

قوله: ﴿وَلِتُنذِرَ﴾ قيل: هو معطوف على ما دل عليه مُبارك كأنه قيل: أنزلناه للبركات ولتنذرَ، وخصّ أم القرى وهي مكة[2]، لكونها أعظم القرى شأناً، ولكونها أوّل بيت وضع للناس، ولكونها قبلة هذه الأمة، ومحلّ حجهم، فالإنذار لأهلها مستتبع لإنذار سائر أهل الأرض، والمراد بمن حولها: جميع أهل الأرض، والمراد بإنذار أمّ القرى: إنذار أهلها وأهل سائر الأرض، فهو على تقدير مضاف محذوف كسؤال القرية.

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ مبتدأ، و﴿يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ خبره، والمعنى: أن من حق[3] مَنْ صدّق بالدار الآخرة أن يؤمن بهذا الكتاب، ويصدقه، ويعمل بما فيه؛ لأن

---

(١) «البحر المحيط» (٤/ ٥٨١)، و«جامع البيان» (٩/ ٣٩٨).

(٢) «جامع البيان» (٩/ ٤٠٢)، و«المحرر الوجيز» (٦/ ١٠٦ ـ ١٠٧)، و«البحر المحيط» (٤/ ٥٨٣).

(٣) «جامع البيان» (٩/ ٤٠٤).

التصديق بالآخرة يُوجب قبول مَنْ دعا الناس إلى ما ينال به خيرها، ويندفع به ضرّها، وجملة: ﴿وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ في محل نصب[١] على الحال، وخص المحافظة على الصلاة مِنْ بين سائر الواجبات لكونها عمادها وبمنزلة الرأس لها.

قولُه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ هذه الجملة[٢] مقرِّرة لمضمون ما تقدّم مِنْ الاحتجاج عليهم بأن الله أنزل الكتبَ على رسله؛ أي: كيف تقولون ما أنزل الله على بشر من شيء، وذلك يستلزم تكذيب الأنبياء عليهم السلام، ولا أحد أظلم ممن افترى على الله كذباً فزعم أنه نبيّ وليس بنبيّ، أو كذب على الله في شيء من الأشياء ﴿أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ﴾؛ أي: والحال أنّه لم يوح إليه شيء، وقد صان الله أنبياءه عما تزعمون عليهم، وإنما هذا شأن الكذّابين رؤوس الإِضلال: كمسيلمة الكذّاب، والأسود العنسي، وسجاح.

قوله: ﴿وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ معطوف على «مَنْ افترى»؛ أي: ومن أظلم ممن افترى أو ممّن قال: أوحى إليّ ولم يوح إليه شيء، أو ممّن قال: سأنزل مثل ما أنزل الله، وهم القائلون: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾ [الأنفال: ٣١] وقيل: هو عبدُ الله بن أبي سَرْح[٣]، فإنه كان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فأملى عليه رسول الله ﷺ: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ [المؤمنون: ١٤] فقال عبد الله: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤] فقال رسول الله ﷺ: «هكذا أُنزلت» فشكّ عبد الله حينئذٍ وقال: لئن كان محمد صادقاً لقد أوحي إليّ كما أوحي إليه، ولئن كان كاذباً لقد قلت كما قال، ثم ارتدّ عن الإِسلام، ولحق بالمشركين، ثم أسلم يوم الفتح كما هو معروف.

قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾ الخطاب لرسول الله أو لكل من يصلح له، والمراد: كل ظالم، ويدخل فيه الجاحدون لما أنزل الله، والمدّعون للنبوات افتراءً على الله دخولاً أوّلياً، وجواب «لو» محذوف[٤]؛ أي: لرأيت أمراً عظيماً.

---

(١) «روح المعاني» (٨/ ٣٠٧)، و«البحر المحيط» (٤/ ٥٨٤).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٤٥٨)، و«جامع البيان» (٩/ ٤٠٤)

(٣) «جامع البيان» (٩/ ٤٠٧ ـ ٤٠٨)، و«تاريخ الطبري» (٢/ ٥٢ ـ ٦٠).

(٤) «روح المعاني» (٨/ ٣٠٩)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٨٢ ـ ٨٣).

والغمراتُ جمع غَمْرة: وهي الشدّة، وأصلها الشيء الذي يَغْمُر الأشياء فيغطيها، ومنه غَمْرة الماء، ثم استعملت في الشدائد، ومنه غَمْرة الحرب. قال الجوهري[(١)]: والغَمْرة: الشدّة والجمع غُمْر، مثل: نَوْبة ونُوْب.

وجملة: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ﴾ في محل نصب[(٢)]؛ أي: والحال أن الملائكة باسطوا أيديهم، لقبض أرواح الكفار؛ وقيل: للعذاب وفي أيديهم مطارق الحديد، ومثله قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ [الأنفال: ٥٠].

قوله: ﴿أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ﴾؛ أي: قائلين لهم[(٣)] أخرجوا أنفسكم من هذه الغمرات التي وقعتم فيها، أو أخرجوا أنفسكم من أيدينا وخلصوها من العذاب، أو أخرجوا أنفسكم مِنْ أجسادكم، وسلموها إلينا لنقبضها [٢/٨٩].

﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾؛ أي: اليوم الذي تقبض فيه أرواحكم، أو أرادوا باليوم الوقت الذي يعذبون فيه الذي مبدؤه عذاب القبر. والهون والهوان بمعنى؛ أي: اليوم تُجزون عذاب الهوان الذي تصيرون به في إهانة ومذلة بعد ما كنتم فيه من الكبر والتعاظم.

والباء في ﴿بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ للسببية[(٤)]؛ أي: بسبب قولكم هذا مِنْ إنكار إنزال الله كتبه على رسله والإشراك به ﴿وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن التصديق لها والعمل بها، فكان ما جوزيتم به من عذاب الهون: ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾ [النبأ: ٢٦].

قوله: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ﴾ قرأ أبو حيوة «فراداً» بالتنوين[(٥)]، وهي لغة تميم، وقرأ الباقون[(٦)] بألف التأنيث للجمع فلم ينصرف.

---

(١) في «الصحاح» (٢/ ٧٧٢).
(٢) «البحر المحيط» (٤/ ٥٨٥ ـ ٥٨٦)، و«التبيان» (١/ ٥٢١).
(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٤٦٢)، و«جامع البيان» (٩/ ٤٠٨ ـ ٤٠٩).
(٤) «روح المعاني» (٨/ ٣١٠).
(٥) «البحر المحيط» (٤/ ٥٨٦)، و«القراءات الشاذة» (ص٣٨)، و«مشكل إعراب القرآن» (١/ ٢١٦)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٨٣).
(٦) انظر: «البحر المحيط» (٤/ ٥٨٦)، و«النشر» (٢/ ٣٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٤٦٢). القراءة المتواترة هي قراءة الجمهور وهي بغير تنوين، وأما التنوين، وكذا ما حكاه عن ثعلب فقراءة شاذة.

وحكى ثعلب(١): «فراد» بلا تنوين مثل: ثلاثَ ورباعَ، وفرادى جمع فَرْدان كسكارى جمع سَكْران، وكسالى جمع كَسْلان، والمعنى: جئتمونا منفردين واحداً واحداً كل واحد منفرد عن أهله وماله، وما كان يعبده من دون الله، فلم ينتفع بشيء مِنْ ذلك.

﴿كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾؛ أي: على الصفة التي كنتم عليها عند خروجكم من بطون أمهاتكم(٢)، والكاف نعت مصدر محذوف؛ أي: جئتمونا مجيئاً مثل مجيئكم عند خَلْقِنا لكم، أو حال مِنْ ضمير فرادى؛ أي: مشابهين ابتداء خَلْقنا لكم ﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ﴾؛ أي: أعطيناكم. والخَول: ما أعطاه الله للإنسان من متاع الدنيا؛ أي: تركتم ذلك خلفكم لم تأتونا بشيء منه، ولا انتفعتم به بوجه من الوجوه ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ﴾ عبدتموهم وقلتم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] و﴿زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ﴾ لله يستحقون منكم العبادة كما يستحقها.

قوله: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾. قرأ نافع(٣) والكسائي وحفص بنصب بينكم على الظرفية، وفاعل تقطع محذوف؛ أي: تقطع الوصلُ بينكم أنتم وشركاؤكم، كما يدل عليه: ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ﴾.

وقرأ الباقون(٤) بالرفع على إسناد التقطع إلى البين؛ أي: وقع التقطع بينكم، ويجوز أن يكون معنى قراءة النصب معنى قراءة الرفع في إسناد الفعل إلى الظرف، وإنما نصب لكثرة استعماله ظرفاً.

وقرأ ابن مسعود(٥): «لقد تقطع ما بينكم» على إسناد الفعل إلى ما؛ أي: الذي بينكم ﴿وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ مِنْ الشركاء والشرك، وحيل بينكم وبينهم.

وقد أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، وابن

---

(١) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ٨٣)، والقرطبي في «تفسيره» (٨/ ٤٦٣).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٤٦٣)، و«معالم التنزيل» (٢/ ١١٦).

(٣) «الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٤٠)، و«التيسير» (ص١٠٥)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٨٣)، و«حاشية الجمل» (٢/ ٦٥)، و«زاد المسير» (٣/ ٨٩)، و«جامع البيان» (٩/ ٤١٨ ـ ٤١٩).

(٤) انظر: المصادر المتقدمة. هما قراءتان متواترتان، وممّن قرأ بالنصيب أبو جعفر، وقراءة ابن مسعود شاذة مخالفة للرسم. انظر: «النشر» (٢/ ٢٦٠).

(٥) «القراءات الشاذة» (ص٣٩)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٤١).

مردويه، عن ابن عباس[١] في قوله: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ قال: هم الكفار لم يؤمنوا بقُدرة الله، فمن آمن أن الله على كل شيء قدير فقد قدر الله حق قدره، ومن لم يؤمن بذلك فلم يقدر الله حق قدره، إذ قالوا: ما أنزل الله على بشر من شيء. قالت اليهود: يا محمد أنزل الله عليك كتاباً؟ قال: نعم، قالوا: واللهِ ما أنزل الله من السماء كتاباً، فأنزل الله ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ﴾ إلى آخر الآية.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن مجاهد[٢]: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ قالها مشركو قريش.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن السديّ[٣] قال: قال فنحاص اليهودي: ما أنزل الله على محمد من شيء؛ فنزلت.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، عن عكرمة[٤] قال: نزلت في مالك بن الصَّيف.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن سعيد بن جبير[٥]، قال: جاء رجل مِنْ اليهود يقال له: مالك بن الصيف، فخاصم النبي ﷺ، فقال له النبي ﷺ: «أنشُدك بالذي أَنزل التوراة على موسى هل تجد في التوراة أن الله يُبغض الحَبْر السمين؟ وكان حبراً سميناً، فغضب، وقال: واللهِ ما أنزل الله على بشر من شيء، فقال له أصحابُه: ويحك ولا على موسى؟ قال: ما أنزل الله على بشرٍ من شيء، فنزلت».

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن مجاهد، في قوله: ﴿تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ﴾

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٣٩٦ ـ ٣٩٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٤١ رقم ٧٥٨٦) بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٤١ رقم ٧٥٩٢)، وابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٣٩٧) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٤/ ١٣٤٢ رقم ٧٥٩٤)، وابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٣٩٤) بسند حسن.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٣٩٤) بسند ضعيف.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٣٩٣ ـ ٣٩٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٤٢ رقم ٧٥٩٧) بسند ضعيف.

قال: اليهود[١]، وقوله: ﴿وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْۖ﴾ قال[٢]: هذه للمسلمين.

وأخرج عبد بن حميد، وابن أبي حاتم، عَنْ قتادة[٣] في قوله: ﴿وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ﴾ قال: هم اليهود آتاهم الله علماً فلم يقتدوا به، ولم يأخذوا به ولم يعملوا به، فذمهم الله في علمهم ذلك.

وأخرج ابن أبي حاتم، عن قتادة[٤] في قوله: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ قال: هو القرآن الذي أنزله الله على محمد ﷺ.

وأخرج عبد بن حميد[٥]، عنه قال: ﴿مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: من الكتب التي قد خلت قبله.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «الأسماء والصفات»، عن ابن عباس[٦] في قوله: ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾ قال: مكة ومَنْ حولها. قال: يعني ما حولها مِنْ القرى إلى المشرق والمغرب.

وأخرج ابن أبي حاتم[٧]، عن السديّ قال: إنما سميت أمّ القرى لأن أوّل بيت وُضع بها.

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، عن قتادة[٨] في قوله ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾ قال: هي مكة، قال: وبلغني أَنَّ الأرض دُحيت مِنْ مكة. وأخرج

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/١٣٤٣ رقم ٧٦٠٢)، وابن جرير في «جامع البيان» (٩/٣٩٩) بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/١٣٤٣ رقم ٧٦٠٦)، وابن جرير في «جامع البيان» (٩/٤٠٠) بسند ضعيف.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/١٣٤٣ رقم ٧٦٠٥) بسند صحيح.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/١٣٤٤ رقم ٧٦٠٩) بسند صحيح.

(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/٣١٦).

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/٤٠٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/١٣٤٥ رقم ٧٦١٤، ٧٦١٨)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٥٩٤) بسند صحيح.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/١٣٤٥ رقم ٧٦١٦)، وابن جرير في «جامع البيان» (٩/٤٠٣ ـ ٤٠٤) بسند حسن.

(٨) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/٢١٣) بسند صحيح.

ابن أبي حاتم(١)، عن عطاء وعمرو بن دينار نحوه.

وأخرج الحاكم في «المستدرك»، عن شرحبيل(٢) بن سعد قال: نزلت في عبد الله بن أبي سَرْح ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ﴾ الآية، فلما دخل رسول الله ﷺ مكة فرّ إلى عثمان أخيه من الرضاعة، فغيّبه عنده حتى اطمأنّ أهلُ مكة، ثم استأمن له.

وأخرج ابن أبي حاتم(٣)، عن أبي خلفٍ الأعمى: أنها نزلت في عبد الله بن أبي سَرْح.

وكذلك روى ابن أبي حاتم(٤) عن السديّ.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، عن ابن جريج(٥)، في قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ﴾ قال: نزلت في مُسيلمة الكذّاب ونحوه ممّن دعا إلى مثل ما دعا إليه ﴿وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ قال: نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح.

وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ عن عكرمة(٦) نحوه.

وأخرج عبد بن حميد(٧) عن عكرمة لما نزلت: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا﴾ [المرسلات: ١، ٢] قال النضر وهو من بني عبد الدار: والطاحنات طحناً، والعاجنات عجناً قولاً كثيراً، فأنزل الله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ الآية.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن ابن عباس(٨) في قوله: ﴿غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾ قال: سكرات الموت.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٤٥ رقم ٧٦١٥) عن عطاء وعمرو بن دينار.
(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٤٥، ٤٦).
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٤٦ رقم ٧٦٢٤) من طريق ابن نفيل الحراني.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٤٦، ١٣٤٧ رقم ٧٦٢٦)، وابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٤٠٥ ـ ٤٠٦) بسند حسن.
(٥) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣١٧).
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٤٠٥) بسند ضعيف.
(٧) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣١٨).
(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٤٠٩) بسند ضعيف.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عنه[١] قال في قوله: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ﴾: هذا عند الموت، والبسط: الضرب ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ [الأنفال: ٥٠، محمد: ٢٧].

وأخرج أبو الشيخ[٢] عنه قال في الآية: هذا مَلَكُ الموت عليه السلام.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن الضحاك[٣] في قوله: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ﴾ قال: بالعذاب.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، عن مجاهد[٤] في قوله: ﴿عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ قال: الهوان.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن عكرمة[٥] قال: قال النضر بن الحارث: سوف تشفع لي اللّات والعزّى، فنزلت ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ﴾ الآية.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن سعيد[٦] بن جبير، في قوله: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ﴾ الآية، قال: كيوم وُلد يُردّ عليه كلُّ شيء نَقَص منه يوم ولد.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن السديّ[٧] في قوله: ﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ﴾ قال: مِنْ المال والخدم ﴿وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ﴾ قال: في الدنيا.

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد وأبو الشيخ، عن قتادة[٨] في قوله: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ قال: ما كان بينهم من الوصل.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٤١٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٤٧، ١٣٤٨ رقم ٧٦٣٠، ٧٦٣٥) بسند صحيح.

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣١٧).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٤٨ رقم ٧٦٣٦) بسند ضعيف.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ١٤٩، ١٥٠) بسند صحيح.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٤١٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٥٠ رقم ٧٦٤٤) بسند حسن.

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٤٣٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٤٩ رقم ٧٦٤٠) من طريق عباد بن العوام، به.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٥٠ رقم ٧٦٤٢، ٧٦٤٣)، وابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٤١٦) بسند حسن.

(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٤١٨)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢١٤) بسند صحيح.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن مجاهد[(١)] في قوله: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ قال: تواصلكم في الدنيا.

[معجزة الحياة نشأة وحركة]:

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾.

قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ هذا شروع في تعداد عجائب صنعه تعالى، وذكر ما تعجز آلهتهم عن أدنى شيء منه، والفَلْق: الشَّق؛ أي: هو سبحانه فالق الحبّ فيخرج منه النبات، وفالق النوى فيخرج مِنه الشجر[(٢)].

وقيل: معنى ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾: الشق الذي فيهما [٢/٩٠] مِنْ أصل الخِلْقة؛ وقيل معنى ﴿فَالِقُ﴾: خالق، والنّوى: جمع نواة يطلق على كل ما فيه عَجَم كالتمر والمشمش والخوخ.

[الله مبدع هذه المعجزة المتكررة لسر الحياة والموت]:

قوله: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ هذه الجملة خبر[(٣)] بعد خبر، فهي في محل رفع؛ وقيل: هي جملة مفسِّرة لما قبلها؛ لأن معناها معناه، والأول: أولى، فإن معنى ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾: يخرج الحيوان مِنْ مِثْل النُّطفة والبيضة وهي ميتة.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/٤١٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/١٣٥٠ رقم ٧٦٤٧) بسند صحيح.
(٢) «جامع البيان» (٩/٤٢٠).
(٣) «روح المعاني» (٨/٣١٦)، و«البحر المحيط» (٤/٥٩١ ـ ٥٩٢).

ومعنى ﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾: مُخرج النُّطفة والبيضة وهي ميتة مِنْ الحيّ.

وجملة: ﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾ معطوفة على ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ عطف جملة اسمية على جملة فعلية ولا ضير في ذلك؛ وقيل: معطوفة على ﴿فَالِقُ﴾ على تقدير أنَّ جملة ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ مفسِّرة لما قبلها، والأوّل: أولى، والإشارة بـ﴿ذَٰلِكُمُ﴾ إلى صانع ذلك الصُنع العجيب المذكور سابقاً و﴿ٱللَّهُ﴾ خبره[1].

والمعنى: أن صانع هذا الصنع العجيب هو المستجمع لكل كمال، والمُفْضل بكل إفضال، والمستحق[2] لكل حَمْدٍ وإجلال ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ فكيف تصرفون عن الحق مع ما ترون مِنْ بديع صُنعه وكمال قدرته؟

قولُه: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ مرتفع على أنه من جملة أخبار «إنّ» في ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾، وقيل: هو نعت للاسم[3] الشريف في ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾، وقرأ الحسن، وعيسى بن عمر ﴿فَالِقُ الأَصْبَاحِ﴾ بفتح[4] الهمزة، وقرأ الجمهور بكسرها[5]، وهو على قراءة الفتح جمعُ صبح، وعلى قراءة الكسر مصدر أَصبح، والصبح والصباح: أوّل النهار، وكذا الإِصباح، وقرأ النخعي «فَلَقَ الإِصباح» بفعل وهمزة مكسورة[6].

والمعنى في ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾: أنه شاق الضياء عن الظلام وكاشفُه، أو يكون المعنى على حذف مضاف؛ أي: فالق ظلمة الإِصباح، وهي الغَبَش، أو فالق عمود الفجر عَنْ بياض النهار؛ لأنه يبدو مختلطاً بالظلمة ثم يصير أبيض خالصاً.

وقرأ الحسن[7] وعيسى بن عمر، وعاصم وحمزة، والكسائي: ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ

---

(١) «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٨٤)، و«روح المعاني» (٨/ ٣١٥).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٤٦٦). (٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٤٦٦).

(٤) «القراءات الشاذة» (ص٣٩)، و«حاشية الجمل» (٢/ ٦٧)، و«جامع البيان» (٩/ ٤٢٦)، و«البحر المحيط» (٤/ ٥٩٢)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٨٤). وهي قراءة شاذة.

(٥) «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٤٦٦)، و«جامع البيان» (٩/ ٤٢٧). وقال ابن جرير: «والقراءةُ التي لا نستجيز تعدِّيها ـ بكسر الألف ـ ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ لإجماع الحُجَّة من القرأة وأهل التأويل على صحة ذلك ورفض خلافه».

(٦) «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٨٤). وهي قراءة شاذة.

(٧) «البحر المحيط» (٤/ ٥٩٣)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٤١)، و«زاد المسير» (٣/ ٩١)، و«مجمع البيان» (٧/ ١٣٧)، و«حاشية الجمل» (٢/ ٦٧).

سَكَنًا﴾ حملاً على معنى ﴿فَالِقُ﴾ عند حمزة والكسائي، وأما عند الحسن وعيسى فعطفاً على «فَلقَ».

وقرأ الجمهور(١)، «وجاعل» عطفاً على فَالق.

وقرئ: «فالق وجاعل» بنصبهما على المدح.

وقرأ يعقوب(٢): «وجاعِلُ الليل ساكِناً».

والسكن: محل السكون، مِنْ سكن إليه: إذ اطمأنّ إليه؛ لأنه يسكن فيه الناس عن الحركة في معاشهم، ويستريحون من التعب والنصب.

قوله: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾ بالنصب على إضمار فعل؛ أي: وجعل الشمسَ والقمرَ، وبالرفع على الابتداء، والخبر محذوف تقديره والشمس والقمر مجعولان حسباناً، وبالجرّ عطفاً على الليل على قراءة مَنْ قرأ «وجاعلِ الليل».

قال الأخفش(٣): والحُسْبان: جمع حساب مِثْل: شُهبان وشِهاب.

وقال يعقوب(٤): حُسبان مصدر حَسَبتُ الشيء أحْسُبه حَسْباً وحُسْباناً. والحِسابُ: الاسم؛ وقيل: الحُسْبان بالضم: مصدر حسَب بالفتح، والحِسبان بالكسر: مصدر حسب.

والمعنى: جعلهما محلّ حسابٍ تتعلق به مصالح العباد وسيرهما على تقدير لا يزيد ولا ينقص ليدلّ عباده بذلك على عظيم قدرته، وبديع صنعه؛ وقيل: الحُسبان: الضياء، وفي لغة أن الحُسْبان: النّار، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الكهف: ٤٠] والإشارة بـ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ إلى الجَعل المدلول عليه بجاعلِ أو بجعَلَ على القراءتين. والعزيز: القاهرُ الغالب. والعليم: كثير العلم، ومن جملة معلوماته تسييرهما على هذا التدبير المحكم.

قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا﴾؛ أي: خلقها للاهتداء بها ﴿فِى ظُلُمَٰتِ﴾ الليل عند المسير في ﴿ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ وإضافة الظلمات إلى البرّ والبحر

---

(١) انظر: المصادر المتقدمة.

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٤٦٧)، و«البحر المحيط» (٤/ ٥٩٣ ـ ٥٩٤). قال أبو عمرو الداني: «ولا يصح ذلك عنه». والمتواتر عنه كقراءة الجمهور «سَكَنًا»

(٣) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٤٩٨).

(٤) أي: ابن السكيت في «إصلاح المنطق» (ص٢٦٣)، وانظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٨٤).

لكونها ملابسة لهما، أو المراد بالظلمات: اشتباه طرقهما التي لا يهتدى فيها إلا بالنّجوم، وهذه إحدى منافع[١] النجوم التي خلقها الله لها.

ومِنْها ما ذكره الله في قوله: ﴿وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ﴾ [الصافات: ٧]. ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥].

ومنها: جعلها زينةً للسماء.

ومَنْ زعم غير هذه الفوائد فقد أعظم على الله الفرية ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَٰتِ﴾ التي بينّاها بياناً مفصلاً لتكون أبلغ في الاعتبار ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ بما في هذه الآيات من الدلالة على قدرة الله، وعظمته، وبديع حكمته.

قولُه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾؛ أي: آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ كما تقدّم، وهذا نوع آخر مِنْ بديع خلقه الدال على كمال قدرته ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ قرأ ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وأبو عمرو وعيسى والأعرج والنخعي بكسر[٢] القاف، والباقون[٣] بفتحها، وهما مرفوعان[٤] على أنهما مبتدآن وخبرهما محذوف.

والتقدير: فمنكم مستقِرّ، أو فلكم مستقَرّ، التقدير الأوّل على القراءة الأولى، والثاني على الثانية؛ أي: فمنكم مستقِرّ على ظهر الأرض، أو فلكم مُستَقرّ على ظهرها، ومنكم مستودع في الرحم، أو في باطن الأرض، أو في الصلب؛ وقيل: المستقرّ في الرحم. والمستودع في الأرض؛ وقيل: المستقرّ في القبر.

قال القرطبي[٥]: وأكثر أهل التفسير يقولون: المستقرّ ما كان في الرحم، والمستودع: ما كان في الصُّلْب[٦].

وقيل: المستقرّ مَنْ خُلق، والمستودع مَنْ لم يخلق؛ وقيل: الاستيداع إشارة إلى كونهم في القبور إلى المبعث[٧].

---

(١) «جامع البيان» (٩/ ٤٣١ ـ ٤٣٢).
(٢) «جامع البيان» (٩/ ٤٤٣)، و«النشر» (٢/ ٢٦٠)، و«التيسير» (ص١٠٥)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٤٢)، و«زاد المسير» (٣/ ٩٢).
(٣) انظر: المصادر المتقدمة. هما قراءتان متواترتان، فالكسر عن ابن كثير، وأبي عمرو وروح عن يعقوب، والفتح عن الباقين. انظر: «تخريج القراءات في فتح القدير» (ص١٢٥).
(٤) «البحر المحيط» (٤/ ٥٩٥)، و«روح المعاني» (٨/ ٣٣٣)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٨٥).
(٥) في «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٤٦٩).
(٦) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ٨٥).
(٧) انظر: «جامع البيان» (٩/ ٤٤٢ ـ ٤٤٣).

ومما يدل على تفسير المستقرّ بالكون على الأرض قول الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة: ٣٦]، وذكر سبحانه هاهنا ﴿يَفْقَهُونَ﴾ وفيما قبله ﴿يَعْلَمُونَ﴾؛ لأن في إنشاء الأنفس من نفس واحدة، وجعل بعضها مستقرّاً وبعضها مستودعاً من الغموض والدقة ما ليس في خلق النجوم للاهتداء، فناسبه ذكر الفقه لإشعاره بمزيد تدقيق، وإمعان فكر.

قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ هذا نوع آخر من عجائب مخلوقاته.

والماء هو ماء المطر، وفي ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾ التفات من الغيبة إلى التكلم إظهاراً للعناية بشأن هذا المخلوق وما ترتب عليه.

والضمير في ﴿بِهِۦ﴾ عائد إلى الماء، و﴿نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ يعني: كل صنف من أصناف النبات المختلفة؛ وقيل: المعنى: رزق كل شيء، والتفسير الأوّل: أولى.

ثم فصل هذا الإجمال فقال: ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا﴾ قال الأخفش(١)؛ أي: أخضر. والخَضِر: رَطْب البقول، وهو ما يتشعب مِنْ الأغصان الخارجة من الحبّة؛ وقيل(٢): يريد القمح والشعير والذرة والأرز وسائر الحبوب ﴿نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا﴾ هذه الجملة صفة لخَضِراً؛ أي: نخرج مِنْ الأغصان الخضر حبّاً متراكباً؛ أي: مركباً بعضه على بعضه كما في السنابل. ﴿وَمِنَ ٱلنَّخْلِ﴾ خبر مقدّم، و﴿مِن طَلْعِهَا﴾ بدل منه، وعلى قراءة(٣) مَنْ قرأ «يُخرج منه حبٌّ» يكون ارتفاع قنوان على أنه معطوف على حب، وأجاز الفراء(٤) في غير القرآن «قنواناً» عطفاً على حبّاً، وتميم يقولون: قنيان.

وقُرئ بضم(٥) القاف وفتحها(٦) باعتبار اختلاف اللغتين لغة قيس ولغة أهل الحجاز.

والطّلْع(٧): الكُفُرّى قبل أَنْ ينشق عَنْ الإغريض، والإغريض يسمى طلعاً أيضاً.

---

(١) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٤٩٨).

(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٨/ ٤٧١) عن ابن عباس.

(٣) وهي قراءة الأعمش وابن محيصن.
«القراءات الشاذة» (ص٣٩)، و«روح المعاني» (٨/ ٣٣٩). وهي قراءة شاذة.

(٤) في «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٤٧).

(٥) «القراءات الشاذة» (ص٣٩)، و«المحتسب» (١/ ٢٢٣). المتواتر في كلمة «قِنوان» هو كسر القاف وغيره شاذ.

(٦) «الصحاح» (٣/ ١٢٥٤)، و«اللسان» (٨/ ٢٣٨).

(٧) «الصحاح» (٦/ ٢٤٦٩)، و«اللسان» (١٥/ ٢٠٢).

والقِنوان[1]: جمع قِنو، والفرق بين جمعه وتثنيته أن المثنى مكسور النون، والجمع على ما يقتضيه الإعراب، ومثله صِنْوان. والقِنو: العِذْق.

والمعنى: أن القنوان أصله مِنْ الطَّلْع. والعِذْق: هو عنقود النخل، وقيل: القنوان: [٢٠/٩١] الجُمّار.

والدانية: القريبة التي ينالها القائم والقاعد.

قال الزجّاج[2]: المعنى: منها دانية ومنها بعيدة فحذف، ومثله: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١] وخصّ الدانية بالذكر؛ لأنّ الغرض مِنْ الآية بيان القُدرة والامتنان، وذلك فيما يقرب تناوله أكثر.

قوله: ﴿وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ﴾ قرأ محمد بن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى، والأعمش، وعاصم في قراءته الصحيحة عنه برفع[3] جنات.

وقرأ الباقون بالنصب. وأنكر[4] القراءة الأولى أبو عُبيدة، وأبو حاتم، حتى قال أبو حاتم: هي محال؛ لأن الجنات لا تكون من النخل.

قال النحاس[5]: ليس تأويل الرفع على هذا، ولكنه رفع بالابتداء، والخبر محذوف؛ أي: «ولهم جنات» كما قرأ جماعة من القراء ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ [الواقعة: ٢٢] وقد أجاز مثل هذا سيبويه[6] والكسائي[7] والفراء[8].

وأما على النصب فقيل: هو معطوف على ﴿نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾؛ أي: وأخرجنا به جناتٍ كائنةً مِنْ أعناب، أو النصب بفعل يقدّر متأخراً؛ أي: وجناتٍ من أعناب أخرجناها، وهكذا القول في انتصاب الزيتون والرمان: وقيل: هما منصوبان[9] على الاختصاص لكونهما عزيزين.

---

(١) في «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٧٥).

(٢) «حاشية الجمل» (٢/ ٦٩)، و«زاد المسير» (٣/ ٩٤)، و«القراءات الشاذة» (ص٣٩)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٨٦).

(٣) «البحر المحيط» (٤/ ٥٩٩)، و«زاد المسير» (٣/ ٩٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٤٧٣). قال في «تخريج القراءات في فتح القدير» (ص١٢٦)، الرفع قراءة شاذة، وروايتها عن عاصم شاذة، والمتواتر عنه هو النصب فقط، وقراءة عاصم بالرفع هي رواية لأبي بكر عنه شاذة.

(٤) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ٨٦)، والقرطبي في «تفسيره» (٨/ ٤٧٢).

(٥) في «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٨٦).

(٦) في «الكتاب» (١/ ٩٥).

(٧) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ٨٦)، والقرطبي في «تفسيره» (٨/ ٤٧٣).

(٨) في «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٤٦).

(٩) «البحر المحيط» (٤/ ٥٩٩)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٨٦ ـ ٨٧).

و﴿مُشۡتَبِهًا﴾ منتصب على الحال؛ أي: كل واحد منهما يُشبه بعضُه بعضاً في بعضِ أوصافه، ولا يُشبه بعضُه بعضاً في البعض الآخر.

وقيل: إن أحدهما يشبه الآخر في الوَرق باعتبار اشتماله على جميع الغصن وباعتبار حجمه، ولا يشبه أحدهما الآخر في الطَعْم.

وقيل: خُصّ الزيتون والرمان لقرب منابتهما[1] مِنْ العرب كما في قول الله سبحانه: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ﴾ [الغاشية: ١٧]. ثم أمرهم سبحانه بأن ينظروا نظر[2] اعتبارٍ إلى ثمره إذا أثمر، وإلى ينعه إذا أينع.

والثمر في اللغة[3]: جَنى الشجر. واليانع: الناضِج الذي قد أدرك وحان قطافه.

قال ابن الأنباري[4]: اليَنْعُ: جمع يانِع، كركْب وراكب.

وقال الفرّاء[5]: أينع: احمرَّ.

قرأ حمزة والكسائي «ثمُرُه» بضم[6] الثاء والميم، وقرأ الباقون بفتحها[7]، إلا الأعمش فإنه قرأ «ثُمْره» بضم الثاء، وسكون الميم تخفيفاً.

وقرأ محمد بن السَّمَيْفع، وابن مُحَيصِن، وابن أبي إسحاق: «ويُنْعِه» بضم[8] الياء التحتية.

قال الفراء[9]: هي لغة بعضِ أَهل نجد.

وقرأ الباقون بفتحها[10]، والإشارة بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ﴾ إلى ما تقدّم ذكره

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٤٧٤). (٢) «المحرر الوجيز» (٦/ ١١٨ ـ ١١٩).
(٣) «الصحاح» (٢/ ٦٠٥ ـ ٦٠٦).
(٤) انظر: «أحكام القرآن» (٢/ ٧٣٣)، و«اللسان» (٨/ ٤١٧).
(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٨/ ٤٧٥).
(٦) «جامع البيان» (٩/ ٤٥٠)، و«البحر المحيط» (٤/ ٦٠٠)، و«زاد المسير» (٣/ ٩٥)، و«الحجة» لأبي علي الفارسي (٣/ ٣٦٩). قراءة (ثُمُره) بضم الثاء والميم قراءة الكوفيين عدا عاصم، والباقون بالفتح.
(٧) انظر: المصادر المتقدمة.
(٨) «القراءات الشاذة» (ص٣٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٤٧٥)، و«جامع البيان» (٩/ ٤٥٠)، و«البحر المحيط» (٤/ ٦٠٠). هي قراءة شاذة، والمتواترة بالفتح (فتح يَنْعه).
(٩) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ٨٧)، والقرطبي في «تفسيره» (٨/ ٤٧٥).
(١٠) «القراءات الشاذة» (ص٣٩)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٨٧).

مجملاً ومفصلاً ﴿لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ بالله استدلالاً بما يشاهدونه من عجائب مخلوقاته التي قصَّها عليهم.

وقد أخرج ابن أبي حاتم[١]، عن ابن عباس، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ يقول: خلق الحبَّ والنوى.

وأخرج عبد الرزاق، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن قتادة[٢] قال: يفلق الحبّ والنوى عَنْ النبات.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن مجاهد[٣] قال: الشقَّان اللذان فيهما.

وأخرج سعيد بن منصور، وابن المنذر، عن أبي مالك[٤] نحوَه.

وأخرج عبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عنه[٥] في قوله: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ قال: النخلة مِنْ النواة، والسنبلة مِنْ الحبّة ﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ قال: النواة مِنْ النخلة، والحبة من السنبلة.

وأخرج ابن أبي حاتم[٦]، عَنْ مجاهد ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ قال: النّاسُ الأحياء مِنْ النُّطَف، والنُّطْفة ميتة تخرج مِنْ الناس الأحياء، ومن الأنعام والنبات كذلك أيضاً.

وأخرج ابن أبي حاتم[٧]، عن ابن عباس ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾؛ أي: فكيف تكذبون.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٥١ رقم ٧٦٥٠)، وابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٤٢١) بسند ضعيف.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٤٢٠)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٢١٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٥١ رقم ٧٦٥١) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٤٢١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٥١ رقم ٧٦٥٣) بسند صحيح.

(٤) أخرجه سعيد بن منصور في «سننه» رقم (٨٩١ ـ تفسير)، وابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٤٢٢) بسند صحيح.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٥٢ رقم ٧٦٥٩)، وابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٤٢٣) كلاهما من طريق السدي، به.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٥٣ رقم ٧٦٦٣) بسند صحيح.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٥٣ رقم ٧٦٦٧) بسند حسن.

وأخرج[١] أيضاً عن الحسن قال: أَنَّى تُصْرفون.

وأخرج[٢] أيضاً عن ابن عباس في ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ قال: خلق الليل والنهار.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عنه[٣] قال: يعني بالإِصباح: ضوء الشمس بالنهار، وضوء القمر بالليل.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن مجاهد[٤] في ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ قال: إضاءة الفجر.

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، عن قتادة[٥] في قوله: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ قال: فالقُ الصبح.

وأخرج ابن أبي حاتم[٦]، عن قتادة في قوله: ﴿وجاعل الليل سكناً﴾ قال: سكنَ فيه كلّ طيرٍ ودابة.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس[٧] في قوله: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾ يعني: عدد الأيام والشهور والسنين.

وأخرج ابن أبي حاتم[٨]، عن ابن عباس، في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ قال: يَضلّ الرجل وهو في الظُّلمة والجور عن الطريق.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٥٣ رقم ٧٦٦٧) بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٥٤ رقم ٧٦٧١)، وابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٤٢٦) بسند ضعيف.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٤٢٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٥٣ رقم ٧٦٧٠) بسند صحيح.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٥٤ رقم ٧٦٧٣)، وابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٤٢٥) بسند صحيح.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٤٢٥)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٢١٤) بسند صحيح.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٥٤ رقم ٧٦٧٥) بسند صحيح.

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٤٢٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٥٤ رقم ٧٦٧٧) بسند صحيح.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٥٥ رقم ٧٦٨١) بسند ضعيف.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن المنذر، والخطيب في كتاب «النجوم»، عن عمر بن الخطاب[(١)] قال: تعلّموا من النجوم ما تهتدون به في برّكم وبحركم، ثم أمسكوا، فإنّها واللهِ ما خلقت إلا زينةً للسماء ورجوماً للشياطين، وعلامات يهتدى بها.

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن قتادة[(٢)] نحوه.

وأخرج ابن مردويه، والخطيب، عن ابن عمر[(٣)] قال: قال رسول الله ﷺ: «تعلموا من النجوم ما تهتدون به في ظلمات البرّ والبحر ثم انتهوا».

وقد ورد في استحباب مراعاة الشمس والقمر لذكر الله سبحانه لا لغير ذلك أحاديث:

منها: عند الحاكم وصحّحه، عن أبي هريرة[(٤)] قال: قال رسول الله ﷺ: «أحبّ عباد الله إلى الله الذين يراعون الشمس والقمر لذكر الله».

وأخرج ابن شاهين والطبراني، والحاكم، والخطيب، عن عبد الله[(٥)] بن أبي أوفى قال: قال رسول الله ، فذكر نحوه.

وأخرج أحمد في «الزهد»، والخطيب، عن أبي الدرداء[(٦)] نحوه.

وأخرج الخطيب في «كتاب النجوم»، عن أبي هريرة[(٧)] نحو حديثه الأوّل مرفوعاً.

وأخرج الحاكم في «تاريخه»، والديلمي بسند ضعيف، عن أبي هريرة[(٨)] أيضاً

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٨/ ٤١٤)، والخطيب في كتاب «النجوم» (ص٣٢٣).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٣/ ١٢٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩١٣ رقم ٦٥٣٦)، وأبو الشيخ في «العظمة» رقم (٧٠٦)، والخطيب في كتاب «النجوم» (ص١٨٥)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٣٥٤)، وعبد بن حميد كما في «تغليق التعليق» (٣/ ٤٨٩) بسند صحيح.

(٣) أخرجه الخطيب في كتاب «النجوم» (ص١٣١، ١٣٢). وهو حديث ضعيف.

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٢٧).

(٥) أخرجه الحاكم (١/ ٥١)، والخطيب في كتاب «النجوم» (ص١٢٩ ـ ١٣١)، والطبراني كما في «مجمع الزوائد» (١/ ٣٢٧). وهو حديث ضعيف، والله أعلم.

(٦) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص١٤٣)، والخطيب في كتاب «النجوم» (ص١٣١).

(٧) أخرجه الخطيب في كتاب «النجوم» (ص١٢٨، ١٢٩).

(٨) ذكره المناوي في «فيض القدير» (٣/ ٣٣٧) وقال: «فيه جماعة مجاهيل». انظر: «السلسلة الضعيفة» رقم (٣٤٥٤).

قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة يظلهم الله في ظله يوم لا ظلّ إلا ظله: التاجر الأمين، والإمام المقتصد، وراعي الشمس بالنهار».

وأخرج عبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد» عن سلمان الفارسي(١) قال: «سبعة في ظلّ الله يوم لا ظلّ إلا ظله، فذكر منهم: الرجل الذي يراعي الشمس لمواقيت الصلاة».

فهذه الأحاديث مقيدة بكون المراعاة لذكر الله، والصلاة، لا لغير ذلك.

وقد جعل الله انقضاء وقت صلاة الفجر طلوع الشمس. وأوّل صلاة الظهر زوالها، ووقت العصر ما دامت الشمس بيضاء نقية. ووقت المغرب غروب الشمس.

وورد في صلاة العشاء: «أن النبي ﷺ كان يصليها لوقت مغيب القمر ليلة ثالث الشهر». وبها يُعرف أوائل الشهور وأوساطها وأواخرها.

فمن راعى الشمس والقمر بهذه الأمور فهو الذي أراده ﷺ، ومن راعاها لغير ذلك فهو غير مراد بما ورد.

وهكذا النجوم. ورد النهي عن النظر فيها كما أخرجه ابن مردويه، والخطيب، عن عليّ(٢) قال: نهاني رسول الله ﷺ عَنْ النظر في النجوم.

وأخرج ابن مردويه، والمرهبي، والخطيب، عن أبي هريرة(٣) قال: نهى رسول الله ﷺ عن النظر في النجوم.

وأخرج الخطيب، عن عائشة(٤) مرفوعاً مثله.

وأخرج الطبراني، وأبو نعيم في «الحلية»، والخطيب، عن ابن مسعود(٥) قال:

---

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في «الزهد» (ص١٥٠، ١٥١).

(٢) أخرجه الخطيب في كتاب «النجوم» (ص١٧٥)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٢٩) لابن مردويه، والخطيب.

(٣) أخرجه الخطيب في كتاب «النجوم» (ص١٧٦).

(٤) أخرجه الخطيب في كتاب «النجوم» (ص١٧٧).

(٥) أخرجه الطبراني رقم (١٠٤٤٨)، وأبو نعيم في «الحلية»، والخطيب في كتاب «النجوم» (ص١٧٧).
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٠٢، ٢٢٣): «فيه مسهر بن عبد الملك، وثّقه ابن حبان وفيه خلاف، وبقية رجاله رجال الصحيح». وقد صحح الحديث الألباني في «الصحيحة» رقم (٣٤).

قال رسول الله ﷺ: «إذا ذُكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذُكر القَدَر فأمسكوا، وإذا ذُكرت النجومُ فأمسكوا».

وأخرج ابن أبي شيبة، وأبو داود، وابن مردويه، عن ابن عباس(١) قال: قال النبي ﷺ: «من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد» فهذه الأحاديث محمولة على النظر فيها لما عدا الاهتداء والتفكر والاعتبار. وما ورد في جواز النظر في النجوم فهو مقيد بالاهتداء والتفكر والاعتبار كما يدلّ عليه حديث ابن عمر السابق، وعليه يحمل ما روي عن عكرمة(٢) فيما أخرجه الخطيب عنه: أنه سأل رجلاً عن حساب النجوم، فجعل الرجل يتحرّج أن يخبره، فقال عكرمة: سمعتُ ابن عباس يقول: علمٌ عجز الناس عنه، ووددْت أني علمته.

وقد أخرج أبو داود، والخطيب، عن سمرة بن جندب(٣)، أنه خطب فذكر حديثاً عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أما بعد، فإن ناساً يزعمون أن كسوف هذه الشمس، وكسوف هذا القمر، وزوال هذه النجوم عن مواضعها لموت رجالٍ عظماء من أهل الأرض، وإنهم قد كذبوا، ولكنها آياتٌ مِنْ آيات الله يعتبر بها عباده لينظر ما يَحدث لهم من توبة».

وقد ثبت في «الصحيحين»(٤) وغيرهما في كسوف الشمس والقمر عن النبي ﷺ: «أنَّهما [٢/٩٢] لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، ولكن يخوّف الله بهما عباده».

وأخرج ابن مردويه(٥)، عن أبي أُمامة مرفوعاً: «إن الله نصب آدم بين يديه، ثم ضرب كتفه اليسرى فخرجت ذريته من صُلبه حتى ملأوا الأرض».

فهذا الحديث هو معنى ما في الآية، ﴿وَهُوَ الَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾.

---

(١) أخرجه أبو داود رقم (٣٩٠٥)، وابن أبي شيبة (٨/ ٤١٤). وهو حديث حسن.

(٢) أخرجه الخطيب في كتاب «النجوم» (ص١٨٨ ـ ١٨٩) بسند حسن.

(٣) أخرجه أبو داود رقم (١١٨٤)، والخطيب في كتاب «النجوم» (ص١٦٩، ١٧٠). وهو حديث ضعيف، والله أعلم.

(٤) عن عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله ﷿ لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتموهما فافزعوا إلى الصلاة».
[أخرجه أحمد (٦/ ٨٧، ١٦٨)، والبخاري رقم (١٠٤٦)، ومسلم رقم (٣/ ٩٠١)].

(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٣١).

وأخرج سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، والحاكم وصححه من طرق عن ابن عباس[(١)] في قوله: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ قال: المستقَر ما كان في الرحم، والمستودَع ما استودع في أصلاب الرجال والدواب.

وفي لفظ: المستقر ما في الرحم، وعلى ظهر الأرض وبطنها مما هو حيّ ومما قد مات. وفي لفظ: المستقرّ ما كان في الأرض، والمستودع ما كان في الصُّلْب.

وأخرج عبد الرزاق، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن ابن مسعود[(٢)] في الآية قال: مستقرّها في الدنيا ومستودعها في الآخرة.

وأخرج سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، والطبراني، وأبو الشيخ، عن ابن مسعود[(٣)] قال: المستقرّ الرحم، والمستودع: المكان الذي يموت فيه.

وأخرج أبو الشيخ عن الحسن وقتادة[(٤)] في الآية قالا: مستقرّ في القبر، ومستودع في الدنيا، أوشَك أَنْ يلحق بصاحبه.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن السديّ[(٥)] في قوله: ﴿نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾ قال: هذا السُّنْبُل.

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن البراء[(٦)] بن عازب ﴿قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ﴾ قال: قريبة[(٧)].

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٤٣٥ ـ ٤٣٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٥٥، ١٣٥٧ رقم ٧٦٨٣، ٧٦٩٢)، والحاكم (٢/ ٣١٦)، وسعيد بن منصور في «سننه» رقم (٨٩٢ ـ تفسير) بسند صحيح.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٢١٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٥٥، ١٣٥٧ رقم ٧٦٨٤، ٧٦٩٥) بسند حسن.

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في «سننه» رقم (٨٩٥ ـ تفسير)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٥٦، ١٣٥٧ رقم ٧٦٨٥، ٧٦٩٤)، والطبراني في «الكبير» رقم (٩٠١٦) بسند صحيح.

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٣١).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٥٨ رقم ٧٧٠٣) بسند حسن.

(٦) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٢١٥)، وابن جرير في «جامع البيان» (٩٤٤٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٥٩ رقم ٧٧٠٩) بسند حسن.

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٤٤٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٥٩ رقم ٧٧٠٥) بسند صحيح.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس ﴿قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ﴾ قال: قصار النخل اللّاصقة عذوقُها بالأرض.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عنه(١): قنوان الكبائس، والدانية المنصوبة.

وأخرج ابن أبي حاتم(٢)، عنه أيضاً في ﴿قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ﴾ قال: تَهدُّل العذوق مِن الطلع.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن قتادة(٣)، في قوله: ﴿مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾ قال: متشابهاً ورقه، مختلفاً ثمره.

وأخرج ابن أبي حاتم(٤)، عن محمد بن كعب القرظي، في قوله: ﴿انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾ قال: رُطَبه وعِنَبه.

وأخرج أبو عبيد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن البراء(٥) ﴿وَيَنْعِهِ﴾ قال: نُضْجه.

[الوثنيات المتعددة والتصورات الفاسدة التي كانت عليها الجاهلية]:

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾.

هذا الكلام يتضمن ذكر نوع آخر من جهالاتهم وضلالاتهم.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٥٩ رقم ٧٧٠٦، ٧٧١٠) بسند ضعيف.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٣٥٩) رقم (٧٧١١)، وابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٤٤٥) بسند ضعيف.
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٤٤٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٥٩ رقم ٧٧١٣) بسند صحيح.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٥٩ رقم ٧٧١٤) بسند ضعيف.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٦٠ رقم ٧٧١٥) بسند حسن.

قال النحاس[١]: ﴿ٱلْجِنَّ﴾ المفعول الأوّل، و﴿شُرَكَآءَ﴾ المفعول الثاني كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ [المائدة: ٢٠] ﴿وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا﴾ [المدثر: ١٢] وأجاز الفرّاء[٢]: أن يكون الجنّ بدلاً من شركاء ومفسراً له.

وأجاز الكسائي[٣] رفع الجنّ بمعنى: هم الجنّ، كأنه قيل: من هم؟ فقيل: الجنُّ، وبالرفع قرأ يزيد[٤] بن أبي قطيب، وأبو حيان، وقرىء بالجر[٥] على إضافة شركاء إلى الجنّ للبيان.

والمعنى: أنهم جعلوا شركاء لله فعبدوهم[٦] كما عبدوه، وعظّموهم كما عظّموه. وقيل: المراد بالجنّ هاهنا: الملائكة لاجتنانهم؛ أي: استتارهم، وهم الذين قالوا: الملائكة بنات الله.

وقيل: نزلت في الزنادقة الذين قالوا: إن الله تعالى وإبليس أخوان، فالله خالق الناس والدوابّ، وإبليس خالق الحيات والسباع والعقارب وروي ذلك عن الكلبي[٧]، ويقرب مِنْ هذا قول المجوس، فإنهم قالوا: للعالم صانعان هما: الربّ سبحانه والشيطان.

وهكذا القائلون: كل خير مِنْ النور، وكل شرّ من الظلمة، وهم المانوية.

[كيف يكونون شركاء له في الألوهية والربوبية وهو الذي «خلقهم»]:

قوله: ﴿وَخَلَقَهُمْ﴾ جملة حالية بتقدير قد؛ أي: وقد علموا أن الله خلقهم، أو خلق ما جعلوه شريكاً لله.

قوله: ﴿وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍ﴾ قرأ نافع بالتشديد[٨] على التكثير؛ لأن المشركين

---

(١) في «إعراب القرآن» (٢/ ٨٧).
(٢) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ٨٧).
(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٨/ ٤٧٩)، والنحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ٨٧).
(٤) قرأ بها أبو حيوة ويزيد بن قطيب وأبو المتوكل وأبو عمران والجحدري.
انظر: «القراءات الشاذة» (ص٣٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٤٧٩)، و«زاد المسير» (٣/ ٩٦)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٨٧). والمتواتر فقط هو «نصب» «الجن» وما ورد من قراءة الرفع، والجر فهما شاذتان.
(٥) «القراءات الشاذة» (ص٣٩)، و«زاد المسير» (٣/ ٩١)، و«البحر المحيط» (٤/ ٦٠٣).
(٦) «جامع البيان» (٩/ ٤٥٣)، و«زاد المسير» (٣/ ٩٦)، و«المحرر الوجيز» (٦/ ١٢٠).
(٧) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٢/ ١١٩)، والسمرقندي في «تفسيره» (١/ ٥٠٤).
(٨) «البحر المحيط» (٤/ ٦٠٣)، و«النشر» (٢/ ٢٦١)، و«زاد المسير» (٣/ ٩٧)، و«الكشف عن =

ادّعوا أن الملائكة بناتُ الله، والنصارى ادّعوا أن المسيح ابن الله، واليهود ادّعوا أن عزيراً ابن الله، فكثر ذلك من كفرهم فشدّد الفعل لمطابقة المعنى.

وقرأ الباقون بالتخفيف[1]. وقُرىء «حرفوا»[2] مِنْ التحريف؛ أي: زوّروا.

قال أهل اللغة[3]: معنى خرقوا: اختلقوا وافتعلوا وكذَبوا، يقال: اختلق الإفك، واخترقه وخرقه، أو أصله مِنْ خرق الثوب: إذا شقه؛ أي: اشتقوا له بنين وبنات.

قوله: ﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٍۚ﴾ متعلق بمحذوف هو حال؛ أي: كائنين بغير علم؛ بل قالوا ذلك عَنْ جهلٍ خالص، ثم بعد حكاية هذا الضلال البيِّن، والبهت الفظيع من جعل الجنّ شركاء لله، وإثبات بنين وبنات له، نزه الله نفسه، فقال: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ وقد تقدّم الكلام في معنى «سبحانه».

ومعنى «تعالى»: تباعد وارتفع عَنْ قولهم الباطل الذي وصفوه به.

قوله: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾؛ أي: مبدعهما[4]، فكيف يجوز أن ﴿يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞ﴾ [النساء: ١٧١]؟ وقد جاء البديع بمعنى: المُبْدِع كالسميع بمعنى: المسمِع كثيراً، ومنه قول عمرو بن مَعْدي كَرِبَ:

أمِن ريحانَة الداعى السميعُ ... يؤرقني وأصحابي هُجوعُ

أي: المُسمِع.

وقيل: هو مِنْ إضافة الصفة المشبهة إلى الفاعل، والأصل: بديع سمٰواته وأرضه.

وأجاز الكسائي[5] خفضه على النعت لله. والظاهر: أن رفعه على تقدير مبتدأ

= وجوه القراءات» (١/ ٤٤٣)، و«جامع البيان» (٩/ ٤٥٤). التشديد في الراء، قراءة نافع وأبي جعفر والتخفيف عن الباقين، وأمَّا «حرفوا» فشاذة، انظر: «تخريج القراءات في فتح القدير» (ص١٢٦).

(١) انظر: المصادر المتقدمة.

(٢) وهي قراءة ابن عمر وابن عباس وأبي رجاء وأبي الجوزاء.
«البحر المحيط» (٤/ ٦٠٣)، و«المحتسب» (١/ ٢٢٤)، و«القراءات الشاذة» (ص٣٩)، و«حاشية الجمل» (٢/ ٧١).

(٣) «الصحاح» (٤/ ١٤٦٧)، و«معاني القرآن» للنحاس (٢/ ٤٦٦).

(٤) قال عبد الرحمٰن السعدي في «تفسيره» (٥/ ٣٠٣): «بديع السمٰوات والأرض؛ أي: خالقهما ومبدعهما في غاية ما يكون من الحسن والخلق البديع والنظام العجيب المحكم».

(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٨/ ٤٨١)، والنحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ٨٧).

محذوف، أو على أنه مبتدأ وخبره ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ وقيل: هو مرفوع على أنه فاعل «تعالى»، وقُرىء بالنصب[(١)] على المدح. والاستفهامُ في ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ للإنكار[(٢)] والاستبعاد؛ أي: مَنْ كان هذا وصفه، وهو أنه خالق السمٰوات والأرض وما فيهما، كيف يكون له ولد؟ وهو مِنْ جملة مخلوقاته، وكيف يتخذ ما يخلقه ولداً.

ثم بالغ في نفي الولد، فقال: ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾؛ أي: كيف يكون له ولد والحال أنه لم تكن له صاحبة؟ والصاحبة إذا لم توجد استحال وجود الولد.

وجملة: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ لتقرير ما قبلها؛ لأن مَنْ كان خالقاً لكل شيء استحال منه أن يتخذ بعض مخلوقاته ولداً ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ لا تخفى عليه من مخلوقاته خافية.

والإشارة بقوله ﴿ذَٰلِكُمُ﴾ إلى الأوصاف السابقة، وهو في موضع رفع[(٣)] على الابتداء وما بعده خبره، وهو الاسم الشريف، و﴿رَبُّكُمْ﴾ خبر ثان، و﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ خبر ثالث، و﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ خبر رابع، ويجوز أن يكون ﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ بدلاً مِنْ اسم الإشارة.

وكذلك ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ خبر المبتدأ، ويجوز ارتفاع خالق على إضمار مبتدأ، وأجاز الكسائي[(١)] والفراء[(٤)] النصب فيه.

﴿فَٱعْبُدُوهُ﴾؛ أي: مَنْ كانت هذه صفاته، فهو الحقيق بالعبادة فاعبدوه ولا تعبدوا غيره ممن ليس له من هذه الصفات العظيمة شيء.

قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ الأبصار: جمع بَصَر، وهو الحاسة، وإدراك الشيء عبارة عَنْ الإحاطة به.

قال الزجاج[(٥)]: أي: لا تبلغ كُنْه حقيقته، فالمنفيّ هو هذا الإدراك لا مجرّد الرؤية،

---

(١) «البحر المحيط» (٤/ ٦٠٤)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٨٧)، و«القراءات الشاذة» (ص٣٩)، و«روح المعاني» (٨/ ٣٤٧). القراءة المتواترة هي الرفع، وقراءة النصب شاذة.

(٢) «روح المعاني» (٨/ ٣٤٧)، و«تفسير أبي السعود» (٣/ ٩٧).

(٣) «التبيان» (١/ ٥٢٧)، و«روح المعاني» (٨/ ٣٥٠)، و«البحر المحيط» (٤/ ٦٠٥)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٨٨).

(٤) ذكره عنهما النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ٨٨)، والقرطبي في «تفسيره» (٨/ ٤٨٢).

(٥) في «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٧٨).

فقد ثبتت بالأحاديث[١] المتواترة تواتراً لا شك فيه ولا شبهة، ولا يجهله إلا مَنْ يجهل السُّنَّة المطهرة جهلاً عظيماً.

وأيضاً قد تقرّر في علم البيان، والميزان أَنَّ رفع الإِيجاب الكلِّي سلبٌ جزئي؛ فالمعنى: لا تدركه بعضُ الأبصار وهي أبصار الكفار، هذا على تسليم أن نفي الإِدراك يستلزم نفي الرؤية.

فالمراد به: هذه الرؤية الخاصة، والآية مِنْ سلب العموم لا من عموم السلب، والأوّل تخلفه الجزئية، والتقدير: لا تدركه كل الأبصار بل بعضها، وهي أبصار المؤمنين. والمصير إلى أحد الوجهين متعين لما عرّفناك من تواتر الرؤية[٢] في الآخرة، واعتضادها بقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ الآية [القيامة: ٢٢].

قولُه: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾؛ أي: يحيط بها، ويبلغ كنهها لا تخفى عليه منها خافية، وخصّ الأبصار ليجانس ما قبله.

وقال الزجاج[٣]: في هذا دليل على أن الخلق لا يُدركون الأبصار؛ أي: لا يعرفون كيفية حقيقة البصر، وما الشيء الذي صار به الإِنسان يبصر من عينيه دون أن يبصر مِنْ غيرهما من سائر أعضائه. انتهى.

﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾؛ أي: الرفيق بعباده، يقال: لطفَ فلان بفلان؛ أي: رفَقَ به، واللطف في العمل: الرفْقُ فيه. واللُّطف[٤] من الله: التوفيقُ والعصمة، وألطفه بكذا: إذا أبرّه، والملاطفة: المبارّة. هكذا قال الجوهري[٥] وابن فارس[٦].

و﴿الْخَبِيرُ﴾ [٢/٩٣] المختبر بكل شيء بحيث لا يخفى عليه شيء.

وقد أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس[٧]، في

---

(١) انظرها في بحث في مسألة الرؤية وهو المسمَّى «البُغية في مسألة الرؤية» للشوكاني، وهي الرسالة رقم (١٧) ضمن «الفتح الرباني من فتاوى الشوكاني» ط. الجيل الجديد، ناشرون، صنعاء.

(٢) انظر: التعليقة المتقدمة.

(٣) في «معاني القرآن للزجاج» (٢/٢٧٨).

(٤) قال عبد الرحمٰن السعدي في «تفسيره» (٥/٣٠١): «اللطيف: الذي أحاط علمه بالسرائر والخفايا، وأدرك الخبايا والبواطن والأمور الدقيقة، اللطيف بعباده المؤمنين، الموصل إليهم مصالحهم بلطفه وإحسانه من طرق لا يشعرون بها، فهو بمعنى الخبير وبمعنى الرؤوف».

(٥) «الصحاح» (٤/١٤٢٦ ـ ١٤٢٧).

(٦) في «مجمع اللغة» (٣/٨٠٨).

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/٤٥٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/١٣٦٠ رقم =

قوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ﴾ قال: والله خلقهم ﴿وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ قال: تخرّصوا.

وأخرج ابن أبي حاتم[١]، عنه في قوله: ﴿وَخَرَقُوا﴾ قال: جعلوا.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن مجاهد[٢] قال: كذبوا.

وأخرج عبد بن حميد، وابن أبي حاتم، عن قتادة[٣] نحوه.

وأخرج ابن أبي حاتم، والعقيلي، وابن عدي وأبو الشيخ، وابن مردويه بسند ضعيف، عن أبي سعيد الخدري[٤] عن رسول الله ﷺ في قوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ قال: «لو أن الإِنسَ والجنّ والملائكة والشياطين منذ خلقوا إلى أن فَنُوا صفّوا صفاً واحداً ما أحاطوا بالله أبداً».

قال الذهبي[٥]: هذا حديث منكر. انتهى. وفي إسناده عطية العوفي[٦] وهو ضعيف.

وأخرج الترمذي وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، والحاكم وصححه، وابن مردويه، عن ابن عباس[٧] قال: رأى محمد ربَّه. قال عكرمة: فقلتُ له: أليس الله يقول: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ قال: لا أمّ لك ذاك نوره إذا تجلّى بنوره لا يدركه شيء. وفي لفظ: «إنما ذلك إذا تجلى بكيفيته لم يقم له بَصرٌ».

= ٧٧١٦، ٧٧١٨) بسند صحيح.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٦٠ رقم ٧٧١٩)، وابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٤٥٤) بسند ضعيف.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٦٠ رقم ٧٧٢١)، وابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٤٥٤) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٦١، ١٣٦٢ رقم ٧٧٢٣، ٧٧٢٩) بسند صحيح.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٦٣ رقم ٧٧٣٦)، وابن عدي في «الكامل» (٢/ ٤٤٢، ٤٤٣)، والعقيلي (١/ ١٤٠)، وأبو الشيخ في «العظمة» رقم (٧٤) بسند ضعيف.

(٥) في «الميزان» (٣/ ٧٩).

(٦) «الجرح والتعديل» (٦/ ٣٨٢)، و«التاريخ الكبير» للبخاري (٧/ ٨).

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٣٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٦٣ رقم ٧٧٣٨) بسند حسن.

وأخرج ابن جرير[(١)] عنه قال: لا يحيط بصر أحد بالله.

وأخرج أبو الشيخ، والبيهقي في «كتاب الرؤية»، عن الحسن[(٢)] في قوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ قال: في الدنيا.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن إسماعيل[(٣)] بن عُليّة مثله.

﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾﴾.

[من وسائل سد الذرائع النهي عن سب آلهتهم]:

﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾.

البصائر جمع: بَصيرة، وهي في الأصل: نور القلب، والمراد بها هنا: الحُجّة[(٤)] البيّنة، والبرهان الواضح، وهذا الكلام وارد على لسان رسول الله ﷺ، ولهذا قال في آخره: ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ ووصف البصائر بالمجيء تفخيماً لشأنها، وجعلها بمنزلة الغائب المتوقع مجيئه، كما يقال: جاءت العافية، وانصرف المرض، وأقبلت السعود، وأدبرت النحوس[(٥)].

﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ﴾؛ أي: فمن تعقّل الحجة وعرفها وأذعن لها فنفع ذلك لنفسه؛ لأنه ينجو بهذا الإبصار من عذاب النار.

﴿وَمَنْ عَمِىَ﴾ عَنْ الحُجة ولم يتعقلها، ولا أذعن لها، فضرر ذلك على نفسه؛

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/٤٥٩) بسند ضعيف.
(٢) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٣/٣٣٥).
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/١٣٦٣ رقم ٧٧٤٠) بسند صحيح.
(٤) «جامع البيان» (٩/٤٦٩)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/٨٨).
(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٨/٤٨٦).

لأنَّه يتعرض لغضب الله في الدنيا، ويكون مصيره النار ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ﴾ برقيب أحصي عليكم أعمالكم، وإنما أنا رسولٌ أبلغكم رسالات ربي، وهو الحفيظ عليكم.

قال الزجّاج[1]: نزل هذا قبل فرض القتال، ثم أمر أن يمنعهم بالسيف من عبادة الأوثان ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾؛ أي: مثل ذلك التصريف البديع نصرفها في الوعد، والوعيد، والوعظ، والتنبيه.

قوله: ﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسۡتَ﴾ العطف على محذوف؛ أي: نصرّف الآيات لتقوم الحجة وليقولوا دَرَسْتَ، أو علة لفعل محذوف يقدّر متأخراً؛ أي: وليقولوا درست صرفّناها، وعلى هذا تكون اللام[2] للعاقبة أو للصيرورة.

والمعنى: ومثل ذلك التصريف نصرّف الآيات وليقولوا درست، فإنه لا احتفال بقولهم ولا اعتداد بهم، فيكون معناه: الوعيد والتهديد لهم وعدم الاكتراث بقولهم. وقد أشار إلى مثل هذا الزجّاج[3].

وقال النحاس[4]: وفي المعنى قول آخر حسن، وهو أن يكون معنى ﴿نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾: نأتي بها آية بعد آية ﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسۡتَ﴾ علينا، فيذكرون الأوّل بالآخر، فهذا حقيقته، والذي قاله أبو إسحاق ـ يعني: الزجاج[5] ـ مجاز.

وفي ﴿دَرَسۡتَ﴾ قراءات.

قرأ أبو عمرو، وابن كثير «دارست» بألف[6] بين الدال والراء كفاعلت، وهي قراءة عليّ، وابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة، وأهل مكة.

وقرأ ابن عامر: «دَرَسَتْ» بفتح السين وإسكان التاء من غير ألف كخرجت، وهي قراءة الحسن.

---

(١) في «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٧٩).
(٢) «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٨٨)، و«روح المعاني» (٨/ ٣٦١).
(٣) في «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٨٠). (٤) في «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٨٨).
(٥) في «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٧٩).
(٦) «جامع البيان» (٩/ ٤٧٢ ـ ٤٧٦)، و«النشر» (٢/ ٢٦١)، و«زاد المسير» (٣/ ١٠٠)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٤٣)، و«التيسير» (ص١٠٥)، الثلاث القراءات (دارسْتُ) (دَرَسَتْ) (دَرَسْتَ) هي متواترة، ومع ابن عامر يعقوب، أما (درس) بحذف التاء و(دُرِستْ) بالبناء للمجهول وكذا (دارسَتْ) فهي قراءات شاذة. انظر: «تخريج القراءات في فتح القدير» (ص١٢٧).

وقرأ الباقون(١): «دَرَسْتَ» كضربت.

فعلى القراءة الأولى المعنى: دارست أهل الكتاب ودارسوك؛ أي: ذاكرتهم وذاكروك، ويدلّ على هذا ما وقع في الكتاب العزيز من إخبار الله عنهم بقوله: ﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾ [الفرقان: ٤]؛ أي: أعان اليهود النبيَّ ﷺ على القرآن، ومثله قولهم: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: ٥]، وقولهم: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

والمعنى على القراءة الثانية: قدمت هذه الآيات وعَفَت وانقطعت، وهو كقولهم: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام: ٢٥، وفي ثمانية مواضع أُخر من كتاب الله العزيز].

والمعنى على القراءة الثالثة: مثل المعنى على القراءة الأولى.

قال الأخفش: هي بمعنى: دارست إلا أَنَّه أبلغ.

وحكى عن المبرد أنه قرأ: ﴿وَلِيَقُولُواْ﴾ بإسكان اللام(٢)، فيكون فيه معنى التهديد؛ أي: وليقولوا ما شاءوا فإنّ الحق بيّن، وفي هذا اللفظ أصله درس يدرس دراسة، فهو مِنْ الدرس، وهو القراءة.

وقيل: من درسته؛ أي: ذللّته بكثرة القراءة، وأصله درس الطعام؛ أي: داسه. والدياس: الدراس بلغة أهل الشام.

وقيل: أصله مِنْ درسْتُ(٣) الثوب أدرُسه دَرْساً؛ أي: أخْلَقته، ودَرَسَتِ المرأة دَرْساً؛ أي: حاضت.

ويقال: إن فرج المرأة يكنى أبا دِراس(٤) وهو مِنْ الحيض.

والدَّرْسُ أيضاً: الطريق الخفي.

وحكى الأصمعي(٥): بعير لم يُدْرَس؛ أي: لم يُركَب.

---

(١) انظر: المصادر المتقدمة.

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٨٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٤٨٩)، و«روح المعاني» (٨/ ٣٦١).

(٣) «تهذيب اللغة» (١٢/ ٣٥٨ ـ ٣٥٩).

(٤) «مجمل اللغة» (٢/ ٣٢٢).
وقال الجوهري في «الصحاح» (٣/ ٩٢٧): «أبو دِراس».

(٥) ذكره الجوهري في «الصحاح» (٣/ ٩٢٨).

وروي عن ابن عباس وأصحابه، وأُبيٍّ، وابن مسعود، والأعمش، أنهم قرءوا[١]: «دَرَس»؛ أي: درس محمد الآيات.

وقُرِىء: «دُرِستْ» وبه قرأ زيد بن ثابت؛ أي: الآيات على البناء للمفعول، «ودَارَسَتْ» أي: دَارَسَتْ اليهودُ محمداً.

واللام في ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ﴾ لام كي؛ أي: نُصرِّف الآيات لكي نبيّنه لقوم يعلمون، والضميرُ راجع إلى الآيات؛ لأنها في معنى القرآن، أو إلى القرآن، وإن لم يجر له ذكر؛ لأنّه معلوم مِنْ السياق أو إلى التبيين المدلول عليه بالفعل.

قولـه: ﴿اتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ أمره الله باتباع ما أوحى إليه، وأن لا يشغل[٢] خاطره بهم؛ بل يشتغل باتباع ما أمره الله.

وجملة: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ معترضة[٣] بين المعطوف والمعطوف عليه، لقصد تأكيد[٤] إيجاب الاتباع.

﴿وَأَعْرِضْ﴾ معطوف على ﴿اتَّبِعْ﴾ أمره الله بالإعراض عن المشركين بعدما أمره باتباع ما أوحى إليه، وهذا قبل نزول آية السيف.

﴿وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟﴾؛ أي: لو شاء الله عدم إشراكهم ما أشركوا، وفيه أن الشرك بمشيئة الله سبحانه، والكلام في تقرير هذا على الوجه الذي يتعارف به أهل علم الكلام والميزان معروف فلا نطيل بإيراده.

﴿وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾؛ أي: رَقيباً ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾؛ أي: قيّم بما فيه نفعهم فتجلبه إليهم، ليس عليك إلا إبلاغ الرسالة.

قولـه: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ اللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ الموصول عبارة عن الآلهة التي كانت تعبدها الكفار.

والمعنى: لا تسب يا مُحمد آلهة هؤلاء الكفار التي يَدْعونها من دون الله، فيتسبب عن ذلك سبهم لله عدواناً وتجاوزاً عن الحق وجهلاً منهم.

وفي هذه الآية دليل على أَنَّ الداعي إلى الحق، والناهي عن الباطل إذا خشي

---

(١) «القراءات الشاذة» (ص٤٠)، و«المحتسب» (١/ ٢٢٥)، و«جامع البيان» (٩/ ٤٧٦ ـ ٤٧٧).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٤٩٠).

(٣) «البحر المحيط» (٤/ ٦١٠)، و«روح المعاني» (٨/ ٣٦٤).

(٤) «التبيان» (١/ ٥٢٩)، و«الإملاء» (٢/ ٦١٦).

أن يتسبب عن ذلك ما هو أشد منه مِنْ انتهاك حُرِم، ومخالفة حق، ووقوع في باطل أشد، كان الترك أولى به، بل كان واجباً[(١)] عليه.

وما أنفعَ هذه الآية وأجلَّ فائدتها لمن كان مِنْ الحاملين لحجج الله، المتصدين لبيانها للناس، إذا كان بين قوم من الصُّمِّ البكم الذين إذا أمرهم بمعروف تركوه، وتركوا غيره مِنْ المعروف، وإذا نهاهم عن منكر، فعلوه وفعلوا غيره من المنكرات؛ عناداً [٢/٩٤] للحق، وبغضاً لاتْباع المحقين، وجُراءةً على الله سبحانه.

فإن هؤلاء لا يؤثِّر فيهم إلا السيف، وهو الحَكَمُ العدلُ لمن عاند الشريعة المطهّرة، وجعل المخالفة لها، والتجرؤ على أهلها ديدنه وهجّيراه، كما يشاهد ذلك في أهل البدع الذين إذا دعوا إلى حق، وقعوا في كثير من الباطل، وإذا أرشدوا إلى السُّنَّة، قابلوها بما لديهم مِنْ البدعة، فهؤلاء هم المتلاعبون بالدين، المتهاونون بالشرائع، وهم شرّ من الزنادقة؛ لأنهم يحتجّون بالباطل، وينتمون إلى البدع، ويتظاهرون بذلك غير خائفين ولا وجلين، والزنادقة قد ألجمتهم سيوف الإِسلام وتحاماهم أهله، وقد ينفق كيدهم ويتمّ باطلهم وكفرهم نادراً على ضعيف من ضعفاء المسلمين، مع تكتم وتحرز وخيفة ووجَل.

وقد ذهب جمهور[(٢)] أهل العلم إلى أن هذه الآية محكمة ثابتة غير منسوخة، وهي أصل أصيل في سدّ الذرائع[(٣)]، وقطع التطرّق إلى الشُّبه.

وقرأ أهل مكة: «عُدُوّا» بضم العين[(٤)] والدال وتشديد الواو، وهي قراءة الحسن، وأبي رجاء وقتادة.

وقرأ مَنْ عداهم بفتح[(٥)] العين وضم الدال وتشديد الواو، ومعنى القراءتين واحد؛ أي: ظلماً وعدواناً، وهو منتصب على الحال، أو على المصدر أو على أنه مفعول له.

---

(١) «أحكام القرآن» لابن العربي (٢/ ٧٣٥).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٤٩١، ٤٩٢)، و«المحرر الوجيز» (٦/ ١٢٥ ـ ١٢٦).

(٣) انظر: «إرشاد الفحول» (ص٨٠٤ ـ ٨١٥)، و«البحر المحيط» للزركشي (٦/ ٨٢)، و«إعلام الموقعين» (٣/ ١٤٧).

(٤) «المحتسب» (١/ ٢٢٦)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٨٩). قراءة أهل مكة كالجمهور، بفتح العين، وسكون الدال، وتخفيف الواو لا كما ضبطها المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ أمّا مَنْ قرأ بضم العين، والدال وتشديد الواو، فيعقوب الحضرمي، ومعه الحسن. انظر: «تخريج القراءات في فتح القدير» (ص١٢٧).

(٥) «القراءات الشاذة» (ص٤٠)، و«جامع البيان» (٩/ ٤٨٣)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٨٩).

﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾؛ أي: مثل ذلك التزيين زينّا لكل أمة من أمم الكفار عملَهم مِنْ الخير والشرّ ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [النحل: ٩٣، فاطر: ٨] ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا من المعاصي التي لم ينتهوا عنها، ولا قبلوا من المرسلين ما أرسلهم الله به إليهم، وما تضمّنته كُتبه المنزلة عليهم.

وقد أخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن قتادة[١] في قوله: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ﴾؛ أي: بيّنة ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ﴾؛ أي: فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ﴿وَمَنْ عَمِىَ﴾؛ أي: مَنْ ضلّ ﴿فَعَلَيْهَا﴾.

وأخرج سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن مردويه، والضياء في «المختارة»، عن ابن عباس[٢] أنه كان يقرأ: «دارسْتَ» وقال: قرأتَ.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، وابن مردويه عنه[٣] ﴿دَرَسْتَ﴾ قال: قرأتَ وتعلّمتَ.

وأخرج عبد الرزاق، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وأبو الشيخ، وابن مردويه، عنه[٤] أيضاً قال: ﴿دارسْتَ﴾: خاصمتَ جادلت تَلوتَ.

وأخرج أبو الشيخ[٥]، عن السديّ: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ قال: كفّ عنهم، وهذا منسوخ نسخه القتال: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥].

وأخرج ابن أبي حاتم، والبيهقي في «الأسماء والصفات»، عن ابن عباس[٦]

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٦٤ رقم ٧٧٤٦)، وابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٤٧٠) بسند صحيح.

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في «سننه» رقم (٨٩٩ ـ تفسير)، والضياء في «المختارة» رقم (٥٩) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٤٧٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٦٥ رقم ٧٧٤٩) بسند صحيح.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٤٧٤ ـ ٤٧٥)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٤/ ١٣٦٥ رقم ٧٧٥١)، وسعيد بن منصور في «سننه» رقم (٩٠٠ ـ تفسير)، والطبراني رقم (١١٢٨٣) بسند ضعيف؛ لجهالة حال عمرو بن كيسان.

(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٣٨).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٦٦ رقم ٧٧٥٨)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٣٧٧)، وابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٤٨٠) بسند صحيح.

في قوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟﴾ يقول الله تبارك وتعالى: لو شئت لجمعتهم على الهدى أجمعين.

وأخرج ابن أبي حاتم[(١)]، عَنْ قتادة في قوله: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾؛ أي: بحفيظ.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، عن ابن عباس[(٢)]، في قوله: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ قال: قالوا: يا محمد لتَنْتَهِيَنّ عن سبِّك آلهتنا أو لنهجونَّ ربَّك، فنهاهم الله أن يسبوا أوثانهم ﴿فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.

وقد ثبت في «الصحيح»[(٣)] أن رسول الله ﷺ قال: «ملعون مَنْ سبّ والديه، قالوا: يا رسول الله وكيف يسبّ الرجل والديه؟ قال: يسبّ أبا الرجل فيسبّ أباه، ويسبّ أمَّه فيسبّ أمه».

[بيان طبيعة التكذيب في هؤلاء المكذبين]:

﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠٩) وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ (١١٠) ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ (١١١) وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (١١٢) وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ (١١٣)﴾.

قولُه: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ أي: الكفّار مطلقاً، أو كفار قريش، وجهد الأيمان: أشدّها؛ أي: أقسموا بالله أَشدّ أيمانهم التي بلغتها قدرتُهم، وقد كانوا يعتقدون أن الله

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٦٦ رقم ٧٧٥٩) بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٤٨٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٦٦ رقم ٧٧٦٠) بسند صحيح.

(٣) أخرجه البخاري رقم (٥٩٧٣)، ومسلم رقم (٩٠/ ١٤٦)، وأبو داود رقم (٥١٤١)، والترمذي رقم (١٩٠٢)، وقال: حسن صحيح. كلهم من حديث عبد الله بن عمرو.

هو الإلٰه الأعظمُ، فلهذا أقسموا به، وانتصاب جَهد على المصدرية، وهو بفتح الجيم المشقّة، وبضمها: الطاقةُ، ومِنْ أهل اللغة[(١)] مَنْ يجعلهما لمعنى واحد، والمعنى: أنهم اقترحوا على النبي ﷺ آية مِنْ الآيات التي كانوا يقترحونها.

وأقسموا لئن جاءتهم هذه الآية التي اقترحوها ﴿لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾ وليس غرضهم الإيمان، بل معظم قصدِهم التحكم على رسول الله ﷺ، والتلاعب بآيات الله، فأمره الله سبحانه أن يجيب عليهم بقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ هذه الآية التي يقترحونها، وغيرها، وليس عندي من ذلك شيء، فهو سبحانه إنْ أراد إنزالها أنزلها، وإن أراد أن لا ينزلها لم ينزلها.

قولُه: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

قرأ أبو عمرو، وابن كثير، بكسر[(٢)] الهمزة من «إنّها»، وهي قراءة مجاهد، ويؤيد هذه القراءة قراءة ابن مسعود[(٣)]: «وما يشعركم إذا جاءت لا يؤمنون».

قال مجاهد وابنُ زيدٍ: المخاطب بهذا المشركون؛ أي: وما يدريكم، ثم حكم عليهم بقوله: ﴿أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

وقال الفراء[(٤)] وغيره: الخطاب للمؤمنين؛ لأن المؤمنين قالوا للنبي ﷺ: يا رسولَ الله، لو نزلت الآية لعلهم يؤمنون، فقال الله تعالى: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

وقرأ أهل المدينة والأعمش، وحمزة والكسائي، وعاصم، وابن عامر: «أَنَّها إذا جاءت» بفتح[(٥)] الهمزة.

قال الخليل[(٦)]: «أنها» بمعنى: لعلها، وفي التنزيل: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ [عبس: ٣]؛ أي: أنه يزكي.

---

(١) «الصحاح» (٢/ ٤٦٠).

(٢) «البحر المحيط» (٤/ ٦١٥)، و«جامع البيان» (٩/ ٤٨٨)، و«النشر» (٢/ ٢٦١)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٤٤)، و«زاد المسير» (٣/ ١٠٤). قراءة الكسر والفتح متواترتان، ومع الكسر أبي بكر عن عاصم بخلاف عنه، وأما قراءة ابن مسعود فشاذة لمخالفتها الرسم. وما عزاه لمصحف أُبّي شاذ لمخالفته الرسم.

(٣) «القراءات الشاذة» (ص٤٠).

(٤) في «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٥٠).

(٥) «البحر المحيط» (٤/ ٦١٥)، و«جامع البيان» (٩/ ٤٨٨)، و«النشر» (٢/ ٢٦١)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٤٤).

(٦) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ٩٠).

وحُكي عن العرب: ائت السوق أَنَّك تشتري لنا شيئاً؛ أي: لعلّك، ومنه قول عَدي بن زيد[(١)]:

أعاذلُ ما يدريكَ أَنَّ منيتي إلى ساعةٍ في اليوم أو في ضحى الغدِ

أي: لعلّ منيتي.

ومنه قولُ دُريدِ بنِ الصِّمّة[(٢)]:

أريني جواداً مات هزلاً لأنَّني أرى ما ترين أَو بخيلاً مُخلّداً

أي: لعلني.

ومنه قول أبي النّجم[(٣)]:

قلتُ لشيبانَ ادْنُ مِنْ لقائِه أنّي نُغَدٍّ اليوم من شِوائهِ

أي: لعلّي.

وقول جرير[(٤)]:

هَلَ أنتمْ عائجون بنا لأنَّا نرى العَرَصاتِ أو أثرَ الخيامِ

أي: لعلَّنا. اهـ.

وقد وردت في كلام العرب كثيراً بمعنى لعل. وحكى الكسائي[(٤)] أنها كذلك في مصحف أُبيّ بن كعب. وقال الكسائي[(٤)] أيضاً والفراء[(٥)]: إن «لا» زائدة، والمعنى: وما يشعركم أنها؛ أي: الآيات، إذا جاءت يؤمنون، فزيدت كما زيدت في قوله تعالى: ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٥] وفي قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢] وضعف الزجاج[(٦)] والنحاس[(٧)] وغيرهما زيادة «لا» وقالوا: هو غلط وخطأ.

وذكر النحاس[(٨)] وغيره، أن في الكلام حذفاً، والتقدير: أنها إذا جاءت

---

(١) «الشعر والشعراء» (١/ ٢٢٦)، و«معاهد التنصيص» (١/ ٣١٦).
(٢) تقدم ذكره عند الآية (١٢٨) من سورة البقرة.
(٣) انظر: «خزانة الأدب» (٨/ ٥٠١).
(٤) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ٩٠).
(٥) في «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٥٠).
(٦) في «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٨٣).
(٧) في «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٩٠).
(٨) في «معاني القرآن» (٢/ ٤٧٤).

لا يؤمنون أو يؤمنون، ثم حُذف هذا المقدر لعلم السامع[١].

قوله: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ﴾ معطوف على «لا يؤمنون» قيل: والمعنى: تقليب[٢] أفئدتهم وأبصارهم يوم القيامة على لهب النار، وحرّ الجمر؛

﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟﴾ في الدنيا ﴿وَنَذَرُهُمْ﴾ في الدنيا؛ أي: نمهلهم ولا نعاقبهم فعلى هذا بعض الآية في الآخرة. [٢/٩٥] وبعضها في الدنيا.

وقيل[٣]: المعنى: ونقلب أفئدتهم وأبصارهم في الدنيا؛ أي: نَحول بينهم وبين الإيمان لو جاءتهم تلك الآية كما حُلْنا بينهم وبين ما دعوتهم إليه أوّل مرة عند ظهور المعجزة.

وقيل: في الكلام تقديم وتأخير، والتقدير: أَنَّها إذا جاءت لا يؤمنون كما لم يؤمنوا، ونقلب أفئدتهم وأبصارهم ونذرهم في طغيانهم يعمهون؛ أي: يتحيّرون.

والكاف في ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟﴾ نعت مصدر محذوف، وما مصدرية، و﴿يَعْمَهُونَ﴾ في محل نصب على الحال.

قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ﴾؛ أي: لا يؤمنون ولو نزلنا إليهم الملائكة كما اقترحوه بقولهم: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٨] ﴿وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ الذين يعرفونهم بعد إحيائنا لهم، فقالوا لهم: إن هذا النبي صادق مرسل من عند الله، فآمِنوا به، لم يؤمنوا، ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ مما سألوه مِنْ الآيات ﴿قُبُلًا﴾؛ أي: كُفُلاً وضُمناً بما جئناهم به من الآيات البينات.

هذا على قراءة من قرأ ﴿قُبُلًا﴾ بضم[٤] القاف وهم الجمهور.

وقرأ نافع، وابن عامر، «قِبلاً» بكسرها[٥]؛ أي: مقابلة.

وقال محمد بن يزيد المبرِّد[٦]: قِبلاً بمعنى ناحية، كما تقول لي: قِبَل فلان مال، فِقبلاً نُصب على الظرف.

---

(١) قال ابن عطية في«المحرر الوجيز» (٦/ ١٢٩): «وهذا قول ضعيف لا يعضده لفظ الآية ولا يضعفه».

(٢) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ٩٠).

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٤٩٨).

(٤) «البحر المحيط» (٤/ ٦٢٢)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٤٦)، و«زاد المسير» (٣/ ١٠٧)، و«حاشية الشهاب» (٤/ ١١٤)، و«جامع البيان» (٩/ ٤٩٤). هما قراءتان متواترتان، ضم القاف والباء والثانية كسر القاف وفتح الباء.

(٥) انظر: المصادر المتقدمة.

(٦) «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٩١).

وعلى المعنى الأوّل ورد قوله تعالى: ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٩٢]؛ أي: يَضْمنون، كذا قال الفراء[(١)].

وقال الأخفش[(٢)]: هو بمعنى قبيل قبيل؛ أي: جماعة جماعة.

وحكى أبو زيد[(٣)]، لقيتُ فلاناً قُبُلاً ومقابلةً وقِبَلاً كله واحد، بمعنى: المواجهة، فيكون على هذا الضم كالكسر وتستوي القراءتان.

والحشر: الجمعُ ﴿مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ إيمانَهم، فإن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، والاستثناء مفرَّغ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ جهلاً يحول بينهم وبين دُرك الحق والوصول إلى الصواب.

قولُه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ﴾ هذا الكلام لتسلية رسول الله ﷺ، ودفع ما حصل معه مِنْ الحزن بعدم إيمانهم؛ أي: مثل هذا الجَعل ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا﴾ والمعنى: كما ابتليناك بهؤلاء فقد ابتلينا الأنبياءَ مِن قبلك بقوم من الكفار، فجعلنا لكل واحد منهم عدوّاً مِنْ كفار زمنهم، و﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ بدل من عدوّاً؛ وقيل: هو المفعول الثاني لجعلنا.

وقرأ الأعمش[(٤)] «الجنّ والإنس» بتقديم الجن، والمراد بالشياطين: المردة من الفريقين، والإضافة بيانية، أو مِنْ إضافة الصفة[(٥)] إلى الموصوف، والأصل الإنس والجن الشياطين.

وجملة ﴿يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ في محل نصب على الحال؛ أي: حال كونه يوسوس بعضهم لبعض.

وقيل: إن الجملة مستأنفة لبيان حال العدوّ، وسُمّي وحياً لأنَّه إنما يكون خُفيةً بينهم. وجعل تمويَههم زُخرف القول لتزيينهم إيَّاه، والمزْخَرف: المزيَّن، وزخارف الماء: طرائقه.

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٥٠ ـ ٣٥١).
(٢) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٥٠١).
(٣) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ٩١).
(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٥٠١)، و«معاني القرآن» للنحاس (٢/٤٧٦). هي قراءة شاذة مخالفة للرسم.
(٥) «البحر المحيط» (٤/ ٦٢٤)، و«التبيان» (١/ ٥٣٢)، و«روح المعاني» (٨/ ٣٩١).

و﴿غُرُورًا﴾ منتصب[1] على المصدر؛ لأن معنى يوحي بعضهم إلى بعض: يَغُرّونهم بذلك غروراً. ويجوز أن يكون في موضع الحال، ويجوز أن يكون مفعولاً له، والغرور: الباطل.

قولُه: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ﴾ الضمير يرجع إلى ما ذُكر سابقاً من الأمور التي جرت من الكفار في زمنه وزمن الأنبياء قبله؛ أي: لو شاء ربُّك عدم وقوع ما تقدّم ذكره ما فعلوه وأوقعوه؛ وقيل: ما فعلوا الإيحاء المدلول عليه بالفعل ﴿فَذَرْهُمْ﴾؛ أي: اتركهم، وهذا الأمر للتهديد للكفار كقوله: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدثر: ١١] ﴿وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ إنْ كانت «ما» مصدرية فالتقدير: اتركهم وافتراءهم، وإن كانت موصولة فالتقدير: اتركهم والذي يفترونه.

قولُه: ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ اللام في لتصغى لام كي، فتكون علةً لقوله: ﴿يُوحِى﴾ والتقدير: يُوحي بعضُهم إلى بعض ليغروهم ولتصغى.

وقيل: هو متعلق بمحذوفٍ يُقدّر متأخراً؛ أي: لتصغى ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا﴾.

وقيل: إنّ اللام للأمر وهو غلط، فإنها لو كانت لام الأمر جزمت الفعل.

والإصغاء[2]: الميلُ، يقال: صغوتُ أصغو صَغْواً، وصغيت أَصْغىٰ؛ ويقال: صغيت بالكسر؛ ويقال: أصغيتُ الإناء: إذا أمَلْته ليجتمع ما فيه، وأصله: الميلُ إلى الشيء لغرضٍ من الأغراض؛ ويقال: صَغَتِ النجوم: إذا مالت للغروب، وأصغت الناقة: إذا أمالت رأسَها، ومنه قول ذي الرُّمة[3]:

تُصْغي إذا شَدَّها بالكُورِ جانحةً حتى إذا ما استوَى في غَرْزها تَثِبُ

والضمير في «إليه» لزخرف القول، أو لما ذُكر سابقاً من زخرف القول وغيره؛ أي: أوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول ليغرّوهم ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ من الكفار، ﴿وَلِيَرْضَوْهُ﴾ لأنفسهم بعد الإصغاء إليه.

﴿وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ مِنْ الآثام، والاقتراف: الاكتساب؛ يقال: خرج

---

(١) «التبيان» (١/ ٥٣٢ ـ ٥٣٣)، و«روح المعاني» (٨/ ٣٩٢).
(٢) «تهذيب اللغة» (٨/ ١٥٩)، و«الصحاح» (٦/ ٢٤٠٠ ـ ٢٤٠١).
(٣) انظر: «ديوان ذي الرمة» (١/ ٤٨).

ليقترف لأهله؛ أي: ليكتسب لهم، وقارف فلان هذا الأمر: إذا واقعه، وقرفه: إذا رماه بالرِّيبة، واقترف: كذبَ، وأصله: اقتطاع قطعة مِنْ الشيء[1].

وقد أخرج أبو الشيخ[2]، عن ابن عباس، قال: نزلت ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ في قريش ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ يا أيها المسلمون ﴿أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

وأخرج ابن جرير[3]، عن محمد بن كعب القرظي، قال: كلَّم رسول الله ﷺ، قريشاً فقالوا: يا محمدُ، تخبرنا أَنّ موسى كان معه عصا يضرب بها الحجر، وأن عيسى كان يُحيي الموتى، وأن ثمود لهم ناقة، فأتنا من الآيات حتى نصدّقك. فقال رسول الله ﷺ؛ أي: شيء تحبون أن آتيكم به؟ قالوا: تجعل لنا الصفا ذهباً، قال: فإن فعلتُ تصدقوني؟ قالوا: نعم، والله لئن فعلت لنتبعنك أجمعون، فقام رسولُ الله ﷺ يدعو، فجاءه جبريل فقال له: إن شئت أصبح ذهباً، فإن لم يصدقوا عند ذلك لنعذبنّهم، وإن شئت فاتركهم حتى يتوب تائبهم، فقال: بل يتوب تائبهم، فأنزل الله: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿يَجْهَلُونَ﴾.

وأخرج ابن أبي حاتم[4]، عن ابن عباس، في قوله: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ﴾ قال: لما جحد المشركون ما أنزل الله، لم تَثْبُت قلوبهم على شيء وُردّت عن كل أمر.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، عنه[5] ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا﴾ قال: معاينة ﴿مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوٓاْ﴾؛ أي: أهل الشقاء ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾؛ أي: أهل السعادة والذين سبق لهم في علمه أَنْ يدخلوا في الإيمان.

وأخرج عبدُ بن حميد، وأبو الشيخ، عن قتادة[6]: ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا﴾؛ أي: فعاينوا ذلك معاينةً.

---

(١) «الصحاح» (٤/ ١٤١٥).

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٤٠).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٤٨٥ ـ ٤٨٦).
قال ابن كثير في «تفسيره» (٦/ ١٣٤ ـ ١٣٥): «وهذا مرسل وله شواهد من وجوه أُخر».

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٦٩ رقم ٧٧٧١)، وابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٤٩٠) بسند ضعيف.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٤٩٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٧٠، ١٣٧١ رقم ٧٧٨٣، ٧٧٨٥) بسند صحيح.

(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٤١).

وأخرج أبو الشيخ(١)، عن مجاهد قال: أفواجاً قبيلاً.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن ابن عباس(٢)، في قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ قال: إن للجنّ شياطينَ يُضلونهم مثل شياطين الإنس يُضلونهم، فيلتقي شيطان الإنس وشيطان الجنّ، فيقول هذا لهذا: أضْلِله بكذا وأضْلِله بكذا، فهو: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ وقال ابن عباس: الجنّ هم الجانّ وليسوا شياطين، والشياطين: ولد إبليس وهم لا يموتون إلا مع إبليس والجنّ يموتون، فمنهم المؤمن ومنهم الكافر.

وأخرج أبو الشيخ(٣)، عن ابن مسعود قال: الكهنة: هم شياطين الإنس.

وأخرج ابنُ المنذر، وابن أبي حاتم، عَنْ ابن عباس(٤)، في قوله: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ قال: شياطين الجن يوحون إلى شياطين الإنس، فإن الله يقول: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٢١].

وأخرج عبد الرزاق، وابن المنذر، عن قتادة(٥)، في الآية قال: مِنْ الإنس شياطين، ومن الجن شياطين، يوحي بعضهم إلى بعض.

وأخرج ابن أبي حاتم، عن ابن عباس(٦)، زخرف القول قال: يُحسّن بعضهم لبعض [٢/ ٩٦] القولَ ليتبّعوهم في فتنتهم.

وقد أخرج أَحمد، وابن أبي حاتم، والطبراني، عن أبي أُمامة(٧) قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر تعوّذ بالله من شرّ شياطين الجن والإنس، قال: يا نبيّ الله

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٤١).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٧٢ رقم ٧٧٩١) بسند ضعيف. الضحاك لم يلق ابن عباس.

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٤٢).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٧٢ رقم ٧٧٩٠) بسند ضعيف.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٥٠٠)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢١٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٧١ رقم ٧٧٨٨) بسند صحيح.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٧٣ رقم ٧٧٩٢)، وابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٥٠٢) بسند ضعيف.

(٧) أخرجه أحمد في «مسنده» رقم (١٢٢٨٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧٧٨٦)، والطبراني رقم (٧٨٧١) بسند ضعيف جداً.

وهل للإنس شياطين؟ قال: نعم، شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً».

وأخرج أحمد، وابن مردويه، والبيهقي في «الشعب»، عن أبي ذرّ[١] مرفوعاً نحوه.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس[٢] ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ﴾: لتميل.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وأبو الشيخ[٣]، عنه ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ﴾: تزيغ ﴿وَلِيَقْتَرِفُوا۟﴾: يكتسبوا.

﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾.

قوله: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ﴾ الاستفهام[٤] للإنكار، والفاء للعطف على فعلٍ مقدّر، والكلام هو على إرادة القول، والتقدير: قل لهم يا محمد كيف أضلّ وأبتغي غير الله حكماً؟ و«غير» مفعول لأبتغي مقدّم عليه، وحكماً المفعول الثاني أو العكس.

ويجوز أن ينتصب[٥] «حكماً» على الحال، والحَكَمُ أبلغ[٦] مِنْ الحاكم كما تقرر في مثل هذه الصفة المشتقة. أمره الله ﷻ أن ينكر عليهم ما طلبوه منه، من أن يجعل بينه وبينهم حَكَماً فيما اختلفوا فيه، وإن الله هو الحَكَمُ العدلُ بينه وبينهم.

---

(١) أخرجه أحمد رقم (٢١٥٤٦، ٢١٥٥٢)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٣٥٧٦) بسند ضعيف جدّاً.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٧٣ رقم ٧٧٩٦) بسند ضعيف.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٥٠٤، ٥٠٥) بسند صحيح.

(٤) «روح المعاني» (٨/ ٣٩٧)، و«التبيان» (١/ ٣٣٣).

(٥) «البحر المحيط» (٤/ ٦٢٧)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٩٢).

(٦) «المحرر الوجيز» (٦/ ١٣٤)، و«روح المعاني» (٨/ ٣٩٧).

وجملة: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗاۚ﴾ في محل نصب على الحال؛ أي: كيفَ أطلب حَكَماً غير الله وهو الذي أنزل عليكم القرآن مفصلاً مبيناً واضحاً مستوفياً لكل قضية على التفصيل؟ ثم أخبر نبيّه ﷺ بأن أهل الكتاب ـ وإن أظهروا الجحود والمكابرة ـ فإنهم يعلمون أن القرآن منزّل من عند الله بما دلّتهم عليه كتب الله المنزلة، كالتوراة والإنجيل، مِنْ أنه رسول الله، وأنه خاتم الأنبياء.

و﴿بِٱلۡحَقِّۖ﴾ متعلق بمحذوف وقع حالاً؛ أي: مُتَلَبِّساً بالحق الذي لا شك فيه ولا شُبهة، ثم نهاه الله عن أن يكون من الممترين في أن أهل الكتاب يعلمون بأن القرآن منزل من عند الله بالحق، أو نهاه عن مطلق الامتراء، ويكون ذلك تعريضاً لأمته عن أن يمتري أحد منهم، أو الخطاب لكل مَنْ يصلح له؛ أي: فلا يكوننّ أحد من الناس من الممترين ولا يقدح في ذلك كون الخطاب لرسول الله ﷺ، فإن خطابه خطاب لأمته.

قوله: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ﴾ قرأ أهل الكوفة كلمة[١] بالتوحيد، وقرأ الباقون[٢] بالجمع، والمراد بالكلمات العبارات أو متعلقاتها من الوعد والوعيد.

والمعنى: أن الله قد أتمّ وعده ووعيده، فظهر الحق وانطمس الباطل؛ وقيل: المراد بالكلمة أو الكلمات: القرآن، و﴿صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ﴾ منتصبان[٣] على التمييز أو الحال، أو على أنهما نعت مصدر محذوف؛ أي: تمام صدق وعدل ﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ﴾ لا خُلْف فيها ولا مغيّر لما حكم به.

والجملة المنفية في محل نصب[٤] على الحال، أو مستأنفة[٥] ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لكل مسموع ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ بكل معلوم.

---

(١) «البحر المحيط» (٤/٦٢٨)، و«النشر» (٢/٢٦٢)، و«التيسير» (ص١٠٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٩/٦)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/٤٤٧).

(٢) انظر: المصادر المتقدمة.

(٣) «إعراب القرآن» للنحاس (٢/٩٣)، و«التبيان» (١/٥٣٤).

(٤) قال أبو البقاء في «الإملاء» (٢/٦٢٦): «ولا يجوز أن يكون حالاً من (ربك) لئلا يُفصل بين الحال وصاحبها بأجنبي؛ وهو: «صدقاً وعدلاً» إلا أن يجعلا حالين من ربك لا من الكلمات. وانظر: «التبيان» (١/٥٣٤).

(٥) «روح المعاني» (٨/٤٠٢).

قوله: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ أخبره الله سبحانه بأنه إذا رام طاعة أكثر من في الأرض أضلّوه؛ لأنّ الحق لا يكون إلا بيد الأقلين، وهم الطائفة التي لا تزال على الحق، ولا يضرّها خلاف مَنْ يخالفها، كما ثبت ذلك عن رسول الله .

وقيل: المراد بالأكثر: الكفّار؛ وقيل: المراد بالأرض: مكة؛ أي: أكثر أهل مكة، ثم علّل ذلك سبحانه بقوله: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾؛ أي: ما يتبعون إلا الظنّ الذي لا أصل له، وهو ظنهم أن معبوداتهم تستحق العبادة وأنها تقربهم إلى الله.

﴿وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ﴾؛ أي: وما هم إلّا يخرصون؛ أي: يَحْدِسون ويُقدّرون، وأصل الخَرْص[١]: القطع، ومِنْه خرص النخل يخرص: إذا حزره ليأخذ منه الزكاة، فالخارص يقطع بما لا يجوز القطع به، إذ لا يقين معه، وإذا كان هذا حال أكثر من في الأرض.

فالعلم الحقيقي هو عند الله، فاتبع ما أمرك به، ودع عنك طاعة غيره، وهو العالم بمن يضلّ عَنْ سبيله ومن يهتدي إليه.

قال بعض أهل العلم: إن ﴿أَعۡلَمُ﴾ في الموضعين بمعنى يعلم، قال: ومنه قول حاتم الطائي:

فحالفَتْ طَيِّءٌ مِنْ دوننا حِلِفاً والله أعلمُ ما كنّا لهم خَوَلا[٢]

والوجه في هذا التأويل: أن «أفعل» التفضيل[٣] لا ينصب الاسمَ الظاهر، فتكون «مِن» منصوبة بالفعل الذي جعل أفعل التفضيل نائباً عنه؛ وقيل: إن أفعل التفضيل على بابه والنصب بفعل مقدّر.

وقيل: إنَّها منصوبة بأفعل التفضيل؛ أي: إن ربك أعلم أيُّ الناس يضلّ عن سبيله.

وقيل: في محل نصب بنزع الخافض؛ أي: بمن يضلّ، قاله بعض البصريين.

وقيل: في محل جرّ بإضافة أفعل التفضيل إليها.

وقد أخرج عبد الرزاق، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن قتادة[٤] في قوله: ﴿مُفَصَّلٗاۚ﴾ قال: مبيناً.

---

(١) «الصحاح» (٣/ ١٠٣٥ ـ ١٠٣٦)، و«تهذيب اللغة» (٧/ ١٢٩ ـ ١٣١).

(٢) ذكره ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٥١٠)، والقرطبي في «تفسيره» (٩/ ٧).

(٣) «البحر المحيط» (٤/ ٦٢٩ ـ ٦٣٠).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٧٤ رقم ٧٨٠٤)، وعبد الرزاق في «تفسيره» =

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن قتادة[١] في قوله: ﴿صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ قال: صدقاً فيما وعد، وعدلاً فيما حَكَمَ.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، وأبو نصر السّجْزِي في «الإبانة»، عن محمد بن كعب القرظي[٢]، في قوله: ﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ قال: لا تبديل لشيء قاله في الدنيا والآخرة لقوله: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾ [ق: ٢٩].

وأخرج ابنُ مردويه، وابن النجار، عن أنس[٣]، عن النبيّ ﷺ في قوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ قال: «لا إله إلا الله».

وأخرج ابن أبي حاتم[٤]، عن أبي اليمان عامر بن عبد الله قال: دخل رسول الله ﷺ المسجد الحرام يوم فتح مكة، ومعه مِخْصَرة، ولكل قوم صنم يعبدونه، فجعل يأتيها صنماً صنماً، ويطعن في صدر الصنم بعصًا ثم يعقِره، فكلما طعن صنماً أتبعه ضرباً بالقوس حتى يكسروه ويطرحوه خارجاً من المسجد، والنبي ﷺ يقول: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

[أحكام الذبائح]:

﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾﴾.

لما تقدم ذكرُ ما يصنعه الكفار في الأنعام مِنْ تلك السنن الجاهلية، أمر الله المسلمين بأن يأكلوا مما ذُكِر اسم الله عليه.

= (١/ ٢١٧) بسند صحيح.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٧٤ رقم ٧٨٠٧، ٧٨٠٨)، وابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٥٠٨) بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٧٤، ١٣٧٥ رقم ٧٨٠٩) بسند ضعيف.

(٣) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٤٥).

(٤) لم يخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره». وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٤٤) إلى ابن مردويه عن أبي اليمان عامر بن عبد الله.

وقيل: إنها نزلت في سبب خاص وسيأتي، ولكن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فكل ما ذَكر الذابح عليه اسم الله حلّ، إن كان مما أباح الله أكله.

وقال عطاء[١]: في هذه الآية الأمر بذكر الله على الشراب والذبح وكل مطعوم.

والشرط في ﴿إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤۡمِنِينَ﴾ للتهييج والإلهاب؛ أي: بأحكامه من الأوامر والنواهي التي من جملتها الأمر بالأكل مما ذُكر اسم الله عليه.

والاستفهام في ﴿وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تَأۡكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾ للإنكار[٢]؛ أي: ما المانع لكم من أكل ما سميتم عليه بعد أن أذن الله لكم بذلك «و» الحال أن **﴿قد فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيۡكُمۡ﴾**؛ أي: بيّن لكم بياناً مفصلاً يدفع الشك، ويزيل الشبهة [٢/٩٧] بقوله: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾ [الأنعام: ١٤٥] إلى آخر الآية، ثم استثنى فقال: ﴿إِلَّا مَا ٱضۡطُرِرۡتُمۡ إِلَيۡهِۗ﴾؛ أي: مِنْ جميع ما حرّمه عليكم، فإن الضرورة تُحلّل الحرام، وقد تقدّم تحقيقه في البقرة.

قرأ نافع، ويعقوب: ﴿وَقَدۡ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيۡكُمۡ﴾ بفتح الفعلين[٣] على البناء للفاعل، وهو الله سبحانه.

وقرأ أبو عمرو، وابن عامر، وابن كثير، بالضم[٤] فيهما على البناء للمفعول.

وقرأ عطية العوفي «فصل» بالتخفيف[٥]؛ أي: أبان وأظهر.

قوله: ﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا لَّيُضِلُّونَ بِأَهۡوَآئِهِم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۚ﴾ هم الكفار الذين كانوا يحرّمون البحيرة والسائبة ونحوهما، فإنهم بهذه الأفعال المبنية على الجهل، كانوا يضلون الناس، فيتبعونهم، ولا يَعلمون أن ذلك جهل وضلالة، لا يرجع إلى شيء من

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٥١١ ـ ٥١٢) من طريق ابن جريج عن عطاء.

(٢) «روح المعاني» (٨/ ٤٠٩).

(٣) «النشر» (٢/ ٢٦٢)، و«التيسير» (ص١٠٦)، و«جامع البيان» (٩/ ٥١٤)، و«البحر المحيط» (٤/ ٦٣١)، و«زاد المسير» (٣/ ١١٢ ـ ١١٣)، و«حاشية الجمل» (١/ ٨٢)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٤٨). ومع نافع ويعقوب الكوفيون وأبو جعفر في كلمة «فصّل» أما في كلمة «حرّم» فمع نافع ويعقوب حفص وأبو جعفر والاقون بالبناء للمجهول. «تخريج القراءات في فتح القدير» (ص١٢٨).

(٤) انظر: المصادر المتقدمة.

(٥) «القراءات الشاذة» (ص٤٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ١٠).

العلم. ثم أمرهم الله أَنْ يتركوا ظاهر الإثم وباطنه، والظاهر[(١)]: ما كان يظهر كأفعال الجوارح، والباطن: ما كان لا يظهر كأفعال القلب؛ وقيل: ما أعلنتم وما أسررتم؛ وقيل: الزنا الظاهر، والزنا المكتوم، وأضاف الظاهر والباطن إلى الإثم لأنّه يتسبّب عنهما. ثم توعّد الكاسبين للإثم بالجزاء بسبب افترائهم على الله سبحانه.

وقد أخرج أبو داود، والترمذي وحسنه، والبزار، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، وابن مردويه، عن ابن عباس[(٢)]، قال: جاءت اليهود إلى النبيِّ ﷺ قالوا: إنا نأكل مما قتلنا ولا نأكل مما قتل الله، فأنزل الله: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١].

وأخرج ابن أبي حاتم[(٣)]، عن سعيد بن جبير: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ فإنه حلال ﴿إِن كُنتُم بِـَٔايَـٰتِهِۦ﴾ يعني: القرآن ﴿مُؤْمِنِينَ﴾ قال: مصدقين ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ يعني: الذبائح، ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ يعني: ما حرّم عليكم من الميتة ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا﴾ يعني: مِنْ مشركي العرب ﴿لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ يعني: في أمر الذبائح.

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن قتادة[(٤)] في قوله: ﴿إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ أي: من الميتة، والدم، ولحم الخنزير.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس[(٥)] ﴿وَذَرُوا۟ ظَـٰهِرَ ٱلْإِثْمِ﴾ قال: هو نكاح الأمهات والبنات ﴿وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ قال: هو الزنا.

---

(١) «النكت والعيون» (٢/ ١٦٠)، و«جامع البيان» (٩/ ٥١٦ ـ ٥١٧).

(٢) أخرجه أبو داود رقم (٢٨١٩)، والترمذي رقم (٣٠٦٩)، وابن جرير في «جامع البيان» (ص٥٢٦ ـ ٥٢٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٧٨ رقم ٧٨٣٢). وهو حديث صحيح.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٧٥، ١٣٧٦ رقم ٧٨١٣ ـ ٧٨١٦، ٧٨١٨ ـ ٧٨٢٠) بسند ضعيف.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٢١٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٧٦ رقم ٧٨١٧) بسند صحيح.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٧٦ رقم ٧٨٢٢) بسند حسن.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن سعيد بن جبير[١] قال: الظاهر منه: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٢٢] و﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ﴾ [النساء: ٢٣] الآية، والباطن: الزنا.

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة[٢] في الآية قال: علانيته وسرّه.

﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾.

نهى الله سبحانه عن أكل ما لم يُذكر اسم الله عليه، بعد أن أمر بالأكل مما ذُكر اسم الله عليه، وفيه دليل على تحريم أكل ما لم يذكر اسم الله عليه.

وقد اختلف أهل العلم في ذلك، فذهب ابن عمر، ونافع مولاه، والشعبي، وابن سيرين، وهو رواية عن مالك[٣]، وعن أحمد[٤] بن حنبل، وبه قال أبو ثور، وداود الظاهري[٥]: أن ما لم يذكر اسم الله عليه من الذبائح حرام من غير فرق بين العامد والناسي لهذه الآية، ولقوله تعالى في آية الصيد: ﴿فَكُلُواْ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤] ويزيد هذا الاستدلال تأكيداً قوله سبحانه في هذه الآية: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾.

وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة، الأمر بالتسمية في الصيد[٦] وغيره. وذهب الشافعي[٧] وأصحابه، وهو رواية عن مالك[٨]، ورواية عن أحمد[٩]، أن التسمية

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٧٦ رقم ٧٨٢٣) بسند ضعيف.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٧٧ رقم ٧٨٢٤) بسند صحيح.
(٣) «مدونة الفقه المالكي وأدلته» (٢/ ٢١٩، ٢٣٥ ـ ٢٣٦).
(٤) «المغني» (١٣/ ٢٩٠). (٥) «المحلى» (٨/ ٨١٢).
(٦) (منها): ما أخرجه أحمد (٤/ ٣٧٩)، والبخاري رقم (٥٤٨٤)، ومسلم رقم (٦/ ١٩٢٩) عن عدي بن حاتم قال: سألت رسول الله ﷺ عن الصَّيد قال: «إذا رميت سهمك فاذكر اسم الله فإن وجدته قد قتل فكل، إلا أن تجده قد وقع في ماء فإنك لا تدري الماء قتله أو سهمك».
(٧) «المجموع شرح المهذب» (٩/ ٩٨). (٨) «عيون المجالس» (٢/ ٩٦١).
(٩) «المغني» (١٣/ ٢٩٠).

مستحبة لا واجبة، وهو مرويّ عن ابن عباس، وأبي هريرة، وعطاء بن أبي رباح.

وحمل الشافعي الآية على من ذبح لغير الله، وهو تخصيص للآية بغير مُخصِّص.

وقد روى أبو داود[١] في المرسل أن النبيّ ﷺ قال: «ذبيحةُ المسلم حلال، ذُكر اسم الله أو لم يذكر».

وليس في هذا المرسل ما يصلح لتخصيصِ الآية، نعم حديث عائشة أنها قالت للنبي ﷺ: «إنّ قوماً يأتوننا بلحْمَان لا ندري أذكر اسم الله عليه أم لا؟ فقال: سموا أنتم وكلوا»[٢] يفيد أن التسمية عند الأكل تجزئ مع التباس وقوعها عند الذبح.

وذهب مالك[٣]، وأحمد[٤] في المشهور عنهما، وأبو حنيفة[٥] وأصحابه، وإسحاق بن راهويه، أن التسمية إن تركت نسياناً لم تضرّ، وإن تركت عمداً لم يحلّ أكل الذبيحة.

وهو مرويّ عن علي[٦]، وابن عباس، وسعيد بن المسيب، وعطاء وطاوس، والحسن البصري، وأبي مالك، وعبد الرحمٰن بن أبي ليلى، وجعفر بن محمد، وربيعة بن أبي عبد الرحمٰن.

واستدلوا بما أخرجه البيهقي[٧] عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «المسلم إن نسي أن يسمي حين يذبح فليذكر اسم الله وليأكله» وهذا الحديث رفعه خطأ، وإنما هو من قول ابن عباس.

وكذا أخرجه مِنْ قوله عبد الرزاق، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر؛ نعم يمكن الاستدلال لهذا المذهب بمثل قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن

---

(١) أخرجه أبو داود في«المراسيل» رقم (٣٧٨) عن الصلت السدوسي. وهو مرسل ضعيف.

(٢) أخرجه البخاري رقم (٢٠٥٧) و(٥٥٠٧) و(٧٣٩٨)، وأبو داود رقم (٢٨٢٩)، والدارمي (٢/ ٨٣)، والبيهقي (٩/ ٢٣٩)، والدارقطني رقم (٩٩).

(٣) «التسهيل» (٣/ ٩٩٨)، و«عيون المجالس» (٢/ ٩٦٠ ـ ٩٦١).

(٤) «المغني» (١٣/ ٢٩٠ ـ ٢٩٢).

(٥) «الاختيار» (٥/ ٤٨٣)، و«بدائع الصنائع» (٥/ ٤٧).

(٦) «المجموع شرح المهذب» (٨/ ٣٨٤)، و«المغني» (١٣/ ٢٥٨، ٢٩٠).

(٧) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٢٣٩).

﴿نَسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦] كما سبق تقريره، وبقوله ﷺ: «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان»(١).

وأما حديث أبي هريرة الذي أخرجه ابن عديّ(٢): «أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيتَ الرجل منّا يذبح وينسى أن يُسمّي؟ فقال النبي ﷺ: اسم الله على كلِّ مسلم» فهو حديث ضعيف، قد ضعفه البيهقي(٣) وغيره.

قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٌۗ﴾ الضمير يرجع إلى (ما) بتقدير مضاف؛ أي: وإن أكل ما لم يذكر لفسق، ويجوز أن يرجع إلى مصدر تأكلوا؛ أي: فإن الأكل لفسق.

وقد تقدّم تحقيق الفسق.

وقد استدلّ مَنْ حمّل هذه الآية على ما ذُبح لغير الله بقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٌۗ﴾ ووجه الاستدلال: أن الترك لا يكون فسقاً، بل الفسق الذبح لغير الله.

ويجاب عنه بأن إطلاق اسم الفسق على تارك ما فرضه الله عليه غير ممتنع شرعاً. ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ﴾ أي: يوسوسون لهم بالوساوس المخالفة للحق، المباينة للصواب، قاصدين بذلك أن يجادلكم هؤلاء الأولياء بما يوسوسون لهم ﴿وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ﴾ فيما يأمرونكم به وينهونكم عنه ﴿إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ﴾ مثلهم.

وقد أخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وأبو داود، وابن ماجه، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والنحاس، والطبراني وأبو الشيخ، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «سننه»، عن ابن عباس(٤)، قال: قال المشركون، وفي

---

(١) أخرجه ابن ماجه رقم (٢٠٤٥)، وابن حبان رقم (٧١٧٥)، والدارقطني رقم (٣٣)، والطبراني في «الكبير» رقم (١١٢٧٤)، وفي «الصغير» (١/ ٢٧٠)، والبيهقي (٧/ ٣٥٦)، والحاكم (٢/ ١٩٨) وصحّحه، ووافقه الذهبي. وقد تقدم تخريجه مفصلاً.

(٢) أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٦/ ٣٨٥)، ترجمة مروان بن سالم الجزري.

(٣) في «السنن الكبرى» (٩/ ٢٤٠).

(٤) أخرجه أبو داود رقم (٢٨١٨، ٢٨١٩)، والترمذي رقم (٣٠٦٩) وقال: «حسن غريب». وابن ماجه رقم (٣١٧٣)، والنحاس في «ناسخه» (ص١٧٨)، والطبراني رقم (١٢٢٩٥)، والحاكم (٤/ ١١٣، ٢٣١، ٢٣٣) وصحّحه على شرط مسلم ووافقه الذهبي، والبيهقي (٩/ ٢٤٠، ٢٤١). وهو صحيح، ولكن ذكر اليهود فيه منكر والمحفوظ أنهم المشركون. انظر: «صحيح سنن أبي داود» رقم (٢٤٤٥).

لفظ: قال اليهود[١]: لا تأكلوا مما قتل الله وتأكلوا مما قتلتم أنتم، فأنزل الله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾.

وأخرج ابن جرير، والطبراني، وأبو الشيخ، وابن مردويه، عنه[٢] قال لما نزلت: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ أرسلت فارس إلى قريش أن خاصموا محمداً، فقالوا له: ما تذبح أنت بيدك بسكين فهو حلال، وما ذبح الله بشمشار من ذهب ـ يعني: الميتة ـ فهو حرام، فنزلت: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ﴾ قال: الشياطين من فارس، وأولياؤهم من قريش.

وقد روى نحو ما تقدّم في حديث ابن عباس[٣] الأوّل من غير طريق.

وأخرج ابن المنذر، وأبو الشيخ، عنه[٤] أيضاً في قوله: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ قال: إبليس أوحى إلى مشركي قريش.

وأخرج أبو داود، وابن مردويه، والبيهقي في «سننه»، عنه[٥] أيضاً في قوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾ فنسخ، واستثنى من ذلك فقال: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ [المائدة: ٥].

وأخرج عبد بن حميد، عن عبد الله بن يزيد[٦] الخَطْمِّي قال: كلوا ذبائح المسلمين وأهل الكتاب مما ذكر اسم الله عليه [٢/٩٨].

---

(١) وفي لفظ: «جاءت اليهود...». قال ابن كثير في «تفسيره» (٦/١٥٦): «وهذا فيه نظر، من وجوه **ثلاثة**:
(أحدها): أنَّ اليهود لا يرون إباحة الميتة حتى يجادلوا.
(الثاني): أنَّ الآية من الأنعام وهي مكية.
(الثالث): أنَّ هذا الحديث رواه الترمذي عن محمد بن موسى الجرشي، عن زياد بن عبد الله البكائي، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس. ورواه الترمذي بلفظ: «أتى ناس النبي ﷺ... فذكره، وقال: حسن غريب، وروي عن سعيد بن جبير مرسلاً». [أخرجه الترمذي رقم (٣٠٦٩). وهو حديث صحيح].

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» رقم (١١٦١٤) بسند ضعيف.
وأخرجه ابن جرير في (٩/٥٢٠ ـ ٥٢١) من طريق موسى بن عبد العزيز القِنْباريُّ ـ وهو ضعيف ـ، عن الحكم بن أبان، عن عكرمة. والشمشار: السيف بالفارسية.

(٣) أخرجه أبو داود رقم (٢٨١٨)، وابن ماجه رقم (٣١٧٣). وهو حديث صحيح.

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/٣٤٩).

(٥) أخرجه أبو داود رقم (٢٨١٧). وهو حديث حسن.

(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/٣٥٠).

وروى ابن أبي حاتم[١] عن مكحول[١] نحو قول ابن عباس في النسخ.

[الإيمان تفتح ورؤية وإدراك واستقامة، فهو نور بكل مقومات النور]:

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾.

قوله: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾. قرأ الجمهور[٢] بفتح الواو بعد همزة الاستفهام.

وقرأ «نافع بن أبي نعيم» بإسكانها[٣].

قال النحاس[٤]: يجوز أن يكون محمولاً على المعنى؛ أي: انظروا وتدبروا ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا﴾ [الأنعام: ١١٤].

﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ والمراد بالميت هنا: الكافر، أحياه الله بالإسلام؛ وقيل: معناه: كان ميتاً حين كان نطفةً فأحييناه بنفخ الروح فيه. والأوّل أولى؛ لأن السياق يشعر بذلك؛ لكونه في تنفير المسلمين عن اتباع المشركين، وكثيراً ما تستعار الحياة للهداية وللعلم، ومنه قول القائل:

وفي الجهل قبل الموت موتٌ لأهله ... فأجسامُهم قَبل القبور قبورُ

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/١٣٧٨ رقم ٧٨٣٧) بسند ضعيف.
(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/١٨)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٩٤).
(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/١٨)، والنحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ٩٤). قال في «تخريج القراءات في فتح القدير» (ص١٢٨): هي رواية شاذة عن نافع والمتواتر عنه كالجمهور بفتح الواو.
(٤) في «إعراب القرآن» (٢/ ٩٤).

وإنّ امرءاً لم يحْيَى بالعلم ميِّتٌ فليس له حتى النشور نشورُ[(١)]

والنور: عبارة عَنْ الهداية[(٢)] والإيمان، وقيل: هو القرآن[(٣)]، وقيل: الحكمة[(٤)].

وقيل: هو النور المذكور في قوله تعالى: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ [الحديد: ١٢].

والضمير في «به» راجع إلى النور. ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ أي: كمَنْ صفته في الظلمات، ومثله مبتدأ والظلمات خبرُه، والجملة صفة لمَن؛ وقيل: مثل زائدة.

والمعنى: كمَنْ في الظلمات، كما تقول: أنا أكرم من مثلك؛ أي: منك، ومثله: ﴿فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ [المائدة: ٩٥] ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

وقيل: المعنى: كمَنْ مثله مثل مَنْ هو في الظلمات، و﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ في محل نصب على الحال؛ أي: حال كونه ليس بخارجٍ منها بحال من الأحوال.

[إنَّها سُنَّة جارية أن ينتدب في كل قرية نفر من أكابر المجرمين فيها، يقفون موقف العداء من دين الله]:

قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا﴾؛ أي: مثل ذلك الجَعْل جعلنا في كل قرية، والأكابر: جمع أكبر، قيل: هم الرؤساء[(٥)] والعظماء، وخصّهم بالذكر؛ لأنهم أقدر على الفساد. والمكر: الحيلة[(٦)] في مخالفة الاستقامة، وأصله: الفَتْل، فالماكر يَفْتِل عن الاستقامة؛ أي: يَصرِف عنها.

﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ﴾؛ أي: وبال مكرهم عائد[(٧)] عليهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ بذلك لفرط جهلهم ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ﴾ من الآيات، ﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾ يريدون أنهم لا يؤمنون حتى يكونوا أنبياء، وهذا نوع عجيب من

---

(١) ذكرهما الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ١٦٣)، والقرطبي في «تفسيره» (٩/ ١٩).
(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ١٩)، و«النكت والعيون» (٢/ ١٦٣).
(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ١٦٣).
(٤) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ٢٨٨).
(٥) «جامع البيان» (٩/ ٥٣٧)، و«معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٨٨).
(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/ ٢٠).
(٧) «معاني القرآن» للنحاس (٢/ ٤٨٤)، و«جامع البيان» (٩/ ٥٣٧).

جهالاتهم الغريبة وعجرفتهم العجيبة، ونظيره: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾ [المدثر: ٥٢].

والمعنى: إذا جاءت الأكابر آية قالوا هذه المقالة، فأجاب الله عنهم بقوله: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾؛ أي: إن الله أعلم بمن يستحق أن يجعله رسولاً، ويكون موضعاً لها، وأميناً عليها.

وقد اختار[(١)] أن يجعل الرسالة في مُحمد صفيه وحبيبه، فدعوا طلب ما ليس مِنْ شأنكم، ثم توعدهم بقوله: ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ﴾؛ أي: ذلّ وهوان، وأصله مِنْ الصِّغَر كأنّ الذلّ يصغِّر إلى المرء نفسَه؛ وقيل: الصغار هو الرضا بالذلّ، روى ذلك عن ابن السكيّت[(٢)].

وقد أخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن ابن عباس[(٣)] ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ قال: كان كافراً ضالاً فهديناه ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا﴾ هو القرآن ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: الكفر والضلالة.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن عكرمة[(٤)] في الآية قال: نزلت في عمار بن ياسر.

وأخرج أبو الشيخ، وابن مردويه، عن ابن عباس[(٥)] في قوله: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ يعني: عمر بن الخطاب، ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ يعني: أبا جهل بن هشام.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن زيد بن أسلم[(٦)]، في الآية قال: نزلت في عمر بن الخطاب، وأبي جهل بن هشام، كانا ميتين في ضلالتهما، فأحيا الله عمر بالإسلام وأعزّه، وأقرّ أبا جهل في ضلالته وموته، وذلك أن رسول الله ﷺ دعا فقال: «اللَّهُمَّ أعزّ الإسلام بأبي جهل بن هشام، أو بعمر بن الخطاب».

---

(١) «جامع البيان» (٩/ ٥٣٩).
(٢) في «إصلاح المنطق» (ص٤٠٥).
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٥٣٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٨١، ١٣٨٢ رقم ٧٨٥١، ٧٨٥٥، ٧٨٥٦، ٧٨٦١) بسند صحيح.
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٥٣٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٨١ رقم ٧٨٥٤) بسند ضعيف.
(٥) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٥١).
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٨١ رقم ٧٨٥٣). المرفوع أخرجه أحمد (٥٦٩٦)، والترمذيّ رقم (٣٦٨١) وسنده صحيح.

وأخرج ابن جرير، وأبو الشيخ، عن عكرمة[١] في قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا﴾ قال: نزلت في المستهزئين.

وأخرج ابن أبي حاتم[٢]، عن ابن عباس في الآية قال: سلطنا شرارها فعصوا فيها، فإذا فعلوا ذلك أهلكناهم بالعذاب.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وأبو الشيخ، عن مجاهد[٣] قال: ﴿أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا﴾: عظماءها.

وأخرج ابن المنذر، وأبو الشيخ، عن ابن جريج[٤] في قوله: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ﴾ الآية قال: قالوا لمحمد حين دعاهم إلى ما دعاهم إليه من الحق: لو كان هذا حقّاً لكان فينا مَنْ هو أحق أن يؤتي به مِنْ محمدٍ: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١].

وأخرج ابن المنذر، عن ابن عباس[٥]، في قوله: ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟﴾ قال: أشركوا ﴿صَغَارٌ﴾ قال: هَوان.

[الهداية والضلالة بيد الله]:

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾.

قوله: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ الشرح: الشقُّ وأصله

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٥٣٨) بسند حسن.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٨٣ رقم ٧٨٦٦) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٥٣٧ ـ ٥٣٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٨٣ رقم ٧٨٦٧) بسند صحيح.

(٤) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٥٣).

(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٥٤).

التوسعة، وشرحتُ الأمر بيّنته وأوضحتُه، والمعنى: مَنْ يرد الله هدايته للحق يوسع صدره حتى يقبله بصدر مُنْشرحٍ، ﴿وَمَن يُرِدْ﴾ إضلاله ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ قرأ ابن كثير «ضَيْقاً» بالتخفيف[١] مثل: هَيْن ولَيْن.

وقرأ الباقون بالتشديد[٢] وهما لغتان.

وقرأ نافع ﴿حَرِجاً﴾ بالكسر[٣]، ومعناه: الضيق، كرر المعنى تأكيداً، وحَسَّن ذلك اختلاف اللفظ.

وقرأ الباقون بالفتح[٤]، جمع حَرَجَة، وهي شدُة الضيق، والحَرَجَة الغيضة، والجمع حَرَج وحَرَجات، ومنه فلان يتحرّج؛ أي: يُضيّق على نفسه.

وقال الجوهري[٥]: مكان حَرِج وحَرَج؛ أي: ضيّق كثير الشجر لا تصل إليه الراعية. والحَرَجُ: الإثم.

وقال الزجاج[٦]: الحرج أضيق الضيق.

وقال النحاس[٧]: حَرِجٌ اسم الفاعل، وحَرَجٌ مصدر وُصف به كما يقال: رجل عَدْل.

قولُه: ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ قرأ ابن كثير بالتخفيف[٨] من الصعود، شبه الكافر في ثقل الإيمان عليه، بمَن يتكلف ما لا يطيقه كصعود السماء.

وقرأ النخعي[٩]: «يصّاعد» وأصله يتصاعد.

---

(١) «جامع البيان» (٩/ ٥٤٧)، و«البحر المحيط» (٤/ ٦٣٩)، و«النشر» (٢/ ٢٦٢)، و«زاد المسير» (٣/ ١٢٠)، و«التيسير» (ص١٠٦)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٩٥).

(٢) انظر: المصادر المتقدمة.

(٣) «التيسير» (ص١٠٦)، و«النشر» (٢/ ٢٦٢)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٥٠)، و«جامع البيان» (٩/ ٥٤٧)، و«حاشية الجمل» (٢/ ٨٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٣٣). وهما قراءتان متواترتان لكن مع نافع في قراءة الكسر شعبة وأبو جعفر.

(٤) انظر: المصادر المتقدمة.

(٥) في «الصحاح» (١/ ٣٠٥).

(٦) في «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٩٠).

(٧) في «إعراب القرآن» (٢/ ٩٥).

(٨) «الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٥١)، و«زاد المسير» (٣/ ١٢٠)، و«النشر» (٢/ ٢٦٢)، و«جامع البيان» (٩/ ٥٥٠)، و«التيسير» (ص١٠٦ ـ ١٠٧).

(٩) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٢٥)، و«جامع البيان» (٩/ ٥٥٠)، و«البحر المحيط» (٤/ ٦٤٠)، و«النشر» (٢/ ٥٦٢)، و«زاد المسير» (٣/ ١٢٠)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٥١).

وقرأ الباقون «يصَّعد» بالتشديد[١] وأصله يتصعد، ومعناه: يتكلّف ما لا يطيق مرة بعد مرة، كما يتكلف من يريد الصعود إلى السماء.

وقيل: المعنى على جميع القراءات: كاد قلبهُ يصعد إلى السماء نبوّاً على الإسلام، و«ما» في «كأنما» هي المهيئة لدخول كأنّ على الجمل الفعلية.

قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: مثل ذلك الجَعْل الذي هو جعل الصدر ضَيّقاً حَرَجاً يجعل الله الرجس. والرجس في اللغة[٢]: النَّتْنْ.

وقيل: هو العذاب[٣]، وقيل: هو الشيطان[٤] يسلطه الله عليهم.

وقيل: هو ما لا خير فيه[٥].

والمعنى الأوّل هو المشهور في لغة العرب، وهو مستعار لما يحلّ بهم من العقوبة وهو يصدق على جَميع المعاني المذكورة.

والإشارة بقوله: ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ﴾ إلى ما عليه النبي ﷺ، ومَنْ معه من المؤمنين؛ أي: هذا طريق دين ربك لا اعوجاج[٦] فيه.

وقيل: الإشارة إلى ما تقدّم مما يدل على التوفيق والخذلان؛ أي: هذا هو عادة الله [٢/٩٩] في عباده يهدي مَنْ يشاء ويُضل من يشاء.

وانتصاب ﴿مُسْتَقِيمًا﴾ على الحال كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾ [البقرة: ٩١]، ﴿وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ [هود: ٧٢] ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَٰتِ﴾ [الأنعام: ٩٧]؛ أي: بيناها وأوضحناها.

﴿لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ ما فيها، ويتفهمون معانيها. ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾؛ أي: لهؤلاء المتذكرين الجنّة لأنها دار السلامة مِنْ كل مكروه، أو دار الرب السلام

---

(١) انظر: المصادر المتقدمة. قال في «تخريج القراءات في فتح القدير» (ص١٢٩) القراءات المتواترة في هذا ثلاث: الأولى (يَصْعَد) مخففة، بسكوت الصاد، وفتح العين، وهي لابن كثير والثانية: (يصّاعد) بتشديد الصاد وألف بعدها وفتح العين مخففة لابن بكر عن عاصم، والثالثة (يَصّعّد) بفتح العين والصاد مشددتين وهي للباقين.

(٢) «الصحاح» (٣/٩٣٣).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/٥٥٢) عن ابن زيد بسند صحيح.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/٥٥٢) عن ابن عباس بسند صحيح.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/٥٥١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/١٣٨٦ رقم ٧٨٨٤) بسند صحيح.

(٦) «معالم التنزيل» (٢/١٣٠)، و«جامع البيان» (٩/٥٥٣).

مدخرة لهم عند ربهم، ويوصلهم إليها ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُم﴾؛ أي: ناصرهم، والباء في ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ للسببية؛ أي: بسبب أعمالهم.

قُوله: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ الظرف منصوب[1] بمضمر يقدر متقدماً؛ أي: واذكر يومَ نحشرهم أو ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ نقول: ﴿يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ﴾ والمراد: حشر جميع الخلق في القيامة، والمعشر: الجماعة؛ أي: يوم الحشر نقول: يا جماعة الجن ﴿قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾؛ أي: مِنْ الاستمتاع بهم؛ كقوله: ﴿رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ [الأنعام: ١٢٨] وقيل: استكثرتم من إغوائهم وإضلالهم حتى صاروا في حكم الأتباع لكم، فحشرناهم معكم، ومثله قوله: استكثر الأميرُ مِنْ الجنود، والمراد التقريع[2] والتوبيخ، وعلى الأوّل، فالمراد بالاستمتاع: التلذذ مِنْ الجن بطاعة الإنس لهم ودخولهم فيما يريدون منهم.

﴿وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ أما استمتاع الجن بالإنس فهو ما تقدم مِنْ تلذذهم باتباعهم لهم، وأما استمتاع الإنس بالجن: فحيث قبلوا منهم تحسين المعاصي، فوقعوا فيها وتلذذّوا بها. فذلك هو استمتاعهم بالجن.

وقيل[3]: استمتاعُ الإنس بالجن أنَّه كان إذا مرّ الرجل بوادٍ في سفره، وخاف على نفسه قال: أعوذ بربِّ هذا الوادي مِنْ جميع ما أحذر، يعني: ربه من الجن، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦] وقيل: استمتاع الجن بالإنس أَنَّهم كانوا يصدقونهم فيما يقولون من الأخبار الغيبية[4] الباطلة، واستمتاع الإنس بالجنِّ: أنهم كانوا يتلذّذون بما يلقونه إليهم مِنْ الأكاذيب، وينالون بذلك شيئاً مِنْ حظوظ الدنيا كالكهان.

﴿وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا﴾؛ أي: يوم القيامة اعترافاً منهم بالوصول إلى ما وعدهم الله به مما كانوا يكذبون به.

ولما قالوا هذه المقالة أجاب الله عليهم فـ ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ﴾؛ أي: موضع مقامكم. والمثوى: المقامُ، والجملة مستأنفة جواب سؤال مقدّر.

قولُه: ﴿خَـٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ المعنى: الذي تقتضيه لغة العرب في هذا

(١) «روح المعاني» (٨/ ٤٣٤). (٢) «تفسير أبي السعود» (٣/ ١٢١).
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٥٥٦) عن ابن جريج.
(٤) «زاد المسير» (٣/ ١٢٤)، و«معالم التنزيل» (٢/ ١٣١)، و«جامع البيان» (٩/ ٥٥٥).

التركيب: أَنَّهم يخلُدون في النار في كل الأوقات، إلا في الوقت الذي يشاء الله عدم بقائهم فيها.

وقال الزجّاج[١]: إن الاستثناء يرجع إلى يوم القيامة؛ أي: خالدين في النار إلا ما شاء الله مِنْ مقدار حشرهم من قبورهم، ومقدار مدّتهم في الحساب، وهو تعسّف؛ لأن الاستثناء هو من الخلود الدائم ولا يصدق على مَنْ لم يدخل النار.

وقيل: الاستثناء راجع[٢] إلى النار؛ أي: إلا ما شاء الله مِنْ تعذيبهم بغيرها في بعض الأوقات كالزمهرير؛ وقيل[٣]: الاستثناء لأهل الإيمان، و«ما» بمعنى مَنْ؛ أي: إلا مَنْ شاء الله إيمانه فإنَّه لا يدخل النار.

وقيل: المعنى: إلا ما شاء الله مِنْ كونهم في الدنيا بغير عذاب.

وكل هذه التأويلات متكلّفة، والذي ألجأ إليها ما ورد في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية مِنْ خلود الكفار في النار أبداً، ولكن لا تعارض بين عام وخاص لا سيما بعد وروده في القرآن مكرراً كما سيأتي في سورة هود ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧] ولعله يأتي هنالك إن شاء الله زيادة تحقيق.

وقد أخرج ابن المبارك في الزهد، وعبد الرزاق والفريابي، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «الأسماء والصفات»، عَنْ أبي جعفر المدائني[٤] رجل من بني هاشم، وليس هو محمد بن علي قال: «سُئل النبي ﷺ عن هذه الآية ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ قالوا: كيف يشرحُ صدره يا رسولَ الله؟ قال: نورٌ يقذف فيه فينشرح صدره له وينفسح له، قالوا: فهل لذلك مِنْ أمارة يُعرف بها؟ قال: الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عَنْ دار الغرور، والاستعداد للموت قبل لقاء الموت».

---

(١) في «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٩٢). (٢) «معالم التنزيل» (٢/ ١٣١).

(٣) قاله ابن عباس.
«الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٢٩)، و«الوسيط» (٢/ ٣٢٣).

(٤) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» رقم (٣١٥)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٢١٧)، وابن أبي شيبة (١٣/ ٢٢١)، وابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٥٤١، ٥٤٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٨٤ رقم ٧٨٧٣)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٣٢٦) موقوفاً على أبي جعفر. وهو أثر ضعيف جدّاً.

وأخرج عبد بن حميد[١]، عن الفضيل نحوه.

وأخرج ابن أبي الدنيا[٢]، عَنْ الحسن نحوه أيضاً.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن أبي الدنيا، وابن جرير، وأبو الشيخ، والحاكم، وابن مردويه، والبيهقي في «الشُّعب»، من طرق عن ابن مسعود[٣] قال: قال رسول الله ﷺ حين نزلت هذه الآية فذكر نحوه.

وأخرجه ابن مردويه[٤] عنه مرفوعاً من طريق أخرى.

وأخرجه سعيد بن منصور، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «الأسماء والصفات»، وابن النجار في «تاريخه» عَنْ عبد الله بن المستورد[٥]، وكان من ولد جعفر بن أبي طالب قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية فذكر نحوه. وهذه الطرق يقوّي بعضها بعضاً، والمتصل يقوّي المرسل، فالمصير إلى هذا التفسير النبويّ مُتعين.

وأخرج عبد بن حميد، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس[٦] في الآية قال كما لا يستطيع ابن آدم أَنْ يبلغ السماء، كذلك لا يقدر على أن يُدخلَ الإيمان والتوحيد قلبه حتى يدخله الله في قلبه.

وأخرج البيهقي في «الأسماء والصفات»[٧] عنه في الآية يقول: مَنْ أراد أن يضله يُضيق عليه حتى يجعل الإسلام عليه ضيقاً، والإسلام واسع، وذلك حين يقول: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ﴾ [الحج: ٧٨] يقول: ما جعل عليكم في الإسلام من ضيق.

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٥٤).
(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٥٥).
(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (١٣/ ٢٢١، ٢٢٢)، وابن أبي الدنيا في «قصر الأمل» رقم (١٣١)، وابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٥٤٣)، والحاكم (٤/ ٣١١)، والبيهقي في «الشعب» رقم (١٠٥٥٢). وهو حديث ضعيف.
(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٥٥).
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٥٤٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ٣٨٤ رقم ٧٨٧٣)، وسعيد بن منصور في «سننه» رقم (٩١٨ ـ تفسير)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٣٧٦). وهو حديث موضوع.
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٨٤، ١٣٨٦ رقم ٧٨٧٤، ٧٨٧٧، ٧٨٨٢) بسند ضعيف.
(٧) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٣٢٤) بسند ضعف جدّاً.

وأخرج عبد الرزاق، وابن أبي حاتم، عن قتادة[١] في قوله: ﴿دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾ قال: الجنة.

وأخرج ابن أبي حاتم[٢]، عن جابر بن زيد قال: السلام هو الله.

وأخرج أبو الشيخ، عن السديّ قال: الله هو السلام، وداره الجنة.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن ابن عباس[٣] في قوله: ﴿قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ يقول: من ضلالتكم إياهم، يعني: أضللتم منهم كثيراً، وفي قوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ قال: إن هذه الآية لا ينبغي لأحد أن يَحكم على الله في خلقه لا يُنزِلهم جنةً ولا ناراً.

[طبيعة الولاء بين الشياطين من الإنس والجن عامة: بحكم ما بينهم من تشابه في الطبع والحقيقة، ومن اتفاق في الوجهة والهدف، ومن وحدة المصير]:

﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾﴾.

قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا﴾؛ أي: مثل ما جعلنا بين الجن والإنس ما سلف ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا﴾ والمعنى: نجعل بعضهم يتولى البعض، فيكونون أولياء لبعضهم بعضاً، ثم يتبرأ بعضهم من البعض، فمعنى «نُولِّي» على هذا: نجعله وليّاً له.

وقال عبد الرحمٰن[٤] بن زيد بن أسلم، معناه: نسلط ظلمة الجن على ظلمة الإنس.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٨٧ رقم ٧٨٨٢)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٥٨) بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٨٧ رقم ٧٨٨٨) بسند حسن.

(٣) ابن جرير (٩/ ٥٥٥)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٣٨٧) رقم (٧٨٩٠).

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٥٥٩) بسند صحيح.

وروى عنه أيضاً أنه فسّر هذه الآية بأن المعنى: نسلط بعض الظلمة على بعض فيهلَكه ويذلَّه، فيكون في الآية على هذا تهديد[١] للظلمة بأن مَنْ لم يمتنع من ظلمه منهم سلّط الله عليه ظالماً آخر.

وقال فضيل[٢] بن عياض: إذا رأيتَ ظالماً ينتقم مِنْ ظالم، فقف وانظر متعجباً.

وقيل: معنى (نُولّي): نَكِلُ[٣] بعضَهم إلى بعض فيما يختارونه مِنْ الكفر.

والباء في ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ للسببية[٤]؛ أي: بسبب كسبهم للذنوب ولّينا بعضهم بعضاً.

قوله: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾؛ أي: يوم نحشرهم نقول لهم: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ أو هو شروع في حكاية ما سيكون في الحشر، وظاهره أن الله يبعث [٢/١٠٠] في الدنيا إلى الجنّ رسلاً منهم، كما يبعث إلى الإنس رسلاً منهم؛ وقيل معنى (منكم)؛ أي: ممّن هو مجانس[٥] لكم في الخَلْق والتكليف، والقصد بالمخاطبة، فإن الجنّ والإنس متحدون في ذلك، وإنْ كان الرسل مِنْ الإنس خاصة فهم من جنس الجنّ مِنْ تلك الحيثية.

وقيل: إنه من باب تغليب[٦] الإنس على الجنّ كما يُغلّب الذكر على الأنثى؛ وقيل: المراد بالرسل إلى الجنّ هاهنا: هم النذر منهم، كما في قوله: ﴿وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٩].

قوله: ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي﴾ صفة أخرى لرسل، وقد تقدّم بيان معنى القصّ.

قوله: ﴿قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا﴾ هذا إقرار[٧] منهم بأنَّ حجة الله لازمة لهم

---

(١) انظر: «النكت والعيون» (٢/ ١٧١).
(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/ ٣٠).
(٣) «معالم التنزيل» (٢/ ١٣١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٣٠).
(٤) «روح المعاني» (٨/ ٤٤٤).
(٥) ذكره النحاس في «معاني القرآن» (٢/ ٤٩٢)، والقرطبي في «تفسيره» (٩/ ٣١).
(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/ ٣١).
(٧) «المحرر الوجيز» (٦/ ١٥٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٣٣)، و«جامع البيان» (٩/ ٥٦٢).

بإرسال رسله إليهم، والجملة جواب سؤال مقدّر فهي مستأنفة[١].

وجملة: ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ في محل نصب[٢] على الحال، أو هي جملة معترضة.

﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾ هذه شهادة أخرى منهم على أنفسهم بأنهم كانوا كافرين في الدنيا بالرسل المرسلين إليهم والآيات التي جاءوا بها.

وقد تقدّم ما يفيد أن مثل هذه الآية المصرّحة بإقرارهم بالكفر على أنفسهم، ومثل قولهم: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] محمول على أنهم يقرّون في بعض مواطن يوم القيامة، وينكرون في بعضٍ آخر لطول ذلك اليوم، واضطراب القلوب فيه وطيشان العقول، وانغلاق الأفهام وتبلد الأذهان.

والإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى شهادتهم على أنفسهم أو إلى إرسال الرسل إليهم.

وأنْ في ﴿أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ﴾ هي المخففة[٣] من الثقيلة، واسمها ضمير شأن محذوف.

والمعنى: ذلك أن الشأن لم يكن ربك مهلك القرى، أو هي المصدرية، والباء في ﴿بِظُلْمٍ﴾ سببية؛ أي: لم أكن أُهلك القرى بسبب ظلم من يظلم منهم، والحال أن أهلها غافلون، لم يرسل الله إليهم رسولاً.

والمعنى: أن الله أرسل الرسلَ إلى عباده؛ لأنه لا يهلك مَنْ عصاه بالكفر من القرى، والحال أنهم[٤] غافلون عَنْ الإعذار والإنذار بإرسال الرسل، وإنزال الكتب؛ بل إنما يهلكهم بعد إرسال الرسل إليهم، وارتفاع الغفلة عنهم بإنذار الأنبياء لهم: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

وقيل: المعنى: ما كان الله مهلك أهل القرى بظلم منه، فهو سبحانه يتعالى عن الظلم، بل إنما يهلكهم بعد أن يستحقوا ذلك، وترتفع الغفلة عنهم بإرسال الأنبياء.

وقيل: المعنى: أن الله لا يُهلك أهل القرى بسبب ظلم[٥] مَنْ يظلم منهم مع كون الآخرين غافلين عن ذلك، فهو مثل قوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

---

(١) «روح المعاني» (٨/ ٤٤١).
(٢) «تفسير أبي السعود» (٣/ ١٢٣).
(٣) «البحر المحيط» (١/ ٦٥٠)، و«التبيان» (١/ ٥٣٩)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٩٦).
(٤) «جامع البيان» (٩/ ٥٦٣).
(٥) «معالم التنزيل» (٢/ ١٣٢)، و«جامع البيان» (٩/ ٥٦٣).

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾؛ أي: لكلّ من الجنّ والإنس درجات متفاوتة مما عملوا، فنجازيهم بأعمالهم. كما قال في آية أخرى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأحقاف: ١٩].

وفيه دليل[١] على أنّ المطيع مِنْ الجنّ في الجنّة، والعاصي في النار ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ مِنْ أعمال الخير والشر. والغفلة ذهاب الشيء عنك لاشتغالك[٢] بغيره.

قرأ ابن عامر[٣]: ﴿تَعْمَلُونَ﴾ بالفوقية، وقرأ الباقون[٤] بالتحتية.

وقد أخرج عبد الرزاق، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن قتادة[٥] في قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا﴾ قال: يولّي الله بعض الظالمين بعضاً في الدنيا، يتبع بعضُهم بعضاً في النار.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن عبد الرحمٰن[٦] بن زيد، في الآية مثل ما حكينا عنه قريباً.

وأخرج أبو الشيخ[٧]، عَنْ الأعمش في تفسير الآية قال: سمعتهم يقولون: إذا فسد الزمان أُمِّر عليهم شرارهم.

وأخرج الحاكم في «التاريخ»، والبيهقي في «الشعب»، من طريق يحيى بن هاشم حدّثنا يونس بن أبي إسحاق عن أبيه[٨] قال: قال رسول الله ﷺ: «كما تكونون كذلك يؤمّر عليكم» قال البيهقي؛ هذا منقطع ويحيى ضعيف.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن مجاهد[٩] في قوله: ﴿رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ قال: ليس في الجنّ رسل، وإنما الرسل في الإنس، والنذارة في الجنّ، وقرأ: ﴿وَإِذْ

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/ ٣٤). (٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/ ٣٤).

(٣) «البحر المحيط» (٤/ ٦٥١)، و«التيسير» (ص١٠٧)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٥٢)، و«زاد المسير» (٣/ ١٢٦)، و«النشر» (٢/ ٢٦٣).

(٤) انظر: المصادر المتقدمة.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٨٨ رقم ٧٨٩٨)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٢١٨)، وابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٥٥٨ ـ ٥٥٩) بسند صحيح.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ٣٨٩ رقم ٧٩٠٢) بسند حسن.

(٧) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٥٨).

(٨) أخرجه البيهقي في «الشعب» رقم (٧٣٩). وهو حديث ضعيف، ضعَّفه الألباني في «الضعيفة» رقم (٣٢٠).

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٨٩ رقم ٧٩٠٣) بسند صحيح.

صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٩].

وأخرج ابن المنذر، وأبو الشيخ في «العظمة»، أيضاً عن الضحاك[1] قال: الجنّ يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون.

وأخرج أبو الشيخ[2] في «العظمة» أيضاً، عن ليث بن أبي سُليم قال: مسلمو الجنّ لا يدخلون الجنة ولا النار، وذلك أن الله أخرج أباهم من الجنة فلا يعيده ولا يعيد ولده.

وأخرج أبو الشيخ في «العظمة»[3] أيضاً، عن ابن عباس قال: الخلق أربعة فخلق في الجنة كلهم، وخلق في النار كلهم، وخلقان في الجنة والنار، فأما الذين في الجنة كلهم، فالملائكة، وأما الذين في النار كلهم، فالشياطين، وأما الذين في الجنة والنار فالإنس والجنّ، لهم الثواب وعليهم العقاب.

﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾.

[مزاعم جاهلية في شأن الثمار والأنعام والأولاد]:

﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾﴾.

---

(١) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» رقم (١١٦٧) بسند ضعيف جدّاً، فيه جويبر، من المتروكين.
(٢) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» رقم (١١٧٠) بدون سند عن (سلمة).
(٣) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» رقم (١١٦٦) بسند ضعيف.

قوله: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ﴾؛ أي: عَنْ خلقه لا يحتاج[١] إليهم ولا إلى عبادتهم، لا ينفعه إيمانهم، ولا يضرّه كفرهم، ومع كونه غنيّاً عنهم، فهو ذو رحمة بهم لا يكون غناه عنهم مانعاً من رحمته لهم.

وما أحسن هذا الكلام الرباني وأبلغه، وما أقوى الاقتران بين الغنى والرحمة في هذا المقام، فإنّ الرحمة لهم مع الغنى عنهم هي غاية التفضّل والتطوّل.

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ أيها العباد العصاة، فيستأصلكم[٢] بالعذاب المفضي إلى الهلاك ويستخلف من بعد إهلاككم ﴿مَّا يَشَآءُ﴾ مِنْ خلقه ممن هو أطوع له وأسرع إلى امتثال أحكامه منكم ﴿كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾ الكاف نعت مصدر محذوف، وما مصدرية؛ أي: ويستخلف استخلافاً[٣] مثل إنشائكم من ذرية قوم آخرين، قيل: هم أهل سفينة نوح، ولكنّه سبحانه لم يشأ ذلك فلم يهلكهم، ولا استخلف غيرهم رحمة لهم، ولطفاً بهم.

﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ﴾ مِنْ البعث والمجازاة ﴿لَأَتٍ﴾ لا محالة، فإن الله لا يخلف الميعاد ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾؛ أي: بفائتين عن ما هو نازل بكم، وواقع عليكم، يقال: أعجزني فلان؛ أي: فاتني وغلبني.

[تهديد عميق الإيحاء والتأثير في القلوب]:

قولُه: ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ المكانة: الطريقة؛ أي: اثبتوا على ما أنتم عليه، فإني غير مبال بكم، ولا مكترث بكفركم، إنّي ثابت على ما أنا عليه ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ مَنْ هو على الحق ومن هو على الباطل، وهذا وعيد شديد، فلا يرد ما يقال: كيفَ يأمرهم بالثبات على الكفر؟

و﴿عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾: هي العاقبة المحمودة التي يُحمد صاحبها عليها؛ أي: مَنْ له النصر في دار الدنيا، ومَنْ له وراثة الأرض، ومَنْ له الدار الآخرة.

---

(١) «جامع البيان» (٩/ ٥٦٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٣٤).
(٢) «معالم التنزيل» (٢/ ١٣٢)، و«الوسيط» (٢/ ٣٢٤).
(٣) «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٩٦).

وقال الزجّاج[١]: معنى مكانتكم: تمكنكم في الدنيا؛ أي: اعملوا على تمكنكم من أمركم.

وقيل: على ناحيتكم[٢]، وقيل: على موضعكم[٣]. قرأ حمزة[٤] والكسائي: «مَنْ يكون» بالتحتية، وَقرأ الباقون بالفوقية[٥].

والضمير في ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ للشأن؛ أي: لا يفلح من اتصف بصفة الظلم، وهو تعريض لهم بعدم فلاحهم لكونهم المتصفين بالظلم [٢/١٠١].

قوله: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا﴾ هذا بيان نوع آخر من أنواع كفرهم وجهلهم، وتأثيرهم لآلهتهم على الله سبحانه؛ أي: جعلوا لله سبحانه ممّا خلق[٦] مِنْ حرثهم ونتاج دوابهم نصيباً، ولآلهتهم نصيباً، من ذلك يصرفونه في سَدنتها والقائمين بخدمتها، فإذا ذهب ما لآلهتهم بإنفاقه في ذلك، عوّضوا عنه ما جعلوه لله، وقالوا: الله غنيّ عن ذلك.

والزعم: الكذب.

قرأ يحيى بن وثّاب والسُّلمي والأعمش والكسائي ﴿بِزُعْمِهِمْ﴾ بضم الزاي[٧]، وقرأ الباقون بفتحها[٨]، وهما لغتان ﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ﴾؛ أي: إلى المصارف التي شرع الله الصرف فيها كالصدقة، وصلة الرحم، وَقِرْى الضيف.

﴿وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ﴾؛ أي: يجعلونه لآلهتهم

---

(١) «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٩٣ ـ ٢٩٤).

(٢) قاله ابن عباس والحسن والنخعي.
«معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٩٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٣٦).

(٣) قاله القتبي في «تفسير غريب القرآن» (ص١٦٠).

(٤) «التيسير» (ص١٠٧)، و«جامع البيان» (٩/ ٥٦٨)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٥٣)، و«زاد المسير» (٣/ ١٢٧). هما متواترتان، ومع حمزة والكسائي، خلَف.

(٥) انظر: المصادر في التعليقة المتقدمة.

(٦) «جامع البيان» (٩/ ٥٦٨ ـ ٥٦٩).

(٧) «البحر المحيط» (٤/ ١٥٥)، و«التيسير» (ص١٠٧)، و«النشر» (٢/ ٢٦٣)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٥٣)، و«حاشية الجمل» (٢/ ٩٤).

(٨) انظر: المصادر المتقدمة. وضم «الزاي» وفتحا، قراءتان متواترتان.

وينفقونه في مصالحها ﴿سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ أي: ساء الحكم حكمُهم في إيثار آلهتهم على الله سبحانه.

وقيل: معنى الآية: أَنَّهم كانوا إذا[١] ذبحوا ما جعلوه لله ذكروا عليه اسم أصنامهم، وإذا ذبحوا ما لأصنامهم لم يذكروا عليه اسم الله.

فهذا معنى الوصول إلى الله، والوصول إلى شركائهم.

وقد قدّمنا الكلام في ذرأ.

قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ قَتۡلَ أَوۡلَٰدِهِمۡ شُرَكَآؤُهُمۡ﴾؛ أي: ومثل ذلك التزيين الذي زينه الشيطان لهم في قسمة أموالهم بين الله وبين شركائهم زين لهم قتل أولادهم.

قال الفراء[٢] والزجاج[٣]: شركاؤهم هاهنا هم الذين كانوا يخدمون الأوثان.

وقيل: هم الغواة من الناس.

وقيل[٤]: هم الشياطين، وأشار بهذا إلى الوأد، وهو دفن البنات مخافة السبي والحاجة.

وقيل[٥]: كان الرجل يحلف بالله لئن ولد له كذا من الذكور لينحرنّ أحدهم كما فعله عبد المطلب.

قرأ الجمهور[٦] «زَيَّن» بالبناء للفاعل ونصب «قتلَ» على أنه مفعول «زين»، وجرّ «أولاد» بإضافة «قتل» إليه، ورفع[٧] «شركاؤهم» على أنه فاعل «زين»، وقرأ الحسن بضم[٨] الزاي ورفع «قتل»، وخفض «أولاد»، ورفع «شركاؤهم» على أن

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٥٧٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٩٢ رقم ٧٩١٦) عن ابن زيد بسند صحيح.

(٢) في «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٥٧).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ١٧٠).

(٤) انظر: «معالم التنزيل» (٢/ ١٣٢).

(٥) «النكت والعيون» (٢/ ١٧٤ ـ ١٧٥)، و«أحكام القرآن» لابن العربي (٢/ ٧٤٥).

(٦) «البحر المحيط» (٤/ ٢٢٩)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٥٤)، و«زاد المسير» (٣/ ١٢٩)، و«النشر» (٢/ ٢٦٥)، و«جامع البيان» (٩/ ٥٧٦).

(٧) «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٩٧ ـ ٩٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٣٩ ـ ٤٠).

(٨) «المحتسب» (١/ ٢٢٩)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٩٧ ـ ٩٨).

«قتل» هو نائب الفاعل، ورفع «شركاؤهم» بتقدير فعل يرفعه؛ أي: زينه «شركاؤهم»، ومثله قول الشاعر[١]:

لِيُبك يزيدُ ضارعٌ لخصومةٍ ومُخْتبطٌ مما تطيح الطوائحُ

أي: يبكيه ضارع.

وقرأ ابن عامر، وأهل الشام بضم[٢] الزاي، ورفع «قَتلُ»، ونصب «أولادَ»، وخفض «شركائِهم» على أن «قتل» مضاف إلى «شركائهم»، ومعموله «أولادهم»؛ ففيه الفصل بين المصدر وما هو مضاف إليه بالمفعول، ومثله في الفصل بين المصدر وما أضيف إليه، قول الشاعر:

تمرُّ على ما تستمرّ وقد شَفَتْ غلائلَ عبدُ القيس منها صُدورِها[٣]

بجر صدورها، والتقدير: شفت عبد القيس غلائل صدورها.

قال النحاس[٤]: إن هذه القراءة لا تجوز في كلام ولا في شعر، وإنما أجاز النحويون التفريق بين المضاف والمضاف إليه بالظرف في الشعر لاتساعهم في الظروف، وهو ـ أي: الفصل بالمفعول به ـ في الشعر بعيد، فإجازته في القرآن أبعد.

وقال أَبو غانم[٥] أحمد بن حمدان النحوي[٦]: إن قراءة ابن عامر هذه لا تجوز في العربية وهي زلة عالم، وإذا زلّ العالم لم يجز اتباعه، وُردّ قوله إلى الإجماع، وإنما أجازوا في الضرورة للشاعر أَنْ يفرّق بين المضاف والمضاف إليه بالظرف، كقول الشاعر[٧]:

---

(١) هو: نهشل بن حرَّي. شاعر إسلامي، ونُسب البيت لغيره.
«شرح أبيات مغني اللبيب» (٧/ ٢٩٥ رقم ٨٤٩ ـ البغدادي)، و«المقتضب» (٢/ ٢٨٢)، و«الكتاب» (١/ ١٤٥، ١٨٣).

(٢) «حاشية الجمل» (٢/ ٩٥)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/٩٨)، و«زاد المسير» (٣/ ١٣٠)، و«التبيان» (١/ ٥٤١).

(٣) «خزانة الأدب» (٤/ ٤١٤)، و«الإنصاف» (٢/ ٤٢٨).

(٤) في «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٩٨).

(٥) انظر: «معرفة القراء الكبار» (٢/ ٥٦٥).

(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/ ٤٢).

(٧) قائله: أبو حيَّة النميري.
«خزانة الأدب» (٤/ ٤١٩)، و«الكتاب» (١/ ١٧٩)، و«الإنصاف» (٢/ ٤٣٢).

كما خُطّ الكتابُ بكفِّ يوماً يهوديٍّ يقارب أو يزيلُ

وقولِ[1] الآخر:

لله درُّ اليومَ مَنْ لامها[2]

وقال قوم ممن انتصر[3] لهذه القراءة: إنها إذا ثبتت بالتواتر عن النبي ﷺ، فهي فصيحة لا قبيحة.

قالوا: وقد ورد ذلك في كلام العرب، وفي مُصحف عثمان رضي الله عنه «شركايهم» بالياء.

وأقول: دعوى التواتر باطلة بإجماع القرّاء المعتبرين، كما بيّنّا ذلك في رسالة مستقلة، فمَنْ قرأ بما يخالف الوجه النحوي فقراءته ردّ عليه، ولا يصح الاستدلال لصحة هذه القراءة بما ورد مِنْ الفصل في النظم كما قدّمنا، وكقول الشاعر:

فزججتها بمِزَجّةٍ زجَّ القَلوصَ أبي مَزادْه[4]

فإن ضرورة الشعر لا يقاس عليها.

وفي الآية قراءة رابعة، وهي جرّ الأولاد والشركاء، ووجه ذلك: أن الشركاء بدل[5] من الأولاد؛ لكونهم شركاءهم في النسب والميراث.

قوله: ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾ اللام لام كي؛ أي: لكي يردوهم، مِنْ الإرداء وهو الإهلاكُ. ﴿وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ معطوف على ما قبله؛ أي: فعلوا ذلك التزيين لإهلاكهم، ولخلط دينهم عليهم ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾؛ أي: لو شاء الله عدم

---

(١) وهو عمرو بن قميئة.
«خزانة الأدب» (٤/ ٤٠٧ ـ ٤٠٨)، و«الإنصاف» (٢/ ٤٣٢).

(٢) وصدر البيت: لما رأت ساتيد ما استعبرت

(٣) «البحر المحيط» (٤/ ٦٥٨).

(٤) «جامع البيان» (٩/ ٥٧٦)، و«خزانة الأدب» (٤/ ٤١٥)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٥٨).

(٥) «التبيان» (١/ ٥٤١)، و«جامع البيان» (٩/ ٥٧٦). قال في «تخريج القراءات في فتح القدير» (ص١٢٩)، قراءة الجمهور، وقراءة ابن عامر متواترتات، وما نقله عن الحسن شاذ، وكذلك جر الأولاد والشركاء شاذ، ثم قال في «البحر» (٤/ ٢٢٩). فيه ردٌّ كذلك على الزمخشري والمؤلف رحمه الله تعالى.

فعلهم ما فعلوه، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وإذا كان ذلك بمشيئة الله ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ فدعهم وافتراءهم فذلك لا يضرك.

وقد أَخرج ابنُ أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن أبان[١] بن عثمان قال: الذرية الأصل، والذرية النسل.

وأخرجا أيضاً عن ابن عباس[٢] ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ قال: بسابقين.

وأخرج ابنُ المنذر، وابن أبي حاتم، عنه[٣] في قوله: ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ قال: على ناحيتكم.

وأخرج ابنُ المنذر، وابنُ أبي حاتم، والبيهقي في «سُننه»، عنه[٤] أيضاً في قوله: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ﴾ الآية. قال: جعلوا لله مِنْ ثمارهم ومائهم نصيباً، وللشيطان والأوثان نصيباً، فإنْ سقط مِنْ ثمره ما جعلوه لله في نصيب الشيطان تركوه، وإن سقط مما جعلوه للشياطين في نصيب الله، ردّوه إلى نصيب الشيطان، وإن انفجر مِنْ سَقي ما جعلوه لله في نصيب الشيطان تركوه، وإن انفجر مِنْ سَقي ما جعلوه للشيطان في نصيب الله نزحوه، فهذا ما جَعلوا لله مِنْ الحرث وسقي الماء، وأما ما جعلوه للشيطان من الأنعام فهو قول الله: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ﴾ الآية [المائدة: ١٠٣].

وأخرج ابن أبي حاتم[٥]، عنه نحوه من طريق أخرى.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عَنْ مجاهد[٦] قال: جعلوا لله مما ذرأ مِنْ الحرث جزءاً ولشركائهم جزءاً، فما ذهب به الريحُ مما سمّوا لله إلى جزء أوثانهم تركوه وقالوا: الله عن هذا غني،

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٩٠ رقم ٧٩٠٦) بسند حسن.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٩٠ رقم ٧٩٠٨) بسند ضعيف.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٩٠ رقم ٧٩٠٩)، وابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٥٦٧) بسند صحيح.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٩٠ رقم ٧٩١١)، والبيهقي (١٠/ ١٠)، وابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٥٧٠) بسند صحيح.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٩١ رقم ٧٩١٣)، وابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٥٧٠) بسند ضعيف.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٩١ رقم ٧٩١٤)، وابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٥٧٠ ـ ٥٧١) بسند صحيح.

وما ذهب به الريح مِنْ جزء أوثانهم إلى جزء الله أخذوه. والأنعام التي سموا لله: البحيرة والسائبة.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عَنْ مجاهد[١] في قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ﴾ قال: شياطينهم يأمرونهم أن يئدوا أولادهم خوفَ العيلة.

﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾﴾.

هذا بيان نوع آخر مِنْ جهالاتهم وضلالاتهم. والحِجْر بكسر أوّله وسكون ثانيه في قراءة الجمهور[٢].

وقرأ أبَان بن عثمان: «حُجُر» بضم[٣] الحاء والجيم.

وقرأ الحسن وقتادة بفتح الحاء[٤] وإسكان الجيم.

وقرأ ابن عباس وابن الزبير: «حِرْج» بتقديم[٥] الراء على الجيم، وكذا هو في مُصحف[٦] أُبيّ، وهو من الحِرْج، يقال: فلان يتحرّج؛ أي: يُضيّق على نفسه الدخول

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٩٢ رقم ٧٩١٧)، وابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٥٧٥) بسند صحيح.

(٢) «البحر المحيط» (٤/ ٦٥٩)، و«جامع البيان» (٩/ ٥٨٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٤٤)، و«حاشية الشهاب» (٤/ ١٢٩).

(٣) «القراءات الشاذة» (ص٤١)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٩٩). قراءة الجمهور «بكسر الحاء، وتسكين الجيم» من كلمة «حِجْر» هي المتواترة، وما عدا ذلك فهو شاذ. «تخريج القراءات في فتح القدير» (ص١٢٩).

(٤) «البحر المحيط» (٤/ ٦٥٩)، و«جامع البيان» (٩/ ٥٨٠).

(٥) «المحتسب» (١/ ٢٣)، و«جامع البيان» (٩/ ٥٨٠).

(٦) «المحتسب» (١/ ٢٣١)، و«القراءات الشاذة» (ص٤١).

فيما يشتبه عليه. والحِجْر على اختلاف القراءات فيه هو مصدر بمعنى اسم المفعول؛ أي: محجور، وأصله المنع، فمعنى الآية: هذه أنعام وحرث ممنوعة، يعنون: أنها لأصنامهم لا يطعمها إلا مَنْ يشاءون بزعمهم، وهم خُدّام الأصنام [٢/١٠٢].

(والقسم الثاني) قولهم: ﴿وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ وهي[١]: البحيرة والسائبة والحام؛ وقيل: إنَّ هذا القسم الثاني مما جعلوه لآلهتهم أيضاً.

(والقسم الثالث): ﴿وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾ وهي: ما ذبحوا لآلهتهم فإنّهم يذبحونها باسم أصنامهم لا باسم الله.

وقيل[٢]: إنَّ المراد: لا يحجون عليها افتراءً على الله؛ أي: للافتراء عليه.

﴿سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾؛ أي: بافترائهم أو بالذي يفترونه، ويجوز أَنْ يكون افتراءً منتصباً على أنه مصدر؛ أي: افتروا افتراءً أو حال؛ أي: مفترين، وانتصابه على العلَّة أظهر.

ثم بيَّن الله سبحانه نوعاً آخر من جهالاتهم، فقال: ﴿وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ يعنون: البَحائر والسوائب من الأجنّة[٣] ﴿خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا﴾؛ أي: حلال لهم ﴿وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا﴾؛ أي: على جنس الأزواج، وهنّ النساء، فيدخل في ذلك البنات والأخوات ونحوهنّ؛ وقيل: هو اللبن جعلوه حلالاً للذكور، ومحرّماً على الإناث، والهاء في خالصة للمبالغة في الخلوص كعلّامة ونسّابة، قاله الكسائي[٤] والأخفش[٥].

وقال الفرّاء[٦]: تأنيثها لتأنيث الأنعام.

وُردّ بأن ما في بطون الأنعام غير الأنعام، وتُعقِّب هذا الردّ بأن ما في بطون الأنعام أنعام، وهي الأجنة، و(ما) عبارة عنها، فيكون تأنيث خالصة باعتبار معنى (ما)، وتذكير محرّم باعتبار لفظها.

---

(١) «النكت والعيون» (٢/ ١٧٥ ـ ١٧٦).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٥٨٢) بسند حسن.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٥٨٢ ـ ٥٨٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٣٩٤ رقم ٧٩٢٨، ٧٩٣١) بسند حسن.

(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/ ٤٦)، والنحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ٩٩).

(٥) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٥٠٦). (٦) «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٥٨).

وقرأ الأعمش[١]: «خالص».

قال الكسائي[٢]: معنى خالص وخالصة واحد، إلَّا أن الهاء للمبالغة كما تقدّم عنه.

وقرأ قتادة[٣]: «خالِصةً» بالنصب على الحال من الضمير في متعلق الظرف الذي هو صلة لما، وخبر المبتدأ محذوف كقولك: الذي في الدار قائماً زيد، هذا قول البصريين[٤].

وقال الفرّاء[٥]: إنّه انتصب على القطع.

وقرأ ابن عباس: «خالِصُهُ»[٦] بإضافة خالص إلى الضمير على أنه بدل من ما. وقرأ سعيد[٧] بن جبير: «خالِصاً».

﴿وَإِن يَكُن مَّيْتَةً﴾ قرئ بالتحتية[٨] والفوقية؛ أي: وإن يكن الذي في بطون الأنعام ﴿مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ﴾؛ أي: في الذي في البطون ﴿شُرَكَآءُ﴾ يأكل منه الذكور والإناث ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾؛ أي: بوصفهم على أنه منتصب بنزع الخافض.

والمعنى: سيجزيهم[٩] بوصفهم الكذبَ على الله؛ وقيل: المعنى: سيجزيهم جزاء وصفِهم.

---

(١) «القراءات الشاذة» (ص٤١)، و«المحتسب» (١/ ٢٣٢).
(٢) «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٩٩ ـ ١٠٠)، و«معاني القرآن» له (٢/ ٤٩٨).
(٣) «القراءات الشاذة» (ص٤١)، و«المحتسب» (١/ ٢٣٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٤٧٧٩).
(٤) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ١٠٠).
(٥) في «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٥٨).
(٦) «المحتسب» (١/ ٢٣٢)، و«القراءات الشاذة» (ص٤١).
(٧) «المحتسب» (١/ ٢٣٢)، و«القراءات الشاذة» (ص٤١). وجميع هذه القراءات التي ذكرها المؤلف قراءة شاذة، انظر: «الاتحاف» (ص٢١٨) للدمياطي.
(٨) قرأ نافع وأبو عمرو وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم ويعقوب وخلف واليزيدي والأعمش: «وإن يكن ميتةً» بتذكير الفعل ونصب «ميتة»، وذلك على تقدير: وإن يكن ما في بطونها ميتةً.
وقرأ أبو بكر عن عاصم وابن ذكوان وابن عامر وأبو جعفر والحسن «وإن تكن ميتةً» بتاء التأنيث، ونصب «ميتة» وذلك على تقدير «وإن تكن الأجنة ميتةً».
«البحر المحيط» (٤/ ٦٦٢)، و«النشر» (٢/ ٢٦٥)، و«التيسير» (ص١٠٧)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٥٤)، و«جامع البيان» (٩/ ٥٨٨).
(٩) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٤٨).

ثم بيَّن الله سبحانه نوعاً آخر مِنْ جهالاتهم فقال: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا﴾؛ أي: بناتهم بالوأد الذي كانوا يفعلونه سفهاً؛ أي: لأجل السفه وهو: الطيش، والخفة، لا لحجة عقلية ولا شرعية، كائناً ذلك منهم ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ يهتدون به.

قوله: ﴿وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾ مِنْ الأنعام التي سموها بحائر وسوائب ﴿ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ﴾؛ أي: للافتراء عليه، أو افتروا افتراءً عليه ﴿قَدْ ضَلُّواْ﴾ عَنْ طريق الصواب بهذه الأفعال ﴿وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ إلى الحق، ولا هم مِنْ أهل الاستعداد لذلك.

وقد أخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس(١) في قوله: ﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾ قال: الحِجْر ما حرموا من الوصيلة، وتحريم ما حرموا.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن مجاهد(٢) في قوله: ﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾ قال: ما جعلوا لله ولشركائهم.

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، عن قتادة(٣) ﴿وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾ قال: حرام.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن السديّ(٤) في الآية قال: يقولون حرام أَنْ نُطعم إلَّا مَنْ شئنا ﴿وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ قال: البحيرة والسائبة والحامي ﴿وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾ إذا نحروها.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن أبي وائل(٥) في قوله: ﴿وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾ قال: لم تكن يحج عليها وهي البَحيرة.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٥٨٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٩٣ رقم ٧٩٢٣) بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٩٣ رقم ٧٩٢٤)، وابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٥٨١).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٥٨٠)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٢١٩) بسند صحيح.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٥٨٢ ـ ٥٨٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٩٤ رقم ٧٩٢٨، ٧٩٣١) بسند حسن.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٩٤ رقم ٧٩٣٠)، وابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٥٨٢) بسند حسن.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن ابن عباس[١] ﴿وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ الآية قال: اللبن.

وأخرج هؤلاء إلا ابن جرير عن مجاهد[٢] في الآية قال: السائبة والبحيرة محرّم على أزواجنا قال: النساء. ﴿سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡۚ﴾ قال[٣]: قولهم الكذب في ذلك.

وأخرج أبو الشيخ، وابن مردويه، عن ابن عباس[٤] في الآية قال: كانت الشاة إذا ولَدت ذكراً ذبحوه، فكان للرجال دون النساء وإن كانت أنثى تركوها فلم تُذْبح، وإن كانت ميتة كانوا فيها شركاء.

وأخرج عبد بن حميد، والبخاري، وأبو الشيخ، وابن مردويه، عن ابن عباس[٥] قال: إذا سرّك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة مِنْ سورة الأنعام ﴿قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾.

وأخرج ابن المنذر، وأبو الشيخ، عن عكرمة[٦] في الآية قال: نزلت فيمن كان يئد البناتَ مِنْ مُضر وربيعة.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن قتادة[٧] في الآية قال: هذا صنعُ أهل الجاهلية كان أحدهم يقتل ابنته مخافةَ السبي والفاقة ويغذو كلبه. ﴿وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾ قال: جعلوه بَحيرة وسائبةً ووصيلة وحامياً تحكماً مِنْ الشيطان في أموالهم.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٥٨٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ٣٩٥ رقم ٧٩٣٥) بسند حسن.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٥٨٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٣٩٥ رقم ٧٩٤٠) بسند ضعيف.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٥٩٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٣٩٦ رقم ٧٩٤١) بسند صحيح.

(٤) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٦٥).

(٥) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٣٥٢٤).

(٦) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٦٦).

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٥٩٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٣٩٦ رقم ٧٩٤٤) بسند صحيح.

[الله سبحانه هو الذي بث الحياة في هذه الأرض ونوّعها هذا التنويع، وجعلها مناسبة للوظائف التي تتطلبها حياة الناس في الأرض]:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾﴾.

هذا فيه تذكير لهم ببديع[(١)] قُدرة الله، وعظيم صنعه.

﴿أَنشَأَ﴾؛ أي: خلقَ، والجنّات: البساتينُ. ﴿مَّعْرُوشَٰتٍ﴾ مرفوعاتٌ على الأعمدة، ﴿وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ﴾ غير مرفوعات عليها.

وقيل[(٢)]: المعروشات: ما انبسط على وجه الأرض مما يعرش مثل الكرم، والزرع والبطيخ، وغير المعروشات: ما قام على ساق مثل النخل، وسائر الأشجار.

وقيل: المعروشات: ما أنبته الناس وعرشوه، وغير المعروشات: ما نبت في البراري والجبال[(٣)].

قولُه: ﴿وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ﴾ معطوف على جناتٍ، وخصهما[(٤)] بالذكر مع دخولهما في الجنّات لما فيها من الفضيلة ﴿مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ﴾؛ أي: حال كونه مختلفاً أكله في الطعم، والجودة، والرداءة.

قال الزجّاج[(٥)]: وهذه مسألة مُشْكلة في النحو، يعني: انتصاب مختلفاً على الحال؛ لأنّه يقال: قد أنشأها ولم يختلف أكلها، فالجواب: أن الله سبحانه أنشأها مقدّراً فيها الاختلاف.

وقد بيَّن هذا سيبويه[(٦)] بقوله: مررت برجلٍ معه صقر صائداً به غداً؛ أي:

---

(١) «جامع البيان» (٩/٥٩٣).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/٥٩٣) عن ابن عباس بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/٥٩٣) عن ابن عباس بسند صحيح.

(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/٥٠).

(٥) في «معاني القرآن» للزجاج (٢/٢٩٦).

(٦) في «الكتاب» (٢/٤٩).

مقدّر للصيد به غداً، كما تقول: لتدخلنّ الدار آكلين شاربين؛ أي: مقدّرين ذلك، وهذه هي الحال المقدَّرة[١] المشهورة عند النحاة المدوّنة في كتب النحو.

وقال: ﴿مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ﴾ ولم يقل أكلهما[٢] اكتفاء بإعادة الذكر على أحدهما؛ كقوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ [الجمعة: ١١]، أو الضمير بمنزلة اسم الإشارة؛ أي: أكل ذلك.

قوله: ﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ﴾ معطوف على جنات؛ أي: وأنشأ الزيتونَ والرمان حال كونه مُتشابهاً وغير متشابه. وقد تقدم الكلام على تفسير هذا. ﴿كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ﴾؛ أي: مِنْ ثمر كل واحد منهما، أو من ثمر ذلك ﴿إِذَآ أَثْمَرَ﴾؛ أي: إذا حصل فيه الثمر وإن لم يُدْرِك ويبلغ حدّ الحصاد.

قوله: ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ قد اختلف أهل العلم هل هذه محكمة أو منسوخة[٣] أو محمولة [٢/١٠٣] على النَدْب؟ فذهب ابن عمر، وعطاء، ومجاهد وسعيد بن جبير، إلى أن الآية محكمة[٣]، وأنَّه يجب على المالك يوم الحصاد أن يُعطي مَنْ حضر من المساكين القبضةَ والضغث ونحوهما.

وذهب ابن عباس، ومحمد ابن الحنفية، والحسن، والنخعي، وطاوس، وأبو الشعثاء، وقتادة، والضحاك وابن جريح: أن هذه الآية[٤] منسوخة بالزكاة. واختاره ابن جَرير[٥]، ويؤيده أَنَّ هذه الآية مكية، وآية الزكاة مدنية في السنة الثانية بعد الهجرة، وإلى هذا ذهب جمهور[٦] أهل العلم مِنْ السلف والخلف.

وقالت طائفة من العلماء[٧]: إن الآية محمولة على النّدبِ لا على الوجوب.

قولُه: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾؛ أي: في التصدق، وأصل الإسراف في اللغة: الخطأ،

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٠١)، و«التبيان» (١/ ٥٤٣).
(٢) ذكره الرازي في «تفسيره» (١٣/ ٢١٢)، والقرطبي في «تفسيره» (٩/ ٥١).
(٣) انظر: «المغني» (٤/ ١٥٥)، و«المجموع شرح المهذب» (٥/ ٤٧٠).
(٤) «البناية في شرح الهداية» (٣/ ٤٩٩)، و«عيون المجالس» (٢/ ٥١٦).
(٥) في «جامع البيان» (٩/ ٦١١).
(٦) «المغني» (٤/ ١٥٥)، و«المجموع شرح المهذب» (٥/ ٤٧٠)، و«التمهيد» (٢/ ١٥٤ ـ ١٥٥).
(٧) «أحكام القرآن» لابن العربي (٢/ ٧٤٨)، و«جامع البيان» (٩/ ٦١١).

والإسراف في النفقة: التبذير؛ وقيل: هو خطابٌ للولاة يقول لهم: لا تأخذوا فوق حقكم.

وقيل: المعنى: لا تأخذوا الشيءَ بغير حَقّه، وتضعونه في غير مستحقه.

قوله: ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾ معطوف على جناتٍ؛ أي: وأنشأ لكم من الأنعام حمولةً وفرشاً، والحمولة ما يُحمل عليها، وهو يختص بالإبل فهي فعولة بمعنى فاعلة.

والفرش: ما يتخذ مِنْ الوبَر والصوف، والشَّعَر، فراشاً يفترشه الناس.

وقيل: الحمولة الإبل، والفرش: الغَنْم؛ وقيل الحمولة: كل ما حمل عليه من الإبل والبقر والخيل والبغال والحمير، والفَرْش: الغنم، وهذا لا يتم إلا على فرض صحة إطلاق اسم الأنعام على جميع هذه المذكورات.

وقيل: الحمولة: ما تُركب، والفرش: ما يؤكل لحمه ﴿كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ﴾ من هذه الأشياء ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ كما فعل المشركون من تحريم ما لم يحرمه الله، وتحليل ما لم يحلّله ﴿إِنَّهُۥ﴾؛ أي: الشيطان ﴿لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ مظهر للعداوة ومكاشف بها.

وقد أخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس(١)، في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ﴾ قال: المعروشات ما عرَش الناس ﴿وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ﴾ ما خرج في الجبال والبرّية مِنْ الثمار.

وأخرج عبد بن حميد(٢)، عن قتادة قال: معروشات بالعيدان والقصب، وغير معروشات قال: الضاحِي.

وأخرج أبو الشيخ(٢)، عن ابن عباس ﴿مَّعْرُوشَٰتٍ﴾ قال: الكَرْم خاصة.

وأخرج ابن المنذر، والنحاس، وأبو الشيخ، وابن مردويه، عن أبي سعيد(٣) الخدري عن النبي ﷺ في قوله: ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ قال: «ما سقط من السُّنْبل».

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٣/ ٣٦٧).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٥٩٣) بسند صحيح.

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٦٧).

(٣) أخرجه النحاس في «ناسخه» (ص٤٢٧) بسند ضعيف.

وأخرج أبو عبيد، وابن أبي شيبة، وابن المنذر، والنحاس، والطبراني، وأبو الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في «سننه»، عن ابن عمر(١) في قوله: ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ قال: كانوا يُعْطون مِنْ اعترَّ بهم شيئاً سوى الصدقة.

وأخرج سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة: وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، والبيهقي عن مجاهد(٢) في الآية قال: إذا حصدت فحضرك المساكينُ فاطرحْ لهم من السُّنْبل.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وأبو الشيخ، عن ميمون(٣) بن مهران ويزيد الأصم قال: كان أهل المدينة إذا صرموا النخل يجيئون بالعِذْق فيضعونه في المسجد فيجيء السائل، فيضربه بالعصا فيسقط منه، فهو قوله: ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن حماد بن أبي سليمان(٤)، في الآية قال: كانوا يُطعِمون منه رَطْباً.

وأخرج أحمد، وأبو داود في سننه، مِنْ حديث جابر(٥) بن عبد الله: أن النبيّ ﷺ، أمر من كل حادي عشرة أوسق من التمر بقنو يُعلّق في المسجد للمساكين. وإسناده جيد.

وأخرج سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والنحاس، والبيهقي في «سننه»، عن ابن عباس(٦)، قال: ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ نسخها العُشْر، ونصف العُشْر.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣/ ١٨٥)، والطبراني في «الأوسط» رقم (٦٠٤١)، والبيهقي في «سننه» (٤/ ١٣٢)، والنحاس في «ناسخه» (ص٤٢٣) بسند ضعيف؛ لضعف أشعث بن سوَّار.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٩٨ رقم ٧٩٥١)، والبيهقي في «سننه» (٤/ ١٣٢)، وابن أبي شيبة (٣/ ١٨٥، ١٨٦)، وسعيد بن منصور في «سننه» رقم (٩٢٣ ـ تفسير)، وابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٦٠٢) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٦٠٦) من طريق جعفر بن برقان، به.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٣٩٨ رقم ٧٩٥٧) من طريق العلاء بن المسيب، به.

(٥) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ٣٥٩، ٣٦٠)، وأبو داود رقم (١٦٦٢) بسند حسن.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٣٩٨ رقم ٧٩٥٢)، والبيهقي (٤/ ١٣٢)، وابن أبي شيبة (٣/ ١٨٥، ١٨٦)، وسعيد بن منصور في «سننه» رقم (٩٢٨ ـ تفسير)، والنحاس في =

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وأبو داود في «ناسخه»، وابن المنذر عن السديّ[1] نحوه.

وأخرج النحاس، وأبو الشيخ، والبيهقي، عن سعيد[2] بن جبير نحوه.

وأخرج ابن أبي حاتم[3]، عن عكرمة نحوه.

وأخرج أبو عبيد، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، عن الضحاك[4] نحوه.

وأخرج سعيد بن منصور، وابن المنذر، عن الشعبي[5] قال: إنّ في المال حقّاً سوى الزكاة.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن أبي العالية[6] قال: كانوا يعطون شيئاً سوى الزكاة، ثم إنهم تباذروا وأسرفوا، فأنزل الله: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن ابن جريج[7] قال: نزلت في ثابت بن قيس بن شماس جدّ نخلاً فقال: لا يأتيني اليوم أحد إلا أطعمته، فأطعم حتى أمسى وليس له تمرة، فأنزل الله: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾.

وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد[8] قال: لو أنفقت مثل أبي قُبيس ذهباً في طاعة الله لم يكن إسرافاً، ولو أنفقت صاعاً في معصية الله كان إسرافاً.

وللسلف في هذا مقالات طويلة.

= «ناسخه» (ص٤٢٠) بسند ضعيف جدّاً.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٣/ ١٨٦)، وابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٦١٠) بسند حسن.

(٢) أخرجه البيهقي في «سننه» (٤/ ١٣٣)، والنحاس في «ناسخه» (ص٤١٩)، وابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٦٠٧) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٣٩٨ رقم ٧٩٥٥) بسند حسن.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٣/ ١٨٦)، وأبو عبيد في «ناسخه» (ص٣٤) بسند صحيح.

(٥) أخرجه سعيد بن منصور في «سننه» رقم (٩٢٦ ـ تفسير) بسند صحيح.

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣/ ١٨٥)، وابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٦١٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٣٩٩ رقم ٧٩٦١) مرسلاً بسند صحيح.

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٦١٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٣٩٩، ١٤٦٥ رقم ٧٩٦٦، ٨٣٨٤) بسند ضعيف؛ لإعضاله.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٣٩٩ رقم ٧٩٦٢) من طريق عثمان الأسود، به.

وأخرج الفريابي، وأبو عبيد، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وأبو الشيخ، والحاكم وصحّحه، عن ابن مسعود[1] قال: الحمولة: ما حُمل عليه مِنْ الإبل، والفَرْش: صغار الإبل التي لا تَحمِل.

وأخرج أبو الشيخ[2] عن ابن عباس قال: الحمولة: الكبار من الإبل، والفَرْش: الصغار من الإبل.

وأخرج أبو الشيخ[2] عنه قال: الحمولة ما حُمل عليه، والفرش ما أُكل منه.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عنه[3] أيضاً قال: الحمولة: الإبل والخيل والبغال والحمير، وكل شيء يُحمل عليه، والفَرْش: الغنم.

وأخرج عبد بن حميد[4] عن أبي العالية قال: الحمولة: الإبل والبقر، والفَرْش: الضأن والمعز.

[الأنعام التي يدور حولها الجدل هي ثمانية أزواج]:

﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍۢ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾﴾.

اختلف في انتصاب ﴿ثَمَٰنِيَةَ﴾ على ماذا؟ فقال الكسائي[5]: بفعل مضمر؛ أي: وأنشأ ثمانية أزواج.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٠٠ رقم ٧٩٧٠، ٧٩٧٤)، والطبراني رقم (٩٠١٨)، والحاكم (٢/ ٣١٧).
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٢): «رواه الطبراني عن شيخه، عن عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي عروبة، وهو ضعيف».

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٦٧).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٦٢١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٠٠، ١٤٠١ رقم ٧٩٧٢، ٧٩٧٦) بسند صحيح.

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٧١).

(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/ ٧٦)، والنحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ١٠٢).

وقال الأخفش[١] سعيد: هو منصوبٌ على البدل مِنْ حمولة وفرشاً.

وقال الأخفش[٢] علي بن سليمان: هو منصوب بـ﴿كُلُوا﴾ [الأنعام: ١٤٢]؛ أي: كلوا لحم ثمانية أزواج؛ وقيل: منصوب[٣] على أنه بدل مِنْ «ما» في «مما رزقكم الله».

والزوج: خلاف[٤] الفَرْد، يقال: زوج أو فرد، كما يقال: شَفْع أو وَتْر، فقوله: ﴿ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ يعني: ثمانية أفراد، وإنما سُمّي الفرد زوجاً في هذه الآية لأن كل واحد مِنْ الذكر والأنثى زوج بالنسبة إلى الآخر، ويقع لفظ الزوج على الواحد، فيقال: هما زوج، وهو زوج، ويقول: اشتريت زَوْجَي حمام؛ أي: ذكراً وأنثى.

والحاصل: أَنَّ الواحد إذا كان منفرداً سواء كان ذكراً أو أنثى، قيل له: فَرْد، وإن كان الذكر مع أنثى مِنْ جنسه قيل لهما: زوج[٥]، ولكل واحد على انفراده منهما زوج، ويقال لهما أيضاً: زوجَان، ومنه قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ [القيامة: ٣٩].

قولُه: ﴿مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ بدل مِنْ ثمانية منتصب بناصبه على حسب الخلاف السابق، والضأن[٦]: ذواتُ الصوف مِنْ الغنم، وهو جمع ضائن، ويقال للأنثى: ضائنة، والجمع: ضوائن؛ وقيل: هو جمع لا واحدَ له؛ وقيل في جمعه: ضَئين كعبد [٢/١٠٤] وعبيد.

وقرأ طلحة بن مُصرّف «الضأَن» بفتح الهمزة[٧]، وقرأ الباقون[٨] بسكونها.

وقرأ أَبان بن عثمان: «ومن الضأن اثنان ومِنْ المعز اثنان» رفعاً[٩] بالابتداء.

---

(١) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/٥٠٦).

(٢) ذكره النحاس في«إعراب القرآن» (٢/١٠٢)، والقرطبي في «تفسيره» (٩/٧٦)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (٤/٦٧٢).

(٣) «التبيان» (١/٥٤٤)، و«البحر المحيط» (٤/٦٧١ ـ ٦٧٢).

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/٧٧)، و«معاني القرآن» للزجاج (٢/٢٩٩).

(٥) «الصحاح» (١/٣٢٠)، و«تهذيب اللغة» (١١/١٥٢ ـ ١٥٣).

(٦) «الصحاح» (٦/٢١٥٣)، و«تهذيب اللغة» (١٢/٦٨).

(٧) «القراءات الشاذة» (ص٤١)، و«المحتسب» (١/٢٣٤)، و«البحر المحيط» (٤/٦٧٢).

(٨) «البحر المحيط» (٤/٦٧٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٩/٧٧)، و«حاشية الجمل» (٢/١٠٠)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/١٠٢). وهي قراءة شاذة.

(٩) «القراءات الشاذة» (ص٤١)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/١٠٢). قراءة شاذة، مخالفة للرسم.

قولُه: ﴿وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ﴾ معطوف على ما قبله مشارك له في حكمه.

وقرأ ابن عامر، وأبو عمرو، وابن كثير، وأهل البصرة، بفتح[(١)] العين من «المَعَز». وقرأ الباقون بسكونها[(٢)].

قال النحاس[(٣)]: الأكثر في كلام العرب المَعْز والضَأْن بالإسكان. والمَعْزُ من الغنم خلاف الضأن، وهي ذوات الأشعار والأذناب القصار، وهو اسم جنس؛ وواحد المَعْز ماعز، مثل صَحْب وصاحب، ورَكْب وراكب، وتَجْر وتاجر، والأنثى ماعِزة.

والمراد مِنْ هذه الآية: أن الله سبحانه بيَّن حال الأنعام وتفاصيلها إلى الأقسام المذكورة توضيحاً للامتنان بها على عباده، ودفعاً لما كانت الجاهلية تزعمه من تحليل بعضها وتحريم بعضها، تقوّلاً على الله سبحانه وافتراءً عليه، والهمزة في ﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ للإنكار[(٤)].

والمراد بالذكرين: الكبش والتيس، وبالأنثيين: النعجة والعَنْز، وانتصاب الذكرين بَحرّم، والأنثيين معطوف عليه منصوب بناصبه.

والمعنى: الإنكارُ على المشركين في أمر البَحيرة وما ذكر معها.

وقولهم: ﴿مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٩]؛ أي: قُلْ لهم: إن كان حرّم الذكور فكل ذكر حرام، وإن كان حرّم الإناث فكل أنثى حرام، وإن كان حرّم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين، يعني: مِنْ الضأن والمعز، فكل مولود حرام ذكراً كان أو أنثى وكلها مولود، فيستلزم أَنَّ كلها حرام.

وقولُه: ﴿نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾؛ أي: أخبروني بعلم[(٥)] لا بجهل إن كنتم صادقين.

والمراد من هذا: التبكيتُ لهم وإلزام الحجة؛ لأنه يعلم أنه لا علم عندهم.

وهكذا الكلام في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ﴾ إلى آخره.

---

(١) «البحر المحيط» (٤/ ٦٧٢)، و«النشر» (٢/ ٢٦٦)، و«التيسير» (ص١٠٨)، و«زاد المسير» (٣/ ١٣٨)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٥٦). وهما قراءتان متواترتان، ومع أهل البصرة يعقوب ولكن عن هشام في روايته عن ابن عامر خلاف. انظر: «تخريج القراءات في فتح القدير» (ص١٣٠).

(٢) انظر: المصادر المتقدمة.

(٣) في «إعراب القرآن» (٢/ ١٠٢ ـ ١٠٣).

(٤) «روح المعاني» (٨/ ٤٦٩).

(٥) «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٩٩)، و«جامع البيان» (٩/ ٦٢٦).

قولُه: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ﴾ أم هي المنقطعة[١]، والاستفهام[٢] للإنكار، وهي بمعنى بَلْ والهمزة؛ أي: بل أكنتم شهداء حاضرين مشاهدين إذ وصاكم الله بهذا التحريم.

والمراد: التبكيتُ، وإلزام الحجة كما سلف قبله.

قولُه: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾؛ أي: لا أحد أظلم ممن افترى على الله كذباً فحرّم شيئاً لم يحرّمه الله، ونسَب ذلك إليه افتراءً عليه كما فعله كبراء المشركين.

واللام في ﴿لِيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍۚ﴾ للعلّة[٣]؛ أي: لأجل أن يضل الناس بجهل، وهو متعلق بافترى.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ على العموم، وهؤلاء المذكورون في السياق داخلون في ذلك دخولاً أوّليّاً، وينبغي أَنْ يُنظر في وجه تقديم المعز والضأن على الإبل والبقر مع كون الإبل والبقر أكثر نفعاً، وأكبر أجساماً، وأعود فائدة، لا سيما في الحمولة والفَرْش اللذين وقع الإبدال منهما على ما هو الوجه الأوضح في إعراب ثمانية.

وقد أخرج ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «سننه»، من طرق عن ابن عباس[٤] قال: الأزواج الثمانية من الإبل والبقر والضأن والمعز.

وليت شعرى ما فائدة نقل هذا الكلام عَنْ ابن عباس من مثل هؤلاء الأئمة، فإنَّها لا تتعلق به فائدة، وكون الأزواج الثمانية هي المذكورة، هو هكذا في الآية مُصرحاً به تصريحاً لا لبس فيه.

وأخرج عبد بن حُميد[٥] عن قتادة قال: الذكر والأنثى زوجان.

---

(١) «التبيان» (١/ ٥٤٤)، و«روح المعاني» (٨/ ٤٧١).
(٢) «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٠٣)، و«تفسير أبي السعود» (٣/ ١٣٤ ـ ١٣٥).
(٣) «البحر المحيط» (٤/ ٦٧٣)، و«روح المعاني» (٨/ ٤٧٢).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٣/ ٣٤٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٠٢ رقم ٧٩٨٦)، والبيهقي (٩/ ٢٧٢) من طريق النعمان بن مالك، به.
(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٥٠).

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن مجاهد[١] في قوله: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ قال: في شأن ما نهى الله عنه من البَحيرة والسائبة.

وأخرج ابن أبي حاتم[٢]، عن ليث بن أبي سليم قال: الجاموس والبُخْتيّ من الأزواج الثمانية.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، من طرق عن ابن عباس[٣]، في قوله: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ﴾ قال: فهذه أربعة ﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ يقول: لم أحرّم شيئاً من ذلك ﴿أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ يعني: هل تشتمل الرحم إلا على ذكر أو أنثى؛ فلم يحرّمون بعضاً ويحلون بعضاً؟ ﴿نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ يقول: كلها حلال يعني: ما تقدّم ذكره مما حرّمه أهل الجاهلية.

[بيان ما حرمه الله عليهم حقاً عن بينة ووحي، لا عن ظن ووهم]:

﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾.

أمره الله سبحانه بأن يخبرهم أنه لا يجد في شيء مما أوحي إليه[٤] محرّماً غير هذه المذكورات، فدلّ ذلك على انحصار المحرّمات فيها لولا أنّها مكية، وقد نزل بعدها بالمدينة سورة المائدة وزِيد فيها على هذه المحرّمات: المنخنقة، والموقوذة والمتردّية، والنطيحة، وصحّ عن رسول الله ﷺ تحريم كلِّ ذي نابٍ من السباع، وكل

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٠٢ رقم ٧٩٨٩)، وابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٦٢٧) بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٠٢ رقم ٧٩٩٠) بسند ضعيف.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٦٢٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٠٣ رقم ٧٩٩٣) بسند صحيح.

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٨٠)، و«جامع البيان» (٩/ ٦٣١).

ذي مِخْلَب مِنْ الطير[(١)]، وتحريم الحُمر[(٢)] الأهلية والكلاب[(٣)] ونحو ذلك.

وبالجملة فهذا العموم إن كان بالنسبة إلى ما يُؤكل من الحيوانات كما يدلّ عليه السياق ويفيده الاستثناء، فَيضُم إليه كل ما ورد بعده في الكتاب أو السُّنَّة مما يدل على تحريم شيء مِنْ الحيوانات. وإن كان هذا العموم هو بالنسبة إلى كل شيء حرّمه الله مِنْ حيوان وغيره، فإنه يضمّ إليه كل ما ورد بعده مما فيه تحريم شيء من الأشياء.

وقد روي[(٤)] عن ابن عباس، وابن عمر، وعائشة، أنه لا حرام إلا ما ذكره الله في هذه الآية.

وروي[(٥)] ذلك عَنْ مالك وهو قول ساقطٌ، ومذهب في غاية الضعف؛ لاستلزامه لإهمال غيرها مما نزل بعدها مِنْ القرآن، وإهمال ما صح عن النبيّ ﷺ أنه قاله بعد نزول هذه الآية، بلا سبب يقتضي ذلك ولا موجب يوجبه.

قوله: ﴿مُحَرَّمًا﴾ صفة لموصوف محذوف؛ أي: طعاماً محرّماً ﴿عَلَىٰ﴾؛ أي: ﴿طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ﴾ من المطاعم.

وفي ﴿يَطْعَمُهُۥٓ﴾ زيادة تأكيد وتقرير لما قبله ﴿إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً﴾؛ أي: ذلك الشيء أو ذلك الطعام، أو العين، أو الجثة، أو النفس.

وقرئ «يكون» بالتحتية[(٦)] والفوقية، وقرئ «ميتة» بالرفع[(٧)] على أن كان تامة.

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٤٤، ٢٨٩، ٣٠٢)، ومسلم رقم (١٦/ ١٩٣٤)، وأبو داود رقم (٣٨٠٣)، والنسائي رقم (٤٣٢٦)، وابن ماجه رقم (٣٢٣٤)، وابن الجارود رقم (٨٩٢)، والبيهقي (٩/ ٣١٥) من حديث ابن عباس. وهو حديث صحيح.

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ١٩٣)، والبخاري رقم (٥٥٢٧)، ومسلم رقم (٢٣/ ١٩٦١) من حديث أبي ثعلبة الخُشنيِّ.

(٣) أخرجه أحمد (٦/ ٩٧، ٩٨)، ومسلم رقم (٦٩/ ١١٩٨)، وابن ماجه رقم (٣٠٨٧)، والترمذي رقم (٨٣٧) من حديث عائشة ﵂. وهو حديث صحيح.

(٤) انظر: «التمهيد» (١/ ١٤٣)، و«أحكام القرآن» لابن العربي (٢/ ٧٥٧)، و«فتح الباري» (٩/ ٦٥٠)، و«بدائع الصنائع» (٥/ ٣٩).

(٥) «التمهيد» (١/ ١٤٣)، و«الاستذكار» (١٥/ ٣١٩).

(٦) «جامع البيان» (٩/ ٦٣٧)، و«البحر المحيط» (٤/ ٦٧٦)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٠٣)، و«حاشية الجمل» (٢/ ١٠٢ ـ ١٠٣)، و«النشر» (٢/ ٢٦٦)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٥٦). هما قراءتان متواترتان، فالفوقية عن ابن كثير، وابن عامر، وحمزة، وأبي جعفر، وغيرهم بالتحتية، انظر: «تخريج القراءات في فتح القدير» (ص١٣٠).

(٧) انظر: المصادر المتقدمة. هي قراءة متواترة عن ابن عامر وأبي جعفر والباقون بالنصب. انظر: «النشر» (٢/ ٢٦٦).

والدم المسفوحُ: الجاري، وغير المسفوح: معفوّ عنه، كالدم الذي يبقي في العروق بعد الذبح، ومنه الكبد والطحال، وهكذا ما يتلطخ به اللحم من الدم.

وقد حكى القرطبي[١] الإجماع على هذا.

قولُه: ﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ﴾ ظاهر تخصيص اللحم أنّه لا يَحْرم الانتفاع منه بما عدا اللحم، والضمير في ﴿فَإِنَّهُۥ﴾ راجع إلى اللحم، أو إلى الخنزير. والرجس: النَّجَس، وقد تقدّم تحقيقه.

قوله: ﴿أَوْ فِسْقًا﴾ عطف على لحم خنزير، و﴿أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٣] صفة فسق؛ أي: ذُبح على الأصنام، [٢/١٠٥] وسُمّي فسقاً لتوغله[٢] في باب الفسق، قيل: ويجوز أن يكون ﴿فِسْقًا﴾ مفعولاً له لأُهلّ؛ أي: أُهلّ به لغير الله، فسقاً، على عطف أُهلّ على يكون، وهو تكلّف لا حاجة إليه.

﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ قد تقدم تفسيره في سورة البقرة، فلا نعيده ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾؛ أي: كثير المغفرة والرحمة، فلا يؤاخذ المضطرّ بما دعت إليه ضرورته.

وقد أخرج عبد بن حميد[٣] عن طاوس قال: إن أهل الجاهلية كانوا يحرّمون أشياء ويحلون أشياء، فنزلت ﴿قُل لَّآ أَجِدُ﴾ الآية.

وأخرج عبد بن حميد، وأبو داود، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، والحاكم وصححه، وابن مردويه، عن ابن عباس[٤] قال: كان أهل الجاهلية يأكلون أشياء ويتركون أشياء تقذراً، فبعث الله نبيّه، وأنزل كتابه، وأحلّ حلاله وحرّم حرامه، فما أحلّ فهو حلال، وما حرّم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو، ثم تلا هذه الآية: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ﴾ إلى آخرها.

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد[٥]، عنه أنه تلا هذه الآية فقال: ما خلا هذا فهو حلال.

---

(١) في «تفسيره» (٩/ ٩٦).

(٢) ذكره أبو السعود في «تفسيره» (٣/ ١٣٥).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٥١).

(٤) أخرجه أبو داود رقم (٣٨٠٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٠٤ رقم ٨٠٠٠)، والحاكم (٢/ ٢١٧). وهو حديث صحيح.

(٥) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٢٢٠) بسند صحيح.

وأخرج البخاري، وأبو داود، وابن المنذر، وأبو الشيخ، عن عمرو بن دينار[١] قال: قلت لجابر بن زيد: إنهم يزعمون أن رسول الله ﷺ نهى عن لحوم الحُمُر الأهلية زمن خيبر، فقال: قد كان يقول ذلك الحكم بن عمرو الغِفاري عندنا بالبصرة، عَنْ رسول الله ﷺ، ولكن أبى[٢] ذلك البحرُ ابن عباس، وقرأ ﴿قُل لَّآ أَجِدُ﴾ الآية.

وأقول: وإنْ أبى ذلك البحرُ، فقد صحّ عَنْ رسول الله ﷺ، والتمسّك بقول صحابي في مقابلة قولِ النبي ﷺ، مِنْ سوء الاختيار، وعدم الإنصاف.

وأخرج ابن أبي حاتم[٣]، عن ابن عباس قال: ليس شيء من الدوابّ حرام إلا ما حرّم الله في كتابه: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾ الآية.

وأخرج سعيد بن منصور، وأبو داود، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، عن ابن عمر[٤]: أنه سُئل عن أكل القنفد، فقرأ: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾ الآية، فقال شيخ عنده: سمعتُ أبا هريرة يقول: ذكر عند النبي ﷺ فقال: «خبيثة من الخبائث»، فقال ابن عمر: إنْ كان النبي ﷺ قاله، فهو كما قال.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والنحاس، وأبو الشيخ، وابن مردويه، عن عائشة[٥]: أنها كانت إذا سُئلت عن كلِّ ذي ناب من السباع، ومِخْلَب من الطير، تلت: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾ الآية.

وأخرج أحمد، والبخاري، والنسائي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه، عن ابن عباس[٦]: أن شاة لسودة بنت زمعة ماتت فقالت:

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٥٥٢٩)، وأبو داود رقم (٣٨٠٨)، والنحاس (ص٤٣٤).

(٢) انظر تفصيل ذلك في: «فتح الباري» (٩/ ٦٥٦)، و«شرح معاني الآثار» (٤/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧)، و«المفهم» (٥/ ٢٢٤)، و«إحكام الأحكام» (ص٩٢٩ ـ ٩٣٠).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٠٦ رقم ٨٠٠٦) بسند ضعيف؛ لضعف حفص بن عمر العدني.

(٤) أخرجه أبو داود رقم (٣٧٩٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ٤٠٦ رقم ٨٠٠٧)، وأحمد (٢/ ٢٨١) بسند ضعيف؛ لضعف عيسى بن مخيلة. «الميزان» (٣/ ٣٢٧ رقم ٦٦٢٢).

(٥) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» رقم (٨٧٠٨)، والنحاس في «ناسخه» (ص٤٣٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٠٧ رقم ٨٠١١). وهو أثر صحيح.

(٦) أخرجه أحمد (٥/ ١٥٦)، والبخاري رقم (٦٦٨٦)، والنسائي رقم (٤٢٥١)، وابن أبي حاتم =

يا رسول الله ماتت فلانة ـ تعني: الشاة ـ، قال: فلولا أخذتم مَسْكَها؟ قالت: يا رسولَ الله، أنأخذ مَسْك شاة قد ماتت؟ فقرأ رسول الله ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً﴾ وأنتم لا تَطعمونه، وإنما تدبغونه حتى تستنفعوا به، فأرسلت إليها فسلختها ثم دَبغَته، فاتخذت منه قربة حتى تخرّقت عندها[1].

ومثل هذا حديث[2] شاة ميمونة، وهو في الصحيح.

ومثله حديث: «إنما حرم من الميتة أكلها»[3] وهو أيضاً في الصحيح.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن ابن عباس[4]، في قوله: ﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ قال: مهراقاً.

وأخرج ابن أبي حاتم[5]، عنه قال: كانَ أهل الجاهلية إذا ذبحوا أودجوا الدابة وأخذوا الدم فأكلوه، قال: هو دمٌ مسفوح.

وأخرج أبو الشيخ[6] عن الشعبي: أنه سُئل عن لحم الفيل والأسد فتلا: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾ الآية.

والأحاديث الواردة بتحريم كلِّ ذي ناب من السباع، ومِخْلَب من الطير، والحُمُر الأهلية، ونحوها مستوفاة في كتب الحديث.

= في «تفسيره» (٥/ ١٤٠٦ ـ ١٤٠٧ رقم ٨٠٠٣، ٨٠٠٥)، والطبراني في «الكبير» رقم (١١٧٦٥، ١١٧٦٦).

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٢٧، ٣٢٨)، والبخاري رقم (٦٦٨٦)، والنسائي (٧/ ١٧٣)، والطبراني رقم (١١٧٦٥).

(٢) أخرجه البخاري رقم (١٤٩٢)، ومسلم رقم (٣٦٣/ ١٠٠، ١٠١)، وأبو داود رقم (٤١٢٠)، والنسائي (٧/ ١٧٢ ـ ١٧٥)، والطبراني رقم (١١٣٨٣) كلهم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) البخاري رقم (٢٢٢١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٠٦ رقم ٨٠٠٨)، وابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٦٣٤) بسند صحيح.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٠٧ رقم ٨٠١٢) بسند صحيح.

(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٧٣).

[تحريم هذا على اليهود خاصة عقوبة لهم على بغيهم بتجاوز أوامر الله وشرائعه]:

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾﴾.

قدّم: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ على الفعل للدلالة[١] على أن هذا التحريم مختص بهم لا يجاوزهم إلى غيرهم. والذين هادوا: اليهود، ذكر الله ما حرّمه عليهم عقب ذكر ما حرّمه على المسلمين.

والظُفُر: واحد الأظفار[٢]، ويجمع أيضاً على: أظافير، وزاد الفرّاء[٣] في جموع ظُفْر: أظافر وأظافرة، وذو الظُفُر: ما له أصبع مِنْ دابة أو طائر، ويدخل فيه الحافِر والخُفّ والمِخْلَب، فيتناول الإبل والبقر، والغنم والنعام، والأَوَزّ والبط، وكل ما له مِخْلب من الطير، وتسمية الحافر والخف ظُفُراً مجاز[٤].

والأولى حمل الظُفُر على ما يصدق عليه اسم الظفر في لغة العرب؛ لأن هذا التعميم يأباه ما سيأتي من قوله: ﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ﴾ فإن كان في لغة العرب بحيث يُقال على البقر والغنم، كان ذكرهما مِنْ بعدُ تخصيصاً، حرّم الله ذلك عليهم عقوبةً لهم على ما وقعوا فيه من الظلم كما قال تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٦٠].

قوله: ﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ﴾ لا غير هذه المذكورات كلحمهما، والشحوم يدخل فيها الثُّروب وشحم الكلية[٥].

وقيل: الثروب[٦] جمع ثَرْب، وهو الشحم الرقيق الذي يكون على الكَرِش، ثم

---

(١) «جامع البيان» (٩/ ٦٣٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٩٦)، و«المحرر الوجيز» (٦/ ١٧١).

(٢) «الصحاح» (٢/ ٧٢٩ ـ ٧٣٠). (٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/ ٩٧).

(٤) ذكره ابن قتيبة في «تأويل مشكل القرآن» (ص١١٦).

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٦٤٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤١٠ رقم ٨٠٣٤) عن السدي بسند حسن.

(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/ ٩٧).

استثنى الله سبحانه من الشحوم ما حملت ظهورهما مِنْ الشحم، فإنه لم يحرمه الله عليهم.

و ﴿مَا﴾ في موضع نصب[١] على الاستثناء ﴿أَوِ ٱلْحَوَايَآ﴾ معطوف[٢] على ظهورهما؛ أي: إلَّا ما حملت ظهورهما أو حملت الحوايا، وهي المَباعِر[٣] التي يجتمع البعر فيها، فما حملته مِنْ الشحم غير حرام عليهم، وواحدها حاوية، مثل: ضاربة وضوارب.

وقيل: واحدها حاوياء مثل: قاصِعَاء وقواصع، وقيل: حَوِيّة: كسفينة وسفائن.

وقال أبو عُبيدة[٤]: الحوايا ما تَحوّى من البطن؛ أي: استدار، وهي متحوية؛ أي: مُستديرة.

وقيل: الحوايا[٥]: خزائن اللّبَن، وهي تتصل بالمَباعِر.

وقيل: الحوايا[٦]: الأمعاء التي عليها الشُّحوم.

قولُه: ﴿أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍۚ﴾ معطوف على «ما» في ﴿مَا حَمَلَتْ﴾ كذا قال الكسائي[٧] والفرّاء[٨] وثعلب[٩].

وقيل: إنّ الحوايا وما اختلط بعظم معطوفة على الشحوم.

والمعنى: حرّمنا عليهم شحومهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم، إلا ما حملت ظهورهما فإنَّه غير محرّم، ولا وجه لهذا التكلف، ولا موجب له، لأنه يكون المعنى: إن الله حرّم عليهم إحدى هذه المذكورات.

والمراد بما اختلط بعظم: ما لصق بالعظام مِنْ الشحوم في جميع[١٠] مواضع الحيوان، ومنه الإلْية فإنها لاصقة بعُجْب الذَنب.

---

(١) «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٨٣ ـ ١٨٤)، و«التبيان» (١/ ٥٤٦).
(٢) «روح المعاني» (٨/ ٤٨٢).
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٦٤٥) عن سعيد بن جبير بسند حسن.
(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/ ٩٩). (٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/ ٩٩).
(٦) انظر: «جامع البيان» (٩/ ٦٤٦).
(٧) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/ ٩٨)، والنحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ١٠٤).
(٨) «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٦٣).
(٩) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ١٠٤).
(١٠) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٦٤٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٩٧ ـ ٩٨).

والإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى التحريم المدلول عليه بحرّمنا؛ أي: ذلك التحريم جزيناهم به بسبب بغيهم[١].

وقيل: إن الإشارة إلى الجزاء المدلول عليه بقوله: ﴿جَزَيْنَٰهُم﴾؛ أي: ذلك الجزاء جزيناهم، وهو تحريم ما حرّمه الله عليهم ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ في كل ما نخبر به، ومن جملة ذلك هذا الخبر، وهو موجود عندهم في التوراة، ونصُّها: «حرّمتُ عليكم الميتةَ، والدم، ولحم الخنزير وكل دابة ليست مشقوقة الحافر، وكل حوت ليس فيه سفاسف»؛ أي: بياض. انتهى.

والضمير في ﴿كَذَّبُوكَ﴾ لليهود؛ أي: فإنْ كذبك اليهود فيما وصفت من تحريم الله عليهم تلك الأشياء ﴿فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾ ومِنْ رحمته حلُمه عنكم، وعدم معاجلته لكم بالعقوبة في الدنيا وهو وإن أمهلكم ورحمكم ف﴿لا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ إذا أنزله بهم، واستحقوا المعاجلة بالعقوبة

وقيل: المراد: لا يُردّ بأسه في الآخرة عَنْ القوم المجرمين، والأوّل أولى، فإنَّه سبحانه قد عاجلهم بعقوبات منها تحريم الطيبات عليهم في الدنيا.

وقيل: الضمير يعود إلى المشركين [٢/١٠٦] الذين قسموا الأنعام إلى تلك الأقسام، وحلَّلوا بعضها وحرّموا بعضها.

وقيل: المراد: أنه ذو رحمة للمطيعين ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ ولا ملجئ لهذا.

وقد أخرج ابنُ أبي حاتم[٢]، عن ابن عباس، في قوله: ﴿كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ قال: هو الذي ليس بمنفرج الأصابع، يعني: ليس بمشقوق الأصابع.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «سننه»، عنه[٣] ﴿كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ قال: البعير والنعامة.

وأخرج أبو الشيخ[٤] عَنْ مجاهد قال: هو كل شيء لم تنفرج قوائمه من البهائم، وما انفرج أكلته اليهود، قال: انفرجت قوائم الدجاج، والعصافير، فيهود

---

(١) «أحكام القرآن» لابن العربي (٢/ ٧٦٠).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤١٠ رقم ٨٠٣٣) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٦٣٨)، والبيهقي (١٠/ ٨) بسند صحيح.

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٧٧).

تأكله، ولم ينفرج خُفّ البعير ولا النّعامة، ولا قائمة الوَزِّينة، فلا تأكل اليهود الإبل ولا النعام ولا الوزِّينة، ولا كل شيء لم تنفرج قائمته كذلك، ولا تأكل حمار الوحش.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «سننه»، عن ابن عباس(١)، في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ﴾ يعني: ما عَلِق بالظَّهر من الشحم ﴿أَوِ ٱلْحَوَايَآ﴾ هي المِبْعر.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن أبي صالح(٢)، في قوله: ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ﴾ قال: الألْية ﴿أَوِ ٱلْحَوَايَآ﴾ قال: المِبْعر ﴿أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ قال: الشحم.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، عن مجاهد(٣) في قوله: ﴿أَوِ ٱلْحَوَايَآ﴾ قال: المَباعر.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن أبي حاتم، عَنْ الضحّاك(٤) ﴿أَوِ ٱلْحَوَايَآ﴾ قال: المرابض والمباعر.

وأخرج ابن المنذر، وأبو الشيخ، عن ابن عباس(٥) ﴿أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ قال: الألْية اختلط شحم الألية بالعُصْعُصْ، فهو حلال وكل شحم القوائم، والجنب، والرأس، والعين، والأذن، يقولون: قد اختلط ذلك بعظم فهو حلال لهم. إنما حرّم عليهم الثَّرْب وشحم الكُلْية، وكل شيء كان كذلك ليس في عظم.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن مجاهد(٦)، في قوله: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾ قال: اليهود.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٦٤٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤١٠ رقم ٨٠٣٧)، والبيهقي (١٠/ ٨) بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤١١ رقم ٨٠٤١) بسند صحيح من طريق إسماعيل بن أبي خالد، به.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٦٤٤) بسند صحيح.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤١١ رقم ٨٠٣٨) بسند ضعيف من طريق جُويبر، به.

(٥) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٧٩).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤١٢ رقم ٨٠٤٥)، وابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٦٤٨) بسند صحيح.

وأخرج ابن أبي حاتم، عن السديّ[١] قال: كانت اليهود يقولون: إنَّ ما حرّمه إسرائيل فنحن نحرّمه، فذلك قوله: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾ الآية.

[بأس الله ينتظر المكذبين]:

﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ۝١٤٨ قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝١٤٩ قُلۡ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشۡهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَاۖ فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشۡهَدۡ مَعَهُمۡۚ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ۝١٥٠﴾.

أخبر الله عن المشركين أَنَّهم سيقولون هذه المقالة، وهم كفار قريش أو جميع[٢] المشركين، يريدون أنه لو شاء الله عدم شركهم ما أشركوا هم ولا آباؤهم، ولا حرّموا شيئاً من الأنعام، كالبَحيرة ونحوها، وظنوا أن هذا القول يُخلّصهم عن الحجة التي ألزمهم بها رسول الله ﷺ، وأن ما فعلوه حق، ولو لم يكن حقّاً لأرسل الله إلى آبائهم الذين ماتوا على الشرك، وعلى تحريم ما لم يحرمه الله رسلاً يأمرونهم بترك الشرك، وبترك التحريم لما لم يحرمه الله، والتحليل لما لم يحلله: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾؛ أي: مثل ما كذّب هؤلاء كذب من قبلهم من المشركين أنبياء الله ﴿حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ﴾؛ أي: استمروا على التكذيب حتى ذاقوا بأسنا الذي أنزلناه بهم.

ثم أمره الله أن يقول لهم: ﴿هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ﴾؛ أي: هل عندكم دليل صحيح يُعدُّ من العلم النافع، فتخرجوه إلينا لننظر فيه ونتدبره، والمقصود من هذا: التبكيت لهم؛ لأنَّه قد علم أنه لا علم عندهم يصلح للحجة، ويقوم به

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٦٤٨ ـ ٦٤٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤١٢ رقم ٨٠٤٦) بسند حسن.

(٢) «جامع البيان» (٩/ ٦٤٩ ـ ٦٥٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ١٠٢).

البرهان، ثم أوضح لهم أنهم ليسوا على شيء مِنْ العلم، وأنهم إنما يتبعون الظنون؛ أي: ما يتبعون إلا الظنّ الذي هو محل الخطأ، ومكان الجهل.

﴿وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾؛ أي: تتوهمون مجرّد توهم فقط كما يتوهم الخارص، وقد سبق تحقيقه. ثم أمره الله سبحانه بأن يخبرهم أن لله الحجة البالغة على الناس؛ أي: التي تنقطع عندها معاذيرُهم، وتبطل شبههم، وظنونهم وتوهماتهم.

والمراد بها: الكتبُ المنزلة، والرسل المرسلة، وما جاءوا به من المعجزات ﴿فَلَوْ شَآءَ﴾ هدايتكم جميعاً ﴿لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ولكنه لم يشأ ذلك، ومثله قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟﴾ [الأنعام: ١٠٧] و﴿مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ١١١] ومثله كثير.

ثم أمره الله أَنْ يقول لهؤلاء المشركين: ﴿هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ﴾؛ أي: هاتوهم وأحضروهم، وهو اسمُ فعلٍ يستوي فيه المذكر والمؤنث، والمفرد، والمثنى، والمجموع عند أهل الحجاز، وأهل نجد يقولون: هلمّا هلمي هلموا، فينطقون به كما ينطقون بسائر الأفعال، وبلغة أهل الحجاز نزل القرآن.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ [الأحزاب: ١٨] والأصل عند الخليل[(١)] «ها» ضمت إليها لم، وقال غيره: أصلها «هل» زيدت عليها الميم، وفي كتاب «العين»[(٢)] للخليل: أن أصلها[(٣)] هل أؤم؛ أي: هل أقصدك، ثم كثر استعمالهم لها. وهذا أيضاً مِنْ باب التبكيت[(٤)] لهم، حيث يأمرهم بإحضار الشهود على أن الله حرّم تلك الأشياء، مع علمه أن لا شهود لهم ﴿فَإِن شَهِدُوا۟﴾ لهم بغير علم؛ بل مجازفة وتعصب ﴿فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾؛ أي: فلا تصدقهم ولا تُسلّم لهم، فإنهم كاذبون جاهلون، وشهادتهم باطلة.

---

(١) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ١٠٥ ـ ١٠٦)، والقرطبي في «تفسيره» (٩/ ١٠٤).
(٢) قال الخليل في كتاب «العين» (ص١٠١٩): هَلُمَّ: كلمةُ دعوةٍ إلى شيء، التثنية والجمع والوحدان، والتأنيث والتذكير فيه سواء، إلا في لغة بني سعدٍ فإنهم يحملونه على تصريف الفعل، فيقولون: هَلُمَّا، وهلُمُّوا، ونحو ذلك.
(٣) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ١٠٥)، والقرطبي في «تفسيره» (٩/ ١٠٤).
(٤) «روح المعاني» (٨/ ٤٩٢ ـ ٤٩٣)، و«تفسير أبي السعود» (٣/ ١٣٧ ـ ١٣٨).

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾؛ أي: ولا تتبع أهواءهم، فإنَّهم رأسُ المكذبين بآياتنا.

قولُه: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ معطوف[١] على الموصول؛ أي: لا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا، وأهواء الذين لا يؤمنون بالآخرة ﴿وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾؛ أي: يجعلون له عدلاً من مخلوقاته كالأوثان.

والجملة إما في محل نصب[٢] على الحال، أو معطوفة على لا يؤمنون.

وقد أخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، والبيهقي في الأسماء والصفات، عَنْ مجاهد[٣]، في قوله: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ قال: هذا قول قريش: إنَّ الله حرم هذا؛ أي: البَحيرة والسائبة، والوصيلة والحام.

وأخرج أبو الشيخ[٤] عن عكرمة: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ قال: السلطان.

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، والحاكم وصححه، والبيهقي في «الأسماء والصفات»، عن ابن عباس أنه قيل له: إن ناساً يقولون: ليس الشرّ بقدر، فقال ابن عباس: بيننا وبين أهل القدر هذه الآية ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ إلى قوله: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ قال ابن عباس: والعجز والكَيْسُ مِنْ القدَر.

وأخرج أبو الشيخ[٥]، عن عليّ بن زيد، قال: انقطعت حجة القدرية عند هذه الآية: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن السديّ[٦]، في قوله: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ﴾ قال: أروني شهداءكم. [٢/١٠٧].

---

(١) «البحر المحيط» (٤/ ٦٨٤)، و«روح المعاني» (٨/ ٤٩٣).
(٢) «روح المعاني» (٨/ ٤٩٤)، و«تفسير أبي السعود» (٣/ ١٣٨).
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤١٢ رقم ٨٠٤٨)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٣٧٨)، وابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٦٥١) بسند صحيح.
(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٨٠).
(٥) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» رقم (٢٠٠٧٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤١٢، ١٤١٣ رقم ٨٠٤٩)، والحاكم (٢/ ٣١٧)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٣٨٠) بسند صحيح.
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤١٣ رقم ٨٠٥٢، ٨٠٥٤، ٨٠٥٥)، وابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢٥٥) بسند حسن.

[وحدة الربوبية ووحدة الألوهية القاعدة التي يقوم عليها بناء العقيدة، وترجع إليها التكاليف، وتستمد منها الحقوق والواجبات]:

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢) وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣)﴾.

قوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا﴾ أي تقدّموا. قال ابن الشَّجَرِي[(١)]: إنّ المأمور بالتقدّم في أصل وضع هذا الفعل كأنَّه كان قاعداً، فقيل له: تعال؛ أي: ارفع شخصَك بالقيام وتقدّم، واتسعوا فيه حتى جعلوه للواقف والماشي.

وهكذا قال الزمخشري في «الكشاف»[(٢)]: إنه من الخاص الذي صار عامّاً، وأصله أَنْ يقوله مَنْ كان في مكان عالٍ لمن هو أسفل منه، ثم كَثُر واتسع فيه حتى عمّ.

قوله: ﴿أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾ أتل جواب الأمر، و(ما) موصولة[(٣)] في محل نصب به؛ أي: أتل الذي حرّمه ربكم عليكم.

والمراد من تلاوة ما حرّم الله: تلاوة الآيات المشتملة عليه، ويجوز أن تكون ما مصدرية[(٤)]؛ أي: أتل تحريم ربكم.

والمعنى: ما اشتمل على التحريم؛ قيل: ويجوز أَنْ تكون (ما) استفهامية[(٥)]؛ أي: أتل أي شيء حرّم ربكم، على جعل التلاوة بمعنى القول، وهو ضعيف جدّاً،

---

(١) في «الأمالي» (١/ ٧٧). (٢) (٢/ ٤١١).

(٣) «الأمالي» (١/ ٧٣ ـ ٧٤).

(٤) «التبيان» (١/ ٥٤٧)، و«روح المعاني» (٨/ ٤٩٥).

(٥) في «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٠٦).

و﴿عَلَيْكُمْ﴾ إن تعلق بـ﴿أَتْلُ﴾، فالمعنى: أتل عليكم الذي حرّم ربكم، وإن تعلق بـ﴿حَرَّمَ﴾، فالمعنى: أتل الذي حرّم ربكم عليكم، وهذا أولى؛ لأنّ المقام مقام بيان ما هو محرّم عليكم لا مقام بيان ما هو محرّم مطلقاً؛ وقيل: إن (عليكم) للإغراء ولا تعلّق لها بما قبلها.

والمعنى: عليكم أن لا تُشركوا إلى آخره؛ أي: الزموا ذلك كقوله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥] وهو أضعف مما قبله، و(أنْ) في ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا﴾ مفسِّرة لفعل التلاوة.

وقال النحاس(١): يجوز أن تكون في موضع نصب بدلاً من (ما)؛ أي: أتل عليكم تحريم الإشراك؛ وقيل: يجوز أن تكون في محل رفع بتقدير مبتدأ؛ أي: المتلوّ أن لا تشركوا، وشيئاً مفعول أو مصدر؛ أي: لا تشركوا به شيئاً من الأشياء، أو شيئاً من الإشراك.

قوله: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾؛ أي: أحسنوا بهما إحساناً، والإحسان إليهما: البرُّ بهما، وامتثال أمرهما ونهيهما. وقد تقدّم الكلام على هذا.

قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ﴾ لما ذكر حق الوالدين على الأولاد، ذكر حق الأولاد على الوالدين، وهو أن لا يقتلوهم من أجل إملاق، والإملاق: الفقرُ، فقد كانت الجاهلية تفعل ذلك بالذكور والإناث خشية الإملاق، وتفعله بالإناث خاصةً خشية العار.

وحكى النقاش عن مؤرّج(٢): أن الإملاق: الجوع بلغة لَخْم، وذكر مُنذر بن سعيد البلوطي(٣): أن الإملاق الإنفاق. يقال: أملق ماله: بمعنى أنفقه.

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/١٠٦).

(٢) مُؤرِّج: هو ابن عمرو أبو فيد السدوسي (ت١٩٥هـ)، أخذ عن الأعراب، كان يُعدُّ مع سيبويه، والنضر بن شُميل.
له عدة تصانيف، منها: «غريب القرآن»، و«جماهير القبائل»، وكان من أصحاب الخليل بن أحمد.
«سير أعلام النبلاء» (٩/٣٠٩ ـ ٣١٠)، و«التاريخ الكبير» (٨/٧١)، و«وفيات الأعيان» (٥/٣٠٤).

(٣) مُنذر بن سعيد البلوطي الأندلسي (ت٣٥٥هـ)، أبو الحكم الأندلسي، قاضي الجماعة بقرطبة ينسب إلى قبيلةٍ يقال لها: كُزنة وهو من موضع قريب من قرطبة، يقال له: فحص البلوط، =

والمعنى الأوّل هو الذي أطبق عليه أئمة اللغة[(١)]، وأئمة التفسير ها هنا.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ﴾؛ أي: المعاصي، ومنه ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً﴾ [الإسراء: ٣٢] وما في ﴿مَا ظَهَرَ﴾ بدل من الفواحش، وكذا ما بطن. والمراد بما ظهر: ما أُعلن به منها، وما بطن: ما أُسرّ.

وقد تقدّم ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ﴾ اللّام في النفس للجنس، و﴿الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾ صفة للنفس؛ أي: لا تقتلوا شيئاً مِنْ الأنفس التي حرّمها الله ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي: إلا بما يوجبه الحق، والاستثناء[(٢)] مفرّغ؛ أي: لا تقتلوها في حال من الأحوال إلا في حال الحق، أو لا تقتلوها بسبب من الأسباب إلا بسبب[(٣)] الحق، ومن الحق قتلها قصاصاً، وقتلها بسبب زنا المحصن، وقتلها بسبب الردّة، ونحو ذلك من الأسباب التي ورد الشرع بها.

والإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ إلى ما تقدّم مما تلاه عليهم، وهو مبتدأ و﴿وَصَّاكُم بِهِ﴾ خبره؛ أي: أمركم به، وأوجبه عليكم.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾؛ أي: لا تتعرّضوا له بوجه من الوجوه «إلا ب» الخصلة ﴿التي هِيَ أَحْسَنُ﴾ مِنْ غيرها، وهي ما فيه صلاحه وحفظه[(٤)] وتنميته، فيشمل كل وجه من الوجوه التي فيها نفع لليتيم، وزيادة في ماله.

وقيل: المراد بالتي هي أحسن[(٥)]: التجارة ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾؛ أي: إلى غاية هي أن يبلغ اليتيم أشدّه، فإن بلغ ذلك فادفعوا إليه ماله، كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ [النساء: ٦].

= كان فقيهاً محققاً، وخطيباً بليغاً مفوّهاً.

من تصانيفه: كتاب «الإنباه عن الأحكام في كتاب الله»، وكتاب «الإبانة عن حقائق أصول الدِّيانة».

«سير أعلام النبلاء» (١٦/ ١٧٣ ـ ١٧٨)، و«تاريخ علماء الأندلس» (٢/ ١٤٤ ـ ١٤٥)، و«شذرات الذهب» (٣/ ١٧).

(١) انظر: «تهذيب اللغة» (٩/ ١٨٣)، و«الصحاح» (٤/ ١٥٥٦).

(٢) «التبيان» (١/ ٥٤٨)، و«روح المعاني» (٨/ ٤٩٧).

(٣) «جامع البيان» (٩/ ٦٦٢).

(٤) «النكت والعيون» (٢/ ١٨٧)، و«معالم التنزيل» (٢/ ١٤١)، و«جامع البيان» (٩/ ٦٦٢ ـ ٦٦٣).

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٦٦٢) عن مجاهد بسند ضعيف.

واختلفَ أهلُ العلم في الأشُدّ؛ فقال أهل المدينة: بلوغه وإيناس رُشْده(١). وقال أبو حَنيفة(٢): خمس وعشرون سنة.

وقال عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم(٣): هو البلوغ.

وقيل: إنه انتهاء(٤) الكهولة، ومنه قول سُحيم الرِّياحي(٥):

أخو الخمسين مُجتمعٌ أشُدّي ... ونجَّذني مداورة الشؤون

والأولى في تحقيق بلوغ الأشد: أَنَّه البلوغ إلى سن التكليف مع إيناس الرشد، وهو أن يكون في تصرفاته بماله سالكاً مسلك العقلاء، لا مسلك أهل السفه والتبذير، ويدل على هذا قوله تعالى في سورة النساء: ﴿وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ [النساء: ٦] فجعل بلوغ النكاح، وهو بلوغ سنّ التكليف مقيد بإيناس الرشد، ولعلّه قد سبق هنالك كلام في هذا، والأشُد(٦) واحد لا جمع له، وقيل: واحده شَدّ(٧) كفَلْس وأفْلُس وأصله من شدّ النهار؛ أي: ارتفع.

وقال سيبويه(٨): واحده شِدّة.

قال الجوهري(٩): وهو حَسنٌ في المعنى؛ لأنه يقال: بلغ الكلام شِدّته، ولكن لا تُجمع فِعْلة على أفْعُل.

قوله: ﴿وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ﴾؛ أي: بالعدل في الأخذ(١٠) والإعطاء عند البيع والشراء ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾؛ أي: إلَّا طاقتها في كل تكليف من التكاليف، ومنه التكليف بإيفاء الكيل والوزن، فلا يخاطب المتولي لهما بما لا يُمكنُ الاحتراز عنه في الزيادة والنقصان.

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/ ١١٢).
(٢) «أحكام القرآن» للكيا (٣/ ١٢٨)، و«أحكام القرآن» لابن العربي (٢/ ٧٦١).
(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/ ١١٢).
(٤) زاد المسير (٣/ ١٥٠)، و«أحكام القرآن» لابن العربي (٢/ ٧٦١).
(٥) انظر: «خزانة الأدب» (١/ ١٦٢)، و«الكامل» (٢/ ١٣٤).
(٦) ذكره الجوهري في «الصحاح» (٢/ ٤٩٣).
(٧) قاله سيبويه. كما في «الصحاح» (٢/ ٤٩٣)، وفي «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ١١٣).
(٨) تقدم ذكره.
(٩) في «الصحاح» (٢/ ٤٩٧).
(١٠) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ١١٤)، و«جامع البيان» (٩/ ٦٦٥).

﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾؛ أي: إذا قلتم بقول في خبر أو شهادة[١]، أو جَرْح أو تعديل، فاعدلوا فيه، وتحرّوا الصواب، ولا تتعصبوا في ذلك لقريب ولا على بعيد، ولا تميلوا إلى صديق، ولا على عدو؛ بل سوّوا بين الناس، فإن ذلك من العدل الذي أمر الله به.

والضمير في ﴿وَلَوْ كَانَ﴾ راجع إلى ما يفيده ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ﴾ فإنّه لا بد للقول من مقول فيه، أو مقول له؛ أي: ولو كان المقول فيه، أو المقول له ﴿ذَا قُرْبَىٰ﴾؛ أي: صاحب قرابة لكم.

وقيل: إنّ المعنى: [٢/١٠٨] ولو كان الحقُّ على مثل[٢] قراباتكم والأوّل أولى، ومثل هذه الآية قوله: ﴿وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء: ١٣٥].

قولُه: ﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟﴾؛ أي: أوفوا بكل[٣] عهد عهده الله إليكم، ومن جملة ما عهده إليكم، ما تلاه عليكم رسولُه بأمره في هذا المقام، ويجوز أن يراد به كل عهد، ولو كان بين المخلوقين؛ لأن الله سبحانه لما أمر بالوفاء به في كثير من الآيات القرآنية كان ذلك مسوّغاً لإضافته إليه، والإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ إلى ما تقدّم ذكره ﴿وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾ أمركم به أمراً مؤكداً ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فتتعظون بذلك.

قوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا﴾ أن في موضع نصب؛ أي: واتل أن هذا صراطي، قاله الفراء[٤] والكسائي[٥].

قال الفراء[٦]: ويجوز أن يكون خفضاً؛ أي: وصاكم به، وبأن هذا.

وقال الخليل[٧] وسيبويه[٨]: إن التقدير ولأنّ هذا صراطي مستقيماً، كما في قوله سبحانه: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ [الجن: ١٨] وقرأ الأعمش وحمزة والكسائي: «وإن هذا» بكسر[٩] الهمزة على الاستئناف، والتقدير: الذي ذكر في هذه الآيات صراطي.

---

(١) «جامع البيان» (٩/٦٦٦)، و«المحرر الوجيز» (٦/١٨١).
(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/١١٥). (٣) «المحرر الوجيز» (٦/١٨١).
(٤) في «معاني القرآن» للفراء (١/٣٦٤).
(٥) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٢/١٠٧).
(٦) في «معاني القرآن» للفراء (١/٣٦٤).
(٧) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٢/١٠٧).
(٨) في «الكتاب» (٣/١٢٦ ـ ١٢٧).
(٩) «البحر المحيط» (٤/٦٩١)، و«النشر» (٢/٢٦٦)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/٤٥٧)، =

وقرأ ابن أبي إسحاق، ويعقوب: «وأَنْ هذا صراطي» بالتخفيف[1] على تقدير ضمير الشأن.

وقرأ الأعمش[2]: «وهذا صراطي» وفي مصحف عبد الله بن مسعود: «وهذا صراط[3] ربِّكم» وفي مصحف أُبيّ[4]: ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٢٦]. والصراط: الطريق، وهو طريق دين الإسلام، ونُصب مستقيماً على الحال، والمستقيم: المستوي الذي لا اعوجاج فيه، ثم أمرهم باتباعه ونهاهم عن اتباع سائر السبل؛ أي: الأديان المتباينة طرقها ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ﴾؛ أي: تميل بكم ﴿عَن سَبِيلِهِۦ﴾؛ أي: عن سبيل الله المستقيم الذي هو دين الإسلام.

قال ابن عطية[5]: وهذه السبل تعمّ اليهودية والنصرانية والمجوسية، وسائر أهل الملل، وأهل البدع والضلالات من أهل الأهواء والشذوذ في الفروع، وغير ذلك من أهل التعمق في الجدل والخوض في الكلام، هذه كلها عرضة للزلل، ومظنة لسوء المعتقد، والإشارة بـ ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ إلى ما تقدّم وهو مبتدأ وخبره ﴿وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾؛ أي: أكّد عليكم الوصية به ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ما نهاكم عنه.

وقد أخرج الترمذي وحسنه، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وأبو الشيخ، وابن مردويه، عن عبادة بن الصامت[6]، قال: قال رسول الله ﷺ: «أيكم يبايعني على هؤلاء الآيات الثلاث؟ ثم تلا: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ﴾ إلى ثلاث آيات، ثم قال:

= و«جامع البيان» (٩/٦٦٩)، قال في «تخريج القراءات في فتح القدير» (ص١٣٠ ـ ١٣١) هنا ثلاث قراءات متواترة ﴿وَإِنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى﴾ بكسر الهمزة، وتشديد النون عن أهل الكوفة عدا عاصم، ﴿وَأَنْ هَٰذَا صِرَٰطِى﴾ بفتح الهمزة، وتخفيف النون عن ابن عامر ويعقوب، والثالثة بفتح الهمزة، وتشديد النون عن الباقين أ. هـ. المراد منه.

(١) «جامع البيان» (٩/٦٦٩)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/١٠٧)، و«النشر» (٢/٢٦٦)، قراءة الأعمش، وما ورد في مصحف ابن مسعود وأُبيَّ قراءات شاذة مخالفة للرسم.

(٢) «البحر المحيط» (٤/٦٩٢)، و«روح المعاني» (٨/٥٠١)، و«المحرر الوجيز» (٦/١٨٢).

(٣) «روح المعاني» (٨/٥٠١)، و«الكشاف» (٢/٤١٣).

(٤) «الكشاف» (٢/٤١٣)، و«روح المعاني» (٨/٥٠١).

(٥) في «المحرر الوجيز» (٦/١٨٣).

(٦) أخرجه الترمذي رقم (٣٠٧٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/٤١٤ رقم ٨٠٥٦)، والطبراني في «الكبير» رقم (١٠٠٦٠)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٧٩١٨). وهو حديث ضعيف.

فمن وفَّى بهنّ فأجرُه على الله ومن انتقص منهنّ شيئاً فأدركه الله في الدنيا كانت عقوبته، ومن أخّره إلى الآخرة كان أمرُه إلى الله إن شاء آخذه وإن شاء عفا عنه».

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن الضريس، وابن المنذر، عن كعب[١] الأحبار قال: أوّل ما أُنزل في التوراة عشر آيات، وهي العشر التي أُنزلت من آخر الأنعام ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ إلى آخرها.

وأخرج أبو الشيخ[٢]، عن [عبيد الله بن عبد الله بن عدي بن الخيار][٣] قال: سمع كعب رجلاً يقرأ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ فقال كعب: والذي نفس كعب بيده إنها لأول آية في التوراة: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ إلى آخر الآيات. انتهى.

قلت: هي الوصايا العشر التي في التوراة، وأوّلها: أنا الرب إلٰهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية، لا يكن لك إلٰه آخر غيري. ومنها: أكرم أباك وأمك ليطول عمرك في الأرض التي يعطيك الرب إلٰهك، لا تقتل، لا تزن، لا تسرق، لا تشهد على قريبك شهادة زور، لا تشته بنت قريبك، ولا تشته امرأة قريبك، ولا عبده، ولا أمتَه، ولا ثوره، ولا حماره، ولا شيئاً مما لقريبك. فلعل مراد كعب الأحبار هذا، ولليهود بهذه الوصايا عنايةٌ عظيمة، وقد كتبها أهل الزبور في آخر زبورهم، وأهل الإنجيل في أوّل إنجيلهم، وهي مكتوبة في لوحين، وقد تركنا منها ما يتعلَّق بالسبت.

وأخرج عبد بن حميد، وأبو الشيخ، عن قتادة[٤] ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ﴾ قال: من خشية الفاقة، قال: وكان أهل الجاهلية يقتل أحدهم ابنته مخافة الفاقة عليها والسبي ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ قال: سرّها وعلانيتها.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، عن

---

(١) أخرجه ابن الضريس في «فضائل القرآن» رقم (١٩٨) من طريق جرير بن حازم، به.
(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٨٢).
(٣) كذا في المخطوط، وصوابه: عبيد الله بن عدي بن الخيار. «الجرح والتعديل» (٥/ ٣٢٩)، و«التاريخ الكبير» (٥/ ٣٩١).
(٤) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٨٣).

ابن عباس[(١)] ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾ قال: خشية الفقر ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ قال: كانوا في الجاهلية لا يرون بالزنا بأساً في السرّ، ويستقبحونه في العلانية، فحرّم الله الزنا في السر والعلانية.

وأخرج عبد بن حميد، وأبو الشيخ، عن قتادة[(٢)]، في قوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا﴾ قال: اعلموا أن السبيل سبيلٌ واحد، جماعه الهدى ومصيره الجنة، وأن إبليس اشترع سبلاً متفرقة، جماعه الضلالة ومصيرها النار.

وأخرج أحمد، وعبد بن حميد، والبزار، والنسائي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، والحاكم وصححه، وابن مردويه، عن ابن مسعود[(٣)]، قال: «خط رسول الله ﷺ خطّاً بيده ثم قال: هذا سبيل الله مستقيماً، ثم خط خطوطاً عن يمين ذلك الخط، وعَنْ شماله، ثم قال: وهذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾».

وأخرج أحمد، وابن ماجه، وابن مردويه، من حديث جابر[(٤)] نحوه.

وأخرج عبد الرزاق، وابن جرير، وابن مردويه، عن ابن مسعود[(٥)] أَنَّ رجلاً سأله: ما الصراط المستقيم؟ قال: تركنا محمداً ﷺ في أَدْناه وطرفُه الجنة، وعن يمينه جوادُّ وعن شماله جوادُّ، وثَمَّ رجال يدعون مَنْ مرّ بهم، فمن أخذ في تلك الجوادّ انتهت به إلى النار، ومن أخذ على الصراط المستقيم انتهى به إلى الجنة، ثم قرأ ابن مسعود: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ الآية.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٦٥٨، ٦٦٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤١٤، ١٤١٦، ١٤٦٩ رقم ٨٠٥٩، ٨٠٦٦، ٨٤١١) بسند صحيح.

(٢) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٨٥).

(٣) أخرجه أحمد (٧/ ٢٠٧، ٤٣٦)، والبزار في «مسنده» رقم (١٧١٨)، والنسائي في «الكبرى» رقم (١١١٧٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٢٢ رقم ٨١٠٢)، والحاكم (٢/ ٣١٨) بسند حسن.

(٤) أخرجه أحمد رقم (١٥٢٧٧)، وابن ماجه رقم (١١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٢١ رقم ٨١٠١). وهو حديث صحيح.

(٥) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٢٢٣)، وابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٦٧١) بسند حسن.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس[١] ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ قال: الضلالات.

[الكتاب الذي أنزل على موسى متضمن للعقيدة وللشريعة المطلوب اتباعها والتقوى فيها]:

﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى الَّذِيٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا إِنَّمَآ أُنزِلَ الْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾﴾.

هذا الكلام مسوق لتقرير التوصية التي وصّى الله عبادَه بها، وقد استشكل العطف (بثمّ) مع كون قصة موسى وإيتائه الكتاب قبل المعطوف عليه.

وهو ما تقدم من قوله: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥١] فقيل: إنّ ثُم ها هنا بمعنى الواو؛ وقيل: تقدير [٢/١٠٩] الكلام، ثم كنا قد آتينا موسى الكتاب قبل إنزالنا القرآن على محمد ﷺ.

وقيل: المعنى: قل تعالوا أتلُ ما حرّم ربكم عليكم، ثم أتل إيتاء موسى الكتاب.

وقيل: إنّ التوصيةَ المعطوف عليها قديمة لم يزل كل نبيّ يوصي بها أمته؛ وقيل: إن ثُمّ للتراخي في الإخبار كما تقول: بلغني ما صنعت اليوم ثم ما صنعت بالأمس أعجب.

قولُه: ﴿تَمَامًا﴾ مفعول[٢] لأجله أو مصدر، و﴿عَلَى الَّذِيٓ أَحْسَنَ﴾ قُرِئ بالرفع[٣]، وهي قراءة يحيى بن يَعْمَر، وابن أبي إسحاق، فيكون رفع أحسن على تقدير مبتدأ؛ أي: على الذي هو أحسنُ.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٦٧٠ ـ ٦٧١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٢٢ رقم ٨١٠٣) بسند ضعيف.

(٢) «روح المعاني» (٨/ ٥٠٧)، و«التبيان» (١/ ٥٥٠)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٠٨).

(٣) في «الكتاب» (٢/ ١٠٨)، و«المحتسب» (١/ ٢٣٤)، و«القراءات الشاذة» (ص٤١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ١٢٤). وهي قراءة شاذة.

ومنه ما حكى سيبويه[(١)] عن الخليل أنه سمع: ما أنا بالذي قائلٌ لك شيئاً.

وقرأ الباقون بالنصب[(٢)] على أنَّه فعل ماضٍ عند البصريين.

وأجاز الفراء[(٣)] والكسائي[(٤)] أن يكون اسماً نعتاً للذي، وهذا محال عند البصريين لأنَّه نعت للاسم قبل أن يتمّ، والمعنى عندهم تماماً على من أحسن قبوله، والقيام به كائناً من كان، ويؤيد هذا أن ابن مسعود[(٥)] قرأ: «تماماً على الذين أحسنوا».

وقال الحسن: كان فيهم محسن وغير محسن، فأنزل الله الكتاب تماماً على المحسنين.

وقيل: المعنى: أعطينا موسى التوراة زيادةً على ما كان يحسنه موسى مما علّمه الله قبل نزول التوراة عليه.

وقيل: المعنى: تماماً على الذي أحسن به الله ﷻ إلى موسى من الرسالة وغيرها.

وقيل: تماماً على إحسان موسى بطاعة الله ﷻ قاله الفراء.[(٦)]

قولُه: ﴿وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ معطوف[(٧)] على تماماً؛ أي: ولأجل تفصيل كل شيء، وكذا ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ معطوفتان عليه؛ أي: وللهدى والرحمة، والضمير في (لعلهم) راجع إلى بني إسرائيل، المدلول عليه بذكر موسى، والباء في ﴿بِلِقَآءِ﴾ متعلقة بيؤمنون.

قوله: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ الإشارة إلى القرآن، واسم الإشارة مبتدأ وخبرُه كتابٌ، وأنزلناه صفة لكتاب، ومبارك صفة أخرى له، وتقديم صفة الإنزال

---

(١) في «الكتاب» (٢/ ١٠٨).

(٢) «النشر» (٢/ ٢٣٢ ـ ٢٣٣)، و«التيسير» (ص٨٣)، و«البحر المحيط» (٤/ ٦٩٣ ـ ٦٩٤).

(٣) في «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٦٥).

(٤) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ١٠٨).

(٥) «القراءات الشاذة» (ص٤١)، و«جامع البيان» (٩/ ٦٧٥)، و«البحر المحيط» (٤/ ٦٩٤). وهي قراءة شاذة مخالفة للرسم.

(٦) في «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٦٥).

(٧) «روح المعاني» (٨/ ٥٠٩)، و«البحر المحيط» (٤/ ٦٩٧)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٠٨).

لكون الإنكار متعلقاً بها، والمبارك كثير البركة لما هو مشتمل عليه من المنافع الدنيوية والدينية.

﴿فَٱتَّبِعُوهُ﴾ فإنه لما كان من عند الله، وكان مشتملاً على البركة، كان اتباعه متحتماً عليكم ﴿وَٱتَّقُواْ﴾ مخالفته، والتكذيب بما فيه ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ إن قبلتموه ولم تخالفوه ﴿تُرْحَمُونَ﴾ برحمة الله سبحانه.

و(أنْ) في ﴿أَن تَقُولُوٓاْ﴾ في موضع نصب[1]، قال الكوفيون: لئلا تقولوا. وقال البصريون: كراهة أن تقولوا.

وقال الفراء[2] والكسائي[3]: المعنى: فاتقوا[4] أن تقولوا يا أهل مكة: ﴿إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ﴾؛ أي: التوراة والإنجيل ﴿عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا﴾ وهم اليهود والنصارى، ولم ينزل علينا كتاب ﴿وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ﴾؛ أي: عن تلاوة كتبهم بلغاتهم ﴿لَغَٰفِلِينَ﴾؛ أي: لا ندري ما فيها، ومرادهم: إثبات نزول الكتابين مع الاعتذار عن اتباع ما فيهما بعدم الدراية منهم، والغفلة عن معناهما.

قوله: ﴿أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ﴾ معطوف على ﴿تَقُولُوٓاْ﴾؛ أي: أو أن تقولوا: لو أنا أنزل علينا الكتاب كما أنزل على الطائفتين[5] من قبلنا ﴿لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾ إلى الحق الذي طلبه الله، فإن هذه المقالة والمعذرة منهم مندفعة بإرسال محمد ﷺ إليهم، وإنزال القرآن عليه، ولهذا قال: ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾؛ أي: كتاب أنزله الله على نبيِّكم، وهو منكم يا معشر العرب، فلا تعتذروا بالأعذار الباطلة، وتعلّلوا أنفسكم بالعلل الساقطة، فقد أسفر الصبح لذي عينين.

﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ معطوف على ﴿بَيِّنَةٌ﴾؛ أي: جاءكم البينة الواضحة، والهدى الذي يَهتدي به كلٌّ من له رغبة في الاهتداء، ورحمة من الله يدخل فيها كل من يطلبها، ويريد حصولها، ولكنكم ظلمتم أنفسكم بالتكذيب بآيات الله، والصدوف عنها؛ أي: الانصراف عنها، وصرف مَنْ أراد الإقبال إليها. ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ التي هي رحمة وهدى للناس ﴿وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ فضلّ بانصرافه

---

(١) انظر: المصادر المتقدمة.
(٢) في «معاني القرآن» للفراء (١/٣٦٦).
(٣) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٢/١٠٨).
(٤) «جامع البيان» (١٠/٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٩/١٢٦).
(٥) «جامع البيان» (١٠/٩).

عنها، وأضلّ بصرف غيره عن الإقبال إليها ﴿سَنَجْزِي ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾؛ أي: العذاب السيء ﴿بِـ﴾ سبب ﴿ما كانوا يصدفون﴾ وقيل: معنى صدف: أَعرضَ، ويصدفون يُعرضون، وهو مقارب لمعنى الصرف، وقد تقدّم تحقيق معنى هذا اللفظ، والاستفهام في ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾[1] للإنكار؛ أي: إنكار أَنْ يكون أحد أظلم ممّن كذب بآيات الله، وصدف عنها ما يفيده ذلك من التبكيت لهم.

وقد أخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن مجاهد[2] ﴿تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾ قال: على المؤمنين المحسنين.

وأخرج ابن أبي حاتم[3]، عن أبي صخر ﴿تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾ قال: تماماً لما كان قد أحسن الله.

وأخرج[4] أيضاً عن ابن زيد قال: تماماً لنعمته عليهم وإحسانه إليهم.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن قتادة[5]، في قوله: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ﴾ قال: هو القرآن الذي أنزله الله على محمد ﴿فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟﴾ يقول: فاتبعوا ما أحلّ الله فيه، واتقوا ما حرّم.

وأخرج[6] هؤلاء عن مجاهد في قوله: ﴿عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا﴾ قال: اليهود والنصارى، خاف أن تقوله قريش.

وأخرج ابن المنذر، وابن حاتم، عن ابن عباس[7]، قال: هم اليهود والنصارى، ﴿وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ﴾ قال: تلاوتهم.

---

(١) «تفسير أبي السعود» (٣/ ١٤٥).
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٢٣ رقم ٨١١١)، وابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٦٧٤) بسند صحيح.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٢٣ رقم ٨١٠٩) بسند ضعيف.
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٦٧٧) بسند صحيح.
وأخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٢٣ رقم ٨١١٠) بسند ضعيف.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٢٤، ١٤٢٥ رقم ٨١٢٢، ٨١٢٣)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٥) بسند صحيح.
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٢٥ رقم ٨١٢٥) بسند صحيح.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٢٥ رقم ٨١٢٦)، وابن جرير في «جامع البيان» =

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن قتادة[1]، في قوله: ﴿لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْۚ﴾ قال: هذا قول كفار العرب.

وأخرج ابن أبي حاتم، عن السدي[2]، في قوله: ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ يقول: قد جاءتكم بَيّنةٌ، لسانٌ عربي مُبين، حينَ لم يعرفوا دراسة الطائفتين.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس[3]، في قوله: ﴿وَصَدَفَ عَنْهَاۗ﴾ قال: أعرض عنها.

وأخرج عبد بن حميد[4]، عن الضحاك، في قوله: ﴿يَصْدِفُونَ﴾ قال: يُعْرِضون.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًاۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾.

أي: لما أقمنا عليهم[5] الحجة، وأنزلنا الكتاب على رسولنا المرسل إليهم، فلم ينفعهم ذلك ولم يرجعوا به عن غوايتهم، فما بقي بعد هذا إلا أنهم ﴿يَنظُرُونَ﴾؛ أي: ينتظرون ﴿أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾؛ أي: ملائكة الموت[6] لقبض أرواحهم، وعند ذلك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ يا محمد كما اقترحوه بقولهم: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ﴾ [الفرقان: ٢١]

= (١٠/ ٧، ٨) بسند صحيح.

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٩ ـ ١٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٢٦ رقم ٨١٣٢) بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٢٦ رقم ٨١٣١، ٨١٣٣) بسند حسن.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٢٦ رقم ٨١٣٤)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ١٠) بسند صحيح.

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٨٨).

(٥) «جامع البيان» (١٠/ ١١ ـ ١٢).

(٦) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ١٢٧)، و«تفسير السمرقندي» (١/ ٥٢٥).

وقيل: معناه: أو يأتي أمر ربك[١] بإهلاكهم.

وقيل: المعنى: أو يأتي كل آيات ربك بدليل قوله: ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ وقيل: هو من[٢] المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله، وقد جاء في القرآن حذف المضاف[٣] كثيراً كقوله: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] وقوله: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ [البقرة: ٩٣] أي: حب العجل، وقيل: إتيانُ الله مجيئه[٤] يوم القيامة لفصل القضاء بين خلقه كقوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢].

وقوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِى [٢/١١٠] بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ قرأ ابن عمر وابن الزبير: ﴿يَوْمَ يَأْتِى﴾ بالفوقية[٥]، وقرأ الباقون بالتحتية[٦].

قال المبرِّد[٧]: التأنيث على المجاورة لمؤنث لا على الأصل ومنه قول جرير[٨]:

لما أتى خبرُ الزبير تواضَعتْ ... سُورُ المدينةِ والجبالُ الخُشّعُ

وقرأ ابن سيرين[٩]: «لا تنفع» بالفوقية. قال أبو حاتم[١٠]: إن هذا غلط عن ابن سيرين.

---

(١) هذا من تأويل المعطلة حيث جعلوه على حذف المضاف على سبيل الدعاء المجاز فيه.

(٢) إن أراد الشوكاني بهذا القول أن معنى الإتيان من المتشابه فهذا فيه نظر. فمعناه محكم وليس من المتشابه وإن أراد رَحِمَهُ اللهُ الكيفية فهذا حق فالكيف مجهول. فالحاصل: أنّ معاني آيات الصفات من قبيل المحكمات الواضحات وليست من قبيل المتشابهات التي لا يعلم تأويلها إلا الله.

(٣) تقدم توضيحه.

(٤) فالإتيان والمجيء صفتان فعليتان ثابتتان بالكتاب والسُّنَّة، والذي عليه أهل السُّنَّة والجماعة الإيمان بذلك على حقيقته، والابتعاد عن التأويل الذي هو في الحقيقة إلحاد وتعطيل.
«شرح العقيدة الواسطية» (ص١١٢).

(٥) «البحر المحيط» (٤/٦٩٩)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/١٠٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٩/١٣٢). وهي قراءة شاذة.

(٦) انظر: المصادر المتقدمة.

(٧) انظر: «الكامل» (٢/٦٦٩)، و«والمقتضب» (٤/١٩٧).

(٨) انظر: «ديوان جرير» (٢/٩١٣).

(٩) «القراءات الشاذة» (ص٤٢)، و«المحتسب» (١/٢٣٦). وهي قراءة شاذة.

(١٠) ذكره القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» (٩/١٣٢ ـ ١٣٣).

وقد قال الناس في هذا شيء دقيق من النحو ذكره نفطويه، وذلك أن الإيمان والنفس كل واحد منهما مشتمل على الآخر، فأنث الإيمان إذ هو من النفس.

قال النحاس[١]: وفيه وجه آخر، وهو أن: يؤنث الإيمان؛ لأنه مصدر كما يُذّكر المصدر المؤنّث مثل: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

ومعنى ﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾: يوم يأتي الآيات التي اقترحوها، وهي التي تضطرهم إلى الإيمان ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾ أو ما هو أعمّ من ذلك، فيدخل فيه ما ينتظرونه.

وقيل: هي الآيات التي هي علامات[٢] القيامة المذكورة في الأحاديث الثابتة عن رسول الله ﷺ، فهي التي إذا جاءت لا ينفع نفساً إيمانها.

قوله: ﴿لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾؛ أي: من قبل إتيان بعض الآيات، فأما التي قد كانت آمنت من قبل مجيء بعض الآيات فإيمانها ينفعها.

وجملة: ﴿لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ في محل نصب[٣] على أنها صفة نفساً.

قوله: ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ معطوف على ﴿ءَامَنَتْ﴾ والمعنى: أنه لا ينفع نفساً إيمانُها عند حضور[٤] الآيات، متصفة بأنها لم تكن آمنت من قبل، أو آمنت من قبلُ ولكن لم تكسب في إيمانها خيراً، فحصل مِنْ هذا: أنه لا ينفع إلا الجمع بين الإيمان من قبل مجيء بعض الآيات مع كسب الخير في الإيمان، فمن آمن من قبل فقط، ولم يكسب خيراً في إيمانه، أو كسب خيراً ولم يؤمن، فإن ذلك غير نافعه.

وهذا التركيب هو كقولك: لا أعطي رجلاً اليوم أتاني لم يأتني بالأمس أو لم يمدحني في إتيانه إليّ بالأمس.

فإن المستفاد من هذا أنه لا يستحق العطاء إلا رجل أتاه بالأمس ومدحه في إتيانه إليه بالأمس. ثم أمره الله سبحانه أن يقول لهم: ﴿ٱنتَظِرُوٓاْ﴾ ما تريدون إتيانه إنا

---

(١) في «إعراب القرآن» (٢/ ١٠٩).
(٢) «جامع البيان» (١٠/ ١١ ـ ١٢).
(٣) «روح المعاني» (٨/ ٥٢٠).
(٤) «تفسير أبي السعود» (٣/ ١٤٦ ـ ١٤٧)، و«روح المعاني» (٨/ ٥٢١ ـ ٥٢٤).

﴿مُنتَظِرُونَ﴾ له، وهذا تهديد شديد، ووعيد عظيم، وهو يقوّي ما قيل في تفسير: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ أنها الآيات التي اقترحوها مِنْ إتيان الملائكة وإتيان العذاب لهم من قبل الله كما تقدّم بيانه.

وقد أخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن ابن مسعود[(١)] ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ قال: عند الموت ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ قال: يوم القيامة.

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن قتادة[(٢)]، في تفسير الآية مثله.

وأخرج ابن أبي حاتم[(٣)]، عَنْ مقاتل ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ قال: يوم القيامة في ظُللٍ من الغمام.

وأخرج أحمد، وعبد بن حميد، في مسنده، والترمذي، وأبو يعلى، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، وابن مردويه، عن أبي سعيد الخدري[(٤)]، عن النبي ﷺ، في قوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ قال: طلوع الشمس مِنْ مغربها.

قال الترمذي: غريب.

ورواه ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، عن أبي سعيد[(٥)] موقوفاً.

وأخرجه الطبراني، وابن عدي، وابن مردويه من حديث أبي هريرة[(٦)] مرفوعاً.

وأخرجه سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، ونعيم بن حماد، والطبراني عن ابن مسعود[(٧)] موقوفاً.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/١٤٢٦ رقم ٨١٣٦) بسند حسن.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/١٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/١٤٢٧ رقم ٨١٣٩)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (١/٢١٣) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/١٤٢٧ رقم ٨١٤٠) بسند صحيح.

(٤) أخرجه أحمد رقم (١١٢٦٦، ١١٩٣٨)، وعبد بن حميد رقم (٩٠٠ ـ منتخب)، والترمذي رقم (٣٠٧١)، وأبو يعلى رقم (١٣٥٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/١٤٢٧ رقم ٨١٤١). وهو حديث صحيح.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٥/١٧٩).

(٦) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٢٠٢٣)، وابن عدي في «الكامل» (٣/١٠٧٦، ١٠٧٧).

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/١٤٢٧ رقم ٨١٤٢)، وأبو الشيخ في «العظمة» رقم =

فإذا ثبت رفعُ هذا التفسير النبوي مِنْ وجه صحيح لا قادح فيه، فهو واجب التقديم له، مُتحتّم الأخذ به، ويؤيده ما ثبت في «الصحيحين»(١) وغيرهما عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعةُ حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعتْ ورآها الناسُ آمنوا أجمعون فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانُها، ثم قرأ الآية».

وأخرج مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وغيرهم، عن أبي ذر(٢) مرفوعاً نحوه.

وأخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه، عن ابن عباس(٣)، مرفوعاً نحوه أيضاً.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن السدي(٤)، في قوله: ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًاۗ﴾ يقول: كسبت في تصديقها عملاً صالحاً، هؤلاء أهل القبلة، وإن كانت مصدقة لم تعمل قبل ذلك خيراً فعملت بعد أن رأت الآية لم يُقبل منها، وإن عملت قبل الآية خيراً، ثم عملت بعد الآية خيراً قبل منها.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن مقاتل(٥)، في قوله: ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًاۗ﴾ قال: يعني: المُسلم الذي لم يعمل في إيمانه خيراً وكان قبل الآية مقيماً على الكبائر.

والآيات التي هي علامات القيامة، قد وردت الأحاديث المتكاثرة في بيانها وتعدادها، وهي مذكورة في كتب السُّنَّة.

= (٦٦٥)، والطبراني في «الكبير» رقم (٩٠١٩). وهو حديث صحيح.

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» رقم (٨١٣٨، ٨١٦١، ٨٨٥٠)، والبخاري رقم (٤٦٣٦ و٦٥٠٦)، ومسلم رقم (١٥٧)، وأبو داود رقم (٤٣١٢)، والنسائي في «السنن الكبرى» رقم (١١١٧٧)، وابن ماجه رقم (٤٠٦٨).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (١٥٩)، وأبو داود رقم (٤٠٠٢) والترمذي رقم (٢١٨٦، ٣٢٢٧)، والنسائي في «السنن الكبرى» رقم (١١١٧٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/١٤٢٧، ١٤٢٨ رقم ٨١٤٣)، وأبو الشيخ في «العظمة» رقم (٦٦٠).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/١٤٢٨ رقم ٨١٤٥) بسند ضعيف.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/٢٨ ـ ٢٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/١٤٢٨ رقم ٨١٤٦) بسند حسن.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/١٤٢٩ رقم ٨١٤٧) بسند صحيح.

[ذم التفرّق في الدين]:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾.

قرأ حمزة والكسائي: «فارقوا دينهم»(١) وهي قراءة عليّ بن أبي طالب؛ أي: تركوا دينهم، وخرجوا عنه.

وقرأ الباقون(٢): فرّقوا بالتشديد إلا النخعي فإنه بالتخفيف.

والمعنى: أنهم جعلوا دينهم متفرّقاً فأخذوا ببعضه، وتركوا بعضه.

قيل: المراد بهم: اليهود(٣) والنصارى.

وقد رود في معنى هذا في اليهود قوله تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ﴾ [البينة: ٤]؛ وقيل(٤): المراد بهم: المشركون عبدَ بعضُهم الصنمَ، وبعضهم الملائكة؛ وقيل: الآية عامة(٥) في جميع الكفار، وكل من ابتدع وجاء بما لم يأمر به الله.

وهذا هو الصواب لأنَّ اللفظ يفيد العموم، فيدخل فيه طوائف أهل الكتاب، وطوائف المشركين، وغيرهم ممَّن ابتدع من أهل الإسلام.

ومعنى ﴿شِيَعًا﴾: فِرَقاً(٦) وأحزاباً، فتَصْدُق على كل قوم كان أمرهم في الدين واحداً مجتمعاً، ثم اتبع كل جماعة منهم رأى كبير من كبرائهم، يخالف الصواب ويباين الحق ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾؛ أي: لستَ مِنْ تفرّقهم، أو من السؤال عن سبب

---

(١) «جامع البيان» (١٠/ ٢٩ ـ ٣٠)، و«البحر المحيط» (٤/ ٧٠١)، و«التيسير» (ص١٠٨)، و«النشر» (٢/ ٢٦٦)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٥٨)، و«زاد المسير» (٣/ ١٥٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ١٣٤) القراءتان (فرَّقوا) بالتشديد و(فارقوا) بالألف متواترتان، أما ما روى عن النخعي بتخفيف (فرَقوا) فقراءة شاذة.

(٢) انظر: المصادر المتقدمة.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٣١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٣٠ رقم ٨١٥٤) عن قتادة بسند صحيح.

(٤) ذكره الرازي في «تفسيره» (١٤/ ٧) عن ابن عباس ﵄.

(٥) «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١١٠). (٦) «النكت والعيون» (٢/ ١٩٢).

تفرّقهم والبحث عن موجب تحزبهم في شيء من الأشياء، فلا يلزمك من ذلك شيء، ولا تُخاطَب به، إنما عليك البلاغ، وهو مثل قوله ﷺ: «من غشنا فليس منا»[(١)]؛ أي: نحن برآء منه، وموضع: ﴿فِي شَيْءٍ﴾ نصب على الحال.

قال الفرّاء[(٢)]: هو على حذف مضاف؛ أي: لست مِنْ عقابهم في شيء، وإنما عليك الإنذار، ثم سلّاه الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ﴾، فهو مجازٍ لهم بما تقتضيه مشيئته، والحصر (بإنما) هو في[(٣)] حكم التعليل لما قبله والتأكيد له ﴿ثُمَّ﴾ هو يوم القيامة ﴿يُنَبِّئُهُم﴾؛ أي: يُخبرهم بما ينزله بهم مِنْ المجازاة «بما كانوا يعملونه» مِنْ الأعمال التي تخالف ما شرعه الله لهم، وأوجبه عليهم، وهذه الآية من جملة ما هو منسوخ بآية السيف.

قوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ لما توعد سبحانه المخالفين له بما توعد، بين عقب ذلك مقدار جزاء العاملين بما أمرهم به الممتثلين لما شرعه لهم، بأن من جاء بحسنة واحدة من الحسنات فله من الجزاء عشر حسنات.

والتقدير[(٤)]: فله عشر حسنات أمثالها، فأقيمت الصفة مقام الموصوف.

قال أبو علي الفارسي[(٥)]: حسن التأنيث في عشر أمثالها، لما كان الأمثال مضافاً إلى مؤنث، نحو ذهبت بعضُ أصابعه.

وقرأ الحسن[(٦)] وسعيد بن جبير والأعمش: ﴿فَلَهُ عَشْرٌ أَمْثَالُهَا﴾ برفعهما.

وقد ثبت [٢/١١١] هذا التضعيف في السُّنَّة بأحاديث كثيرة، وهذا التضعيف هو أقلّ ما يستحقه عامل الحسنة.

وقد وردت الزيادة على هذا عموماً وخصوصاً، ففي القرآن كقوله: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾ [البقرة: ٢٦١].

---

(١) أخرجه أحمد رقم (٩٣٩٦)، ومسلم رقم (١٠١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) في «معاني القرآن» للفراء (١/٣٦٦).
(٣) «تفسير أبي السعود» (٣/١٥١)، و«روح المعاني» (٨/٥٢٦ ـ ٥٢٧).
(٤) «إعراب القرآن» للنحاس (٢/١١٠).
(٥) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/١٣٦).
(٦) «القراءات الشاذة» (ص٤١)، و«البحر المحيط» (٤/٧٠٢)، و«النشر» (٢/٢٦١)، و«جامع البيان» (١٠/٣٦ ـ ٣٧). رفع (عشرُ) وكذا (أمثالُها) قراءة متواترة عن يعقوب، وقراءة الجمهور بالرفع «عشرُ» و«خفض» أمثالِها. انظر: «تخريج القراءات في فتح القدير» (ص١٣٢).

وورد في بعض الحسنات، أن فاعلها يُجازى عليها بغير حساب، وورد في السُّنَّة المطهرة تضعيف الجزاء إلى ألوف مؤلفة.

وقد قدمنا تحقيق هذا في موضعين من هذا التفسير، فليرجع إليهما.

﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ مِنْ الأعمال السيئة ﴿فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ من دون زيادة عليها على قدرها في الخفَّة والعِظَم، فالمشرك يُجازى على سيئة الشرك بخلوده في النار.

وفاعل المعصية مِنْ المسلمين يجازى عليها بمثلها مما ورد تقديره من العقوبات، كما ورد بذلك كثير من الأحاديث المصرّحة بأن مَنْ عمل كذا فعليه كذا، وما لم يرد لعقوبته تقدير مِنْ الذنوب، فعلينا أن نقول: يجازيه[١] الله بمثله، وإن لم نقف على حقيقة ما يجازى به، وهذا إن لم يتب، أما إذا تاب أو غلبت حسناته سيئاته، أو تغمده الله برحمته، وتفضّل عليه بمغفرته، فلا مجازاة، وأدلة الكتاب والسُّنَّة مصرّحة بهذا تصريحاً لا يبقى بعده ريبٌ لمرتاب.

﴿وَهُمْ﴾؛ أي: مَنْ جاء بالحسنة ومن جاء بالسيئة ﴿لَا يُظْلَمُونَ﴾ بنقص ثواب حسنات المحسنين، ولا بزيادة عقوبات المسيئين.

وقد أخرج ابن أبي حاتم، عن ابن عباس[٢]، قال: اختلفت اليهود والنصارى قبل أن يبعث محمد ﷺ فتفرقوا، فلما بُعثَ محمد أُنزل عليه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ﴾ الآية.

وأخرج النحاس[٣]، عنه في ناسخه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ﴾ قال: اليهود والنصارى، تركوا الإسلام والدين الذي أمروا به ﴿وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ فِرَقاً أحزاباً مختلفة ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ نزلت بمكة ثم نسخها ﴿وَقَـٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٣٦].

وأخرج أبو الشيخ[٤] عنه ﴿وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ قال: مِلَلاً شتى.

وأخرج الفريابي، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر،

---

(١) «جامع البيان» (١٠/٣٦ ـ ٣٧).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/١٤٣٠ رقم ٨١٥٣)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٠/٣٢) بسند ضعيف.

(٣) أخرجه النحاس في «ناسخه» رقم (ص٤٤٢).

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/٤٠٢).

وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، وابن مردويه، عن أبي هريرة[١]، في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ﴾ الآية قال: هم في هذه الأمة.

وأخرج الحكيم الترمذي، وابن جرير، والطبراني، والشيرازي في «الألقاب»، وابن مردويه، عنه[٢]، عن النبي ﷺ في الآية قال: «هم أهل البدع والأهواء من هذه الأمة»، وفي إسناده عبّاد بن كثير، وهو متروك الحديث، ولم يرفعه غيره، ومن عداه وقفوه على أبي هريرة.

وأخرج عبد بن حميد، وأبو الشيخ، وابن مردويه، عن أبي أُمامة[٣] في الآية قال: هم الحرورية.

وقد رواه ابن أبي حاتم، والنحاس، وابن مردويه، عن أبي غالب عن أبي أمامة[٤] مرفوعاً ولا يصح رفعه.

وأخرج الحكيم الترمذي، وابن أبي حاتم، والطبراني، وأبو الشيخ، وابن شاهين، وابن مردويه، وأبو نعيم في الحلية، وأبو نصر السّجزي في «الإبانة»، والبيهقي في «شعب الإيمان»، عَنْ عُمر[٥]، أن رسول الله ﷺ قال لعائشة: «يا عائش إن الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً هم أصحاب البدع وأصحاب الأهواء وأصحاب

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٣٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٢٩ رقم ٨١٥١) بسند ضعيف.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٣٣)، والطبراني في «الأوسط» رقم (٦٦٤) بسند ضعيف جدّاً.
قال ابن كثير في «تفسيره» (٦/ ٢٣٩): «لكن هذا الإسناد لا يصح؛ فإن عباد بن كثير متروك الحديث».

(٣) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٤٠٢).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٢٩ رقم ٨١٥٠)، والنحاس في «ناسخه» (ص٤٤٣) بسند ضعيف.
قال ابن كثير في «تفسيره» (٦/ ٢٣٩): «ولا يصح».

(٥) أخرجه الحكيم الترمذي (٢/ ٢٤٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٣ رقم ٨١٥٧)، والطبراني في «الصغير» (١/ ٣٣٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ١٣٨)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٧٢٣٩، ٧٢٤٠) بسند ضعيف.
قال الهيثمي (١/ ١٩٣): «رواه الطبراني في «الصغير» وفيه بقية، ومجالد بن سعيد وكلاهما ضعيف».
وقال ابن كثير في «تفسيره» (٦/ ٢٣٩): «ولا يصح رفعه».

الضلالة من هذه الأمة ليست لهم توبة، يا عائشة إن لكل صاحب ذنب توبة غير أصحاب البدع وأصحاب الأهواء ليس لهم توبة وهم مني بُرآء».

قال ابن كثير(١): هو غريب ولا يصح رفعه.

وأخرج عبد بن حميد(٢)، عن سعيد بن جبير، قال: لما نزلت: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ قال رجل مِنْ المسلمين: يا رسول الله لا إله إلا الله حسنة؟ قال: نعم، أفضل الحسنات.

وهذا مرسل ولا ندري كيف إسناده إلى سعيد؟

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو نعيم، في الحلية، عن ابن مسعود(٣) ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾. قال: لا إله إلا الله.

وأخرج ابن المنذر(٤)، عن ابن عباس، مثله.

وأخرج أبو الشيخ(٤)، عن أبي هريرة، مثله أيضاً.

وقد قدّمنا الإشارة إلى أنها قد ثبتت الأحاديث الصحيحة بمضاعفة الحسنة إلى عشر أمثالها فلا نطيل بذكرها.

ووردت أحاديث كثيرة في الزيادة على هذا المقدار، وفضل الله واسع، وعطاؤه جمّ.

[كل أعمال العبد يجب أَنْ تكون لله]:

﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾.

لما بيّن سبحانه أن الكفار تفرقوا فرقاً وتحزبوا أحزاباً، أمر رسوله ﷺ أن يقول

---

(١) في «تفسيره» (٦/ ٢٣٩).

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٤٠٣).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٣١ رقم ٨١٦٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٤٣) بسند حسن.

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٤٠٤).

لهم: ﴿إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي﴾؛ أي: أرشدني بما أوحاه إليّ ﴿إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ وهو ملة إبراهيم عليه السلام، و﴿دِينًا﴾ منتصب على الحال، كما قال قُطْرب[(١)]، أو على أنه مفعول هداني، كما قال الأخفش.

وقيل: منتصب[(٢)] بفعلٍ يدل عليه هداني؛ لأن معناه: عرّفني؛ أي: عرفني ديناً.

وقيل: إنَّه بدل[(٣)] مِنْ محل (إلى صراط)؛ لأن معناه: هداني صراطاً مستقيماً؛ كقوله تعالى: ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: ٢].

وقيل: منصوب بإضمار فعل؛ كأنه قيل: اتبعوا ديناً.

قوله: ﴿قِيَمًا﴾ قرأه الكوفيون، وابن عامر بكسر[(٤)] القاف، والتخفيف وفتح الياء.

وقرأه الباقون بفتح[(٥)] القاف وكسر الياء المشدّدة، وهما لغتان: ومعناه: الدين المستقيم الذي لا عوج فيه، وهو صفة لديناً، وصُف به مع كونه مصدراً مبالغةً، وانتصاب ﴿مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ على أنها عطف بيان لديناً، ويجوز نصبها بتقدير: أعني.

و﴿حَنِيفًا﴾ منتصب على أنه حال مِنْ إبراهيم، قاله الزجاج[(٦)].

وقال علي بن سليمان[(٧)]: هو منصوب بإضمار أعني. والحنيف: المائل إلى الحق. وقد تقدّم تحقيقه. ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ في محل[(٨)] نصب معطوف على حنيفاً، أو جملة معترضة مقررة لما قبلها.

---

(١) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ١١٠)، والقرطبي في «تفسيره» (٩/ ١٣٨).
(٢) «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١١٠)، و«البحر المحيط» (٤/ ٧٠٣).
(٣) «روح المعاني» (٨/ ٥٣٠)، و«التبيان» (١/ ٥٥٣).
(٤) «جامع البيان» (١٠/ ٤٤ ـ ٤٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ١٣٨)، و«البحر المحيط» (٤/ ٧٠٣ ـ ٧٠٤)، و«زاد المسير» (٣/ ١٦٠)، و«النشر» (٢/ ٢٦٧).
(٥) انظر: المصادر المتقدمة.
(٦) في «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣١١).
(٧) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/ ١٣٨). والمقصود: الأخفش الصغير.
(٨) «روح المعاني» (٨/ ٥٣١)، و«التبيان» (١/ ٥٥٣).

قوله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي﴾ أمره الله سبحانه أَنْ يقول لهم بهذه المقالة، عقب أمره بأن يقول لهم بالمقالة السابقة.

قيل: ووجه ذلك أن ما تضمنه القول الأوّل إشارة إلى أصول الدين، وهذا إلى فروعها.

والمراد بالصلاة: جِنْسُها، فيدخل فيه جميع أنواعها.

وقيل: المراد[(١)] بها هنا: صلاة الليل، وقيل: صلاة العيد.

والنسك: جمع نَسيكة، وهي الذبيحة كذا قال مجاهد[(٢)] والضحاك[(٣)]، وسعيد بن جبير[(٤)]، وغيرهم[(٥)]؛ أي: ذبيحتي في الحج والعمرة.

وقال الحسن[(٦)]: ديني.

وقال الزجاج[(٧)]: عبادتي مِنْ قولهم: نَسك فلان هو ناسكٌ: إذا تعبّد، وبه قال جماعة مِنْ أهل العلم.

﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾؛ أي: ما أعمله في حياتي ومماتي من أعمال الخير، ومن أعمال الخير في الممات: الوصية بالصدقات، وأنواع القربات؛ وقيل: نفس الحياة ونفس الموت ﴿لِلَّهِ﴾.

قرأ الحسن نُسْكي بسكون السين[(٨)]. وقرأ الباقون بضمها[(٩)].

وقرأ أهل المدينة محيايْ بسكون الياء[(١٠)]. وقرأ الباقون بفتحها[(١١)] لئلا يجتمع

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ١٣٨).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٤٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٣٤ رقم ٨١٨١) عن مجاهد بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٤٨) عن الضحاك بسند ضعيف.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٤٧) بسند صحيح.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٤٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٣٤ رقم ٨١٨١) بسند حسن.

(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/ ١٣٨). (٧) في «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣١٠).

(٨) «القراءات الشاذة» (ص٤٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ١٣٩). هي قراءة شاذة.

(٩) «البحر المحيط» (٥/ ٧٠٣)، و«النشر» (٢/ ٢٦٧)، و«التيسير» (ص١٠٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ١٣٩).

(١٠) «النشر» (٢/ ٢٦٧)، و«التيسير» (ص١٠٨).

(١١) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ١٣٩). هما قراءتان متواترتان لكن لورش عن نافع خلاف فله الفتح أيضاً.

ساكنان قال النحاس[١]: لم يجزه؛ أي: السكون أحد من النحويين إلا يونس، وإنما أجازه لأن المَدّة التي في الألف تقوم مقام الحركة.

وقرأ ابن أبي إسحاق، وعيسى بن عمرو، وعاصم [٢/١١٢] الجَحْدري، «مَحْيَيَّ»، مِنْ غير ألف[٢] وهي لغة عُليا مضر.

ومنه قول الشاعر[٣]:

سبقوا هَوَيَّ وأعنقوا لهواهمُ فتُخُرِّموا ولكل جنبٍ مَصرعُ

﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ أي: خالصاً له لا شريك له فيه، والإشارة ﴿وَبِذَٰلِكَ﴾ إلى ما أفاده ﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ من الإخلاص في الطاعة وجعلها لله وحده.

قوله: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾؛ أي: أوّل مسلمي أمته؛ وقيل: أوّل المسلمين أجمعين؛ لأنه وإن كان متأخراً في الرسالة، فهو أولهم في الخَلْق، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ الآية [الأحزاب: ٧]، والأوّل: أولى.

قال ابن جرير الطبري[٤]: استدل[٥] بهذه الآية الشافعي على مشروعية افتتاح الصلاة بهذا الذكر، فإن الله أمر به نبيّه، وأنزله في كتابه، ثم ذكر حديث عليّ[٦]، أن النبي ﷺ كان إذا قام إلى الصلاة قال: «وجهت وجهي للذي فطر السمٰوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين» إلى قوله ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾» قلت: هذا هو في صحيح مسلم[٦] مطوّلاً، وهو أحد التوجهات الواردة، ولكنه مقيد بصلاة الليل كما في الروايات الصحيحة، وأصح التوجهات الذي كان يلازمه النبي ﷺ ويرشد إليه هو: «اللَّهُمَّ باعد بيني وبين خطاياي»[٧] إلى آخره.

---

(١) في «إعراب القرآن» للنحاس (٢/١١١).
(٢) «القراءات الشاذة» (ص٤٢)، و«البحر المحيط» (٥/٧٠٣).
(٣) وهو: أبو ذُؤيب الهذلي. وقد تقدم. وهي قراءة شاذة.
(٤) بل هو: الكيا الطبري.
(٥) ذكره الكيا الطبريّ في أحكام القرآن (٣/١٢٩).
(٦) أخرجه أحمد في «مسنده» (١/٩٤)، ومسلم رقم (٢٠١/٧٧١)، والترمذي رقم (٢٤٢٣)، وأبو داود رقم (٧٦٠، ٧٦١)، وابن ماجه رقم (٨٦٤، ١٠٥٤)، والنسائي في «المجتبى» (٢/١٢٩ ـ ١٣٠).
(٧) أخرجه البخاري رقم (٧٤٤)، ومسلم رقم (٥٩٨)، وأحمد (٢/٢٣١)، وأبو داود رقم =

وقد أوضحنا هذا في شرحنا لـ«المنتقى»[١] بما لا يحتاج إلى زيادة عليه هنا.

وقد أخرج ابن أبي حاتم[٢]، عن مقاتل، في قوله: ﴿إِنَّ صَلَاتِي﴾ قال: يعني: المفروضة ﴿وَنُسُكِي﴾ يعني: الحج.

وأخرج عبد بن حميد، وأبو الشيخ، عن سعيد بن جبير[٣] ﴿وَنُسُكِي﴾ قال: ذبيحتي.

وأخرجا أيضاً عن قتادة[٣] ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ قال: حَجّي وذبيحتي.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن مجاهد[٤]، في قوله: ﴿وَنُسُكِي﴾ قال: ذبيحتي في الحج والعمرة.

وأخرج عبد الرزاق، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن قتادة[٥]، في قوله: ﴿وَنُسُكِي﴾ قال: ضحيتي. وفي قوله: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ قال: من هذه الأمة.

وأخرج الحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي، عن عمران[٦] بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: «يا فاطمة قومي فاشهدي أُضْحيتك، فإنه يغفر لك بأوّل قطرة تقطر من دمها كلَّ ذنب عملتيه، وقولي ﴿إِنَّ صَلَاتِي﴾ إلى ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾، قلتُ: يا رسول الله هذا لك ولأهل بيتك خاصة، فأهل ذلك أنتم أم للمسلمين عامة؟ قال: لا بل للمسلمين عامة».

= (٧٨١)، والنسائي (٢/ ١٢٨ ـ ١٢٩)، وابن ماجه رقم (٨٠٥)، والدارمي (١/ ٢٨٣ ـ ٢٨٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢/ ١٩٥)، وابن خزيمة رقم (٤٦٥)، والبغوي في «شرح السُّنَّة» (٣/ ٤٩ ـ ٥٠)، وابن حبان رقم (١٧٧٥).

(١) (٤/ ٩٠ ـ ١٠٨) ط. ابن الجوزي.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٣٤ رقم ٨١٨٠).

(٣) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٤١٠).

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٤٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٣٤ رقم ٨١٨١) بسند صحيح.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٣٥ رقم ٨١٨٤)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٤٨)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٢٢٣) بسند صحيح.

(٦) أخرجه الحاكم (٤/ ٢٢٢)، والبيهقي (٥/ ٢٣٨، ٢٣٩). صحَّحه الحاكم وتعقبه الذهبي بقوله: «بل أبو حمزة ضعيف جداً، وإسماعيل ليس بذاك».

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾﴾.

الاستفهام في ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا﴾ للإنكار[1]، وهو جواب على المشركين لما دعوه إلى عبادة غير الله؛ أي: كيفَ أبغي غير الله ربّاً مستقلّاً وأترك عبادة الله؟ أو شريكاً لله فأعبدهما معاً؟! والحال أنه ربّ كل شيء، والذي تدعونني إلى عبادته هو من جملة من هو مربوب له، مخلوق مثلي لا يقدر على نفع ولا ضرّ، وفي هذا الكلام من التقريع[2] والتوبيخ لهم ما لا يقادر قدره. وغير منصوب بالفعل الذي بعده، و«ربّاً» تمييز، أو مفعول ثان على جعل الفعل ناصباً لمفعولين.

قوله: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾؛ أي: لا يؤاخذ مما أتت من الذنب وارتكبت من المعصية سواها، فكل كسبها للشرّ عليها لا يتعداها إلى غيرها، وهو مثل قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦] وقوله: ﴿لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ١٥].

قوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ أصل الوزر الثِّقْل، ومنه قوله تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ [الشرح: ٢] وهو هنا الذنب ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾ [الأنعام: ٣١] قال الأخفش[3]: يقال: وزر يَوْزر، ووزر يَزِر وزراً، ويجوز إِزْراً، وفيه ردّ لما كانت عليه الجاهلية من مؤاخذة القريب بذنب قريبه، والواحد من القبيلة بذنب الآخر.

وقد قيل: إن المراد[4] بهذه الآية في الآخرة، وكذلك التي قبلها لقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥]، ومثله قول زينب

(١) «روح المعاني» (٨/ ٥٣٧)، و«البحر المحيط» (٤/ ٧٠٤).
(٢) «تفسير أبي السعود» (٣/ ١٥٣).
(٣) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٤٨٧).
(٤) «جامع البيان» (١٠/ ٤٨ ـ ٤٩).

بنت جحش: يا رسول الله أَنَهلِكُ وفينا الصالحون؟ قال: «نعم، إذا كثر الخَبَثُ»[(١)]، والأولى حمل الآية على ظاهرها؛ أعني: العموم، وما ورد من المؤاخذة بذنب الغير كالدية التي تحملها العاقلة ونحو ذلك، فيكون في حكم المخصص بهذا العموم، ويقرّ في موضعه ولا يعارض هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣] فإن المراد بالأثقال التي مع أثقالهم هي: أثقال الذين يُضلونهم كما في الآية الأخرى: ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [النحل: ٢٥].

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ﴾ يوم القيامة ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ في الدنيا، وعند ذلك يظهر حق المحقين وباطل المبطلين.

قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَـٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ خلائف جمع: خَليفة؛ أي: جعلكم خلفاء الأمم الماضية والقرون السالفة، قال الشمّاخ[(٢)]:

أُصيبُهُمُ وتُخطِئني المنايا وأَخلُف في ربوعٍ عن ربوعِ

أو المراد: أنَّه يخلف بعضُهم بعضاً، أو أن هذا النوع الإنساني خلفاء الله في أرضه.

﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَـٰتٍ﴾ في الخلق، والرزق، والقوة، والبسط والفضل والعلم. ودرجات منصوب[(٣)] بنزع الخافض؛ أي: إلى درجات ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾؛ أي: ليختبركم فيما آتاكم من تلك الأمور، أو ليبتلي بعضكم ببعض؛ كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ [الفرقان: ٢٠] ثم خوّفهم فقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ فإنّه وإن كان في الآخرة فكل آت قريبٍ كما قال: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: ٧٧] ثم رغب من يستحق الترغيب من المسلمين، فقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾؛ أي: كثير الغفران والرحمة.

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ٢٧٤)، والبخاري رقم (٧٠٥٩)، ومسلم في «صحيحه» رقم (٢٨٨٠).

(٢) انظر: «ديوان الشَّمَّاخ» (ص٢٢٤).

(٣) «البحر المحيط» (٤/ ٧٠٥)، و«روح المعاني» (٨/ ٥٣٧).

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس[١]، في قوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ﴾ قال: لا يُؤاخذ أحدٌ بذنب غيره. وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن السُّدّيّ[٢] في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ قال: أهلك القرون الأولى، فاستخلفنا فيها بعدهم ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ قال: في الرزق.

۞ ۞ ۞

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٣٥٣، ٣٥٤) بسند ضعيف.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٣٥ رقم ٨١٨٩)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٥٠) بسند حسن.

سُورَةُ الأَعْرَافِ

هي مكية إلا ثمان آيات، وهي قوله: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٦٣ ـ ١٦٥]. وقد أخرج ابن الضُّرَيس، والنحاس في «ناسخه»، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل»، من طرق عن ابن عباس(١)، قال: سورة الأعراف نزلت بمكة.

وأخرج ابن مردويه(٢)، عن عبد الله بن الزبير، مثله.

وأخرج ابن المنذر، وأبو الشيخ، عن قتادة(٢)، قال: آية من الأعراف مدنية، وهي: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ [الأعراف: ١٦٣] إلى آخر الآية، وسائرها مكية.

وقد ثبت(٣) أن النبي ﷺ كان يقرأ بها في المغرب يفرقها في الركعتين. وآياتها مائتان وست آيات. [٢/١١٣]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[الأمر باتباع ما أنزل الله]:

﴿الٓمٓصٓ ﴿١﴾ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾﴾.

قوله: ﴿الٓمٓصٓ﴾ قد تقدّم في فاتحة سورة البقرة ما يغني عن الإعادة، وهو

---

(١) أخرجه ابن الضريس في «فضائل القرآن» رقم (٢٠١) من طريق شهر بن حوشب، به.

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٤١٢).

(٣) أخرجه النسائي في «المجتبى» (٢/ ١٧٠)، وفي «الكبرى» رقم (١٠٦٥) من حديث عائشة رضي الله عنها. وهو حديث صحيح.

إما مبتدأ[(١)] وخبره كتابٌ؛ أي: ﴿الٓمٓصٓ﴾ حروف ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ أو هو خبر مبتدأ محذوف تقديره: هذا ﴿الٓمٓصٓ﴾؛ أي: المُسمّى به.

وأمَّا إذا كانت هذه الفواتح مسرودة على نمط التعديد فلا محل له.

و«كتابٌ» خبر المبتدأ على الوجه الأوّل، أو خبر مبتدأ محذوف على الثاني؛ أي: هو كتاب.

قال الكسائي[(٢)]: أي: هذا كتاب.

و﴿أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ صفة له ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ﴾ الحَرَج: الضيقُ؛ أي: لا يكن في صدرك ضيق منه، مِنْ إبلاغه إلى الناس، مخافة أن يكذّبوك، ويؤذوك، فإن الله حافظك، وناصُرك، وقيل: المراد: لا يضيق صدرك حيث لم يؤمنوا به ولم يستجيبوا لك ﴿فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾ [آل عمران: ٢٠].

وقال مجاهد[(٣)] وقتادة[(٤)]: الحَرَج هنا: الشك؛ لأن الشاك ضيق الصَدْر؛ أي: لا تشك في أنه منزل من عند الله، وعلى هذا يكون النهي له ﷺ، من باب التعريض، والمراد[(٥)]: أمته؛ أي: لا يشك أحد منهم في ذلك، والضمير في «منه» راجع إلى الكتاب، فعلى الوجه الأوّل: يكون على تقدير مضاف محذوف؛ أي: من إبلاغه، وعلى الثاني: يكون التقدير من إنزاله، والضمير[(٦)] في ﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾ راجع إلى الكتاب؛ أي: لتنذرَ الناس بالكتاب الذي أنزلناه إليك، وهو متعلّق بأنزل؛ أي: أنزل إليك لإنذارك للناس به، أو متعلق بالنهي؛ لأن انتفاء الشك في كونه منزلاً من عند الله، أو انتفاء الخوف من قومه يقوّيه على الإنذار ويشجعه؛ لأن المتيقن يُقْدِم على بصيرة، ويباشر بقوّة نفس.

---

(١) «التبيان» (١/ ٥٥٥)، و«البحر المحيط» (٥/ ٨ ـ ٩).

(٢) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ١١٣).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٥٤ ـ ٥٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٣٨ رقم ٨٢٠٨) بسند حسن.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٥٥)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٢٢٥) بسند صحيح.

(٥) قال القرطبي في «تفسيره» (٩/ ١٥٠): «وفيه بُعد».

(٦) «التبيان» (١/ ٥٥٥)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١١٤).

قوله: ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ الذكرى: التذكيرُ. قال البصريون[١]: الذكرى في محل رفع على إضمار مبتدأ. وقال الكسائي[٢]: هي في محل رفع عطفاً على كتاب، ويجوز النصب على المصدر؛ أي: وذكِّر به ذكرى قاله البصريون[٢]. ويجوز الجر حملاً على موضع لتنذر؛ أي: للإنذار والذكرى، وتخصيص الذكرى بالمؤمنين؛ لأنَّهم الذين ينجع فيهم ذلك، وفيه إشارة إلى تخصيص الإنذار بالكافرين.

قوله: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ يعني: الكتاب[٣] ومثله السُّنَّة لقوله: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧] ونحوها من الآيات، وهو أمر[٤] للنبي ﷺ ولأمته؛ وقيل: هو أمر للأمة بعد أمره ﷺ بالتبليغ، وهو منزل إليهم بواسطة إنزاله إلى النبي ﷺ ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ نهي للأمة عن أن يتبعوا أولياء من دون الله يعبدونهم ويجعلونهم شركاء لله، فالضمير على هذا في ﴿مِن دُونِهِ﴾ يرجع إلى ربّ، ويجوز أن يرجع إلى «ما» في ﴿مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم﴾؛ أي: لا تتبعوا من دون كتاب الله أولياء تقلدونهم في دينكم، كما كان يفعله أهل الجاهلية من طاعة الرؤساء فيما يحللونه لهم، ويحرمونه عليهم.

قوله: ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ انتصاب «قليلاً» على أنّه صفة[٥] لمصدر محذوف للفعل المتأخر؛ أي: تذكراً قليلاً، و«ما» مزيدة للتوكيد أو هو منتصب على الحال من فاعل لا تتبعوا، و«ما» مصدرية؛ أي: لا تتبعوا مِنْ دونه أولياء قليلاً تذكركم. قرئ «تذكرون» بالتخفيف[٦] بحذف إحدى التاءين، وقرئ بالتشديد[٧] على الإدغام.

قوله: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ «كم» هي الخبرية[٨] المفيدة للتكثير، وهي في موضع رفع على الابتداء.

---

(١) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ١١٤).
(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/ ١٥١)، والنحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ١١٤).
(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/ ١٥١).
(٤) «المحرر الوجيز» (٧/ ٧ ـ ٨).
(٥) «البحر المحيط» (٥/ ١٠)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢٢/ ١١٤).
(٦) «البحر المحيط» (٥/ ١١)، و«التيسير» (ص١٠٩)، و«النشر» (٢/ ٢٦٧)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٦٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ١٥٢).
(٧) انظر: المصادر المتقدمة. هما قراءتان متواترتان، فالتخفيف عن الكوفيين عدا شُعبَة، ووافقهم ابن عامر، وزاد ياءً قبل التاء، والتشديد عن الباقين. «تخريج القراءات في فتح القدير» (ص١٣٢).
(٨) «التبيان» (١/ ٥٥٦)، و«إعراب القرآن» (٢/ ١١٤).

و﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ الخبر، ومِنْ قرية تمييز، ويجوز أن تكون في محل نصب بإضمار فعل بعدها لا قبلها؛ لأن لها صدر الكلام، ولولا اشتغال «أهلكناها» بالضمير لجاز انتصاب كم به، والقرية: موضعُ اجتماع الناس؛ أي: كم مِنْ قرية من القرى الكبيرة أهلكناها نفسها بإهلاك أهلها، أو أهلكنا أهلها، والمراد: أردنا إهلاكها.

قولُه: ﴿فَجَآءَهَا بَأْسُنَا﴾ معطوف على أهلكنا بتقدير الإرادة كما مرّ؛ لأن ترتيب مجيء البأس على الإهلاك لا يصح إلا بهذا التقدير، إذ الإهلاك هو نفس مجيء البأس.

وقال الفرّاء[1]: إن الفاء بمعنى: الواو فلا يلزم التقدير، والمعنى: أهلكناها وجاءها بأسنا، والواو لمطلق الجمع لا ترتيب فيها.

وقيل: إن الإهلاك واقع لبعض أهل القرية؛ فيكون المعنى: وكم من قرية أهلكنا بعض أهلها فجاءها بأسُنا فأهلكنا الجميع.

وقيل: المعنى[2]: وكم من قرية حكمنا بإهلاكها فجاءها بأسنا.

وقيل: أهلكناها بإرسال ملائكة العذاب إليها فجاءها بأسنا، والبأس[3]: هو العذاب.

وحكى الفراء[4] أنه إذا كان معنى الفعلين واحداً أو كالواحد قدمت أيهما شئتَ فيكون المعنى: وكم مِنْ قرية جاءها بأسُنا فأهلكناها، مثل: دنا فقرب، وقرب فدنا.

﴿بَيَٰتًا﴾؛ أي: ليلاً؛ لأنَّه يبات فيه، يقال: بات يبيت بيتاً وبَياتاً، وهو مصدر واقع[5] موقع الحال؛ أي: بائتين.

قولُه: ﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ معطوف على بياتاً؛ أي: بائتين أو قائلين، وجاءت الجملة الحالية بدون واو استثقالاً لاجتماع الواوين، واو العطف وواو الحال، هكذا قال الفراء[6]. واعترضه الزجاج[7] فقال: هذا خطأ بل لا يحتاج إلى الواو، تقول:

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٧١ ـ ٣٧٢).
(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ١٥٣)، و«جامع البيان» (١٠/ ٥٨ ـ ٥٩).
(٣) «النكت والعيون» (٢/ ٢٠٠)، و«روح المعاني» (٩/ ١٥).
(٤) في «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٧١).
(٥) «التبيان» (١/ ٥٥٧)، و«الإملاء» (٢/ ٦٦٢).
(٦) في «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٧١). (٧) في «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣١٧).

«جاءني زيد راكباً، أَو هو ماش»، لأنَّ في الجملة ضميراً قد عاد إلى الأوّل، و«أو» في هذا الموضع للتفصيل لا للشك.

والقيلولة[١] هي نومُ نصف النهار. وقيل: هي مجرد الاستراحة في ذلك الوقت لشدّة الحرّ من دون نوم، وخصّ الوقتين لأنّهما وقتُ السكون والدعة، فمجيء العذاب فيهما أشدّ وأفظع.

قوله: ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ الدعوى: الدُّعاء؛ أي: فما كان دعاؤهم[٢] ربهم عند نزول العذاب، إلا اعترافهم بالظلم على أنفسهم، ومثله ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ﴾ [يونس: ١٠]؛ أي: آخر دعائهم.

وقيل: الدعوى هنا بمعنى[٢]: الادّعاء، والمعنى: ما كان ما يدّعونه لدينهم وينتحلونه إلا اعترافهم ببطلانه وفساده، واسم كان ﴿إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ﴾ وخبرها ﴿دَعْوَىٰهُمْ﴾ ويجوز العكس؛ والمعنى: ما كان دعواهم إلا قولهم [٢/١١٤] ﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾.

قوله: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ هذا وعيد شديد، والسؤال للقوم الذين أرسل الله إليهم الرسل من الأمم السالفة للتقريع[٣] والتوبيخ، واللام لام القسم؛ أي: لنسألنَّهم عما أجابوا به رسلَهم عند دعوتهم، والفاء لترتيب الأحوال الأخروية على الأحوال الدنيوية.

﴿وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾؛ أي: الأنبياء الذين بعثَهم اللهُ؛ أي: نسألهم[٤] عما أجاب به أممُهم عليهم ومَنْ أطاع منهم ومن عصى.

وقيل: المعنى: فلنسألن الذين أُرسل[٥] إليهم؛ يعني: الأنبياء، ولنسألن المرسلين؛ يعني الملائكة، ولا يعارض هذا قول الله سبحانه: ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص: ٧٨] لما قدّمنا غير مرة أن الآخرة مواطن، ففي موطن يسألون، وفي موطن لا يُسألون، وهكذا سائر ما ورد مما ظاهره التعارض بأن أثبت

---

(١) «تهذيب اللغة» (٩/ ٣٠٩)، و«الصحاح» (٥/ ١٨٠٨).
(٢) «معاني القرآن» للنحاس (٣/ ١٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ١٥٤).
(٣) «تفسير أبي السعود» (٣/ ١٥٩)، و«روح المعاني» (٩/ ٢١ ـ ٢٢).
(٤) «جامع البيان» (١٠/ ٦٤)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١١٥).
(٥) «جامع البيان» (١٠/ ٦٦)، و«مجمع البيان» (٨/ ١٤ ـ ١٥).

تارة ونفى أخرى، بالنسبة إلى يوم القيامة، فإنه محمول على تعدّد المواقف مع طول ذلك اليوم طولاً عظيماً.

﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ﴾؛ أي: على الرسل والمُرْسَل إليهم، ما وقع بينهم عند الدعوة منهم لهم بعلم لا بجهل؛ أي: عالمين بما يسرون وما يعلنون ﴿وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ عنهم في حال من الأحوال؛ حتى يخفى علينا شيء مما وقع بينهم.

وقد أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في «الأسماء والصفات»، وابن النجار في «تاريخه»، عن ابن عباس(١)، في قوله: ﴿الٓمٓصٓ﴾ قال: أنا الله أَفصِلُ.

وأخرج ابن جرير(٢)، عن سعيد بن جبير، مثله.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس(٣)، أن هذا ونحوه من فواتح السور قسم أقسم الله به، وهي من أسماء الله.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عن السدي(٤) في قوله: ﴿الٓمٓصٓ﴾ قال: هو المصوّر.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن محمد بن كعب(٥) القرظي في قوله: ﴿الٓمٓصٓ﴾ قال: الألف من الله، والميم من الرحمٰن، والصاد من الصمد.

وأخرج أبو الشيخ(٦)، عن الضحاك، قال: معناه: أنا الله الصادق.

ولا يخفى عليك أن هذا كله قول بالظن، وتفسير بالحَدْس، ولا حجة في شيء من ذلك.

والحق ما قدّمنا في فاتحة سورة البقرة.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٥٢) بسند ضعيف.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٥٢) بسند ضعيف.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٥٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٣٧ رقم ٨٢٠١) بسند صحيح.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٥٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٣٧ رقم ٨٢٠٢) بسند حسن.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٣٧ رقم ٨٢٠٥) من طريق محمد بن إسحاق، به.

(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٤١٣).

وأخرج عبدُ بن حُمَيد، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس(١): ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ قال: الشك، وقال لأعرابيّ: ما الحرج فيكم؟ قال: اللَّبْس.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، عن مجاهد(٢)، نحوه.

وأخرج أبو الشيخ(٣)، عن الضحاك، قال: ضَيْق.

وأخرج ابن أبي حاتم، عن ابن مسعود(٤): ما هلك قوم حتى يُعْذِروا من أنفسهم، ثم قرأ ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ﴾ الآية.

وأخرجه ابن جرير(٥) عنه مرفوعاً.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي، عن ابن عباس(٦): ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ قال: نسأل الناس عما أجابوا المرسلين، ونسأل المرسلين عما بلَّغوا، فلنقصنّ عليهم بعلم، قال: بوضع الكتاب يوم القيامة فتتكلم بما كانوا يعملون.

وأخرج عبد بن حُميد(٧)، عن فرقد، في الآية قال: أحدهما الأنبياء، وأحدهما الملائكة.

وأخرج ابن أبي حاتم(٨)، عن مجاهد، في الآية قال: نسأل الناس عن قول: لا إله إلا الله، ونسأل جبريل.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/١٤٣٨ رقم ٨٢٠٧)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٠/٥٤) بسند ضعيف.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/٥٤ ـ ٥٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/١٤٣٨ رقم ٨٢٠٨) بسند صحيح.

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/٤١٣).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/١٤٣٨ رقم ٨٢١٢) بسند منقطع. عبد الملك بن ميسرة لم يسمع من ابن مسعود.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/٦٢ ـ ٦٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/١٤٣٨ ـ ١٤٣٩ رقم ٨٢١٢) بسند ضعيف.

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/٦٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/١٤٣٩، ١٤٤٠ رقم ٨٢١٣، ٨٢١٨) بسند صحيح.

(٧) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/٤١٤).

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/١٤٣٩ رقم ٨٢١٥) بسند صحيح.

﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ (٩)﴾.

[قصةُ خلق آدم عليه السلام وسجود الملائكة له]:

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (١٠) وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (١١) قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (١٢) قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (١٣) قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (١٥) قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧) قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ (١٨)﴾.

قوله: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾ الوزن مبتدأ[١] وخبره الحق؛ أي: الوزن في هذا اليوم العدل الذي لا جَور فيه، أو الخبر: يومئذٍ، والحقُّ وصف[٢] للمبتدأ؛ أي: الوزن العدل كائن في هذا اليوم.

وقيل: إن الحق[٢] خبر مبتدأ محذوف.

واختلف أهل العلم في كيفية هذا الوزن الكائن في هذا اليوم، فقيل: المراد به: وزن صحائف أعمال العباد[٣] بالميزان وزناً حقيقياً، وهذا هو الصحيح، وهو الذي قامت عليه الأدلة.

وقيل: تُوزن نفس الأعمال، وإنْ كانت أعراضاً فإن الله يقلبها يوم القيامة أجساماً كما جاء في الخبر الصحيح[٤]: «إن البقرة وآل عمران يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غَيايتان أو فِرْقان مِنْ طير صوافّ».

---

(١) «روح المعاني» (٩/ ٢٣)، و«التبيان» (١/ ٥٥٧).

(٢) «البحر المحيط» (٥/ ١٤)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١١٥).

(٣) «النكت والعيون» (٢/ ٢٠١).

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (٥/ ٣٤٨)، ومسلم رقم (٤٠٨/ ٢٥٢)، والدارمي (٢/ ٤٥٠) من =

وكذلك ثبت في الصحيح[١]: أنه يأتي القرآن في صورة شاب شاحب اللون ونحو ذلك.

وقيل: الميزان[٢]: الكتاب الذي فيه أعمال الخلق؛ وقيل: الوزن[٣] والميزان بمعنى: العدل والقضاء، وذكْرهُما مِنْ باب ضرب المثل، كما تقول هذا الكلام في وزن هذا.

قال الزجاج[٤]: هذا سائغ مِنْ جهة اللسان، والأولى أن نتبع ما جاء في الأسانيد الصحاح مِنْ ذكر الميزان.

قال القُشيري[٥]: وقد أحسن الزجاج فيما قال، إذ لو حمل الميزان على هذا، فليُحْمل الصراط على الدين الحق، والجنةُ والنار على ما يرد على الأرواح دون الأجساد، والشياطين والجنّ على الأخلاق المذمومة، والملائكة على القوى المحمُودة.

ثم قال[٦]: وقد أجمعت الأمة في الصدر الأوّل على الأخذ بهذه الظواهر من غير تأويل، وإذا أجمعوا على منع التأويل وجب الأخذ بالظاهر، وصارت هذه الظواهر نصوصاً. انتهى.

والحق هو: القول الأوّل.

وأما المستبعدون[٧] لحمل هذه الظواهر على حقائقها فما يأتون في استبعادهم بشيء من الشرع يرجع إليه، بل غاية ما تشبثوا به مجرد الاستبعادات العقلية، وليس في ذلك حجة على أحد، فهذا إذا لم تقبله عقولهم، فقد قبلته عقول قوم هي أقوى مِنْ عقولهم من الصحابة والتابعين وتابعيهم، حتى جاءت البدع كالليل المُظْلم، وقال كلٌّ ما شاء، وتركوا الشرع خلف ظهورهم، وليتهم جاءوا بأحكام عقلية يتفق العقلاء

= حديث بريدة بن الخصيب.

(١) أخرجه ابن ماجه في «السنن» رقم (٣٧٨١) من حديث بريدة. وهو حديث صحيح.

(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/١٥٦)، والزجاج في «معاني القرآن» (٢/٣١٩).

(٣) ذكره الرازي في «تفسيره» (١٣/٢٥)، والقرطبي في «تفسيره» (٩/١٥٦).

(٤) في«معاني القرآن» للزجاج (٢/٣١٩).

(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/١٥٦).

(٦) قاله القرطبي في «تفسيره» (٩/١٥٦).

(٧) انظر: «زاد المسير» (٣/١٧٠)، و«جامع البيان» (١٠/٧٠).

عليها، ويتحد قبولهم لها؛ بل كل فريق يدّعي على العقل ما يُطابق هواه، ويوافق ما يذهب إليه هو أو مَنْ هو تابع له، فتتناقض عقولهم على حسب ما تناقضت مذاهبهم، يعرف هذا كل مُنْصِف، ومن أنكره فليصفّ فهمَه وعقله عن شوائب التعصب والتمذهب، فإنه إن فعل ذلك أسفر الصبح لعينيه.

وقد ورد ذكر الوزن والموازين في مواضع من القرآن [٢/١١٥] كقوله: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقوله: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، وقوله: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢، ١٠٣]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠]، وقوله: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة: ٦ ـ ٩]، والفاء في ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ للتفصيل.

والموازين: جمع ميزان(١)، وأصله مِوْزان قلبت الواو ياء لكسر ما قبلها. وثقل الموازين هذا يكون بثقل ما وضع فيها من صحائف الأعمال؛ وقيل: إن الموازين جمع مَوْزون؛ أي: فمن رجحت أعماله الموزونة، والأوّل أولى.

وظاهر جمع الموازين المضافة إلى العامل أنّ لكل واحد من العاملين موازين يُوزن بكلٍّ واحدٍ منها صنف من أعماله.

وقيل: وهو ميزان واحد عبّر عنه بلفظ الجمع كما يقال: خرج فلان إلى مكة على البغال(٢)، والإشارة بقوله: ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ﴾ إلى «مَنْ»، والجمع باعتبار معناه: كما رجع إليه ضمير ﴿مَوَٰزِينُهُۥ﴾ باعتبار لفظه، هو مبتدأ خبرُه ﴿هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ والكلام في قوله: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم﴾ مثله.

والباء(٣) في: ﴿بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ سببية، و«ما» مصدرية.

ومعنى ﴿يَظْلِمُونَ﴾: يكذبون.

قوله: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّـٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: جعلنا لكم فيها مكاناً وهيأنا لكم فيها أسباب المعايش.

---

(١) «الصحاح» (٦/٢٢١٣). (٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/١٥٨).
(٣) «التبيان» (١/٥٥٧)، و«روح المعاني» (٩/٢٩).

والمعايش[١]: جَمعُ معيشة؛ أي: ما يتعايش به مِنْ المطعوم والمشروب، وما تكون به الحياة، يقال: عاش يعيش عيشاً ومَعاشاً ومَعيشاً.

قال الزجّاج[٢]: المعيشة ما يُتوصلون به إلى العيش، والمعيشة عند الأخفش[٣] وكثير من النحويين مَفْعِلة.

وقرأ الأعرج: «معائش»[٤] بالهمز، وكذا روى خارجة بن مصعب، عَنْ نافع.

قال النحاس[٥]: والهمز لحنٌ لا يجوز؛ لأن الواحدة معيشة والياء أصلية، كمدينة ومداين، وصَحيفة وصحايف.

قوله: ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ الكلام فيه كالكلام فيما تقدّم قريباً من قوله تعالى: ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ هذا ذكر نعمة أخرى من نعم الله على عبيده.

والمعنى: خلقناكم نُطفاً، ثم صوّرناكم بعد ذلك، وقيل: المعنى: خلقنا آدم من تراب، ثم صوّرناكم[٦] في ظهره.

وقيل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ﴾ يعني: آدم ذكر بلفظ الجمع؛ لأنه أبو البشر، ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ راجع إليه، ويدلّ عليه: ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ﴾ فإن ترتيب هذا القول على الخلق والتصوير يفيد أن المخلوق المُصَوّر آدم عليه السلام.

وقال الأخفش[٧]: إن «ثُمّ» في ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ بمعنى الواو؛ وقيل المعنى: خلقناكم مِنْ ظهر آدم ثم صوّرناكم حين أخذنا عليكم الميثاق.

قال النحاس[٨]: وهذا أحسن الأقوال.

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/ ١٦٠).
(٢) في «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٢٠ ـ ٣٢١).
(٣) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٥١١ ـ ٥١٢).
(٤) «القراءات الشاذة» (ص٤٢)، و«البحر المحيط» (٥/ ١٥)، و«جامع البيان» (١٠/ ٧٤). هي قراءة شاذة ورواية خارجة عن نافع غلط فيها. «تخريج القراءات في فتح القدير» (ص١٣٣).
(٥) في «إعراب القرآن» (٢/ ١١٥).
(٦) انظر: «جامع البيان» (١٠/ ٧٥ ـ ٧٧).
(٧) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٥١٢).
(٨) في «إعراب القرآن» (٢/ ١١٦)، وفي «معاني القرآن» له (٣/ ١٢ ـ ١٣).

وقيل: المعنى(١): ولقد خلقنا الأرواح أوّلاً، ثم صوّرنا الأشباح، ثم قلنا للملائكة: اسجدوا لآدم؛ أي: أمرناهم بذلك فامتثلوا الأمر، وفعلوا السجود بعد الأمر.

﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ قيل: الاستثناء(٢) مُتصل بتغليب الملائكة على إبليس؛ لأنه كان منفرداً بينهم، أو كما قيل: لأن مِنْ الملائكة جِنْساً يقال لهم: الجنّ؛ وقيل غير ذلك.

وقد تقدّم تحقيقه في البقرة.

قوله: ﴿لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ جملة مُبيّنة لما فهم من معنى الاستثناء، ومن جعل الاستثناء منقطعاً قال: معناه: لكن إبليس لم يكن من الساجدين، وجملة: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ مستأنفة جواب سؤال مقدّر، كأنه قيل(٣): فماذا قال له الله؟ و«لا» في ﴿أن لا تسجد﴾ زائدة للتوكيد بدليل قوله تعالى في سورة صّ، ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ﴾ [صّ: ٧٥].

وقيل إن «منع» بمعنى قال، والتقدير: مَنْ قال لك أن لا تسجد.

وقيل: «منع» بمعنى دعا؛ أي: ما دعاك إلى أن لا تسجد؛ وقيل: في الكلام حذف، والتقدير: ما منعك من الطاعة وأحوجك إلى أن لا تسجد ﴿إِذْ أَمَرْتُكَ﴾؛ أي: وقت أمرتك، وقد استدل به على أن الأمر للفور، والبحث مُقرّر في علم الأصول(٤).

والاستفهام في ﴿مَا مَنَعَكَ﴾ للتقريع(٥) والتوبيخ، وإلا فهو سبحانه عالم بذلك.

وجملة: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ مستأنفة جواب سؤال مقدّر كأنّه قيل: فما قال إبليس؟ وإنما قال في الجواب: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾، ولم يقل: منعني كذا؛ لأن في هذه

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/ ١٦٣).

(٢) «مشكل إعراب القرآن» لمكي (١/ ٢٨٤)، و«روح المعاني» (٩/ ٣٤)، و«البحر المحيط» (٥/ ١٧).

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ١٦٤)، و«جامع البيان» (١٠/ ٨٢).

(٤) قال الشوكاني في «إرشاد الفحول» (ص٣٥٩) ط. دار ابن كثير. فدلّ على أنّه للفور وإلا لما استحق الذمَّ لأنّه لم يتضيَّق عليه وقته.
وانظر: «المحصول» (٢/ ١١٤ ـ ١١٦)، و«البحر المحيط» (٢/ ٣٩٧)، و«المسودة» (ص٢٥ ـ ٢٦).

(٥) «روح المعاني» (٩/ ٣٧)، و«البحر المحيط» (٥/ ١٧).

الجملة التي جاء بها مستأنفة ما يدل على المانع، وهو اعتقاده أنه أفضل منه.

والفاضل لا يفعل مثل ذلك للمفضول مع ما تفيده هذه الجملة من إنكار أن يُؤمر مثله بالسجود لمثله.

ثم علّل ما ادّعاه من الخيرية[١] بقوله: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ اعتقاداً منه أنَّ عنصر النار أفضلُ من عنصر الطين.

وقد أخطأ عدوّ الله، فإن عنصر الطين أفضلُ من عنصر النار مِنْ جهة رزانته[٢] وسكونه، وطول بقائه، وهي خفيفة مضطربة سريعة النفاد، ومع هذا فهو موجود في الجنة دونها، وهي عذاب[٣] دونه. وهي محتاجة إليه لتتحيز فيه، وهو مسجد[٤] وطهور، ولولا سبق شقاوته، وصدق كلمة الله عليه، لكان له بالملائكة المطيعين لهذا الأمر أسوة وقدوة، فعنصرهم النوري أَشرف مِنْ عنصره الناري.

وجملة ﴿قَالَ فَٱهْبِطْ﴾ استئنافية كالتي قبلها، والفاء لترتيب الأمر بالهبوط على مخالفته للأمر؛ أي: اهبط من السماء التي هي محل المطيعين مَنْ الملائكة الذين لا يعصون الله فيما أمرهم، إلى الأرض التي هي مقرّ مَنْ يعصي ويطيع، فإن السماء لا تصلح لمن يتكبّر، ويعصي ما أمر به مثلك، ولهذا قال ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾.

ومن التفاسير الباطلة ما قيل: إن معنى ﴿فَٱهْبِطْ مِنْهَا﴾؛ أي: اخرج[٥] من صورتك النارية التي افتخرت بها صورةً مظلمة مشوّهة.

وقيل: المراد: هبوطه مِنْ الجنة؛ وقيل: مِنْ زمرة الملائكة.

وجملة ﴿فَٱخْرُجْ﴾ لتأكيد الأمر بالهبوط، وجملة ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ تعليل للأمر؛ أي: إنك من أهل الصَّغَار، والهوان على الله وعلى صالحي عباده، وهكذا كلُّ مَنْ تردّى برداء الاستكبار، عُوقب بلبس رداء الهوان والصغار.

ومَنْ لبس رداء التواضع ألبسه الله رداء الترفّع.

---

(١) «معالم التنزيل» (٢/ ١٥٠)، و«المحرر الوجيز» (٧/ ١٨ ـ ١٩).
(٢) «جامع البيان» (١٠/ ٨٦).
(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ١٦٦)، و«زاد المسير» (٣/ ١٧٤).
(٤) كما في حديث جابر ﷺ: «... جُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً...» [البخاري رقم (٣٣٥)، ومسلم رقم (٥٢١)].
(٥) «المحرر الوجيز» (٧/ ٢٠ ـ ٢١)، و«البحر المحيط» (٥/ ١٩).

وجملة: ﴿قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ استئنافية كما تقدّم في الجُمل السابقة؛ أي: أمهلني إِلى يوم البعث، وكأنّه طلب أن لا يموت؛ لأن يوم البعث لا موت بعده.

والضمير في ﴿يُبْعَثُونَ﴾: لآدم وذريته، فأجابه الله بقوله: ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾؛ أي: المُمْهلين إلى ذلك اليوم، ثم تُعاقب بما قضاه الله لك، وأنزله بك في دركات النار[١].

قيل: الحكمة[٢] في إنظاره ابتلاء العباد، ليعرف من يطيعه ممن يعصيه.

وجملة: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ مستأنفة كالجمل السابقة، واردة جواباً لسؤال مقدّر، والباء في ﴿فَبِمَآ﴾ للسببية[٣]، والفاء ترتيب الجملة على ما قبلها؛ وقيل: الباء للقسم كقوله: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢]؛ أي: فبإغوائك إياي ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾، والإغواء[٤]: الإيقاع في الغيّ؛ وقيل: الباء[٥] بمعنى: اللام، وقيل: بمعنى: مع.

والمعنى: فمع إغوائك إياي؛ وقيل: (ما) في ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ للاستفهام. والمعنى: فبأي شيءٍ أغويتني؟ والأوّل أولى. [٢/١١٦] ومراده بهذا الإغواء الذي جعله سبباً لما سيفعله مع العباد هو ترك السجود منه، وأَنَّ ذلك كان بإغواء الله له، حتى اختار الضلالة على الهدى؛ وقيل: أراد به اللعنة التي لعنه الله؛ أي: فبما لعنتني فأهلكتني، لأقعدنّ لهم ومنه: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩]؛ أي: هلاكاً.

وقال ابنُ الأعرابي[٦]: يقال: غَوِي الرجل يَغْوي غَيّاً: إذا فسد عليه أمرُه أو فسد هو في نفسِه، ومنه: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١]؛ أي: فسد عيشُه في الجنّة ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ﴾؛ أي: لأجهدنّ في إغوائهم حتى يفسدوا بسببي كما فسدت بسبب تركي السجود لأبيهم.

---

(١) «البحر الوجيز» (٧/ ٢٠ ـ ٢١)، و«معالم التنزيل» (٢/ ١٥١).
(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ١٧٠).
(٣) «البحر المحيط» (٥/ ٢٠)، و«التبيان» (١/ ٥٥٩)، و«روح المعاني» (٩/ ٤٩).
(٤) «الصحاح» (٦/ ٢٤٥٠).
(٥) «البحر المحيط» (٥/ ٢٠)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١١٧)، و«روح المعاني» (٩/ ٤٩ ـ ٥٠).
(٦) ذكره الأزهري في «تهذيب اللغة» (٨/ ٢١٨).

والصراط المستقيم: هو الطريقُ الموصل إلى الجنَّة، وانتصابه[(١)] على الظرفية؛ أي: في صراطك المستقيم كما حكى سيبويه[(٢)]: ضُربَ زيدٌ الظهرَ والبطنَ.

واللام في ﴿لَأَقْعُدَنَّ﴾ لام القسم[(٣)]، والباء في ﴿بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ [الحجر: ٣٩] متعلقة بفعل القسم المحذوف؛ أي: فبما أغويتني أُقسم لأقعدنّ.

قوله: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ ذكر الجهات[(٤)] الأربع؛ لأنَّها هي التي يأتي منها العدو عدوّه، ولهذا ترك ذكر جهة الفوق[(٥)] والتحت، وعدى الفعل إلى الجهتين الأوليين بـ«من»، وإلى الأُخريَيْن «بعن»؛ لأن الغالب فيمن يأتي مِنْ قدّام وخلف أن يكون متوجهاً إلى ما يأتيه بكلية بدنه، والغالب فيمن يأتي من جهة اليمين والشمال أن يكون منحرفاً، فناسب في الأوليين التعدية بحرف الابتداء، وفي الأخريين التعدية بحرف المجاوزة، وهو تمثيل لوسوسته وتسويله بمَنْ يأتي حقيقة.

وقيل[(٦)]: المراد: ﴿مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ من دنياهم ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ من آخرتهم ﴿وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ من جهة حسناتهم ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ من جهة سيئاتهم، واستحسنه النحاس[(٧)].

قوله: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾؛ أي: وعند أن أفعل ذلك لا تجد أكثرهم شاكرين؛ لتأثير وسوستي فيهم وإغوائي لهم، وهذا قاله على الظنّ[(٨)]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ [سبأ: ٢٠].

وقيل: إنه سمع[(٩)] ذلك من الملائكة فقاله، وعبَّر بالشكر عن الطاعة أو هو على حقيقته، وأنهم لم يشكروا الله بسبب الإغواء.

---

(١) «البحر المحيط» (٥/ ٢١)، و«التبيان» (١/ ٥٥٩).
(٢) في «الكتاب» (١/ ٣٦، ١٥٨، ٢١٤).
(٣) «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١١٧)، و«روح المعاني» (٩/ ٥٠ ـ ٥١)، و«البحر المحيط» (٥/ ٢١ ـ ٢٢).
(٤) ذكره الألوسي في «روح المعاني» (٩/ ٥١ ـ ٥٢).
(٥) «جامع البيان» (١٠/ ١٠٠ ـ ١٠١).
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٩٨) عن إبراهيم النخعي، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٤٤ ـ ١٤٤٦ بإثر رقم ٨٢٤٤، ٨٢٥١، ٨٢٥٦، ٨٢٦٠) تعليقاً.
(٧) في «معاني القرآن» (٣/ ١٦ ـ ١٧).
(٨) «روح المعاني» (٩/ ٥٤)، و«المحرر الوجيز» (٧/ ٢٣)، و«جامع البيان» (١٠/ ١٠١).
(٩) ذكره أبو السعود في «تفسيره» (٣/ ١٦٩).

وجملة ﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا﴾ استئناف؛ كالجمل التي قبلها؛ أي: مِنْ السماء أو الجنة أو من بين الملائكة كما تقدّم.

﴿مَذْءُومًا﴾؛ أي: مذموماً مِنْ ذأمه[1] إذا ذمّه، يقال: ذأَمْته وذممتُه بمعنى.

وقرأ الأعمش: «مذموماً»[2].

وقرأ الزهريّ: «مذوماً»[3] بغير همزة.

وقيل: المذءوم: المنفي[4]، والمدحور: المطرود[5].

قوله: ﴿لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ قرأ الجمهور بفتح اللام[6] على أَنَّها لام القسم، وجوابه: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ وقيل: اللام في ﴿لَّمَن تَبِعَكَ﴾ للتوكيد، وفي ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾ لام القسم. والأوّل أولى، وجواب القسم سدّ مَسَدّ جواب الشرط؛ لأن «مَنْ» شرطية، وفي هذا الجواب مِنْ التهديد ما لا يُقادر قدره. وقرأ عاصم في رواية عنه ﴿لِّمَن تَبِعَكَ﴾ بكسر اللام[7]، وأنكره بعضُ النحويين[8].

قال النحاس[9]: وتقديره، والله أعلم، مِنْ أجل مَنْ اتبعك؛ كما يقال: أكرمت فلاناً لك.

وقيل: هو علةٌ لاخرج، وضمير ﴿مِنكُمْ﴾ له ولمن اتبعه، وغُلّب ضمير الخطاب على ضمير الغيبة، والأصل منك ومنهم.

وقد أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن

---

(١) «الصحاح» (٥/ ١٩٢٥).

(٢) «المحتسب» (١/ ٢٤٣)، و«القراءات الشاذة» (ص٤٢)، و«حاشية الجمل» (٢/ ١٢٧)، و«البحر المحيط» (٥/ ٢٣)، و«روح المعاني» (٩/ ٥٥).

(٣) انظر: المصادر المتقدمة. قال في «تخريج القراءات في فتح القدير» (ص١٣٣): (مذموماً) هي قراءة شاذة وقراءة الزهري شاذة حال الوصل أما في الوقف فهي قراءة حمزة وهي متواترة.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ١٠٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٤٧ رقم ٨٢٦٨) عن مجاهد بسند صحيح.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ١٠٣) عن مجاهد بسند صحيح.

(٦) «البحر المحيط» (٥/ ٢٤)، و«جامع البيان» (١٠/ ١٠٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ١٧٤).

(٧) «القراءات الشاذة» (ص٤٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ١٧٤)، هي رواية شاذة عن عاصم والمتواتر عنه كالجمهور.

(٨) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/ ١٧٤).

(٩) في «إعراب القرآن» (٢/ ١١٧).

مجاهد[١]، في قوله: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ قال: العدل ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ قال[٢]: حسناتُه ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ قال: حسناته.

وأخرج ابن أبي حاتم، عَن السدي[٣]، قال: تُوزن الأعمال.

وقد ورد في كيفية الميزان والوزن والموزون أحاديث كثيرة.

وأخرج أحمد، والترمذي، وابن ماجه، وابن حِبّان، والحاكم وصحّحه، وابن مردويه، والبيهقي، عَنْ عبد الله بن عمرو[٤] قال: قال رسول الله ﷺ: «يصاح برجل من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فيُنشر له تسعة وتسعون سِجِلّاً كل سجل منها مدّ البصر، فيقول: أتنكر مِنْ هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا ربّ، فيقول: أفلك عذر أو حسنة؟ فيهاب الرجل فيقول: لا يا ربّ، فيقول: بلى إنَّ لك عندنا حسنةً، وإنّه لا ظُلم عليك اليوم، فيُخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسولُه، فيقول: يا ربّ ما هذه البطاقة مع هذه السُّجِلّات؟ فيقال: إنك لا تُظْلم، فتوضع السجلات في كِفَّة، والبطاقة في كِفَّة، فطاشت السجلات وثَقُلت البطاقة» وقد صححه أيضاً الترمذي، وإسناد أحمد حسن.

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، والحاكم وصححه، والبيهقي في الشعب، عن ابن عباس[٥]، في قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ قال: خلقوا في أصلاب الرجال، وصوّروا في أرحام النِّساء.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٦٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٤٠ رقم ٨٢٢٢) بسند ضعيف.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٦٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٤١ رقم ٨٢٢٦) بسند ضعيف.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٦٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٤٠ رقم ٨٢٢٤) بسند حسن.

(٤) أخرجه أحمد رقم (٦٩٩٤)، والترمذي رقم (٢٦٣٩)، وابن ماجه رقم (٤٣٠٠)، وابن حبان رقم (٢٢٥)، والحاكم (٢/ ٦)، واللالكائي رقم (٢٢٠٤)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٢٨٣). وهو حديث صحيح.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٧٧)، والحاكم (٢/ ٣١٩) وصحَّحه على شرطهما ووافقه الذهبي، والبيهقي في «الشعب» رقم (١٠٦) بسند صحيح.

وأخرج الفريابي[(١)] عنه أنه قال: خلقوا في ظهر آدم، ثم صُوِّروا في الأرحام.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عنه[(٢)] أيضاً قال: أما ﴿خَلَقْنَٰكُمْ﴾ فآدم، وأما ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ فذريته.

وأخرج أبو الشيخ[(٣)]، عن عكرمة، في الآية قال: خلق إبليس من نار العزة. وقد ثبت في الصحيح[(٤)] من حديث عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «خلقت الملائكة مِنْ نور، وخلق إبليس مِنْ نار، وخلق آدم مما وصف لكم».

وأخرج ابن جرير[(٥)] عن الحسن قال: أوّل من قاس إبليس في قوله: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ وإسناده صحيح إلى الحسن.

وأخرج أبو نعيم في «الحلية»، والديلمي، عن جعفر[(٦)] بن محمد عن أبيه، عن جدّه، أن رسول الله ﷺ قال: «أوّل من قاس أمر الدين برأيه إبليس قال الله له: اسجد لآدم، فقال: أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين» قال جعفر: فمن قاس أمر الدين برأيه، قرنه الله يوم القيامة بإبليس؛ لأنّه اتبعه بالقياس، وينبغي أن ينظر في إسناد هذا الحديث، فما أظنّه يصحُ رفعُه وهو لا يشبه كلام النبوّة.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس[(٧)]، قال: ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ أضللتني.

وأخرج عبد بن حميد[(٨)]، عنه، في قوله: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ قال: طريق مكة.

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٤٢٤).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٧٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٤٢ رقم ٨٢٣٣، ٨٢٣٦) بسند صحيح.

(٣) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» رقم (٣١٣) بسند ضعيف. وأبو صالح مولى أم هانئ ضعيف، مدلس، وقد عنعن.

(٤) أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (٦٠/ ٢٩٩٦)، وأحمد (٦/ ١٦٨).

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٨٧) بسند صحيح.

(٦) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣/ ١٩٧). والحديثُ لا يصحُّ رفعه ففي سنده عمرو بن جُميع «متروك».

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٩١) بسند صحيح.

(٨) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٤٢٦).

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وأبو الشيخ، عن ابن مسعود[١] مثله.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن ابن عباس[٢] ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ﴾ قال: أشككهم في آخرتهم ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ قال: أرغبهم في دنياهم ﴿وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ أشبِّه عليهم أمر دينهم ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ﴾ قال: أسنّ لهم المعاصي وأحق عليهم الباطل ﴿وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ﴾ قال: موحدين.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عنه[٣] ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ﴾ يقول: من حيث يبصرون ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ من حيث لا يبصرون ﴿وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ من حيث يبصرون ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ﴾ من حيث لا يبصرون [٢/١١٧].

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، عنه[٤]، أيضاً في الآية قال: لم يستطع أن يقول من فوقهم.

وفي لفظ علم أن الرحمة تنزل من فوقهم.

وأخرج ابن أبي حاتم، عنه، في قوله: ﴿مَذۡءُومًا﴾ قال: ملوماً[٥]، مدحوراً: قال: مقيتاً[٦].

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن مجاهد[٧] ﴿مَذۡءُومًا﴾ قال: منفياً ﴿مَّدۡحُورٗاۖ﴾ قال: مطروداً.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٩٤) بسند ضعيف.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٩٦ ـ ٩٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٤٤٤، ١٤٤٥ رقم ٨٢٤٥، ٨٢٣٤٨، ٨٢٥٣) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٤٤، ١٤٤٦ رقم ٨٢٤٧، ٨٢٥٢، ٨٢٥٧، ٨٢٦١)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ١٠٠) عن مجاهد بسند صحيح.
وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٤٢٧) إلى ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ١٠١) عن ابن عباس بسند صحيح.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٤٧ رقم ٨٢٦٩) عن ابن عباس بسند ضعيف.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٤٧ رقم ٨٢٧١) عن ابن عباس بسند ضعيف.

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ١٠٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٤٧ رقم ٨٢٦٨) بسند صحيح.

[طلائع المعركة الكبرى التي لا تهدأ لحظة، بين العدو الجاهر بالعداوة وبين بني آدم جميعاً]:

﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

قولُه: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ﴾ هو على تقدير القول؛ أي: وقُلْنا: يا آدم. قال له هذا القول، بعد إخراج إبليس من الجنة، أو من السماء، أو مِنْ بين الملائكة كما تقدّم. وقد تقدّم معنى الإسكان، ومعنى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ في البقرة. ومعنى: ﴿مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ من أيِّ نوع من أنواع الجنة شئتما أكله، ومثله ما تقدّم من قوله تعالى: ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [البقرة: ٣٥] وحذف النون من ﴿فَتَكُونَا﴾ لكونه معطوفاً على المجزوم(١)، أو منصوباً على أنَّه جواب النهي.

قوله: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ الوسوسة(٢): الصوتُ الخفي، والوسوسة: حديث النفس، يُقال: وسوستْ إليه نفسُه وسوسةً ووِسْواساً بكسر الواو، والوَسوسة بالفتح: الاسم، مثل: الزِلْزلة والزِّلزال، ويقال لهمس الصائد، والكلاب، وأصوات الحَلْي: وَسْواس. قال الأعشى(٣):

تسمعُ للحَلْيِّ وَسواساً إذا انصرفتَ

والوَسْواس(٤): اسمُ الشيطان. ومعنى وسوس له: وسوس إليه، أو فعل الوسوسة لأجله.

---

(١) «إعراب القرآن» للنحاس (٢/١١٨)، و«البحر المحيط» (٥/٢٤)، و«روح المعاني» (٩/٥٩).
(٢) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٨٦٩). (٣) انظر: «ديوان الأعشى» (ص١٠٥).
(٤) «الصحاح» (٣/٩٨٨).

قولُه: ﴿لِيُبْدِيَ لَهُمَا﴾؛ أي: ليُظهر لهما، واللَّام[١] للعاقبة، كما في قوله: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨]، وقيل: هي لام كي[٢]؛ أي: فعل ذلك ليتعقبه الإيذاء، أو لكي يقع الإيذاء.

قولُه: ﴿مَا وُورِيَ﴾؛ أي: ما سُتر وغُطّي ﴿عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا﴾ سمي الفرج سوءة؛ لأن ظهوره يسوء صاحبَه، أراد الشيطان أن يسوءهما بظهور ما كان مستوراً عنهما من عوراتهما، فإنّهما[٣] كانا لا يريان عورة أنفسهما، ولا يراها أحدُهما مِنْ الآخر، وإنما لم تقلب الواو في ﴿وُورِيَ﴾ همزة؛ لأن الثانية مدة.

قيل: إنما بدت عورتهما لهما لا لغيرهما، وكان عليهما نور يمنع مِنْ رؤيتها ﴿وَقَالَ﴾؛ أي: الشيطان لهما: ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ﴾ أكل هذه الشجرة ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾ «أَنْ» في موضع نصب، وفي الكلام مضاف محذوف تقديره: إلَّا كراهة أن تكونا ملَكين، هكذا قال البصريون[٤]. وقال الكوفيون[٧]: التقدير: لئلا تكونا ملكين ﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ في الجنّة، أو من الذين لا يموتون.

قال النحاس[٥]: فضّل الله الملائكة على جميع الخلق في غير موضع في القرآن، فمنها هذا، ومنها: ﴿وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾ [هود: ٣١]، ومنها ﴿وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: ١٧٢].

قال ابن فُورَك[٦]: لا حجة في هذه الآية؛ لأنّه يحتمل أن يريد ملَكين في أن لا يكون لهما شهوة في الطعام.

وقد اختلف الناس في هذه المسألة اختلافاً كثيراً، وأطالوا الكلام في غير طائل، وليست هذه المسألة مما كلّفنا الله بعلمه، فالكلام فيها لا يَعْنينا.

وقرأ ابن عباس، ويحيى بن أبي كثير، والضحاك: «مِلكين» بكسر اللام[٧]،

---

(١) «البحر المحيط» (٥/ ٢٥)، و«روح المعاني» (٩/ ٦٠)، و«تفسير أبي السعود» (٣/ ١٧٠).
(٢) انظر: المصادر المتقدمة.
(٣) ذكره أبو السعود في «تفسيره» (٣/ ١٧٠).
(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/ ١٧٥ ـ ١٧٦)، والنحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ١١٨).
(٥) في «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١١٨ ـ ١١٩).
(٦) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٧/ ٣١)، والقرطبي في «تفسيره» (٩/ ١٧٦)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (٥/ ٢٥).
(٧) «القراءات الشاذة» (ص٤٢)، و«جامع البيان» (١٠/ ١٠٨)، و«حاشية الجمل» (٢/ ١٢٩)، =

وأنكر أبو عمرو[١] بن العلاء هذه القراءة وقال: لم يكن قبل آدم مَلِكٌ فيصيرا مَلِكين.

وقد احتج مَنْ قرأ بالكسر بقوله تعالى: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه: ١٢٠]. قال أبو عُبيد[٢]: هذه حُجة بيّنة لقراءة الكسر، ولكنّ الناس على تركها فلهذا تركناها.

قال النّحاس[٣]: هي قراءة شاذة، وأنكر على أبي عُبيد هذا الكلام وجعله من الخطأ الفاحش. قال: وهل يجوز أن يتوهم على آدم عليه السلام أن يصل إلى أكثر من ملك الجنة وهي غاية الطالبين؟ وإنما معنى ﴿لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه: ١٢٠]: المُقام في مُلْك الجنة والخلود فيه.

قوله: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾؛ أي: حلف لهما فقال: أقسم إقساماً؛ أي: حلف، ومنه قول الشاعر[٤]:

وقاسمهما باللّه جَهداً لأنتما ... ألذُّ من السلوى إذا ما نَشُورُها

وصيغة المفاعلة وإن كانت في الأصل تدلّ على المشاركة، فقد جاءت كثيراً لغير ذلك.

وقد قدّمنا تحقيق هذا في المائدة، والمراد بها هنا: المبالغة في صدور الإقسام لهما مِنْ إبليس؛ وقيل: إنهما أقسما له بالقبول، كما أقسم لهما على المناصحة.

قوله: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾ التدلية[٥] والإدلاء: إرسالُ الشيء مِنْ أعلى إلى أسفل، يقال: أدلى دَلْوَه: أرسلها، والمعنى: أنه أهبطهما بذلك من الرتبة العلية إلى الأكل من الشجرة؛ وقيل: معناه: أوقعهما في الهلاك؛ وقيل: خدعهما، وأنشد نفطويه[٦]:

إن الكريمَ إذا تشاء خدعْتَه ... وترى اللئيمَ مُجرّباً لا يُخدعُ

= و«البحر المحيط» (٥/ ٢٥). هي قراءة شاذة.

(١) «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١١٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ١٧٧).

(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/ ١٧٧)، والنحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ١١٨).

(٣) في «إعراب القرآن» (٢/ ١١٨).

(٤) هو: خالد بن زهير الهُذلي. وقد تقدم.

(٥) «الصحاح» (٦/ ٢٣٣٨ ـ ٢٣٣٩)، و«مفردات ألفاظ القرآن» (ص٣١٧).

(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/ ١٧٨).

وقيل: معنى: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا﴾ دلّلهما مِنْ الدَّالة، وهي الجُرأة؛ أي: جرّأهما على المعصية، فخرجا مِنْ الجنّة.

قولُه: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾؛ أي: لما طعماها ظهرت لهما عوراتُهما، بسبب زوال ما كان ساتراً لها، وهو تقلّص النور الذي كان عليها. وقد تقدّم في البقرة.

قوله: ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ طَفَق يفعل كذا بمعنى: شَرَع يفعل كذا.

وحكى الأخفش[(١)]: طَفَق يطفِق مثل: ضَرَبَ يَضْرِبُ؛ أي: شرعا أو جعلا يخصفان عليهما.

قرأ الحسن: «يخِصّفان» بكسر[(٢)] الخاء وتشديد الصاد، والأصل يختصفان، فأدغم وكسرت الخاء لالتقاء الساكنين.

وقرأ ابن بريدة ويعقوب بفتح[(٣)] الخاء.

وقرأ الزهري[(٤)]: «يُخْصفان» من أخصف.

وقرأ الجمهور[(٥)]: «يَخْصفان» من خصف.

والمعنى: أنهما أخذا يقطعان الورق ويلزقانه بعورتهما ليستراها، من خصف[(٦)] النعل: إذا جعله طبقة فوق طبقة. ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ﴾ قائلاً لهما: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ التي نهيتكما عن أكلها، وهذا عتاب مِنْ الله لهما وتوبيخ[(٧)]، حيث لم يحذرا ما حذّرهما منه ﴿وَأَقُل لَّكُمَآ﴾ معطوف على «أنهكما» ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾؛ أي: مُظْهِر للعداوة.

---

(١) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٥١٥).
(٢) «القراءات الشاذة» (ص٤٢)، و«المحتسب» (١/ ٢٤٥)، و«روح المعاني» (٩/ ٦٥).
(٣) «القراءات الشاذة» (ص٤٢)، و«المحتسب» (١/ ٢٤٥)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١١٩).
(٤) «المحتسب» (١/ ٢٤٥)، و«البحر المحيط» (٥/ ٢٧)، و«روح المعاني» (٩/ ٦٥).
(٥) «البحر المحيط» (٥/ ٢٧)، و«جامع البيان» (١٠/ ١١٠ ـ ١١١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ١٨٠). قراءة الجمهور هي المتواترة فقط، والرواية عن يعقوب شاذة، وبقية القراءات التي ذكرها المؤلف كلها شاذة.
(٦) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٢٨٤)، و«الصحاح» (٤/ ١٣٥٠).
(٧) ذكره أبو السعود في «تفسيره» (٣/ ١٧١)، والألوسي في «روح المعاني» (٩/ ٦٥).

قولُه: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ جملة استئنافية[1] مبنية على تقدير سؤال كأنه قيل: فماذا قالا؟ وهذا منهما اعتراف بالذنب، وأنهما ظلما أنفسهما مما وقع منهما من المخالفة، ثم قالا: ﴿وَإِن لَّمْ [٢/١١٨] تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

وجملة ﴿قَالَ ٱهْبِطُواْ﴾ استئناف كالتي قبلها، والخطاب لآدم وحواء وذريتهما، أو لهما ولإبليس.

وجملة ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ في محل نصب على الحال ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾؛ أي: موضع استقرار.

﴿وَ﴾ لكم ﴿مَتَٰعٌ﴾ تتمتعون به في الدنيا، وتنتفعون به من المطعم والمشرب ونحوهما.

﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾؛ أي: إلى وقت، وهو وقت موتكم.

وجملة ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ استئنافية كالتي قبلها؛ أي: في الأرض[2] تحيون، وفيها يأتيكم الموت، ومنها تخرجون إلى دار الآخرة، ومثله قوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ١٥٥].

واعلم أنه قد سبق شرح هذه القصة مستوفى في البقرة فارجع إليه.

وقد أخرج الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول»، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، وابن عساكر، عن وهب بن منبه[3] في قوله: ﴿لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا﴾ قال: كان على كل واحدٍ منهما نور لا يُبْصر كل واحد منهما سوءة صاحبه، فلما أصابا الخطيئة نُزع عنهما.

وأخرج عبد بن حُمَيد، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس[4]، قال: أتاهما إبليس فقال: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾ مثلَه، يعني: مثل الله ﷻ، فلم يصدّقاه حتى دخل في جوف الحية فكلمهما.

---

(١) «البحر المحيط» (٥/٢٩). (٢) «جامع البيان» (١٠/١١٨ ـ ١١٩).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/١١٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/١٤٥٩ رقم ٨٣٤٨)، وابن عساكر في «تاريخ مدينة دمشق» (٧/٤٠١)، والحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٢/٢٩) بسند صحيح.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/١٤٥٠ رقم ٨٢٨٨) بسند ضعيف.

وأخرج أبو الشيخ[(١)]، عن ابن عباس، في الآية ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾ فإن أخطأكما أن تكونا مَلِكين لم يخطئكما أن تكونا خالدين فلا تموتان فيها أبداً ﴿وَقَاسَمَهُمَآ﴾ قال: حلفَ لهما ﴿إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن محمد بن كعب[(٢)]، في قوله: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾ قال: منّاهما بغرور.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي شيبة، عن عكرمة[(٣)] قال: لباس كلِّ دابة منها، ولباس الإنسان الظُفر، فأدركت آدم التوبة عند ظُفره.

وأخرج الفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ وابن مردويه، والبيهقي، وابن عساكر، عن ابن عباس[(٤)]، قال: كان لباس آدم وحواء كالظُفر، فلما أكلا من الشجرة لم يبق عليهما إلا مثل الظُفر ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ قال: ينزعان وَرَق التين، فيجعلانه على سوآتهما.

وأخرج ابن أبي حاتم[(٥)] عنه قال: لما أسكن الله آدم الجنة كساه سربالاً من الظُفر، فلما أصاب الخطيئة سلبه السربال، فبقي في أطراف أصابعه.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عنه[(٦)]، نحوه من طريق أخرى.

وأخرج ابن أبي حاتم[(٧)]، عَنْ أنس بن مالك، قال: كان لباس آدم في الجنّة الياقوت، فلما عصى قُلِّص فصار الظفر.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن مجاهد في قوله: ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ﴾ قال: يرُقِّعان كهيئة الثوب.

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٤٣١).
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٥١ رقم ٨٢٩٧) بسند ضعيف.
(٣) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٤٣١).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ١١١ ـ ١١٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٥٢ رقم ٨٣٠٢)، والبيهقي (٢/ ٢٤٤)، وابن عساكر في «تاريخ مدينة دمشق» (٧/ ٤٠٢، ٤٠٣) بسند صحيح.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٥٢ رقم ٨٣٠٠) بسند صحيح.
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٥٩ رقم ٨٣٤٥) بسند ضعيف.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٥٩ رقم ٨٣٤٧) بسند صحيح.

وأخرج ابن أبي حاتم(١)، عن السُّدّيّ: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ قال آدم: ربّ إنه حلف لي بك، ولم أكن أعلم أن أحداً مِنْ خلقك يحلف بك إلا صادقاً.

وأخرج عبد بن حميد(٢)، عن الحسن ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا﴾ الآية قال: هي الكلمات التي تلقَّى آدم من ربه.

وأخرج عبد بن حميد(٣) عن الضحاك مثله.

[تذكير بني آدم بنعمة الله في إنزال اللباس الذي يواري سوآتهم والرياش الذي يتزينون به]:

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

عبّر سبحانه بالإنزال عن الخلق؛ أي: خلقنا لكم لباساً يواري سوآتكم التي أظهرها إبليس مِنْ أبويكم، والسوءة: العورة كما سلف، والكلام في قدرها وما يجب ستره منها مُبيّن في كتب الفروع(٤).

قوله: ﴿وَرِيشٗاۖ﴾ قرأ الحسن وعاصم، من رواية المفضّل الضبي، وأبو عمرو، مِنْ رواية الحسن بن عليّ الجُعفي: «ورياشاً»(٥) وقرأ الباقون: «وريشاً»(٦) والرياش: جمع ريش وهو اللِّباس.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ١١٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٥٢ رقم ٨٣٠٣) بسند صحيح.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٥٣ رقم ٨٣١٠) بسند حسن.
(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٤٣٢، ٤٣٣).
(٤) انظر: «الاستذكار» (٥/ ٤٣٩)، و«التمهيد» (٦/ ٣٨٠)، و«أحكام القرآن» لابن العربي (٢/ ٧٧١).
(٥) «القراءات الشاذة» (ص٤٣)، و«المحتسب» (١/ ٢٤٦)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٢٠). وهي قراءة شاذة والرواية عن عاصم وأبي عمرو شاذة «تخريج القراءات في فتح القدير» (ص١٣٣).
(٦) «البحر المحيط» (٥/ ٣٠)، و«جامع البيان» (١٠/ ١٢٢)، و«زاد المسير» (٣/ ١٨١)، و«روح المعاني» (٩/ ٧١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ١٨٥).

قال الفرّاء[١]: رِيشٌ ورياش كما يقال: لِبس ولِباس، وريش الطائر: ما ستره الله به.

وقيل[٢]: المراد بالريش هنا: الخِصْب ورفاهية العيش.

قال القرطبي[٣]: والذي عليه أكثر أهل اللغة: أنّ الريش ما ستر من لباس أو معيشة.

وحكى أبو حاتم عن أبي عُبيدة[٤]: وهبتُ له دابّة وريشها؛ أي: وما عليها من اللباس.

وقيل: المراد بالريش هنا: لباس الزينة لذكره بعد قوله: ﴿قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾ وعطفه عليه.

قوله: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ قرأ أهل المدينة وابن عامر والكسائي بنصب[٥] لباس.

وقرأ الباقون[٦] بالرفع؛ فالنصب على أنه معطوف على لباس الأوّل، والرفع على أنه مبتدأ.

وجملة ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ خبره، والمراد بلباس التقوى: لباس الورع، واتقاء معاصي الله، وهو الورع نفسه والخشية من الله، فذلك خير لباس وأجمل زينة.

وقيل: لباس التقوى: الحياء؛ وقيل: العمل الصالح، وقيل: هو لباس الصوف والخَشِن من الثياب لما فيه من التواضع لله؛ وقيل: هو الدرع والمِغْفَر الذي يلبسه من يجاهد في سبيل الله، والأوّل أولى.

وهو يصدق على كل ما فيه تقوى لله فيندرج تحته جميع[٧] ما ذُكر من الأقوال، ومثل هذه الاستعارة كثيرة الوقوع في كلام العرب، ومنه:

إذ المرءُ لم يَلْبَسْ ثياباً من التقى ... تقلَّبَ عُرْياناً وإن كان كاسيا[٨]

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٧٥).
(٢) «جامع البيان» (١٠/ ١٢٢ ـ ١٢٤).
(٣) في «تفسيره» (٩/ ١٨٥).
(٤) في «مجاز القرآن» (١/ ٢١٣).
(٥) «الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٦٠)، و«التيسير» (ص١٠٩)، و«زاد المسير» (٣/ ١٨٢)، و«النشر» (٢/ ٢٦٨)، و«جامع البيان» (١٠/ ١٢٨)، و«البحر المحيط» (٥/ ٣١).
(٦) انظر: المصادر المتقدمة.
(٧) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ١٨٥ ـ ١٨٦)، و«جامع البيان» (١٠/ ١٢٩ ـ ١٣٠).
(٨) لأبي العتاهية. انظر: «ديوانه» (ص٤٣٤).

ومثله:

تغطَّ بأثواب السخاءِ فإنّني أرى كلَّ عيب والسخاءُ غطاؤُهُ

والإشارة بقوله: ﴿ذَلِكَ﴾ إلى لباس التقوى؛ أي: هو خيرُ لباسٍ، وقرأ الأعمش[1]: «ولباس التقوى خير».

والإشارة بقوله: ﴿ذَلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ إلى الإنزال المدلول عليه بأنزلنا؛ أي: ذلك الإنزال من آيات الله الدالة على أن له خالقاً، ثم كرّر الله سبحانه النداء لبني آدم تحذيراً لهم من الشيطان، فقال: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾؛ أي: لا يُوقعنكم في الفتنة، فالنّهي وإن كان للشيطان، فهو في الحقيقة لبني آدم بأن لا يفتتنوا بفتنته ويتأثروا لذلك.

والكاف في ﴿كَمَآ أَخْرَجَ﴾ نعت[2] مصدر محذوف؛ أي: لا يفتننكم فتنة مثل إخراج أبويكم مِنْ الجنة.

وجملة: ﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾ في محل نصب[3] على الحال، وقد تقدّم تفسيره، واللّام في ﴿لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ﴾ لام كي؛ أي: لكي يريَهما، وقد تقدّم تفسيره أيضاً.

قوله: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ هذه الجملة تعليل لما قبلها، مع ما تتضمنه من المبالغة في تحذيرهم منه؛ لأنّ من كان بهذه المثابة يرى بني آدم من حيث لا يرونه، كان عظيم الكيد، وكان حقيقاً بأن يُحترس منه أبلغ احتراس ﴿وَقَبِيلُهُۥ﴾ أعوانه[4] مِنْ الشياطين وجنوده.

وقد استدل جماعة من أهل العلم[5] بهذه الآية على أن رؤية الشياطين غير ممكنة، وليس في الآية ما يدل على ذلك، وغاية ما فيها أنه يرانا من حيث لا نراه، وليس فيها أنا لا نراه أبداً، فإن انتفاء الرؤية منا له في وقت رؤيته لنا لا يستلزم انتفاءها[6] مطلقاً، ثم

---

(١) «القراءات الشاذة» (ص٤٣)، و«معاني القرآن» (٣/ ٢٤). هي قراءة شاذة مخالفة للرسم.
(٢) «البحر المحيط» (٥/ ٣٢)، و«روح المعاني» (٩/ ٧٣).
(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ١٨٧)، و«روح المعاني» (٩/ ٧٣)، و«البيان» (١/ ٥٦٣).
(٤) «جامع البيان» (١٠/ ١٣٦).
(٥) «مجمع البيان» (٨/ ٣٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢/ ١٢١).
(٦) «إعراب القرآن» (٢/ ١٢١).

أخبر الله سبحانه بأنَّه جعل الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون مِنْ عباده وهم: الكفارُ.

وقد أخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن مجاهد[(١)]، في قوله: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ﴾ قال: كان ناس من العرب يطوفون بالبيت عراة، وفي قوله[(٢)]: ﴿وَرِيشٗاۖ﴾ قال: المال.

وأخرج ابن جرير، عن عروة بن الزبير[(٣)]، في قوله: ﴿لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ﴾ قال: الثياب ﴿وَرِيشٗاۖ﴾ قال: المال ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾ قال: خشية الله.

وأخرج ابنُ أبي حاتم[(٤)]، عن زيد بن عليّ، في قوله: ﴿لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ﴾ قال: لباس العامة ﴿وَرِيشٗاۖ﴾ [٢/١١٩] قال: لباس الزينة ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾ قال: الإسلام.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، من طرق عن ابن عباس[(٥)]، في قوله: ﴿وَرِيشٗاۖ﴾ قال: المال واللباس والعيش والنعيم، وفي قوله: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾ قال: الإيمان والعمل الصالح ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾ قال: الإيمان والعمل خير مِنْ الريش واللباس.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عنه[(٦)]، في قوله: «ورياشاً» يقول: المال.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن مجاهد، في قوله[(٧)]: ﴿يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾ قال: التقوى، وفي قوله[(٨)]: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ﴾ قال: الجن والشياطين.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ١٢٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٥٦ رقم ٨٣٢٨) بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ١٢٣) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ١٢٤) بسند ضعيف.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٥٧ رقم ٨٣٣٤) بسند حسن.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ١٢٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٥٧ رقم ٨٣٣٣) بسند ضعيف.

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ١٢٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٥٧ رقم ٨٣٣١) بسند صحيح.

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ١٣٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٦٠ رقم ٨٣٤٩) بسند ضعيف.

(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ١٣٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٦٠ رقم =

[الله لا يأمر بالفحشاء أمراً شرعياً]:

﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا ءَابَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

الفاحشة: ما تبالغ في فُحشه وقبحه من الذنوب.

قال أكثر المفسرين[١]: هي طواف المشركين بالبيت عُراةً.

وقيل: هي الشرك، والظاهر أَنَّها تَصْدُق على ما هو أعم من الأمرين جميعاً، والمعنى: أنهم إذا فعلوا ذنباً قبيحاً متبالغاً في القبح، اعتذروا عن ذلك بعذرين[٢]:

(الأوّل): أنهم فعلوا ذلك اقتداء بآبائهم لما وجدوهم مستمرين على فعل تلك الفاحشة.

(والثاني): أنهم مأمورون بذلك مِنْ جهة الله سبحانه.

وكلا العذرين في غاية البطلان والفساد؛ لأن وجود آبائهم على القبح لا يسوّغ لهم فعله، والأمر مِنْ الله سبحانه لهم لم يكن بالفحشاء؛ بل أمرهم باتباع الأنبياء والعمل بالكتب المنزلة، ونهاهم عَنْ مخالفتهما، ومما نهاهم عنه فعل الفواحش، ولهذا ردّ الله سبحانه عليهم بأن أمر نبيه ﷺ أن يقول لهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ فكيف تدّعون ذلك عليه سبحانه.

ثُمّ أنكر عليهم ما أضافوه إليه، فقال: ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ وهو من تمام ما أمر النبي ﷺ بأن يقوله لهم، وفيه من التقريع[٣] والتوبيخ أمر عظيم، فإن القول بالجهل إذا كان قبيحاً في كلِّ شيء، فكيف إذا كان في التقوّل على الله؟ وإن

= (٨٣٥٢) بسند صحيح.

(١) «جامع البيان» (١٠/١٣٨ ـ ١٣٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٩/١٨٩ ـ ١٩٠)، و«مجمع البيان» (٨/٣٩).

(٢) «روح المعاني» (٩/٧٦ ـ ٧٧)، و«النكت والعيون» (٢/٢١٦).

(٣) «البحر المحيط» (٥/٣٤)، و«روح المعاني» (٩/٧٨).

في هذه الآية الشريفة لأعظم زاجر، وأبلغ واعظ، للمقلِّدة الذين يتبعون آباءهم في المذاهب المخالفة للحق، فإن ذلك من الاقتداء بأهل الكفر لا بأهل الحق، فإنهم القائلون: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣] والقائلون: ﴿وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾.

والمُقلّد لولا اغتراره بكونه وجد أباه على ذلك المذهب، مع اعتقاده بأنه الذي أمر الله به، وأنه الحق لم يبق عليه، وهذه الخصلة هي التي بقي بها اليهودي على اليهودية، والنصراني على النصرانية، والمبتدع على بدعته، فما أبقاهم على هذه الضلالات إلا كونهم وجدوا آباءهم في اليهودية، والنصرانية، أو البدعية، وأحسنوا الظنّ بهم، بأن ما هم عليه هو الحق الذي أمر الله به، ولم ينظروا لأنفسهم، ولا طلبوا الحق كما يجب، وبحثوا عن دين الله كما ينبغي، وهذا هو التقليد البحت، والقصور الخالص، فيا مَنْ نشأ على مذهب من هذه المذاهب الإسلامية أنا لك النذير المبالغ في التحذير، مِنْ أن تقول هذه المقالة، وتستمر على الضلالة، فقد اختلط الشرّ بالخير، والصحيح بالسقيم، وفاسد الرأي بصحيح الرواية، ولم يبعث الله إلى هذه الأمة إلا نبيّاً واحداً أمرهم باتباعه ونهى عَنْ مخالفته فقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧] ولو كان محض رأي أئمة المذاهب وأتباعهم حجة على العباد، لكان لهذه الأمة رسلٌ كثيرون متعدّدون بعدد أهل الرأي المكلفين للناس بما لم يكلفهم الله به.

وإنّ من أعجب الغفلة، وأعظم الذهول عن الحق، اختيار المقلدة[١] لآراء الرجال مع وجود كتاب الله، ووجود[٢] سُنَّة رسوله، ووجود مَنْ يأخذونهما عنه، ووجود آلة الفهم لديهم، ومَلَكَة العقل عندهم.

---

(١) قال أحمد بن حنبل: «لا تقلدوني ولا تقلدوا مالكاً ولا الشافعي، ولا الثوري وتعلّموا كما تعلّمنا...».
وقال أيضاً: «من قلة علم الرجل أن يقلد دينه الرجال».
«إعلام الموقعين» (٢/ ٢٠١)، و«مجموع فتاوى» (٢٠/ ٢١١)، و«البحر المحيط» (٦/ ٢٧٩ ـ ٢٨٠).

(٢) قال الشافعي: «وأجمع المسلمون على أن من استبانت له سُنَّة عن رسول الله ﷺ لم يحل له أن يدعها لقول أحد...».

قوله: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ القسط: العدل[(١)]، وفيه: أن الله سبحانه يأمر بالعدل، لا كما زعموه مَنْ أن الله أمرهم بالفحشاء؛ وقيل[(٢)]: القسط هنا هو: لا إله إلا الله، وفي الكلام حذف؛ أي: قل أمر ربي بالقسط فأطيعوه.

قولُه: ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ معطوف[(٣)] على المحذوف المقدّر؛ أي: توجهوا إليه في صلاتكم إلى القبلة في أي مسجد كنتم، أو في كل وقت سجود، أو في كل مكان سجود، على أن المراد بالسجود: الصلاة ﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾؛ أي: ادعوه أو اعبدوه حال كونكم مخلصين الدعاء، أو العبادة له.

وقيل: وحدّوه ولا تشركوا به.

قوله: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ الكاف[(٤)]: نعت مصدر محذوف.

وقال الزجّاج[(٥)]: هو متعلق بما قبله.

والمعنى: كما أنشأكم في ابتداء الخُلق يعيدكم، فيكون المقصود: الاحتجاج على منكري البعث، فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته؛ وقيل: كما أخرجكم من بطون[(٦)] أمهاتكم تعودون إليه كذلك ليس معكم شيء، فيكون مثل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ٩٤] وقيل: كما بدأكم من تراب تعودون إلى التراب. ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ﴾ منتصب[(٧)] بفعل يفسّره ما بعده؛ وقيل: منتصب على الحال من المضمر في تعودون؛ أي: تعودون فريقين: سعداء وأشقياء، ويقويه قراءة أبيّ[(٨)]: «فريقين فريقاً هدى»، والفريق الذي هداه الله هم: المؤمنون بالله المتبعون لأنبيائه، والفريق الذي حقت عليه الضلالة: هم الكفار.

قوله: ﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ تعليل لقوله: ﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ١٣٩) عن مجاهد بسند صحيح.
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ١٣٩) عن السدي بسند حسن.
(٢) ذكره البغوي في «تفسيره» (٢/ ١٥٦)، والقرطبي في «تفسيره» (٩/ ١٩٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما.
(٣) «البحر المحيط» (٥/ ٣٨)، و«روح المعاني» (٩/ ٧٨)، و«التبيان» (١/ ٥٦٣).
(٤) انظر: المصادر المتقدمة.
(٥) في «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٣١).
(٦) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ١٩٠).
(٧) «التبيان» (١/ ٥٦٣ ـ ٥٦٤)، و«البحر المحيط» (٥/ ٣٩).
(٨) «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٢٣)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٧٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ١٩٠). وهي شاذة مخالفة للرسم.

﴿ٱلضَّلَٰلَةُۚ﴾؛ أي: ذلك بسبب أنهم أطاعوا[١] الشياطين في معصية الله، ومع هذا فإنهم ﴿يحسبون أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ﴾، ولم يعترفوا على أنفسهم بالضلالة، وهذا أشدّ في تمرّدهم وعنادهم.

وقد أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وأبو الشيخ، عن ابن عباس[٢]، في قوله: ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً﴾ قال: كانوا يطوفون بالبيت عُراة، فنُهوا عن ذلك. وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن السدي[٣] مثله.

وأخرج ابن أبي حاتم[٤]، عن محمد بن كعب نحوه.

وأخرج عبد بن حميد[٥]، عن قتادة في الآية قال: واللهِ ما أكرم الله عبداً قط على معصيته، ولا رضيها له ولا أمرَ بها، ولكن رضي لكم بطاعته، [٢/١٢٠] ونهاكم عن معصيته.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن مجاهد[٦]، في قوله: ﴿أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾ قال: بالعدل ﴿وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ قال: إلى الكعبة حيثُ صلّيتم في كنيسة أو غيرها ﴿كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ﴾ قال: شقيٌّ وسعيد.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس[٧]، في قوله: ﴿كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ﴾ الآية قال: إن الله بدأ خلق بني آدم مؤمناً وكافراً كما قال: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ﴾ [التغابن: ٢] ثم يعيدهم يوم القيامة كما بدأ خلقهم مؤمناً وكافراً.

---

(١) «جامع البيان» (١٠/١٤٨ ـ ١٤٩).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/١٣٨) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/١٣٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/١٤٦١ رقم ٨٣٥٨) بسند حسن.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/١٤٦١ رقم ٨٣٦٠) بسند ضعيف.

(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/٤٣٧).

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/١٣٩، ١٤٠، ١٤٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/١٤٦٢ رقم ٨٣٦٢) بسند صحيح.

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/١٤٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/١٤٦٢ رقم ٨٣٦٤) بسند صحيح.

وأخرج ابن جرير، عن جابر[(١)] في الآية قال: يُبعثون على ما كانوا عليه: المؤمن على إيمانه، والمنافق على نفاقه.

وأخرج سعيد بن منصور، وابن المنذر، عنه[(٢)] أنه ذكر القدرية فقال: قاتلهم الله، أليس قد قال الله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾.

وأخرج ابن أبي حاتم[(٣)]، عنه، أيضاً في الآية: يقول كما خلقناكم أوّل مرّة كذلك تعودون.

[التمتع بالطيبات من الطعام والشراب دون إسراف]:

﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

هذا خطاب لجميع بني آدم[(٤)]، وإن كان وارداً على سبب خاص، فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

والزينة ما يتزين به الناس من الملبوس. أمروا بالتزين عند الحضور إلى المساجد للصلاة والطواف. وقد استدلّ بالآية على وجوب[(٥)] ستر العورة في الصلاة، وإليه ذهب جمهور[(٦)] أهل العلم؛ بل سترها واجب في كل حال من الأحوال، وإنْ كان الرجل خالياً كما دلّت عليه الأحاديث الصحيحة، والكلام على

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ١٤٢ ـ ١٤٣) بسند ضعيف.
(٢) أخرجه سعيد بن منصور في «سننه» رقم (٩٤٥ ـ تفسير) عن ابن عباس رضي الله عنهما بسند ضعيف.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٦٣ رقم ٨٣٦٨) بسند ضعيف.
(٤) «جامع البيان» (١٠/ ١٤٩)، و«روح المعاني» (٩/ ٨٤).
(٥) «المجموع شرح المهذب» (٣/ ١٧٤)، و«بدائع الصنائع» (٥/ ١٢٢).
(٦) «فتح الباري» (١/ ٤٨١ ـ ٤٨٦)، و«المجموع شرح المهذب» (٣/ ١٧٤).

العورة وما يجب ستره منها مفصّل في كتب الفروع[١].

قوله: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ أمر الله سبحانه عباده بالأكل والشرب، ونهاهم[٢] عن الإسراف، فلا زهد في ترك مطعم ولا مشرب، وتاركه بالمرّة قاتل لنفسه، وهو مِنْ أهل النار، كما صح في الأحاديث الصحيحة.

والمقلِّل منه على وجه يَضعف به بدنه ويعجز عَنْ القيام بما يجب عليه القيام به من طاعة أو سعي على نفسه، وعلى مَنْ يعول مخالفاً لما أمر الله به وأرشد إليه، والمُسْرف في إنفاقه على وجه لا يفعله إلا أهل السفه، والتبذير مخالف لما شرعه الله لعباده واقع في النهي القرآني.

وهكذا مَنْ حرّم حلالاً أو حلّل حراماً، فإنه يدخل في المسرفين ويخرج عن المقتصدين. ومن الإسراف: الأكل لا لحاجة، وفي وقت شبع.

قوله: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾ الزينة: ما يتزين به الإنسان، من ملبوس أو غيره من الأشياء المباحة؛ كالمعادن التي لم يرد نهي عن التزين بها، والجواهر ونحوها.

وقيل: الملبوس خاصة، ولا وجه له؛ بل هو مِنْ جملة ما تشمله الآية، فلا حَرَج على مَنْ لبس الثياب الجيّدة الغالية القيمة إذا لم يكن ممّا حرّمه الله، ولا حرج على مَنْ تزين بشيءٍ من الأشياء التي لها مدخل في الزينة، ولم يمنع منها مانع شرعي، ومن زعم أن ذلك يخالف الزهد فقد غلط غلطاً بيناً.

وقد قدّمنا في هذا ما يكفي، وهكذا الطيبات من المطاعم والمشارب ونحوهما، ممَّا يأكله الناس، فإنّه لا زهد في ترك الطيب منها، ولهذا جاءت الآية هذه مُعنونة بالاستفهام المتضمن[٣] للإنكار على مَنْ حرّم ذلك على نفسه، أو حرّمه على غيره.

وما أحسن ما قال ابن جرير الطبري[٤]: ولقد أخطأ من آثر لباس الشعر

---

(١) انظر: المصادر المتقدمة.
(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ١٩٦ ـ ١٩٧).
(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ١٩٧)، و«البحر المحيط» (٥/ ٤٢ ـ ٤٣).
(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/ ٢٠٥).

والصوف على لباس القُطن والكتّان، مع وجود السبيل إليه من حلّه، ومَن أكل البُقول والعدس، واختاره على خبز البُرّ، ومَنْ ترك أكل اللحم خوفاً مِنْ عارض الشهوة. وقد قدّمنا نقل مثل هذا عنه مطوّلاً.

والطيبات: المستلذّات من الطعام؛ وقيل: هو اسم عام لما طاب كسباً ومطعماً.

قوله: ﴿قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾؛ أي: أنها لهم بالأصالة، وإن شاركهم الكفار فيها ما داموا في الحياة ﴿خَالِصَةً يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾؛ أي: مختصة بهم يوم القيامة، لا يشاركهم فيها الكفار.

وقرأ نافع: «خالصةٌ» بالرفع[١]، وهي قراءة ابن عباس، على أنها خبر بعد خبر.

وقرأ الباقون بالنصب[٢] على الحال.

قال أبو علي الفارسي[٣]: ولا يجوز الوقف على الدنيا؛ لأن ما بعدها متعلق بقوله: ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ حال منه بتقدير: قل هي ثابتة للذين آمنوا في الحياة الدنيا في حال خلوصها لهم يوم القيامة.

قوله: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾؛ أي: مثل هذا التفصيل نفصل الآيات المشتملة على التحليل والتحريم.

قوله: ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ﴾ جمع فاحشة. وقد تقدّم تفسيرها ﴿مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ﴾؛ أي: ما أُعلن منها وما أُسرّ، وقيل: هي خاصة بفواحش[٤] الزنا، ولا وجه لذلك؛ والإثم يتناول كلَّ معصية يتسبب عنها الإثم؛ وقيل: هو الخمر خاصة؛ ومنه قول الشاعر[٥]:

شربتُ الإثمَ حتى ضلّ عقلي ... كذلك الإثمُ تَذهبُ بالعقول

---

(١) «النشر» (٢/ ٢٥٩)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٦١)، و«البحر المحيط» (٥/ ٤٢)، و«جامع البيان» (١٠/ ١٦٢).

(٢) انظر: المصادر المتقدمة.

(٣) «حجة القراءات» (٤/ ١٥ ـ ١٧).

(٤) «أحكام القرآن» للكيا (٣/ ١٣٩).

(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٣/ ٤٤٦)، و«البغوي في تفسيره» (٢/ ١٥٨).

ومثله قول الآخر:

يشرَب الإثمَ بالصُّواع جهارا[١]

وقد أنكر جماعة من أهل العلم على مَنْ جعل الإثم خاصاً[٢] بالخمر. قال النحاس[٣]: فأما أن يكون الإثم الخمر فلا يعرف ذلك، وحقيقته أنه جميع المعاصي، كما قال الشاعر[٤]:

إني وجدتُ الأمرَ أرشَدُه   تقوى الإلٰهِ وشرُّه الإثمُ

قال الفراء[٥]: الإثم ما دون الحق والاستطالة على الناس. انتهى.

وليس في إطلاق الإثم على الخمر ما يدل على اختصاصه به، فهو أحد المعاصي التي يصدق عليها. قال في الصحاح: وقد يسمى الخمر إثماً، وأنشد: شربتُ[٦] الإثمَ... البيت.

وكذا أنشده الهروي قبله في «غريبيه»[٧].

قوله: ﴿وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾؛ أي: الظلمُ المجاوز للحد، وأفرده بالذكر بعد دخوله فيما قبله لكونه ذنباً عظيماً كقوله: ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ﴾ [النحل: ٩٠] ﴿وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا﴾؛ أي: وأن تجعلوا لله شريكاً لم ينزل عليكم به حجة. والمراد: التهكم بالمشركين؛ لأن الله لا ينزل برهاناً بأن يكون غيره شريكاً له. ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ بحقيقته، وأن الله قاله، وهذا مثل ما كانوا ينسبون إلى الله سبحانه مِنْ التحليلات والتحريمات التي لم يأذن بها. [٢/١٢١]

---

(١) ذكره الأزهري في «تهذيب اللغة» (١٥/١٦١).
نَشربُ الإثمَ بالصُّوَاعِ جهارا   وترى المُنْكَ بيننا مستعارا
(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/٢١١) عن الحسن.
(٣) في «إعراب القرآن» (٢/١٢٤).
(٤) قائله المُخَبَّل السعدي. «المفضليات» (ص١١٣).
(٥) في «معاني القرآن» للفراء (١/٣٧٨).   (٦) تقدم ذكره.
(٧) «الغريبين في القرآن والحديث» (١/٤٦).

وقد أخرج ابن أبي شيبة، ومسلم، والنسائي، وغيرهم، عن ابن عباس[١]، أن النساء كنّ يطفن عُراة إلا أن تجعل المرأة على فرجها خرقة وتقول:

اليومَ يبدو بعضُه أو كلُّه ... وما بدا منه فلا أُحِلُّه[٢]

فنزلت: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، عنه[٣]، في الآية قال: كان الرجال يطوفون بالبيت عراة فأمرهم الله بالزينة. والزينة: اللباس وما يواري السوءة، وما سوى ذلك من جيد البزّ والمتاع.

وأخرج ابن عدي، وأبو الشيخ، وابن مردويه، عن أبي هريرة[٤]، قال: قال رسول الله ﷺ: «خذوا زينة الصلاة، قالوا: وما زينة الصلاة؟ قال: البسوا نعالكم فصلوا فيها».

وأخرج العقيلي، وأبو الشيخ، وابن مردويه، وابن عساكر، عن أنس[٥]، عن النبيّ ﷺ في قول الله: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ قال: «صلوا في نعالكم».

والأحاديث في مشروعية الصلاة في النّعل كثيرة جدّاً، وأما كون ذلك هو تفسير الآية كما روي في هذين الحديثين فلا أدري كيف إسنادهما.

وقد ورد النهي عن أن يصلي الرجل في الثوب الواحد ليس على عاتقه منه شيء، وهو في «الصحيحين»[٦] وغيرهما، من حديث أبي هريرة.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ١٥٠)، ومسلم رقم (٢٥/ ٣٠٢٨)، والنسائي في «المجتبى» رقم (٢٩٥٦)، وفي «الكبرى» رقم (١١١٨٢)، والبيهقي (٢/ ٢٢٣)، والحاكم (٢/ ٣١٩).

(٢) قيل: هو لضباعة بنت عامر بن صعصعة.
«الروض الأُنف» (٢/ ٢٩٠).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ١٥١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٦٤ رقم ٨٣٧٧) بسند ضعيف.

(٤) أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٥/ ١٨٢٩) في ترجمة علي بن أبي علي القرشي، وقال فيه: «مجهول منكر الحديث».

(٥) أخرجه العقيلي في «الضعفاء» (٣/ ١٤٢، ١٤٣) في سنده عباد بن جويرية، عن الأوزاعي. وهو كذاب.
وقال ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٢١٠) ولكن في صحته نظر. ط ـ البابي.

(٦) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٣٥٩، ٣٦٠)، ومسلم رقم (٢٧٧/ ٥١٦).

وأخرج عبد الرزاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «الشعب»، عن ابن عباس[١]، قال: أحلّ الله الأكل والشرب ما لم يكن سَرَفاً أو مَخِيلة.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عنه[٢]، في قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ قال: في الطعام والشراب.

وأخرج عبد بن حميد، والنسائي، وابن ماجه، وابن مردويه، والبيهقي في «الشعب»، من طريق عمرو بن شعيب[٣]، عن أبيه، عن جدّه، عن النبي ﷺ قال: «كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا في غير مَخِيلة ولا سَرَفٍ، فإن الله سبحانه يحب أن يرى أثر نعمته على عبده».

وأخرج عبد بن حميد، وابن أبي حاتم، والطبراني، وأبو الشيخ، وابن مردويه، عن ابن عباس[٤]، قال: كانت قريش تطوف بالبيت، وهم عُراة يُصفِّرون ويصفقون، فأنزل الله: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ﴾ فأمروا بالثياب أن يلبسوها. ﴿قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ قال: ينتفعون بها في الدنيا لا يتبعهم فيها مأثم يوم القيامة.

وأخرج عبدُ بن حميد، وأبو الشيخ، عن الضحاك[٥] ﴿قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ قال: المشركون يشاركون المؤمنين في زهرة الدنيا، وهي خالصة يوم القيامة للمؤمنين دون المشركين.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ١٥٥)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٢٢٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٦٥ رقم ٨٤٧٩)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٦٥٧٢) بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ١٥٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٦٥ رقم ٨٣٨٠) بسند ضعيف.
عطاء الخراساني لم يسمع من ابن عباس.

(٣) أخرجه النسائي رقم (٢٥٥٨)، وابن ماجه رقم (٣٦٠٥)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٦٥٧٣). وهو حديث حسن.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٦٦، ١٤٦٨ رقم ٨٣٩٠، ٨٣٩١، ٨٣٩٩)، والطبراني رقم (١٢٣٢٤) بسند ضعيف.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٣): «فيه يحيى الحماني وهو ضعيف. وفي سنده أيضاً: يعقوب القمي: صدوق يهم».

(٥) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٤٤٦).

وأخرج أبو الشيخ(١)، عن ابن عباس ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ قال: الوَدَك، واللحم، والسمن.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عنه(٢)، قال: كان أهل الجاهلية يحرمون أشياءَ أحلّها الله من الثياب وغيرها، وهو قول الله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا﴾ [يونس: ٥٩] وهو هذا، فأنزل الله: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ يعني: شارك المسلمون الكفارَ في الطيبات في الحياة الدنيا، فأكلوا من طيبات طعامها، ولبسوا من جياد ثيابها، ونكحوا من صالحي نسائها، ثم يُخِلص الله الطيبات في الآخرة للذين آمنوا، وليس للمشركين فيها شيء.

وأخرج أبو الشيخ(٣)، عن ابن عباس، قال: ما ظهر منها: العُرية، وما بطن: الزنا، وكانوا يطوفون بالبيت عراة.

وأخرج ابن جرير، عن مجاهد(٤)، في الآية قال: ما ظهر منها: طواف الجاهلية عُراة، وما بطن: الزنا. وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن السديّ(٥)، في قوله: ﴿وَٱلْإِثْمَ﴾ قال المعصية ﴿وَٱلْبَغْىَ﴾ قال: أن يبغي على الناس بغير حق.

[الموت حقيقة أساسية من حقائق هذه العقيدة لتستيقظ القلوب الغافلة فلا يغرها امتداد الحياة]:

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٤٤٦).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٦٦، ١٤٦٧ رقم ٨٣٩٢) بسند صحيح.

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٤٤٧).

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ١٦٣) بسند ضعيف.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ١٦٣ ـ ١٦٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٧١ رقم ٨٤٢٢، ٨٤٢٣) بسند حسن.

[مشهد احتضار الذين افتروا على الله الكذب وحوارهم مع ملائكة قبض الأرواح]:

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓاْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ ٱدْخُلُواْ فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

قولُه: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۖ﴾؛ أي: وقت معين، مُحدّود ينزل فيه عذابهم من الله أو يميتهم فيه، ويجوز أنْ تُحمل الآية على ما هو أعم من الأمرين جميعاً، والضمير في ﴿أَجَلُهُمْ﴾ لكل أمة؛ أي: إذا جاء أجل كل أمة من الأمم كان ما قدّره عليهم واقعاً في ذلك الأجل، لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون عنه ساعة.

قال أبو السعود[1] ما معناه: إنّ قوله: ﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ عطف على ﴿يَسْتَأْخِرُونَ﴾ لكن «لا» لبيان انتفاء التقدّم، مع إمكانه في نفسه كالتأخر؛ بل للمبالغة في انتفاء التأخر بنظمه في سلك المستحيل عقلاً.

وقيل: المراد بالمجيء: الدنوّ بحيث يمكن التقدّم في الجملة كمجيء اليوم الذي ضُرب لهلاكهم ساعة منه وليس بذاك.

وقرأ ابن سيرين: «آجالهم» بالجمع[2]، وخصّ الساعة بالذكر لأنها أقل أسماء الأوقات.

وقد استدل بالآية الجمهور[3] على أن كل ميت يموت بأجله، وإن كان موته

(١) في «تفسيره» (٣/ ١٧٧).

(٢) «القراءات الشاذة» (ص٤٤)، و«المحتسب» (١/ ٢٤٦)، و«حاشية الشهاب» (٤/ ١٦٥)، و«روح المعاني» (٩/ ٩٣). وهي قراءة شاذة.

(٣) «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٢٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٢١٢)، و«جامع البيان» (١٠/ ١٦٤ ـ ١٦٥).

بالقتل أو التردي أو نحو ذلك، والبحث في ذلك طويل جدّاً، ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾ [الحجر: ٥] [المؤمنون: ٤٣].

قوله: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ الآية، «إن» هي الشرطية[(١)]، و«ما» زائدة للتوكيد، ولهذا لزمت الفعل النون المؤكّدة، والقصص قد تقدّم معناه؛ والمعنى: إن أتاكم رسلٌ كائنون منكم يخبرونكم بأحكامي ويبينونها لكم، ﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ﴾؛ أي: اتقى معاصي الله، وأصلح حال نفسه باتباع الرسل، وإجابتهم ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ وهذه الجملة الشرطية هي الجواب للشرط الأوّل؛ وقيل: جوابه ما دلّ عليه الكلام؛ أي: إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي، فأطيعوهم.

والأوّل أولى، وبه قال الزجاج[(٢)] ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ التي يقصها عليهم رسلنا ﴿وَٱسْتَكْبَرُواْ﴾ عن إجابتها، والعمل بما فيها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ لا يخرجون منها، بسبب كفرهم بتكذيب الآيات والرسل ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ﴾؛ أي: لا أحد أظلم منه. وقد تقدّم تحقيقه.

والإشارة بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إلى المكذبين المستكبرين ﴿يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِۖ﴾؛ أي: مما كتب الله لهم من خير وشرّ؛ وقيل[(٣)]: ينالهم من العذاب بقدر كفرهم؛ وقيل: الكتاب هنا القرآن لأن عذاب الكفار مذكور فيه؛ وقيل: هو اللوح المحفوظ[(٤)].

قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا﴾؛ أي: إلى غاية هي هذه، وجملة ﴿يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ في محل نصب على الحال. والمراد بالرسل هنا: ملَكُ الموت وأعوانه؛ وقيل: «حتّى» هنا هي التي[(٥)] للابتداء، ولكن لا يخفى أن كونها لابتداء الكلام بعدها لا ينافي كونها غاية لما قبلها.

والاستفهام في قوله: ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾ للتقريع[(٦)] والتوبيخ؛ أي: أينَ الآلهة التي كنتم تدعونها من دون الله وتعبدونها؟ وجملة: ﴿قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا﴾ استئنافية بتقدير سؤال وقعت هي جواباً عنه؛ أي: ذهبوا عنا وغابوا فلا ندري [٢/١٢٢]؛

---

(١) «روح المعاني» (٩/ ٩٥ ـ ٩٦)، و«البحر المحيط» (٥/ ٤٦ ـ ٤٧).
(٢) في «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٣٤). (٣) سيأتي تخريج هذه الأقوال.
(٤) انظر: «زاد المسير» (٣/ ١٩٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٢١٤).
(٥) «الكتاب» (٤/ ١٣٥)، و«معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٣٥).
(٦) «روح المعاني» (٩/ ٩٨)، و«البحر المحيط» (٥/ ٤٨)، و«زاد المسير» (٣/ ١٩٤).

أي: هم؟ ﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾؛ أي: أقرّوا بالكفر على أنفسهم.

قولُه: ﴿قَالَ ٱدْخُلُواْ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم﴾ القائل: هو الله ﷻ، «وفي» بمعنى مع؛ أي: مع أمم؛ وقيل: هي على بابها، والمعنى[1]: ادخلوا في جملتهم؛ وقيل: هو قول مالك خازن النار، والمراد بالأمم التي قد خلت من قبلهم من الجن والإنس: هم الكفار مِنْ الطائفتين من الأمم الماضية.

﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ﴾ من الأمم الماضية ﴿لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾؛ أي: الأمة الأخرى التي سبقتها إلى النار، وجعلت أختاً لها باعتبار الدِّين، أو الضلالة، أو الكون في النار ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا﴾؛ أي: تداركوا، والتدارك: التلاحق والتتابع، والاجتماع في النار.

وقرأ الأعمش: «تداركوا»[2] على الأصل من دون إدغام.

وقرأ ابن مسعود[3]: ﴿حتى إذا أدركوا﴾؛ أي: أدرك بعضُهم بعضاً.

وروي عن أبي عمرو أنه قرأ بقطع[4] ألف الوصل، فكأنه سكت على إذا للتذكر، فلما طال سكوته، قطع ألف الوصل كالمبتدئ بها، وهو مثل قول الشاعر:

يا نفس صبراً كل حيّ لاقى وكل اثنين إلى افتراق[5]

﴿قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ﴾؛ أي: أخراهم[6] دخولاً لأولاهم دخولاً؛ وقيل: أخراهم؛ أي: سفلتهم وأتباعهم ﴿لِأُولَىٰهُمْ﴾ لرؤسائهم وكبارهم، وهذا أولى كما يدل عليه ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا﴾ فإنَّ المضلين هم الرؤساء.

ويجوز أن يراد أنهم أضلوهم لأنهم تبعوهم واقتدوا بدينهم من بعدهم، فيصح الوجه الأوّل؛ لأن أخراهم تبعت دين أولاهم.

قوله: ﴿فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ الضعف: الزائد على مثله مرةً أو مرات،

---

(١) «جامع البيان» (١٠/ ١٧٦ ـ ١٧٧)، و«زاد المسير» (٣/ ١٩٤).
(٢) «المحتسب» (١/ ٢٤٧)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٢٥)، و«البحر المحيط» (٥/ ٤٩). وهما قراءتان شاذتان
(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/ ٢١٦).
(٤) «المحتسب» (١/ ٢٤٧)، و«روح المعاني» (٩/ ٩٩)، و«البحر المحيط» (٥/ ٤٩).
(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/ ٢١٧)، وابن جني في «المحتسب» (١/ ٢٤٧ ـ ٢٤٨). ما حكى عن أبي عمرو من الشاذ عنه، انظر: «البحر» (٥/ ٤٩).
(٦) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٢١٧).

ومثله قولُه تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٨].

وقيل: الضعف هنا الأفاعي والحيات.

وجملة: ﴿قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾ استئنافية جواباً لسؤال مقدّر؛ والمعنى: لكل طائفة[١] منكم ضعف مِنْ العذاب؛ أي: الطائفة الأولى، والطائفة الأخرى.

﴿وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾ بما لكل نوع مِنْ العذاب ﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ﴾؛ أي: قال السابقون للاحقين، أو المتبوعون للتابعين: ﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ بل نحن سواء في الكفر بالله واستحقاق عذابه ﴿فَذُوقُواْ﴾ عذاب النار، كما ذقناه ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ مِنْ معاصي الله والكفر به.

وقد أَخرَج ابنُ أبي حاتم، والطبراني، وأَبو الشيخ، وابن مردويه، والخطيب، وابن النّجار، عن أبي الدرداء[٢] قال: تذاكرنا زيادة العمر عند رسول الله ﷺ، فقلنا: مَنْ وصل رحمه أُنسئ في أجله فقال: «إنَّه ليس بزائد في عمره، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ ولكن الرجل يكون له الذرية الصالحة، فيدعون اللهَ مِنْ بعده فيبلغه ذلك، فذلك الذي يُنسأ في أجله». وفي لفظ: «فيلحقه دعاؤهم في قبره، فذلك زيادة العمر».

وهذا الحديث ينبغي أن يكشف عن إسناده، ففيه نكارة، وقد جاءت الأحاديث الصحيحة في «الصحيحين» وغيرهما بخلافه.

وأخرج ابن أبي حاتم[٣]، عن سعيد بن أبي عروبة، قال: كان الحسن يقول: ما أحمق هؤلاء القوم يقولون: اللَّهُمَّ أطل عمره، والله يقول: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، من طريق الزهري، عن ابن المسيب[٤] قال: لما طعن عمر قال كعب: لو دعا الله لأخّر في أجله، فقيل له: أليس قد قال الله: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ فقال كعب: وقد قال الله: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ [فاطر: ١١].

---

(١) «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٣٧).

(٢) أخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (٣٤)، والخطيب في «تاريخه» (١/ ١٢٤). وسنده ضعيف جداً، تفرد به سليمان بن عطاء، وهو منكر الحديث. انظر: «مجمع الزوائد» (٨/ ١٥٦).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٧١ رقم ٨٤٢٥) بسند صحيح.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» رقم (١٠٣٨٦)، وفي «تفسيره» (٢/ ١٣٧).

وأخرج الفريابي، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن ابن عباس[(١)]، في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمۡ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِۖ﴾ قال: ما قُدِّر لهم من خير وشرّ.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عنه[(٢)]، في الآية قال: من الأعمال، من عمل خيراً جُزي به، ومن عمل شرّاً جُزي به.

وأخرج ابن جرير، وأبو الشيخ، عنه[(٣)]، أيضاً قال: نصيبهم من الشقاوة والسعادة.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، عن مجاهد[(٤)]، في الآية قال: ما سبق من الكتاب.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن محمد بن كعب[(٥)] في الآية قال: رزقه وأجله وعمله.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن أبي صالح[(٦)]، في الآية قال: من العذاب.

وأخرج عبد بن حميد[(٧)] عن الحسن مثله.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن السُّديّ[(٨)]، في قوله: ﴿قَدۡ خَلَتۡ﴾ قال: قد مضت ﴿كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ﴾ قال: كلما دخلت أهل ملة لعنوا أصحابهم على ذلك، يلعن المشركون المشركين، واليهودُ اليهودَ، والنصارى النصارى، والصابئون الصابئين، والمجوسُ المجوسَ، تلعن الآخرة الأولى ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ١٧٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٧٤ رقم ٨٤٤٠) بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ١٧١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٧٣ رقم ٨٤٣٨) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ١٧٠) بسند صحيح.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ١٧٠) من طريق الحسن بن عمرو، به.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ١٧٤ ـ ١٧٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٧٤ رقم ٨٤٤٢) بسند ضعيف.

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ١٦٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٧٤ رقم ٨٤٤٤) بسند حسن.

(٧) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٨٢).

(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ١٧٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٧٥ رقم ٨٤٥٠) بسند حسن.

جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ﴾ الذين[(١)] كانوا في آخر الزمان ﴿لِأُولَىٰهُمْ﴾ الذين شرعوا لهم ذلك الدِّين: ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾ الأولى والآخرة ﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ وقد ضللتم كما ضللنا.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن مجاهد[(٢)]، في قوله: ﴿عَذَابًا ضِعْفًا﴾ قال: مضاعفاً ﴿قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾ قال: مُضاعف، وفي قوله[(٣)]: ﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ قال: تخفيف من العذاب.

[جزاء الكافرين]:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾﴾.

[جزاء المؤمنين]:

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

قوله: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾ قرأ ابن عباس، وحمزة، والكسائي بفتح[(٤)] التحتية؛ لكون تأنيث الجمع غير حقيقي فجاز تذكيره.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ١٧٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٧٥ رقم ٨٤٥١) بسند حسن.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ١٧٨ ـ ١٧٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٧٦ رقم ٨٤٥٤) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ١٨١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٧٦ رقم ٨٤٥٧) بسند صحيح.

(٤) «البحر المحيط» (٥/ ٥١)، و«جامع البيان» (١٠/ ١٨٦ ـ ١٨٧)، و«النشر» (٢/ ٢٦٩)، و«حاشية الجمل» (٢/ ١٤٠ ـ ١٤١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٢١٩).

وقرأ الباقون بالفوقية[١] على التأنيث.

وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي: تفتح[٢] بالتخفيف.

وقرأ الباقون[٣] بالتشديد.

والمعنى: أنها لا تُفتّح أبواب السماء لأرواحهم إذا ماتوا، وقد دلّ على هذا المعنى، وأنه المراد مِنْ الآية: ما جاء في الأحاديث الصحيحة، أن الملائكة إذا انتهوا بروح الكافر إلى السماء الدنيا يَستفتحون فلا تُفتّح لهم أبواب السماء.

وقيل: لا تفتح أبواب السماء لأدعيتهم إذا دعوا، قاله مجاهد[٤] والنخعي[٥].

وقيل: لأعمالهم؛ أي: لا تُقبل؛ بل تردّ عليهم فيضرب بها في وجوههم.

وقيل[٦]: المعنى: أنّها لا تفتح لهم أبواب الجنة يدخلونها؛ لأن الجنة في السماء، فيكون على هذا القول العطف بجملة ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ من عطف التفسير، ولا مانع من حمل الآية على ما يعم الأرواح والدعاء والأعمال، ولا ينافيه ورود ما ورد من أنها لا تفتح أبواب السماء لواحد من هذه، [٢/١٢٣] فإن ذلك لا يدل على فتحها لغيره، ممّا يدخل تحت عموم الآية.

قولُه: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾؛ أي: أن هؤلاء الكفار المكذبين[٧] المستكبرين، لا يدخلون الجنة بحالٍ من الأحوال، ولهذا علَّقه بالمستحيل، فقال: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ وهو لا يلج أبداً، وخص الجمل بالذكر؛ لكونه يضرُب به المثل في كبر الذات، وخُص سمّ الخياط، وهو ثقب الإبرة بالذكر؛ لكونه غاية في الضيق.

---

(١) انظر: المصادر المتقدمة. مع تشديد التاء.

(٢) «البحر المحيط» (٥/ ٥١)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٦٢)، و«النشر» (٢/ ٣٦٩)، و«زاد المسير» (٣/ ١٩٦). هي ثلاث قراءات متواترة الأولى (تُفتح) بالفوقية والتخفيف وهي لأبي عمرو، والثانية (يُفتح) بالتحتية والتخفيف، وهي لحمزة والكسائي وخلف. والثالثة (تُفتَّح) بالفوقية والتشديد للباقين، وكلها بالبناء للمجهول. انظر: «تخريج القراءات في فتح القدير» (ص١٣٤).

(٣) انظر: المصادر المتقدمة.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ١٨٤) عن مجاهد بسند حسن.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ١٨٤) عن النخعي بسند ضعيف.

(٦) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ٣٣٧).

(٧) «جامع البيان» (١٠/ ١٨٧)، و«معاني القرآن» للنحاس (٣/ ٣٦).

والجمل: الذكر مِنْ الإبل، والجمع جِمال وأجمال وجِمالات، وإنما يسمى جملاً إذا أَرْبَع.

وقرأ ابن عباس[1]: «الجُمَّل» بضم الجيم وفتح الميم مشدّدة، وهو حبل السفينة الذي يقال له: القَلْس، وهو حبال مجموعة. قاله ثعلب[2].

وقيل: الحبل الغليظُ مِنْ القنّب؛ وقيل: الحبل الذي يُصعد به في النخل.

وقرأ سعيد بن جبير: «الجُمَل» بضم الجيم[3] وتخفيف الميم: وهو القَلْس أيضاً.

وقرأ أبو السمّال: «الجُمْل» بضم الجيم[4] وسكون الميم. وقرئ أيضاً بضمهما.

وقرأ عبد الله بن مسعود: «حتى يلجَ الجملُ[5] الأصفر في سم الخياط».

وقرئ[6] ﴿فِي سَمِّ﴾ بالحركات الثلاث، والسَّمُّ[7]: كل ثقب لطيف، ومنه ثَقْبُ الإبرة، والخياط: ما يُخاط به، يقال: خِياط ومِخْيَط.

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾؛ أي: مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي المجرمين؛ أي: جنس مَنْ أجرم وقد تقدّم تحقيقه.

والمهاد: الفِراش، والغواش جمع غاشية؛ أي: نيران تغشاهم مِنْ فوقهم كالأغطية ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ أي: مثل ذلك الجزاء العظيم نجزي من اتصف بصفة الظلم.

قوله: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ﴾؛ أي: لا نُكلِّف العباد إلا بما يدخل تحت وسعهم، ويقدرون عليه، ولا نكلفهم ما لا يدخل تحت وسعهم، وهذه الجملة معترضة بين المبتدأ والخبر، ومثله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ [الطلاق: ٧]، وقرأ الأعمش[8]: «تُكلَّف» بالفوقية ورفع نفس.

---

(١) «المحتسب» (١/ ٢٤٩)، و«القراءات الشاذة» (ص٤٣).
(٢) ذكره النحاس في «معاني القرآن» (٣/ ٣٥ ـ ٣٦)، والقرطبي في «تفسيره» (٩/ ٢٢٠).
(٣) «المحتسب» (١/ ٢٤٩)، و«القراءات الشاذة» (ص٤٣)، و«روح المعاني» (٩/ ١٠٤ ـ ١٠٥).
(٤) انظر: المصادر المتقدمة.
(٥) «القراءات الشاذة» (ص٤٣)، و«المحتسب» (١/ ٢٤٩)، و«زاد المسير» (٣/ ١٩٨)، و«روح المعاني» (٩/ ١٠٥ ـ ١٠٦). وكل هذه القراءات التي ذكرها المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ شاذة، وقراءة ابن مسعود مخالفة للرسم.
(٦) انظر: المصادر المتقدمة.
(٧) «معاني القرآن» للنحاس (٣/ ٣٦)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٧٩)، و«الصحاح» (٥/ ١٩٥٣).
(٨) «البحر المحيط» (٥/ ٥٣)، و«الكشاف» (٢/ ٤٤٣). وهي قراءة شاذة.

والإشارة بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إلى الموصول، وخبرُه ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ والجملة خبر الموصول، وجملة ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ في محل نصب[1] على الحال.

قولُه: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ هذا من جملة ما ينعم الله به على أهل الجنة، أن ينزع الله ما في قلوبهم من الغِلّ على بعضهم بعضاً، حتى تصفو قلوبهم ويودَّ بعضُهم بعضاً، فإن الغِلّ لو بقي في صدورهم[2] كما كان في الدنيا، لكان في ذلك تنغيص لنعيم الجنّة؛ لأن المتشاحنين لا يطيب لأحدهم عيش مع وجود الآخر.

والغلّ: الحقدُ الكامن في الصدور؛ وقيل: نزعُ الغلّ في الجنَّة، أن لا يحسد بعضُهم بعضاً في تفاضل المنازل ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾؛ أي: لهذا الجزاء العظيم، وهو الخلود في الجنّة، ونزع الغِلّ من صدورهم، والهداية هذه ﴿لِهَٰذَا﴾ هي الهداية لسببه مِنْ الإيمان، والعمل الصالح في الدنيا.

﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ﴾ قرأ ابن عامر بإسقاط[3] الواو، وقرأ الباقون[4] بإثباتها، وما كنَّا نطيق أن نهتدي بهذا الأمر لولا هداية الله لنا، والجملة[5] مستأنفة أو حالية، وجواب (لولا) محذوف يدل عليه ما قبله؛ أي: لولا هداية الله لنا ما كنا لنهتدي.

قوله: ﴿لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ اللام لام القسم، قالوا هذا لمّا وصلوا إلى ما وصلوا إليه مِنْ الجزاء العظيم، اغتباطاً بما صاروا فيه بسبب ما تقدّم منهم من تصديق الرسل، وظهور صدق ما أخبروهم به في الدنيا من أن جزاء الإيمان والعمل الصالح هو هذا الذي صاروا فيه.

قولُه: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؛ أي: وقع النداء لهؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فقيل لهم: تلكم الجنة أورثتموها؛ أي: ورثتم منازلها بعملكم.

---

(١) «التبيان» (١/٥٦٨)، و«روح المعاني» (٩/١٠٨).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/٢٢٢)، و«روح المعاني» (٩/١٠٩)، و«جامع البيان» (١٠/١٩٧ ـ ١٩٨).

(٣) «البحر المحيط» (٥/٥٤)، و«النشر» (٢/٢٦٩)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/٤٦٤)، و«حاشية الجمل» (٢/١٤٣)، و«التيسير» (ص١١٠). وهي قراءة متواترة.

(٤) انظر: المصادر المتقدمة.

(٥) «البحر المحيط» (٥/٥٤)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/١٢٦).

قال في «الكشاف»[١]: بسبب أعمالكم لا بالتفضّل كما تقوله المبطلة[٢]. انتهى.

أقول: يا مسكين هذا قاله رسولُ الله ﷺ فيما صح عنه: «سدّدوا وقاربوا واعلموا أنّه لن يَدخل أحدٌ الجنة بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته»[٣].

والتصريح بسبب لا يستلزم نفي سبب آخر، ولولا التفضل من الله ﷻ على العامل بإقداره على العمل لم يكن عَمِل أصلاً، فلو لم يكن التفضل إلا بهذا الإقدار لكان القائلون به مُحقة لا[٤] مبطلة، وفي التنزيل: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٧٠] وفيه: ﴿فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ﴾ [النساء: ١٧٥].

وقد أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس[٥]، في قوله: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾ يعني: لا يصعد إلى الله من عملهم شيء.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عنه[٦]، قال: لا تفتح لهم لعمل ولا لدعاء.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عنه[٧]، أيضاً في الآية قال: لا تفتح لأرواحهم، وهي تفتح لأرواح المؤمنين.

---

(١) (٢/ ٤٤٤).

(٢) قوله: «كما تقول المبطلة» يريد أهل السُّنَّة القائلين: دخولها بالفضل، واقتسامها بالأعمال، كما في الحديث (انظر الحديث الآتي) «حاشية الكشاف».

(٣) أخرجه البخاري رقم (٥٦٧٣، ٦٤٦٣)، ومسلم رقم (٧١ ـ ٧٦/ ٢٨١٦)، وابن ماجه رقم (٤٢٠١)، وأحمد (٢/ ٢٥٦، ٣١٩، ٤٦٦) كلهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
وأخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٦٤٦٧)، ومسلم رقم (٧٨/ ٢٨١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) وهو كما قال الشوكاني رحمه الله.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ١٨٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٧٧ رقم ٨٤٦٢) بسند ضعيف.

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ١٨٤) عن النخعي بسند ضعيف.

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ١٨٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٧٦ رقم ٨٤٥٩) من طريق الضحاك، عن ابن عباس بسند ضعيف. الضحاك لم يلق ابن عباس.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، عنه[1] أيضاً ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ﴾ قال: ذو القوائم ﴿فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ قال: في حُجْر الإبرة.

وأخرج عبد الرزاق، والفريابي، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، والطبراني في «الكبير»، وأبو الشيخ، عن ابن مسعود[2]، في قوله: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ﴾ قال: زوج الناقة.

وأخرج أبو عبيد، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وأبو الشيخ، من طرق عن ابن عباس[3]، أنه كان يقرأ «الجُمَّل» بضم الجيم وتشديد الميم وقال: هو الحبل الغليظ وهو من حبال السفن.

وأخرج عبد بن حميد[4]، عن ابن عمر، أنه سئل عن سم الخياط فقال: الجمل في ثقب الإبرة.

وأخرج ابن المنذر[5]، عن ابن عباس قال: المهاد الفراش، والغواش اللُّحُف.

وأخرج ابن جرير، وأبو الشيخ، عن محمد بن كعب[6] مثله.

وأخرج عبد الرزاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، [٢/١٢٤] عن علي بن أبي طالب[7]، قال: فينا والله أهل بدر نزلت هذه الآية ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾.

وأخرج النسائي، وابن جرير، وابن مردويه، عن أبي هريرة[8]، قال: قال

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/١٩٦) بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/١٨٨)، وسعيد بن منصور في «سننه» رقم (٩٤٨ ـ تفسير)، والطبراني رقم (٨٦٩١)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (١/٢٢٩) بسند صحيح لغيره.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/١٩١)، وسعيد بن منصور في «سننه» رقم (٩٤٩ ـ تفسير) بسند صحيح لغيره.

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/٤٥٦).

(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/٤٥٧).

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/١٩٦)، وهنّاد في «الزهد» رقم (٢٦٤) بسند ضعيف.

(٧) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/٢٢٩)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٠/١٩٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/١٤٧٨ رقم ٨٤٦٦) بسند ضعيف.

(٨) أخرجه النسائي رقم (٤٧٤ ـ تفسير)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٠/٢٠٠)، والحاكم =

رسول الله ﷺ: «كلُّ أهل النار يرى منزله مِنْ الجنة يقول: لو هدانا الله فيكونُ حسرةً عليهم، وكلُّ أهل الجنة يرى منزله مِنْ النار فيقول: لولا أن هدانا الله فهذا شكرهم».

وأخرج ابن أبي شيبة، وأحمد وعبد بن حميد، والدارمي، ومسلم، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، عن أبي سعيد[1]، وأبي هريرة، عن النبي ﷺ: ﴿وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ قال: نودوا أن صِحُّوا فلا تسقَموا، وانعموا فلا تبأسوا، وشِبُّوا فلا تهرموا، واخلُدوا فلا تموتوا.

[الحوار بين أصحاب الجنة وأصحاب النار]:

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

مناداة أصحاب الجنة لأصحاب النار لم تكن لقصد الإخبار لهم بما نادوهم به؛ بل لقصد تبكيتهم وإيقاع الحسرة في قلوبهم، و﴿أَن قَدْ وَجَدْنَا﴾ هو نفس النداء؛ أي: إنّا قد وصلنا إلى ما وعدنا الله به مِنْ النعيم، فهل وصلتم إلى ما وعدكم الله به مِنْ العذاب الأليم؟

= (٢/ ٤٣٥) وصحَّحه ووافقه الذهبي، كلهم من حديث أبي سعيد الخدري.
وأخرجه أحمد رقم (١٠٦٥٢)، والنسائي في «الكبرى» رقم (١١٤٥٤)، والحاكم (٢/ ٤٣٥، ٤٣٦)، والبيهقي في «البعث» رقم (٢٤٣) كلهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وهو حديث حسن.

(١) أخرجه أحمد رقم (٨٢٥٨)، والدارمي (٢/ ٣٣٤)، ومسلم رقم (٢٨٣٧)، والترمذي رقم (٣٢٤٦)، والنسائي في «الكبرى» (١١١٨٤)، وابن جرير (١٠/ ٢٠٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٨٠ رقم ٨٤٧٧). وهو حديث صحيح.

والاستفهام هو للتقريع[١] والتوبيخ، وحذف مفعول وعد الثاني لكون الوعد لم يكن لهم بخصوصهم؛ بل لكل الناس كالبعث والحساب والعقاب؛ وقيل: حُذِف لإسقاط الكفار عن رتبة التشريف بالخطاب عند الوعد ﴿قَالُواْ نَعَمۡۚ﴾؛ أي: وجدنا ما وعدنا ربُّنا حقّاً. وقرأ الأعمش والكسائي: «نَعِم» بكسر[٢] العين.

قال مكي[٣]: من قال: «نَعِم» بكسر العين فكأنه أراد أن يفرّق بين نَعَمْ التي جواب وبين نَعِم التي هي اسم للبقر والغنم والإبل.

والمؤذن: المنادي؛ أي: فنادى منادٍ بينهم؛ أي: بين الفريقين؛ قيل: هو من الملائكة ﴿أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، والبزي، بتشديد[٤] «أنَّ» وهو الأصل. وقرأ الباقون بالتخفيف[٥] على أنها المخففة من الثقيلة أو المفسرة.

وقرأ الأعمش بكسر[٦] همزة «إنّ» على إضمار القول.

وجملة: ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ صفة للظالمين، ويجوز الرفع والنصب على إضمارهم، أو أعني.

والصدّ: المنع؛ أي: يمنعون الناس عن سلوك سبيل الحق ﴿وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًا﴾؛ أي: يطلبون اعوجاجها؛ أي: يُنفّرون الناس عنها ويقدحون في استقامتها، بقولهم: إنها غير حق، وّإن الحق ما هم فيه.

والعِوج بالكسر في المعاني والأعيان ما لم يكن منتصباً، وبالفتح ما كان

---

(١) «البحر المحيط» (٥/ ٥٥)، و«تفسير أبي السعود» (٣/ ١٨٣).
(٢) «الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٦٢)، و«النشر» (٢/ ٢٦٩)، و«زاد المسير» (٣/ ٢٠٣). وهي قراءة متواترة.
(٣) ذكره القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٢٢٤)، وانظر: «الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٦٢ ـ ٤٦٣).
(٤) «البحر المحيط» (٥/ ٥٦)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٦٣)، و«النشر» (٢/ ٢٦٩)، و«زاد المسير» (٣/ ٢٠٣)، و«التيسير» (ص١١٠).
(٥) انظر: المصادر المتقدمة. كلا القرائتين متواترتان بفتح الهمزة مع التخفيف والرفع، والتشديد مع النصب، وأما قراءة الأعمش بكسر الهمزة فهي شاذة.
(٦) «البحر المحيط» (٥/ ٥٦)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٢٧)، و«مشكل إعراب القرآن» (١/ ٣١٧).

في المنتصب كالرمح، وجملة: ﴿وَهُم بِٱلْآخِرَةِ كَٰفِرُونَ﴾ في محل نصب[١] على الحال.

قولُه: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌۚ﴾؛ أَي: بين الفريقين أو بين الجنّة والنار. والحجاب: هو السور المذكور في قوله تعالى: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ﴾ [الحديد: ١٣].

قولُه: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ الأعراف[٢]: جمع عُرْف، وهي شُرُفات السور المضروب بينهم، ومِنْه عُرْف الفرس وعُرْف الديك والأعراف في اللغة: المكان المرتفع، وهذا الكلام خارج مخرج المدح كما في قوله: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٣٧].

وقد اختلفَ العلماء في أَصحاب الأعراف مَنْ هم؟ فقيل: هم الشهداء، ذكره القشيري[٣] وشُرَحْبيل[٤] بن سعد.

وقيل: هم فضلاء المؤمنين، فرغوا[٥] من شغل أنفسهم وتفرّغوا لمطالعة أحوال الناس، ذكره مجاهد[٦].

وقيل: هم قوم أنبياء، ذكره الزجاج[٧].

وقيل: هم قوم استوت[٨] حسناتُهم وسيئاتهم، قاله ابن مسعود وحذيفة بن اليمان، وابن عباس، والشعبي، والضحاك وسعيد بن جبير.

وقيل: هم العباس وحمزة وعلي وجعفر الطيار، يعرفون محبيهم ببياض الوجوه ومبغضيهم بسوادها، حُكي ذلك عن ابن عباس.

وقيل: هم عدول القيامة الذين يشهدون على النَّاس بأعمالهم وهم في كل أمة، واختار هذا القول النحاس[٩].

---

(١) «روح المعاني» (٩/ ١١٥).
(٢) «الصحاح» (٤/ ١٤٠ ـ ١٤١)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٢٧).
(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/ ٢٢٦).
(٤) انظر: «المحرر الوجيز» (٧/ ٧٦).
(٥) قاله القشيري كما في «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٢٢٧)، و«المحرّر الوجيز» لابن عطية (٧/ ٧٦).
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢١٩) عن مجاهد قوله: «أصحاب الأَعراف قومٌ صالحون، فقهاء عُلماء».
(٧) في «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٤٣).
(٨) انظر: «جامع البيان» (١٠/ ٢١٩ ـ ٢٢٢).
(٩) في «إعراب القرآن» له (٢/ ١٢٧).

وقيل: هم أولاد الزنا، روي ذلك عَنْ ابن عباس[١]؛ وقيل: هم ملائكة موكّلون بهذا السور، يميزون الكافرين من المؤمنين قبل إدخالهم الجنة والنار، ذكره أبو مِجْلَز[٢].

وجملة: ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ صفة لرجال، والسيما: العلامة؛ أي: يعرفون كلّاً مِنْ أهل الجنة والنار بعلاماتهم كبياض الوجوه وسوادها، أو مواضع الوضوء من المؤمنين، أو علامةً يجعلها الله لكل فريق في ذلك الموقف، يعرف رجال الأعراف بها السعداء مِنْ الأشقياء.

﴿وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾؛ أي: نادى رجال الأعراف أصحابَ الجنة حين رأوهم ﴿أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: نادوهم بقولهم: سلام عليكم، تحيةً لهم، وإكراماً وتبشيراً، أو أخبروهم بسلامتهم من العذاب.

قوله: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾؛ أي: لم يدخل الجنة أصحاب الأعراف، والحال أَنَّهم يطمعون في دخولها، وقيل: معنى: ﴿يَطْمَعُونَ﴾: يعلمون أنهم يدخلونها وذلك معروف عند أهل اللغة[٣]؛ أي: طمع بمعنى: علم. ذكره النحاس.

وهذا القول ـ أعني: كونهم أهل الأعراف ـ مرويّ عن جماعة[٤] منهم ابن عباس وابن مسعود.

وقال أبو مِجْلَز[٤]: هم أهل الجنة؛ أي: أن أهل الأعراف قالوا لهم: سلام عليكم، حال كون أهل الجنة لم يدخلوها والحال أنهم يطمعون في دخولها.

قولُه: ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ﴾؛ أي: إذا صرفت أبصار أهل الأعراف تلقاء أصحاب النار؛ أي: جهة أصحاب.

وأصل معنى ﴿تِلْقَاءَ﴾: جهة اللقاء، وهي جهة المقابلة، ولم يأت مصدر على تِفْعال[٥] بكسر أوّله غير مصدرين، أحدهما هذا، والآخر تِبيان، وما عداهما بالفتح.

﴿قَالُوا﴾؛ أي: قال أهل الأعراف: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ سألوا الله أن

---

(١) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٢٠٥)، والقرطبي في «تفسيره» (٩/ ٢٢٨).
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٢١٩ ـ ٢٢٠).
(٣) «الصحاح» (٣/ ١٢٥٤).
(٤) «جامع البيان» (١٠/ ٢١٩ ـ ٢٢٣)، و«المحرر الوجيز» (٧/ ٧٦).
(٥) «روح المعاني» (٩/ ١١٩)، و«التبيان» (١/ ٥٧١ ـ ٥٧٢).

لا يجعلهم منهم. ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا﴾ من الكفار [٢/١٢٥] ﴿يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾؛ أي: بعلاماتهم ﴿قَالُوا۟﴾ بدل من نادى ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ﴾ الذي كنتم تجمعون للصدّ عن سبيل الله، والاستفهام للتقريع[(١)] والتوبيخ.

قولُه: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾. «ما» مصدرية؛ أي: وما أغنى عنكم استكباركم ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ هذا مِنْ كلام أصحاب الأعراف؛ أي: قالوا للكفار مُشيرين إلى المسلمين الذين صاروا إلى الجنة هذه المقالة.

وقد كان الكفار يَقْسِمون في الدنيا عند رؤيتهم لضعفاء المسلمين بهذا القسم، وهذا تبكيت للكفار وتحسير لهم.

قولـه: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ هذا تمام كلام أصحاب الأعراف؛ أي: قالوا للمسلمين: ادخلوا الجنة، فقد انتفى عنكم الخوف والحزن بعد الدخول.

وقرأ طلحة بن مصرف: «أُدخِلوا» بكسر[(٢)] الخاء.

وقد أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس[(٣)]، في قوله: ﴿أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾ قال: من النعيم والكرامة ﴿فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾ قال: من الخِزي، والهوان، والعذاب.

وأخرج ابن أبي شيبة، وأبو الشيخ، وابن مردويه، عن ابن عمر[(٤)]: أن النبي ﷺ لما وقف على قَليب بدر تلا هذه الآية.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن السُّديّ[(٥)]، في قوله:

---

(١) ذكره أبو السعود في «تفسيره» (٣/ ١٨٤)، والألوسي في «روح المعاني» (٩/ ١٢٠).

(٢) قرأ طلحة وابن وثاب والنخعي: «أُدخِلوا» مبنيّاً للمفعول، وهو على الخبر؛ أي: فُعل بهم ذلك.
وقرأ الحسن وابن هرمز: «أَدخِلوا» على الأمر من «أدخل» الرباعي؛ أي: أدخِلوا أنفسكم.
«المحتسب» (١/ ٢٤٩)، و«القراءات الشاذة» (ص٤٤)، و«حاشية الجمل» (٢/ ١٤٧)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٢٨)، و«البحر المحيط» (٥/ ٦٠). وهي قراءة شاذة

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٨١، ١٤٨٢ رقم ٨٤٨٠) بسند ضعيف.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٤/ ٣٧٧)، والبخاري في «صحيحه» رقم (٣٩٨٠) بنحوه.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٢٠٨ ـ ٢٠٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» =

﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾ قال: هو السور وهو الأعراف، وإنما سمي الأعراف لأن أصحابه يعرفون الناس.

وأخرج سعيد بن منصور، وابن المنذر، عن حذيفة[١] قال: الأعراف: سور بين الجنة والنار.

وأخرج عبد الرزاق، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، والبيهقي في «البعث والنشور»، عن ابن عباس[٢] قال: الأعراف هو الشيء المُشْرِف.

وأخرج الفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وأبو الشيخ، عنه[٣]، قال: الأعراف سور له عُرْف كعرف الديك.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن سعيد بن جبير[٤]، قال: الأعراف جبال بين الجنة والنار فهم على أعرافها، يقول: على ذُراها.

وأخرج ابن جرير، عن ابن عباس[٥] أنها: تلّ بين الجنة والنار، حُبس عليه ناس من أهل الذنوب.

وأخرج ابن أبي حاتم[٦]، عن ابن جريج، قال: زعموا أنه الصراط.

وأخرج ابن جرير[٧]، عن حذيفة قال: أصحاب الأعراف قوم كانت لهم أعمال أنجاهم الله بها من النار، وهم آخر مَنْ يدخل الجنة، قد عرفوا أهل الجنة وأهل النار.

= (٥/ ١٤٨٣ رقم ٨٤٩٠، ٨٤٩٧) بسند حسن.

(١) أخرجه سعيد بن منصور في «سننه» رقم (٩٥٥ ـ تفسير) بسند ضعيف للانقطاع بين عامر الشعبي وحذيفة.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٢٠٩ ـ ٢١٠)، وسعيد بن منصور في «سننه» رقم (٩٥٧ ـ تفسير)، والبيهقي في «البعث والنشور» رقم (١٠٧)، وابن المبارك في «الزهد» رقم (١٣٦٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٨٣ رقم ٨٤٩٣) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٢١١)، وهناد بن الزهد رقم (٢٠٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٨٣ رقم ٨٤٩١) بسند صحيح.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٨٤ رقم ٨٤٩٥) بسند حسن.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٢١٠ ـ ٢١١) بسند حسن.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٥/ ١٤٨٤ رقم ٨٤٩٦) من طريق حسين بن الحسن، به.

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٢١٤) بسند ضعيف؛ للانقطاع بين عامر الشعبي وحذيفة.

وأخرج ابن جرير[١]، عن ابن مسعود: أنهم من استوت حسناتهم وسيئاتهم يقفون على الصراط.

وأخرج ابن جرير[٢] عن حذيفة نحوه.

وكذا[٣] أخرج نحوه عنه عبد الرزاق، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ.

وأخرج أبو الشيخ، وابن مردويه، وابن عساكر، عن جابر[٤] بن عبد الله نحوه.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، عن أَبي زرعة بن عمرو[٥] بن جرير قال: سئل رسول الله ﷺ عن أصحاب الأعراف؟ فقال: «هم آخر من يفصل بينهم من العباد، فإذا فرغ ربّ العالمين من الفصل بين العباد قال: أنتم قوم أخرجتكم حسناتكم من النار ولم تدخلوا الجنة فأنتم عتقائي، فارعوا من الجنة حيث شئتم».

قال ابن كثير[٦]: وهذا مُرسلٌ حسن.

وأخرج البيهقي في «البعث» عن حذيفة[٧] أراه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُجمعُ الناس يوم القيامة فيؤمر بأهل الجنة إلى الجنة ويؤمر بأهل النار إلى النار، ثم يقال لأصحاب الأعراف: ما تنتظرون؟ قالوا: ننتظر أمرك، فيقال لهم: إن حسناتكم تجاوزت بكم النار أن تدخلوها وحالت بينكم وبين الجنة خطاياكم، فادخلوا بمغفرتي ورحمتي».

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٢١٣ ـ ٢١٤) بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٢١٢ ـ ٢١٣) بسند ضعيف، وقد تقدم.

(٣) أخرجه ابن جرير (١٠/ ٢١٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٨٤، ١٤٨٥ رقم ٨٤٩٩)، وسعيد بن منصور في «سننه» رقم (٩٥٥، ٩٥٦ ـ تفسير)، والبيهقي في «البعث والنشور» رقم (١١٠) بسند ضعيف؛ للانقطاع بين عامر الشعبي، وحذيفة، وقد تقدم.

(٤) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ مدينة دمشق» (١٤/ ٣١٣) من طريق أبي الزبير، به.
في ترجمة رقم (١٦٠٨): الحسين بن محمد بن سنان أبو المعمَّر الموصلي ثم الأطرابُلُسي المعروف بابن عياش الضرير.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٨٥ رقم ٨٥٠٠) بسند حسن، ولكنه مرسل.

(٦) في «تفسيره» (٦/ ٣١٠).

(٧) أخرجه البيهقي في «البعث والنشور» رقم (١١١).
قال البيهقي: «وروي فيه حديثان مرفوعان في إسنادهما ضعف».

وأخرج سعيد بن منصور، وابن منيع، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والطبراني، وأبو الشيخ وابن مردويه، والبيهقي في «البعث»، عن عبد الرحمٰن[١] المزني قال: سئل رسول الله ﷺ عن أصحاب الأعراف؟ فقال: «هم قوم قُتلوا في سبيل الله في معصية آبائهم، فمنعهم مِنْ النار قتلهم في سبيل الله، ومنعهم من الجنة معصيتهم آباءهم».

وأخرج الطبراني، وابن مردويه بسند ضعيف عن أبي سعيد الخدري[٢] ـ مرفوعاً ـ نحوه.

وأخرج ابن مردويه، والبيهقي في «البعث»، عن أبي هريرة[٣] مرفوعاً نحوه أيضاً.

وأخرج الحارث بن أبي أسامة في «مسنده»، وابن جرير، وابن مردويه، عن عبد الله بن مالك[٤] الهلالي، عن أبيه ـ مرفوعاً ـ نحوه.

وأخرج ابن مردويه[٥]، عن ابن عباس ـ مرفوعاً ـ نحوه.

وأخرج أبو الشيخ، وابن مردويه، عن رجل من مزينة[٦] ـ مرفوعاً ـ نحوه.

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور في «سننه» رقم (٩٥٤ ـ تفسير)، وعبد بن حميد كما في «الإصابة» (٤/٣٢٩)، وأحمد بن منيع في «مسنده» كما في «إتحاف المهرة» (٣/٧٥/٧)، وكما في «المطالب العالية» (٣٩٨٣/١، ٢)، والحارث بن أبي أسامة في «مسنده» كما في «بُنية الباحث» (ص٢٢٣ رقم ٧١١)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٠/٢١٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/١٤٨٤ رقم ٨٤٩٨)، وابن الأنباري في «الأضداد» (ص٣٦٩)، والخرائطي في «مساوئ الأخلاق» رقم (٢٥٢)، والبيهقي في «البعث والنشور» رقم (١١٢، ١١٣)، والطبراني كما في «مجمع الزوائد» (٧/٢٣، ٢٤)، وابن مردويه كما في «تفسير ابن كثير» (٦/٣٠٧).
سنده ضعيف جدّاً؛ لجهالة ابن عبد الرحمٰن المزني، وجهالة حال الراوي عنه يحيى بن شبل، وضعف أبي معشر واضطرابه في (سنده).
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: «وفيه أبو معشر نجيح وهو ضعيف».

(٢) أخرجه الطبراني في «الصغير» (١/٢٣٨، ٢٣٩)، وفي «الأوسط» رقم (٣٠٥٣) بسند ضعيف.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/٢٣): «فيه محمد بن مخلد الرعيني، وهو ضعيف».

(٣) أخرجه البيهقي في «البعث والنشور» رقم (١١٥) بسند ضعيف.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/٢١٨)، والحارث بن أبي أُسامة كما في «المطالب العالية» رقم (٣٩٨٥).
قال البوصيري: «هذا إسناد فيه محمد بن عمر الواقدي، وهو ضعيف».

(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٤٦٥).

(٦) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٤٦٥).

وأخرج أبو الشيخ، عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار[1]، أنه سئل عن قوله: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾؟ قال: سلّمت عليهم الملائكة وهم لم يدخلوها وهم يطمعون أن يدخلوها حين سلّمت.

وأخرج ابن جرير، وأبو الشيخ، عن السديّ[2] قال: أصحاب الأعراف يعرفون الناس بسيماهم، أهل النار بسواد وجوههم وأهل الجنة ببياض وجوههم، فإذا مرّوا بزمرة يذهب بهم إلى الجنة قالوا: سلام عليكم، وإذا مرّوا بزمرة يذهب بها إلى النار قالوا: ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس[3] ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا﴾ قال: في النار ﴿يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ قال الله لأهل التكبر: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ يعني: أصحاب الأعراف ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾.

[نداء أهل النار واستغاثتهم بأهل الجنة]:

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾.

---

(١) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٣/٤٦٦ ـ ٤٦٧).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/٢٢٦، ٢٢٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/١٤٨٧ رقم ٨٥١٣) بسند حسن.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/٢٢٩، ٢٣١ ـ ٢٣٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/١٤٨٩ رقم ٨٥٢٢، ٨٥٢٣، ٨٥٢٨) بسند ضعيف.

قوله: ﴿أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ الإفاضة: التوسعة، يقال: أفاض عليه نعمه، طلبوا منهم أن يواسوهم بشيء من الماء، أو بشيء مما رزقهم الله من غيره من الأشربة[١] أو الأطعمة، فأجابوا بقولهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا﴾؛ أي: الماء وما رزقهم الله من غيره ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ فلا نواسيكم بشيء مما حرّمه الله عليكم؛ [٢١٢٦] وقيل: إن هذا النداء من أهل النار كان بعد دخول أهل الأعراف الجنة.

وجملة ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾ في محل جر[٢] صفة الكافرين، وقد تقدّم تفسير اللهو واللعب والغرر.

قوله: ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ﴾؛ أي: نتركهم في النار ﴿كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾ الكاف نعت مصدر[٢] محذوف، و«ما» مصدرية[٣]؛ أي: نسياناً كنسيانهم لقاء يومهم هذا.

قوله: ﴿وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ معطوف على ما نسوا؛ أي: كما نسوا، وكما كانوا بآياتنا يجحدون؛ أي: ينكرونها، واللام في ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم﴾ جواب القسم.

والمراد بالكتاب: الجنس، إن كان الضمير للكفار جميعاً، وإن كان للمعاصرين للنبي ﷺ، فالمراد بالكتاب: القرآن. والتفصيل: التبيين، و﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ في محل نصب[٤] على الحال؛ أي: عالمين حال كونه ﴿هُدًى﴾ للمؤمنين ﴿وَرَحْمَةً﴾ لهم.

قال الكسائي[٥] والفراء[٦]: ويجوز «هدى ورحمة» بالخفض على النعت لكتاب.

قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾ بالهمز[٧] من آل، وأهل المدينة[٨] يخفون

---

(١) «جامع البيان» (١٠/ ٢٣٥).
(٢) «روح المعاني» (٩/ ١٢٣)، و«البحر المحيط» (٥/ ٦٢).
(٣) «روح المعاني» (٩/ ١٢٤).
(٤) «البحر المحيط» (٥/ ٦٢)، و«التبيان» (١/ ٥٧٣)، و«روح المعاني» (٩/ ١٢٤).
(٥) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ١٢٩).
(٦) في «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٨٠).
(٧) «النشر» (١/ ٣٠٤)، و«البحر المحيط» (٥/ ٦٢ ـ ٦٣).
(٨) «النشر» (١/ ٣٩٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٢٣٢)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٣٠).

الهمزة. والنظر: الانتظار؛ أي: هل ينتظرون إلا ما وعدوا به في الكتاب من العقاب الذي يئول الأمر إليه؛ وقيل: تأويله جزاؤه؛ وقيل: عاقبته. والمعنى متقارب. و﴿يَوْمَ﴾ ظرف ليقول؛ أي: يوم يأتي تأويله؟ وهو يوم القيامة ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ﴾؛ أي: تركوه من قبل أن يأتي تأويله ﴿قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ الذي أرسلهم الله به إلينا ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ﴾ استفهام منهم، ومعناه: التمني ﴿فَيَشْفَعُواْ لَنَآ﴾ منصوب[1] لكونه جواباً للاستفهام.

قوله: ﴿أَوْ نُرَدُّ﴾ قال الفراء[2]: المعنى: أو هل نردّ ﴿فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾.

وقال الزجّاج[3]: «نردّ» عطف على المعنى؛ أي: هل يشفع لنا أحد أو نردّ. وقرأ ابن أبي إسحاق[4]: «أو نردَّ فنعملَ» بنصبهما؛ كقول امرئ القيس[5]:

فقلت له لا تبكِ عينُك إنما نحاول مُلكاً أو نموتَ فنعذرا

وقرأ الحسن برفعهما[6].

ومعنى الآية: هل لنا شفعاء يخلّصونا مما نحن فيه من العذاب، أو هل نردّ إلى الدنيا فنعمل صالحاً غير ما كنا نعمل من المعاصي.

﴿قَدْ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾؛ أي: لم ينتفعوا[7] بها، فكانت أنفسهم بلاء عليهم ومحنة لهم، فكأنّهم خسروها كما يخسر التاجر رأس ماله؛ وقيل: خسروا النعيم[8] وحظ الأنفس ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾؛ أي: افتراؤهم أو الذي كانوا يفترونه.

والمعنى: أنّه بطل كذبهم الذي كانوا يقولونه في الدنيا، أو غاب عنهم ما كانوا يجعلونه شريكاً لله فلم ينفعهم ولا حضر معهم.

---

(١) «التبيان» (١/ ٥٧٣)، و«روح المعاني» (٩/ ١٢٦).
(٢) في «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٨٠).
(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/ ٢٣٦).
(٤) «القراءات الشاذة» (ص٤٤)، و«المحتسب» (١/ ٢٥١)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٣٠).
(٥) انظر: «ديوانه» (ص٦٦).
(٦) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٢٣٧)، و«البحر المحيط» (٥/ ٦٣). وقراءة ابن أبي اسحاق، وقراءة الحسن شاذتان.
(٧) «جامع البيان» (١٠/ ٢٤٤).
(٨) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/ ٢٣٧).

قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ هذا نوع من بديع صنع الله، وجليل قدرته، وتفرّده بالإيجاد، الذي يوجب على العباد توحيده وعبادته.

وأصل ستة: سِدْسة أبدلت التاء[١] من أحد السينين وأدغم فيها الدال، والدليل على هذا أنك تقول في التصغير: سُديسة، وفي الجمع: أَسْداس، وتقول: جاء فلان سادساً.

واليوم مِنْ طلوع الشمس إلى غروبها، قيل: هذه الأيام مِنْ أيام الدنيا؛ وقيل: من أيام الآخرة، وهذه الأيام[٢] الست أولها الأحد وآخرها الجمعة، وهو سبحانه قادر على خلقها في لحظة واحدة يقول لها: كُوني فتكون، ولكنَّه أراد أن يُعلِّم عباده الرفق والتأني في الأمور، أو خلقها في ستة أيام لكون لكل شيء عنده أجلاً، وفي آية أخرى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [قٓ: ٣٨].

قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾:

قد اختلف العلماء في معنى هذا على أربعة عشر[٣] قولاً.

وأحقها وأولاها بالصواب مَذْهبُ السلف[٤] الصالح أنَّه: استوى سبحانه عليه بلا[٥] كيف؛ بل على الوجه الذي يليق به مع تنزهه عما لا يجوز عليه، والاستواء في لغة العرب: هو العلوّ والاستقرار.

قال الجوهري[٦]: استوى على ظهر دابته؛ أي: استقرّ، واستوى إلى السماء؛ أي: صعد، واستوى؛ أي: استولى وظفر، ومنه قول الشاعر[٧]:

قد استوى بِشرٌ على العراقِ ... من غير سيف ودمٍ مُهراقِ

---

(١) «تهذيب اللغة» (١٢/ ٢٨٢)، و«الصحاح» (٣/ ٩٣٧).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٢٤٥)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٨٠٦)، وابن أبي شيبة (١٤/ ١٠٦) من طريق الحجاج بن المنهال، به.

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٢٣٨)، و«تفسير الرازي» (١٤/ ٩٩).

(٤) انظر: «العلو» للذهبي (ص٥٢)، و«أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة» (٢/ ٤٢٩)، و«دقائق التفسير» لابن تيمية (٥/ ٢٣٧ ـ ٢٣٨).

(٥) «نعم؛ نثبت ما أثبته الله لنفسه في كتابه، أو أثبته له رسول الله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل».
«عقيدة السلف أصحاب الحديث» للصابوني (ص٤)، و«مجموع فتاوى» (٣/ ٣، ٤/ ١٨٢).

(٦) «الصحاح» (٦/ ٢٣٨٤ ـ ٢٣٨٥).

(٧) وهو الأخطل، وقد تقدم.

واستوى الرجل؛ أي: انتهى شبابه، واستوى؛ أي: انتسق واعتدل.

وحُكي عن أبي عبيدة[١] أن معنى ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ هنا: علا.

ومثله قول الشاعر:

فأَوْرَدْتُهم ماءً بفَيْفَاء قفرةٍ وقد حلّق النجمُ اليمانيُّ فاستوى

أي: علا وارتفع.

والعرش. قال الجوهري: هو سرير المَلِك. ويطلق العرش على معان أخر منها عرش البيت: سقفُه، وعرش البئر: طيُّها بالخشب، وعرش السِّماك: أربعة كواكب صغار، ويطلق على: المُلْك والسلطان والعزّ، ومنه قول زهير[٢]:

تداركتما عبساً وقد ثُلَّ عرشُها وذُبيانَ إذ زلّتْ بأقدامها النعلُ

وقول الآخر:

إن يقتلوك فقد ثَلَلْتَ عروشَهم بعُتيبةَ بنِ الحارثِ بن شهاب

وقول الآخر:

رأَوا عرشي تثلّم جانباه فلمّا أن تثلم أفردوني

وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة صفة عرش الرحمٰن، وإحاطته بالسمٰوات والأرض وما بينهما وما عليهما، وهو المراد هنا.

قوله: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾؛ أي: يجعل الليل كالغشاء للنهار، فيغطي بظلمته ضياءه.

وقرأ عاصم[٣] وحمزة والكسائي: «يُغشّي» بالتشديد.

وقرأ الباقون[٤] بالتخفيف وهما لغتان، يقال: أَغْشَى يُغْشي، وغَشّي يُغَشّي، والتغشية في الأصل: إلباسُ الشيء الشيء، ولم يذكر في هذه الآية يُغْشي الليل

---

(١) في «مجاز القرآن» (٢/ ١٥).

(٢) انظر: «ديوانه» (ص١٠٩).

(٣) «البحر المحيط» (٥/ ٦٦)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٦٤)، و«المحتسب» (١/ ٢٥٢)، و«النشر» (٢/ ٢١٩)، و«التيسير» (ص١١٠)، و«زاد المسير» (٣/ ٣١٣)، و«حاشية الجمل» (٢/ ١٤٩). قال في «تخريج القراءات في فتح القدير» (ص١٣٦) هما قراءتان متواترتان والصواب أن أبا بكر عن عاصم يقرأ بالتشديد أمّا حفص عن عاصم فيخفّف، وكذلك مَنْ قرأ بالتشديد يعقوب، وخلف وقراءة حميد بن قيس شاذة. ا. هـ.

(٤) انظر: المصادر المتقدمة.

بالنهار اكتفاء بأحد الأمرين عن الآخر؛ كقوله تعالى: ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: ٨].

وقرأ حُميد[1] بن قيس: «يَغْشي الليلُ النهارَ» على إسناد الفعل إلى الليل، ومحل هذه الجملة النصب[2] على الحال، والتقدير: استوى على العرش مغشياً الليل النهار.

وهكذا قوله: ﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ حال من الليل؛ أي: حال كون الليل[3] طالباً للنهار طلباً حثيثاً لا يفتر عنه بحال، وحثيثاً صفة مصدر محذوف؛ أي: يطلبه طلباً حثيثاً، أو حال من فاعل يطلب. [٢/١٢٧] والحث: الاستعجال والسرعة، يقال: ولي حثيثاً؛ أي: مسرعاً.

قوله: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ قال الأخفش[4]: معطوف على السمٰوات.

وقرأ ابن عامر برفعها[5] كلها على الابتداء والخبر. والمعنى على الأوّل: وخلق الشمس والقمر والنجوم حال كونها مسخرات، وعلى الثاني: الإخبار عن هذه بالتسخير.

قوله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ إخبار منه سبحانه لعباده بأنهما له، والخلق: المخلوق، والأمر: كلامه، وهو «كُنْ» في قوله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]، أو المراد بالأمر: ما يأمر به على التفصيل، أو التصرّف في مخلوقاته، ولما ذكر سبحانه في هذه الآية خلق السمٰوات والأرض في ذلك الأمد اليسير، ثم ذكر استواءه على عرشه، وتسخير الشمس والقمر والنجوم، وأن له الخلق والأمر.

---

(١) «البحر المحيط» (٥/ ٦٧)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٣١).

(٢) «التبيان» (١/ ٥٧٤)، و«روح المعاني» (٩/ ١٤٢ ـ ١٤٣).

(٣) «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٣١).

(٤) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٥١٩).

(٥) «البحر المحيط» (٥/ ٦٧)، و«النشر» (٢/ ٢٦٩)، و«زاد المسير» (٣/ ٣١٥)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٦٥). النصب في الجميع قراءة الجمهور، والرفع في الجميع قراءة ابن عامر وهما متواترتان.

قال: ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ أي: كَثُرت واتسعتْ، ومنه بُورك الشيء، وبورك فيه، كذا قال ابن عرفة[١]. وقال الأزهري[٢] في ﴿تَبَارَكَ﴾ معناه: تعالى وتَعاظَم.

وقد تقدم تفسير ﴿رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ في الفاتحة مستكملاً.

وقد أخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن ابن عباس[٣]، في قوله: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ الآية قال: يُنادي الرجل أخاه فيقول: يا أخي أغثني، فإني قد احترقتُ، فأَفِضْ عليّ مِنْ الماء، فيقال: أجبْه، فيقول: إن الله حرّمهما على الكافرين.

وأخرج ابنُ جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن السديّ[٤] في قوله: ﴿أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ قال: مِنْ الطعام.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن ابن زيد[٥]، في الآية قال: يستسقونهم، ويستَطعمونهم، وفي قوله[٦]: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ قال: طعام الجنة وشرابها.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «الأسماء والصفات»، عن ابن عباس[٧]، في قوله: ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾ يقول: نتركُهم في النار كما تركوا لقاء يومهم هذا.

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/ ٢٤٤).
(٢) في «تهذيب اللغة» (١٠/ ٢٣٠).
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٢٣٦)، وابن أبي شيبة (١٣/ ٣٦٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٩٠ رقم ٨٥٣٢) بسند صحيح.
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٢٣٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٩٠، ١٤٩١ رقم ٨٥٣٤) بسند حسن.
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٢٣٥) بسند صحيح من طريق ابن وهب، به.
• وأخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٩١ رقم ٨٥٣٥) من طريق أصبغ، عن ابن زيد.
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٢٣٦ ـ ٢٣٧) من طريق ابن وهب عن ابن زيد بسند صحيح.
• وأخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٩١ رقم ٨٥٣٩) من طريق أصبغ عن ابن زيد.
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٢٣٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٩٢ رقم ٨٥٤٣)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (١٠٢٦) بسند صحيح.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن مجاهد[١]، في قوله: ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ﴾ قال: نؤخرهم.

وأخرج عبد الرزاق، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن قتادة[٢]، في قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾ قال: عاقبته.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن مجاهد[٣]، قال: ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ﴾: جزاؤه.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس[٤]: ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ﴾ قال: يوم القيامة.

وأخرج ابن أبي حاتم، عن ابن عباس[٥] ﴿مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ قال: ما كانوا يكذبون في الدنيا.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، وابن مردويه، عن ابن عباس[٦]، في قوله: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ قال: كل يوم مقداره ألف سنة.

وأخرج ابن مردويه[٧]، عن أم سلمة، قالت في قوله: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ الكيف: غير معقول، والاستواء غير مجهول، والإقرار به إيمان، والجحود كفر.

وأخرج اللالكائي[٨] عن مالك أن رجلاً سأله: كيف استوى على العرش؟ فقال:

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٢٣٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٩٢ رقم ٨٥٤٤) بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٢٤١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٩٤ رقم ٨٥٦٢)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٢٣٠) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٢٤١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٩٤ رقم ٨٥٦١) بسند صحيح.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٢٤٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٩٤ رقم ٨٥٥٩) بسند ضعيف.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٩٦ رقم ٨٥٧٠) بسند ضعيف.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٩٦ رقم ٨٥٧٥) بسند ضعيف.

(٧) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٤٧٣) إلى ابن مردويه واللالكائي في «السُّنَّة». هو عند اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد السُّنَّة» (٢/ ٤٤١) رقم (٦٦٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية (٥/ ٣٦٥) وقد رُوي هذا الجواب عن أم سلمة ﵂ موقوفاً ومرفوعاً ولكن ليس إسناده مما يعتمد عليه.

(٨) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٤٧٣). هو عند اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد السُّنَّة» (٢/ ٤٤١) رقم (٦٦٤) وسنده جيد.

الكيف غير معقول والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب «الدعاء»، والخطيب في «تاريخه»، عن الحسن[1] بن عليّ، قال: أنا ضامن لمن قرأ هذه العشرين آية في كل ليلة أن يعصمه الله من كل سلطان ظالم، ومن كل شيطان مريد، ومن كل سَبُع ضاري، ومن كل لص عادي: آية الكرسي، وثلاث آيات من الأعراف ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأعراف: ٥٤ ـ ٥٦] وعشراً من أوّل سورة الصافات، وثلاث آيات من الرحمٰن أوّلها ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الرحمٰن: ٣٣ ـ ٣٥]، وخاتمة الحشر.

وأخرج أبو الشيخ[2] عَنْ عُبيد ابن أبي مرزوق قال: مَنْ قرأ عند نومه ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ الآية، بسط عليه مَلَكٌ جناحَه حتى يصبح، وعوفي مِنْ السَّرَق.

وأخرج أبو الشيخ[2] عن محمد بن قيس صاحب عمر بن عبد العزيز قال: مرض رجل من أهل المدينة فجاءه زُمرة مِنْ أصحابه يعودونه، فقرأ رجل منهم: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ الآية كلها، وقد أصمت الرجل فتحرّك ثم استوى جالساً، ثم سجد يومه وليلته حتى كان مِنْ الغد من الساعة التي سجد فيها، قال له أهلُه، الحمد لله الذي عافاك، قال: بُعث إلى نفسي مَلَكٌ يتوفاها، فلما قرأ صاحبكم الآية التي قرأ، سجد الملَك وسجدتُ بسجوده، فهذا حين رفع رأسه، ثم مال فقضَى.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن السديّ[3]، في قوله: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ قال: يُغشى الليلَ النهارَ فيذهب بضوئه، ويطلبُه سريعاً حتى يدركه.

وأخرج ابن أبي حاتم[4]، عن قتادة، قال: يلبس الليل النهار.

وأخرج ابن أبي حاتم[5]، عن ابن عباس، في قوله: ﴿حَثِيثًا﴾ قال: سريعاً.

---

(١) أخرجه الخطيب في «تاريخه» (٤/ ١٢٧).

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٤٧٣).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٢٤٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٩٧، ١٤٩٨ رقم ٨٥٨١) بسند حسن.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢١٩ رقم ١٢١٠٩) بسند صحيح.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٩٨ رقم ٨٥٨٢)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٢٤٦) بسند صحيح.

وأخرج ابن أبي حاتم(١)، عن سفيان بن عيينة، في قوله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ قال: الخلق ما دون العرش، والأمر ما فوق ذلك.

وأخرج ابن أبي حاتم، والبيهقي، عنه(٢)، قال: الخلق هو الخلق، والأمر: هو الكلام.

[من آداب الدعاء]:

﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾﴾.

أمرهم الله سبحانه بالدعاء، وقيّد ذلك بكون الداعي متضرّعاً بدعائه مُخفياً له، وانتصاب ﴿تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ على الحال(٣)؛ أي: متضرّعين بالدعاء مُخْفين له، أو صفة مصدر محذوف؛ أي: ادعوه دعاء تضرّعٍ ودعاء خفية.

والتضرّع مِنْ الضراعة، وهي: الذلةُ والخشوع(٤) والاستكانة، والخفية: الإسرارُ به، فإن ذلك أقطع لعرْق الرياء، وأحسم لباب ما يخالف الإخلاص، ثم علَّل ذلك بقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾؛ أي: المجاوزين لما أمروا به في الدعاء وفي كل شيء، فمن جاوز ما أمره الله به في شيء مِنْ الأشياء فقد اعتدى، والله لا يُحب المعتدين، وتدخل المجاوزة في الدعاء(٥) في هذا العموم دخولاً أوليّاً.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٩٨ رقم ٨٥٨٧) من طريق عمران بن موسى الطرسوسي.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/١٤٩٨ رقم ٨٥٨٦) من طريق يعقوب بن دينار، به.
(٣) «التبيان» (١/ ٥٧٤)، و«البحر المحيط» (٥/ ٦٢٠).
(٤) «روح المعاني» (٩/ ١٥٠).
(٥) «المحرر الوجيز» (٧/ ٧٨ ـ ٧٩).

ومن الاعتداء في الدعاء[١]: أَنْ يسأل الداعي ما ليس له، كالخلود في الدنيا، أو إدراك ما هو محال في نفسه، أو يطلب الوصول إلى منازل الأنبياء في الآخرة، أو يرفع صوته بالدعاء صارخاً به.

قولُه: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ نهاهم الله سبحانه عن الفساد في الأرض بوجه من الوجوه، قليلاً كان أو كثيراً، [٢/١٢٨] ومنه: قتلُ الناس، وتخريب منازلهم، وقطعُ أشجارهم[٢]، وتغوير أنهارهم.

ومن الفساد في الأرض: الكفرُ بالله، والوقوع في معاصيه.

ومعنى ﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾: بعد أن أصلحها الله بإرسال الرسل، وإنزال الكتب وتقرير الشرائع.

قولُه: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ إعرابهما يحتمل الوجهين المتقدمين في ﴿تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ وفيه: أَنَّه يُشرع للداعي أن يكون عند دعائه خائفاً، وجلاً، طامعاً في إجابة الله لدعائه، فإنَّه إذا كان عند الدعاء جامعاً بين الخوف والرجاء، ظفر بمطلوبه.

والخوفُ: الانزعاجُ مِنْ المضارّ التي لا يُؤمن مِنْ وقوعها، والطمع: توقع حصول الأمور المحبوبة.

قولُه: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ هذا إخبار من الله سبحانه بأن رحمته قريبةٌ من عباده المحسنين، بأيّ نوع من الأنواع كان إحسانهم. وفي هذا ترغيب للعباد إلى الخير، وتنشيط لهم، فإن قرب هذه الرحمة التي يكون بها الفوز بكل مطلب مقصود لكلِّ عبد من عبادة الله.

وقد اختلف أئمة اللغة والإعراب في وجه تذكير[٣] خبر رحمة الله حيثُ قال

---

(١) «روح المعاني» (٩/ ١٥٠ ـ ١٥١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٢٤٨)، و«المحرر الوجيز» (٧/ ٧٩).

(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/ ٢٤٩) عن الضحاك، ثم قال: «وأمَّا ما ذكره الضحاك، فليس على عمومه، وإنما ذلك إذا كان فيه ضررٌ على المؤمن، وأمَّا ما يعود ضرره على المشركين فذلك جائز، فإنَّ النبيَّ ﷺ قد عَوَّر ماء قليب بدرٍ، وقطع شجر الكافرين.

(٣) «التبيان» (١/ ٥٧٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٢٥٠ ـ ٢٥١)، و«روح المعاني» (٩/ ١٥٧ ـ ١٥٨)، و«البحر المحيط» (٥/ ٧١ ـ ٧٢).

﴿قَرِيبٌ﴾ ولم يقل قريبة، فقال الزجاج[١]: إنّ الرحمة مؤوّلة بالرحم، لكونها بمعنى: العفو والغفران، ورجَّح هذا التأويل النحاس[٢].

وقال النضر[٣] بن شميل: الرحمة مصدر بمعنى: الترحم، وحق المصدر التذكير.

وقال الأخفش[٤] سعيد: أراد بالرحمة هنا: المطر، وتذكير بعض المؤنث جائز، وأنشد:

فـلا مُـزْنـةٌ وَدَقَـتْ وْدَقـهـا ... ولا أرضَ أبـقَـلَ إبـقـالَـهـا[٥]

وقال أبو عُبيدة[٦]: تذكير قريب على تذكير المكان؛ أي: مكان قريب.

قال علي بن سليمان[٧] الأخفش: وهذا خطأ، ولو كان كما قال لكان قريب منصوباً كما تقول: إن زيداً قريباً منك.

وقال الفرّاء[٨]: إن القريب إذا كان بمعنى المسافة، فَيُذكّر ويؤنّث، وإن كان بمعنى النسب فيؤنث بلا اختلاف بينهم.

وروي عن الفراء[٩] أنه قال: يقال في النسب: قريبة فلان، وفي غير النسب يجوز التذكير والتأنيث فيقال: دارك عنا قريب، وفلانة منا قريب قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣] ومنه قول امرئ القيس[١٠]:

لـك الـويـلُ إن أُمـسي ولا أمُّ هـاشـم ... قـريبٌ ولا الـبَـسْـبـاسَـةُ ابـنـةُ يشـكُـرا

وروي عن الزجاج[١١] أنه خطّأ الفرّاءَ فيما قاله وقال: إن سبيل المذكر والمؤنث، أن يجريا على أفعالهما.

---

(١) في «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٤٤). (٢) في «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٣١).
(٣) انظر: «اللسان» (١٢/ ٢٣٢ ـ ٢٣٣)، و«تهذيب اللغة» (٥/ ٤٩).
(٤) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٥١٩).
(٥) البيت لعامر بن جوين الطائي. «خزانة الأدب» (١/ ٤٥).
(٦) في «مجاز القرآن» (١/ ٢١٦).
(٧) في «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٨٠ ـ ٣٨١).
(٨) في «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٨١).
(٩) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» (١/ ٢٥١).
(١٠) انظر: «ديوان امرئ القيس» (ص٦٨).
(١١) في «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٤٥).

وقيل: إنه لما كان تأنيث الرحمة غير حقيقي، جاز في خبرها التذكير، ذكر معناه الجوهري[١].

قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ عطف على قوله: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ [الأعراف: ٥٤] يتضمن ذكر نعمة مِنْ النعم التي أنعم بها على عباده، مع ما في ذلك من الدلالة[٢] على وحدانيته وثبوت إلاهيته. ورياح: جمع ريح، وأصل ريح: رَوح.

وقرأ أهل الحرمين وأبو عمرو: «نُشُراً» بضم[٣] النون والشين جمع ناشر على معنى النسب؛ أي: ذات نشر.

وقرأ الحسن وقتادة، وابن عامر: «نُشْراً» بضم[٤] النون وإسكان الشين من نشر.

وقرأ الأعمش وحمزة والكسائي. «نَشْراً» بفتح النون[٥]، وإسكان الشين على المصدر، ويجوز أن يكون مصدراً في موضع الحال[٦].

ومعنى هذه القراءات يرجع إلى النشر، الذي هو خلاف الطيّ فكأن الريح مع سكونها كانت مطوية، ثم ترسل مِنْ طيها فتصير كالمنفتحة.

وقال أبو عبيدة[٧]: معناه: متفرقة في وجوهها، على معنى: ننشرها ها هنا وها هنا.

وقرأ عاصم: ﴿بُشْرًۢا﴾ بالباء[٨] الموحدة وإسكان الشين جمع بشير؛ أي: الرياح

---

(١) في «الصحاح» (١/ ١٩٨ ـ ١٩٩).

(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/ ٢٥٢).

(٣) «البحر المحيط» (٥/ ٧٧)، و«النشر» (٢/ ٢٦٩)، و«التيسير» (ص١١٠)، و«زاد المسير» (٣/ ٢١٧).

(٤) «البحر المحيط» (٥/ ٧٧)، و«حاشية الشهاب» (٤/ ١٧٦)، و«جامع البيان» (١٠/ ٢٥٢ ـ ٢٥٣).

(٥) «الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٦٥)، و«زاد المسير» (٣/ ٢١٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٢٥٢).

(٦) «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٣٣)، و«التبيان» (١/ ٥٧٦).

(٧) في «مجاز القرآن» (١/ ٢١٧).

(٨) «جامع البيان» (١٠/ ٢٥١ ـ ٢٥٢)، و«البحر المحيط» (٥/ ٧٧)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٣٣). هذه الأربع القرآءات (نُشُراً) و(نُشْراً) و(نَشْراً) و(بُشْراً) كلها متواترة، ومع أهل الحرمين يعقوب، ومع حمزة والكسائي خلفٌ. «تخريج القراءات في فتح القدير» (ص١٣٦).

تُبشِّر بالمطر، ومثله قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾ [الروم: ٤٦].

قولُه: ﴿بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ أراد بالرحمة هنا المطر؛ أي: قدّام رحمته، والمعنى: أنَّه سبحانه يُرسل الرياح ناشراتٍ أو مبشراتٍ بين يدي المطر.

قولُه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا﴾ أقلّ[(١)] فلانُ الشيءَ: حملَه ورفعَه. والسحاب يُذكّر ويؤنّث، والمعنى: حتى إذا حملت الرياحُ سحاباً ثقالاً بالماء الذي صارت تحمله ﴿سُقْنَٰهُ﴾؛ أي: السحاب ﴿لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾؛ أي: مُجدْب ليس فيه نبات، يقال: سقتهُ لبلدٍ كذا، وإلى بلد كذا؛ وقيل: اللّام هنا لام العلة[(٢)]؛ أي: لأجل بلد ميت، والبلد: هو الموضع العامر[(٣)] مِنْ الأرض. ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ﴾؛ أي: بالبلد الذي سقناه لأجله، أو بالسحاب؛ أي: أنزلنا بالسحاب الماء الذي تحمله أو بالريح؛ أي: فأنزلنا بالريح المرسلة بين يدي المطر الماءَ.

وقيل: إن «الباء» هنا بمعنى «من»؛ أي: فأنزلنا مِنْه الماء ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾ أي بالماء ﴿مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾؛ أي: من جميع أنواعها.

قوله: ﴿كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾؛ أي: مثل ذلك الإخراج، وهو إخراج الثمرات نخرج الموتى من القبور يوم حشرهم ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾؛ أي: تتذكرون فتعلمون بعظيم قدرة الله، وبديع صنعته، وإنه قادر على بعثكم كما قدر على إخراج الثمرات التي تشاهدونها.

قولُه: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾؛ أي: التربة الطيبة يخرج نباتها بإذن الله وتيسيره إخراجاً حسناً تاماً وافياً ﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾؛ أي: والتربة الخبيثة لا يخرج نباتُها إلا نكداً؛ أي: لا خير فيه.

وقرأ طلحة بن مُصرِّف: «نَكْداً» بسكون[(٤)] الكاف.

---

(١) «الصحاح» (٤/ ١٦٤٧).

(٢) «روح المعاني» (٩/ ١٦٥)، و«البحر المحيط» (٥/ ٧٨).

(٣) «تهذيب اللغة» (١٤/ ١٢٧).

(٤) «القراءات الشاذة» (ص٤٤)، و«جامع البيان» (١٠/ ٢٥٧)، و«زاد المسير» (٣/ ٢٢٠). بفتح كاف (نَكَداً) متواترة عن أبي جعفر ابن القعقاع وبكسر الكاف متواترة عن بقية العشرة، وغيرها شاذ. انظر: «الاتحاف» للدمياطي (٢٢٦).

وقرأ ابن القعقاع: «نَكَداً» بفتح الكاف[١]؛ أي: ذا نكدٍ.

وقرأ الباقون[٢]: «نَكِداً» بفتح النون وكسر الكاف.

وقرئ ﴿يُخْرِجُ﴾؛ أي: يخرجه البلدُ.

قيل: ومعنى الآية: التشبيه، شبَّه تعالى السريعَ الفهم: بالبلد الطيب، والبليد: بالبلد الخبيث، ذكره النحاس[٣].

وقيل: هذا مَثلٌ للقلوب، فشبّه القلب القابل للوعظ بالبلد الطيب، والنائي عنه بالبلد الخبيث، قاله الحسن[٤].

وقيل: هو مَثَلٌ لقلب المؤمن والمنافق، قاله قتادة[٥].

وقيل: هو مثل للطيب والخبيث مِنْ بني آدم، قاله مجاهد[٦]. ﴿كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ﴾؛ أي: مثل ذلك التصريف ﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ الله، ويعترفون بنعمته.

وقد أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وأبو الشيخ، عن ابن عباس[٧] ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ قال: السرّ ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ في الدعاء ولا في غيره.

وأخرج أبو الشيخ[٨] عن قتادة قال: التضرّع: علانية والخفية: سرّ.

وأخرج ابن أبي حاتم[٩]، عن سعيد بن جبير، في قوله: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ يعني: مستكيناً، وخفية، يعني: في خفض وسكون في حاجاتكم من أمر الدنيا والآخرة ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [٢/١٢٩] يقول: لا تدعوا على المؤمن والمؤمنة بالشرّ: اللَّهُمَّ اخزه والعنه، ونحو ذلك فإنَّ ذلك عدوان.

---

(١) «إعراب القرآن» للنحاس (٢/١٣٣ ـ ١٣٤)، و«النشر» (٢/٢٧٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٩/٢٥٦).

(٢) «البحر المحيط» (٥/٧٩ ـ ٨٠)، و«جامع البيان» (١٠/٢٥٧ ـ ٢٥٨)، و«النشر» (٢/٢٧٠)، و«حاشية الشهاب» (٤/١٧٧).

(٣) في «إعراب القرآن» (٢/١٣٤).

(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/٢٥٦).

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/٢٥٩)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (١/٢٢٨) بسند صحيح.

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/٢٥٩ ـ ٢٦٠) بسند صحيح.

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/٢٤٩) بسند ضعيف.

(٨) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/٤٧٥).

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/١٤٩٩ رقم ٨٥٩٢، ٨٥٩٣) بسند حسن.

وأخرج ابنُ جرير، وابنُ أبي حاتم، عن أبي مِجْلَز[١]، في قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ قال: لا تسألوا منازل الأنبياء.

وأخرج ابن المبارك، وابن جرير، وأبو الشيخ، عن الحسن[٢] قال: لقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء، وما يُسمع لهم صوت، إنْ كان إلا همساً بينهم وبين ربهم، وذلك أن الله يقول: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ وذلك أن الله ذكر عبداً صالحاً فرضي قولَه فقال: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾ [مريم: ٣].

وأخرج ابن أبي حاتم[٣]، عن أبي صالح، في قوله: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ قال: بعدما أصلحها الأنبياء وأصحابهم.

وأخرج أَبو الشيخ[٤]، عَنْ أبي سنان، في الآية قال: أحللتُ حلالي، وحرّمت حرامي، وحدّدت حدودي، فلا تفسدوها.

وأخرج أبو الشيخ[٤]، عن ابن عباس، في قوله: ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ قال: خوفاً منه، وطمعاً لما عنده ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ يعني: المؤمنين، ومَنْ لم يؤمن بالله فهو من المفسدين.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن السُّدي[٥] في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾ قال: إنّ الله يرسل الريح، فيأتي بالسحاب من بين الخافقين طَرَفِ السماء والأرض، من حيثُ يلتقيان، فيُخرجه من ثَمَّ، ثم ينشُره فيبسطه في السماء كيف يشاء، ثم يفتح أبواب السماء، فيسيل الماء على السحاب، ثم يمطر السحاب بعد ذلك.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن ابن عباس[٦]، في قوله: ﴿بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ قال: يستبشر بها الناس.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٢٤٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٠٠ رقم ٨٥٩٧) بسند حسن.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٢٤٧ ـ ٢٤٨)، وابن المبارك في «الزهد» رقم (١٤٠) بسند حسن.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٠١ رقم ٨٦٠٠) من طريق السدي، به.

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٤٧٧).

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٢٥٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٠١، ١٥٠٢ رقم ٨٦٠٥، ٨٦٠٩) بسند حسن.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٠٢ رقم ٨٦٠٧) بسند ضعيف.

وأخرج ابنُ جرير، وابن أبي حاتم، عَنْ السُّديّ[١] في قوله: ﴿بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ قال: هو المطرُ، وفي قوله: ﴿كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ قال: كذلك تُخرجون، وكذلك النشور، كما يَخرج الزرعُ بالماء.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن مجاهد[٢]، في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ قال: إذا أراد الله أن يُخرج الموتى أمطر السماء حتى تَنْشَقَّ عنهم الأرض، ثم يرسل الأرواح فيهوي كل روح إلى جسده، فكذلك يحيي الله الموتى بالمطر؛ كإحيائه الأرض.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس[٣]، في قوله: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ﴾ الآية قال: هو مَثَلٌ ضربه الله للمؤمن، يقول هو طيب وعمله طيب، كما أن البلد الطيب ثمرها طيب ﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ﴾ ضرب مثلاً للكافر؛ كالبلد السبخة المالحة التي لا تخرج منها البركة، فالكافر هو الخبيث وعمله خبيث.

وقد روي نحو هذا عن جماعة من التابعين.

[قصة نوح عليه السلام باختصار دون التفصيلات التي ترد في مواضع أخرى من القرآن]:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾.

لما بيّن سبحانه كمال قدرته، وبديع صنعته في الآيات السابقة، ذكر هنا

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٢٥٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٠١، ١٥٠٢ رقم ٨٦٠٥، ٨٦٠٩) بسند حسن.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٢٥٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٠٣ رقم ٨٦١٣) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٢٥٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٠٣، ١٥٠٤ رقم ٨٦١٥، ٨٦١٩) بسند صحيح.

أقاصيص الأمم وما فيها مِنْ تحذير الكفار ووعيدهم، لتنبيه هذه الأمة على الصواب، وأن لا يقتدوا بمن خالف الحق من الأمم السالفة. واللام(١) جواب قسم محذوف. وهو أول الرسل إلى أهل الأرض بعد آدم، وقد تقدّم ذكر نوح في آل عمران، فأغنى عَنْ الإعادة هنا، وما قيل من أن إدريس قبل نوح، فقال ابن العربي(٢): إنه وهم.

قال المازرِي(٣): فإن صح ما ذكره المؤرخون كان محمولاً على أن إدريس كان نبياً غير مرسل. وجملة: ﴿فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ استئنافية جواب سؤال مُقدَّر.

قولُه: ﴿مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ هذه الجملة في حكم العلة، لقوله: ﴿ٱعۡبُدُواْ﴾؛ أي: اعبدوه لأنه لم يكن لكم إلٰه غيره، حتى يستحق منكم أن يكون معبوداً.

قرأ نافع، وأبو عمرو، وعاصم، وحمزة، وابن كثير، وابن عامر(٤) برفع «غيرُه» على أنّه نعت لإلٰه على الموضع.

وقرأ الكسائي(٥) بالخفض في جميع القرآن، على أنَّه نعت على اللفظ.

وأجاز الفراء(٦) والكسائي(٧) النصب على الاستثناء، يعني: ما لكم من إلٰه إلا إيَّاه.

وقال أَبو عمرو(٨): ما أعرف الجرّ ولا النصبَ. ويردّه أن بعض بني أسد ينصبون «غيرَ» في جميع الأحوال، ومِنْه قول الشاعر(٩):

---

(١) «التبيان» (١/ ٥٧٧)، و«البحر المحيط» (٥/ ٨٢).
(٢) في «أحكام القرآن» لابن العربي (٢/ ٧٧٥).
(٣) في «المعلم بفوائد مسلم» (١/ ٥٠٢).
(٤) «البحر المحيط» (٥/ ٨٣)، و«جامع البيان» (١٠/ ٢٦٠)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٦٧)، و«النشر» (٢/ ٢٧). الرفع والجر قراءتان متواترتان، ومع الكسائي من العشرة أبو جعفر والباقون بالرفع وما ذكره عن الفراء والكسائي في جواز النصب أنها المقصود به لغةً لا قراءةً.
(٥) انظر: المصادر المتقدمة.
(٦) في «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٨٢).
(٧) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ١٣٤ ـ ١٣٥).
(٨) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/ ٢٦٠)، والنحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ١٣٥).
(٩) نسب لأبي قيس بن رفاعة من الأنصار.

لم يمنع الشربَ منها غيرَ أنْ نطقتْ حمامةٌ في غُصُونٍ ذاتِ أوْقَالِ[١]

وجملة: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ جملة متضمنة لتعليل الأمر بالعبادة؛ أي: إنْ لم تعبدوه فإني أخاف عليكم عذاب يوم القيامة، أو عذاب يوم الطوفان.

قولُه: ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ﴾ جملة استئنافية[٢] جواب سؤال مُقدّر، والملأ: أشرافُ القوم ورؤساؤهم؛ وقيل: همُ الرجال، وقد تقدّم بيانه في البقرة، والضلال: العدولُ عَنْ طريق الحق والذهاب عنه؛ أي: إنَّا لنراك في دعائك إلى عبادة الله وحده في ضلالٍ عن طريق الحق.

وجملة ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ﴾ استئنافية أيضاً، جواب سؤال مقدّر ﴿لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ﴾ كما تزعمون ﴿وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ أرسلني إليكم لسوق الخير إليكم، ودفع الشرّ عنكم، نفى عن نفسه الضلالة، وأثبت لها ما هو أعلى منصباً، وأشرف رفعة، وهو أنَّه رسول الله إليهم.

وجملة ﴿أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي﴾ في محل[٣] رفع على أنها صفة لرسول، أو هي مستأنفة مبينة لحال الرسول.

والرسالات: ما أَرسله الله به إليهم ممّا أوحاه إليه ﴿وَأَنصَحُ لَكُمۡ﴾ عطف على ﴿أُبَلِّغُكُمۡ﴾ يقال: نصحتُه ونصحتُ له، وفي زيادة اللام دلالة على المبالغة في إمحاضُ النُّصح، قال الأصمعي[٤]: النّاصح: الخالص مِنْ الغِلّ، وكل شيء خَلَص فقد نصَح، فمعنى أنصح هنا: أخلص النية لكم عن شوائب الفساد، والاسم: النصيحة، وجملة: ﴿وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ معطوفة على الجملة التي قبلها، مقرِّرة لرسالته، ومبينة لمزيد علمه، وأنه يختص بعلم الأشياء التي لا يعلمونها بإخبار الله له بذلك.

قوله: ﴿أَوَعَجِبۡتُمۡ﴾ فتحت الواو لكونها العاطفة، ودخلت عليها همزة

= «شرح شواهد المغني» (١/ ٤٥٨ رقم ٢٤٩)، و«خزانة الأدب» (٢/ ٤٥).

(١) الأوقال: جمع وقل، وهو شجر المقل. «الصحاح» (٥/ ١٨٤٤).

(٢) «التبيان» (١/ ٥٧٧)، و«روح المعاني» (٩/ ١٧٤).

(٣) «روح المعاني» (٩/ ١٧٨)، و«البحر المحيط» (٥/ ٨٣).

(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/ ٢٦١).

الاستفهام للإنكار[١] عليهم، والمعطوف عليه مُقدّر، كأنه قيل: استبعدتم وعجبتم، أو أكذبتم وعجبتم، أو أنكرتم وعجبتم ﴿أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾؛ أي: وحي وموعظة ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ﴾؛ أي: على لسانِ رجلٍ منكم تعرفونه، ولم يكن ذلك على لسان مَنْ لا تعرفونه أو لا تعرفون لغته.

وقيل: «على» بمعنى: «مع»؛ أي: مع رجل[٢] منكم لأجل ينذركم به ﴿وَلِتَتَّقُوا﴾ ما يخالفه ﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ بسبب ما يفيده الإنذار لكم، والتقوى منكم من التعرّض لرحمة الله سبحانه لكم ورضوانه عنكم ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ [٢/١٣٠]؛ أي: فبعد ذلك كذّبوه ولم يعملوا بما جاء به من الإنذار ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ من المؤمنين به المستقرّين معه ﴿فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ واستمرّوا على ذلك، ولم يرجعوا إلى التوبة.

وجُملة ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ علة لقوله: ﴿وَأَغْرَقْنَا﴾؛ أي: أغرقنا[٣] المُكذِّبين لكونهم عُمي القلوب لا تنجع فيهم الموعظة، ولا يفيدهم التذكير.

وقد أخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، وابن مردويه، وابن عساكر، عن أنس[٤] أن النبي ﷺ قال: «أول نبيّ أُرسل نوح».

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، وأبو نعيم، وابن عساكر، عن يزيد الرَّقاشي[٥] قال: إنما سمي نوح عليه السلام نوحاً لطول ما ناح على نفسه.

وأخرج ابن المنذر[٦] عن عكرمة نحوه.

---

(١) «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٣٥ ـ ١٣٦)، و«روح المعاني» (٩/ ١٨٠)، و«البحر المحيط» (٥/ ٨٤).

(٢) «التبيان» (١/ ٥٧٨)، و«روح المعاني» (٩/ ١٨٠ ـ ١٨١).

(٣) «جامع البيان» (١٠/ ٢٦٣)، و«روح المعاني» (٩/ ١٨١).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٠٤ رقم ٨٦٢٢)، وابن عساكر في «تاريخ مدينة دمشق» (٦٢/ ٢٤٣) بسند فيه إبراهيم بن الفضل، وهو متروك.

● وقد أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (١٩٤)، والترمذي رقم (٢٤٣٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه: «. . . فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوح، أنت أول الرسل إلى الأرض». وهو حديث صحيح.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٠٥ رقم ٨٦٢٦)، وأبو نعيم (٣/ ٥)، وابن عساكر في «تاريخ مدينة دمشق» (٦٢/ ٢٤١، ٦٥/ ٨٥ ـ ٨٨).

(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٤٧٩).

وأخرج ابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، عن ابن عباس(١) قال: كان بين آدم ونوح عشرة قرون، كلُّهم على شريعة من الحق.

وأخرج ابن أبي حاتم(٢)، عن أبي مالك قال: الملأ يعني: الأشراف من قومه.

وأخرج أبو الشيخ(٣)، عن السديّ ﴿أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ يقول: بيان من ربكم.

وأخرج ابن أبي حاتم، عن ابن عباس(٤)، في قوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ﴾ قال: كفاراً.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن مجاهد(٥) ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ﴾ قال: عن الحق.

[قصة هود عليه السلام: إنها نفس الرسالة ونفس الحوار ونفس العاقبة إنها السُّنَّة الماضية والقانون الواحد]:

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَـٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَـٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَـٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَـٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾﴾.

قوله: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ﴾؛ أي: وأرسلنا إلى قوم عاد أخاهم؛ أي: واحداً

---

(١) تقدم نصه وتخريجه.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٠٥ رقم ٨٦٢٩) من طريق السدي، به.
(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٤٨٣).
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٠٧ رقم ٨٦٤٠) بسند ضعيف. الضحاك لم يسمع من ابن عباس.
(٥) ابن جرير (١٠/ ٢٦٤)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٥٠٨) رقم (٨٦٤١).

من قبيلتهم أو صاحبهم، أو سماه أخاً لكونه ابن آدم مثلهم، وعاد هو من ولد سام بن نوح.

قيل: هو[١] عاد بن عَوْص بن إرم بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح، وهود هو ابن عبد الله بن رباح بن الخُلُود عاد بن عوص بن إرم بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح.

و﴿هُودًا﴾ عطف بيان ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾. قد تقدّم تفسير هذا قريباً، والاستفهام في ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ للإنكار. وقد تقدّم أيضاً تفسير الملأ، والسفاهة: الخِفّة والحُمْق، وقد تقدّم بيان ذلك في البقرة، نسبوه إلى الخفة والطيش ولم يكتفوا بذلك حتى قالوا: ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ مؤكدين لظنهم كذبه فيما ادعاه من الرسالة.

ثم أجاب عليهم بنفي السفاهة عنه، واستدرك من ذلك بأنه رسول ربّ العالمين، وقد تقدّم بيان معنى هذا قريباً، وكذلك سبق تفسير ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى﴾ وتقدّم معنى الناصح. والأمينُ: المعروف بالأمانة، وسبق أيضاً تفسير ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾ في قصة نوح التي قبل هذه القصة.

قولُه: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ أذكرهم نعمةً مِنْ نعم الله عليهم، وهي أنه جعلهم خلفاء من بعد قوم نوح؛ أي: جعلهم سكان الأرض التي كانوا فيها، أو جعلهم ملوكاً، و«إذ» منصوب[٢] «باذكر»، وجعل الذكر للوقت. والمراد: ما كان فيه من الاستخلاف على الأرض لقصد المبالغة؛ لأن الشيء إذا كان وقته مستحقاً للذكر، فهو مستحق له بالأولى.

﴿وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً﴾؛ أي: طولاً في الخلق، وعظم جسم، زيادة على ما كان عليه آباؤهم في الأبدان.

وقد ورد عن السلف حكايات عن عظم أجرامٍ قوم عاد.

قوله: ﴿فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾ الآلاء: جمع إِلىٰ ومن جملتها: نعمةُ الاستخلاف في الأرض، والبَسْطة في الخَلْق وغير ذلك مما أنعم به عليهم، وكرر التذكير لزيادة

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٢٦٢ ـ ٢٦٣)، و«جامع البيان» (١٠/ ٢٦٨).

(٢) «روح المعاني» (٩/ ١٨٧).

التقرير، والآلاء: النِّعم ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ إنْ تذكرتم ذلك؛ لأن الذكر للنعمة سبب باعث على شكرها، ومَنْ شكرَ فقد أفلح.

قوله: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ﴾ هذا استنكار[١] منهم لدعائه إلى عبادة الله وحده دون معبوداتهم التي جعلوها شركاء لله، وإنما كان هذا مستنكراً عندهم لأنهم وجدوا آباءهم على خلاف ما دعاهم إليه ﴿وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾؛ أي: نترك الذي كانوا يعبدونه، وهذا داخل في جملة ما استنكروه.

قولُه: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ هذا استعجال منهم للعذاب الذي كان هود يَعدهم به، لشدّة تمرّدهم على الله، ونكوصهم عن طريق الحق، وبُعدهم عن اتباع الصواب، فأجابهم بقوله: ﴿قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ﴾ جعل ما هو متوقع كالواقع تنبيهاً على تحقق وقوعه، كما ذكره أئمة المعاني والبيان.

وقيل[٢]: معنى وقع: وجب. والرجْسُ: العذابُ.

وقيل[٣]: هو هُنا الرين على القلب بزيادة الكُفْر، ثم استنكر عليهم ما وقع منهم مِنْ المجادلة، فقال: ﴿أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ﴾ يعني: أسماء[٤] الأصنام التي كانوا يعبدونها، جعلها أسماء؛ لأن مسمياتها لا حقيقة لها؛ بل تسميتها بالآلهة باطلة، فكأنها معدومة لم تُوجد، بل الموجود أسماؤها فقط ﴿سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾؛ أي: سميتم بها معبوداتكم من جهة أنفسكم أنتم وآباؤكم، ولا حقيقة لذلك.

﴿مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾؛ أي: مِنْ حُجّةٍ تحتجون بها على ما تدّعونه لها مِنْ الدعاوي الباطلة، ثم توعدهم بأشد وعيد فقال: ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾؛ أي: فانتظروا ما طلبتموه[٥] مِنْ العذاب، فإنِّي معكم من المنتظرين له، وهو واقع بكم لا محالة، ونازل عليكم بلا شك؛ ثم أخبر الله سبحانه أنه نجَّىٰ هوداً

---

(١) «جامع البيان» (١٠/ ٢٧٩)، و«روح المعاني» (٩/ ١٨٩)، و«البحر المحيط» (٥/ ٨٨).
(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٢٦٥).
(٣) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٣٤٢ ـ ٤٤٣).
(٤) «جامع البيان» (١٠/ ٢٨١)، و«تفسير ابن كثير» (٦/ ٣٣١).
(٥) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٢٦٥)، و«جامع البيان» (١٠/ ٢٨١).

ومَنْ معه من المؤمنين به من العذاب النازل بمن كفر به، ولم يقبل رسالته، وأنه قطع دابر القوم المكذبين؛ أي: استأصلهم جميعاً. وقد تقدّم تحقيق معناه.

وجملة: ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ معطوفة على (كذبوا)؛ أي: استأصلنا هؤلاء القوم الجامعين بين التكذيبين بآياتنا وعدم الإيمان. [٢/١٣١]

وقد أخرج ابن المنذر(١)، عن ابن عباس، في قوله: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ قال: ليس بأخيهم في الدين، ولكنه أخوهم في النسب؛ لأنه منهم فلذلك جَعله أخاهم.

وأخرج ابن أبي حاتم(٢)، عن الربيع بن خثيم قال: كانت عاد ما بين اليمن إلى الشام مثل الذرّ.

وأخرج ابن عساكر(٣) عَنْ وهب قال: كان الرجل مِنْ عاد ستين ذراعاً بذراعهم، وكان هامة الرجل مثل القُبّة العظيمة، وكان عين الرجل لتفرخ فيها السباع، وكذلك مناخرهم.

وأخرج عبد بن حميد(٤)، عن قتادة قال: ذُكر لنا أَنَّهم كانوا اثني عشر ذراعاً طولاً.

وأخرج الحكيم الترمذي(٥) في «نوادر الأصول»، عن ابن عباس قال: كان الرجل منهم ثمانين باعاً، وكانت البُرّة فيهم كَكُلية البقرة، والرمانة الواحدة يقعد في قِشْرها عشرة نفرٍ.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عنه(٦) ﴿وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً﴾ قال: شدة.

وأخرج عبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد»، وابن أبي حاتم، عن أبي

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٤٨٤) من طرق الكلبي، عن أبي صالح، به.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧٩٢ رقم ١٧٥٩٥) بسند حسن.
(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٤٨٥).
(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٤٨٥).
(٥) أخرجه الحكيم الترمذي في «نوادر الأُصول» (١/ ١٥١).
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥١٠ رقم ٨٦٥٣) بسند ضعيف. الضحاك لم يسمع من ابن عباس.

هريرة[(١)]، قال: إن كان الرجل من قوم عاد ليتخذ المصْراع من الحجارة، لو اجتمع عليه خمسمائة من هذه الأمة لم يستطيعوا أن يُقلّوه، وإن كان أحدهم ليدخل قدمه في الأرض فتدخل فيها.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن ابن عباس[(٢)]، في قوله: ﴿ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾ قال: نِعَم الله، وفي قوله: ﴿رِجۡسٌ﴾ قال: سُخْط.

وأخرج ابن عساكر[(٣)] قال: لما أرسل الله الريح على عاد اعتزل هود ومَنْ معه من المؤمنين في حظيرةٍ، ما يصيبهم مِنْ الريح إلا ما تلين عليه الجلود وتلتذّ به الأنفس، وإنها لتمرّ بالعادي فتحمله بين السماء والأرض، وتَدمغُه بالحجارة.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن ابن زيد[(٤)]، في قوله: ﴿وَقَطَعۡنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ﴾ قال: استأصلناهم.

وأخرج البخاري في «تاريخه»، وابن جرير، وابن عساكر، عن عليّ بن أبي طالب[(٥)]، قال: قبر هود بحضرموت، في كثيب أحمر عند رأسه سِدْرة.

وأخرج ابن عساكر[(٦)]، عن عثمان بن أبي العاتكة، قال: قِبلةُ مسجد دمشق قبرُ هود.

وأخرج أبو الشيخ[(٧)]، عن أبي هريرة، قال: كان عُمُر هود أربعمائة سنة واثنتين وسبعين سنة.

---

(١) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٤٨٥).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٢٨٠، ٢٨١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥١١ رقم ٨٦٥٩) بسند صحيح.

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٤٨٩).

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٢٨١ ـ ٢٨٢) من طريق ابن وهب، به. وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥١١ رقم ٨٦٢) من طريق أصبغ، به.

(٥) أخرجه البخاري في «تاريخه» (١/ ١٣٥)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٢٦٨، ٢٦٩)، وابن عساكر في «تاريخ مدينة دمشق» (٣٦/ ١٣٨، ١٣٩) من طريق ابن إسحاق، به.

(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٤٨٦).

(٧) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٤٨٦).

[قصة صالح عليه السلام ومشهد من مشاهد اللقاء بين الحق والباطل ومصرع جديد من مصارع المكذبين]:

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ قَدْ
جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةًۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِۖ
وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ
وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًاۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ
ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ
ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ
مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ
وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾
فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ
رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾.

قولُه: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ﴾ معطوف على ما تقدّم؛ أي: وأرسلنا إلى ثمود أخاهم، وثمود: قبيلةٌ سموا باسم أبيهم، وهو ثمود بن عاد[(١)] بن إرم بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح، وصالح عطف بيان، وهو صالح بن عبيد بن أسف بن ماشح بن عبيد بن حاذر بن ثمود، وامتناع ثمود من الصرف لأنه جعل اسماً للقبيلة.

وقال أبو حاتم[(٢)]: لم ينصرف لأنه أعجميّ.

قال النحاس[(٣)]: وهو غلط لأنه من الثّمَد، وهو الماء القليل، وقد قرأ القراء ﴿أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾ [هود: ٦٨] على أنه اسم للحيّ، وكانت مساكن[(٤)] ثمود الحِجْر بين الحجاز والشام إلى وادي القرى.

قوله: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ قد تقدّم تفسيره في

---

(١) انظر: «معام التنزيل» (٢/ ١٧٣)، و«جامع البيان» (١٠/ ٢٨٢).
(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/ ٢٦٦)، والنحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ١٣٦).
(٣) في «إعراب القرآن» (٢/ ١٣٦).
(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٢٦٦)، و«معالم التنزيل» (٢/ ١٧٣).

قصة نوح. ﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾؛ أي: مُعجزة ظاهرة، وهي إخراج الناقة من الحَجرِ الصَلْد.

وجملة ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ مشتملة على بيان البيّنة المذكورة وانتصاب آية على الحال[1]، والعامل فيها معنى الإشارة، وفي إضافة الناقة إلى الله تشريف لها وتكريم.

قوله: ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: دعوها تأكل في أرض الله، فهي ناقةُ الله، والأرض أرضُه فلا تمنعوها مما ليس لكم، ولا تملكونه، ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا﴾ بشيء من السوء؛ أي: لا تتعرّضوا لها بوجه من الوجوه التي تسوءها.

قوله: ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ هو جواب النهي؛ أي: إذا لم تتركوا مسّها بشيء مِنْ السوء أخذكم عذاب أليم؛ أي: شديد الألم.

قولُه: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ﴾؛ أي: استخلفكم في الأرض أو جعلَكم ملوكاً فيها، كما تقدّم في قصة هود ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: جعل لكم فيها مباءة، وهي المنزل الذي تسكنونه.

﴿تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا﴾؛ أي: تتخذون من سهولة الأرض قصوراً، أو هذه الجملة مبينة لجملة: ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾، وسهول الأرض: ترابُها يتخذون منه اللَّبِن والآجر، ونحو ذلك، فيبنون به القصور.

﴿وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا﴾؛ أي: تتخذون في الجبال التي هي صخور بيوتاً تسكنون فيها، وقد كانوا؛ لقوّتهم وصلابة أبدانهم ينحتون الجبال فيتخذون فيها، كهوفاً يسكنون فيها، لأن الأبنية والسقوف كانت تفنى قبل فناء أعمارهم، وانتصاب «بيوتاً» على أنها حال[2] مقدّرة أو على أنها مفعول ثان لـ«تنحتون» على تضمينه معنى «تتخذون».

قوله: ﴿فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾ تقدّم تفسيره في القصة التي قبل هذه.

قوله: ﴿وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ العَثي والعُثوّ لغتان، وقد تقدم تحقيقه في البقرة بما يغني عن الإعادة.

---

(١) «روح المعاني» (٩/ ٢٠٢)، و«البحر المحيط» (٥/ ٩٢).

(٢) «التبيان» (١/ ٥٨٠)، و«البحر المحيط» (٥/ ٩٣)، و«روح المعاني» (٩/ ٢٠٤ ـ ٢٠٥).

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾؛ أي: قال الرؤساء المستكبرون من قوم صالح للمستضعفين الذين استضعفهم المستكبرون، و﴿لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ بدل من الذين استُضعفوا، بإعادة حرف الجر بدل البعض[(١)] مِنْ كل؛ لأن في المستضعفين مَنْ ليس بمؤمن، هذا على عود ضمير «منهم» إلى الذين استُضعفوا، فإن عاد إلى قومه كان بدل كلٍّ من المستضعفين، ومَقُول القول: ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ قالوا هذا على طريق الاستهزاء والسخرية.

قوله: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ أجابوهم بأنهم مؤمنون برسالته، مع كون سؤال المستكبرين لهم إنما هو عن العلم منهم: هل تعلمون برسالته أم لا؟ مسارعةً إلى إظهار ما لهم من الإيمان وتنبيهاً على أن كونه مرسلاً أمر واضح مكشوف، لا يحتاج إلى السؤال عنه، فأجابوا تمرداً وعناداً بقولهم: ﴿إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ وهذه الجمل المعنوية يقال: مستأنفة لأنها جوابات عن سؤالات مقدّرة كما سبق بيانه.

قوله: ﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ﴾ العقر: الجَرْح؛ وقيل: قطع عضوٍ يؤثّر[(٢)] في تلف النفس؛ يقال: عَقرتُ الفرسَ: إذا ضربت قوائمه بالسيف؛ وقيل: أصل العَقْر: كسر[(٣)] عرقوب البعير، ثم قيل للنحر: عَقْر؛ لأن العقر سبب النحر في الغالب، وأسند العقر إلى الجميع مع كون العاقر واحداً منهم؛ لأنَّهم راضون بذلك موافقون عليه.

وقد اختُلف في عاقر الناقة ما كان اسمه؟ فقيل: قُدار بن سالف[(٤)]، وقيل [٢/١٣٢] غير ذلك.

﴿وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾؛ أي: استكبروا، يقال: عتا يعتو[(٥)] عتوّاً: استكبر، وتعتَّى فلان: إذا لم يطع، والليل العاتي: الشديد الظلمة.

---

(١) «روح المعاني» (٩/ ٢٠٥)، و«التبيان» (١/ ٥٨٠).
(٢) «مجمل اللغة» (٢/ ٦٢١)، و«الصحاح» (٢/ ٧٥٤).
(٣) كذا في المخطوط. والذي في «تهذيب اللغة» (١/ ٢١٥).
كسف: قطع.
(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٢٧١).
(٥) «الصحاح» (٦/ ٢٤١٨ ـ ٢٤١٩)، و«مفردات ألفاظ القرآن» (ص٥٤٦).

﴿وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ من العذاب ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ هذا استعجال منهم للنقمة، وطلب منهم لنزول العذاب، وحلول البلية بهم.

﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ﴾؛ أي: الزلزلة، يقال: رَجَف الشيء يَرْجُف رَجَفاناً، وأصله حركة[١] مع صوتٍ، ومنه: ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ﴾ [النازعات: ٦]؛ وقيل: كانت صيحة شديدة خلعت قلوبهم ﴿فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ﴾؛ أي: بلدهم ﴿جَٰثِمِينَ﴾ لاصقين[٢] بالأرض على ركبهم ووجوههم كما يَجثُم الطائر، وأصل الجُثُوم للأرنب وشبهها؛ وقيل: للناس والطير.

والمراد: أنّهم أصبحوا في دورهم ميتين لا حراك بهم ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ﴾ صالح عند اليأس من إجابتهم ﴿وَقَالَ﴾ لهم هذه المقالة: ﴿لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ ويحتمل أنه قال لهم هذه المقالة بعد موتهم على طريق الحكاية لحالهم الماضية، كما وقع من النبي ﷺ من التكليم لأهل قَليب[٣] بدرٍ بعد موتهم، أو قالها لهم عند نزول العذاب بهم، وكأنّه كان مشاهداً لذلك، فتحسّر على ما فاتهم مِنْ الإيمان والسلامة مِنْ العذاب، ثم أبان عن نفسه أنه لم يأل جُهداً في إبلاغهم الرسالة، ومحض النصح، لكن أَبوا ذلك فلم يقبلوا منه؛ فحق عليهم العذاب، ونزل بهم ما كذبوا به واستعجلوه.

وقد أخرج عبد الرزاق، والفريابي، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن أبي الطُفيل[٤] قال: قالت ثمود لصالح ﴿ٱئۡتِنَا﴾ بآية ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الأعراف: ٧٠]، قال: اخرجوا. فخرجوا إلى هضبة من الأرض فإذا هي تمخَّض كما تمخّض الحامل، ثم إنها انفرجت فخرجت الناقة من وسطها، فقال لهم صالح: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗ﴾، فلما ملُّوها عقروها: ﴿فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖ﴾ [هود: ٦٥].

---

(١) «تهذيب اللغة» (١٠/ ٤٢ ـ ٤٣).

(٢) ذكره القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٢٧٢).

(٣) أخرجه البخاري رقم (١٣٧٠)، وأحمد رقم (٤٨٦٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.
وأخرجه مسلم رقم (٢٨٧٣) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
وأخرجه مسلم رقم (٢٨٧٤) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٢٣٠ ـ ٢٣١)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٢٨٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥١٢ رقم ٨٦٦٦) من طريق عبد العزيز بن رُفيع، به.

وأخرج عبد الرزاق، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن قتادة[١]: أن صالحاً قال لهم حين عقروا الناقة: تمتّعوا ثلاثة أيام، ثم قال لهم: آية هلاككم أن تُصبحَ وجوهُكم غداً مصفرّة، وتُصبح اليوم الثاني محمرّة، ثم تصبح اليوم الثالث مسودّة، فأصبحت كذلك؛ فلما كان اليوم الثالث أيقنوا بالهلاك فتكفّنوا وتحنّطوا، ثم أخذتهم الصيحةُ فأهمدتهم. وقال عاقر الناقة: لا أقتلها حتى ترضوا أجمعين، فجعلوا يَدخلون على المرأة في خدرها فيقولون: أترضين؟ فتقول: نعم، والصبيّ حتى رضوا أجمعون، فعقرها.

وأخرج أحمد، والبزار، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني في «الأوسط»، وأبو الشيخ، والحاكم وصححه، وابن مردويه، عن جابر[٢] بن عبد الله، أن رسول الله ﷺ لما نزل الحِجْر قام فخطب فقال: «يا أيُّها النّاسُ لا تسألوا نبيكم عن الآيات. فإنّ قوم صالح سألوا نبيَّهم أن يبعث إليهم آيةً فبعث الله لهم الناقة، فكانت تَرِدُ من هذا الفجّ فتشرب ماءهم يوم وردها، ويحتلبون من لبنها مثل الذي كانوا يأخذون من مائها يوم غبها، وتصدر من هذا الفج، فعتوا عن أمر ربهم فعقروها، فوعدهم الله العذاب بعد ثلاثة أيام، وكان وعد من الله غير مكذوب، ثم جاءتهم الصيحة فأهلك الله مَنْ كان منهم تحت مشارق الأرض ومغاربها، إلا رجلاً كان في حرم الله فمنعه حرم الله مِنْ عذاب الله، فقيل: يا رسول الله مَنْ هو؟ فقال: أبو رِغال؛ فلما خرج مِنْ الحرم أصابه ما أصاب قومه». قال ابن كثير: هذا الحديث على شرط مسلم.

وأخرج ابن جرير، وأبو الشيخ، وابن مردويه، من حديث أبي الطفيل[٣] مرفوعاً مثله.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في«تفسيره» (١/ ٢٣١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥١٥ رقم ٨٦٨٤) بسند صحيح.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» رقم (١٤١٦٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥١٦ رقم ١٥١٦)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٢٩٦)، والبزار في «مسنده» رقم (١٨٤٤ ـ كشف)، والحاكم (٢/ ٣٢٠ ـ ٣٢١) وصحَّحه ووافقه الذهبي، والطبراني رقم (٩٠٦٩)، وابن حبان رقم (٦١٩٧).
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ١٩٤): «ورجال أحمد رجال الصحيح».
وقال ابن كثير في«تفسيره» (٦/ ٣٣٩): «وهذا الحديث ليس في شيء من الكتب الستة، وهو على شرط مسلم».

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٤٨٣ ـ ٤٨٤).

وأخرج أحمد[(١)] مِنْ حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ وهو بالحِجْر: «لا تدخلوا على هؤلاء المعذَّبين إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم أَنْ يصيبكم مثل ما أصابهم».

وأصلُ الحديث في «الصحيحين»[(٢)] مِنْ غير وجه.

وفي لفظ لأحمد مِنْ هذا الحديث قال: لما نزل رسول الله ﷺ على تبوك، نزل بهم الحِجْر عند بيوت ثمود.

وأخرج أحمد، وابن المنذر، نحوه مرفوعاً، من حديث أبي كبشة[(٣)] الأنماري.

وأخرج ابن المنذر[(٤)]، عن ابن جريج، في قوله: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾ قال: لا تعقروها.

وأخرج ابن أبي حاتم[(٥)]، عن السُّديّ، في قوله: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ [الشعراء: ١٤٩] قال: كانوا ينقّبون في الجبال البيوت.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن مجاهد[(٦)] في قوله: ﴿وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ قال: غلوا في الباطل ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ قال: الصيحة.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن ابن زيد[(٧)] ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ قال: مَيّتين.

وأخرج عبد بن حميد[(٨)]، عن قتادة مثله.

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» رقم (٥٤٤١)، وأصله عند البخاري رقم (٤٣٣، ٤٤٢٠، ٤٧٠٢)، ومسلم رقم (٣٨/ ٢٩٨٠)، والنسائي في «السنن الكبرى» رقم (١١٢٧٤).

(٢) انظر: التعليقة المتقدمة.

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٤/ ٢٣١) بسند حسن.

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٤٩٢).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥١٣ رقم ٨٦٧٢) بسند حسن.

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٣٠١ ـ ٣٠٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥١٥ رقم ٨٦٨١، ٨٦٨٣) بسند صحيح.

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٣٠٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥١٦ رقم ٨٦٨٩) بسند صحيح.

(٨) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٤٩٤).

[ظهور انحراف الفطرة واضحاً في قصة قوم لوط]:

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾
إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ
جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ
إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ
ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾.

قوله: ﴿وَلُوطًا﴾ معطوف على ما سبق؛ أي: وأرسلنا لوطاً أو منصوب بفعل مقدّر؛ أي: واذكر لوطاً وقت قال لقومه. قال الفراء(١): لوط مشتق من قولهم: هذا أليط بقلبي؛ أي: ألصق.

قال الزجّاج(٢): زعم بعض النحويين أن لوطاً يجوز أن يكون مشتقاً من لطت الحوضَ إذا ملَّستَه بالطين، وهذا غلط؛ لأن الأسماء الأعجمية لا تُشتق.

وقال سيبويه(٣): نوح ولوط أسماء أعجمية إلا أنها خفيفة، فلذلك صُرِفت، ولوط هو ابن هاران بن تارخ، فهو ابن أخي إبراهيم، بعثه الله إلى أمة تسمى سَدُوم.

﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾؛ أي: الخصلة الفاحشة المتمادية في الفُحْش والقبح، قال ذلك إنكاراً عليهم(٤) وتوبيخاً لهم، ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ أي: لم يفعلها أحد قبلكم، فإن اللِّواط لم يكن في أمة من الأمم قبل هذه الأمة، و«مِنْ» مزيدة للتوكيد للعموم(٥) في النفي، وإنه مستغرق لما دخل عليه، والجملة مسوقة لتأكيد النكير عليهم والتوبيخ لهم.

قوله: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً﴾ قرأ نافع وحفص على الخبر(٦) بهمزة واحدة مكسورة.

---

(١) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ١٣٧).
(٢) في «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٥١ ـ ٣٥٢).
(٣) في «الكتاب» (٣/ ٢٣٥). (٤) «روح المعاني» (٩/ ٢١٧).
(٥) «روح المعاني» (٩/ ٢١٩)، و«البحر المحيط» (٥/ ٩٩).
(٦) «البحر المحيط» (٥/ ١٠٠ ـ ١٠١)، و«جامع البيان» (١٠/ ٣٠٥)، و«النشر» (١/ ٣٧١)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٦٨)، و«روح المعاني» (٩/ ٢١٩)، و«التيسير» (ص١١١). ومعهم مَنْ العشرة أبو جعفر.

وقرأ الباقون بهمزتين[١] على الاستفهام المقتضي للتوبيخ والتقريع.

واختار القراءة الأولى أبو عُبيد[٢] والكسائي[١] وغيرهما، واختار الخليل[٣] وسيبويه[٤] القراءة الثانية، فعلى القراءة الأولى تكون هذه الجملة مبينة لقوله: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ وكذلك على القراءة الثانية، مع مزيد الاستفهام وتكريره المفيد للمبالغة في التقريع[٥] والتوبيخ.

وانتصاب «شهوةً» على المصدرية؛ أي: تشتهونهم شهوةً، ويجوز أن يكون مصدراً في موضع[٦] الحال؛ أي: مُشتهين، ويجوز أن يكون مفعولاً له؛ أي: لأجل الشهوة، وفيه أَنَّه لا غَرضَ لهم بإتيان هذه الفاحشة إلَّا مجرد قضاء الشهوة من غير أَنْ يكون لهم في ذلك غَرضٌ يوافق العقلَ، فهم في هذا كالبهائم التي ينزو بعضها على بعضٍ، لما يتقاضاها مِنْ الشهوة.

﴿مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ﴾؛ أي: مُتجاوزين في فعلكم هذا للنِّساء، اللّاتي هنّ محل لقضاء الشهوة، وموضع لطلب اللذة، ثم أضرب عن الإنكار المتقدّم إلى الإخبار [٢/١٣٣] بما هم عليه مِنْ الإسراف الذي تسبّب عنه إتيان هذه الفاحشة الفظيعة.

قولُه: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ الواقعين في هذه الفاحشة على ما أنكره عليهم مِنْها ﴿إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم﴾؛ أي: لوطاً وأتباعه ﴿مِّن قَرْيَتِكُمْ﴾؛ أي: ما كان لهم جواب إلَّا هذا القول المُباين للإنصاف، المخالف لما طلبه مِنْهم وأنكره عليهم.

وجملة: ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ تعليلٌ لما أمروا به من الإخراج، ووصفهم بالتطهر يمكن أن يكون على حقيقته، وأنهم أرادوا أن هؤلاء يتنزهون عن الوقوع في هذه الفاحشة، فلا يساكنونا في قريتنا، ويحتمل أنهم قالوا ذلك على طريق السخرية والاستهزاء. ثم أخبر الله سبحانه أنه أنجى لوطاً وأهله المؤمنين به، واستثنى امرأته مِنْ الأهل لكونها لم تؤمن به.

---

(١) انظر: المصادر المتقدمة.
(٢) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٢/١٣٨).
(٣) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٢/١٣٨)، والقرطبي في «تفسيره» (٩/٢٧٨).
(٤) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٢/١٣٨).
(٥) «روح المعاني» (٩/٢١٩)، و«التبيان» (١/٥٨١)، و«البحر المحيط» (٥/١٠١).
(٦) انظر: المصادر المتقدمة.

ومعنى: ﴿كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾: أنها كانت من الباقين في عذاب الله، يقال: غبر الشيء: إذا مضى، وغبر إذا بقي فهو مِنْ الأضداد.

وحكى ابن فارس في «المُجْمل»[١] عن قوم أنهم قالوا: الماضي عَابر بالعين المهملة، والباقي غابر بالمعجمة.

وقال الزجاج[٢]: ﴿مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾؛ أي: مِنْ الغائبين عن النجاة.

وقال أبو عبيدة[٣]: المعنى ﴿مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾؛ أي: من المُعمّرين وكانت قد هرمت، وأكثر أهل اللغة[٤] على أن الغابر الباقي.

قوله: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ قيل: أمطر بمعنى: إرسال المطر.

وقال أبو عبيدة[٥]: مطر في الرحمة وأمطر في العذاب، والمعنى هنا: أن الله أَمطر عليهم مطراً غير ما يعتادونه، وهو رميهم بالحجارة كما في قوله: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الحِجْر: ٧٤] ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ هذا خطاب لكل من يصلح له، أو لمحمد ﷺ، وسيأتي في هود قصة لوط بأبين ممّا هنا.

وقد أخرجَ ابن أبي الدنيا، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، والبيهقي في «شعب الإيمان»، وابن عساكر، عن ابن عباس[٦] في قوله: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ قال: أدبار الرجال.

وأخرج ابن عساكر[٧]، عن ابن عباس، قال: إنما كان بدء عمل قوم لوط: أَنّ إبليس جاءهم في هيئة صبيّ، أجمل صبيّ رآه الناس، فدعاهم إلى نفسه، فنكحوه ثم جسروا على ذلك.

وأخرج عبد الرزاق، وابن جرير، وابن المنذر، عنه[٨]، في قوله: ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ قال: مِنْ أدبار الرجال، ومن أدبار النساء.

---

(١) في «المجمل» (٣/ ٦٩٠).
(٢) في «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٥٣).
(٣) في «مجاز القرآن» (١/ ٢١٨).
(٤) «الصحاح» (٢/ ٧٦٥).
(٥) ذكره أبو السعود في «تفسيره» (٣/ ٢٠٧)، والبغوي في «معالم التنزيل» (٣/ ٢٥٦).
● وصوابه: عن أبي عبيد. ذكره في «الغريبين» (٦/ ١٧٥٨ ـ ١٧٥٩).
(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في «ذم الملاهي» رقم (١٥٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥١٧ رقم ٨٦٩٥)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٥٣٩٩)، وابن عساكر في «تاريخ مدينة دمشق» (٥٠/ ٣١٩).
(٧) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ مدينة دمشق» (٥/ ٣١٣) من طريق إسحاق بن بشر.
(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٣٠٧) بسند صحيح.

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حُميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، عن قتادة[١]، في قوله: ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ قال: مِنْ الباقين في عذاب الله.

وأخرج أبو الشيخ[٢]، عن سعيد بن أبي عروبة، قال: كان قوم لوط أربعة آلاف ألف.

[قصة شعيب عليه السلام وقاعدة الدعوة التي لا تغيير فيها ولا تبديل]:

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾.

قوله: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ معطوف على ما تقدّم؛ أي: وأرسلنا.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٢٣٣)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٣٠٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥١٩ رقم ٨٧٠٣) بسند صحيح.

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٤٩٧).

ومدين: اسم قبيلة، وقيل: اسم بلد، والأوّل أولى، وسُمّيت القبيلة باسم أبيهم، وهو مَدْين بن إبراهيم كما يقال: بكر وتميم.

قوله: ﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ شعيب عطف بيان، وهو شعيب بن ميكائيل بن يشجب بن مدين بن إبراهيم، قاله[١] عطاء وابن إسحاق وغيرهما.

وقال الشرقيّ بن القطامي[٢]: إنه شعيب بن عيفاء بن ثويب بن مدين بن إبراهيم. وزعم ابن سمعان[٣] أنه شعيب بن حرّة بن يشجب بن لاوى بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم.

وقال قتادة[٤]: هو شعيب بن صفوان بن عيفاء بن ثابت بن مدين بن إبراهيم.

قوله: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ﴾ إلى قوله: ﴿بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ قد سبق شرحه في قصة نوح.

[الأمر بتوفية الكيل والميزان]:

قولُه: ﴿فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ أمرهم بإيفاء الكيل والميزان لأنهم كانوا أهل معاملة بالكيل والوزن، وكانوا لا يوفونهما، وذكر الكيل الذي هو المصدر وعطف عليه الميزان الذي هو اسم للآلة.

واختُلف في توجيه ذلك، فقيل: المراد بالكيل: المكيال فتناسب عطف الميزان عليه؛ وقيل: المراد بالميزان: الوزن فيناسب الكيل، والفاء في «فأوفوا» للعطف على «اعبدوا».

قولُه: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾ البَخْسُ[٥] النقص، وهو يكون بالتعييب

---

(١) «جامع البيان» (١٠/ ٣١٠)، و«البداية والنهاية» (١/ ٤٢٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٢٨٠).

(٢) الشرقي: لقب، واسمه: الوليد بن حصين.
قال الذهبي: «له نحو عشرة أحاديث فيها مناكير».
وقال الخطيب: «كان عالماً بالنسب وافر الأدب».
«ميزان الاعتدال» (٢/ ٢٦٨ رقم ٣٦٨٦).

(٣) عبد الله بن زياد بن سمعان المخزومي (وقد نسب إلى جده). أبو عبد الرحمٰن، المدني، قاضيها. متروك، اتهمه بالكذب أبو داود وغيره. «تهذيب التهذيب» رقم (٣٣٤٦).

(٤) ذكره ابن جرير في «تاريخه» (١/ ٣٢٥).

(٥) «المحرر الوجيز» (٧/ ١٠٨)، و«جامع البيان» (١٠/ ٣١١).

للسِّلعة أو التزهيد فيها، أو المخادعة لصاحبها والاحتيال عليه، وكل ذلك من أكل أموال الناس بالباطل وظاهر قوله: ﴿أَشْيَآءَهُمْ﴾ أنهم كانوا يَبْخسون الناس في كل الأشياء، وقيل: كانوا مكاسين يمكسون كلَّ ما دخل إلى أسواقهم، ومنه قول زهير:

أفي كلِّ أسواق العراقِ إتاوةٌ   وفي كل ما باع امرؤٌ مكْسُ دِرهمِ[1]

قوله: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِى الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ قد تقدّم تفسيره قريباً، ويدخل تحته قليل الفساد وكثيره، ودقيقه وجليله.

والإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ إلى العمل بما أمرهم به وترك ما نهاهم عنه، والمراد بالخيرية هنا: الزيادة المطلقة[2]؛ لأنه لا خير في عدم إيفاء الكيل والوزن، وفي بخس الناس، وفي الفساد في الأرض أصلاً.

قوله: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾ الصراط: الطريق؛ أي: لا تقعدوا بكل طريق توعُدون الناس بالعذاب، قيل: كانوا يقعدون في الطرقات المفضية إلى شُعيب، فيتوعدون مَنْ أراد المجيء إليه، ويقولون: إنّه كذّاب فلا تذهب إليه، كما كانت قريش تفعله مع النبي ﷺ، قاله ابن عباس، وقتادة، ومجاهد، والسديّ، وغيرهم[3].

وقيل: المراد: القعود على طرق الدِّين ومنع من أراد سلوكها، وليس المراد به القعود على الطرق حقيقة، ويؤيده: ﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾.

وقيل: المراد بالآية: النهي[4] عَنْ قطع الطريق وأخذ السَّلَب، وكان ذلك من فعلهم.

وقيل: إنهم كانوا عشّارين يأخذون الجباية في الطرق مِنْ أموال الناس فنُهوا عن ذلك.

---

(١) وهو لجابر بن حنى التغلبي. «الصحاح» (٣/ ٩٧٩).

(٢) «روح المعاني» (٩/ ٢٣٧).   (٣) سيأتي تخريج هذه الأقوال.

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٢٨٢ ـ ٢٨٣)، و«روح المعاني» (٩/ ٢٣٨)، و«جامع البيان» (١٠/ ٣١٢ ـ ٣١٣).

والقول الأوّل: [٢/١٣٤] أقربُها إلى الصواب مع أنه لا مانع من حمل النهي على جميع هذه الأقوال المذكورة.

وجملة «تُوعِدون» في محل نصب[١] على الحال، وكذلك ما عُطف عليها؛ أي: لا تقعدوا بكل طريق موعدين لأهله، صادّين عن سبيل الله، باغين لها عوجاً، والمراد بالصدّ عن سبيل الله: صدّ الناس عَنْ الطريق الذي قعدوا عليه، ومنعهم من الوصول إلى شُعيب، فإن سلوك الناس في ذلك السبيل للوصول إلى نبيّ الله هو سلوك سبيل الله.

و﴿مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾ مفعول[٢] تصدّون، والضمير[١] في «آمن به» يرجع إلى الله، أو إلى سبيل الله، أو إلى كل صراط أو إلى شعيب، و﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجًاۚ﴾؛ أي: تطلبون سبيل الله أن تكون معوجة غير مستقيمة، وقد سبق الكلام على العوج.

قال الزجّاج[٣]: كسر العين في المعاني وفتحها في الأجرام ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ﴾؛ أي: وقت كنتم ﴿قَلِيلًا﴾ عَدَدكم ﴿فَكَثَّرَكُمْۖ﴾ بالنسل.

وقيل: كنتم فقراء[٤] فأغناكم ﴿وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ من الأمم الماضية، فإن الله أهلكهم، وأنزل بهم من العقوبات ما ذهب بهم، ومحا أثرهم ﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ﴾ إليكم من الأحكام التي شرعها الله لكم ﴿طَآئِفَةٌ﴾ منكم ﴿لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَاۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ هذا من باب التهديد[٥] والوعيد الشديد لهم.

وليس هو من باب الأمر بالصبر على الكفر.

وحُكْم الله بين الفريقين هو: نصرُ المحقين على المبطلين، ومثله قوله تعالى: ﴿فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ [التوبة: ٥٢] أو هو أمر للمؤمنين بالصبر على ما يحلّ بهم من أذى الكفار حتى ينصَرهم الله عليهم ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ﴾؛ أي: قال الأشراف المستكبرون: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

---

(١) «البحر المحيط» (٥/١٠٨)، و«التبيان» (١/٥٨٢).

(٢) «روح المعاني» (٩/٢٣٩)، و«البحر المحيط» (٥/١٠٨)، و«التبيان» (١/٥٨٢).

(٣) في «معاني القرآن» للزجاج (٢/٣٥٤).

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/٢٨٤).

(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/٢٨٤)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٧/١١٠).

﴿مَعَكَ﴾ لم يكتفوا بترك الإيمان والتمرّد عَنْ الإجابة إلى ما دعاهم إليه، بل جاوزوا ذلك بغياً وبَطَراً وأشَراً إلى توعد نبيّهم، ومَنْ آمن به بالإخراج من قريتهم، أو عوده هو ومَنْ معه في ملتهم الكفرية؛ أي: لا بدّ مِنْ أحد الأمرين: إما الإخراج، أو العود.

قال الزجاج[١]: يجوز أن يكون العود بمعنى: الابتداء، يقال: عاد إليّ من فلان مكروه؛ أي: صَار، وإن لم يكن سبقه مكروه قبل ذلك، فلا يَرِدُ ما يقال: كيفَ يكون شُعيب على ملتهم الكفرية من قبل أن يبعثه الله رسولاً؟ ويحتاج إلى الجواب بتغليب[٢] قومه المتبعين له عليه في الخطاب بالعود إلى ملتهم.

وجملة ﴿قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾ مستأنفة جواب عَنْ سؤال مقدَّر، والهمزة لإنكار وقوع ما طلبوه مِنْ الإخراج أو العَود، والواو للحال؛ أي: أتعيدوننا في ملتكم في حال كراهتنا للعود إليها، أو أتخرجوننا مِنْ قريتكم في حال كراهتنا للخروج منها، أو في حال كراهتنا للأمرين جميعاً.

والمعنى: أنّه ليس لكم أن تُكرهونا على أحد الأمرين ولا يصح لكم ذلك، فإن المُكْرَه لا اختيار له ولا تُعدّ موافقته مُكْرهاً موافقةً، ولا عوده إلى ملتكم مكرهاً عَوداً، وبهذا التقرير يندفع ما استشكله كثير مِنْ المفسرين[٣] في هذا المقام حتى تسبّب عن ذلك تطويل ذيول الكلام ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم﴾ التي هي الشرك ﴿بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا﴾ بالإيمان، فلا يكون منا عود إليها أصلاً ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ﴾؛ أي: ما يصحّ لنا ولا يستقيم ﴿أَن نَّعُودَ فِيهَآ﴾ بحال من الأحوال ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾؛ أي: إلا حال مشيئته سبحانه، فإنَّه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

قال الزجّاج[٤]: أي: إلا بمشيئة الله ﷻ، قال: وهذا قول أهل السُّنَّة، والمعنى: أنه لا يكون منا العود إلى الكفر إلا أنْ يشاء الله ذلك، فالاستثناء منقطع.

---

(١) في «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٥٥). (٢) انظر: «روح المعاني» (٩/ ٢٤٢).
(٣) «تفسير أبي السعود» (٣/ ٢١١ ـ ٢١٢)، و«روح المعاني» (٩/ ٢٤٢)، و«الانتصاف» لابن المنير (٢/ ٩٥).
(٤) في «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٥٥).

وقيل[١]: إن الاستثناء هنا على جهة التسليم لله ﷻ كما في قوله: ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ [هود: ٨٨] وقيل: هو كقولهم: لا أكلمك حتى يَبْيَضّ الغراب، وحتى يلج الجمل في سَمّ الخياط، والغراب لا يَبْيَضّ، والجمل لا يلج، فهو من باب التعليق بالمُحال.

﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ﴾؛ أي: أحاط علمُه بكل المعلومات، فلا يخرج عنه منها شيء، وعلماً[٢] منصوب على التمييز.

وقيل: المعنى: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ﴾؛ أي: القرية بعد أن كرهتم مجاورتنا لكم ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ عَودَنا إليها. ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَاۚ﴾؛ أي: عليه اعتمدنا في أن يُثبّتنا على الإيمان، ويَحُول بيننا وبين الكفر وأهله، ويتمّ علينا نعمته، ويعصمنا من نقمته.

قوله: ﴿رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ﴾ الفُتاحة[٣]: الحكومة؛ أي: احكمْ بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الحاكمين، دعوا الله سبحانه أن يحكم بينهم ولا يكون حكمه سبحانه إلا بنصر المحقين على المبطلين، كما أخبرنا به في غير موضع من كتابه، فكأنهم طلبوا نزول العذاب بالكافرين، وحلول نقمة الله بهم.

﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ﴾ معطوف على ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ يحتمل أن يكون هؤلاء هم أولئك، ويحتمل أن يكونوا غيرَهم مِنْ طوائف الكفار الذين أرسل إليهم شعيب، واللام في ﴿لَئِنِ ٱتَّبَعۡتُمۡ شُعَيۡبًا﴾ موطئة لجواب[٤] قسم محذوف؛ أي: دخلتم في دينه، وتركتم دينكم ﴿إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ﴾ جواب القسم ساد مسدّ جواب الشرط، وخسرانهم: هلاكُهم أو ما يخسرونه بسبب إيفاء الكيل والوزن، وترك التطفيف الذي كانوا يعاملون الناس به ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ﴾؛ أي: الزلزلة؛ وقيل:

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/ ٢٨٥).
(٢) «التبيان» (١/ ٥١٣)، و«روح المعاني» (٩/ ٢٤٦ ـ ٢٤٧).
(٣) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٦٢٢).
(٤) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٤٧٦)، وانظر: «البحر المحيط» (٥/ ١١٥)، و«روح المعاني» (٩/ ٢٤٩)، و«تفسير أبي السعود» (٣/ ٢١٤ ـ ٢١٥).

الصيحة كما في قوله: ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ﴾ [هود: ٩٤] ﴿فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ قد تقدم تفسيره في قصة صالح.

قولُه: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَاۚ﴾ هذه الجملة مستأنفة مبينة لما حلّ بهم من النِّعمة، والموصول مبتدأ، و﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ﴾ خبره[1]، يقال: غنيت بالمكان: إذا أقمت به، وغَنِيَ القوم في دارهم؛ أي: طال مقامهم فيها، والمغنىٰ: المنزل، والجمع المغاني. قال حاتم[2] الطائي:

[غَنينا زماناً بالتصعْلُك والغِنى وكلًا سقاناه بكأسيهما الدهرُ][3]
فما زادنا بغياً على ذي قرابةٍ غِنانا ولا أزرى بأحسابنا الفقرُ

ومعنى الآية: الذين كذّبوا شعيباً كأن لم يقيموا[4] في دارهم؛ لأن الله سبحانه استأصلهم بالعذاب.

والموصول في ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا﴾ مبتدأ خبره ﴿كَانُواْ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾، وهذه الجملة مستأنفة كالأولى، متضمنة لبيان خسران القوم المكذبين.

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾؛ أي: شعيب لما شاهد نزول العذاب بهم ﴿وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي﴾ التي أرسلني بها إليكم ﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْۖ﴾ ببيان ما فيه سلامة دينكم ودنياكم ﴿فَكَيْفَ ءَاسَىٰ﴾؛ أي: أَحْزَنُ ﴿عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾ بالله مصرّين على كفرهم، متمردين عن الإجابة، والأسى: شدة الحُزْن، آسى[5] على ذلك فهو آس.

قال شعيب هذه المقالة تحسّراً على عدم إيمان قومه، ثم سلّا نفسه بأنه كيف يقع منه الأسى [٢/١٣٥] على قومٍ ليس بأهل للحزن عليهم لكفرهم بالله وعدم قبولهم لما جاء به رسوله.

---

(١) «التبيان» (١/ ٥٨٣)، و«البحر المحيط» (٥/ ١١٦ ـ ١١٧).
(٢) انظر: «ديوانه» (ص١١٩).
(٣) كذا في المخطوط والذي في الديوان:
غنينا زماناً بالتَّصَعلك والغنى كما الدهر في أيامه العُسرُ واليسرُ
كَسَينا صُروف الدّهر ليناً وغِلظة وكلّاً سقاناه بكأسيهما الدهر
(٤) «جامع البيان» (١٠/ ٣٢١ ـ ٣٢٢).
(٥) «مجمل اللغة» (١/ ٩٦)، و«مفردات ألفاظ القرآن» (ص٧٧).

وقد أخرج ابن إسحاق، وابن عساكر، عن عكرمة، والسدي[١] قالا: ما بعث الله نبيّاً مرتين إلا شعيباً: مرة إلى مدين فأخذتهم الصيحة، ومرة إلى أصحاب الأيكة ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ﴾ [الشعراء: ١٨٩].

وأخرج ابن أبي حاتم[٢]، عن ابن عباس ﴿وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾ قال: لا تظلموا الناس.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وأبو الشيخ، عن قتادة[٣] ﴿وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾ قال: لا تظلموهم ﴿وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ﴾ قال: كانوا يوعدون من أتى شعيباً وغشيه وأراد الإسلام.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس[٤] ﴿وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ﴾ قال: كانوا يجلسون في الطريق، فيخبرون من أتى عليهم أن شعيباً كذاب، فلا يفتننكم عن دينكم.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن مجاهد[٥] ﴿بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ﴾ قال: بكل سبيل حق ﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ قال[٦]: تصدّون أهلها ﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ قال: تلتمسون لها الزيغ.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن السديّ[٧] ﴿وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ﴾ قال: هو العاشر ﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ قال: تصدّون

---

(١) أخرجه ابن عساكر في «مختصر تاريخ مدينة دمشق» (١٠/ ٢٠٨) مفرقاً.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٢٠ رقم ٨٧٠٨) بسند ضعيف. الضحاك لم يسمع من ابن عباس.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٣١١ ـ ٣١٢) بسند صحيح.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٣١٣) بسند صحيح.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٣١٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٢١ رقم ٨٧١٤) بسند صحيح.

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٣١٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٢١، ١٥٢٢ رقم ٨٧٢٠، ٨٧٢٢) بسند صحيح.

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٣١٤) بسند صحيح.

● أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٢٠ رقم ٨٧١٢) بسند صحيح من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس.

عن الإسلام ﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ قال[١]: هلاكاً.

وأخرج أبو الشيخ[٢]، عن مجاهد، قال: هم العشّار.

وأخرج ابن جرير، عن أبي العالية، عن أبي هريرة[٣] أو غيره ـ شك أبو العالية ـ قال: أتى النبي ﷺ ليلة أسرى به على خشبة على الطريق لا يمرّ بها ثوب إلا شقته، ولا شيء إلا خرقته، قال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا مثَلُ أقوام من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونه ثم تلا ﴿وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ﴾.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن السدي[٤]، في قوله: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ﴾ قال: ما ينبغي لنا أن نعود في شرككم بعد إذ نجانا الله ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا﴾ واللهُ لا يشاء الشرك، ولكنْ يقول: إلا أن يكون الله قد علم شيئاً، فإنَّه قد وسع كل شيء علماً.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «الأسماء والصفات»، وابن الأنباري في «الوقف والابتداء»، عن ابن عباس[٥] قال: ما كنتُ أدري ما قوله: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ﴾ حتى سمعت ابنة ذي يزن تقول: تعال أُفاتِحك، تعني: أقاضيك.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٣١٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٢١، ١٥٢٢ رقم ٨٧١٨، ٨٧٢٤) بسند حسن.

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٥٠٢).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٣١٤) وهو جزء طويل أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٤/ ٤٢٤ ـ ٤٣٥).

قال ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٣٦): «أبو جعفر الرازي قال فيه الحافظ أبو زرعة الرازي: يهم في الحديث كثيراً، وقد ضعَّفه غيره أيضاً ووثَّقه بعضهم، والأظهر أنّه سيّئ الحفظ، ففيما انفرد به نظر، وهذا الحديث في بعض ألفاظه غرابة ونكارة شديدة، وفيه شيء من حديث المنام من رواية سمرة بن جندب في المنام الطويل عند البخاري، ويشبه أن يكون مجموعاً من أحاديث شتى، أو منام وقصة أخرى غير الإسراء، والله أعلم.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٣١٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٢٣ رقم ٨٧٢٩ ـ ٨٧٣١) بسند حسن.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٨/ ٥٢٩)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٣٢٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٢٣ رقم ٨٧٣٣)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (١٠٧) بسند صحيح.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عنه[١]، في قوله: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ﴾ يقول: اقض.

وأخرج ابن أَبي حاتم[٢]، عن السُّديّ، قال: الفتح: القضاء لغةٌ يمانية إذا قال أحدهم: تعال أقاضيك القضاء قال: تعال أفاتحك.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن ابن عباس[٣] ﴿لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ قال: لم يعيشوا فيها.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، عَنْ قتادة[٤]، مثله.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس[٥] ﴿فَكَيْفَ ءَاسَىٰ﴾ قال: أحزن.

وأخرج ابن عساكر[٦]، عن ابن عباس قال: في المسجد الحرام قبران ليس فيه غيرهما، قبر إسماعيل، وقبر شُعيب، فقبر إسماعيل في الحِجْر، وقبر شعيب مقابل الحَجَر الأسود.

وأخرج ابن عساكر[٧] عن وهب بن منبه أن شُعيباً مات بمكة، ومَنْ معه من المؤمنين، فقبورهم في غربي الكعبة بين دار الندوة وبين باب بني سهم.

وأخرج ابنُ أبي حاتم، والحاكم، عن ابن إسحاق[٨] قال: ذكر لي يعقوب بن أبي مسلمة «أن رسول الله ﷺ كان إذا ذكر شعيباً قال: ذاك خطيبُ الأنبياء لحسن

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٣٢١) بسند ضعيف.

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٥٠٣).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٥٢)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٣٢٦) بسند صحيح.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٣٢٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٢٤)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٢٢٣) بسند صحيح.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٣٢٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٢٤ رقم ٨٧٤٠) بسند صحيح.

(٦) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ مدينة دمشق» (٢٣/ ٧٩) من طريق الكلبي، عن أبي صالح بسند ضعيف جدّاً.

(٧) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ مدينة دمشق» (٢٣/ ٨٠) من طريق إسماعيل بن عيسى، به.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٢٢ رقم ٨٧٢٦)، والحاكم (٢/ ٦٨).

مراجعته قومَه فيما يريدهم به، فلما كذّبوه وتوعدوه بالرجم، والنفي من بلادهم، وعتوا على الله أخذهم عذابُ يوم الظلة».

[سُنَّة الله التي جرت بها مشيئته وحققها قدره بالمكذبين في كل قرية]:

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾.

قوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ﴾ لمّا فصَّل الله سبحانه أحوال بعض الأنبياء مع أممهم، وهم المذكورون سابقاً أجمل حال سائر الأمم المرسل إليها؛ أي: وما أرسلنا في قرية مِنْ القرى من نبيّ من الأنبياء، وفي الكلام محذوف؛ أي: فكذّب أهلُها إلا أخذناهم، والاستثناء[1] مفرّغ؛ أي: ما أرسلنا في حال من الأحوال إلا في حال أخذنا أهلها، فمحل (أخذنا) النصب، والبأساء: البؤسُ والفقر، والضراء: الضرّ.

وقد تقدم تحقيق معنى البأساء والضراء ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾؛ أي: لكي يتضرعوا ويتذلّلوا، فيدعَوا ما هم عليه من الاستكبار وتكذيب الأنبياء.

قوله: ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا﴾ معطوف على «أخذنا»؛ أي: ثُم بعد الأخذ لأهل القرى بدّلناهم ﴿مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ﴾ التي أصبناهم بها مِنْ البلاء والامتحان ﴿ٱلْحَسَنَةَ﴾؛ أي: الخصلة الحسنة، فصاروا في خيرٍ، وسعةٍ وأمن ﴿حَتَّىٰ عَفَوا۟﴾ يقال: عفا[2] كَثُر،

(١) «البحر المحيط» (٥/١١٨).
(٢) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٥٧٥).

وعفا دَرَس، فهو من أسماء الأضداد، والمراد هنا: أنهم كثروا في أنفسهم وفي أموالهم؛ أي: أعطيناهم الحسنة مكان السيئة، حتى كثروا ﴿وَّقَالُواْ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ﴾؛ أي: قالوا هذه المقالة عند أَنْ صاروا في الحسنة بعد السيئة؛ أي: أن هذا الذي مسنا من البأساء والضراء، ثم مِنْ الرخاء والخصْب من بعد هو أمرٌ وقع لآبائنا قبلنا مثله، فمسّهم من البأساء والضراء ما مسّنا، ومن النعمة والخير ما نلناه، ومعناهم: أَنَّ هذه العادة الجارية في السلف والخلف، وأنّ ذلك ليس من الله سبحانه ابتلاء لهم واختبار لما عندهم، وفي هذا مِنْ شدة عنادهم، وقوة تمردهم وعتوّهم ما لا يخفي، ولهذا عاجلهم الله بالعقوبة ولم يُمْهلهم.

فقال: ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾؛ أي: فجأةً عقب أَنْ قالوا هذه المقالة من دون تراخ ولا إمهال (و) الحال أنَّ﴿هم لا يشعرون﴾ بذلك ولا يترقبونه، واللام في ﴿ٱلْقُرَىٰٓ﴾ للعهد؛ أي: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ التي أرسلنا إليها رسلنا ﴿ءَامَنُواْ﴾ بالرسل المرسلين إليهم ﴿وَٱتَّقَوْاْ﴾ ما صمّموا عليه من الكفر، ولم يصرّوا على ما فعلوا من القبائح ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: يسّرنا لهم خير السماء والأرض، كما يحصل التيسير للأبواب المغلقة[1] بفتح أبوابها؛ قيل: المراد بخير السماء: المطر، وخير الأرض: النبات، والأولى حمل ما في الآية على ما هو أعمّ من ذلك؛ ويجوز أن تكون اللام في «القرى» للجنس.

والمراد: لو أن أهل القرى أين كانوا، وفي أيّ بلاد سكنوا آمنوا واتقوا إلى آخر الآية ﴿وَلَٰكِن كَذَّبُواْ﴾ بالآيات والأنبياء ولم يؤمنوا ولا اتقوا ﴿فَأَخَذْنَٰهُم﴾ بالعذاب بسبب ما كانوا يكسبون [٢/١٣٦] من الذنوب الموجبة لعذابهم.

والاستفهام في ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ للتقريع[2] والتوبيخ، وأهل القرى هم أهل القرى المذكورة قبله، والفاء للعطف، وهو مثل: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]؛ وقيل: المراد بالقرى: مكة وما حولها، لتكذيبهم للنبي ﷺ، والحمل على العموم أولى.

---

(١) «جامع البيان» (١٠/ ٣٣٣).

(٢) «البحر المحيط» (٥/ ١٢١)، و«روح المعاني» (٩/ ٢٦١).

قوله: ﴿أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَـٰتًا﴾؛ أي: وقت بياتٍ، وهو الليل على أنه منصوب على الظرفية، ويجوز أن يكون مصدراً، بمعنى: تبييتاً، أو مصدراً في موضع الحال؛ أي: مبيّتين.

وجملة: ﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾ في محل نصب على الحال، والاستفهام في ﴿أَوَ أَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ كالاستفهام الذي قبله، والضحى: ضحوةُ النّهار، وهو في الأصل اسم لضوء الشمس إذا أشْرقَت وارتفعت. قرأ ابن عامر[١] والحَرَميان (أوْ أمن) بإسكان الواو وقرأ الباقون[٢] بفتحها.

وجملة ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ في محل نصب على الحال؛ أي: يشتغلون بما لا يعود عليهم بفائدة.

والاستفهام في ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ﴾ للتقريع والتوبيخ، وإنكار ما هم عليه من أمان ما لا يؤمن مِنْ مكر الله بهم وعقوبته لهم، وفي تكرير هذا الاستفهام[٣] زيادة تقرير لإنكار ما أنكره عليهم، ثم بيَّن حال مَنْ أمن مكر الله، فقال: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾؛ أي: الذين أفرطوا في الخُسْران، ووقعوا في وعيده الشديد، وقيل: مكر الله هنا: هو استدراجه بالنِّعمة والصحة.

والأولى حمله على ما هو أعمّ مِنْ ذلك.

قولُه: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ﴾ قرئ «نهد»[٤] بالنون وبالتحتية[٥]؛ فعلى القراءة بالنون يكون فاعل الفعل هو الله سبحانه ومفعول الفعل ﴿أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾؛ أي: أن الشأن هو هذا، وعلى القراءة بالتحتية

---

(١) «النشر» (٢/ ٢٧٠)، و«التيسير» (ص١١١)، و«زاد المسير» (٣/ ٣٣٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٢٨٩)، و«البحر المحيط» (٥/ ١٢٠). ومع مَنْ يقرأ بالإسكان «أبو جعفر».

(٢) انظر: المصادر المتقدمة.

(٣) «روح المعاني» (٩/ ٢٦٣)، و«البحر المحيط» (٥/ ١٢١).

(٤) قرأ يعقوب برواية زيد والسلمي وقتادة وابن عباس ومجاهد والحسن: «أو لم نهد» بالنون، والفاعل ضمير الله ﷻ، و«أن لو نشاء» مفعوله.
انظر: «البحر المحيط» (٥/ ١٢١)، و«زاد المسير» (٢/ ٢٣٥)، و«القراءات الشاذة» (ص٤٥)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٤٠)، و«حاشية الشهاب» (٤/ ١٩٧). وهي قراءة شاذة، والمتواترة هي القراءة «بالتحتية» وهي قراءة العشرة.

(٥) وهي قراءة الجمهور.
«البحر المحيط» (٥/ ١٢١)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٤٠)، و«زاد المسير» (٢/ ٢٣٥).

يكون فاعل يَهد هو ﴿أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْۚ﴾؛ أي: أخذناهم بكفرهم وتكذيبهم، والهداية هنا بمعنى: التبيين، ولهذا عُدِّيت باللام.

قولُه: ﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾؛ أي: ونحن نطبع على قلوبهم على الاستئناف ولَا يصح عطفه على أصبنا؛ لأنّهم ممن طبع الله على قلبه لعدم قبولهم للإيمان.

وقيل: هو معطوف على فعلٍ مقدّر دلّ عليه الكلام؛ كأنه قيل: يغفلون عن الهداية ونطبع؛ وقيل: معطوف على «يرثون».

قوله: ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ جواب لو؛ أي: صاروا بسبب إصابتنا لهم بذنوبهم والطبع على قلوبهم لا يسمعون ما يتلوه عليهم مَنْ أرسله الله إليهم من الوعظ، والإعذار، والإنذار.

وقد أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس(١)، في قوله: ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ﴾ قال: مكان الشدة الرخاء ﴿حَتَّىٰ عَفَوا﴾ قال(٢): كَثُروا وكَثُرت أموالهم.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن مجاهد(٣) نحوه.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن ابن عباس(٤) في قوله: ﴿حَتَّىٰ عَفَوا﴾ قال: جَمّوا.

وأخرج عبد بن حميد، وابن أبي حاتم، عن قتادة(٥) في قوله: ﴿قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ﴾ قال: قالوا: قد أتى على آبائنا مثل هذا فلم يكن شيئاً ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٣٣٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٢٦ رقم ٨٧٤٨) بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٣٣٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٢٦ رقم ٨٧٥٤) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٣٢٩، ٣٣٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٢٦ رقم ٨٧٤٩، ٨٧٥١) بسند صحيح.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٣٣١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٢٦ رقم ٨٧٥٣) بسند ضعيف.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٢٧ رقم ٨٧٥٩) بسند صحيح.

وأخرج عبد بن حميد، وابن أبي حاتم، عنه[١] في قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ﴾ قال: بما أنزل الله ﴿وَٱتَّقَوْاْ﴾ قال: ما حرّمه الله ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يقول: أعطتهم السماء بركتها، والأرض نباتها.

وأخرج ابن أبي حاتم[٢] من طريق معاذ بن رفاعة، عن موسى الطائفي قال: قال رسول الله ﷺ: «أكرموا الخبز فإنّ الله أنزله من بركات السماء، وأخرجه من بركات الأرض».

وأخرج البزار، والطبراني[٣]، قال السيوطي[٤]: بسند ضعيف عن عبد الله ابن أمّ حرام قال: صليت القبلتين مع رسول الله ﷺ وسمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «أكرموا الخبز فإن الله أنزله من بركات السماء، وسخر له بركات الأرض، ومن تتبع ما يسقط من السفرة غفر له».

وأخرج ابن أبي شيبة[٥]، عن الحسن قال: كان أهل قريه أوسَع الله عليهم حتى كانوا يستنجون بالخبز، فبعث الله عليهم الجوع.

وأخرج ابن جرير، وأبو الشيخ، عن ابن عباس[٦]، في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾ قال: أو لم نبين.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن مجاهد[٧] مثله.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن السديّ[٨] في قوله: ﴿لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ﴾ قال: المشركون.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٢٨ رقم ٨٧٦٤) بسند صحيح.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٢٨ رقم ٨٧٦٦) من طريق المنهال بن عيسى، به.
(٣) أخرجه البزار في «مسنده» رقم (٢٨٧٧ ـ كشف)، والطبراني في «مسند الشاميين» (ص١٢، ١٣، ١٥) بسند ضعيف.
(٤) في «الدر المنثور» (٣/ ٥٠٦)، وانظر: «السلسلة الضعيفة» رقم (٢٨٨٥).
(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٤/ ٣٩).
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٣٣٥) بسند ضعيف.
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٣٣٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٢٩ رقم ٨٧٧٤) بسند صحيح.
(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٣٣٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٢٩ رقم ٨٧٧٥) بسند حسن.

[قصص الأنبياء وحي من الله على رسوله ﷺ وهي من أمور الغيب]:

﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾﴾.

قوله: ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ﴾؛ أي: التي أهلكناها، وهي قرى قوم نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، المتقدّم ذكرها.

﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾؛ أي: نتلو عليك ﴿مِنْ أَنۢبَآئِهَا﴾؛ أي: مِنْ أخبارها، وهذه تسلية لرسول الله ﷺ وللمؤمنين، و(نقصّ) إما في محل نصب[1] على أنه حال، و﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ﴾ مبتدأ وخبر، أو يكون في محلّ رفعٍ على أنه الخبر، و﴿ٱلْقُرَىٰ﴾ صفة لتلك، و«مِنْ» في ﴿مِنْ أَنۢبَآئِهَا﴾ للتبعيض؛ أي: نقصّ عليك بعض أنبائها، واللام في ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ جواب القسم[2].

والمعنى: أَنَّ مِنْ أخبارهم أنها جاءتهم رسلُ الله ببيناته كما سبق بيانه في قصص الأنبياء المذكورين قبل هذا ﴿فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟﴾ عند مجيء الرسل ﴿بِمَا كَذَّبُوا۟﴾ به ﴿مِن قَبْلُ﴾ مجيئهم، أو فما[3] كانوا ليؤمنوا بما جاءتهم به الرسل في حال من الأحوال، ولا في وقت من الأوقات بما كذبوا به قبل مجيئهم؛ بل هم مستمرون على الكفر، متشبثون بأذيال الطغيان دائماً، ولم ينجع فيهم مجيء الرسل ولا ظهر له أثر؛ بل حالهم عند مجيئهم كحالهم قبله.

وقيل: المعنى: فما كانوا ليؤمنوا بعد هلاكهم بما كذّبوا به لو أحييناهم؛ كقوله: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟﴾ [الأنعام: ٢٨] وقيل: سألوا المعجزات، فلما رأوها لم يؤمنوا بما كذبوا به من قبل رؤيتها.

والأوّل أولى، ومعنى تكذيبهم قبل مجيء الرسل: أَنَّهم كانوا في الجاهلية يكذبون بكل ما سمعوا به من إرسال الرسل، وإنزال الكتب.

---

(١) «البحر المحيط» (٥/ ١٢٤)، و«التبيان» (١/ ٢٥٩).
(٢) «روح المعاني» (٩/ ٢٦٩)، و«البحر المحيط» (٥/ ١٢٤ ـ ١٢٥).
(٣) «جامع البيان» (١٠/ ٣٣٦)، و«روح المعاني» (٩/ ٢٧٠).

قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾؛ أي: مثل ذلك الطبع الشديد يطبع الله على قلوب الكافرين، فلا ينجع فيهم بعد ذلك وعظ ولا تذكير ولا ترغيب ولا ترهيب.

قوله: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ﴾ الضمير يرجع إلى أهل القرى المذكورين سابقاً؛ أي: ما وجدنا لأكثر أهل هذه القرى مِنْ عهد؛ أي: عهد يحافظون عليه ويتمسكون به، بل دأبهم نقضُ العهود في كل حال.

وقيل[١] الضمير يرجع إلى الناس على العموم؛ أي: ما وجدنا لأكثر الناس من عهد، وقيل: المراد بالعهد: هو المأخوذ عليهم [٢/١٣٧] في عالم الذَرّ.

وقيل: الضمير يرجع إلى الكفّار على العموم من غير تقييد بأهل القرى؛ أي: الأكثر منهم لا عهد ولا وفاء، والقليل منهم قد يفي بعهده ويحافظ عليه.

و«إِنْ» في ﴿وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾ هي المخففة[٢] مِنْ الثقيلة، وضمير الشأن محذوف؛ أي: أن الشأن وجدنا أكثرهم لفاسقين. أو: هي النافية، واللام في ﴿لَفَٰسِقِينَ﴾ بمعنى إلَّا؛ أي: إلَّا فاسقين خارجين عن الطاعة خروجاً شديداً.

وقد أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن أبيّ[٣] بن كعب، في قوله: ﴿فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ قال: كان في علم الله يوم أقروا له بالميثاق مَنْ يكذب به ممن يصدّق به.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أُبي حاتم، عن مجاهد[٤]، في قوله: ﴿فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ قال: مثل قوله: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨].

وأخرج ابن أبي حاتم[٥]، عن الحسن، في قوله: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ﴾ قال: الوفاء.

---

(١) «البحر المحيط» (٥/ ١٢٤)، و«روح المعاني» (٩/ ٢٧٢).
(٢) «روح المعاني» (٩/ ٢٧٣)، و«البحر المحيط» (١/ ١٢٤)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٤١).
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٣٣٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٣٠ رقم ٨٧٧٨) بسند حسن.
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٣٣٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٣٠ رقم ٨٧٧٩) بسند صحيح.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٣١ رقم ٨٧٨٣) بسند صحيح.

وأخرج ابن أبي حاتم(١)، في الآية قال: هو ذاك العهد يوم أخذ الميثاق.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، نحوه(٢).

وأخرج ابن أبي حاتم(٣)، عن ابن عباس، في قوله: ﴿وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾ قال: ذاك أنَّ الله إنما أهلك القرى لأنهم لم يكونوا حفظوا ما وصّاهم به.

[قصة موسى وفرعون]:

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ
عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن
لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ
إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ
مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ
عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ
حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن
كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ
وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ
وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾
فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ
سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾.

قوله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ﴾؛ أي: من بعد نوح وهود وصالح ولوط وشعيب؛ أي: ثم أرسلنا موسى بعد إرسالنا لهؤلاء الرسل؛ وقيل: الضمير في ﴿مِنۢ

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٣٠ رقم ٨٧٨١) عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية بسند حسن.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٣٤٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٣١ رقم ٨٧٨٥) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٣١ رقم ٨٧٨٤) بسند ضعيف.

﴿بَعۡدِهِم﴾ راجع[١] إلى الأمم السابقة؛ أي: من بعد إهلاكهم ﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾ فرعون هو لقب لكل مَنْ يملك أرض مصر بعد العمالقة، وملأ فرعون: أشراف قومه؛ وتخصيصهم بالذكر مع عموم الرسالة لهم ولغيرهم؛ لأن من عداهم كالأتباع لهم.

قوله: ﴿فَظَلَمُواْ بِهَاۖ﴾؛ أي: كفروا بها. وأطلق الظلم على الكفر، لكون كفرهم بالآيات التي جاء بها موسى كان كفراً متبالغاً لوجود ما يوجب الإيمان من المعجزات العظيمة التي جاءهم بها.

والمراد بالآيات هنا: هي الآياتُ التسع، أو معنى: ﴿فَظَلَمُواْ بِهَاۖ﴾ ظلموا الناس بسببها لما صدّوهم عَنْ الإيمان بها، أو ظلموا أنفسهم[٢] بسببها ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾؛ أي: المكذّبين بالآيات الكافرين بها وجعلهم مفسدين؛ لأن تكذيبهم وكفرهم مِنْ أقبح أنواع الفساد.

قوله: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ أخبره بأنه مرسل من الله إليه، وجعل ذلك عنواناً لكلامه معه؛ لأن مَنْ كان مرسلاً من جهة من هو رب العالمين أجمعين، فهو حقيق[٣] بالقبول لما جاء به، كما يقول من أرسله الملك في حاجة إلى رعيته: أنا رسولُ المَلِك إليكم، ثم يحكى ما أرسل به فإن في ذلك من تربية المهابة، وإدخال الروعة، ما لا يقادر قدره.

قوله: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ قرئ «حَقيق عليّ أن لا أقول»؛ أي: واجب عليّ، ولازم لي، أن لا أقول فيما أبلغكم عن الله إلا القول الحق.

وقرئ ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ﴾ بدون ضمير[٤] في على؛ قيل: في توجيهه أن «على» بمعنى الباء؛ أي: حقيق بأن لا أقول، ويؤيده قراءة أُبيّ والأعمش، فإنهما قرآ: «حقيق[٥] بأن لا أقول».

---

(١) «جامع البيان» (١٠/ ٣٤١). (٢) انظر: «تفسير أبي السعود» (٣/ ٢٢٣).

(٣) «جامع البيان» (١٠/ ٣٤٢ ـ ٣٤٣).

(٤) «النشر» (٣/ ٢٧٠)، و«التيسير» (ص١١١)، و«المحرر الوجيز» (٧/ ١٢٦)، و«جامع البيان» (١٠/ ٣٤٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٢٩٢)، و«البحر المحيط» (٥/ ١٢٧).

(٥) انظر: المصادر المتقدمة. قال في «تخريج القراءات في فتح القدير» (ص١٣٧) (حقيقٌ عليَّ) بالياء المشددة مفتوحة قراءة نافع، و(حقيق على) بدون ياء عند الجمهور وهما متواترتان، وقراءة أُبَيّ وكذلك قراءة ابن مسعود، شاذتان.ا.هـ.

وقيل: إن ﴿حَقِيقٌ﴾ مضمن معنى حريص.

وقيل: إنَّه لما كان لازماً للحق كان الحق لازماً له، فقول الحق حقيق عليه، وهو حقيق على قول الحق.

وقيل: إنَّه أغرق في وصف نفسه في ذلك المقام، حتى جعل نفسه حقيقة على قول الحق، كأنَّه وجب على الحق أن يكون موسى هو قائله.

وقرأ عبد الله بن مسعود[١]: «حقيق أن لا أقول» بإسقاط «على»، ومعناها واضح. ثم قال بعد هذا: ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾؛ أي: بما يتبين به صدقي، وأنِّي رسولُ مِنْ رب العالمين.

وقد طوى هنا ذكر ما دار بينهما من المحاورة، كما في موضع آخر أنه قال فرعون: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٤٩] ثم قال بعد جواب موسى: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣] الآيات الحاكية لما دار بينهما.

قولُه: ﴿فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أمره بأن يَدَعَ بني إسرائيل[٢] يذهبون معه، ويرجعون إلى أوطانهم، وهي الأرض المقدّسة. وقد كانوا باقين لديه مُستعبدين ممنوعين من الرجوع إلى وطنهم، والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها، فلما قال ذلك ﴿قَالَ﴾ له فرعون: ﴿إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ﴾ من عند الله كما تزعم ﴿فَأْتِ بِهَآ﴾ حتى نشاهدها، وننظر فيها ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في هذه الدعوى التي جئت بها.

قوله: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾؛ أي: وضعها على الأرض فانقلبت ثعباناً؛ أي: حية عظيمة من ذكور الحيّات، ومعنى ﴿مُّبِينٌ﴾: أن كونها حية في تلك الحال أمر ظاهر واضح لا لبس فيه ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾؛ أي: أخرجها وأظهرها من جيبه، أو مِنْ تحت إبطه، وفي التنزيل: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ [النمل: ١٢].

قولُه: ﴿فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ﴾؛ أي: فإذا يده التي أخرجها بيضاء[٣] تتلألأ نُوراً يظهر لكلِّ مبصر ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ﴾؛ أي: الأشراف ﴿مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ لما شاهدوا

---

(١) «القراءات الشاذة» (ص٤٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٢٩٣). وهي قراءة شاذة مخالفة للرسم.

(٢) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٣٥٩).

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٢٩٣)، و«جامع البيان» (١٠/ ٣٤٦).

انقلاب العصى حيةً، ومصير يده بيضاء من غير سوء ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾؛ أي: موسى ﴿لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾؛ أي: كثير العلم بالسحر ولا تنافي بين نسبة هذا القول إلى الملأ هنا، وإلى فرعون في سورة الشعراء، فكلُّهم قد قالوه، فكان ذلك مصححاً لنسبته إليهم تارة وإليه أخرى.

وجملة: ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾ وصف لساحر، والأرض المنسوبة إليهم هي أرض مصر. وهذا من كلام الملأ.

وأما ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ فقيل: هو من كلام[1] فرعون، قال للملإ لما قالوا بما تقدّم؛ أي: بأي شيء تأمرونني.

وقيل: هو مِنْ كلام الملإ؛ أي: قالوا لفرعون، فبأي شيء تأمرنا وخاطبوه بما تُخاطب به الجماعة تعظيماً له، كما يُخاطب الرؤساء أتباعهم، و«ما» في موضع نصب[2] بالفعل الذي بعدها، ويجوز أن تكون «ذا» بمعنى الذي، كما ذكره النحاة في ماذا صنعت، وكون هذا من كلام فرعون هو الأولى، بدليل ما بعده وهو: ﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ قال الملأ جواباً لكلام فرعون، حيثُ استشارهم وطلب ما عندهم من الرأي: أرْجِهْ؛ أي: أخّرْه[3] وأخاه، يقال: أرجأته وأرجيته: أخَّرته.

قرأ عاصم والكسائي وحمزة وأهل المدينة: «ارجه» بغير همز[4].

وقرأ الباقون بالهمز[5] وقرأ أهل الكوفة إلا الكسائي [٢/١٣٨]: أرجهْ بسكون الهاء.

قال الفرّاء[6]: هي لغة للعرب يقفون على الهاء في الوصل، وأنكر ذلك البصريون.

---

(١) «زاد المسير» (٣/ ٢٣٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٢٩٣).

(٢) «التبيان» (١/ ٥٨٦)، و«مشكل إعراب القرآن» (١/ ٣٢٥).

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٢٩٤).

(٤) «النشر» (١/ ٣١١)، و«جامع البيان» (١٠/ ٣٤٩)، و«البحر المحيط» (٥/ ١٣١)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٧٠). قال في «تخريج القراءات في فتح القدير» (ص١٣٧): هذه الكلمة فيها ستُّ قراءات (أرجه) بكسرةٍ عَنْ قالون وابن وردان بخُلف وبكسرةٍ مُشبْعة ورش والكسائي وخلَف وابن جمّاز ووجه لابن وردان، وبإسكان الهاء عَنْ حفص وحمزة ووجه لشعبة (ارجئه) بهمزة، وضم الهاء مُشْبعة عن ابن كثير ووجه لهشام وبالهمز وضم الهاء مختلسة عَنْ عَمرو ويعقوب، ووجه لكل من هشام وشعبة وبالهمز وكسر الهاء مختلسة عن ابن ذكوان.

(٥) انظر: المصادر المتقدمة.

(٦) في «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٨٨).

وقيل: معنى أرجه: احبسْه[١]؛ وقيل: هو من رجا يرجو؛ أي: أطمعه ودعه يرجوك، حكاه النحاس[٢] عن محمد بن يزيد المبرِّد ﴿وَأَرْسِلْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾؛ أي: أرسل جماعة حاشرين في المدائن التي فيها السحرة، و«حاشرين» مفعول[٣] «أرسل».

وقيل: هو منصوب[٤] على الحال، و﴿يَأْتُوكَ﴾ جواب الأمر؛ أي: يأتوك هؤلاء الذين أرسلتهم ﴿بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ﴾؛ أي: بكل ماهر في السحر، كثير العلم بصناعته.

قرأ أهل الكوفة إلا عاصم: «سحّار»[٥] وقرأ من عداهم: «سَاحر»[٦].

قوله: ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ﴾ في الكلام طيّ[٧]؛ أي: فبعث في المدائن حاشرين، وجاء السحرة فرعون.

قوله: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾؛ أي: فلما جاءوا فرعون قالوا له: إن لنا لأجراً، والجملة استئنافية جواب سؤال مقدّر، كأنه قيل: أيّ شيء قالوا له لما جاءوه؟

والأجر: الجائزة والجُعْل، ألزموا فرعون أن يجعل لهم جُعلاً إن غلبوا موسى بسحرهم.

قرأ نافع، وابن كثير: «إنّ لنا»[٨] على الإخبار.

وقرأ الباقون: «أئن لنا»[٩] على الاستفهام، استفهموا فرعون عن الجُعل الذي سيجعله لهم على الغلبة، ومعنى الاستفهام: التقرير. وأما على القراءة الأولى، فكأنهم قاطعون بالجُعل، وأنه لا بدّ لهم منه، فأجابهم فرعون بقوله: ﴿نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾؛ أي: إن لكم لأجراً، وإنكم مع هذا الأجر المطلوب منكم لمن المقرّبين لدينا.

---

(١) قاله قتادة.
أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٣٥١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٣٣ رقم ٨٧٩١) بسند صحيح.

(٢) في «إعراب القرآن» (٢/ ٢/ ١٤٣).

(٣) «روح المعاني» (٩/ ٢٨٧).

(٤) «تفسير أبي السعود» (٣/ ٢٢٦)، و«روح المعاني» (٩/ ٢٨٧).

(٥) «البحر المحيط» (٥/ ١٣٦)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٧١)، و«النشر» (٢/ ٢٧٠)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٤٤)، و«جامع البيان» (١٠/ ٣٥٤).

(٦) انظر: المصادر المتقدمة.

(٧) «تفسير أبي السعود» (٣/ ٢٢٦).

(٨) «البحر المحيط» (٥/ ١٣٢)، و«النشر» (١/ ٢٧٠ ـ ٢٧١)، و«التيسير» (ص١١١)، و«زاد المسير» (٣/ ٢٣٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٢٩٦).

(٩) انظر: المصادر المتقدمة.

قوله: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ﴾ هذه الجملة مستأنفة جواب سؤال مقدّر، كأنه قيل: فما قالوا لموسى بعد أن قال لهم فرعون: نعم وإنكم لمن المقرّبين؟

والمعنى: أنهم خيّروا موسى بين أن يبتدئ بإلقاء ما يلقيه عليهم، أو يبتدئوه هم بذلك تأدّباً(١) معه، وثقةً مِنْ أنفسهم بأنّهم غالبون، وإنْ تأخروا، (وأن) في موضع نصب، قاله الكسائي(٢) والفراء(٣)؛ أي: إما أن تفعل الإلقاء أو نفعله نحن. فأجابهم موسى بقوله: ﴿أَلْقُواْ﴾ اختار أن يكونوا المتقدّمين عليه بإلقاء ما يلقونه غير مبال بهم ولا هائب لما جاءوا به.

قال الفراء(٤): في الكلام حذف. المعنى: قال لهم موسى: إنكم لم تغلبوا ربكم ولن تبطلوا آياته.

وقيل: هو تهديد(٥)؛ أي: ابتدئوا بالإلقاء فستنظرون ما يحل بكم من الافتضاح، والموجب لهذين التأويلين عند مَنْ قال بهما أنه لا يجوز على موسى أن يأمرهم بالسحر ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ﴾؛ أي: حبالهم وعصيهم ﴿سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾؛ أي: قلبوها(٦) وغيروها عن صحة إدراكها بما جاءوا به من التمويه، والتخييل الذي يفعله المشعوذون وأهل الخِفّة.

﴿وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ﴾؛ أي: أدخلوا الرهبة في قلوبهم إدخالاً شديداً(٧) ﴿وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ في أعين الناظرين لما جاءوا به، وإنْ كان لا حقيقةَ له في الواقع.

قولُه: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ أمره الله سبحانه عند أن جاء السحرة بما جاءوا به مِنْ السحر أن يُلقي عصاه ﴿فَإِذَا هِيَ﴾؛ أي: العصا ﴿تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾.

قرأ حفص: ﴿تَلْقَفُ﴾ بإسكان اللام(٨)، وتخفيف القاف من لقف يلقف.

---

(١) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٤٨٦)، والألوسي في «روح المعاني» (٩/ ٢٨٩).
(٢) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ١٤٣).
(٣) في «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٨٩).
(٤) في «معاني القرآن» له (١/ ٣٨٩).
(٥) «مجمع البيان» (٩/ ١٤٤).
(٦) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٢٩٧)، و«روح المعاني» (٩/ ٢٩٠)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٤٤).
(٧) انظر: المصادر المتقدمة.
(٨) «النشر» (٢/ ٢٧١)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٧٣)، و«التيسير» (ص١١٢)، =

وقرأ الباقون بفتح[١] اللام، وتشديد القاف من تَلَقَّف يتلَقَّف، يقال: لَقِفتُ الشيء وتلقّفته: إذا أخذته أو بلعته[٢].

قال أبو حاتم[٣]: وبلغني في بعض القراءات تَلَقَّم بالميم والتشديد، قال الشاعر:

أنت عصا موسى التي لم تزلْ   تلقَمُ ما يأفِكه الساحرُ[٤]

و«ما» في ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ مصدرية أو موصولة؛ أي: إفكهم أو ما يأفكونه، سماه إفكاً؛ لأنه لا حقيقة له في الواقع؛ بل هو كذب، وزور، وتمويه، وشعوذة ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ﴾؛ أي: ظهر[٥] وتبين لما جاء به موسى ﴿وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من سحرهم؛ أي: تبين بطلانه.

﴿فَغُلِبُوا﴾؛ أي: السحرة ﴿هُنَالِكَ﴾؛ أي: في الموقف الذي أظهروا فيه سحرهم ﴿وَانْقَلَبُوا﴾ من ذلك الموقف ﴿صَاغِرِينَ﴾ أذلّاء مقهورين ﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾؛ أي: خروا ساجدين، كأنما ألقاهم ملقٍ على هيئة السجود، أو لم يتمالكوا مما رأوا فكأنهم ألقوا أنفسهم.

وجملة: ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ مستأنفة[٦] جواب سؤال مقدَّر، كأنه قيل: ماذا قالوا عند سجودهم أو في سجودهم؟ وإنما قالوا هذه المقالة، وصرّحوا بأنهم آمنوا بربّ العالمين، ثم لم يكتفوا بذلك حتى قالوا: ربّ موسى وهارون لئلا يتوهم متوهم مِنْ قوم فرعون المقرّين بإلٰهيته أَنَّ السجود له.

وقد أخرج أبو الشيخ[٧]، عن ابن عباس، في قوله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ﴾ قال: إنما سُمّي موسى؛ لأنه ألقى بين ماء وشجر فالماء بالقبطية «مو»: والشجر: سا.

= و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٤٤).

(١) انظر: المصادر المتقدمة.

(٢) «مجمل اللغة» (٣/ ٨١٢)، و«مفردات ألفاظ القرآن» (ص٧٤٤).

(٣) ذكره النحاس في «معاني القرآن» (٣/ ٦٣). وهي قراءة شاذة

(٤) «النكت والعيون» (٢/ ٢٤٦).

(٥) «جامع البيان» (١٠/ ٣٦٠ ـ ٣٦١)، و«روح المعاني» (٩/ ٢٩٢).

(٦) «الإملاء» (٣/ ٥١)، و«البحر المحيط» (٥/ ١٤٠).

(٧) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٥٠٩).

وأخرج ابن أبي حاتم، عن مجاهد[١]: أن فرعون كان فارسيّاً من أهل إصْطَخْر.

وأخرج أيضاً عن ابن لهيعة[٢]: أنه كان من أبناء مصر.

وأخرج أيضاً وأبو الشيخ، عن محمد[٣] بن المنكدر قال: عاش فرعون ثلثمائة سنة.

وأخرج ابن أبي حاتم[٤]، عن عليّ بن أبي طلحة، أن فرعون كان قبطيّاً ولد زنا طوله سبعة أشبار.

وأخرج أيضاً عن الحسن[٥] قال: كان عِلْجاً من هَمَذان.

وأخرج أبو الشيخ[٦]، عن إبراهيم بن مِقْسَم الهذلي، قال: مكث فرعون أربعمائة سنة لم يَصدع له رأس.

وأخرج عبد بن حميد، وأبو الشيخ، عن قتادة[٧]، في قوله: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ﴾ قال: ذُكر لنا أن تلك العصا عصا آدم، أعطاه إياها مَلَكٌ حين توجّه إلى مدين، فكانت تضيء بالليل، ويضرب بها الأرض بالنهار، فتخرج له رزقه، ويهشّ بها على غنمه ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ قال: حيّة تكاد تساوره.

وأخرج ابن أبي حاتم[٨]، عن ابن عباس، قال: لقد دخل موسى على فرعون وعليه زُرْمانِقةٌ من صوف، ما تجاوز مرفقيه، فاستأذن على فرعون فقال: أدخلوه، فدخل فقال: إن إلٰهي أرسلني إليك، فقال للقوم حوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]، خذوه. قال: إنّي قد جئتك بآية، قال: فائت بها إن كنت من الصادقين، فألقى عصاه، فصارت ثعباناً بين لحييه ما بين السقف إلى الأرض، وأدخل يده في جيبه، فأخرجها مثل البرق تلتمع الأبصار، فخرّوا على وجوههم، وأخذ موسى عصاه ثم خرج، ليس أحد من الناس إلا نفر منه، فلما أفاق وذهب عن فرعون الروع

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٣١ رقم ٨٧٨٧) بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٣١ رقم ٨٧٨٨) من طريق ابن وهب، به.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٣١ رقم ٨٧٨٦) بسند ضعيف.

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٥٠٩).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٤٤).

(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٥١٠).

(٧) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٥١٠).

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٣٤ رقم ٨٧٩٢) (٨/ ٢٧٥٧ رقم ١٥٥٨٤) بسند صحيح.

قال للملأ حوله: ماذا تأمروني؟ ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ﴾ ولا تأتنا به ولا يقربنا ﴿وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ وكانت السحرة يخشون مِنْ فرعون، فلما أرسل إليهم قالوا: قد احتاج إليكم إلٰهكم؟ قال: إن هذا فعل كذا وكذا، قالوا: إن هذا ساحر يسحرُ ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾.

وأخرج ابن أبي حاتم(١)، عنه، قال: عصى موسى اسمها ماشا.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، [٢/١٣٩] وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ من طرق عنه(٢)، في قوله: ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ﴾ قال: الحيّة الذَكَر.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن السديّ(٣)، في قوله: ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ﴾ قال: الذّكَرِ من الحيات فاتحة فمها، واضعة لَحْيها الأسفل في الأرض، والأعلى على سُور القصر، ثم توجهت نحو فرعون لتأخذه، فلما رآها ذعر منها ووثب، فأحدث ولم يكن يُحدث قبل ذلك، فصاح: يا موسى خذها وأنا أؤمن بربك وأرسل معك بني إسرائيل، فأخذها موسى فصارت عصا.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن ابن عباس(٤)، في قوله: ﴿أَرۡجِهۡ﴾ قال: أخِّره.

وأخرج عبد(٥) بن حميد، عن قتادة، قال: احبسْه وأخاه.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن ابن عباس(٦) من طرق في قوله: ﴿وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ قال: الشُرَط.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/١٥٣٦ رقم ٨٨٠٤) بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن جرير (١٠/٣٤٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/١٥٣٢ رقم ٨٧٩٤) بسند ضعيف.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/٣٤٣ ـ ٣٤٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧٥٩ رقم ١٥٥٩٣) بسند حسن.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/٣٥٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/١٥٣٣ رقم ٨٧٩٠) بسند ضعيف.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/٣٥١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/١٥٣٣ رقم ٨٧٩١) بسند صحيح.

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/٣٥٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/١٥٣٤ رقم ٨٧٩٤) بسند صحيح.

وأخرج عبد الرزاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عنه[١]، في قوله: ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ﴾ قال: كانوا سبعين رجلاً أصبحوا سحرةً، وأمسوا شهداء.

وقد اختلفت كلمة السلف في عددهم[٢]؛ فقيل: كانوا سبعين كما قال ابن عباس، وقيل: كانوا اثني عشر، وقيل: خمسة عشر ألفاً، وقيل: سبعة عشر ألفاً، وقيل: تسعة عشر ألفاً، وقيل: ثلاثين ألفاً، وقيل: سبعين ألفاً، وقيل: ثمانين ألفاً، وقيل: ثلثمائة ألف، وقيل: تسعمائة ألف.

وأخرج عبد بن حميد، وابن أبي حاتم، عن قتادة[٣]، في قوله: ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا﴾؛ أي: عطاءً.

وأخرج ابن جرير[٤]، عن ابن عباس، في قوله: ﴿فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ﴾ قال: ألقوا حبالاً غلاظاً، وخُشُباً طوالاً، فأقبلت يُخيّل إليه من سحرهم أنها تسعى.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن السديّ[٥] قال: ألقى موسى عصاه فأكلت كلَّ حية لهم، فلما رأوا ذلك سجدوا.

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن قتادة[٦]، نحوه.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن المنذر عن مجاهد[٧]، في قوله: ﴿تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ﴾ قال: ما يكذبون.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٢٣٤)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٣٦٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٣٨ رقم ٨٨١٨) بسند ضعيف. السدي لم يسمع من ابن عباس.

(٢) انظر: «جامع البيان» (١٠/ ٢٥٥).

(٣) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٥١٤).

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٣٥٧) بسند صحيح.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧٦٦ رقم ١٥٦٣٨) بسند حسن.

(٦) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٢٣٤)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٣٥٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٢٣ رقم ٨٧٩٥) بسند صحيح.

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٣٥٩ ـ ٣٦٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٣٦ رقم ٨٨٠٧) بسند صحيح.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن الحسن[١] في قوله: ﴿تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ قال: تَسْترط حبالهم وعصيهم.

وأخرج ابن جرير، وأبو الشيخ، عن ابن مسعود[٢]، وناس من الصحابة قال: التقى موسى وأمير السحرة، فقال له موسى: أرأيتك إن غلبتك أتؤمن بي وتشهد أن ما جئت به حق؟ فقال الساحر: لآتينّ غداً بسحرٍ لا يغلبه سحر، فو الله لئن غلبتني لأؤمننّ بك، ولأشهدنّ أنه حق، وفرعون ينظر إليهما وهو قول فرعون: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ﴾ [الأعراف: ١٢٣].

وأخرج ابن أبي حاتم[٣]، عن الأوزاعي قال: لما خرّ السحرة سجداً رفعت لهم الجنّة حتى نظروا إليها.

[وسائل الباطل ضد الحق]:

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا۟ بِاللَّهِ وَاصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَالْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾﴾.

قوله: ﴿ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ قرئ بحذف الهمزة[٤] على الإخبار وبإثباتها، أنكر على

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٣٦٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٣٦ رقم ٨٨٠٦) من طريق قرة بن خال، به.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٣٦٢ ـ ٣٦٣) بسند ضعيف.

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٥١٥).

(٤) «النشر» (١/ ٣٦٩)، و«زاد المسير» (٣/ ٢٤٢)، و«حاشية الجمل» (٢/ ١٧٨٩). وهما قراءتان متواترتان فالحذف عن حفصٍ ورويس وورش من طريق الأصبهاني والهمز عن الباقين.

السحرة فرعونُ إيمانَهم بموسى قبل أن يأذن لهم بذلك، ثم قال بعد الإنكار عليهم مبيناً لما هو الحامل لهم على ذلك في زعمه: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾؛ أي: حيلة احتلتموها أنتم وموسى عن مواطأة بينكم سابقة ﴿لِتُخْرِجُواْ﴾ من مدينة مصر ﴿أَهْلَهَا﴾ من القِبْط، وتستولوا عليها، وتسكنوا فيها أنتم وبنو إسرائيل.

ومعنى ﴿فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾: أن هذه الحيلة والمواطأة[1] كانت بينكم، وأنتم بالمدينة، مدينة مصر، قبل أن تبرزوا أنتم وموسى إلى هذه الصحراء، ثم هدّدهم بقوله: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عاقبة صنعكم هذا، وسوء مغبته؛ ثم لم يكتف بهذا الوعيد المجمل بل فصله فقال: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾؛ أي: الرِّجل اليمنى واليد اليسرى، أو الرجل اليسرى واليد اليمنى، ثم لم يكتف عدوّ الله بهذا؛ بل جاوزه إلى غيره فقال: ﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ﴾ في جذوع النخل؛ أي: أجعلكم عليها مصلوبين زيادة[2] تنكيل بهم، وإفراطاً في تعذيبهم.

وجملة: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ استئنافية جواب سؤال كما تقدّم، ومعناه: إنَّك وإن فعلت بنا هذا الفعل، فبعده يوم الجزاء سيجازيك الله بصنعك، ويحسن إلينا بما أصابنا في ذاته، فتوعدوه بعذاب الله في الآخرة لما توعدهم بعذاب الدنيا. ويحتمل أن يكون المعنى: ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ بالموت؛ أي: لا بدّ لنا من الموت، ولا يضرّنا كونه بسبب منك.

قوله: ﴿وَمَا تَنقَمُ مِنَّآ﴾ قرأ الحسن بفتح القاف[3]. قال الأخفش[4]: هي لغة.

وقرأ الباقون[5] بكسرها، يقال: نَقِمتُ الأمر أنكرته؛ أي: لست تعيب علينا وتنكر منا ﴿إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا﴾ مع أن هذا هو الشرف العظيم والخير الكامل، ومثله لا يكون موضعاً للعيب، ومكاناً للإنكار؛ بل هو حقيق بالثناء الحسن والاستحسان البالغ، ثم تركوا خطابه وقطعوا الكلام معه، والتفتوا إلى خطاب

---

(١) «الكشاف» (٢/ ٤٩٠)، و«الوسيط» (٢/ ٣٩٦).
(٢) «جامع البيان» (١٠/ ٣٦٣).
(٣) «البحر المحيط» (٥/ ١٤٢)، و«القراءات الشاذة» (ص٤٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٢٩٩). وهي قراءة شاذة، والقراءة بكسر القاف هي المتواترة، وهي قراءة الجمهور.
(٤) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٥٣٠).
(٥) «البحر المحيط» (٥/ ١٤٢)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٤٤).

الجناب العليّ مفوّضين الأمر إليه، طالبين منه ﷻ أن يثبتهم على هذه المحنة بالصبر قائلين: ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا﴾ الإفراغ: الصبّ؛ أي: أُصْبُبْه[١] علينا حتى يفيض ويغمرنا، طلبوا أبلغ أنواع الصبر، استعداداً منهم لما سينزل بهم من العذاب من عدوّ الله، وتوطيناً لأنفسهم على التصلب في الحق، وثبوت القدم على الإيمان، ثم قالوا: ﴿وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ﴾؛ أي: توفّنا إليك حال ثبوتنا على الإسلام غير محرّفين، ولا مبدّلين، ولا مفتونين.

ولقد كان ما هم عليه مِنْ السحر والمهارة في علمه مع كونه شرّاً محضاً سبباً للفوز بالسعادة؛ لأنهم علموا أن هذا الذي جاء به موسى خارج عن طوق البشر، وأنه من فعل الله سبحانه، فوصلوا بالشرّ إلى الخير، ولم يحصل من غيرهم ممن لا يعرف هذا العلم من أتباع فرعون ما حصل منهم من الإذعان، والاعتراف والإيمان، وإذا كانت المهارة في علم الشرّ قد تأتي بمثل هذه الفائدة، فما بالك بالمهارة في علم الخير، اللَّهُمَّ انفعنا بما علمتنا، وثبّت أقدامَنا على الحق، وأفرغ علينا سجال الصبر وتوفنا مسلمين.

قوله: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ هذا الاستفهام منهم للإنكار عليه؛ أي: أتتركه وقومه ليفسدوا في الأرض بإيقاع الفرقة وتشتيت الشمل؟ والمراد بالأرض هنا: أرض مصر.

قوله: ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ﴾ قرأ نُعيم بن ميسرة [٢/١٤٠]: «ويَذرُك» بالرفع[٢] على تقدير مبتدأ؛ أي: وهو يذرُك، أو على العطف على ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ﴾؛ أي: أتذره ويذرُك، وقرأ الأشهب[٣] العُقيلي: ﴿وَيَذَرْكَ﴾ بالجزم، إما على التخفيف[٤] بالسكون لثقل الضمة، أو على ما قيل في ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠] في توجيه الجزم.

وقرأ أنس بن مالك: «ونذرُك» بالنون[٥] والرفع، ومعناه: أنهم أخبروا عن أنفسهم بأنهم سيذرونه وآلهته.

---

(١) «جامع البيان» (١٠/ ٣٦٤).

(٢) «النشر» (٢/ ٢٧١)، و«جامع البيان» (١٠/ ٣٦٦).

(٣) انظر: التعليقة المتقدمة.

(٤) «البحر المحيط» (٥/ ١٤٣)، و«النشر» (٢/ ٢٧١).

(٥) «القراءات الشاذة» (ص٤٥)، و«المحتسب» (١/ ٢٥٦ ـ ٢٥٧). القراءة المتواترة هي (يذرَك) بالياء والنصب وما عداها فشاذ.

وقرأ الباقون: «ويَذرَك» بالنصب[١] بأنْ مقدّرة على أنَّه جواب الاستفهام، والواو نائبة عَنْ الفاء أو عطفاً على ﴿لِيُفْسِدُواْ﴾؛ أي: ليفسدوا، وليذرَك لأنهم على الفساد في زعمهم، وهو يؤدّي إلى ترك فرعون وآلهته.

واختلف المفسرون في معنى: ﴿وَءَالِهَتَكَ﴾ لكون فرعون كان يدّعي الربوبية كما في قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨].

وقوله: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ﴾ [النازعات: ٢٤] فقيل: معنى وآلهتك: وطاعتك، وقيل: معناه: وعبادتك، ويؤيّده قراءة علي، وابن عباس، والضحاك: «وإِلٰهتك» وفي حرف أُبي «أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض وقد تركوك أن يعبدوك»[٢] وقيل: إنَّه كان يعبد[٣] بقرة، وقيل: كان يعبد[٣] النجوم. وقيل: كان له أصنام[٤] يعبدها قومه تقرّباً إليه فنسبت إليه، ولهذا قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤] قاله الزجاج، وقيل: كان يعبد الشمس. فقال فرعون مجيباً لهم، ومثبتاً لقلوبهم على الكفر: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ﴾. قرأ نافع وابن كثير: «سنَقْتُل» بالتخفيف[٥]، وقرأ الباقون بالتشديد[٦]؛ أي: سنقتل الأبناء ونستحيي النساء؛ أي: نتركهنّ في الحياة. ولم يقل سنقتل موسى؛ لأنّه يعلم أنه لا يقدر عليه ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾؛ أي: مستعلون عليهم بالقهر والغلبة، أو هم تحت قهرنا وبين أيدينا، ما شئنا أن نفعله بهم فعلناه.

وجملة: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾ مستأنفة جواب سؤال مقدَّر. لما بلغ موسى ما قاله فرعون أمر قومه بالاستعانة بالله والصبر على المحنة، ثم أخبرهم ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ﴾ يعني: أرض مصر ﴿لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ أو جنس الأرض، وهو وعد من موسى لقومه بالنصر على فرعون وقومه، وأن الله سيورثهم أرضهم وديارهم. ثم

---

(١) «البحر المحيط» (٥/ ١٤٣)، و«النشر» (٢/ ٢٧١)، و«جامع البيان» (١٠/ ٣٦٠ ـ ٣٦١).

(٢) «جامع البيان» (١٠/ ٣٦٦)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٤٤ ـ ١٤٥)، و«البحر المحيط» (٥/ ١٤٤). قراءة (وإلهتك) وكذا ما ذكره في حرف أُبيّ قراءات شاذة.

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٣٠١).

(٤) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ٣٦٧).

(٥) «النشر» (٢/ ٢٧١)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٧٤)، و«البحر المحيط» (٥/ ١٤٤)، و«زاد المسير» (٣/ ٢٤٤).

(٦) انظر: المصادر المتقدمة.

بشّرهم بأن العاقبة للمتقين؛ أي: العاقبة المحمودة في الدنيا والآخرة للمتقين من عباده، وهم موسى ومَنْ معه. وعاقبة كل شيء آخره.

وقرئ: «والعاقبةَ» بالنصب[1] عطفاً على الأرض.

وجملة: ﴿قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ﴾ مستأنفة جواب سؤال مقدّر كالتي قبلها؛ أي: أوذينا من قبل أن تأتينا رسولاً، وذلك بقتل فرعون أبناءنا عند مولدك لما أُخبر بأنه سيولد مولود يكون زوال ملكه على يده ﴿وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ﴾ رسولاً بقتل أبنائنا الآن؛ وقيل: المعنى: أوذينا من قبل أن تأتينا باستعمالنا في الأعمال الشاقة بغير جُعل ﴿وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ﴾ بما صرنا فيه الآن من الخوف على أنفسنا وأولادنا وأهلنا؛ وقيل: إن الأذى من قبل ومن بعد واحد، وهو قبض الجزية منهم.

وجملة: ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ﴾ مستأنفة كالتي قبلها، وعدهم بإهلاك الله لعدوّهم، وهو فرعون وقومه.

قوله: ﴿وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ هو تصريح بما رمز إليه سابقاً من أن الأرض لله.

وقد حقّق الله رجاءه وملكوا[2] مصر في زمان داود وسليمان، وفتحوا بيت المقدس مع يوشع بن نون، وأهلك فرعون وقومه بالغرق وأنجاهم ﴿فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ﴾ من الأعمال بعد أن يمنّ عليكم بإهلاك عدوّكم ﴿وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ فيجازيكم بما عملتم فيه من خير وشرّ.

وقد أخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن السدي[3] في قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ﴾ إذ التقيتما لِتظاهرا فتُخرجا منها أهلها ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ﴾ الآية، قال: فقتلهم وقطعهم كما قال.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس[4] قال: كان

---

(١) «البحر المحيط» (٥/ ١٤٥)، و«النشر» (٢/ ٢٧١)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٧٤). وهي قراءة شاذة.

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٣٠٣)، و«جامع البيان» (١٠/ ٣٧٢).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٣٧ رقم ٨٨١٠) بسند حسن.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٣٦٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٣٧ رقم ٨٨١٥) بسند صحيح.

أوّل من صلَّب فرعون، وهو أوّل مَنْ قطع الأيدي والأرجل من خلاف.

وأخرج عبد بن حميد[(١)]، عن قتادة، في قوله: ﴿مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ قال: يداً من ها هنا، ورجلاً من ها هنا.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، عن مجاهد[(٢)]، في قوله: ﴿أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ قال: من قبل إرسال الله إيّاك ومن بعده.

وأخرج عبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن وهب[(٣)] بن منبّه، في الآية قال: قالت بنو إسرائيل لموسى: كان فرعون يكلفنا اللَّبِنَ قبل أن تأتينا، فلما جئت كلفنا اللَّبِنَ مع التبن أيضاً، فقال موسى: أيْ ربّ، أهلك فرعون، حتى متى تبقيه؟ فأوحى الله إليهم إنهم لم يعملوا الذنب الذي أهلكهم به.

وأخرج عبد بن حميد[(٤)]، عن قتادة، في الآية قال: حزا لعدوّ الله حاز أنه يولد في العام غلام يسلب ملكك، قال: فتتبع أولادهم في ذلك العام بذبح الذكر منهم، ثم ذبحهم أيضاً بعد ما جاءهم موسى.

وأخرج ابن أبي حاتم[(٥)]، عن ابن عباس، قال: إن بنا أهل البيت يُفتح ويُختم، ولا بدّ أن تقع دولة لبني هاشم فانظروا فيمن تكون من بني هاشم؟ وفيهم نزلت: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ وينبغي أن ينظر في صحة هذا عن ابن عباس، فالآية نازلة في بني إسرائيل، لا في بني هاشم، واقعة في هذه القصة الحاكية لما جرى بين موسى وفرعون.

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٥١٥).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٣٧٢، ٣٧٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٤١ رقم ٨٨٣٤، ٨٨٣٦) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٤١ رقم ٨٨٣٧).

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٥١٧).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٤١ رقم ٨٨٣٨). وسنده ضعيف لضعف سعد بن عثمان الرازي.

[جزاء العصاة في الدنيا]:

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِۦ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَٰمُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾.

المراد بآل فرعون هنا: قومه، والمراد بالسنين: الجَدْب، وهذا معروف عند أهل اللغة، يقولون: أصابتهم سَنة؛ أي: جَدْبُ سنة، وفي الحديث: «اللَّهُمَّ اجعلها [٢/١٤١] عليهم سنين كسني يوسف»(١)، وأكثر العرب يعربون السنين إعراب جمع المذكر السالم، ومِنْ العرب مَنْ يعربه إعراب المفرد، ويجري الحركات على النون، وأنشد الفراء:

أرى مرَّ السنينِ أخذن مني ... كما أخذ السِّرارُ من الهِلال(٢)

بكسر النون مِنْ السنين. قال النحاس(٣): وأنشد سيبويه هذا البيت بفتح النون.

أقول: قد ورد ما لا احتمالَ فيه، وهو قول الشاعر(٤):

وماذا تزدري الأقوامُ مني ... وقد جاوزتُ حدَّ الأربعينِ

وبعده:

أخو الخمسين مُجتمعٌ أشُدّي ... ونجذِني مُداورةُ السنينِ

فإن الأبياتَ قبله وبعده مكسورة. وأوّل هذه الأبيات:

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٨٠٤)، ومسلم رقم (٦٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) وهو لجرير. انظر: «ديوانه» (٢/٥٤٦). (٣) في «إعراب القرآن» (٢/١٤٥).

(٤) وهو: سُحيم بن وَثيل الرِّياحي.

«خزانة الأدب» (١/٢٦٠)، و«فحول الشعراء» (١/٧٢).

أنـا ابـنُ جَـلا وطـلاعُ الـثـنـايـا   مـتـى أضـعِ الـعِـمـامـةَ تـعـرِفـونـي

وحكى الفراء[(١)] عن بني عامر أنهم يقولون: أقمت عنده سنيناً مصروفاً، قال: وبنو تميم لا يصرفونه، ويقال: أَسْنَتَ القومُ؛ أي: أجدبوا، ومنه قول ابن الزِّبعرى[(٢)]:

ورجـال مـكـة مُـسـنـتِـون عِـجـافُ[(٣)]

﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ بسبب عدم نزول المطر، وكثرة العاهات ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ فيتعظون ويرجعون عن غوايتهم.

قولُه: ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ﴾؛ أي: الخصلة الحسنة من الخصب بكثرة المطر، وصلاح الثمرات، ورخاء الأسعار ﴿قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ﴾؛ أي: أعطيناها باستحقاق، وهي مُختصة بنا ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾؛ أي: خصلة سيئة من الجَدْب والقحط، وكثرة الأمراض ونحوها مِنْ البلاء ﴿يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾؛ أي: يتشاءموا بموسى ومَنْ معه من المؤمنين به، والأصل يتطيروا أُدغمت التاء في الطاء، وقرأ طلحة: «تَطيّروا»[(٤)] على أنَّه فعل ماض، وقد كانت العرب تتطير بأشياء من الطيور والحيوانات، ثم استُعمل بعد ذلك في كل مَنْ تشاءم بشيء، ومثل هذا قوله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ﴾ [النساء: ٧٨] قيل: ووجه تعريف الحسنة أنّها كثيرة الوقوع، ووجه تنكير السيئة نُدْرة وقوعها.

قولُه: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: سبب خيرهم وشرهم بجميع ما ينالهم من خصب وقَحْط، هو من عند الله، ليس بسبب موسى ومَنْ معه، وكان هذا الجواب على نمط ما يعتقدونه وبما يفهمونه، ولهذا عبّر بالطائر عَنْ الخير والشر الذي يجري بقدَر الله وحكمته ومشيئته ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ بهذا؛ بل ينسبون الخير والشر إلى غير الله جهلاً منهم.

---

(١) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ١٤٥).
(٢) انظر: «ديوان عبد الله بن الزَّبعرى» (ص٥٣).
(٣) وصدره:
عـمـرو الـعُـلا هَـشَـمَ الـثَّـريـد لـقـومـه
(٤) «القراءات الشاذة» (ص٤٥).

وقرأ الحسنُ: «طيرهم»[(١)].

قولُه: ﴿وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ قال الخليل[(٢)]: أصل مهما «ما» الشرطية زيدت عليه «ما» التي للتوكيد، كما تزاد في سائر الحروف مثل: حيثما وأينما وكيفما ومتى ما، ولكنّهم كرهوا اجتماع المثْلين فأبدلوا ألف الأولى هاء.

وقال الكسائي[(٣)]: أصله: مه؛ أي: اكففْ ما تأتينا به مِنْ آية، وزيدت عليها «ما» الشرطية.

وقيل: وهي كلمة مفردة[(٤)] يجازي بها، ومحل (مهما) الرفع[(٥)] على الابتداء، أو النصب بفعل يفسّره ما بعدها، ومِنْ آية لبيان «مهما»، وسموها آية استهزاء بموسى كما يُفيده ما بعده، وهو ﴿لِّتَسْحَرَنَا بِهَا﴾؛ أي: لتصرفنَا عمّا نحن عليه كما يفعله السحرة بسحرهم، والضمير في «به» عائد إلى «مهما»، والضمير في «بها» عائد إلى «آية»؛ وقيل: إنهما جميعاً عائدان إلى «مهما»، وتذكير الأوّل باعتبار اللفظ، وتأنيث الثاني باعتبار المعنى ﴿فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ جواب الشرط؛ أي: فما نحن لك بمصدّقين: أخبروا عن أنفسهم أنهم لا يؤمنون بشيء مما يجيء به من الآيات التي هي في زعمهم من السحر، فعند ذلك نزلت بهم العقوبة من الله عز وجل المبينة بقوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ﴾ وهو المطر الشديد.

قال الأخفش[(٦)]: واحده طوفانة، وقيل: هو مصدر كالرِّجحان والنقصان فلا واحد له، وقيل: الطوفان: الموت.

وقال النحاس[(٧)]: الطوفان في اللغة: ما كان مُهلكاً مِنْ موتٍ أو سيل؛ أي: ما يُطيف بهم فيُهلكهم.

---

(١) «القراءات الشاذة» (ص٤٥)، و«البحر المحيط» (٥/ ١٤٨)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٤٥ ـ ١٤٦). وهي قراءة شاذة.

(٢) في كتاب «العين» (ص٩٢٧).

(٣) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ١٤٦).

(٤) ذكره القرطبي في «جامع البيان» (٩/ ٣٠٨).

(٥) «التبيان» (١/ ٥٩٠)، و«روح المعاني» (٩/ ٣٠٧ ـ ٣٠٨)، و«البحر المحيط» (٥/ ١٤٨ ـ ١٤٩).

(٦) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٥٣١).

(٧) في «معاني القرآن» للنحاس (٣/ ٦٩).

﴿وَٱلْجَرَادَ﴾ هو الحيوان المعروف، أرسله الله لأكل زروعهم فأكلها.

﴿وَٱلْقُمَّلَ﴾ قيل: هي الدباء؛ والدباء: الجراد قبل أن تطير.

وقيل: هي السوس، وقيل: البراغيث، وقيل: دواب سود صغار، وقيل: ضرب من القِرْدان، وقيل: الجِعْلان.

قال النحاس[1]: يجوز أن تكون هذه الأشياء كلها أرسلت عليهم.

وقرأ الحسن[2]: «القَمْل» بفتح القاف وإسكان الميم.

وقرأ الباقون[3] بضم القاف وفتح الميم مشددة.

وقد فسّر عطاء[4] الخراساني ﴿وَٱلْقُمَّلَ﴾ بالقَمْل ﴿وَٱلضَّفَادِعَ﴾ جمع ضِفْدع، وهو الحيوان المعروف الذي يكون في الماء ﴿وَٱلدَّمَ﴾ رُوي أُنَّه سال النيل عليهم دماً، وقيل: هو الرُّعاف.

قوله: ﴿ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ﴾؛ أي: مُبينات، قال الزجّاج[5]: هو منصوب على الحال.

والمعنى: أرسلنا عليهم هذه الأشياء حال كونها آياتٍ بيناتٍ ظاهرات ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾؛ أي: ترفّعوا عَنْ الإيمان بالله ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ لا يهتدون إلى حق، ولا ينزعون عَنْ باطلٍ.

قولُه: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ﴾؛ أي: العذاب بهذه الأمور التي أرسلها الله عليهم، وقُرئ بضم الراء وهما لغتان؛ وقيل: كان هذا الرجز طاعوناً مات به من القبط في يوم واحد سبعون ألفاً ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾؛ أي: بما[6] استودعك مِنْ العلم، أو بما اختصك به من النبوّة.

أَو بما عهد إليك أَنْ تدعو به فيجيبك، والباء مُتعلِّقة بادع على معنى: أسعفنا إلى ما نطلب مِنْ الدعاء بحق ما عندك مِنْ عهد الله، أو ادعُ لنا متوسلاً إليه بعهده عندك.

---

(١) في «معاني القرآن» للنحاس (٣/ ٦٩ ـ ٧٠).
(٢) «المحتسب» (١/ ٢٥٧)، و«القراءات الشاذة» (ص٤٥). وهي قراءة شاذة.
(٣) «البحر المحيط» (٥/ ١٥١)، و«المحرر الوجيز» (٧/ ١٤٣)، و«روح المعاني» (٩/ ٣٠٩).
(٤) ذكره البغوي في «تفسيره» (٢/ ١٩٢).
(٥) في «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٧٠).
(٦) «الكشاف» (٢/ ٤٩٧)، و«التبيان» (١/ ٥٩١).

وقيل: إنّ الباء[١] للقسَم، وجوابه لنؤمننّ؛ أي: أقسمنا بعهد الله عندك ﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ﴾ على أنّ جواب الشرط سدّ مسدّ جواب القسم؛ وعلى أن الباء ليست للقسَم، تكون اللام في ﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ﴾ جواب قسم محذوف، و﴿لَنُؤْمِنَنَّ﴾ جواب الشرط سادّ مسدّ جواب القسم.

﴿وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ معطوف على لنؤمننّ، وقد كانوا حابسين لبني إسرائيل عندهم، يمتهنونهم في الأعمال، فوعدوه بإرسالهم معه ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ﴾؛ أي: رفعنا عنهم العذابَ عند أن رجعوا إلى موسى وسألوه بما سألوه، لكن لا رفعاً مطلقاً؛ بل رفعاً مُقيّداً بغاية هي الأجل المضروب لإهلاكهم بالغرَق، وجواب «لما» ﴿إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾؛ أي: ينقضون ما عقدوه على أنفسهم، و«إذا» هي الفُجائية؛ أي: فاجئوا النكث وبادروه ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾؛ أي: أردنا الانتقام منهم لما نكثوا بسبب ما تقدّم لهم من الذنوب المتعددة ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾؛ أي: في البحر، قيل: هو الذي لا يُدرك قَعْره، وقيل: هو لجتُه وأوسطه، [٢/١٤٢].

وجملة ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ تعليل للإغراق ﴿وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾ معطوف على كذبوا؛ أي: كانوا غافلين عن النقمة المدلول عليها بانتقمنا، أو عن الآيات التي لم يؤمنوا بها؛ بل كذّبوا بها، وكانوا في تكذيبهم بمنزلة الغافلين عنها، والثاني أولى لأن الجملتين تعليل للإغراق.

وقد أخرج عبد بن حُميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن ابن مسعود[٢] ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ﴾ قال: السنين: الجوع.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن مجاهد[٣] قال: السنين: الجوائح ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ دون ذلك.

---

(١) «البحر المحيط» (٥/١٥٢ ـ ١٥٣)، و«التبيان» (١/٥٩١).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/٣٧٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/١٥٤٢ رقم ٨٨٤٠) بسند ضعيف.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/٣٧٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/١٥٤٢، ١٥٤٣ رقم ٨٨٤٢، ٨٨٤٤) بسند صحيح.

وأخرج الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول»، وابن أبي حاتم، عن ابن[١] عباس، قال: لما أخذ الله آل فرعون بالسنين يَبِس كلُّ شيء لهم، وذهبت مواشيهم حتى يَبِس نيل مصر، واجتمعوا إلى فرعون، فقالوا: إنْ كنتَ كما تزعم فائتنا في نيل مصر بماء، قال: غدوة يُصبِّحكم الماء، فلما خرجوا مِنْ عنده قال: أيّ شيء صنعت إن لم أقدر على أن أجري في نيل مصر ماءً! غدوةً كذبوني. فلما كان جوف الليل قام فاغتسل، ولبس مدرعة صوف، ثم خرج حافياً حتى أتى نيل مصر فقال: اللَّهُمَّ إنك تعلم، أنِّي أعلم أنك تقدر على أن تملأ نيل مصر ماءً فاملأه ماءً، فما علم إلا بجزر الماء يُقبل، فخرج وأقبل النيل يزخُّ بالماء لما أراد الله بهم مِنْ الهلكة.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن مجاهد[٢]، في قوله: ﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ﴾ قال: العافية والرخاء ﴿قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ﴾ نحن أحق بها ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ﴾ قال: بلاء وعقوبة ﴿يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ﴾ قال: يتشاءموا به.

وأخرج ابن جرير، عن ابن عباس[٣]، في قوله: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ قال: الأمر مِنْ قِبَل الله.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، وابن مردويه، عن عائشة[٤]، قالت: قال رسول الله ﷺ: «الطوفان: الموتُ».

قال ابن كثير[٥]: هو حديث غريب.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وأبو الشيخ، عن ابن عباس[٦]، قال: الطوفان، الغَرقُ.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٤٢ رقم ٨٨٤١) بسند ضعيف. الضحاك لم يسمع من ابن عباس.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٣٧٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٤٣ رقم ٨٨٤٥) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٣٧٨) بسند ضعيف.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٣٨٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٤٤ رقم ٨٨٥٥) بسند ضعيف.

(٥) في «تفسيره» (٦/ ٣٦٨).

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٣٧٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٤٤ رقم ٨٨٥٧) بسند ضعيف.

وأخرج هؤلاء عن مجاهد[١] قال: الطوفان: الموت على كلِّ حال.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن ابن عباس[٢]، قال: الطوفان: مُطروا دائماً بالليل والنهار ثمانية أيام، والقُمّل: الجراد الذي له أجنحة.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، عنه[٣]، قال: الطوفان: أمرٌ مِنْ أمر ربك، ثم قرأ: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ [القلم: ١٩].

وأخرج ابنُ أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن مجاهد[٤] قال: (الطوفان): الماء، والطاعون و(الجراد). قال: يأكل مسامير رتجهم؛ يعني: أبوابهم وثيابهم، والقمّل: الدباء و(الضفادع)، تسقطُ على فُرشهم وفي أطعمتهم، (والدمَ): يكون في ثيابهم ومائهم وطعامهم.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن ابن عباس[٥] قال: القُمّل: الدباء.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن ابن عباس[٦]، قال: كانت الضفادع بَرِيّة، فلما أرسلها الله على آل فرعون سمعت وأطاعتْ، فجعلت تقذف نفسَها في القِدْر وهي تغلي، وفي التنانير وهي تفور. وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن مجاهد[٧]، قال: سال النيل دماً، فكان الإسرائيلي

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٣٧٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٤٥ رقم ٨٨٦٠) بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٤٤، ١٥٤٦ رقم ٨٨٥٧، ٨٨٧٠) بسند ضعيف.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٤٤ رقم ٨٨٥٨)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٣٧٩) بسند ضعيف.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٤٥، ١٥٤٦ رقم ٨٨٦٠، ٨٨٦٥) بسند صحيح.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٨٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٥٤٦ رقم ٨٨٦٩، ٨٨٧٠) بسند صحيح.

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٣٩٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٤٨ رقم ٨٨٧٨) بسند صحيح.

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٣٩٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٥٤٩ رقم ٨٨٨١) بسند صحيح.

يستقي ماءً طيباً، ويستقي الفرعوني دماً، ويشتركان في إناء واحد، فيكون ما يلي الإسرائيلي ماءً طيباً وما يلي الفرعوني دماً.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن زيد[١] بن أسلم، في قوله: ﴿وَالدَّمَ﴾ قال: سلط الله عليهم الرُّعاف.

وأخرج أبو الشيخ[٢] عن ابن عباس قال: مكث موسى في آل فرعون بعدما غلب السحرة أربعين سنة، يريهم الآيات، والجرادَ، والقُمّل والضفادع.

وأخرج ابن أبي حاتم[٣]، عنه في قوله: ﴿ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ﴾ قال: كانت آيات مفصلاتٍ، يتبع بعُضها بعضاً، ليكون لله الحُجّة عليهم.

وأخرج ابن المنذر[٤]، عنه، قال: يتبع بعضُها بعضاً، تمكث فيهم سبتاً إلى سبت، ثم تُرفع عنهم شهراً.

وأخرج ابن مردويه[٥]، عَنْ عائشة، عن النبي ﷺ قال: «الرِّجْزُ: العذابُ».

وأخرج عبد بن حميد[٥] عن سعيد بن جبير قال: الرجز: الطاعون.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن ابن عباس[٦] في قوله: ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ﴾ قال: الغَرقُ.

وأخرج ابن أبي حاتم، من طرق، عن ابن عباس[٧] قال: اليم: البحر.

وأخرج أيضاً عن السديّ[٨] مثله.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٣٩٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٤٩ رقم ١٨٨٣) بسند حسن.

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٥٢٤).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٤٩ رقم ٨٨٨٥).

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٥٢٤).

(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٥٢٥).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٥٠ رقم ٨٨٩١) بسند ضعيف.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٥١ رقم ٨٨٩٤) بسند صحيح.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٥١ رقم ٨٨٩٣) عن السدي بلفظ: «ما أعطوا من العهود». بسند حسن.

[استخلاف الله لبني إسرائيل بعد قوم فرعون، وذكر طبائع بني إسرائيل المنحرفة]:

﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾﴾.

قوله: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ﴾ يعني: بني إسرائيل ﴿الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ﴾؛ أي: يُذلون ويُمتهنون بالخدمة لفرعون، وقومه ﴿مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا﴾ منصوبان بأورثنا.

وقال الكسائي(١) والفراء(٢): إن الأصل: في مشارق الأرض ومغاربها ثم حذفت «في» فنُصبا.

(والأوّل) أظهر لأنَّه يقال: أورثته المالَ، والأرضَ(٣): هي مصر والشام، ومشارقها: جهات مشرقها.

ومغاربها: جهات مغربها، وهي التي كانت لفرعون وقومه من القِبْط.

وقيل: المراد: جميع الأرض؛ لأن داود(٤) وسليمان مِنْ بني إسرائيل، وقد ملكا الأرض.

قوله: ﴿الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ صفة للمشارق والمغارب؛ وقيل: صفة للأرض. والمباركة فيها إخراج الزرع والثمار منها على أتمّ ما يكون، وأنفع ما يتفق.

قولُه: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ﴾؛ أي: مضت، واستمرت على التمام،

---

(١) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ٢٤٧).
(٢) في «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٩٧).
(٣) «جامع البيان» (١٠/ ٤٠٤)، و«المحرر الوجيز» (٧/ ١٤٧).
(٤) «المحرر الوجيز» (٧/ ١٤٧).

والكلمة هي: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [القصص: ٥]، وهذا وعد مِنْ الله سبحانه بالنصر والظفر بالأعداء والاستيلاء على أملاكهم، و«الحُسْنى»: صفة للكلمة[١]، وهي تأنيث الأحسن، وتمام هذه الكلمة ﴿عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ بسبب صبرهم على ما أصيبوا به من فرعون وقومه[٢].

[الهلاك والدمار لكل طاغية مستبد هو وأعوانه]:

قوله: ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ﴾ التدمير: الإهلاك؛ أي: أهلكنا بالخراب ما كانوا يَصنعونه مِنْ العمارات ﴿وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ﴾ قرأ ابن عامر، وأبو بكر، عَنْ عاصم: «يَعْرُشون» بضم الراء[٣].

قال الكسائي[٤]: هي لغة تميم. وقرأ إبراهيم بن أبي عَبْلة: «يُعرِّشون»[٥] بتشديد الراء وضم حرف المضارعة. وقرأ الباقون بكسر[٦] الراء مخففة؛ أي: ما كانوا يعرشونه من الجنّات، [٢/١٤٣] ومنه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ﴾ [الأنعام: ١٤١] وقيل: معنى يعرشون: يَبْنون، يقال: عرش يَعْرش؛ أي: بنى يَبْني.

قولُه: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ﴾ هذا شروعُ في بيان ما فعله بنو إسرائيل بعد الفراغ مما فعله فرعون وقومه.

ومعنى جاوزنا ببني إسرائيل البحرَ: جزناه بهم وقطعناه. وقرئ: «جوّزنا» بالتشديد[٧]، وهو بمعنى قراءة الجمهور[٨].

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/٣١٦)، و«جامع البيان» (١٠/٤٠٦).

(٢) «المحرر الوجيز» (٧/١٤٧).

(٣) «التيسير» (ص١١٣)، و«جامع البيان» (١٠/٤٠٨)، و«النشر» (٢/٢٧١)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/٤٧٥). قراءة «يعرشون» بضم الراء وكسرها قراءتان متواترتان.

(٤) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٢/١٤٧).

(٥) وهي قراءة شاذة.
«المحرر الوجيز» (٧/١٤٨)، و«روح المعاني» (٧/٣٢١)، و«البحر المحيط» (٥/١٥٦).

(٦) «جامع البيان» (١٠/٤٠٨)، و«النشر» (٢/٢٧١)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/٤٧٥)، و«زاد المسير» (٣/٢٥٣).

(٧) «الكشاف» (٢/٤٩٩)، و«روح المعاني» (٩/٣٢٣). وهي قراءة شاذة وعزاها في «البحر» (٥/١٥٦) للحسن وإبراهيم وأبي رجاء ويعقوب.

(٨) «البحر المحيط» (٥/١٥٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٩/٣١٧).

﴿فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾ قرأ حمزة والكسائي: «يعكِفون» بكسر[١] الكاف، وقرأ الباقون[٢] بضمها، يقال: عَكَف يعكِف، ويعكُف بمعنى: أقام على الشيء ولزمَه، والمصدر منهما عُكُوف؛ قيل: هؤلاء القوم الذين آتاهم بنو إسرائيل هم مِنْ لَخْم كانوا نازلين بالرقَّة، كانت أصنامهم تماثيلَ بقر؛ وقيل: كانوا من الكنعانيين.

﴿قَالُوا۟﴾؛ أي: بنو إسرائيل عند مشاهدتهم لتلك التماثيل ﴿يَـٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا﴾؛ أي: صنماً نعبده كائناً كالذي لهؤلاء القوم، فالكاف متعلق بمحذوف وقع[٣] صفة «لإلٰهاً»، فأجاب عليهم موسى، و﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ وصفهم بالجهل؛ لأنّهم قد شاهدوا من آيات الله ما يزجر مَنْ له أدنى علم عن طلب عبادة غير الله، ولكن هؤلاء القوم؛ أعني: بني إسرائيل أَشدّ خلق الله عناداً، وجهلاً، وتلوّناً، وقد سلف في سورة البقرة بيان ما جرى منهم من ذلك.

ثم قال لهم موسى: ﴿إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني: القوم العاكفين على الأصنام ﴿مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ﴾ التَّبارَ: الهلاك، وكل إناء منكسر فهو مُتبّر؛ أي: أن هؤلاء هالك ما هم فيه مُدمّر مكسّر، والذي هم فيه هو: عبادة الأصنام، أخبرهم بأن هذا الدين الذي هؤلاء القوم عليه، هالك مدمّر لا يتمّ منه شيء.

قوله: ﴿وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: ذاهب[٤] مُضْمحل جميع ما كانوا يعملونه مِنْ الأعمال مع عبادتهم للأصنام.

قال في «الكشّاف»[٥]: وفي إيقاع «هؤلاء» اسماً لإنّ، وتقديم خبر المبتدأ من الجملة الواقعة خبراً لها، واسم لعبدة الأصنام بأنّهم هم المُعرَّضون للتبار، وأنه لا يعدوهم البتة، وأنَّه لهم ضربةُ لازبٍ، ليُحذّرهم عاقبةَ ما طلبوا، ويُبغّضَ إليهم ما أحبوا.

قوله: ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَـٰهًا﴾ الاستفهام للإنكار[٦] والتوبيخ؛ أي: كيف أطلب

---

(١) «النشر» (٢/ ٢٧١)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٧٥)، و«التيسير» (ص١١٣).
(٢) انظر: المصادر المتقدمة. (٣) «روح المعاني» (٩/ ٣٢٣ ـ ٣٢٤).
(٤) ذكره القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٣١٨).
(٥) (٢/ ٤٩٩).
(٦) «روح المعاني» (٩/ ٣٢٥ ـ ٣٢٦)، و«التبيان» (١/ ٥٩٣).

لكم غير الله إلٰهاً تعبدونه، وقد شاهدتم مِنْ آياته العظام ما يكفي البعض منه؟ والمعنى: أن هذا الذي طلبتم لا يكون أبداً. وإدخال الهمزة على «غير»؛ للإشعار بأن المنكر هو كون المبتغى غيره سبحانه إلٰهاً، (وغير) مفعول للفعل الذي بعده، وإلٰهاً تمييز أو حال[١].

وجملة: ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ في محل نصب على الحال؛ أي: والحال أنه فضّلكم على العالمين مِنْ أهل عصركم بما أنعم به عليكم من إهلاك عدوكم، واستخلافكم في الأرض، وإخراجكم من الذلّ والهوان إلى العزّ والرفعة، فكيف تُقابلون هذه النّعم بطلب عبادة غيره.

قوله: ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾؛ أي: واذكروا وقتَ إنجائنا لكم من آل فرعون، بعد أن كانوا مالكين لكم، يستعبدونكم فيما يريدونه منكم، ويمتهنونكم بأنواع الامتهانات، هذا على أن هذا الكلام محكيّ عن موسى، وأما إذا كان في حكم الخطاب[٢] لليهود الموجودين في عصر مُحّمدٍ، فهو بمعنى: اذكروا إذ أنجينا أسلافكم من آل فرعون.

وجملة: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ في محل نصب[٣] على الحال؛ أي: أنجيناكم من آل فرعون حال كونهم ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾، ويجوز أن تكون مستأنفة لبيان ما كانوا فيه مما أنجاهم منه، وجملة: ﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ مفسرة للجملة التي قبلها، أو بدل منها.

وقد سبق بيان ذلك.

والإشارة بقوله: ﴿وَفِي ذَٰلِكُم﴾ إلى العذاب؛ أي: في هذا العذاب الذي كنتم فيه ﴿بَلَآءٌ﴾ عليكم ﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ وقيل: الإشارة إلى الإنجاء، والبلاء: النعمة. والأوّل أولى.

وقد أخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي

---

(١) «البحر المحيط» (٥/١٥٩)، و«التبيان» (١/٥٩٣).
(٢) «جامع البيان» (١٠/٤١٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٩/٣١٨).
(٣) «روح المعاني» (٩/٣٢٧)، و«التبيان» (١/٥٩٣).

حاتم، وأبو الشيخ، عن الحسن[١] في قوله: ﴿مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا﴾ قال: الشام.

وأخرج هؤلاء عن قتادة[٢] مثله.

وأخرج ابن عساكر[٣] عن زيد بن أسلم نحوه.

وأخرج أبو الشيخ[٤]، عن عبد الله بن شوذب، قال: هي فلسطين.

وقد روي عن النبي ﷺ في فضل الشام أحاديث ليس هذا موضع ذكرها.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن مجاهد[٥]، في قوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ قال: ظهور قوم موسى على فرعون، وتمكين الله لهم في الأرض وما ورّثهم منها.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس[٦]، في قوله: ﴿وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾ قال: يبنون.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن قتادة[٧]، في قوله: ﴿فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾ قال: لَخم وجُذام.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن أبي

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٤٠٥)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٢٣٤)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٥٥١ رقم ٨٨٩٦)، وابن عساكر في «تاريخ مدينة دمشق» (١/ ١٤٢) بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٤٠٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٥١ رقم ٨٨٩٦)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٢٣٤)، وابن عساكر في «تاريخ مدينة دمشق» (١/ ١٤٢) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» (١/ ١٤٣).

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٥٢٦).

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٤٠٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٥١ رقم ٨٨٩٨) بسند صحيح.

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٤٠٧) من طريق علي بن أبي طلحة، به. بسند صحيح.
وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٥٢ رقم ٨٩٠٠) من طريق الضحاك بسند ضعيف.

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٤٠٩ ـ ٤١٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٥٣ رقم ٨٩٠٤) بسند حسن.

عِمْران[1] الجوني مثله.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، عن ابن جريج[2]، في الآية قال: تماثيل بقر مِنْ نحاس، فلما كان عجل السامري شُبّه لهم أنه مِنْ تلك البقر، فذلك كان أوّل شأن العجل ليكون لله عليهم الحجة، فينتقم منهم بعد ذلك.

وأخرج ابن أبي شيبة، وأحمد، والترمذي وصححه، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وأبو الشيخ، وابن مردويه عن أبي واقد الليثي[3] قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ قِبَل حُنينٍ فمررنا بسدرة، فقلتُ: يا رسول الله اجعل لنا هذه ذاتَ أنواطٍ كما للكفار ذات أنواط ـ وكان الكفار ينوطون سلاحهم بسِدْرة، ويعكفون حولها ـ فقال النبي ﷺ: «الله أكبر! هذا كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اجعل لنا إلٰهاً كما لهم آلهة، إنكم تركبون سَنَنَ الذين من قبلكم».

وأخرج نحوه ابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه، من طريق كثير بن عبد الله بن عوف[4] عن أبيه عن جدّه مرفوعاً، وكثير ضعيف جدّاً.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن ابن عباس[5]، في قوله: ﴿مُتَبَّرٌ﴾ قال: خُسْران.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عنه[6]، قال: هلاك.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٥٣ رقم ٨٩٠٥) من طريق علي بن الحسين، به.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٤٠٩) بسند ضعيف.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٤١٠)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٢٣٥)، وأحمد رقم (٢١٨٩٧)، والترمذي رقم (٢١٨٠)، والنسائي في «السنن الكبرى» رقم (١١١٨٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٥٣ رقم ٨٩٠٦)، والطبراني رقم (٣٢٩٢ ـ ٣٢٩٤). وهو حديث صحيح.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٥٤ رقم ٨٩١٠)، والطبراني (ج١٧ رقم ٢٧) بسند ضعيف جدّاً.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٤): «فيه كثير بن عبد الله، وقد ضعَّفه الجمهور».

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٤١٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٥٣ رقم ٨٩٠٨) بسند صحيح.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٥٣ رقم ٨٩٠٧) بسند ضعيف.

﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾.

هذا من جملة ما كرّم الله[(١)] به موسى عليه السلام وشرّفه.

والثلاثين هي ذو القعدة، والعَشْر هي: عَشْرُ ذي الحجة؛ ضرب الله هذه المدّة موعداً لمناجاة موسى ومكالمته.

قيل: وكان التكليم في يوم النحر.

والفائدة[(٢)] في ﴿فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ مع العلم بأنَّ الثلاثين والعشر أربعون[(٣)]: لئلا يتوهم أَنَّ المراد أتممنا الثلاثين بعشر منها فبيّن أن العشر غير الثلاثين، وأربعين ليلةً منصوب على الحال؛ أي: فتمّ حال كونه بالغاً أربعين ليلة.

قوله: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى﴾؛ أي: كن خليفتي فيهم، قال موسى هذا لما أراد المضيّ إلى المناجاة ﴿وَأَصْلِحْ﴾ أمر بني إسرائيل [٢/١٤٤] بحسن سياستهم، والرّفق بهم، وتفقد أحوالهم ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾؛ أي: لا تسلك سبيلَ العاصين، ولا تكن عوناً للظالمين.

وقد أخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، من طرق، عن ابن عباس[(٤)]، في قوله: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ﴾ الآية، قال: ذو القعدة، وعشر من ذي الحجة.

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد عن مجاهد[(٥)] مثله.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس[(٦)] في الآية، قال: إن

---

(١) «جامع البيان» (١٠/ ٤١٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٣١٩).

(٢) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ١٤٨)، والقرطبي في «تفسيره» (٩/ ٣٢٠).

(٣) «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٤٨).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٥٦ رقم ٨٩٢٠) بسند ضعيف.
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٤١٥) بسند صحيح، عن مجاهد.

(٥) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٢٣٦)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٤١٤) بسند ضعيف.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٦٨ رقم ٨٩٨٧) بسند صحيح.

موسى قال لقومه: إنّ ربي وعدني ثلاثين ليلةً أن ألقاه، وأُخلِفُ هارون فيكم، فلما فصل موسى إلى ربِّه، زاده الله عشراً، فكانت فتنتهم في العشر التي زاده الله، فلما مضى ثلاثون ليلة كان السامريُّ قد أبصر جبريل، فأخذ من أثر الفرس قبضةً من تراب، ثم ذكر قصة السامريّ.

[ذكر ما حدث لموسى عليه السلام لما ذهب إلى الطور لميقات ربِّه]:

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٤٧﴾﴾.

اللام في ﴿لِمِيقَٰتِنَا﴾ للاختصاص(١)؛ أي: كان مجيئه مختصاً بالميقات المذكور، بمعنى: أنه جاء في الوقت الموعود ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾؛ أي: أسمعه كلامَه مِنْ غير واسطة.

قوله: ﴿أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾؛ أي: أرني نفسَك أنظرْ إليك؛ أي: سأله النظر إليه اشتياقاً إلى رؤيته لمّا أسمعه كلامه.

وسؤال موسى للرؤية يدلّ على أنّها جائزة عنده في الجملة، ولو كانت مستحيلة عنده لما سألها، والجواب بقوله: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ يفيد أنّه لا يَراه هذا الوقت الذي طلب رؤيته فيه، أو أنّه لا يُرى ما دام الرائي حيّاً في دار الدنيا.

---

(١) ذكره الألوسي في «روح المعاني» (٩/ ٣٣١)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (٥/ ١٦١).

وأما رؤيته في الآخرة فقد ثبتت بالأحاديث[١] المتواترة تواتراً لا يخفى على مَنْ يعرف السُّنَّة المطهرة.

والجدال في مثل هذا والمراوغة لا تأتي بفائدة، ومَنْهجُ الحق واضح، ولكن الاعتقاد لمذهبٍ نشأ الإنسانُ عليه، وأدرك عليه آباءَه وأهل بلده، ـ مع عدم التنبه لما هو المطلوب من العباد من هذه الشريعة المطهرة ـ، يُوقع في التعصب، والمتعصب وإنْ كان بصره صحيحاً فبصيرته عمياء، وأُذنه عَنْ سماع الحق صمّاء، يدفع الحق، وهو يظنّ أنه ما دفع غير الباطل، ويحسب أن ما نشأ عليه هو الحق غفلةً منه، وجهلاً بما أوجبه الله عليه من النظر الصحيح، وتلقي ما جاء به الكتاب والسُّنَّة بالإذعان والتسليم، وما أقلّ المنصفين بعد ظهور هذه المذاهب في الأصول والفروع؛ فإنه صار بها باب الحقّ مرتجاً، وطريق الإنصاف مستوعرة، والأمر لله سبحانه، والهداية منه:

يأبى الفتى إلا اتباعَ الهوى ... ومنهجُ الحقِ له واضحُ

وجملة: ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾ مستأنفة، لكونها جواباً لسؤال مقدّر كأنه قيل: فما قال الله له؟ والاستدراك بقوله: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾ معناه: أنك لا تثبت لرؤيتي، ولا يثبت لها ما هو أعظم منك جُرْماً وصلابة وقوّة، وهو الجبل، فانظر إليه ﴿فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ﴾ ولم يتزلزل عند رؤيتي له ﴿فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾ وإن ضعف عن ذلك، فأنت منه أضعف، فهذا الكلام بمنزلة ضرب المثل لموسى عليه السلام بالجبل.

وقيل: هو مِنْ باب التعليق بالمحال، وعلى تسليم هذا فهو في الرؤية في الدنيا لما قدّمنا.

وقد تمسك بهذه الآية كلا طائفتين المعتزلة[٢] والأشعرية[٣].

فالمعتزلة استدلوا بقوله: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾، وبأمره بأنْ ينظر إلى الجبل.

والأشعرية قالوا: إن تعليق الرؤية باستقرار الجبل يدلّ على أَنَّها جائزة غير ممتنعة، ولا يخفاك أن الرؤية الأخروية هي بمعزل عَنْ هذا كله، والخلاف بينهم هو

---

(١) تقدم ذكرها.

(٢) تقدم التعريف بها.

(٣) تقدم التعريف بها.

فيها لا في الرؤية في الدنيا، فقد كان الخلاف فيها في زمن الصحابة، وكلامهم فيها معروف.

قولُه: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ تجلّى معناه: ظهر، مِنْ قولك: جَلَوتُ العروس؛ أي: أبرزتها. وجَلَوتُ[(١)] السيف: أخلصته مِنْ الصدأ، وتجلّى الشيء: انكشف.

والمعنى: فلما ظهر ربُّه للجبل جعله دكاً، وقيل: المتجلِّي: هو أمره وقدرته، قاله قُطْرب وغيره. والدكُّ مصدر بمعنى المفعول؛ أي: جعله مدكوكاً مدقوقاً فصار تراباً، هذا على قراءة مَنْ قرأ[(٢)] دكاً بالمصدر، وهم أهل المدينة وأهل البصرة، وأما على قراءة أهل الكوفة: ﴿جَعَلَهُۥ دَكَّاءَ﴾ على التأنيث[(٣)]، والجمع دكاوات، كحمراء وحمراوات، وهي اسم للرابية الناشزة مِنْ الأرض أو للأرض المستوية، فالمعنى: أن الجبل صار صغيراً كالرابية، أو أرضاً مستوية.

قال الكسائي[(٤)]: الدك: الجبال العِراض واحدها أدَكُّ. والدكاوات[(٥)]: جمع دكّاء، وهي رَوَاب مِنْ طين ليست بالغِلاظ، والدكادك: ما التبد من الأرض فلم يرتفع، وناقة دكّاء: لا سنام لها ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾؛ أي: مغشياً عليه مأخوذاً من الصاعقة.

والمعنى: أنّه صار حاله لما غُشي عليه كحال مَنْ يُغْشى عليه عند إصابة الصاعقة له. يقال: صعق[(٦)] الرجل، فهو صَعِقَ ومَصْعوق: إذا أصابته الصاعقة ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ﴾ مِنْ غشيته ﴿قَالَ سُبْحَٰنَكَ﴾؛ أي: أنزهك تنزيهاً مِنْ أن أسأل شيئاً لم تأذن لي به ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ عَنْ العود إلى مثل هذا السؤال.

قال القرطبي[(٧)]: وأجمعت الأمةُ على أنّ هذه التوبة ما كانت عَنْ معصية، فإن

---

(١) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٣٠٠)، و«الصحاح» (٦/ ٢٣٠٤).

(٢) «البحر المحيط» (٥/ ١٦٦)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٧٥)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٤٨)، و«التيسير» (ص١١٣)، و«جامع البيان» (١٠/ ٤٣٢). قراءة أهل الكوفة إلّا عاصماً (دكّاءَ) والباقون (دكاً) ومنهم أهل مكة والشام وعاصم.

(٣) انظر: المصادر المتقدمة.

(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/ ٣٢٥).

(٥) «مجمل اللغة» (١/ ٣١٨)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٤٨).

(٦) «الصحاح» (٤/ ١٥٠٧)، و«تهذيب اللغة» (١/ ١٧٨)، و«مفردات ألفاظ القرآن» (ص٤٨٥).

(٧) في «تفسيره» (٩/ ٣٢٦).

الأنبياء معصومون؛ وقيل: هي توبة مِنْ قتله للقبطي، ذكره القشيري، ولا وجه له في مثل هذا المقام. ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بك قبل قومي الموجودين في هذا العصر [٢/١٤٥] المعترفين بعظمتك وجلالك.

وجملة: ﴿قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ﴾ مستأنفة كالتي قبلها، متضمنة لإكرام موسى واختصاصه بما اختصه الله به.

والاصطفاء: الاجتباءُ والاختيار؛ أي: اخترتُك على الناس المعاصرين لك برسالتي، كذا قرأ نافع، وابن كثير، بالإفراد، وقرأ الباقون بالجمع. والرسالة مصدر، والأصل فيه الإفراد، ومَنْ جمعَ فكأنه نظر إلى أن الرسالة هي على ضروب فجمع لاختلاف الأنواع، والمراد بالكلام هنا: التكليم.

امتنّ الله سبحانه عليه بهذين النوعين العظيمين من أنواع الإكرام، وهما: الرسالة والتكليمُ مِنْ غير واسطة، ثم أمره بأن يأخذ ما آتاه؛ أي: أعطاه من هذا الشرف الكريم، وأمره بأن يكون مِنْ الشاكرين على هذا العطاء العظيم، والإكرام الجليل.

قوله: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ من كلِّ شيء؛ أي: مِنْ كل ما يحتاج إليه بنو إسرائيل في دينِهم ودنياهم، وهذه الألواح: هي التوراة.

قيل: كانت مِنْ زُمُرّدة[١] خضراء؛ وقيل: مِنْ ياقوتة[٢] حمراء، وقيل: من زَبَرْجد، وقيل: مِنْ صخرة[٣] صماء.

وقد اختلف في عدد الألواح، وفي مقدار طولها وعرضها، والألواح: جمع لوح، وسُمّي لوحاً لكونه تلوح فيه المعاني، وأسند الله سبحانه الكتابة إلى نفسه تشريفاً للمكتوب في الألواح، وهي مكتوبة بأمره سبحانه.

وقيل: هي كتابة[٤] خلقها الله في الألواح، و﴿مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ في محل[٥]

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/٣٢٨) عن مجاهد.
(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/٣٢٨) عن ابن جبير.
(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/٣٢٨) عن أبي العالية.
(٤) «النكت والعيون» (٢/٢٦٠).
(٥) «روح المعاني» (٩/٣٥٨).

نصب على أنه مفعول ﴿وَكَتَبْنَا﴾ و﴿مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا﴾ بدل مِنْ محل كل شيء؛ أي: موعظة لمن يتعظ بها من بني إسرائيل وغيرهم، وتفصيلاً للأحكام المحتاجة إلى التفصيل.

﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾؛ أي: خذ الألواح بقوّة؛ أي: بجدّ ونشاط، وقيل: الضمير عائد إلى الرسالات، أو إلى كل شيء، أو إلى التوراة، قيل: وهذا الأمر على إضمار القول؛ أي: فقلنا له: خُذْها.

وقيل: إنّ ﴿فَخُذْهَا﴾ بدل مِنْ قوله: ﴿فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ﴾ ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا﴾؛ أي: بأحسنَ ما فيها بما أجره أكثر مِنْ غيره، وهو مثل قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ [الزمر: ٥٥].

وقولُه: ﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر: ١٨]، ومِنْ الأحسن الصبر على الغير والعفو عنه، والعمل بالعزيمة دون الرخصة، وبالفريضة دون النافلة، وفعل المأمور به، وترك المنهيّ عنه[(١)].

قوله: ﴿سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ قيل: هي أرض مصر التي كانت لفرعون وقومه وقيل: منازل عاد وثمود، وقيل: هي جهنّم، وقيل: منازل الكفار من الجبابرة والعمالقة ليعتبروا بها، وقيل: الدار: الهلاك. والمعنى: سأريكم هلاك الفاسقين. وقد تقدّم تحقيق معنى الفسق.

قوله: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ قيل: معنى ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ﴾: سأمنعهم[(٢)] فهم كتابي، وقيل: سأصرفهم عن الإيمان بها.

وقيل: سأصرفهم عَنْ نفعها مجازاةً على تكبرهم كما في قوله: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]، وقيل: سأطبع على قلوبهم حتى لا يتفكروا فيها ولا يعتبروا بها.

واختُلف[(٣)] في تفسير الآيات، فقيل: هي المعجزات، وقيل: الكتب المنزلة،

(١) «زاد المسير» (٣/ ٢٥٩)، و«معالم التنزيل» (٢/ ٢٠٠).
(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٣٣١).
(٣) ذكر هذه الأقوال القرطبي في «تفسيره» (٩/ ٣٣١).

وقيل: هي خلق السمٰوات والأرض، وصرفهم عنها: أنْ لا يعتبروا بها، ولا مانع مِنْ حمل الآيات على جميع ذلك حَمْلُ الصرف على جميع المعاني المذكورة.

و﴿بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ إما متعلق بقوله: ﴿يَتَكَبَّرُونَ﴾؛ أي: يتكبرون بما ليس بحق، أو بمحذوف[١] وقع حالاً؛ أي: يتكبرون متلبِّسين بغير الحق.

قولُه: ﴿وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا﴾ معطوف على «يتكبرون» منتظم معه في حكم الصلة.

والمعنى: سأصرفُ عَنْ آياتي المتكبرين التاركين للإيمان بما يرونه من الآيات، ويدخل تحت كل آية الآيات المُنزّلة، والآيات التكوينية، والمعجزات؛ أي: لا يُؤمنون بآية مِنْ الآيات كائنةً ما كانت.

وقرأ مالك بن دينار: «يُروا» بضم الياء[٢] في الموضعين.

وجملة: ﴿وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا﴾ معطوفة على ما قبلها داخلة في حكمها، وكذلك جملة: ﴿وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ﴾.

والمعنى: أنهم إذا وجدوا سبيلاً من سبل الرشد تركوه وتجنبوه، وإن رأوا سبيلاً من سبل الغيّ سلكوه واختاروه لأنفسهم.

قرأ أهل المدينة وأهل البصرة: «الرُّشْد» بضم[٣] الراء وإسكان الشين.

وقرأ أهل الكوفة إلا عاصماً بفتح الراء[٤] والشين.

قال أبو عبيد[٥]: فرّق أبو عمرو بين الرُّشْد والرَّشَد فقال: الرُّشْد: الصلاح، والرَّشد: في الدين.

قال النحاس[٦]: سيبويه يذهب إلى أن الرُّشْد والرَّشد، كالسُّخْط والسَّخَط.

قال الكسائي[٧]: والصحيح عن أبي عمرو، وغيره، ما قال أبو عبيد.

---

(١) «روح المعاني» (٩/ ٣٦٧).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٣٣١)، و«الكشاف» (٢/ ٥٠٩). وهي قراءة شاذة.

(٣) «جامع البيان» (١٠/ ٤٤٥)، و«النشر» (٢/ ٢٧٢)، و«زاد المسير» (٣/ ٢٦١)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٦).

(٤) انظر: المصادر المتقدمة. وهما قراءتان متواترتان، ومع أهل المدينة والبصرة أهل مكة والشام وعاصم. ا.هـ.

(٥) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ١٤٩)، والقرطبي في «تفسيره» (٩/ ٣٣٢).

(٦) في «إعراب القرآن» (٢/ ١٤٩).

(٧) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/ ٣٣٢)، والنحاس في «إعراب القرآن» (٩/ ١٤٩).

وأصل الرُّشْد في اللغة[١]: أَنْ يظفر الإنسان بما يُريد، وهو: ضدّ الخيبة.

والإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى الصَّرْف؛ أي: ذلك الصَّرْف بسبب تكذيبهم، أو الإشارة إلى التكبّر وعدم الإيمان بالآيات، وتجنّب سبيل الرشد، وسلوك سبيل الغيّ، واسم الإشارة مبتدأ، وخبره جملة: ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾؛ أي: بسبب تكذيبهم بالآيات، وغفلتهم عنها، والموصول في ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ﴾ مبتدأ، وخبره ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾، والمراد بلقاء الآخرة: لقاء الدار الآخرة؛ أي: لقاؤهم لها، أو لقائهم ما وُعدوا به فيها على أنّ الإضافة إلى الظرف. وحباط الأعمال: بطلانُها؛ أي: بطلان ما عملوه مما صورته صورة الطاعة، كالصدقة والصلة، وإنْ كانوا في حال كفرهم لا طاعات لهم، ويحتمل أَنْ يراد أنها تبطل بعدما كانت مرجوّة النفع على تقدير إسلامهم، لما في الحديث الصحيح[٢]: «أسلمتَ على ما أسلفتَ من خير». ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من الكفر بالله، والتكذيب بآياته، وتنكب سبيل الحق، وسلوك سبيل الغيّ.

وقد أخرج الحكيم الترمذي في «نوادر[٣] الأصول» عن كعب قال: لما كلَّم الله موسى قال: يا ربّ أهكذا كلامُك؟ قال: يا موسى إنما أكلمك بقوّة عشرة آلاف لسان ولي قوة الألسن كلها، ولو كلَّمتك بكنه كلامي لم تك شيئاً.

وأخرج البزار، وابن أبي حاتم، وأبو نعيم في «الحلية»، والبيهقي في «الأسماء والصفات»، من حديث جابر[٤] قال: قال رسول الله ﷺ: «لما كلم الله موسى يوم

---

(١) «الصحاح» (٢/ ٤٧٤)، و«لسان العرب» (٣/ ١٧٥).

(٢) أخرجه البخاري رقم (١٤٣٦، ٢٢٢٠، ٢٥٣٨، ٥٩٩٥)، ومسلم رقم (١٢٣/ ١٩٤ ـ ١٩٦) من حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه.
قال: قلت: يا رسول الله، أرأيت أشياء كنت أتحنث بها في الجاهلية من صدقة أو عتاقة ومن صلة رحم، فهل فيها من أجر؟ فقال النبي ﷺ: «أسلمتَ على ما سلف من خير».

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٥٣٦). وهو من الإسرائيليات التي رواها كعب الأحبار، وقد جاء بمعناه عن جابر عند أبي نعيم وسنده ضعيف جداً، انظر: «تفسير ابن كثير» (٥/ ٤٧٥).

(٤) أخرجه البزار في «مسنده» رقم (٢٣٥٣ ـ كشف)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٥٥٧، ١٥٥٨ رقم ٨٩٢٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٢١٠)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٦٠١). وهو حديث ضعيف؛ لضعف الفضل بن عيسى الرقاشي.

الطور كلمه بغير الكلام الذي كلمه به يوم ناداه، فقال له موسى: يا ربّ أهذا كلامك الذي كلمتني به؟ قال: يا موسى إنما كلمتك بقوّة عشرة آلاف لسان، ولي قوّة الألسن كلها، وأقوى من ذلك، فلما رجع موسى إلى بني إسرائيل قالوا: يا موسى صف لنا كلام الرحمٰن، فقال: لا تستطيعونه، ألم تروا إلى أصوات الصواعق التي تقتل، في أحلا حلاوة سمعتموه فذاك قريب مِنْه وليس به».

وأخرج ابن المنذر، [٢/١٤٦] وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، عن أبي الحويرث[(١)] عبد الرحمٰن بن معاوية، قال: إنما كلَّم الله موسى بقدر ما يطيق من كلامه، ولو تكلم بكلامه كله لم يطقه شيء، فمكث موسى أربعين ليلة لا يراه أحد، إلا مات مِنْ نور ربّ العالمين.

وأخرج ابن جرير، وأبو الشيخ، عن ابن عباس[(٢)]، في قوله: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ يقول: أعطني أنظر إليك.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، عن قتادة[(٣)]، في الآية، قال: لما سمع الكلام طمع في الرؤية.

وأخرج أبو الشيخ[(٤)]، عن ابن عباس، قال: حين قال موسى لربِّه تبارك وتعالى: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ قال الله: يا موسى إنك لن تراني، قال: يقول: ليس تراني ولا يكون ذلك أبداً، يا موسى إنَّه لن يراني أحد فَيحْيا. قال موسى: ربّ أَنْ أراك ثم أموت، أحبّ إليّ من أنْ لا أراك ثم أحيا، فقال الله لموسى: يا موسى انظر إلى الجبل العظيم الطويل الشديد ﴿فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ﴾ يقول: فإن ثبت مكانه لم يتضعْضعْ، ولم ينهدّ لبعض ما يرى من عظمتي ﴿فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾ أنت لضعفك وذلّتك، وإنِ الجبل انهدّ بقوّته وشدته وعظمته، فأنت أضعف وأذلّ.

وأخرج أحمد، وعبد بن حميد، والترمذي وصححه، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن عدي في الكامل، وأبو الشيخ، والحاكم وصححه،

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/١٥٥٨ رقم ٨٩٢٦)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٧٦) وسكت عنه وقال الذهبي: «إسناده لين».

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٤٢٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/١٥٥٩ رقم ٨٩٣١) بسند صحيح.

(٣) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٥٤٣).

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٥٤٣).

وابن مردويه، والبيهقي في كتاب «الرؤية» مِنْ طرق، عن أنس[1] بن مالك: أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ قال: «هكذا»، وأشار بأصبعيه، ووضع إبهاميه على أنمُلة الخِنْصَر، وفي لفظ: على المَفْصِل الأعلى من الخِنْصَر، فساخ الجبل ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ وفي لفظ: فساخ الجبل في الأرض، فهو يَهوِي فيها إلى يوم القيامة، وهذا الحديث حديث صحيح على شرط مسلم.

وأخرج أبو الشيخ[2]، عن ابن عباس، قال: الجبل الذي أمره الله أن ينظر إليه الطور.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، والبيهقي في كتاب «الرؤية»، عن ابن عباس[3] ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ قال: ما تجلى منه إلا قدر الخِنْصَر ﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ قال: تراباً ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ قال: مغشياً عليه. وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، وابن مردويه، وأبو نعيم في «الحلية»، والديلمي، عن أنس[4] أن النبي ﷺ قال: «لما تجلى الله للجبل طارت لعظمته ستةُ أجبُل، فوقعت ثلاثة بالمدينة وثلاثة بمكة. بالمدينة: أُحد ووَرِقان ورَضْوى، وبمكة: حِراء وثَبير وثَور».

وأخرج الطبراني[5] في «الأوسط»، عن أنس أن رسول الله ﷺ، قال: «لما تجلى الله لموسى تطايرت سبعة أجْبُل، ففي الحجاز خمسة منها، وفي اليمن اثنان، في الحجاز: أُحد وثَبير وحِراء وورقان، وفي اليمن: حَضور وصبر».

وأخرج ابن جرير، والحاكم وصححه، وابن مردويه، عن ابن عباس[6]، أن

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٣٥)، والترمذي رقم (٣٠٧٤)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٤٢٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٦٠ رقم ٨٩٤٠)، وابن عدي في «الكامل» (٢/ ٦٧٧)، والحاكم (١/ ٢٥) و(٢/ ٣٢٠، ٥٧٧). وهو حديث صحيح.

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٥٤٥).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٤٢٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٦٠ رقم ٨٩٣٧، ٨٩٤١) بسند حسن.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٦٠ رقم ٨٩٣٩)، وأبو نعيم في«الحلية» (٦/ ٣١٤، ٣١٥)، والديلمي رقم (٤٤٠٧)، وقال ابن كثير في «تفسيره» (٦/ ٣٨٧): «وهذا حديث غريب، بل منكر».

(٥) أخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (٨٢٦٣).
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٤): «فيه طلحة بن عمرو المكي وهو متروك».

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٤١٩، ٤٢٧، ٤٣٥)، والحاكم (٢/ ٥٧٦) بسند حسن.

موسى لما كلمه ربه أحبّ أن ينظر إليه فسأله؛ فقال: ﴿لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ﴾ قال: فحفّ حول الجبل الملائكةَ، وحفّ حول الملائكة بنار، وحف حول النار بملائكة، وحفّ حولهم بنار، ثم تجلى ربه للجبل، تجلّى منه مثل الخنصر، فجعل الجبل دكاً، وخرّ موسى صعقاً، فلم يزل صعقاً ما شاء الله، ثم أفاق فقال: سبحانك تبتُ إليك وأنا أوّل المؤمنين مِنْ بني إسرائيل.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وأبو الشيخ، عن عليّ بن أبي طالب[١]، قال: كتب الله الألواح لموسى، وهو يسمع صريف الأقلام في لوح.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، وابن مردويه، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عَنْ جده، عن النبي ﷺ قال: «الألواح التي أُنزلت على موسى كانت من سِدْر الجنة، كان طول اللوح اثنى عشر ذراعاً»[٢].

وأخرج ابن أبي حاتم، عن سعيد بن جبير[٣]، قال: كانوا يقولون: كانت الألواح مِنْ ياقوتة. وأنا أقول: إنما كانت من زُمرّد وكتابها الذهب، كتبها الله بيده، فسمع أهل السمٰوات صريف الأقلام.

أقول: رحم الله سعيداً ما كان أغناه عَنْ هذا الذي قاله مِنْ جهة نفسه، فمثله لا يُقال بالرأي ولا بالحَدْس، والذي يغلب به الظن أن كثيراً مِنْ السلف رحمهم الله كانوا يسألون اليهود عَنْ هذه الأمور، فلهذا اختلفت واضطربت، فهذا يقول: من خشب، وهذا يقول: مَنْ ياقوت. وهذا يقول: من زمُرّد، وهذا يقول: من زبرجد، وهذا يقول: من بَرَد، وهذا يقول: من حجر.

وأخرج أبو الشيخ[٤]، عن السدي ﴿وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ﴾: كل شيء أُمروا به ونُهوا عنه.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن مجاهد[٥]، مثله.

---

(١) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٥٤٨).
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٦٣ رقم ٨٩٥٨).
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٦٣ رقم ٨٩٦٠) بسند حسن.
(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٥٥٠).
(٥) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٥٥٠).

وقد اختلف السلف في المكتوب في الألواح اختلافاً كثيراً، ولا مانع من حمل المكتوب على جميع ذلك لعدم التنافي.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن ابن عباس[١] ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ قال: بجدّ وحزم ﴿سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ قال: دار الكفار.

وأخرج ابن جرير[٢] عنه ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا﴾ قال: أمرَ موسى أن يأخذها بأشدّ مما أمر به قومه.

وأخرج عبد بن حميد، وابن أبي حاتم، عن الربيع[٣] بن أنس ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ قال: بطاعة.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن السدي[٤] في قوله: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ يعني: بجدّ واجتهاد ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا﴾ قال: بأحسن ما يجدون منها.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن مجاهد[٥] ﴿سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ قال: مصيرهم في الآخرة.

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، عن قتادة[٦]، قال: منازلهم في الدنيا.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن الحسن[٧]، قال: جهنّم.

وأخرج أبو الشيخ[٨]، عن قتادة، قال: مصر.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٦٥، ١٥٦٦ رقم ٨٩٨١) بسند ضعيف.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٤٤٠) بسند حسن.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٤٣٩ ـ ٤٤٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٦٥ رقم ٨٩٧١) بسند صحيح.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٤٣٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٦٥ رقم ٨٩٧٢) بسند حسن.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٤٤١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٦٥ رقم ٨٩٧٧) بسند صحيح.

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٤٤٢)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٣٢٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٦٦ رقم ٨٩٧٩) بسند صحيح.

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٤٤١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٦٦ رقم ٨٩٧٨) بسند صحيح.

(٨) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٥٦٢).

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن السُّدي[١]، في قوله: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ﴾ قال: عَنْ أن يتفكروا في آياتي.

وأخرج ابن المنذر، وأبو الشيخ، عن ابن جريج[٢] ﴿عَنْ ءَايَٰتِيَ﴾ قال: عن خلق السمٰوات والأرض، والآيات التي فيها سأصرفهم عن أن يتفكروا فيها أو يعتبروا.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن سفيان[٣] بن عيينة في الآية قال: أنزع عنهم فهمَ القرآن.

[طبيعة بني إسرائيل التي يسهل انتكاسهم كلما فتر عنهم التوحيد والتسديد]:

﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ الْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾.

قوله: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾؛ أي: مِنْ بعد خروجه إلى الطور ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ متعلق باتخذ أو بمحذوف وقع حالاً، ومِنْ للتبعيض[٤]، أو للابتداء، أو للبيان؛ والحُلّي: جمع حَلْى.

وقرأ أهل المدينة وأهل البصرة: «مِنْ حُلِّيهم» بضم[٥] الحاء وتشديد الياء.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/١٥٦٧ رقم ٨٩٨٢) بسند حسن.
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/٤٤٣) بسند ضعيف.
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/٤٤٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/١٥٦٧ رقم ٨٩٨٣) بسند حسن.
(٤) «البحر المحيط» (٥/١٧٦)، و«روح المعاني» (٩/٣٧٠).
(٥) «البحر المحيط» (٥/١٧٦)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/٤٧٧)، و«النشر» (٢/٢٧٢)، و«التيسير» (ص١١٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٩/٣٣٢ ـ ٣٣).

وقرأ أهل الكوفة إلا عاصماً بكسر(١) الحاء.

وقرأ يعقوب بفتح(٢) الحاء وتخفيف الياء.

قال النحاس(٣): جمع حَليّ وحُلي وحِلى مثل: ثَدي وثُدي وثِدى، والأصل: حُلُوى أدغمت الواو في الياء، فانكسرت اللام لمجاورتها الياء، وتكسر الحاء [٢/ ١٤٧] لكسرة اللام وضمها على الأصل. وأضيفت الحلي إليهم وإن كانت لغيرهم؛ لأن الإضافة تجوز لأدنى ملابسة.

و﴿عِجْلًا﴾ مفعول «اتخذ»، وقيل: هو بمعنى التصيير، فيتعدى إلى مفعولين ثانيهما محذوف؛ أي: اتخذوا عجلاً إلٰهاً.

و﴿جَسَدًا﴾ بدل مِنْ عجلاً، وقيل: وصف له، والخُوار(٤): الصياح، يقال: خار يَخُور خُوراً: إذا صاح. وكذلك خار(٥) يَخار خَواراً. ونُسب اتخاذ العجل إلى القوم جميعاً، مع أنَّه اتخذه السامريّ وحدَه، لكونه واحداً منهم، وهم راضون بفعله.

روي(٦) أنَّه لما وعد موسى قومه ثلاثين ليلة فأبطأ عليهم في العشر المزيدة، قال السامري لبني إسرائيل وكان مطاعاً فيهم: إنّ معكم حليّاً مِنْ حلي آل فرعون الذي استعرتموه منهم لتتزينوا به في العيد، وخرجتم وهو معكم، وقد أغرق الله أهله من القِبْط فهاتوها، فدفعوها إليه، فاتخذ منها العِجْل المذكور.

قوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ﴾ الاستفهام للتقريع(٧) والتوبيخ؛ أي: ألم يعتبروا بأن هذا الذي اتخذوه إلٰهاً لا يقدر على تكليمهم، فضلاً عن أن يقدر على جلب نفع لهم، أو دفع ضرّ عنهم ﴿وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾؛ أي: طريقاً واضحة يسلكونها ﴿اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ﴾؛ أي: اتخذوه إلٰهاً ﴿وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ﴾ لأنفسهم في اتخاذه، أو في كلِّ شيء، ومن جملة ذلك هذا الاتخاذ.

---

(١) انظر: المصادر المتقدمة. هي ثلاث قراءات متواترة لكن مع من يضم الحاء ويشدّد كذلك أهل مكة وأهل الشام وعاصم وخلف.ا.هـ. من «تخريج القراءات في فتح القدير» (ص١٤١).

(٢) قرأ بها يعقوب الحضرمي: «حَلْيِهم» بفتح الحاء وسكون اللام وتخفيف الياء، وهو مفرد يراد به الجنس، أو اسم جمع.

(٣) في «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٥٠).

(٤) «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٥٠)، و«مفردات ألفاظ القرآن» (ص٣٠٢).

(٥) «الصحاح» (٢/ ٦٥١).

(٦) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٣٣٣)، و«جامع البيان» (١٠/ ١٤٦ ـ ١٤٨٧).

(٧) «روح المعاني» (٩/ ٣٧٤)، و«البحر المحيط» (٥/ ١٧٧)، و«تفسير أبي السعود» (٣/ ٢٤٤).

قوله: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ﴾؛ أي: ندموا وتحيّروا بعد عود موسى من الميقات؛ يقال للنّادم المتحيّر: قد سُقط في يده. قال الأخفش[(١)]: يقال: سُقط في يده وأُسْقِط، ومَنْ قال: سقَطَ في أيديهم على البناء[(٢)] للفاعل، فالمعنى عنده: سقط الندمُ وأصله: أَنَّ مِنْ شأن مَنْ اشتدّ ندمه وحسرته أن يعضّ يده غماً، فتصير يده مسقوطاً فيها؛ لأن فاه قد وقع فيها.

وقال الأزهري[(٣)] والزجاج[(٤)] والنحاس[(٥)] وغيرهم: معنى «سقط في أيديهم»؛ أي: في قلوبهم وأنفسهم، كما يقال: حصل في يده مكروه، وإنْ كان محالاً أن يكون في اليد تشبيهاً لما يحصل في القلب والنفس بما يحصل في اليد؛ لأن مباشرة الأشياء في الغالب باليد.

قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ﴾ [الحج: ١٠] وأيضاً الندم[(٦)] وإن حلّ القلب فأثره يظهر في البدن؛ لأن النادم يعضّ يدَه، ويضرب إحدى يديه على الأخرى، قال الله تعالى: ﴿فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾ [الكهف: ٤٢] ومنه: ﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ﴾ [الفرقان: ٢٧]؛ أي: مِنْ الندم، وأيضاً النادم يضع ذقنه في يده.

﴿وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ﴾ معطوف على سُقِط؛ أي: تبينوا أنهم قد ضلوا باتخاذهم العِجْل، وأنهم قد ابتلوا بمعصية الله سبحانه ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا﴾ قرأ حمزة والكسائي بالفوقية في الفعلين[(٧)] جميعاً، وقرأ الباقون[(٨)] بالتحتية.

واللام للقسم[(٩)]، وجوابه: ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ وفي هذا الكلام منهم ما يفيد الاستغاثة بالله، والتضرع والابتهال في السؤال.

---

(١) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٥٣٢).
(٢) قرأ بها ابن السميفع. كما في «القراءات الشاذة» (ص٤٦).
(٣) «تهذيب اللغة» (٨/ ٣٩٢).
(٤) في «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٧٨).
(٥) «إعراب القرآن» (٢/ ١٥١).
(٦) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٣٣٥ ـ ٣٣٦).
(٧) «البحر المحيط» (٥/ ١٧٩)، و«جامع البيان» (١٠/ ٤٤٨)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٧٧)، و«النشر» (٢/ ٢٧٢). وهي قراءة متواترة ومع حمزة والكسائي خلف البزّار، ويكون ضبط كلمة «ربَّنا» بالنصب هلى أنه منادى منصوب.
(٨) انظر: المصادر المتقدمة.
(٩) «البحر المحيط» (٥/ ٤٨٠)، و«روح المعاني» (٩/ ٣٧٧)، و«تفسير أبي السعود» (٣/ ٢٤٥).

وسيأتي في سورة طه إنْ شاء الله ما يدل على أن هذا الكلام المحكي عنهم هنا وقع بعد رجوع موسى، وإنما قدم هنا على رجوعه لقصد حكاية ما صدر عنهم مِنْ القول والفعل في موضع واحد.

قوله: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا﴾ هذا بيان لما وقع من موسى بعد رجوعه، وانتصاب غضبانَ وأسفاً على الحال، والأَسَفُ: شديد الغضب.

قيل: هو منزلة[١] وراء الغضب أشدّ منه، وهو[٢]: أَسِف وأَسِيف وأسْفان وأسُوف.

قال ابن جرير[٣] الطبري: أخبره الله قبل رجوعه بأنهم قد فُتنوا، فلذلك رجع وهو غضبان أسفاً ﴿قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ﴾ هذا ذمّ مِنْ موسى لقومه؛ أي: بئس العمل ما عملتموه مِنْ بعدي؛ أي: مِنْ بعد غيبتي عنكم، يقال: خَلفَه بخير، وخلفه بشرّ، استنكر عليهم ما فعلوه، وذمهم لكونهم قد شاهدوا من الآيات ما يوجب بعضه الانزجار والإيمان بالله وحده، ولكن هذا شأن بني إسرائيل في تلوّن حالهم، واضطراب أفعالهم، ثم قال منكراً عليهم: ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ والعجلة: التقدّم بالشيء قبل وقته، يقال: عجلت الشيء: سَبقته، وأعجلت الرجل: حملته على العَجَلة[٤].

والمعنى: أعجلتم عَنْ انتظار أمر ربكم؛ أي: ميعاده الذي وعدنيه، وهو الأربعون ففعلتم ما فعلتم.

وقيل: معناه: تعجّلتم سخط ربكم؛ وقيل: معناه: أَعجلتم بعبادة العِجْل قبل أَنْ يأتيكم أمر ربكم ﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ﴾؛ أي: طرحها لما اعتراه مِنْ شدّة الغضب والأسف حين أشرف على قومه، وهم عاكفون على عبادة العجل.

قولُه: ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ﴾؛ أي: أخذ برأس[٥] أخيه هارون، أو بشعر رأسه حال كونه يجرّه إليه. فَعل به ذلك لكونه لم يُنكر على السامريّ، ولاغيَّر ما رآه من عبادة بني إسرائيل للعجل، فقال: هارون معتذراً منه: ﴿ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى﴾؛ أي: إنِّي لم أطق تغيير ما فعلوه لهذين الأمرين استضعافهم لي،

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٤٥٠) عن أبي الدرداء بسند منقطع؛ لأنَّ نصرَ بن علقمة لم يسمع من أبي الدرداء.

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٣٣٦).

(٣) في «جامع البيان» (١٠/ ٤٤٩).

(٤) «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٥١).

(٥) «معالم التنزيل» (٢/ ٢٠٢)، و«النكت والعيون» (٢/ ٢٢٤).

ومقاربتهم لقتلي، وإنما قال: «ابن أمّ» مع كونه أخاه مِنْ أبيه وأمه؛ لأنها كلمةُ لين[١] وعطفٍ، ولأنها كانت كما قيل: مؤمنة.

وقال الزجّاج[٢]: قيل: كان هارون أخا موسى لأمه لا لأبيه. قرئ: «ابن أمَّ» بفتح الميم تشبيهاً له بخمسةَ عشرَ، فصار كقولك: يا خَمسةَ عشرَ أقبلوا.

وقال الكسائي[٣] والفراء[٤] وأبو عُبيد[٥]: إنَّ الفتح على تقدير يابن أما.

وقال البصريون: هذا القول خطأ؛ لأن الألف خفيفة لا تحذف، ولكن جعل الاسمين اسماً واحداً كخمسةَ عشرَ، واختاره الزجاج[٦] والنحاس[٧].

وأما من قرأ بكسر الميم[٨]، فهو على تقدير: ابن أمي، ثم حذفت الياء وأبقيت الكسرة، لتدل عليها.

وقال الأخفش[٩] وأبو حاتم[١٠]: ابن أمِّ بالكسر، كما تقول: يا غلام أقبل؛ وهي لغة شاذة[١١] والقراءة بها بعيدة، وإنما هذا فيما يكون مضافاً إليك. وقرئ: «ابن أمي» بإثبات الياء.

قوله: ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾ الشماتة: السرورُ مِنْ الأعداء بما يصيب من يعادونه مع المصائب، ومنه قوله : «اللَّهُمَّ إني أعوذ بك مِنْ سوء القضاء، ودَرْك الشقاء، وجهد البلاء، وشماتة الأعداء» وهو في «الصحيح»[١٢]. ومنه قول الشاعر:

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/ ٢٤١).
(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/ ٣٤١)، والنحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ١٥١).
(٣) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ١٥٢).
(٤) في «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٩٤).
(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/ ٣٤٢)، والنحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ١٥٢).
(٦) في «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٧٨).
(٧) في «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٥٢).
(٨) «البحر المحيط» (٥/ ١٨٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٣٤٢)، و«معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٥٣٣)، و«روح المعاني» (٩/ ٣٨٣). فتح الميم وكسرها من «ابن أمَّ» قراءتان متواترتان فالكسر عن ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف وشعبة والفتح عن الباقين وأما القراءة بإثبات الياء «ابن أميّ» فشاذة. انظر: «تخريج القراءات في فتح القدير» (ص١٤١).
(٩) «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٥٣٣).
(١٠) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/ ٣٤٢).
(١١) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ١٥٢).
(١٢) أخرجه البخاري رقم (٦٣٤٧)، ومسلم رقم (٢٧٠٧)، وأحمد رقم (٧٣٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

إذا ما الدهرُ جَرَّ على أُناسٍ ... كَلاكِلَه أناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا ... سيلقىٰ الشامتون كما لقينا[١]

والمعنى: لا تفعل بي ما يكون سبباً للشماتة منهم.

وقرأ مجاهد ومالك بن دينار: ﴿فَلَا تَشْمَتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾ بفتح حرف المضارعة وفتح الميم ورفع[٢] الأعداء على أن الفعل مسند إليهم؛ أي: لا يكون ذلك منهم لفعل تفعله بي. وروي عن مجاهد أنه قرأ: ﴿تُشْمِتْ﴾ كما تقدّم عنه مع نصب[٣] الأعداء.

قال ابن جني[٤]: والمعنى: فلا تَشْمَت بي أنت يا ربّ، وجاز هذا كما في قوله: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥] ونحوه، ثم عاد إلى المراد فأضمر فعلاً نصب به الأعداءَ، كأنه قال: ولا تُشمت يا ربّ بي الأعداءَ، وما أبعد هذه القراءة عن الصواب، وأبعد تأويلها عَنْ وجوه الإعراب.

قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ أي: لا تجعلني بغضبك عليّ في عداد القوم الظالمين، يعني: الذين عبدوا العجل، أو لا تعتقد أني منهم.

قوله: [٢/١٤٨] ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي﴾ هذا كلام مستأنف جواب سؤال مقدّر؛ كأنه قيل: فماذا قال موسى بعد كلام هارون هذا؟ فقيل: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي﴾ طلب المغفرة له أوّلاً، ولأخيه ثانياً ليزيل عَنْ أخيه ما خافه من الشماتة، فكأنه تذمم[٥] مما فعله بأخيه، وأظهر أنه لا وجه له، وطلب المغفرة من الله مما فرط منه في جانبه، ثم طلب المغفرة لأخيه إن كان قد وقع منه تقصير فيما يجب عليه من الإنكار عليهم وتغيير ما وقع منهم، ثم طلب إدخاله وإدخال أخيه في رحمة الله التي وسعت كل شيء فهو ﴿أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

وقد أخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، عن مجاهد[٦]، في

---

(١) نسب هذين البيتين البغدادي في «خزانة الأدب» (٥/ ٢٨٧) لذي الإصبع العدواني، ونسبهما ابن قتيبة في «عيون الأخبار» (٣/ ١١٤) للفرزدق.
(٢) «القراءات الشاذة» (ص٤٦)، و«المحتسب» (١/ ٢٥٩)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٥٢). وهي قراءة شاذة.
(٣) انظر: المصادر المتقدمة.
(٤) في «المحتسب» (١/ ٢٥٩).
(٥) «جامع البيان» (١٠/ ٤٦٢).
(٦) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٥٦٣).

قوله: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ﴾ الآية، قال: حين دفنوها ألقى عليها السامري قبضةً من تراب أثر فرس جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وأخرج عبد الرزاق، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن قتادة[١]، في الآية قال: استعاروا حُليّاً من آل فرعون، فجمعه السامري فصاغ منه ﴿عِجْلًا﴾ فجعله ﴿جَسَدًا﴾ لحماً ودماً ﴿لَّهُۥ خُوَارٌ﴾.

وأخرج ابن أبي حاتم، عن عكرمة[٢]، في قوله: ﴿خُوَارٌ﴾ قال: الصوت.

وأخرج ابن أبي حاتم[٣]، عن الضحاك قال: خار العجل خورة لم يثن، ألم تر أن الله قال: ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ﴾.

وأخرج ابن المنذر[٤]، عن ابن عباس، في قوله: ﴿سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ﴾ قال: ندموا.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ من طرق، عن ابن عباس[٥] ﴿أَسِفًا﴾ قال: حزيناً.

وأخرج أبو الشيخ[٦]، عن أبي الدرداء، قال: الأسفُ: منزلة وراء الغضب أشدّ من ذلك.

وأخرج عبد بن حميد، عن محمد بن كعب، قال: الأسف الغضب الشديد.

وأخرج أبو عبيد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن ابن عباس[٧]، قال: لما ألقى موسى الألواح تكسرت فُرفعت إلا سُدُسها.

وأخرج أبو الشيخ[٨] عنه قال: رفع الله منها ستة أسباعها وبقي سبع.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/١٣٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/١٥٦٨ رقم ٨٩٨٨) بسند صحيح.

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٥٦٣).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٦٩ رقم ٨٩٩٢) بسند ضعيف.

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٥٦٣).

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٤٥٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٦٩ رقم ٨٩٩٤، ٨٩٩٥).

(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٥٦٤).

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٧٠ رقم ٨٩٩٩) من طريق ابن جريج، به.

(٨) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٥٦٤).

وأخرج أبو نعيم[١] في «الحلية»، عن مجاهد، أو سعيد بن جبير، قال: لما ألقاها موسى ذهب التفصيل، وبقي الهُدى.

وأخرج ابن المنذر[٢]، عن ابن جريج، قال: كانت تسعة رفع منها لوحان وبقي سبعة.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن مجاهد[٣]، في قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ قال: مع أصحاب العجل.

[حكم ووعد، إنَّ القوم الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ ۖ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾﴾.

الغضب: ما نزل بهم من العقوبة في الدنيا بقتل أنفسهم، وما سينزل بهم في الآخرة من العذاب. والذِّلَّة: هي التي ضربها الله عليهم بقوله: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾ [البقرة: ٦١، وآل عمران: ١١٢]، وقيل: هي إخراجهم من ديارهم، وقيل: هي الجزية، وفيه نظر لأنها لم تؤخذ مِنهم، وإنما أخذت[٤] مِنْ ذراريهم.

والأولى أن يقيد الغضب والذلة بالدنيا[٥] لقوله: ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ وإن ذلك مختص بالمتخذين للعجل إلٰهاً لا لمن بعدهم مِنْ ذراريهم، ومجرّد ما أمروا به مِنْ قتل أنفسهم هو غضب من الله عليهم، وبه يصيرون أذلاء، وكذلك خروجهم من ديارهم هو من غضب الله عليهم، وبه يصيرون أذلاء.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٤٩).
(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٥٦٥).
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٧٠ رقم ٩٠٠١)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٤٦١) بسند صحيح.
(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (٢/ ٣٤٤)، و«معاني القرآن» للنحاس (٣/ ٨٤).
(٥) «جامع البيان» (١٠/ ٤٦٢).

وأما ما نال ذراريهم من الذلَّة فلا يصحّ تفسير ما في الآية به إلا إذا تعذر حمل الآية على المعنى الحقيقي، وهو لم يتعذر هنا ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ﴾؛ أي: مثل ما فعلنا بهؤلاء نفعل بالمفترين، والافتراء: الكذبُ، فمن افترى على الله سيناله من الله غضب، وذلَّة في الحياة الدنيا. وإن لم يكن بنفس ما عوقب به هؤلاء؛ بل المراد: ما يصدق عليه أنه من غضب الله سبحانه، وأن فيه ذلة بأيّ نوع كان.

[القاعدة الدائمة: إن الذين يعملون السيئات ثم يتوبون يغفر الله لهم برحمته]:

﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾؛ أي: سيئةً كانت ﴿ثُمَّ تَابُوا۟﴾ عنها ﴿مِنۢ بَعْدِهَا﴾ عملها ﴿وَءَامَنُوٓا۟﴾ بالله ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا﴾؛ أي: مِنْ بعد هذه التوبة[(١)]، أو من بعد عمل هذه السيئات التي قد تاب عنها فاعلها وآمن بالله ﴿لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾؛ أي: كثير الغفران لذنوب عباده وكثير الرحمة لهم.

قولُه: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ﴾ أصل السكوت: السكون والإمساك؛ يقال: جرى الوادي ثلاثاً ثم سكن؛ أي: أمسك عن الجري.

قيل: هذا مثَلٌ كأن الغضب كان يغريه على ما فعل، ويقول له: قل لقومك كذا، وألق الألواح، وجرّ برأس أخيك، فترك الإغراء وسكت[(٢)].

وقيل: هذا الكلام فيه قلب[(٣)]، والأصل: سكت موسى عَنْ الغضب؛ كقولهم: أدخلت الأصبع الخاتم، والخاتم الأصبع، وأدخلت القلنسوة رأسي، ورأسي القلنسوة.

وقرأ معاوية[(٤)] بن قُرّة: «ولما سكنَ عن موسى الغضب» وقرئ[(٥)] سكت وأسكت ﴿أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ﴾ التي ألقاها عند غضبه ﴿وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ النسخ: نقلُ ما في كتاب إلى كتاب آخر، ويقال للأصل الذي كان النقل منه: نُسْخة، وللمنقول: نُسْخة أيضاً.

قال القُشيري[(٦)]: والمعنى ﴿وَفِى نُسْخَتِهَا﴾؛ أي: فيما نُسخ مِنْ الألواح

---

(١) «جامع البيان» (١٠/ ٤٦٥ ـ ٤٦٦). (٢) «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٧٩).

(٣) ذكره الألوسي في «روح المعاني» (٩/ ٣٨٨) عن عكرمة.

(٤) «القراءات الشاذة» (ص٤٦)، و«حاشية الشهاب» (٤/ ٢٢٢)، و«زاد المسير» (٣/ ٢٦٧)، و«روح المعاني» (٩/ ٣٨٨). القراءة المتواترة «سَكَتَ» فعل ثلاثي آخره «التاء» وما عداه فقراءة شاذة.

(٥) انظر: المصادر المتقدمة. (٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/ ٣٤٦).

المتكسرة، ونُقل إلى الألواح الجديدة ﴿هُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ وقيل: المعنى: وفيما نسخ له منها؛ أي: مِنْ اللوح المحفوظ.

وقيل: المعنى: وفيما كُتب له فيها هدى ورحمة، فلا يحتاج إلى أصل ينقل عنه، وهذا كما يقال: انسخ ما يقول فلان؛ أي: أثبته في كتابك، والنُّسْخة فعلة بمعنى مفعولة كالخُطْبة.

والهدى: ما يهتدون به من الأحكام؛ والرحمة: ما يحصل لهم من الله عند عملهم بما فيها من الرحمة الواسعة، واللام في ﴿لِلَّذِينَ هُمْ﴾ متعلقة بمحذوف؛ أي: كائنة لهم أو لأجلهم، واللام في ﴿لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ للتقوية للفعل، لما كان مفعوله متقدّماً عليه، فإنّه يضعف بذلك بعض الضعف.

وقد صرح الكسائي(١) بأنها زائدة.

وقال الأخفش(٢): هي لام الأجل؛ أي: لأجل ربهم يرهبون.

وقال محمد بن يزيد(٣) المبرِّد: هي متعلقة بمصدر الفعل المذكور، والتقدير: للذين هم رهبتهم لربهم يرهبون.

وقد أخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن أيوب(٤)، قال: تلا أبو قلابة هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ﴾ إلى قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ﴾ قال: هو جزاء كل مفترٍ، يكون إلى يوم القيامة أن يُذلّه الله.

وأخرج ابن أبي حاتم(٥)، عن ابن عباس، قال: أعطى موسى التوراة في سبعة ألواح من زَبَرْجَد، فيها تبيان لكلِّ شيء وموعظة، ولما جاء فرأى بني إسرائيل عكوفاً على العجل رمى التوراة من يده فتحطّمت، وأقبل على هارون فأخذ برأسه، فرفع الله منها ستة أسباع وبقي سبع ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ قال: فيما بقي منها.

---

(١) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ١٥٤).
(٢) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٥٣٥).
(٣) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ١٥٤).
(٤) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٢٣٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٧١ رقم ٩٠٠٤) بسند صحيح.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٧٢، ١٥٧٣ رقم ٩٠١٦) بسند صحيح.

وأخرج ابن المنذر[١]، عن مجاهد، وسعيد بن جبير، قال: كانت الألواح من زُمُرّد فلما ألقاها موسى ذهب التفصيل، وبقي الهُدى والرحمة، وقرأ ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٤٥] وقرأ: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ قال: ولم يذكر التفصيل هاهنا.

[موسى وسبعين من قومه مختارين للقاء ربه، والفتنة والابتلاء]:

﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَـٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّـٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَـٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ [٢/١٤٩] أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾.

قوله: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَـٰتِنَا﴾ هذا شروع في بيان ما كان من موسى، ومن القوم الذين اختارهم، وسبعين مفعول اختار، وقومه[٢] منصوب بنزع الخافض؛ أي: مِنْ قومه على الحذف والإيصال، ومثله قوله الراعي[٣]:

اخترتُك الناسَ إذ رثّت خلائقُهم ... واعتلَّ مَنْ كان يُرجى عنده السولُ

يريد اخترتك مِنْ الناس، ومعنى ﴿لِّمِيقَـٰتِنَا﴾: للوقت الذي وقتناه له، بعد أن وقع مِنْ قومه ما وقع، والميقات: الكلامُ الذي تقدم ذكره؛ لأن الله أمره أن يأتي إلى الطور في ناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه سبحانه من عبادة العجل كذا قيل.

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/٥٦٦).
(٢) «التبيان» (١/٥٩٧)، و«روح المعاني» (٩/٣٨٩).
(٣) انظر: «ديوان الراعي النميري» (ص١٩٤).

والرجفة في اللغة[(١)]: الزَلْزلة الشديدة، قيل: إنّهم زُلْزِلوا حتى ماتوا، فلما رأى موسى أخْذَ الرجفة لهم: ﴿قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّىَ﴾ قاله ﷺ تحسراً وتلهفاً؛ لأن سبب أخذ الرجفة لهم ما حكى الله عنهم من قولهم: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ [البقرة: ٥٥] على ما تقدّم في البقرة.

وقيل: هؤلاء السبعون غير[(٢)] مَنْ قالوا: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣] بل أخذتهم الرجفة، بسبب عدم انتهائهم عن عبادة العجل.

وقيل: إنّهم قوم لم[(٣)] يرضوا بعبادة العجل، ولا نَهوا السامريّ ومَنْ معه عن عبادته، فأخذتهم الرجفة بسبب سكوتهم.

والمعنى: لو شئتَ إهلاكنا بذنوبنا قبل هذا الوقت اعترافاً منه ﷺ بالذنب، وتلهفاً على ما فرط من قومه.

والاستفهام[(٤)] في قوله: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾ للجحد؛ أي: لستَ ممَّن يفعل ذلك، قاله ثقةً منه برحمة الله، والمقصود منه: الاستعطاف والتضرّع.

وقيل: معناه: الدعاء والطلب؛ أي: لا تهلكنا.

قال المبرِّد[(٥)]: المراد بالاستفهام: استفهام الإعظام[(٦)] كأنه يقول: لا تهلكنا وقد علم موسى أنه لا يَهْلك أحدٌ بذنب غيره، ولكنه كقول عيسى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ [المائدة: ١١٨].

وقيل: المراد بالسفهاء: السبعون[(٧)]، والمعنى: أتُهلك بني إسرائيل بما فعل هؤلاء السفهاء في قولهم: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣]؛ وقيل: المراد بهم: السامري وأصحابه.

---

(١) «الصحاح» (٤/ ١٣٦٢)، و«مجمل اللغة» (١/ ٢٣).
(٢) «روح المعاني» (٩/ ٣٩٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٣٤٩).
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٤٧٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٧٥ رقم ٦٠٢٧) بسند حسن.
(٤) «روح المعاني» (٩/ ٣٥٥).
(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/ ٣٤٩).
(٦) كذا في المخطوط والذي في «تفسير القرطبي» و«معالم التنزيل» (٢/ ٢٠٤) استعطاف.
(٧) «جامع البيان» (١٠/ ٤٧٢)، و«المحرر الوجيز» (٧/ ١٧٨).

قوله: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾؛ أي: ما الفتنة التي وقع فيها هؤلاء السفهاء إلا فتنتُك التي تختبر بها مَنْ شئت، وتمتحن بها مَنْ أردت، ولعله ﷺ استفاد هذا من قوله سبحانه: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ﴾ [طه: ٨٥]. ﴿تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ﴾؛ أي: تضلّ بهذه الفتنة من تشاء من عبادك وتهدي بها من تشاء منهم، ومثله: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧، والملك: ٢].

ثُم رجع إلى الاستعطاف والدعاء فقال: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا﴾؛ أي: المتولى لأمورنا ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا﴾ ما أذنبناه ﴿وَٱرْحَمْنَا﴾ برحمتك التي وسعت كلَّ شيء ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾ للذنوب ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ بتوفيقنا للأعمال الصالحة، أو تفضّل علينا بإفاضة النِّعم في هذه الدنيا من العافية، وسعة الرزق ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾؛ أي: واكتب لنا في الآخرة الجنّة بما تجازينا به، أو بما تتفضل به علينا من النعيم في الآخرة.

وجملة: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ تعليل لما قبلها[1] من سؤال المغفرة، والرحمة، والحسنة، في الدنيا وفي الآخرة؛ أي: إنا تبنا إليك ورجعنا عن الغواية التي وقعت من بني إسرائيل. والهَود: التوبة. وقد تقدّم في البقرة.

وجملة: ﴿قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ﴾ مستأنفة كنظائرها فيما تقدّم، قيل: المراد بالعذاب هنا: الرجفة.

وقيل: أمره سبحانه لهم بأن يقتلوا أنفسهم؛ أي: ليس هذا إليك يا موسى؛ بل ما شِئْتُ كان، وما لم أشأ لم يكن.

والظاهر: أن العذاب هنا يندرج تحته كل عذاب[2]، ويدخل فيه عذاب هؤلاء دخولاً أوّلياً.

وقيل: المراد: مَنْ أشاء من المستحقين للعذاب، أو مَنْ أشاء أن أضله وأسلبه التوفيق.

﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ مِنْ الأشياء من المكلفين وغيرهم، ثم أخبر سبحانه أنه سيكتب هذه الرحمة الواسعة ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الذنوب ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾

---

(١) «جامع البيان» (١٠/ ٤٧٨ ـ ٤٧٩).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٣٥٠)، و«المحرر الوجيز» (٧/ ١٧٥).

المفروضة عليهم ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ﴾؛ أي: يُصدّقون بها ويذعنون لها، ثم بيّن سبحانه هؤلاء الذين كتب لهم هذه الرحمة، ببيان أوضح مما قبله وأصرح فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ﴾ وهو محمد عليه الصلاة والسلام، فخرجت[1] اليهود والنصارى وسائر الملل. والأميُّ: إمّا نسبةً إلى الأمة الأمية التي لا تكتب ولا تحسب، وهم: العرب، أو نسبةً إلى الأم.

والمعنى: أنَّه باقٍ على حالته التي ولد عليها لا يكتب[2] ولا يقرأ المكتوبَ؛ وقيل: نسبة إلى أمّ القرى، وهي مكة ﴿ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ﴾ يعني: اليهود والنصارى؛ أي: يجدون نعتَه ﴿مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ﴾ وهما مرجعهم في الدين، وهذا الكلام منه سبحانه مع موسى هو قبل نزول الإنجيل فهو مِنْ باب الإخبار بما سيكون، ثم وصف هذا النبيّ الذي يجدونه كذلك بأنه يأمر بالمعروف؛ أي: بكل ما تعرفه القلوب، ولا تنكره من الأشياء التي هي من مكارم الأخلاق.

﴿وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾؛ أي: ما تُنكره القلوب ولا تعرفه. وهو ما كان من مساوئ الأخلاق.

قيل: إن قوله: ﴿يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ إلى قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ كلام يتضمن تفصيل أحكام الرحمة التي وعد بها، ذكر معناه الزجّاج[3].

وقيل: هو في محل نصب[4] على الحال مِنْ النبيّ، وقيل: هو مفسر لقوله: ﴿مَكۡتُوبًا﴾.

قولُه: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾؛ أي: المستلذّات، وقيل: يحلّ لهم ما حرّم عليهم من الأشياء التي حرّمت عليهم بسبب ذنوبهم ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾؛ أي: المستخبثات كالحشرات والخنازير ﴿وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ﴾ الإصر: الثِّقل[5]؛ أي: يضع عنهم التكاليف الشاقة الثقيلة. وقد تقدّم بيانه في البقرة ﴿وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ

(١) «جامع البيان» (١٠/ ٤٨٣)، و«تفسير أبي السعود» (٣/ ٢٥٠).
(٢) «معالم التنزيل» (٢/ ٢٠٥).
(٣) في «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٨١).
(٤) «تفسير أبي السعود» (٣/ ٢٥٢)، و«البحر المحيط» (٥/ ١٩٤).
(٥) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٣٥٦)، و«جامع البيان» (١٠/ ٤٩٣).

عَلَيْهِمْۚ﴾؛ أي: ويضع عنهم الأغلال التي كانت عليهم. الأغلال مستعارة للتكاليف الشاقة التي كانوا قد كُلفّوها.

﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ﴾؛ أي: بمحمد وَاتَّبِعُوهُ فيما جاء به من الشرائع.

﴿وَعَزَّرُوهُ﴾؛ أي: عظّموه ووقّروه، قاله الأخفش(١).

وقيل: معناه: منعوه مِنْ عدوّه، [٢/١٥٠] وأصل العزْر: المنع.

وقرأ الجحدريّ «وعَزَرُوه» بالتخفيف(٢)، «ونصروه»؛ أي: قاموا بنصره على من يعاديه.

﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓۙ﴾؛ أي: اتبعوا القرآن الذي أنزل عليه مع نبوّته.

وقيل: المعنى: واتبعوا القرآن المنزل إليه مع اتباعه بالعمل بسُنَّته، مما يأمر به وينهى عنه، أو اتبعوا القرآن مُصاحبين له في اتباعه، والإشارة بـ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إلى المتصفين بهذه الأوصاف ﴿هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون بالخير والفلاح لا غيرهم من الأمم.

وقد أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس(٣)، في قوله: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾ الآية. قال: كان الله أمره أن يختار من قومه سبعين رجلاً، فاختار سبعين رجلاً، فبرز بهم ليدعوا ربَّهم، فكان فيما دعوا الله أن قالوا: اللَّهُمَّ أعطنا ما لم تُعط أحداً مِن قبلنا ولا تعطه أحداً بعدنا، فكره الله ذلك من دعائهم، فأخذتهم الرجفة. ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ﴾. ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ يقول: إن هي إلا عذابك تصيب به من تشاء وتصرفه عمّن تشاء.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن مجاهد(٤) ﴿لِّمِيقَٰتِنَا﴾ قال: لتمام الموعد، وفي قوله(٥): ﴿فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ قال: ماتوا ثم أحياهم.

---

(١) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ١٥٥ ـ ١٥٦).
(٢) «المحتسب» (١/ ٢٦١)، و«القراءات الشاذة» (ص٤٦)، و«روح المعاني» (٩/ ٤١٠). وهي قراءة شاذة.
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٤٦٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٧٤ رقم ٩٠٢٣) بسند صحيح.
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٤٧٠) بسند صحيح.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٧٥ رقم ٩٠٢٦) بسند صحيح.

وأخرج ابن أبي شيبة، وأبو الشيخ، عن أبي العالية[(١)]، في قوله: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ قال: بليتك.

وأخرج أبو الشيخ[(٢)] عن ابن عباس: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ قال: مشيئتك.

وأخرج عبد بن حميد، وأبو الشيخ، عن ابن عباس[(٣)]، قال: إن السبعين الذين اختارهم موسى من قومه، إنما أخذتهم الرجفة؛ لأنهم لم يرضوا بالعمل ولم ينهوا عنه.

وأخرج سعيد[(٤)] بن منصور، عنه، في قوله: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ﴾ فلم يعطها موسى ﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ﴾ إلى قوله: ﴿الْمُفْلِحُونَ﴾.

وأخرج ابن أبي حاتم[(٥)]، عن عكرمة، في قوله: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ﴾ قال: فكتب الرحمة يومئذ لهذه الأمة.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، من طرق، عن ابن عباس[(٦)]، في قوله: ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ قال: تُبْنا إليك.

وأخرج ابن أبي حاتم[(٧)]، عن سعيد بن جبير، مثلَه.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن أبي وجزة[(٨)] السعدي، وكان من أعلم الناس بالعربية قال: لا والله ما أعلمها في كلام العرب ﴿هُدْنَا﴾؛ قيل: فكيف قال: «هِدنا» بكسر الهاء، يقول: مِلنا.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٤٧٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٧٦ رقم ٩٠٣١) بسند حسن.

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٥٦٩).

(٣) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٥٧٠).

(٤) أخرجه سعيد بن منصور في «سننه» رقم (٩٦٤ ـ تفسير) بسند ضعيف. وهو حديث حسن لغيره.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٧٦ رقم ٩٠٣٦) بسند حسن.

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٤٧٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٧٧ رقم ٩٠٤١) من طرق عن ابن عباس يقوي بعضها بعضاً.

(٧) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٧٧ بإثر رقم ٩٠٤٠).

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٧٧ رقم ٩٠٤٧) بسند حسن.

وأخرج عبد الرزاق، وأحمد في الزهد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن الحسن[١] وقتادة، في قوله: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ قال: وسعت رحمته في الدنيا البرّ والفاجر، وهي يوم القيامة للذين اتقوا خاصة.

وأخرج مسلم[٢] وغيره، عن سلمان، عن النبي ﷺ قال: «إن لله مائةَ رحمةٍ فمنها رحمة يتراحم بها الخلق، وبها تعطف الوحوش على أولادها، وأخّر تسعة وتسعين إلى يوم القيامة».

وأخرج نحوه أحمد، وأبو داود، والطبراني، والحاكم، والضياء المقدسي، من حديث جندب[٣] بن عبد الله البجلي.

وأخرج أبو الشيخ[٤]، عن السدي قال: لما نزلت: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ قال إبليس: وأنا من الشيء، فنسخها الله، فنزلت: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ إلى آخر الآية.

وأخرج ابن المنذر، وأبو الشيخ، عن ابن جريج[٥]، قال: لما نزلت: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ قال إبليس: أنا من الشيء، قال الله تعالى: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ﴾ قالت اليهود: فنحن نتقي ونؤتي الزكاة، قال الله: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ فعزلها الله عن إبليس وعن اليهود، وجعلها لأمة محمد ﷺ.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وأبو الشيخ، عن قتادة[٦] نحوه.

وأخرج البزار في مسنده، وابن المنذر، وابن مردويه، عن ابن عباس[٧]، قال: سأل موسى ربَّه مسألةً فأعطاها محمداً ﷺ.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٧٨ رقم ٩٠٤٢)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٢٤٣)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٤٨١) بسند صحيح.

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (٢٧٥٣)، وأحمد رقم (٢٣٧٢٠).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» رقم (١٨٧٩٩)، وأبو داود رقم (٤٨٨٥)، والطبراني رقم (١٦٦٧)، والحاكم (١/ ٥٦، ٥٧). وهو حديث ضعيف.

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٥٧٢).
- وأخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٧٩ رقم ٩٠٥٠) عن أبي بكر الهذلي.

(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٥٧٢ ـ ٥٧٣).

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٤٨٤ ـ ٤٨٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٧٩ رقم ٩٠٥١) بسند صحيح.

(٧) أخرجه البزار في «مسنده» رقم (٢٢١٣ ـ كشف).

قوله: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾ إلى قوله: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ فأعطى محمداً كلَّ شيء سأل موسى ربَّه في هذه الآية.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، عنه[١]، في قوله: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ قال: كتبها الله لهذه الأمة.

وأخرج ابن جرير[٢] عنه في الآية قال: يتقون الشركَ.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن النخعي[٣] في قوله: ﴿ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ﴾ قال: كان لا يقرأ ولا يكتب.

وأخرج عبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن قتادة[٤]، في الآية قال: هو نبيكم ﷺ كان أُميّاً لا يكتب.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن قتادة[٥]، في قوله: ﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ﴾ قال: يجدون نعته وأمره ونُبوّته مكتوباً عندهم.

وأخرج ابن سعد، والبخاري، وابن جرير، والبيهقي في «الدلائل»، عن عطاء[٦] بن يسار قال: لقيتُ عبد الله بن عمرو بن العاص، فقلتُ له: أخبرني عن صفة رسول الله ، قال: أَجَلْ، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: «يأيها النبيّ إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً، وحِرْزاً للأميين، أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل، ليس بفظٍ ولا غليظ، ولا صخّاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٤٨٣)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١١/ ٥٠٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٨٠ رقم ٩٠٥٥)، والبزار في «مسنده» رقم (٢٢١٣ ـ كشف)، والحاكم (٢/ ٣٢٢) بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٤٨٧) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٨٢) من طريق مهران بن سفيان، به.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٨١) بسند صحيح.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٤٨٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٨٢) بسند صحيح.

(٦) أخرجه في «الطبقات الكبرى» (١/ ٣٦٢)، وأحمد رقم (٦٦٢٢)، والبخاري رقم (٢١٢٥)، والبيهقي في «الدلائل» (١/ ٣٧٣ ـ ٣٧٤)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٤٩١ ـ ٤٩٢) من طرق.

السيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملّة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويَفتح به أعيناً عُمياً، وآذاناً صُمّاً، وقلوباً غُلْفاً»

وأخرج ابن سعد، والدارمي في «مسنده»، والبيهقي في «الدلائل»، وابن عساكر، عن عبد الله[1] بن سلَام مثله.

وقد روي نحو هذا مع اختلاف في بعض الألفاظ، وزيادة في بعض، ونقص في بعض عن جماعة.

وأخرج ابن المنذر[2]، عن ابن جريج، في قوله: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ قال: الحلال ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ قال: التثقيل الذي كان في دينهم.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «سننه»، عن ابن عباس[3]، في قوله: ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ قال: كلحم الخنزير، والربا، وما كانوا يستحلّونه من المحرّمات من المآكل التي حرمها الله، وفي قوله[4]: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ قال: هو ما كان الله أخذ عليهم من الميثاق فيما حرّم عليهم.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن سعيد بن جبير[5]، في قوله: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ قال: ما غُلِّظ على بني إسرائيل مِنْ قَرْض البول من جلودهم إذا أصابهم ونحوه.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس[6]، في قوله: ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ يعني: عظّموه ووقّروه.

---

(١) أخرجه ابن سعد (١/ ٣٦٠، ٣٦١)، والدارمي (١/ ٥)، والبيهقي في «الدلائل» (١/ ٣٧٦)، وابن عساكر في «تاريخ مدينة دمشق» (٣/ ٣٨٧ ـ ٣٨٨).

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٥٨٢) إلى ابن المنذر والبيهقي في «سننه».

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٤٩٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٨٣) بسند صحيح.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٤٩٤ ـ ٤٩٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٨) بسند صحيح.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٤٩٥) من طريق الحماني، به.

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٤٩٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٨٥) بسند صحيح.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾.

لمّا تقدّم ذكر أوصاف رسول الله ﷺ المكتوبة في التوراة والإنجيل، أمره سبحانه أن يقول هذا القول المقتضي لعموم رسالته إلى الناس جميعاً، لا كما كان غيره من الرسل عليهم السلام، فإنهم كانوا يُبعثون إلى قومهم خاصة، و﴿جَمِيعًا﴾: منصوب على الحال(١)؛ أي: حال كونكم جميعاً، و﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ إما في محل جرّ على الصفة للاسم الشريف، أو منصوب على المدح، أو مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف.

وجملة ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ بدل(٢) مِنْ الصلة مقرِّر لمضمونها مبين لها؛ لأن من ملك السمٰوات والأرض وما فيهما هو الإلٰه على الحقيقة، وهكذا مَنْ كان يُحيي ويُميت هو المستحق لتفردّه بالربوبية ونفي الشركاء عنه.

والأمر بالإيمان بالله وبرسوله متفرع على ما قبله، وقد تقدّم تفسير النبيّ الأميّ، وهما وصفان لرسوله. وكذلك: ﴿ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾ وصف له، والمراد بالكلمات. ما أنزله الله عليه وعلى الأنبياء مِنْ قبله، أو القرآن فقط. وجملة: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ﴾ مقرّرة لجملة ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ﴾، و﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ علة للأمر بالإيمان والاتباع.

وقد أخرج أبو الشيخ، وابن مردويه، [٢/١٥١] عن ابن عباس(٣)، قال: بعث الله محمداً ﷺ إلى الأحمر والأسود فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾.

والأحاديث الصحيحة الكثيرة في هذا المعنى مشهورة، فلا نطيل بذكرها.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن

---

(١) «روح المعاني» (٩/ ٤١٢)، و«البحر المحيط» (٥/ ٢٩٦)، و«تفسير ابي السعود» (٣/ ٢٥٣).
(٢) «البحر المحيط» (٥/ ٢٩٧)، و«روح المعاني» (٩/ ٤١٢).
(٣) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٥٨٤).

قتادة[١] في قوله: ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾ قال: آياته.

وأخرج أبو عبيد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن مجاهد[٢] ﴿وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾ قال: عيسى.

﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمُ اثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ اسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانۢبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَآءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِۦٓ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوٓءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾﴾.

قولُه: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ﴾ لمّا قصَّ الله علينا ما وقع من السامريّ وأصحابه، وما حصل من بني إسرائيل من التزلْزل في الدين، قصَّ علينا سبحانه أن مِنْ قوم موسى أمةً مخالفةً لأولئك الذين تقدّم ذكرهم، ووصفهم بأنهم ﴿يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾؛ أي: يدعون الناس إلى الهداية حال كونهم متلبِّسين بالحق ﴿وَبِهِۦ﴾؛ أي: بالحق ﴿يَعْدِلُونَ﴾ بين الناس في الحكم، وقيل: هم الذين آمنوا بمحمد ﷺ منهم.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٥٠٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٨٧) بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٥٠٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٨٧) من طريق ابن جريج، به.

قوله: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا﴾ الضمير[١] يرجع إلى قوم موسى المتقدّم ذكرهم، لا إلى هؤلاء الأمة منهم الذين يَهدون بالحق وبه يَعْدلون، والمعنى: صيّرناهم قطعاً متفرّقة، وميّزنا بعضَهم مِنْ بعض، وهذا من جملة ما قصه الله علينا مِنْ النعم التي أنعم بها على بني إسرائيل، والمعنى: أنه ميّز[٢] بعضهم من بعض حتى صاروا أسباطاً كلّ سِبْط معروف على انفراده لكل سبط نقيب، كما في قوله تعالى: ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ [المائدة: ١٢] وقد تقدّم.

وقوله: ﴿ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ﴾ هو ثاني[٣] مفعولي ﴿قطّعنا﴾ لتضمنه معنى التصيير.

و﴿أَسْبَاطًا﴾ تمييز له أو بدل منه، و﴿أُمَمًا﴾ نعت للأسباط أو بدل منه، والأسباط جمع[٤] سِبْط: وهو ولدُ الولد، صاروا اثنتي عشرة أمةً من اثني عشر ولداً، وأراد بالأسباط: القبائل، ولهذا أنث العدد، كما في قول الشاعر[٥]:

وإنَّ قريشاً كلَّها عشرُ أبطُنٍ ... وأنت بريءٌ مِنْ قبائلها العشرِ

أراد بالبطن: القبيلةَ، وقد تقدّم تحقيق معنى الأسباط في البقرة.

وروى المفضّل عن عاصم أنه قرأ «قَطَعناهم»[٦] مخففاً، وسماهم أمماً؛ لأن كل سِبْط كان جماعة كثيرة العدد، وكانوا مختلفي الآراء يؤمّ بعضهم غير ما يؤمه الآخر.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ﴾؛ أي: وقت استسقائهم له لما أصابهم العطشُ في التيه ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾ تفسير لفعل الإيحاء ﴿فَٱنۢبَجَسَتْ﴾ عطف على مقدّر يدل عليه السياق؛ أي: فضرب فانبجست، والانبجاس: الانفجارُ؛ أي: فانفَجرت ﴿مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ بعدد الأسباط، لكل

---

(١) «روح المعاني» (٩/ ٤٢٢).
(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٣٥٩).
(٣) «البحر المحيط» (٥/ ١٩٩).
(٤) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٣٩٤)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٩٧).
(٥) هو: النواح الكلابي. «شرح الشواهد الكبرى» للعين (٤/ ٤٨٤ ـ هامش (خزانة الأدب)، وانظر: «الكتاب» (٣/ ٥٦٥).
(٦) «القراءات الشاذة» (ص٤٦)، و«البَحْر المحيط» (٥/ ١٩٨)، و«روح المعاني» (٩/ ٤٢٢).
● قرأ أبان بن تغلب وشيبان كلاهما عَنْ عاصم، وكذا أبو بكر وابن جبير عن حفص عنه وعن عاصم، وأبو حيوة وابن أبي عَبْلة: «قَطَعناهم» بالتخفيف. وهي رواية شاذة عن عاصم، والمتواتر عنه كالجمهور (قطّعناهم).

سِبْط عينٌ يشربون منها ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾؛ أي: كل سبط منهم العين المختصة به التي يشرب منها، وقد تقدّم في البقرة ما فيه كفاية مُغْنية عن الإعادة.

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ﴾؛ أي: جعلناه ظللاً عليهم في التِّيه، يسير بسيرهم، ويقيم بإقامتهم ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ﴾؛ أي: الترنجبين والسُّمّاني كما تقدّم تحقيقه في البقرة.

﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾؛ أي: وقلنا لهم: كلوا من المستلذّات التي رزقناكم ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ بما وقع منهم مِنْ المخالفة، وكفران النعم وعدم تقديرها حق قدرها ﴿وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾؛ أي: كان ظلمهم مختصاً بهم مقصوراً عليهم، لا يجاوزهم إلى غيرهم. ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ﴾؛ أي: واذكر وقتَ قيل لهم هذا القول وهو: ﴿اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ﴾؛ أي: «بيت المقدس» أو «أريحاء»، وقيل: غير ذلك مما تقدم بيانه.

﴿وَكُلُوا مِنْهَا﴾؛ أي: من المأكولات الموجودة فيها ﴿حَيْثُ شِئْتُمْ﴾؛ أي: في أيّ مكان شئتم مِنْ أمكنتها، لا مانعَ لكم مِنْ الأكل فيه ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ قد تقدم تفسيرها في البقرة. ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ﴾؛ أي: باب القرية المتقدمة حال كونكم ﴿سُجَّدًا﴾ أُمروا بأن يجمعوا بين قولهم حطة، وبين الدخول ساجدين، فلا يقال: كيف قدّم الأمر بالقول هنا على الدخول وأخّره في البقرة؟ وقد تقدّم بيان معنى السجود الذي أمروا به.

﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ﴾ جواب الأمر، وقُرئ «خطيئتكم»، ثم وعدهم بقوله: ﴿سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾؛ أي: سنزيدهم على المغفرة للخطايا بما يتفضل به عليهم من النعم، والجملة استئنافية جواب سؤال مقدّر كأنه قيل: فماذا لهم بعد المغفرة؟

﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ قد تقدّم بيان ذلك في البقرة ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾؛ أي: عذاباً كائناً منها ﴿بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾؛ أي: بسبب ظلمهم.

قوله: ﴿وَسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ معطوف على عامل إذْ المقدّر؛ أي: اذكر إذْ قيل لهم واسألهم، وهذا سؤال تقريع[1] وتَوبيخٌ، والمراد

---

(١) «تفسير أبي السعود» (٣/ ٢٥٧)، و«البحر المحيط» (٥/ ٢٠٢).

مِنْ سؤال القرية: سؤال أهلها؛ أي: اسألهم عن هذا الحادث الذي حدث لهم فيها المخالف لما أمرهم الله به. وفي ضمن هذا السؤال(١) فائدة جليلة، وهي تعريف اليهود بأن ذلك مما يعلمه رسولُ الله ، وأن اطلاعه لا يكون إلا بإخبار له من الله سبحانه، فيكون دليلاً على صدقه.

واختلف أهل التفسير(٢) في هذه القرية: أيّ قرية هي؟

فقيل: أَيْلة، وقيل: طَبَرية، وقيل: مَدْين، وقيل: إيليا، وقيل: قرية مِنْ قرى ساحل الشام التي كانت حاضرة البحر؛ أي: التي كانت بقرب البحر، يقال: كنت بحضرة الدار؛ أي: بقربها.

والمعنى: سَلْ يا محمدُ هؤلاء اليهود الموجودين عن قصة أهل القرية المذكورة. قُرئ(٣): «واسألهم» وقرئ(٤): «سَلْهم» ﴿إِذْ يَعْدُونَ﴾؛ أي: وقت يعدون، وهو ظرف لمحذوف دلّ عليه الكلام؛ [٢/١٥٢] لأن السؤال هو عن حالهم وقصتهم وقت يعدون.

وقيل: إنه ظرف ﴿كَانَتْ﴾ أو لـ﴿حَاضِرَةَ﴾.

وقرئ: «يُعِدّون» بضم(٥) الياء وكسر العين وتشديد الدال مِنْ الإعداد(٦) للآلة.

وقرأ الجمهور(٧): «يَعْدُون» بفتح الياء وسكون العين وضم الدال مخففة؛ أي:

---

(١) ذكره الألوسي في «روح المعاني» (٩/٤٢٧)، وأبو السعود في «تفسيره» (٣/٢٥٧).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/٣٦٢)، و«جامع البيان» (١٠/٥٠٧ ـ ٥٠٩)، و«المحرر الوجيز» (٧/١٨٦).

(٣) «البحر المحيط» (٥/٢٠٢)، و«النشر» (١/٤١٤).

(٤) «النشر» (١/٤١٤)، و«الكشاف» (٢/٥٢٣). وهما قراءتان متواترتان، فحذف الهمزة ونقل حركة السين (سَلْهم) عن ابن كثير والكسائي وخلف وحمزة إذا وقف، و(أسألهم) عن الباقين «تخريج القراءات في فتح القدير» (ص١٤٢).

(٥) قرأ بها أبو نهيك.
«الجامع لأحكام القرآن» (٩/٣٦٢)، و«البحر المحيط» (٥/٢٠٣)، و«القراءات الشاذة» (ص٤٦ ـ ٤٧)، و«المحتسب» (١/٢٦٤).

(٦) فقد كانوا يُعدون آلات الصيد يوم السبت وهم مأمورون بألا يشتغلوا فيه بغير العبادة.

(٧) «البحر المحيط» (٥/٢٠٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٩/٣٦٣)، و«روح المعاني» (٩/٤٢٨).

يتجاوزون حدود الله بالصيد يوم السبت الذي نُهوا عن الاصطياد فيه، وقرئ[١]: «يَعَدّون» بفتح الياء والعين وضم الدال مشدّدة بمعنى: يعتدون، أدغمت التاء في الدال.

والسبت: هو اليوم المعروف وأصله السكون، يقال: سَبَت: إذا سكن، وسبت اليهود: تركوا العمل في سبتهم، والجمع أَسْبُت، وسُبُوت، وأَسبات، وقرأ ابن السَّمَيْفَع في «الأسبات»[٢] على الجمع ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ﴾ ظرف لـ﴿يَعْدُونَ﴾.

والحيتان: جمع حُوت، وأضيفت إليهم لمزيد اختصاص لهم بما كان منها على هذه الصفة مِنْ الإتيان يوم السبت دون ما عداه، و﴿يَوْمَ سَبْتِهِمْ﴾ ظرف[٣] لـ﴿تَأْتِيهِمْ﴾.

وقرئ «يوم إسباتهم»[٤]. و﴿شُرَّعًا﴾ حال، وهو جمع شارع؛ أي: ظاهرة على الماء، وقيل: رافعة رؤوسها، وقيل: إنها كانت تشرع على أبوابهم كالكباش البيض[٥].

قال في «الكشاف»[٦]: يقال: شرع علينا فلان إذا دنى مِنَّا وأشرف علينا، وشرعت على فلان في بيته فرأيته يفعل كذا انتهى.

﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾؛ أي: لا يفعلون السبتَ، وذلك عند خروج يوم السبت لا تأتيهم الحيتان، كما كانت تأتيهم في يوم السبت.

﴿كَذَلِكَ نَبْلُوهُم﴾؛ أي: مثل ذلك البلاء العظيم نبلوهم بسبب فسقهم، والابتلاء: الامتحانُ والاختبار، ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ﴾ معطوف على ﴿إِذْ يَعْدُونَ﴾ معمول لعامله داخل في حكمه.

والأمة: الجماعةُ؛ أي: قالت جماعة مِنْ صلحاء[٧] أهل القرية لآخرين ممن

---

(١) «البحر المحيط» (٥/ ٢٠٣)، و«روح المعاني» (٩/ ٤٢٨).
(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/ ٣٦٣).
(٣) «التبيان» (١/ ٦٠٠)، و«البحر المحيط» (٥/ ٢٠٤).
(٤) «القراءات الشاذة» (ص٤٧)، و«البحر المحيط» (٥/ ٢٠٤). وهي قراءة شاذة مخالفة للرسم.
(٥) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٥٢٤) عن الحسن. وانظر: «النكت والعيون» (٢/ ٢٧٢).
(٦) (٢/ ٥٢٤).
(٧) «جامع البيان» (١٠/ ٥١٤ ـ ٥١٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٣٦٥)، و«معالم التنزيل» (٢/ ٢٠٨).

كان يجتهد في وعظ المتعدّين في السبت حين أيسوا من قبولهم للموعظة، وإقلاعهم عن المعصية: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾؛ أي: مستأصل لهم بالعقوبة ﴿أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ بما انتهكوا مِنْ الحرمة، وفعلوا من المعصية.

وقيل: إنّ الجماعة(١) القائلة: لم تعظون قوماً؟ هم العصاةُ الفاعلون للصيد في يوم السبت، قالوا ذلك للواعظين لهم حين وعظوهم.

والمعنى: إذا علمتم أن الله مهلكنا كما تزعمون فلِمَ تعظوننا؟

﴿قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾؛ أي: قال الواعظون للجماعة القائلين لهم: لم تعظونَ، وهم طائفة مِنْ صلحاء القرية على الوجه الأوّل، أو الفاعلون على الوجه الثاني.

﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ قرأ عيسى بن عُمر وطلحة بن مصرّف ﴿مَعْذِرَةً﴾ بالنصب(٢)، وهي قراءة حفص عَنْ عاصم، وقرأ الباقون بالرفع(٣).

قال الكسائي(٤): ونصبه على وجهين. أحدهما: على المصدر، والثاني: على تقدير فعلنا ذلك معذرةً؛ أي: لأجل المعذرة.

والرفع على تقدير مبتدأ؛ أي: موعظتنا معذرةٌ إلى الله حتى لا يؤاخذنا بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللذين أوجبهما علينا، ولرجاء أن يتعظوا فيتقوا ويقلعوا عما هم فيه من المعصية.

قال جمهور(٥) المفسرين: إن بني إسرائيل افترقت ثلاث فرق: فرقة عصت وصادت وكانت نحو سبعين ألفاً، وفرقة اعتزلت فلم تنه ولم تعص، وفرقة اعتزلت ونهت ولم تعص.

فقالت الطائفة التي لم تنه ولم تعص للفرقة الناهية: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا﴾ يريدون الفرقة العاصية ﴿ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ﴾ قالوا ذلك على غلبة الظنّ لما جرت به عادة الله من إهلاك العصاة أو تعذيبهم من دون استئصال بالهلاك.

---

(١) انظر: المصادر المتقدمة.

(٢) «جامع البيان» (١٠/ ٥١٢)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٨٢)، و«النشر» (٢/ ٢٧٢)، و«حاشية الجمل» (٢/ ٢١٣)، و«التيسير» (ص١١٤).

(٣) انظر: المصادر المتقدمة.

(٤) ذكره النحاس في «تفسيره» (٢/ ١٥٧).

(٥) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٣٦٥)، و«جامع البيان» (١٠/ ٥١١ ـ ٥١٢).

فقالت الناهية: موعظتنا معذرةٌ إلى الله ولعلَّهم يتقون. ولو كانوا فرقتين فقط ناهية غير عاصية، وعاصية لقال: لعلكم تتقون.

قولُه: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ﴾؛ أي: لما ترك العصاة من أهل القرية ما ذكّرهم به الصالحون الناهون عن المنكر، تَرْكُ الناسي للشيء المُعرِض عنه كلية الإعراض ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾؛ أي: الذين فعلوا النهي، ولم يتركوه ﴿وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ وهم العصاة المعتدون في السبت ﴿بِعَذَابِۭ بَـِٔيسٍۭ﴾؛ أي: شديد مِنْ بؤسَ الشيء يَبْؤس بأساً إذا اشتدَّ، وفيه إحدى عشرة قراءة للسبعة وغيرهم ﴿بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾؛ أي: بسبب فسقهم، والجار والمجرور متعلق بأخذنا ﴿فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ﴾؛ أي: تجاوزوا الحدّ في معصية[1] الله سبحانه تمرّداً وتكبراً.

﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً﴾؛ أي: أمرناهم أمراً كونيّاً لا أمراً قوليّاً؛ أي: مسخناهم قردةً، قيل: إنه سبحانه عذّبهم أوّلاً بسبب المعصية، فلما لم يقلعوا مسخهم قردة.

وقيل[2]: إن قوله: ﴿فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ﴾ تكرير لقوله: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ﴾ للتأكيد والتقرير، وأن المسخ هو العذاب البئيس، والخاسئ: الصاغرُ الذليلُ أو المباعد المطرود، يقال: خَسَأته فخسئ؛ أي: باعدُته فتباعد.

واعلم أن ظاهر النظم القرآني هو أنّه لم ينج من العذاب إلا الفرقة الناهية التي لم تعص لقوله: ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾ وأنّه لم يعذب بالمسخ إلا الطائفة العاصية لقوله: ﴿فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ﴾ فإن كانت الطوائف منهم ثلاثاً كما تقدّم، فالطائفة التي لم تَنه ولم تعصِ يحتمل أنها ممسوخة مع الطائفة العاصية؛ لأنَّها قد ظلمت نفسها بالسكوت عن النهي، وعتت عما نهاها الله عنه مِن ترك النهي عن المنكر.

ويحتمل أنّها لم تمسخ؛ لأنها وإن كانت ظالمة لنفسها عاتية عن أمر ربها ونهيه لكنها لم تظلم نفسها بهذه المعصية الخاصة، وهي صيد الحوت في يوم السبت، ولا عتت عن نهيه لها عن الصيد.

وأما إذا كانت الطائفة الثالثة ناهية كالطائفة الثانية، وإنما جعلت طائفة مستقلة

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٣٦٩). (٢) «المحرر الوجيز» (٧/ ١٨٨ ـ ١٩٠).

لكونها قد جرت المقاولة بينها وبين الطائفة الأخرى[1] من الناهين المعتزلين، فهما في الحقيقة طائفة واحدة لاجتماعهما في النهي والاعتزال والنجاة من المسخ.

وقد أخرج الفريابي، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس[2]، قال: قال موسى: يا ربّ أجد أمةً أناجيلهم في قلوبهم، قال: تلك أمة تكون بعدك أمة أحمد، قال: يا ربِّ أجد أمةً [٢/١٥٣] يُصلّون الخمس تكون كفارات لما بينهنّ، قال: تلك أمة تكون بعدك: أمة أحمد، قال: يا ربّ أجد أمةً يعطون صدقات أموالهم ثم ترجع فيهم، فيأكلون، قال: تلك أمة بعدك، أمة أحمد، قال: يا ربّ اجعلني من أمة أحمد، فأنزل الله كهيئة المرضاة لموسى ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وأبو الشيخ، عن ابن جريج[3]، في قوله: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ﴾ الآية، قال: بلغني أن بني إسرائيل لما قتلوا أنبياءهم، وكفروا وكانوا اثني عشر سِبْطاً، تبرأ سبط منهم ممّا صنعوا، واعتذروا، وسألوا الله أن يفرق بينهم وبينهم، ففتح الله لهم نفقاً في الأرض، فساروا فيه حتى خرجوا من وراء الصين فهم هنالك حنفاء مسلمين، يستقبلون قبلتنا. قال ابنُ جريج: قال ابن عباس: فذلك قوله: ﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ [الإسراء: ١٠٤] ووعد الآخرة عيسى ابن مريم، قال ابن عباس: ساروا في السَّرَب سنة ونصفاً.

أقول: ومثل هذا الخبر[4] العجيب والنبأ الغريب محتاج إلى تصحيح النقل.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن عليّ بن أبي طالب[5]، قال: افترقت بنو إسرائيل بعد موسى إحدى وسبعين فرقة، كلها في النار إلا فرقة. وافترقت النصارى بعد عيسى على اثنتين وسبعين فرقة، كلها في النار إلا فرقة، ولتفترقن هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا فرقة، فأما اليهود فإن الله يقول: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ

---

(١) «البحر المحيط» (٥/٢٠٧ ـ ٢٠٩)، و«المحرر الوجيز» (٧/١٩١ ـ ١٩٢).
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/١٥٨٧) بسند حسن.
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/٥٠١ ـ ٥٠٢) عن ابن جريج بلاغاً، وفيه: الحسين وهو ابن داود، وهو ضعيف.
(٤) قال ابن كثير في «تفسيره» (٦/٤٢١): «وقد ذكر ابن جرير في تفسيرها خبراً عجيباً».
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/١٥٨٧ ـ ١٥٨٨) من طريق أبي معاوية البجلي، به.

أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ فهذه التي تنجو، وأما النصارى فإن الله يقول: ﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾ [المائدة: ٦٦] فهذه التي تنجو، وأما نحن فيقول: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١] فهذه التي تنجو من هذه الأمة.

وقد قدّمنا أن زيادة «كلها في النار» لم تصح لا مرفوعة ولا موقوفة.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن ابن عباس[١]، في قوله: ﴿فَانۢبَجَسَتْ﴾ قال: فانفرجت.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن عكرمة[٢] قال: دخلت على ابن عباس، وهو يقرأ هذه الآية: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ قال: يا عكرمة هل تدري أيّ قرية هذه؟ قلت: لا، قال: هي أَيْلة.

وأخرج ابن أبي حاتم[٣]، عن الزهري قال: هي طَبَرية.

وأخرج أبو الشيخ[٤]، عن ابن عباس، في قله: ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِى السَّبْتِ﴾ قال: يظلمون.

وأخرج ابن جرير[٥]، عنه، في قوله: ﴿شُرَّعًا﴾ يقول: مِنْ كل مكان.

وأخرج ابن جرير[٦]، عنه، أيضاً قال: ظاهرة على الماء.

وأخرج ابن المنذر[٧]، عنه، قال: واردة.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عنه[٨]، في الآية قال: هي قرية على شاطئ البحر بين مصر والمدينة، يقال لها: أَيْلة، فحرّم الله عليهم الحيتان

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٨٩) بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٥٠٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٩٧) بسند ضعيف.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٩٧) من طريق حيوة بن شريح، به.

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٥٨٧).

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٥١٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٠١) بسند ضعيف.

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٥٠٩ ـ ٥١٠) بسند ضعيف.

(٧) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٥٨٧).

(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٥١٢ ـ ٥١٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٩٩، ١٦٠٢) بسند صحيح.

يوم سبتهم، فكانت تأتيهم يوم سبتهم شُرّعاً في ساحل البحر، فإذا مضى يوم السبت لم يقدروا عليها، فمكثوا كذلك ما شاء الله، ثم إنّ طائفة منهم أخذوا الحيتان يوم سبتهم، فنهتهم طائفة فلم يزدادوا إلا غياً، فقالت طائفة من النُّهاة يعلمون أن هؤلاء قوم حق عليهم العذاب: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ وكانوا أشدّ غضباً من الطائفة الأخرى، وكل قد كانوا ينهون، فلما وقع عليهم غضبُ الله نجت الطائفتان اللّتان قالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ﴾ والذين قالوا: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ وأهلك الله أهل معصيته الذين أخذوا الحيتان فجعلهم قردةً.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ(١)، عنه، أنّهم ثلاث فرق: فرقة العصاة، وفرقة الناهين، وفرقة القائلين: لِمَ تعظون؛ فما نجا إلا الذين نهوا وهلك سائرهم، فأصبح الذين نَهوا ذات غداة في مجالسهم يتفقدون الناس لا يرونهم، وقد باتوا من ليلتهم وغلقوا عليهم دورهم، فجعلوا يقولون: إن للناس لشأناً فانظروا ما شأنهم؟ فاطّلعوا في دورهم، فإذا القوم قد مُسخوا يعرفون الرجل بعينه، وإنّه لقرد، والمرأة بعينها وإنها لقردة.

وأخرج عبد الرزاق، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «سننه»، عن عكرمة، عن ابن عباس(٢)، فذكر القصة، وفي آخرها أنه قال: فأرى الذين نهوا قد نجوا ولا أرى الآخرين ذكروا، ونحن نرى أشياء ننكرها ولا نقول فيها. قال عكرمة: فقلت: جعلني الله فداك ألَا ترى أنهم قد كرهوا ما هم عليه وخالفوهم. وقالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ قال: فأمر بي فَكُسيتُ ثوبين غليظين.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٥٢٠ ـ ٥٢١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٩٨، ١٥٩٩، ١٦٠٠، ١٦٠١) بسند ضعيف؛ لضعف داود بن الحصين، وفيه عنعنة ابن إسحاق، ولكنه صرح به عند ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٠٠).

قال ابن كثير في «تفسيره» (٦/ ٤٢٨): «وهذا إسناد جيد عن ابن عباس، ولكن رجوعه إلى قول عكرمة في نجاة الساكتين أولى من القول بهذا؛ لأنَّه تبين حالهم بعد ذلك، والله أعلم.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٢٤)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٥١٥ ـ ٥١٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٩٨، ١٦٠٠، ١٦٠١) بسند ضعيف من طريق ابن جريج، عن رجل، عن عكرمة.

الشيخ، عن ابن عباس[(١)]، أيضاً قال: نجا الناهون وهلك الفاعلون، ولا أدري ما صنع بالساكتين.

وأخرج عبد بن حميد، وأبو الشيخ، عنه[(٢)] قال: والله لأن أكون علمتُ أن القوم الذين قالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا﴾ نجوا مع الذين نَهوا عن السوء أحبُّ إلي مما عُدِل به. وفي لفظ: مِنْ حُمْر النعم، ولكن أخاف أن تكون العقوبة نزلت بهم جميعاً.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، عَنْ عكرمة[(٣)]، قال: قال ابن عباس: ما أدري أنجا الذين قالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ أم لا؟ قال: فما زلت أُبصّره حتى عرفَ أَنَّهم قد نجوا فكساني حلة.

وأخرج عبد بن حميد[(٤)]، عن ليث بن أبي سليم، قال: مسخوا حجارة الذين قالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾.

وأخرج عبد الرزاق، وابن جرير، عن ابن عباس[(٥)] في قوله: ﴿بِعَذَابٍ بَـِٔيسٍ﴾ قال: أليم وجيع.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾.

[تكملة لقصة بني إسرائيل من بعد موسى]:

قوله: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ معطوف على ما قبله؛ أي: واسألهم وقت تأذن

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٥٢١) بسند حسن.

(٢) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٥٩٠).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٥١٩) بسند ضعيف.

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٥٩٠).

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٥٢٧ ـ ٥٢٨)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٢٤٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٠٢) بسند ضعيف.

ربك، وتأذّن: تَفعّل مِنْ الإيذان، وهو الإعلام، قال أبو علي[١] الفارسي: آذنَ بالمد أعلم، وأذّن بالتشديد نادى.

وقال قوم: كلاهما بمعنى: أعلم، كما يقال: أَيقن وتيقن، والمعنى في الآية: واسألهم وقتَ أن وقع الإعلام لهم من ربك ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ قيل: وفي هذا الفعل معنى[٢] القَسم كعلمَ اللهُ. وشَهِدَ اللهُ، ولذلك أجيب بما يجاب به القسم، حيث قال: ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: ليرسلنّ عليهم، ويسلطن كقوله: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [الإسراء: ٥] ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ غاية لسومهم سوء العذاب ممن يبعثه الله عليهم، وقد كانوا أقمأهم الله هكذا أذلّاء مستضعفين مُعذّبين بأيدي أهل الملل.

وهكذا هم في هذه الملة الإسلامية، في كل قُطْر مِنْ أقطار الأرض، في الذلة المضروبة عليهم والعذاب والصّغَار، يُسلّمون الجزية بحقن دمائهم، ويمتهنهم المسلمون فيما فيه ذلة مِنْ الأعمال التي يتنزه عنها [٢/١٥٤] غيرهم مِنْ طوائف الكفار.

ومعنى ﴿يَسُومُهُمْ﴾: يُذيقهم، وقد تقدّم بيان أصل معناه، ثم علّل ذلك بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ يُعاجل به في الدنيا كما وقع لهؤلاء ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾؛ أي: كثير الغفران والرحمة.

﴿وَقَطَّعْنَـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: فرّقناهم في جوانبها، أو شتّتنا أمرَهم، فلم تجتمع[٣] لهم كلمة، و﴿أُمَمًا﴾ منتصب[٤] على الحال، أو مفعول ثانٍ لقطّعنا على تضمينه معنى صَيّرنا، وجملة: ﴿مِّنْهُمُ ٱلصَّـٰلِحُونَ﴾ بدل مِنْ «أمماً».

قيل[٥]: هم الذين آمنوا بمحمد ﷺ، ومَنْ مات قبل البعثة المحمدية غير مبدّل.

وقيل: هم الذين سكنوا وراء الصين كما تقدّم بيانه قبل هذا ﴿وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: دون هذا الوصف الذي اتصفت به الطائفة الأولى وهو الصلاح.

(١) «الحجة للقراء السبعة» (٢/٤٠٤، ٤١٠).

(٢) «البحر المحيط» (٥/٢٠٦)، و«روح المعاني» (٩/٤٣٧).

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/٢٧٠)، و«معالم التنزيل» (٢/٢٠٩).

(٤) «التبيان» (١/٦٠٢)، و«روح المعاني» (٩/٤٣٨).

(٥) «التبيان» (١/٦٠٢)، و«البحر المحيط» (٥/٢١٠)، و«روح المعاني» (٩/٤٣٨ ـ ٤٣٩).

ومحل ﴿دُونَ ذَٰلِكَ﴾ الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف، والتقدير: ومنهم أناس دون ذلك، والمراد بهؤلاء: هم مَنْ لم يؤمن؛ بل انهمك في المخالفة لما أمره الله به.

قال النحاس[١]: ﴿دُونَ﴾ منصوب على الظرف ولا نعلم أحداً رفعه.

﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾؛ أي: امتحناهم بالخير والشرّ رجاءَ أَنْ يرجعوا مما هم فيه من الكفر والمعاصي ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ المراد بهم: أولاد الذين قطّعهم الله في الأرض.

قال أبو حاتم[٢]: الخَلْف بسكون اللام: الأولاد، الواحد والجمع سواء. والخَلَف بفتح اللام البدل ولداً كان أو غيره.

وقال ابن الأعرابي[٣]: الخلَف بالفتح: الصالح، وبالسكون: الطالح. قال لبيد[٤]:

ذهب الذين يُعاش في أكنافهم   وبقِيتُ في خَلْف كجلد الأجربِ

ومنه قيل للرديء من الكلام: خلْفٌ بالسكون، وقد يستعمل كل واحد منهما موضع الآخر، ومنه قول حسّان[٥] بن ثابت:

لنا القدَمُ الأولى إليك وخَلْفُنا   لِأوّلنا في طاعة اللّه تابعُ

﴿وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾؛ أي: التوراة من أسلافهم يقرءونها ولا يعملون بها ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾ أخبر الله عنهم بأنهم يأخذون ما يَعرِض لهم مِنْ متاع الدنيا لشدّة حرصهم وقوّة نهَمتهم.

والأدنى: مأخوذ مِنْ الدنوّ، وهو القُرْب؛ أي: يأخذون عرض هذا الشيء الأدنى، وهو الدُّنيا[٦] يتعجلون مصالحها بالرُّشاء وما هو مجعول لهم مِنْ السُّحت في مقابلة تحريفهم لكلمات الله، وتهوينهم للعمل بأحكام التوراة، وكتمهم لما يكتمونه منها.

وقيل: إن الأدنى مأخوذ مِنْ الدناءة والسقوط؛ أي: إنهم يأخذون عرض

---

(١) في «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٦٠).   (٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/ ٣٧١).
(٣) انظر: «لسان العرب» (٩/ ٨٨).
(٤) انظر: «ديوان لبيد بن ربيعة العامري» (ص١٥٣).
(٥) انظر: «ديوان حسان بن ثابت» (ص١٤٨).
(٦) «معاني القرآن» للنحاس (٣/ ١٠٠)، و«جامع البيان» (١٠/ ٥٣٦).

الشيء الدنيء الساقط ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾؛ أي: يُعلّلون أنفسهم بالمغفرة مع تماديهم في الضلالة، وعدم رجوعهم إلى الحق.

وجملة: ﴿يَأْخُذُونَ﴾ يحتمل أن تكون مستأنفة لبيان حالهم، أو في محل نصب[(١)] على الحال، وجملة: ﴿وَيَقُولُونَ﴾ معطوفة عليها، والمراد بهذا الكلام: التقريع[(٢)] والتوبيخ لهم.

وجملة: ﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ﴾ في محل نصب[(٣)] على الحال؛ أي: يتعلّلون بالمغفرة، والحال أنّهم إذا أتاهم عَرَضٌ مثل العرض الذي كانوا يأخذونه أخذوه غير مُبالين بالعقوبة، ولا خائفين من التبعة.

وقيل: الضمير في ﴿يَأْتِهِمْ﴾ ليهود المدينة؛ أي: وإن يأت هؤلاء اليهود الذين هم في عصر محمد ﷺ عَرَض مثل العرض الذي كان يأخذه أسلافهم، أخذوه كما أخذه أسلافُهم. ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ﴾؛ أي: التوراة ﴿أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ والاستفهام للتقريع[(٤)] والتوبيخ.

وجملة ﴿وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾ معطوفة على ﴿يُؤْخَذْ﴾ على المعنى، وقيل: على ﴿وَرِثُوا الْكِتَابَ﴾، والأولى أن تكون في محل نصب[(٥)] على الحال بتقدير قد.

والمعنى: أنهم تركوا العمل بالميثاق المأخوذ عليهم في الكتاب، والحال: أن قد درسوا ما في الكتاب، وعلموه، فكان الترك منهم عن علم لا عن جهل، وذلك أشدّ ذنباً وأعظم جرماً.

وقيل: معنى ﴿وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾؛ أي: محوه بترك العمل به والفهم له، من قولهم: دَرَستِ[(٦)] الريحُ الآثارَ: إذا محتها ﴿وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ﴾ مِنْ ذلك العَرَض الذي أخذوه وآثروه عليها ﴿لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الله، ويَجتنبون معاصيه ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾

---

(١) «الإملاء» (٣/ ٧٨)، و«التبيان» (١/ ٦٠٢).

(٢) «البحر المحيط» (٥/ ٢١١)، و«روح المعاني» (٩/ ٤٤٠ ـ ٤٤١).

(٣) «التبيان» (١/ ٦٠٢).

(٤) «روح المعاني» (٩/ ٤٤٤)، و«تفسير أبي السعود» (٣/ ٢٦١).

(٥) ذكره العكبري في «التبيان» (١/ ٦٠٢)، والألوسي في «روح المعاني» (٩/ ٤٤١).

(٦) «تهذيب اللغة» (١٢/ ٣٥٩)، و«الصحاح» (٣/ ٩٢٧ ـ ٩٢٨)، و«مفردات ألفاظ القرآن» (ص٣١١).

فتعلمون بهذا وتفهمونه، وفي[١] هذا من التوبيخ[٢] والتقريع ما لا يُقَادر قدره.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ﴾ قرأ الجمهور: «يُمسّكون» بالتشديد[٣] من مسّك وتمسّك؛ أي: استمسك بالكتاب، وهو التوراة.

وقرأ أبو العالية، وعاصم، في رواية أبي بكر، بالتخفيف[٤] من أمسك يمسك.

وروي عن أُبيّ بن كعب أنه[٥] قرأ: «مَسّكوا».

والمعنى: أن طائفة من أهل الكتاب لا يتمسكون بالكتاب، ولا يعملون بما فيه مع كونهم قد دَرسوه وعرفوه وهم مَنْ تقدّم ذكره، وطائفة يتمسكون بالكتاب؛ أي: التوراة، ويعملون بما فيه، ويرجعون إليه في أمر دينهم، فهم المُحْسنون الذين لا يضيع أجرهم عند الله، والموصول مبتدأ.

و﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ خبره؛ أي: لا نضيع أجر[٦] المصلحين منهم، وإنما وقع التنصيص على الصلاة مع كونها داخلة في سائر العبادات التي يفعلها المتمسكون بالتوراة؛ لأنها رأسُ العبادات وأعظمها، فكان ذلك وجهاً لتخصيصها بالذكر.

وقيل: لأنها تُقام في أوقات مخصوصة، والتمسّك بالكتاب مستمرّ فذكرت لهذا، وفيه نظرٌ؛ فإن كل عبادة في الغالب تختصّ بوقت معين، ويجوز أن يكون الموصول معطوفاً على الموصول الذي قبله، وهو للذين يتقون، وتكون ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ جملة معترضة.

وقد أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، عن ابن عباس[٧]، في قوله: ﴿يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ قال: محمد وأمته، إلى يوم القيامة؛ وسوء العذاب: الجزية.

---

(١) «روح المعاني» (٩/ ٤٤٤)، و«تفسير أبي السعود» (٣/ ٢٦١).

(٢) أي: في هذا الالتفات تشديد للتوبيخ.

(٣) «النشر» (٢/ ٢٧٣)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٨٢)، و«جامع البيان» (١٠/ ٥٤١)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٦٠).

(٤) انظر: المصادر المتقدمة. هما قراءتان متواترتان.

(٥) «الكشاف» (٢/ ٥٢٨)، و«التبيان» (١/ ٦٩٣)، و«روح المعاني» (٩/ ٤٤٥). هي قراءة شاذة مخالفة للرسم.

(٦) «جامع البيان» (١٠/ ٥٤٢).

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٥٣٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٠٤) بسند صحيح.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عنه[١]، قال: ﴿سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِۗ﴾: الخراج، وفي قوله[٢]: ﴿وَقَطَّعۡنَٰهُمۡ﴾ قال: هم اليهود بسطهم الله في الأرض فليس منها بقعة إلا وفيها عصابة منهم وطائفة.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، في قوله[٣]: ﴿لَيَبۡعَثَنَّ عَلَيۡهِمۡ﴾ قال: على اليهود والنصارى ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِۚ﴾ فبعث الله عليهم أمة محمد ﷺ، يأخذون منهم الجزية وهم صاغرون ﴿وَقَطَّعۡنَٰهُمۡ [٢/١٥٥] فِي ٱلۡأَرۡضِ أُمَمٗاۖ﴾ قال: يهود ﴿مِّنۡهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ وهم مسلمةُ أهل الكتاب ﴿وَمِنۡهُمۡ دُونَ ذَٰلِكَۖ﴾ قال: اليهود ﴿وَبَلَوۡنَٰهُم بِٱلۡحَسَنَٰتِ﴾ قال: الرخاء والعافية ﴿وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ قال: البلاء والعقوبة.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن ابن عباس[٤]: ﴿وَبَلَوۡنَٰهُم بِٱلۡحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ بالخِصْب والجَدْبِ.

وأخرج أبو الشيخ[٥]، عنه، أنه سئل عن هذه الآية ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ﴾ قال: أقوام يُقبلون على الدنيا، فيأكلونها ويتّبعون رُخَصَ القرآن ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا﴾ ولا يَعرِض لهم شيء من الدنيا إلا أخذوه.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن مجاهد[٦] في قوله: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ﴾ قال: النصارى ﴿يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ﴾ قال: ما أشرَفَ لهم مِنْ شيء من الدنيا حلالاً أو حراماً يشتهونه أخذوه، ويتمنَّون المغفرة، وإنْ يجدوا الغَدَ مثله يأخذوه.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٠٤) بسند ضعيف.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٠٥) بسند ضعيف.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٥٣١، ٥٣٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٠٣، ١٦٠٦) عن مجاهدٍ بسند صحيح.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٠٦) بسند ضعيف.

(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٥٩٣).

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٥٣٥، ٥٣٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٠٧) بسند صحيح.

وأخرج ابن جرير[(١)]، عن ابن عباس ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ﴾ الآية يقول: يأخذون ما أصابوا، ويتركون ما شاءوا من حلال أو حرام ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا﴾.

وأخرج أبو الشيخ[(٢)]، عن ابن عباس، في قوله: ﴿أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ﴾ فيما يوجبون على الله من غفران ذنوبهم التي لا يزالون يعودون إليها، ولا يتوبون منها.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن أبي زيد[(٣)]، في قوله: ﴿وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ﴾ قال: علموا ما في الكتاب لم يأتوه بجهالةٍ.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن الحسن[(٤)]، في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ﴾ قال: هي لأهل الإيمان منهم.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عَنْ مجاهد[(٥)] في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ﴾ قال: من اليهود والنصارى.

﴿وَإِذۡ نَتَقۡنَا ٱلۡجَبَلَ فَوۡقَهُمۡ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٞ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعُۢ بِهِمۡ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٧١﴾.

قوله: ﴿وَإِذۡ﴾ منصوب[(٦)] بفعل مُقّدر معطوف على ما قبله؛ أي: واسألهم إذ نتقنا الجبلَ؛ أي: رفعنا الجبل ﴿فَوۡقَهُمۡ﴾ و﴿كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٞ﴾؛ أي: كأنّه لارتفاعه سحابةٌ تُظلهم، والظُّلَّة: اسم لكل ما أظلّ. وقرئ «طلّة» بالطاء[(٧)] مِنْ أطلّ عليه إذا أشرف

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/٥٣٩) بسند ضعيف.
(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/٥٩٤).
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/١٦٠٩) من طريق سعيد بن سليمان النشيطي، به.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٥/١٦٠٨)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/٥٩٤) لأبي الشيخ.
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/٥٤٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/١٦٠٩) بسند ضعيف.
(٦) «روح المعاني» (٩/٤٤٦)، و«البحر المحيط» (٥/٢٦٧).
(٧) «الكشاف» (٢/٥٢٩)، و«البحر المحيط» (٥/٢١٧).

﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾؛ أي: ساقطٌ عليهم. قيل: الظنّ هنا بمعنى: العلم، وقيل: هو على بابه.

﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ هو على تقدير القول؛ أي: وقُلْنا لهم: خذوا، والقوّة: الجِدّ والعزيمة؛ أي: أَخْذاً كائناً بقوّة.

﴿وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ﴾ مِنْ الأحكام التي شرعها الله لكم، ولا تنسوه ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ رجاء أن تتقوا ما نُهيتم عنه، وتعملوا بما أمرتم به، وقد تقدّم تفسير «ما» هنا في البقرة مستوفى فلا نعيده[(١)].

وقد أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس[(٢)]، في قوله: ﴿وَإِذ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ﴾ يقول: رفعناه، وهو قوله: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ﴾ [النساء: ١٥٤] فقال: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ وإلا أرسلته عليكم.

وأخرج ابن أبي حاتم[(٣)]، عنه، في الآية قال: رفعته الملائكةُ فوقَ رؤوسهم، فقيل لهم: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ فكانوا إذا نظروا إلى الجبل قالوا: سمعنا وأطعنا، وإذا نظروا إلى الكتاب قالوا: سمعنا وعصينا.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عنه[(٤)]، أيضاً قال: إني لأعلم لِمَ تسجدُ اليهود على حرفٍ، قال الله: ﴿وَإِذ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾ قال: لتأخذنّ أمري، أو لأرمينكم به، فسجدوا وهم ينظرون إليه مخافة أَنْ يسقط عليهم، وكانت سجدةً رضيها الله سبحانه فاتخذوها سُنَّة.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن قتادة[(٥)] ﴿وَإِذ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ﴾ قال: انتزعه الله من أصله، ثم جعله فوق رؤوسهم، ثم قال: لتأخذنّ أمري أو لأرميّنكم به.

---

(١) «جامع البيان» (١٠/ ٥٤٢).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٥٤٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦١٢) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦١١) بسند صحيح.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦١١) بسند ضعيف.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٥٤٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦١٢) بسند صحيح.

[الاعتراف بالربوبية لله وحده فطرةٌ أودعها الله في البشر]:

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾﴾.

قوله: ﴿وَإِذْ﴾ منصوب[1] بفعل مقدّر معطوف على ما قبله كما تقدّم قوله: ﴿مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ استُدلّ بهذا على أن المراد بالمأخوذين هنا: هم ذرية بني آدم، أخرجهم الله مِنْ أصلابهم نسلاً بعد نسل.

وقد ذهب إلى هذا جماعة مِنْ المفسّرين، قالوا[2]: ومعنى: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾: دلّهم بخلقه على أنّه خالقهم، فقامت هذه الدلالة مقام الإشهاد، فتكون هذه الآية مِنْ باب التمثيل كما في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١].

وقيل: المعنى[3]: أنَّ الله سبحانه أخرج الأرواح قبل خلق الأجساد، وأنه جعل فيها مِنْ المعرفة ما فهمت به خطابه سبحانه.

وقيل: المراد ببني آدم هنا: آدم نفسه كما وقع في غير هذا الموضع، والمعنى: أن الله سبحانه لما خلق آدم مسحَ ظهره فاستخرج منه ذريته، وأخذ عليهم العهد، وهؤلاء هم عالم الذرّ، وهذا هو[4] الحق الذي لا ينبغي العدول عنه، ولا المصير إلى غيره، لثبوته مرفوعاً إلى النبي ﷺ، وموقوفاً على غيره من الصحابة، ولا ملجئ للمصير إلى المجاز، «وإذا جاء نَهرُ الله بطل نهر معقل»[5]، وسنذكر آخر هذا البحث إن شاء الله بعض ما ورد في ذلك.

---

(١) «روح المعاني» (٩/٤٤٨)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/١٦١ ـ ١٦٢)، و«البحر المحيط» (٥/٢١٩).

(٢) ذكره الرازي في «تفسيره» (١٥/٥٠٠).

(٣) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» (٩/٣٧٥).

(٤) «جامع البيان» (١٠/٥٤٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٩/٣٧٨).

(٥) تقدم ذكره.

قوله: ﴿مِن ظُهُورِهِمْ﴾ هو بدل مِنْ بني آدم، بدل بعضٍ من كل، وقيل: بدل اشتمال[١].

قوله: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾، قرأ الكوفيون وابن كثير: «ذُريَتهم» بالتوحيد[٢]، وهي تقع على الواحد والجمع، وقرأ الباقون: «ذُريّاتهم» بالجمع[٣] ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾؛ أي: أشهد كل واحد منهم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾؛ أي: قائلاً ألستُ بربكم، فهو على إرادة القول ﴿قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾؛ أي: على أنفسنا بأنك ربنا.

قوله: ﴿أَن تَقُولُوا﴾، قرأ أبو عمرو بالياء[٤] التحتية في هذا وفي قوله: ﴿أَوْ تَقُولُوٓا﴾ على الغَيبة كما كان فيما قبله على الغيبة، وقرأ الباقون بالفوقية[٥] على الخطاب.

والمعنى: كراهةَ أن يقولوا أو لئلا يقولوا؛ أي: فعلنا ذلك الأخذ والإشهاد كراهةَ أنْ يقولوا ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾؛ أي: عن كون الله ربنا وحده لا شريك له.

قوله: ﴿أَوْ تَقُولُوٓا إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ﴾ معطوف على ﴿تَقُولُوا﴾ الأوّل؛ أي: فعلنا ذلك كراهةَ أن تعتذروا بالغفلة، أو تنسبوا الشرك إلى آبائكم دونكم، و﴿أَوْ﴾ لمنع الخلوّ دون الجمع، فقد يعتذرون بمجموع الأمرين ﴿مِن قَبْلُ﴾؛ أي: من قبل زماننا ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ﴾ لا نهتدي إلى الحق، ولا نعرف الصواب ﴿أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ من آبائنا، ولا ذنب لنا لجهلنا وعجزنا عَنْ النظر، واقتفائنا آثار سلفنا.

بيَّن الله سبحانه في هذه الحكمة التي لأجلها أخرجهم مِنْ ظهر آدم، وأشهدهم على أنفسهم، وأنَّه فعل ذلك بهم لئلَّا يقولوا هذه المقالة يوم القيامة، ويعتلُّوا بهذه العلة الباطلة ويعتذروا بهذه المعذرة الساقطة ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾؛ أي: ومثل ذلك التفصيل ﴿نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ إلى الحق، ويتركون ما هم عليه من الباطل.

وقد أخرج مالك في «الموطأ»، وأحمد في «المسند»، وعبد بن حميد،

---

(١) «البحر المحيط» (٥/ ٢١٩)، و«روح المعاني» (٩/ ٤٤٩).
(٢) «الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٨٣)، و«البحر المحيط» (٥/ ٢٢٠)، و«التيسير» (ص١١٤).
(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٣٨١)، و«النشر» (٢/ ٢٧٣).
(٤) «النشر» (٢/ ٢٧٣)، و«التيسير» (ص١١٤)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٨٣).
(٥) انظر: المصادر المتقدمة.

والبخاري في «تاريخه»، وأبو داود، والترمذي وحسّنه، والنّسائي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن حبان في «صحيحه»، وأبو الشيخ، والحاكم، وابن مردويه، [٢/١٥٦] والبيهقي في «الأسماء والصفات»، والضياء في «المختارة»: أَنَّ عمر بن الخطاب(١) سئل عن هذه الآية ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ﴾ الآية فقال: سمعت رسول الله ﷺ يُسأل عنها فقال: «إنَّ الله خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقتُ هؤلاء للجنّة وبعمل أهل الجنة يعملون. ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذُرّيةً، فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون، فقال رجل: يا رسول الله ففيمَ العمل؟ فقال: إن الله إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله به الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار، حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله النار».

وأخرج أحمد، والنسائي، وابن جرير، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «الأسماء والصفات»، عن ابن عباس(٢)، عن النبي ﷺ قال: «إن الله أخذ الميثاق مِنْ ظهر آدم بنَعْمان يوم عرفة، فأخرج من صُلْبه كل ذرية ذَرأها فنثرها بين يديه، ثم كلمهم فقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ إلى قوله: ﴿الْمُبْطِلُونَ﴾» وإسناده لا مطعن فيه.

وقد أخرجه ابن أبي حاتم(٣) موقوفاً على ابن عباس.

---

(١) أخرجه مالك في «الموطأ» (٢/ ٨٩٨، ٨٩٩)، وأحمد (٦/ ٣٩٩، ٤٠٠)، والبخاري في «تاريخه» (٨/ ٩٦)، وأبو داود رقم (٤٧٠٣)، والترمذي رقم (٣٠٧٥)، والنسائي في «السنن الكبرى» رقم (١١١٩٠)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٥٥٣، ٥٥٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦١٢)، وابن حبان في «صحيحه» رقم (٦١٦٦)، والآجري في «الشريعة» رقم (٣٢٤)، والحاكم (١/ ٢٧، ٢/ ٣٢٤)، واللالكائي رقم (٩٩٠)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٧١٠)، والضياء في «المختارة» رقم (٢٨٩). وهو حديث صحيح إلا مسح الظهر.

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٢٦٧)، والنسائي في «السنن الكبرى» رقم (١١٩١)، وابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٥٥٠)، والحاكم (٢/ ٥٤٤)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٤٤١).
قال النسائي: «ليس بالمحفوظ».
ورجَّح ابن كثير وقفه على ابن عباس في «تفسيره» (٦/ ٤٣٧).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦١٣) بسند صحيح.

وأخرج ابن جرير، وابن منده في كتاب «الردّ على الجهمية» عن عبد الله[1] بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم، قال: أخذهم مِنْ ظهره كما يُؤخذ المُشط من الرأس، فقال لهم: ألستُ بربكم؟ قالوا: بلى، قالت الملائكة: شَهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنَّا كنا عن هذا غافلين» وفي إسناده أحمد بن أبي طيبه أبو محمد الجرجاني قاضي قومس كان أحد الزهاد.

وأخرج له النسائي في «سُننه».

وقال أبو حاتم الرازي: يكتُب حديثه. وقال ابن عديّ: حدث بأحاديث كثيرة غرائب.

وقد روى هذا الحديث عبد الرحمٰن بن مهدي، عن سفيان الثوري، عن منصور، عَنْ مجاهد، عن عبد الله بن عمر، وهؤلاء أئمة ثقات.

وأخرج عبد بن حميد، والحكيم الترمذي في «نوادر الأصول»، والطبراني، وأبو الشيخ في «العظمة»، وابن مردويه، عن أبي أُمامة[2] أن رسول الله ﷺ قال: «لما خلق الله الخلق وقضى القضية، وأخذ ميثاق النبيّين وعرشه على الماء، فأخذ أهل اليمين بيمينه وأخذ أهل الشمال بيده الأخرى وكلتا يدي الرحمٰن يمين، فقال: يا أصحاب اليمين، فاستجابوا له فقالوا: لبيك ربَّنا وسعديك، قال: ألست بربكم؟ قالوا: بلى» الحديث. والأحاديثُ في هذا الباب كثيرة بعضها مقيد بتفسير هذه الآية، وبعضها مُطلق يشتمل على ذكر إخراج ذرية آدم من ظهره، وأخذ العهد عليهم كما في حديث أنس مرفوعاً في «الصحيحين» وغيرهما.

وأما المروي عَنْ الصحابة في تفسير هذه الآية بإخراج ذرية آدم من صلبه في عالم الذرّ، وأخذ العهد عليهم وإشهادهم على أنفسهم فهي كثيرة.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٥٥٢)، وابن منده في كتاب «الرد على الجهمية» (ص٦٣ ـ ٦٤) موقوفاً، وقال: «لا يثبت».

(٢) أخرجه الحكيم الترمذي في «نوادره» (١/ ٨٠)، والطبراني رقم (٨٩٤٠، ٨٩٤٣)، وفي «الأوسط» رقم (٧٦٢٢)، وأبو الشيخ في «العظمة» رقم (٣٩).
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٨٩): «رواه الطبراني في «الأوسط» و«الكبير» باختصار، وفيه سالم بن سالم، وهو ضعيف، وفي إسناد «الكبير» جعفر بن الزبير، وهو ضعيف.

(منها) عن ابن عباس[١]، عند عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ الآية قال: خلق الله آدم، وأخذ ميثاقه أنَّه ربُّه، وكتب أجلَه ورزقَه، ثم أخرج ولده من ظهره كهيئة الذر، فأخذ مواثيقهم أنه ربُّهم، وكتب آجالهم، وأرزاقهم، ومصيباتهم.

وأخرج نحوه عنه[٢] ابن جرير، وابن أبي حاتم.

وأخرج نحوه عنه[٣] أيضاً ابن جرير، وابن المنذر.

وأخرج نحوه عنه عبد الرزاق[٤]، وابن المنذر.

وأخرج نحوه عنه عبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، وابن منده، وهذا المعنى مروي عنه من طرق كثيرة غير هذه موقوفة عليه.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن عبد الله[٥] بن عمر في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ الآية قال: أخذهم كما يأخذ المُشط من الرأس.

وأخرج ابن عبد البرّ في «التمهيد»[٦] عن ابن مسعود، وناس من الصحابة في تفسير الآية نحوه.

وأخرج عبد بن حُميد، وعبد الله بن أحمد بن حنبل في «زوائد المسند»، وابن جرير، وابن أَبي حاتم، وأبو الشيخ، وابن منده، وابن مردويه، والبيهقي في «الأسماء والصفات»، والضياء في «المختارة»، وابن عساكر في «تاريخه»، عن أُبيّ بن كعب[٧] في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ الآية قال: جمعهم جميعاً فجعلهم

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٥٥٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦١٣)، والفريابي في «القدر» رقم (٥٧) بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٥٥٠ ـ ٥٥١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦١٣) بسند حسن.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٥٤٩) بسند ضعيف.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٢٤١ ـ ٢٤٢) بسند صحيح.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٥٥٢).

(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٥٩٩) من طريق السدي، عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة الهمداني، عن ابن مسعود وناس من الصحابة.

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٥٥٧ ـ ٥٥٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» =

أرواحاً في صورهم، ثم استنطقهم فتكلّموا، ثم أخذ عليهم العهد والميثاق، ثم أشهدهم على أنفسهم.

وقد روي عَنْ جماعة ممن بعد الصحابة تفسير هذه الآية بإخراج ذرية آدم من ظهره، وفيما قاله رسول الله ﷺ في تفسيرها مما قدمنا ذكره ما يغني عَنْ التطويل.

﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ١٧٦ سَآءَ مَثَلًا ٱلۡقَوۡمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمۡ كَانُواْ يَظۡلِمُونَ ١٧٧ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِيۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٧٨﴾.

قولُه: ﴿وَٱتۡلُ﴾ معطوف على الأفعال المقدّرة في القصص السابقة، وإيراد هذه القصة منه سبحانه، وتذكير أهل الكتاب بها لأنها كانت مذكورة عندهم في التوراة.

وقد اختلف في هذا الذي أوتي الآيات ﴿فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا﴾ فقيل: هو بَلْعم بن باعُوراء(١)، وكان قد حفظ بعض الكتب المنزلة.

وقيل(٢): كان قد أُوتي النبوّة، وكان مجاب الدعوة، بعثه الله إلى مَدْين

= (١٦١٥/٥)، والحاكم (٣٢٣/٢)، والفريابي في «القدر» رقم (٥٢)، والآجري في «الشريعة» رقم (٤٣٥)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» رقم (٩٩١)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٧٨٥) من طريق أبي جعفر، به. بسند حسن.

• وأخرجه عبد الله بن أحمد في «زوائد المسند» (١٣٥/٥)، والفريابي في «القدر» رقم (٥٣)، وابن منده في «الرد على الجهمية» رقم (٣٠، ٣٣)، وابن عساكر في «تاريخ مدينة دمشق» (٣٩٦/٧) بسند ضعيف؛ لضعف سليمان بن يعقوب الربالي.

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٥٦٩/١٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٦١٨/٥) عن ابن عباس بسند ضعيف.

• وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٥٦٦/١٠)، والنسائي في «السنن الكبرى» رقم (١١١٩٣) بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٥٧٦/١٠ ـ ٥٧٨) بسند ضعيف.

قال أبو المعتمر: «فحدثني بهذا سيَّار، ولا أدري لعلَّه قد دخل فيه شيء من حديث غيره».

يدعوهم إلى الإيمان، فأعطوه الأعطية الواسعة، فاتبع دينَهم، وترك ما بُعث به؛ فلما أقبل موسى في بني إسرائيل لقتال الجبّارين، سأل الجبارون بَلْعم بن باعُوراء أن يدعو على موسى، فقام ليدعو عليه فتحوّل لسانه بالدعاء على أصحابه، فقيل له في ذلك فقال: لا أقدر على أكثر مما تَسْمعون، واندلع لسانه على صدره، فقال: قد ذهبت مني الآن الدنيا والآخرة، فلم يبقَ إلا المَكْر والخديعة والحيلة، وسأمكر لكم، وإني أرى أن تُخرجوا إليهم فتياتكم فإن الله يُبغض الزنا، فإن وقعوا فيه هلكوا، فوقع بنو إسرائيل في الزنا، فأرسل الله عليهم الطاعون، فمات منهم سبعون ألفاً[(١)].

وقيل: إنَّ هذا الرجل[(٢)] اسمه بَاعم، وهو مِنْ بني إسرائيل.

وقيل: المراد به: أُميّة بن أبي[(٣)] الصّلْت الثقفي، وكان قد قرأ الكتب، وعلم أن الله مرسل رسولاً في ذلك، فلما أرسل الله محمداً ﷺ حَسده وكَفر به.

وقيل: هو أبو عامر[(٤)] بن صيفي وكان يلبس المُسُوح في الجاهلية، فكفر بمحمد ﷺ.

وقيل: نزلت[(٥)] في قريش آتاهم الله آياتِه التي أنزلها على محمد ﷺ [٢/١٥٧] فكفروا بها.

وقيل: نزلت في اليهود والنصارى انتظروا خروج محمد ﷺ فكفروا به.

قوله: ﴿فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾؛ أي: مِنْ هذه الآيات التي أوتيها كما تنسلخ الشاة عَنْ جلدها، فلم يبق له بها اتصال ﴿فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ عند انسلاخه عن الآيات؛ أي: لحقه فأدركه وصار قريناً له، أو فأتبعه خطواته، وقرئ: «فاتّبعَه» بالتشديد[(٦)] بمعنى: تبعه ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ المتمكنين في الغواية وهم الكفار.

---

(١) وهي رواية إسرائيلية.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٥٨١) بسند حسن.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٥٧٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦١٦)، والنسائي في «الكبرى» رقم (١١١٩٢) بسند صحيح.

(٤) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٣٨٤ ـ ٣٨٥).

(٥) «معالم التنزيل» (٢/ ٢١٥).

(٦) «حاشية الجمل» (٢/ ٢١١)، و«الكشاف» (٢/ ٥٣١)، و«البحر المحيط» (٥/ ٢٢٢). وهي قراءة شاذة.

قولُه: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا﴾ الضمير يعود إلى الذي أُوتي الآيات، والمعنى: لو شئنا رفعه بما آتيناه مِنْ الآيات لرفعناه بها؛ أي: بسببها، ولكن لم نشأ ذلك لانسلاخه عنها، وتركه للعمل بها.

وقيل: المعنى: ولو شئنا لأمتناه قبل أَنْ يعصي فرفعناه إلى الجنة بها؛ أي: بالعمل بها ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ أصل الإخلاد: اللزومُ، يقال: أخلد فلان بالمكان إذا قام به ولزمه.

والمعنى هنا: أَنَّه مال إلى الدنيا ورغب فيها، وآثرها على الآخرة ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾؛ أي: اتَّبع ما يهواه، وترك العمل بما يقتضيه العلم الذي علّمه الله، وهو حطام الدنيا؛ وقيل: كان هواه مع الكفار.

وقيل[١]: اتّبع رضا زوجته، وكانت هي التي حملته على الانسلاخ من آيات الله.

قوله: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ﴾؛ أي: فصار لما انسلخ عن الآيات ولم يعمل بها مُنحطاً إلى أسفل رتبة، مشابهاً لأخس الحيوانات في الدناءة مماثلاً له في أقبح أوصافه، وهو أنه يلهث في كلا حالتي قصد الإنسان له وتركه، فهو لاهث سواء زُجر أو تُرك، طُرد أو لم يُطرد، شدّ عليه أو لم يشد عليه، وليس بعد هذا في الخسة والدناءة شيء.

وجملة: ﴿إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ في محل نصب[٢] على الحال؛ أي: مثلُه كمثل الكلب حال كونه متصفاً بهذه الصفة.

والمعنى: أَنَّ هذا المنسلِخ عن الآيات لا يرعوى عن المعصية في جميع أحواله سواء وعظه الواعظ، وذكّره المذكر، وزجره الزاجر، أو لم يقع شيء من ذلك.

قال القتيبي[٣]: كلُّ شيء يلهث، فإنما يلهث مِنْ إعياء أو عطش، إلا الكلب فإنه يلهث في حال الكلال، وحال الراحة، وحال المرض، وحال الصحة. وحال

---

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٥٨٣)، والقرطبي في «تفسيره» (٩/ ٣٨٧).
(٢) «التبيان» (١/ ٦٠٤)، و«البحر المحيط» (٥/ ٢٢٤)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٦٣).
(٣) «تأويل مشكل القرآن» (ص٢٨٢).

الري، وحال العطش، فضربه الله مثلاً لمن كذّب بآياته؛ فقال: إن وعظته ضلّ، وإن تركته ضلّ، فهو كالكلب إنْ تركته لهثَ، وإن طردته لهثَ؛ كقوله تعالى: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٣] واللهث[١]: إخراج اللِّسان لتعبٍ أو عطش أو غير ذلك.

قال الجوهري[٢]: لهَثَ الكلبُ بالفتح يلهَثُ لَهْثاً ولُهاثاً بالضم: إذا أخرج لسانه مِنْ التعب أو العطش، وكذلك الرجل إذا أعيا.

قيل: معنى الآية: أنك إذا حملت على الكلب نبح وولى هارباً، وإن تركته شدّ عليك ونَبح، فيتعب نفسَه مقبلاً عليك ومدبراً عنك، فيعتريه عند ذلك ما يعتريه عند العطش مِنْ إخراج اللسان.

والإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى ما تقدّم من التمثيل بتلك الحالة الخسيسة. وهو مبتدأ[٣] وخبره ﴿مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾؛ أي: ذلك المثل الخسيس مثل القوم الذين كذّبوا بآياتنا مِنْ اليهود، بعد أن علموا بها وعرفوها، فحرّفوا وبدّلوا، وكتموا صفةَ رسول الله ﷺ وكذّبوا بها ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ﴾؛ أي: فاقصص عليهم هذا القصَص الذي هو صفةُ الرجل المنسلِخ عَنْ الآيات، فإنّ مثلَه المذكور كمثل هؤلاء القوم المكذّبين مِنْ اليهود الذين تقص عليهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في ذلك، ويعملون فيه أفهامهم، فينزجرون عَنْ الضلال، ويقبلون على الصواب.

قوله: ﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ هذه الجملة متضمنة لبيان حال هؤلاء القوم البالغة في القبح إلى الغاية، يقال: ساء الشيء قَبُح، فهو لازم، وساءه يَسوؤه مَسَاءةً، فهو متعدٍ وهو مِنْ أفعال الذم: كبِئسَ، وفاعله ضمير مستتر فيه.

و﴿مَثَلًا﴾ تمييز[٤] مفسِّر له، والمخصوص بالذم هو الذين كذبوا بآياتنا، ولا بدّ مِنْ تقدير مضاف محذوف لأجل المطابقة؛ أي: ساء مثلاً مثلُ القوم الذين كذبوا.

وقال الأخفش[٥]: جُعل المَثلُ القومَ مجازاً، والقوم مرفوع بالابتداء أو على إضمار مبتدأ التقدير: ساء المثل مثلاً هو مثلُ القوم، كذا قال.

---

(١) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٧٤٨). (٢) في «تهذيب اللغة» (١/ ٢٩٢).

(٣) «روح المعاني» (٩/ ٤٨٣)، و«البحر المحيط» (٥/ ٢٢٥).

(٤) «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٦٤)، و«روح المعاني» (٩/ ٤٨٣ ـ ٤٨٤).

(٥) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٥٣٧ ـ ٥٣٨).

وقدره أبو علي[١] الفارسي: ساء مثلاً مَثَلُ القوم كما قدّمنا.

وقرأ الجَحْدري[٢] والأعمش: ﴿ساء مَثَلُ[٣] القوم﴾.

قوله: ﴿وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ﴾؛ أي: ما ظلموا بالتكذيب إلا أنفسهم لا يتعداها ظلمهم إلى غيرها ولا يتجاوزها.

والجملة معطوفة على التي قبلها على معنى: أَنَّهم جمعوا بين التكذيب بآيات الله وظلم أنفسهم. ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى﴾ لما أمر به، وشرعه لعباده ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ الكاملون في الخُسْران، مَنْ هداه فلا مضلّ له، ومن أضله فلا هادي له، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

وقد أخرج الفريابي، وعبد الرزاق، وعبد بن حميد، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وأبو الشيخ، وابن مردويه، عن ابن مسعود[٤]، في قوله: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا﴾ قال: هو رجل من بني إسرائيل يقال له: بَلْعَم بن أَبَر.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وأبو الشيخ، وابن مردويه، من طرق عن ابن عباس[٥] قال: هو بَلْعم بن باعور، وفي لفظ: بلعام بن باعر الذي أوتي الاسم كان في بني إسرائيل.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس[٦]، في قوله: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا﴾ قال: هو رجل من مدينة الجبّارين يقال له: بَلْعم، تعلم اسم الله الأكبر، فلما نزل بهم موسى أتاه بنو عمه وقومه فقالوا: إن

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/ ٣٨٩).

(٢) «القراءات الشاذة» (ص٤٧)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٦٤)، و«البحر المحيط» (٥/ ٢٢٦). وهي قراءة شاذة.

(٣) أي: رفع (مثلٌ) بالفعل ساء. و(القوم) بالخفض.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٢٤٣)، والنسائي في «السنن الكبرى» رقم (١١١٩٣)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٥٦٧، ٥٦٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦١٦)، والطبراني رقم (٩٠٦٤) بسند صحيح.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٥٦٧) بسند حسن.

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٥٦٨، ٥٧٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦١٨) بسند صحيح.

موسى رجل حديد، ومعه جنود كثيرة، وإنّه إِنْ يظهر علينا يهلكنا، فادع الله أن يردّ عنا موسى ومَنْ معه، قال: إني إنْ دعوت الله أن يردّ موسى ومَنْ معه مضت دنياي وآخرتي، فلم يزالوا به حتى دعا الله فسلخ ما كان فيه.

وفي قوله[١]: ﴿إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾ قال: إن حمل الحكمة لم يحملها، وإنْ ترك لم يهتد لخيرٍ؛ كالكلب إنْ كان رابضاً لهثَ وإنْ يطرد لهث.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عنه[٢]، في الآية قال: هو رجل أُعطي ثلاثَ دعواتٍ يُستجاب له فيهنَّ، وكانت له امرأة له منها ولد، فقالت: اجعل لي منها واحدةً، قال: فلك واحدة فما الذي تريدين؟ قالت: ادع الله أَنْ يجعلني أجمل امرأة في بني إسرائيل، فدعا الله فجعلها أجمل امرأة في بني إسرائيل؛ فلما علمت أن ليس فيهم مثلها رغبتْ عنه، وأرادت شيئاً آخر، فدعا الله أَنْ يجعلها كلبة فصارت كلبةً، فذهبت دعوتان، فجاء بنوها فقالوا: ليس بنا على هذا قرار، قد صارت أمنا كلبةً يعيرنا الناس بها، فادع الله أن يردّها إلى الحال التي كانت عليه، فدعا الله فعادت كما كانت فذهبت الدعوات الثلاث وسُمّيت البَسُوس.

وأخرج عبد بن حميد، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وأبو الشيخ، وابن مردويه، عن عبد الله[٣] بن عمرو، في الآية قال: هو أُمية بن أبي الصلت الثقفي، وفي لفظ: نزلتْ في صاحبكم أمية بن أبي الصلت.

وأخرج عبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وابن عساكر، عنه[٤] نحوه.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٥٨٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٢٠) بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦١٧ ـ ١٦١٨) بسند ضعيف؛ لضعف أبي سعد البقال الأعور، وهو مدلس أيضاً.
وقال ابن كثير في «تفسيره» (٦/ ٤٥٠): «غريب».

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٥٧٠)، والنسائي في «السنن الكبرى» رقم (١١١٩٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦١٦) بسند صحيح.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٢٠)، وابن عساكر في «تاريخه» (٩/ ٢٦٦)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٥٧١).

وأخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه، عن الشعبي[١] في هذه الآية [٢/١٥٨] قال: قال ابن عباس: هو رجلٌ مِنْ بني إسرائيل يقال له: بلعام بن باعوراء، وكانت الأنصار تقول: هو ابن الراهب الذي بني له مسجد الشقاق، وكانت ثقيف تقول: هو أمية بن أبي الصّلْت.

وأخرج ابن أبي حاتم[٢]، عن ابن عباس، قال: هو صَيفّي بن الراهب.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عنه[٣]، في قوله: ﴿فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا﴾ قال: نزُع منه العلم، وفي قوله: ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا﴾ قال: رفعه الله بعلمه.

وأخرج مسلم، والنسائي، وابن ماجه، وابن مردويه، والبيهقي في «الأسماء والصفات»، عَنْ جابر[٤] بن عبد الله، قال: كان رسول الله ﷺ في خطبته يحمد الله ويثنى عليه بما هو أهله، ثم يقول: «مَنْ يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، أصدقُ الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشرّ الأمور محدثاتها، وكل محدث بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار» ثم يقول: «بعثتُ أنا والساعة كهاتين».

[لماذا استحق هؤلاء النار من الإنس والجن]:

﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٧٩﴾.

﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا﴾؛ أي: خلقنا. وقد تقدّم بيان أصل معناه مستوفى، وهذه الجملة مقرّرة لمضمون ما قبلها. ﴿لِجَهَنَّمَ﴾؛ أي: للتعذيب بها ﴿كَثِيرٗا﴾؛ أي: خلقاً كثيراً ﴿مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ﴾؛ أي: مِنْ طائفتي الجنّ والإنس جعلهم سبحانه للنار بِعَدْلِهِ وبعمل

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤٦١٧/٥) بسند ضعيف.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٦١٦/٥) بسند ضعيف، وهو مخالف لما ثبت عن ابن عباس أنّه: بلعم. وقد تقدم ذكره.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٦١٨/٥) بسند حسن.

(٤) أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (٨٦٧/٤٣)، والنسائي (١٨٨/٣، ١٨٩)، وابن ماجه رقم (٤٥)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٣٠٩/١). لكن ليس في لفظ «مسلم» كل محدثة بدعة وإنما هي عند البيهقي في الأسماء والصفات رقم (١٣٧).

أهلها يعملون. وقد علم ما هم عاملون قبلَ كونهم كما ثبت في الأحاديث الصحيحة.

ثم وصف هؤلاء فقال: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ كما يفقه غيرهم بعقولهم.

وجملة: ﴿لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ في محل رفع على أَنَّها صفة لقلوب.

وجُملة: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ﴾ في محل نصب[(١)] صفة لـ﴿كَثِيرًا﴾ جعل سبحانه قلوبهم لما كانت غير فاقهة لما فيه نفعهم وإرشادهم، غير فاقهة مطلقاً وإن كانت تفقه في غير ما فيه النفع والرشاد فهو كالعَدَم، وهكذا معنى ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ﴾ فإن الذي انتفى مِنْ الأعين هو إبصار ما فيه الهداية بالتفكر والاعتبار، وإن كانت مبصرة في غير ذلك، والذي انتفى مِنْ الآذان هو سماعُ المواعظ النافعة، والشرائع التي اشتملت عليها الكتب المنزّلة. وما جاءت به رسل الله، وإن كانوا يسمعون غير ذلك[(٢)].

والإشارة بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إلى هؤلاء المتصفين بهذه الأوصاف كالأنعام في انتفاء انتفاعهم بهذه المشاعر. ثم حكم عليهم بأنهم أضلّ منها؛ لأنها تُدرك بهذه الأمور ما ينفعها ويضرّها، فتنتفع بما ينفع، وتجتنب ما يضرّ، وهؤلاء لا يميزون بين ما ينفع وما يضرّ باعتبار ما طلبه الله منهم وكلّفهم به. ثم حكم عليهم بالغفلة الكاملة لما هم عليه من عدم التمييز الذي هو من شأن مَنْ له عقل وبصر وسمع.

وقد أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس[(٣)]، في قوله: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾ قال: خلقنا.

وأخرج ابن جرير، وأبو الشيخ، عن الحسن[(٤)] في الآية قال: خلقنا لجهنم.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، وابن مردويه، وابن النجار، عن عبد الله بن عمر[(٥)] قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لما ذرأ لجهنم من ذرأ كان ولد الزنا ممن ذرأ لجهنم».

---

(١) «روح المعاني» (٩/ ٤٩٠)، و«التبيان» (١/ ٦٠٤).

(٢) «جامع البيان» (١٠/ ٥٩٥).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٥٩٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٢١) بسند صحيح.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٥٩١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٢٢) بسند صحيح.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٥٩١ ـ ٥٩٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٢٢)، وابن النجار في «ذيل تاريخ بغداد» في الترجمة رقم (٥٨٧). وهو حديث ضعيف، والله أعلم.

وأخرج ابن جرير، عن مجاهد[1]، في قوله: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ﴾ قال: لقد خلقنا لجهنم ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ قال: لا يفقهون شيئاً من أمور الآخرة ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ الهدى ﴿وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ﴾ الحق، ثم جعلهم كالأنعام، ثم جعلهم شراً من الأنعام، فقال: ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ ثم أخبر أنَّهم الغافلون.

[أسماء الله الحسنى]:

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾.

هذه الآية مشتملة على الإخبار مِنْ الله سبحانه بمَا لَهُ من الأسماء على الجملة دون التفصيل، والحُسنى تأنيث الأحسن؛ أي: التي هي أَحسنُ الأسماء لدلالتها على أحسن مُسمّى، وأشرف مدلول، ثم أمرهم بأن يدعوه بها عند الحاجة، فإنه إذا دعي بأحسن أسمائه كان ذلك مِنْ أسباب الإجابة.

وقد ثبت في «الصحيح»[2]: «إن لله تسعةً وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة» وسيأتي ويأتى أيضاً بيان عددها آخر البحث إن شاء الله.

قوله: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ الإلحاد: الميلُ وترك القصد، يقال: لحدَ الرجل في الدّين وألحد: إذا مال، ومنه اللَّحدُ في القبر؛ لأنه في ناحية.

وقرئ: «يَلْحَدون» وهما لغتان[3].

والإلحاد في أسمائه سبحانه يكون على ثلاثة أوجه[4]: إما بالتغيير كما فعله

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٥٩٤) بسند ضعيف.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٢٥٨، ٢٦٧، ٤٢٧، ٤٩٩، ٥٠٣)، والبخاري في «صحيحه» رقم (٧٣٩٢ و٢٧٣٦)، والترمذي رقم (٣٥٠٦).

(٣) قرأ حمزة وابن وثاب، والأعمش وطلحة وعيسى: «يَلْحَدون» بفتح الياء والحاء، من لَحَدَ يَلْحَدُ، وهي لغة. وهي قراءة متواترة.

● وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وأبو عمرو وعاصم والكسائي وأبو جعفر ويعقوب: «يُلْحِدون» بضم الياء وكسر الحاء من «ألحدَ».

«النشر» (١/ ٣٠٤ ـ ٣٠٥)، و«زاد المسير» (٣/ ٢٩٣)، و«جامع البيان» (١٠/ ٥٩٨)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٨٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٣٩٥).

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٣٩٥).

المشركون فإنهم أخذوا اسم اللّات مِنْ الله، والعزّى مِنْ العزيز، ومناة من المنَّان؛ أو بالزيادة عليها بأن يخترعوا أسماء مِنْ عندهم لم يأذن الله بها، أو بالنقصان منها بأن يدعوه ببعضها دون بعض.

ومعنى ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ اتركوهم؛ ولا تُحاجّوهم، ولا تَعرّضوا لهم، وعلى هذا المعنى فالآية منسوخة بآيات القتال؛ وقيل: معناه: الوعيد؛ كقوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدثر: ١١].

وقوله: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا﴾ [الحجر: ٣] وهذا أولى لقوله: ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فإنَّه وعيد لهم بنزول العقوبة وتحذير للمسلمين أن يفعلوا كفعلهم.

وقد ذكر مقاتل(١) وغيره من المفسرين: أَنَّ هذه الآية نزلت في رجل من المسلمين كان يقول في صلاته: يا رحمٰن يا رحيم، فقال رجل من المشركين: أليس يزعم محمد وأصحابه أنهم يعبدون ربّاً واحداً فما بال هذا يدعو ربين اثنين؟ حكى ذلك القرطبي(٢).

وقد أخرج أحمد، والبخاري، ومسلم، : والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن خزيمة، وأبو عوانة، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن منده، وابن مردويه، وأبو نعيم، والبيهقي، عن أبي هريرة(٣) قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله تسعةً وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة، إنّه وترٌ يحب الوِتْرَ».

وفي لفظ ابن مردويه وأبي نعيم(٤): «مَنْ دعى بها استجاب الله دعاءَه» وزاد الترمذي(٥) في سُننه بعد قوله: يُحبّ الوتر: «هو الله الذي لا إلٰه إلا هو الرّحمٰن

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٣٩١)، و«معالم التنزيل» (٢/ ٢١٧).

(٢) في «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٣٩١).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/ ٢٥٨، ٢٦٧)، والبخاري رقم (٦٤١٠)، ومسلم رقم (٥، ٦/ ٢٦٧٧)، والترمذي رقم (٣٥٠٦، ٣٥٠٧)، وابن حبان رقم (٨٠٤، ٨٠٥)، وابن ماجه رقم (٣٨٦١)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٥٩٦)، والحاكم (١/ ١٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ١٢٢، ٦/ ٢٧٤)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (١٠).

(٤) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٢٨٠).

(٥) أخرجه الترمذي رقم (٣٥٠٧)، وابن حبان رقم (٨٠٨)، والبغوي رقم (١٢٥٧)، والحاكم (١/ ١٦)، والطبراني في «الدعاء» رقم (١١١)، والبيهقي في «الشعب» رقم (١٠٢)، وفي =

الرّحيم، الملك، القدّوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبّار، المتكبِّر، الخالق، البارئ، المصوّر، الغفّار، القهّار، الوهَّاب، الرزَّاق، الفتَّاح، العليم، القابض، الباسط، الخافض، الرافع، المُعزّ، المُذِلّ، السميع، البصير، الحَكَمُ، العدل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العليّ، الكبير، الحفيظ، المُقيت، الحسيب، الجليل، الكريم، الرقيب، المُجيب، الواسع، الحكيم، الودود، المجيد، الباعث، الشهيد، الحق، الوكيل، القوي، المتين، الوليّ، الحميد، المُحصِي، المبدئ، المُعيد، المحييّ، المُميت، الحيّ، القيّوم، الواجد، الماجد، الأحد، الصَمدُ، القادر، المقتدِر، المُقدِّم، المؤخر، الأوّل، الآخر، الظاهر، الباطن، الوالي، المتعالى، البَرّ، التوّاب، المنتقِم، العفو، الرؤوف، مالك الملك، ذو الجلال والإكرام، المُقسِط، الجامع، الغنيّ، المغني، المانع، الضارّ، النافع، النور، الهادي، البديع، الباقي، الوارث، الرشيد، الصبور».

هكذا أخرج الترمذي(١) هذه الزيادة [٢/١٥٩] عَنْ الجوزجاني، عَنْ صفوان بن صالح، عَنْ الوليد بن مسلم، عن شُعيب بن أبي حمزة، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عَنْ أبي هريرة مرفوعة وقال: هذا حديث غريب.

= «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٧)، وفي «الأسماء والصفات» (ص٥)، وفي «الاعتقاد» (ص١٨ ـ ١٩) كلهم من طريق صفوان بن صالح، عَنْ الوليد بن مسلم، به.

وقال الحاكم: «هذا الحديث قد خرجاه في الصحيحين بأسانيدَ صحيحة دون ذكر الأسامي فيه، والعلةُ فيه عندهما أنّ الوليد بن مسلم تفرّد بسياقته بطوله، وذكر الأسامي فيه. ولم يذكرها غيره، وليس هذا بعلة فإنّي لا أعلم اختلافاً بين أئمة الحديث أن الوليد بن مسلم أوثق وأحفظ وأعلم وأجلّ من أبي اليمان، وبشر بن شعيب، وعلي بن عياش، وأقرائهم من أصحاب شعيب».

قال ابن حجر في«فتح الباري» (١١/ ٢١٧): «وقد استضعف الحديث أيضاً جماعة، فقال الداودي: لم يثبت أنّ النبي عيَّن الأسماء المذكورة».

وقال ابن العربي: «يحتمل أن تكون الأسماء تكملة الحديث المرفوع، ويحتمل أن تكون من جمع بعض الرواة، وهو الأظهر عندي. . .».

وقال ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٢٢/ ٤٨٢): «إن التسعة والتسعين اسماً لم يرد في تعيينها حديث صحيح عن النبيّ ﷺ، وأشهر ما عند الناس فيها حديث الترمذي الذي رواه الوليد بن مسلم عن شيوخه من أهل الحديث، وفيها حديث ثانٍ أضعف من هذا، رواه ابن ماجه، وقد روي في عددها غير هذين النوعين من جمع بعض السلف».

(١) انظر: التعليقة المتقدمة.

وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة، ولا يعلمُ في كثيرِ شيءٍ من الروايات ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث.

ورواه ابن حبَّان[١] في «صحيحه»، وابن خزيمة[٢]، والحاكم[٣] من طريق صفوان بإسناده السابق.

ورواه ابن ماجه[٤] في «سننه» مِنْ طريق أخرى، عن موسى بن عقبة، عن الأعرج، عن أبي هريرة مرفوعاً، فسرد الأسماء المتقدّمة بزيادة ونقصان.

قال ابن كثير[٥] في «تفسيره»: والذي عوّل عليه جماعةٌ مِنْ الحفاظ أن سرد الأسماء في هذا الحديث مُدْرجٌ فيه. وإنما ذلك كما رواه الوليد بن مسلم، وعبد الملك بن محمد الصنعاني، عن زُهير بن محمد أنه بلغه عن غير واحد من أهل العلم أنّهم قالوا ذلك؛ أي: أنهم جمعوها مِنْ القرآن كما رُوي عَنْ جعفر بن محمد، وسفيان بن عيينة، وأَبي زيد اللُّغوي.

قال[٦]: ثم ليُعلم أنَّ الأسماء الحسنى ليست منحصرةً في التسعة والتسعين، بدليل ما رواه الإمام أحمد[٧] في «مُسْنده»: عن يزيد بن هارون، عن فضيل بن مرزوق، عن أَبي سلمة الجُهنى، عن القاسم بن عبد الرحمٰن، عن أبيه، عن عبد الله بن مسعود، عَنْ رسول الله ﷺ أنه قال: «ما أصاب أحداً قط همّ ولا حزن فقال: اللّهُمَّ إني عبدك ابن عبدك وأمتك، ناصيتي بيدك، ماض فيّ حكمك، عدل فيّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني وذهاب همي وغمي، إلا أذهب الله همه وحزنه، وأبدله مكانه فرجاً؛ فقيل: يا رسول الله ألا نتعلمها؟ فقال: بلى ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها».

---

(١) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» رقم (٨٠٨).
(٢) أخرجه ابن خزيمة في «صحيحه» كما في «التلخيص الحبير» (٤/ ١٩٠).
(٣) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ١٦).
(٤) أخرجه ابن ماجه في «السنن» رقم (٣٨٦٠).
(٥) ذكره ابن كثير في «تفسيره» (٦/ ٤٦١ ـ ٤٦٢).
(٦) أي: ابن كثير في «تفسيره» (٦/ ٤٦٣ ـ ٤٦٤).
(٧) أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ٣٩١، ٤٥٢).

وقد أخرجه الإمام أبو حاتم، بن حبان في «صحيحه»[١] بمثله انتهى.

وأخرجه البيهقي[٢] أيضاً في «الأسماء والصفات».

قال ابن حزم[٣]: جاءت في إحصائها، يعني: الأسماء الحسنى أحاديث مضطربة لا يصح منها شيء أصلاً.

وقد أخرجها بهذا العدد الذي أخرجه الترمذي ابن مردويه، وأبو نعيم، عن ابن عباس، وابن عمر قالا: قال رسول الله ﷺ فذكراه، ولا أدري كيف إسناده.

وأخرج ابن أبي الدنيا، والطبراني كلاهما في «الدعاء»، وأبو الشيخ، والحاكم، وابن مردويه، وأبو نعيم، والبيهقي عن أبي هريرة[٤]: إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة: أسألُ اللهَ، الرحمٰن، الرحيم، الإلٰه، الربّ، الملك، القدّوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارئ، المصوّر، الحليم، العليم، السميع، البصير، الحي، القيوم، الواسع، اللطيف، الخبير، الحنّان، المنّان، البديع، الغفور، الودود، الشكور، المجيد، المُبدئ، المُعيد، النور، البارئ ـ وفي لفظ: القائم ـ الأوّل، الآخِر، الظاهر، الباطن، العفوّ، الغفّار، الوهّاب، الفرد ـ وفي لفظ: القادر ـ الأحد، الصمد، الوكيل، الكافي، الباقي، المُغيث، الدائم، المتعالي، ذا الجلال والإكرام، المولى، البصير، الحق، المتين، الوارث، المُنير، الباعث، القدير ـ وفي لفظ: المُجيب ـ المحيّ، المميت، الحميد ـ وفي لفظ: الجَميل ـ الصادق، الحفيظ، المُحيط، الكبير، القريب، الرقيب، الفتّاح، التوّاب، القديم، الوِتْر، الفاطر، الرزّاق، العلّام، العلي،

(١) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٣/ ٩٧٢).

(٢) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٧). وهو حديث حسن. انظر: «الصحيحة» رقم (١٩٩).

(٣) في «المحلى» (٨/ ٣١).

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا كما في «الدر المنثور» (٣/ ١٤٨)، والطبراني في «الدعاء» رقم (١١٢)، وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» (٣/ ١٤٨)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٧)، وقال الحاكم: «هذا حديث محفوظ من حديث أيوب وهشام، عن ابن سيرين، عن أبي هريرة مختصراً دون ذكر الأسامي الزائدة فيها وكلها في القرآن».
وأخرجه أبو نعيم في جزء فيه طرق الحديث: «إن لله تسعة وتسعين اسماً» رقم (٥٢)، والبيهقي في «الاعتقاد» (ص١٩).

- علة الحديث عبد العزيز بن الحصين وقد تفرّد بهذه الرواية؛ فالحديث ضعيف، والله أعلم.

العظيم، الغني، الملك، المقتدِر، الأكرم، الرءوف، المدِّبر، المالك، القاهر، الهادي، الشاكر، الكريم، الرفيع، الشهيد، الواحد، ذا الطَّول، ذا المعارج، ذا الفضل، الخلّاق، الكفيل، الجليل.

وأخرج أبو نعيم(١) عَنْ محمد بن جعفر قال: سألتُ أبي جعفر بن محمد الصادق عَنْ الأسماء التسعة والتسعين التي من أحصاها دخل الجنة؟ فقال: هي في القرآن، ففي الفاتحة خمسة أسماء: يا الله، يا ربّ، يا رحمٰن، يا رحيم، يا ملك، وفي البقرة ثلاثة وثلاثون اسماً: يا مُحيط، يا قدير، يا عليم، يا حكيم، يا علي يا عظيم، يا توّاب، يا بَصير، يا ولي، يا واسع، يا كافي، يا رءوف، يا بديع، يا شاكر، يا واحد، يا سميع، يا قابض، يا باسط، يا حيّ، يا قيوم، يا غني، يا حميد، يا غفور، يا حليم، يا إلٰه، يا قريب، يا مجيب، يا عزيز، يا نصير، يا قوي، يا شديد، يا سريع، يا خبير. وفي آل عمران: يا وهّاب، يا قائم، يا صادق، يا باعث، يا مُنعِم، يا متفضّل، وفي النساء: يا رقيب، يا حسيب، يا شهيد، يا مُقيت، يا وكيل، يا عليّ، يا كبير، وفي الأنعام: يا فاطر، يا قاهر، يا لطيف، يا بُرهان؛ وفي الأعراف: يا مُحيي، يا مُميت؛ وفي الأنفال: يا نِعَم المولى، ويا نِعَم النصير، وفي هود: يا حفيظ، يا مجيد، يا ودود، يا فعال لما تريد؛ وفي الرعد: يا كبير، يا مُتعالي؛ وفي إبراهيم: يا منّان، يا وارث؛ وفي الحِجْر: يا خلّاق؛ وفي مريم: يا فَرْد؛ وفي طه: يا غفّار؛ وفي قد أفلح: يا كريم؛ وفي النور: يا حقُّ، يا مبين؛ وفي الفرقان: يا هادي؛ وفي سبأ: يا فتّاح؛ وفي الزمر: يا عالِم؛ وفي غافر: يا قابل التوب، ياذا الطَّول، يا رفيع؛ وفي الذاريات: يا رزّاق، يا ذا القوة، يا متين؛ وفي الطور: يا بَرّ؛ وفي اقتربت: يا مقتدر، يا مليك؛ وفي الرحمٰن: يا ذا الجلال والإكرام، يا رب المشرقين، يا ربّ المغربين، يا باقي، يا معين؛ وفي الحديد: يا أوّل، يا آخر، يا ظاهر، يا باطن؛ وفي الحشر: يا ملك، يا قدّوس، يا سلام، يا مؤمن، يا مُهيمن، يا عزيز، يا جبار، يا متكبر، يا خالق، يا بارئ، يا مصوّر؛ وفي البروج: يا مبدئ، يا معيد؛ وفي الفجر: يا وِتر؛ وفي الإخلاص: يا أحد، يا صمد. انتهى.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في جزء في طرق حديث: «إنّ لله تسعة وتسعين اسماً» رقم (٩١)، والحافظ في «جزئه» رقم (٤٠)، وعزاه إلى أبي نعيم في «الفتح» (١١/ ٢١٧). وهو حديث ضعيف.

وقد ذكر ابن حجر في «التلخيص»[١] أنه تتبعها مِنْ الكتاب العزيز إلى أن حرّرها منه تسعة وتسعين ثم سردها فابحثْه.

ويؤيد هذا ما أخرجه أبو نعيم[٢]، عن ابن عباس، وابن عمر، قالا: قال رسول الله ﷺ: «لله تسعةٌ وتسعون اسماً مَنْ أحصاها دخل الجنة، وهي في القرآن».

وأخرج البيهقي[٣]، عَنْ عائشة أنها قالت: «يا رسولَ الله، علّمني اسم الله الذي إذا دُعي به أجاب، قال لها: قومي فتوضئي وادخلي المسجد فصلي ركعتين، ثم ادعي حتى أسمعَ، ففعلتُ؛ فلما جلست للدعاء قال النبي ﷺ: اللهمّ وفقّها، فقالت: اللَّهُمَّ إني أسألك بجميع أسمائك الحسنى كلِّها ما علمنا منها وما لم نعلم، وأسألك باسمك العظيم الأعظم الكبير الأكبر، الذي مَنْ دعاك به أجبته، ومن سألك به أعطيته، قال النبي ﷺ: أصبتيه أصبتيه».

وقد أطال أهل العلم الكلام على الأسماء الحسنى حتى إنّ ابن العربي في «شرح الترمذي»[٤] حكى عَنْ بعض أهل العلم أنه جمع من الكتاب والسُّنَّة من أسماء الله ألفَ اسمٍ.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس[٥]، في قوله: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾ قال: الإلحاد: أَنْ يدعو اللّات والعزّى في أسماء الله.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، عنه[٦]، قال: الإلحاد التكذيب.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وأبو الشيخ، عن ابن جريج[٧]، في الآية قال: اشتقوا العزّى مِنْ العزيز، واشتقوا اللات من الله.

---

(١) في «التلخيص الحبير» (٤/ ١٧٤).
(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٦١٥).
(٣) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٩) بسند ضعيف.
(٤) ذكره ابن العربي في «أحكام القرآن» (٣/ ١٥٣٤).
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٥٩٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٢٣) بسند ضعيف.
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٥٩٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٢٣) بسند صحيح.
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٥٩٧) من طريق ابن جريج، عن مجاهد بسند منقطع. ابن جريج لم يسمع من مجاهد.

وأخرج ابن[١] أبي حاتم، عن عطاء في الآية قال: الإلحاد: المضاهاة.

وأخرج ابن أبي حاتم[٢] عن الأعمش أنَّه قرأ[٣]: «يَلْحَدون» من لحَدَ، وقال تفسيرها: يدخلون فيها ما ليس منها.

وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد [٢/١٦٠]، وابن جرير، عن قتادة[٤]، في الآية قال: يشركون.

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ۝١٨١ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٨٢ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ۝١٨٣ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝١٨٤ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ۝١٨٥ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝١٨٦﴾.

قوله: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ﴾ خبر مقدّم و﴿أُمَّةٌ﴾ مبتدأ مؤخر و﴿يَهْدُونَ﴾ وما بعده صفة له، ويجوز أن يكون ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ﴾ هو المبتدأ كما تقدّم في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ﴾ [البقرة: ٨].

والمعنى: أن مِنْ جملة مَنْ خلقه الله أمة يهدون الناس متلبِّسين بالحق، أو يهدونهم بما عرفوه مِنْ الحق ﴿وَ﴾ بالحق ﴿يَعْدِلُونَ﴾ بينهم.

قيل: هم مِنْ هذه الأمة، وإنهم الفِرْقة الذين لا يزالون على الحق ظاهرين، كما ورد في الحديث الصحيح[٥].

ثم لمّا بيَّن حال هذه الأمة الصالحة بيَّن حال مَنْ يخالفهم فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/١٦٢٣) بسند ضعيف.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/١٦٢٣) بسند ضعيف.

(٣) انظر: «زاد المسير» (٣/٢٩٣)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٨٤)، و«النشر» (٢/ ٢٧٣)، وقد تقدم ذكر هذه القراءة.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/٥٩٧ ـ ٥٩٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٢٣)، وعبد الرزاق في«تفسيره» (١/ ٢٤٤) بسند صحيح.

(٥) أخرجه أحمد (٤/٩٣، ٩٩، ١٠٤، ٢٤٤)، والبخاري رقم (٣٦٤٠، ٣٦٤١، ٧٣١١)، ومسلم رقم (١٥٦/٢٤٧) و(١٧٠/ ١٩٢٠) و(١٧١/ ١٩٢١) و(١٧٢/ ١٩٢٢).

والاستدراجُ: هو الأخذُ بالتدريج منزلةً بعد منزلة[١]، والدَّرْجُ: لفُّ الشيء، يقال: أدرجتُه ودَرَجتُه، ومِنْه: إدارج الميت في أكفانه؛ وقيل: هو من الدَرَجة.

فالاستدراج: أَنْ يخطو درجة[٢] بعد درجةٍ إلى المقصود، ومنه دَرجَ الصبيّ: إذا قارب بين خُطاه، وأَدرجَ الكتابَ: طواه شيئاً بعد شيء، ودَرَج القومُ: مات بعضُهم في أثر بعض.

والمعنى: سنستدرجهم قليلاً قليلاً[٣] إلى ما يُهلكهم، وذلك بإدرار النِّعم عليهم وإنسائهم شكرها، فينهمكون في الغواية، ويتنكبون طرقَ الهداية لاغترارهم بذلك، وأنَّه لم يحصل لهم إلا بما لهم عند الله مِنْ المَنْزلة والزلفة.

قولُه: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْۚ﴾ معطوف على سنستدرجهم؛ أي: أُطيل لهم المدّة، وأُمهلهم، وأؤخّر عنهم العقوبة.

وجملة: ﴿إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ مقرّرة لما قبلها مِنْ الاستدراج والإملاء، ومؤكدة له، والكيد: المكرُ، والمتين[٤]: الشديدُ القويّ، وأصله من المَتْن وهو اللحم الغليظ الذي على جانب الصُّلب.

قال في «الكشاف»[٥]: سماه كيداً؛ لأنَّه شبيه بالكيد مِنْ حيث إنه في الظاهر إحسان وفي الحقيقة خذلان.

والاستفهام في ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْۗ﴾ للإنكار[٦] عليهم، حيثُ لم يتفكروا في شأن رسول الله ﷺ، وفيما جاء به و«ما» في ﴿مَا بِصَاحِبِهِم﴾ للاستفهام[٧] الإنكاري، وهي في محل رفع بالابتداء والخبر بـ ﴿بِصَاحِبِهِم﴾.

والجِنَّة مصدر؛ أي: وقع مِنْهم التكذيب، ولم يتفكروا أيّ شيء مِنْ جنون كائن بصاحبهم كما يزعمون، فإنَّهم لو تفكروا لوجدوا زعمهم باطلاً، وقولهم زوراً وبهتاً.

---

(١) «تهذيب اللغة» (١٠/ ٦٤٢).
(٢) «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص١٢٦).
(٣) «معالم التنزيل» (٢/ ٢١٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٣٩٧)، و«جامع البيان» (١٠/ ٦٠٠ ـ ٦٠١).
(٤) «الصحاح» (٦/ ٢٢٠٠).
(٥) (٢/ ٥٣٦).
(٦) «روح المعاني» (٩/ ٥٠٧)، و«البحر المحيط» (٥/ ٢٣٤).
(٧) «البحر المحيط» (٥/ ٢٣٤)، و«التبيان» (١/ ٦٠٥).

وقيل: إنّ «ما» نافية(١) واسمها ﴿مِّن جِنَّةٍ﴾ وخبرها بصاحبهم؛ أي: ليس(٢) بصاحبهم شيء مما يدّعونه مِنْ الجنون، فيكون هذا رداً لقولهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦٠] ويكون الكلام قد تمّ عند قوله: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟﴾ والوقف عليه مِنْ الأوقاف الحسنة.

وجملة: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ مقرِّرة لمضمون ما قبلها، ومبيِّنة لحقيقة حال رسول الله ﷺ، والاستفهام في ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ للانكار والتقريع(٣) والتوبيخ، ولقصد التعجيب مِنْ إعراضهم عن النظر في الآيات البيِّنة الدالة على كمال قدرته وتفرده بالإلٰهية، والمَلَكوت من أبنية المبالغة، ومعناه: المُلْك العظيم وقد تقدّم بيانه.

والمعنى: إنَّ هؤلاء لم يتفكروا حتى ينتفعوا بالتفكّر، ولا نظروا في مخلوقات الله حتى يهتدوا بذلك إلى الإيمان به؛ بل هم سادرون في ضلالتهم، خائضون في غوايتهم، لا يُعمِلون فكراً، ولا يُمْعَنون نظراً.

قوله: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾؛ أي: لم ينظروا(٤) في مَلَكُوت السمٰوات والأرض، ولا فيما خلق الله مِنْ شيء من الأشياء كائناً ما كان، فإن في كل مخلوقاته عبرةً للمعتبرين، وموعظةً للمتفكرين، سواء كانت مِنْ جلائل مصنوعاته كملكوت السمٰوات والأرض، أو مِنْ دقائقها من سائر مخلوقاته.

قوله: ﴿وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ معطوف على مَلَكوت، و(أن) هي المخفّفة(٥) مِنْ الثقيلة واسمها: ضميرُ الشأن وخبرها: عسى وما بعدها؛ أي: أو لم ينظروا في أَنْ الشأنَ والحديث عسى أن يكون قد اقترب أجلُهم، فيموتون عن قريب.

والمعنى: إنّهم إذا كانوا يجوّزون قرب آجالهم، فما لهم لا ينظرون فيما يهتدون به، وينتفعون بالتفكر فيه والاعتبار به ﴿فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ الضمير يرجع

---

(١) «التبيان» (١/ ٦٠٥).
(٢) «جامع البيان» (١٠/ ٦٠٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٣٩٨).
(٣) «روح المعاني» (٩/ ٥٠٨ ـ ٥٠٩)، و«البحر المحيط» (٥/ ٢٣٤).
(٤) «جامع البيان» (١٠/ ٦٠٣)، و«المحرر الوجيز» (٧/ ٢١٨).
(٥) «التبيان» (١/ ٦٠٥)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٦٥).

إلى ما تقدّم مِنْ التفكر والنظر في الأمور المذكورة؛ أي: فبأيّ حديث بعد هذا الحديث المتقدم بيانه يؤمنون؟

وفي هذا الاستفهام مِنْ التقريع والتوبيخ ما لا يُقادر قدره؛ وقيل: الضمير للقرآن، وقيل: لمحمد ﷺ، وقيل: للأجل المذكور قبله.

وجملة: ﴿مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ﴾ مقرِّرة لما قبلها؛ أي: إن هذه الغفلة منهم عن هذه الأمور الواضحة البيّنة ليس إلا لكونهم ممَّن أضله الله، ومَنْ يضلله فلا هادي له؛ أي: فلا يُوجد مَنْ يهديه إلى الحق، ويَنزعه عَنْ الضلالة البتة ﴿وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ قُرئ بالرفع[1] على الاستئناف، وبالجزم[2] عطفاً على محل الجزاء.

وقُرئ بالنُّون؛ ومعنى يَعمهون: يتحيّرون، وقيل: يتردّدون وهو في محل نصب على الحال.

وقد أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وأبو الشيخ، عن ابن جريج[3]، في قوله: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾ قال: ذُكر لنا أن النبي ﷺ قال: «هذه أمتي بالحق يحكمون ويقضون ويأخذون ويعطون».

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، عن قتادة[4]، في الآية قال: بلغنا أن نبي الله ﷺ كان يقول: «إذا قرأها هذه لكم، وقد أُعطي القومُ بين أيديكم مثلها ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾» [الأعراف: ١٥٩].

وأخرج ابن أبي حاتم عن الربيع[5] في الآية قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أمتي قوماً على الحق حتى ينزلَ عيسى ابن مريم متى نزل».

---

(١) «الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٨٥)، و«النشر» (٢/ ٥٧٤)، و«التيسير» (ص١١٥)، و«زاد المسير» (٣/ ٢٩٦).

(٢) انظر: المصادر المتقدمة. قال في «تخريج القراءات في فتح القدير» (ص١٤٣): فيها ثلاث قراءات متواترة (نذرهم) بالنون والرفع. عن نافع وابن كثير وابن عامر وأبي جعفر (يذُرهم) بالياء والرفع عن أبي عمرو وعاصم ويعقوب و(يذرْهم) بالجزم والياء عن حمزة والكسائي وخلَف.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٦٠٠) بسند ضعيف.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٦٠٠) بسند صحيح.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٢٣) بسند ضعيف.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن السديّ[١] في قوله: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يقول: سنأخذهم من حيث لا يعلمون، قال: عذابُ بدرٍ.

وأخرج أبو الشيخ[٢]، عن يحيى بن المثنى في الآية قال: كلما أحدثوا ذنباً جدّدنا لهم نعمةً، تنسيهم الاستغفار.

وأخرج ابن أبي الدنيا، وأبو الشيخ، والبيهقي في «الأسماء والصفات»، عن سفيان[٣] في الآية قال: نُسبغ عليهم النعمة، ونمنعهم شكرها.

وأخرج ابن أبي الدنيا، والبيهقي عن ثابت[٤] البناني، أنه سئل عن الاستدراج فقال: ذلك مكر الله بالعباد المُضيِّعين.

وأخرج أبو الشيخ[٥]، [٢/١٦١] في قوله: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ يقول: أكفّ عنهم ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ إن مكري شديد، ثم نسخها الله فأنزل ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥].

وأخرج ابن أبي حاتم، عن ابن عباس[٥] قال. كيد الله العذاب والنقمة.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن قتادة[٦]، قال: ذكر لنا: «أَنَّ نبيّ الله ﷺ قام على الصفا، فدعا قريشاً فخذاً ـ فخذاً: يا بني فلان يا بني فلان، يحذّرهم بأسَ الله، ووقائع الله إلى الصباح حتى قال قائل: إنَّ صاحبكم هذا لمجنون بات يصوّت حتى أصبح، فأنزل الله: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٢٤) بسند حسن.

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٦١٨).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب «الشكر» رقم (١١٤)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (١٠٢٤) من طريق عبد الله بن داود الخُريبي، به.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب «الشكر» رقم (١١٥)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (١٠٢٤) بسند ضعيف.

(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٦١٨).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٢٤)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٦٠٢) بسند صحيح.

[الساعة غيب من الغيب الذي استأثر الله بعلمه]:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾.

[تتفرد الذات الإلٰهية بخصائص لا يشاركها البشر في شيء منها ولو كان هذا البشر محمد ﷺ حبيبه ومصطفاه]:

﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَـٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَـٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾﴾.

قوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ السائلون: هم اليهود، وقيل: قريش، والساعة: القيامةُ وهي من الأسماء الغالبة(١)، وإطلاقها على القيامة لوقوعها بغتةً أو لسرعة حسابها، و﴿أَيَّانَ﴾ ظرف زمان(٢) مبنيٌّ على الفتح.

قال الراجز:

أيــانَ تــقــضــي حــاجــتــي أيّــانــا ... أمــا تــرى لــنُــجْــحــهــا أوانــا(٣)

ومعناه معنى: متى، واشتقاقه مِنْ أيّ، وقيل: مِنْ أينَ.

وقرأ السُّلَمي: «إِيّان» بكسر(٤) الهمزة وهو في موضع رفع على الخبر.

---

(١) «جامع البيان» (١٠/ ٦٠٦)، و«النكت والعيون» (٢/ ٢٨٤).

(٢) «التبيان» (١/ ٦٠٦)، و«مشكل إعراب القرآن» (١/ ٣٣٦)، و«البحر المحيط» (٥/ ٢٣٧).

(٣) ذكره أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (١/ ٢٣٤)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٦٠٦).

(٤) «القراءات الشاذة» (ص٤٨)، و«المحتسب» (١/ ٢٦٨)، و«روح المعاني» (٩/ ٥١٧). وهي قراءة شاذة.

و﴿مُرْسَىٰهَا﴾ المبتدأ عند سيبويه[١]، و«مُرساها» بضم الميم؛ أي: وقتُ إرسائها مِنْ أرساها الله؛ أي: أثبتها، وبفتح الميم مِنْ رست؛ أي: ثبتت، ومنه: ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾ [سبأ: ١٣]، ومنه: رسا الجبل.

والمعنى: متى يُرسيها الله؛ أي: يُثْبتها ويوقعها، وظاهر ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ أَنّ السؤال عن نفس الساعة، وظاهر ﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ أنّ السؤال عن وقتها، فحصل مِنْ الجميع أن السؤال المذكور هو عَنْ الساعة باعتبار وقوعها في الوقت المعين لذلك، ثم أمره الله سبحانه بأن يجيب عنهم بقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى﴾؛ أي: علمها باعتبار وقوعها عند الله لا يعلمها غيره، ولا يهتدي إليها سواه.

﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾؛ أي: لا يُظهرها لوقتها، ولا يَكْشفُ عنها إلا الله سبحانه، والتجلية: إظهارُ الشيء، يُقال: جلى لي فلان الخبرَ: إذا أظهره وأوضحه، وفي استئثار الله سبحانه بعلم الساعة حكمة عظيمة، وتدبير بليغ كسائر الأشياء التي أخفاها الله واستأثر بعلمها. وهذه الجملة مقرِّرة لمضمون التي قبلها.

قوله: ﴿ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قيل: معنى ذلك: أنَّه لما خَفِي علمها على أهل السمٰوات والأرض كانت ثقيلةً؛ لأن كل ما خَفِي علمه ثقيل على القلوب.

وقيل: المعنى: لا تُطيقها السمٰوات والأرض لعِظمها؛ لأنَّ السماء تنشق، والنجوم تتناثر، والبحار تنضُب.

وقيل: عظم وصفها عليهم؛ وقيل: ثقلت المسألة عنها.

وهذه الجملة مقرّرة لمضمون ما قبلها أيضاً ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ إلا فجأةً على غفلةٍ، والبغتة، مصدر في موضع الحال، وهذه الجملة كالتي قبلها في التقرير. قوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا﴾.

قال ابنُ فارس[٢]: الحفيّ العالِم بالشيء، والحَفيُّ: المستقصى في السؤال، ومِنْه قول الأعشى[٣]:

فإن تسألي عني فيا رُبّ سائلٍ حَفيٍّ عَنْ الأعشى به حيثُ أصعدا

---

(١) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ١٦٦).

(٢) في «مجمل اللغة» (١/ ٢٤٣). (٣) انظر: «ديوان الأعشى» (ص١٨٥).

يقال: أحفى في المسألة وفي الطلب فهو مُحْفٍ، وحَفيّ على التكثير مثل مُخْصب وخَصيب.

والمعنى: يسألونك عَنْ الساعة كأنَّك عالم بها، أو كأنك مستقص للسؤال عنها ومستكثر منه.

والجملة التشبيهية في محل نصب[1] على الحال؛ أي: يسألونك مُشبّهاً حالك حال مَنْ هو حفيّ عنها.

وقيل: المعنى: يسألونك عنها كأنك حفيّ بهم؛ أي: حفيّ ببرّهم وفَرِح بسؤالهم[2].

والأوّل: هو معنى النظم القرآني على مقتضى المسلك العربي.

قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾ أمره الله سبحانه بأن يكرّر ما أجاب به عليهم سابقاً لتقرير الحكم وتأكيده.

وقيل: ليس بتكرير[3]؛ بل أحدهما معناه: الاستئثار بوقوعها، والآخر: الاستئثار بكُنْهها نفسها ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ باستئثار الله بهذا، وعدم علم خلقه به، لم يعلمه مَلَك مقرّب ولا نَبيّ مرسل.

قوله: ﴿قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ هذه الجملة متضمنة لتأكيد ما تقدّم مِنْ عدم علمه بالساعةِ أيّان تكون ومتى تقع؛ لأنه إذا كان لا يقدر على جلب نفع له، أو دفع ضرّ عنه إلّا ما شاء الله سبحانه مِنْ النفع له والدفع عنه، فبالأولى أَنْ لا يقدر على علم ما استأثر الله بعلمه، وفي هذا مِنْ إظهار العبودية والإقرار بالعجز عن الأمور التي ليست من شأن العبيد، والاعتراف بالضعف عن انتحال ما ليس له ﷺ ما فيه أعظم زاجر، وأبلغ واعظ لمن يدّعي لنفسه ما ليس من شأنها، وينتحل علم الغيب بالنجامة، أو الرَمْل أو الطَرْق بالحَصا أو الزجر.

---

(١) «البحر المحيط» (٥/٢٣٩)، و«التبيان» (١/٦٠٦)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/١٦٦).

(٢) «جامع البيان» (١٠/٤٦٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٩/٤٠٦)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/١٦٦).

(٣) «البحر المحيط» (٥/٢٣٩).

ثم أكّد هذا وقرّره بقوله: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾؛ أي: لو كنت[1] أعلم جنسَ الغيب لتعرّضت لما فيه الخير فجلبته إلى نفسي، وتوقيت ما فيه السوء حتى لا يمسني، ولكني عبدٌ لا أدري ما عند ربي، ولا ما قضاه فيَّ وقدّره لي، فكيف أدري غير ذلك وأتكلف علمه؟!.

وقيل: المعنى: لو كنتُ أعلم ما يريد الله ﷻ منيَّ مِنْ قبل أن يعرّفنيه لفعلته.

وقيل: لو كنتُ أعلم متى يكون لي النصر في الحرب لقاتلت فلم أُغلب.

وقيل: لو كنت أعلم الغيب لأجبت عَنْ كل ما أسأل عنه، والأولى حمل الآية على العموم، فتندرج هذه الأمور وغيرها تحتها.

وقد قيل: إن ﴿وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾ كلام مستأنف؛ أي: ليس بي ما تزعمون من الجنون والأولى: أنَّه متصل بما قبله.

والمعنى[2]: لو علمت الغيب ما مسني السوء، ولحذرت عنه كما قدّمنا ذلك.

قوله: [٢/١٦٢] ﴿إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: ما أنا إلا مبلِّغ عن الله لأحكامه، أنذر بها قوماً، وأبشر بها آخرين، ولست أعلم بغيب الله سبحانه، واللام[3] في ﴿لِّقَوْمٍ﴾ متعلق بكلا الصفتين؛ أي: بشير لقومٍ، ونذير لقوم، وقيل: هو متعلق ببشير، والمتعلق بنذير محذوف؛ أي: نذير لقوم يكفرون، وبشير لقوم يؤمنون.

قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ هذا كلام مبتدأ يتضمن ذكر نعم الله على عباده، وعدم مكافأتهم لها، مما يجب مِنْ الشكر والاعتراف بالعبودية، وأنه المنفرد بالإلٰهية. قال جمهور[4] المفسرين: المراد بالنفس الواحدة: آدم.

[الأصل في التقاء الزوجين هو السكن والاطمئنان والأنس والاستقرار]:

وقوله: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ معطوف على ﴿خَلَقَكُم﴾؛ أي: هو الذي خلقكم من نفس آدم، وجعل من هذه النفس زوجها، وهي حواء، خلقها مِنْ ضِلَع مِنْ أضلاعه.

---

(١) «جامع البيان» (١٠/ ٦١٥)، و«النكت والعيون» (٢/ ٢٨٥)، و«البحر المحيط» (٥/ ٢٤١).
(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٤٠٨).
(٣) «التبيان» (١/ ٦٠٧)، و«روح المعاني» (٩/ ٥٢٨).
(٤) «جامع البيان» (١٠/ ٦١٧)، و«المحرر الوجيز» (٧/ ٢٢٢)، و«تفسير ابن كثير» (٦/ ٤٧٩).

وقيل: المعنى: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا﴾ من جنسها، كما في قوله: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [النحل: ٧٢] والأوّل أولى ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ علة للجَعْل؛ أي: جَعله منها لأجل يسكن إليها يأنس إليها، ويطمئن بها، فإن الجِنْسَ بجنسه أسكن وإليه آنس، وكان هذا في الجنة كما وردت بذلك الأخبار.

ثم ابتدأ سبحانه بحالة أخرى كانت بينهما في الدنيا بعد هبوطهما، فقال: ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا﴾، والتغشي كناية عَنْ الوقاع؛ أي: فلما جامعها ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾ علقت به بعد الجِماع، ووصفه بالخفّة لأنه عند إلقاء النطفة أخفّ منه عند كونه علقة، وعند كونه علقة أخفّ منه عند كونه مُضْغة، وعند كونه مضغة أخفّ مما بعده.

وقيل: إنّه خفّ عليها هذا الحمل مِنْ ابتدائه إلى انتهائه، ولم تجد منه ثقلاً كما تجده الحوامل من النِّساء، لقوله: ﴿فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾؛ أي: استمرت بذلك الحمل تقوم وتقعد، وتمضي في حوائجها لا تجد به ثقلاً، والوجه الأوّل أولى لقوله: ﴿فَلَمَّآ أَثْقَلَت﴾ فإن معناه: فلما صارت ذات ثقلٍ لكبر الولد في بطنها.

وقرئ «فَمَرتْ به» بالتخفيف[1]؛ أي: فجزعت لذلك، وقرئ: «فمَارَتْ[2] به» مِنْ المور، وهو المجيء والذهاب؛ وقيل: المعنى: فاستمرّت به.

وقد رويت قراءة التخفيف عَنْ ابن عباس، ويحيى بن يَعْمَر، ورويت قراءة «فمارت» عن عبد الله بن عمر.

وروي عن ابن عباس أنه قرأ: «فاستمرت به»[3].

قوله: ﴿دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا﴾ جواب لما؛ أي: دعا آدم وحواء ربَّهما ومالك أمرهما ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَالِحًا﴾؛ أي: ولداً صالحاً، واللّام جواب قَسَمٍ محذوف، و﴿لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ جواب القسم سادّ مسدّ جواب الشرط؛ أي: من الشاكرين لك على هذه النعمة؛ وفي هذا الدعاء دليل على أنهما قد علما أن ما حدث في بطن حواء مِنْ أثر ذلك الجماع هو من جنسهما، وعلما بثبوت النسل المتأثر عن

---

(١) «البحر المحيط» (٥/ ٢٤٦). «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٤٠٩). وهي قراءة شاذة.

(٢) «القراءات الشاذة» (ص٤٧)، و«المحتسب» (١/ ٢٦٩)، و«روح المعاني» (٩/ ٥٣٠)، و«زاد المسير» (٣/ ٣٠١). وهي قراءة شاذة.

(٣) «القراءات الشاذة» (ص٤٧)، و«المحتسب» (١/ ٢٦٩)، و«روح المعاني» (٩/ ٥٣٠).

ذلك السبب ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ ما طلباه مِنْ الولد الصالح وأجاب دعاءهما ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾.

قال كثير من المفسرين[(١)]: إنّه جاء إبليس إلى حواء وقال لها: إن ولدتِ ولداً فسميه باسمي فقالت: وما اسمُك؟ قال: الحارث ولو سَمَّى لها نفسه لعرفته، فسمته عبد الحارث، فكان هذا شركاً في التسمية ولم يكن شركاً في العبادة. وإنما قصدا أن الحارث كان سبب نجاة الولد كما يُسمّى الرجل نفسه عبد ضيفه كما قال حاتم الطائي[(٢)]:

وإني لعبدُ الضيف ما دام ثاوياً ... وما فيّ إلا تلك من شيمة العبدِ

وقال جماعة من المفسرين[(٣)]: إن الجاعل شركاً فيما آتاهما هم جنس بني آدم كما وقع من المشركين منهم، ولم يكن ذلك مِنْ آدم وحواء، ويدلّ على هذا جمع الضمير في قوله: ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

وذهب جماعة من المفسرين إلى أن معنى ﴿مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾: من هيئة واحدة وشكل واحد ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾؛ أي: من جنسها ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾ يعني: جنس الذكر جنس الأنثى، وعلى هذا لا يكون لآدم وحوّاء ذكر في الآية، وتكون ضمائر التثنية راجعة إلى الجنسين.

وقد قدّمنا الإشارة إلى نحو هذا، وذكرنا أنه خلاف الأولى لأمور منها: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ بأن هذا إنما هو لحواء، ومنها: ﴿دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا﴾ فإن كل مولود يولد بين الجنسين، لا يكون منهما عند مقاربة وضعه هذا الدعاء.

وقد قرأ أهل المدينة وعاصم: «شركاً»[(٤)] على التوحيد.

وقرأ أبو عمرو، وسائر أهل الكوفة بالجمع[(٥)].

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٤١٠ ـ ٤١١)، و«جامع البيان» (١٠/ ٦٢١ ـ ٦٢٢).

(٢) انظر: «ديوان حاتم الطائي» (ص٤٤).

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٤١١)، و«جامع البيان» (١٠/ ٦٣١)، و«المحرر الوجيز» (٧/ ٢٢٦).

(٤) «النشر» (٢/ ٢٧٣)، و«جامع البيان» (١٠/ ٦٣٠ ـ ٦٣١)، و«البحر المحيط» (٥/ ٢٤٧)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٨٥).

(٥) «البحر المحيط» (٥/ ٢٤٧)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٦٧)، و«زاد المسير» (٣/ ٣٠٢)، و«حاشية الجمل» (٢/ ٢١٨). هما قراءتان متواترتان ولكن العزو الصحيح هو: قرأ =

وأنكر الأخفش[1] سعيد القراءة الأولى.

وأُجيب عنه بأنها صحيحة على حذف المضاف؛ أي: جعلا له ذا شركٍ، أو ذوي شرك، والاستفهام في ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا﴾ للتقريع[2] والتوبيخ؛ أي: كيف يجعلون لله شريكاً لا يخلق شيئاً ولا يقدر على نفع لهم، ولا دفع عنهم؟!

قوله: ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ عطف على ﴿مَا لَا يَخْلُقُ﴾ والضمير راجع إلى الشركاء الذين لا يخلقون شيئاً؛ أي: وهؤلاءِ الذين[3] جعلوهم شركاء مِنْ الأصنام أو الشياطين مخلوقون، وجمَعَهم جمع العقلاء لاعتقاد مَنْ جعلهم شركاء أنهم كذلك ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ﴾؛ أي: لمن جعلهم شركاء ﴿نَصْرًا﴾ إنْ طلبه منهم ﴿وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ إن حصل عليهم شيء من جهة غيرهم، ومَنْ عجز عَنْ نصر نفسه فهو عن نصر غيره أعجز.

وقد أخرج ابن إسحاق، وابن جرير، وأبو الشيخ، عن ابن عباس[4]، قال: قال حمل بن أبي قيس، وشمول[5] بن زيد لرسول الله ﷺ: أَخبرْنا متى الساعة إن كنت نبياً كما تقول فإنّا نعلم ما هي؟ فأنزل الله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى﴾ إلى قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، عن قتادة[6] ﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾؛ أي: متى قيامها؟ ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ قال[7]: قالت قريش: يا محمد

= نافع وأبو جعفر وعاصم من رواية أبي بكر فقط (شِركاً) بكسر الشين، وسيكون الراء، والباقون بالجمع أي بضم الشين وفتح الراء وألف ممدودة آخره. انظر: «تخريج القراءات في فتح القدير» (ص١٤٤).

(١) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٥٣٩).
(٢) «روح المعاني» (٩/ ٥٤٩)، و«تفسير أبي السعود» (٣/ ٢٨٥).
(٣) «جامع البيان» (١٠/ ٦٢٣ ـ ٦٢٤).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٦٠٤ ـ ٦٠٥) بسند ضعيف.
(٥) كذا في المخطوط، والذي في «الدر المنثور»: «شمويل».
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٦٠٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٢٦) بسند صحيح.
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٦١٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٢٧) بسند صحيح، ولكنه مرسل.

أسرّ إلينا الساعة لما بيننا وبينك من القرابة؟ قال: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ وذكر لنا أن نبيّ الله ﷺ كان يقول: «تَهيج الساعة بالناس والرجل يسقي على ماشيته، والرَّجِل يُصلح حوضَه، والرجل يخفض [٢/١٦٣] ميزانه ويرفعه، والرجل يقيم سلعتَه في السوق قضاء الله لا تأتيكم إلا بغتة».

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس(١)، في قوله: ﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ قال: مُنْتهاها.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن مجاهد(٢) ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ يقول: لا يأتي بها إلا الله.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن قتادة(٣)، في الآية قال: هو يجليها لوقتها، لا يعلم ذلك إلا الله.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن ابن عباس(٤)، في قوله: ﴿ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قال: ليس شيء مِنَ الخلق إلا يصيبه مِنْ ضرر يوم القيامة.

وأخرج عبد الرزاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن قتادة(٥)، في قوله: ﴿ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قال: ثقل علمها على أهل السمٰوات والأرض يقول: كَبُرت عليهم.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وأبو الشيخ، عن ابن جريج(٦)، في قوله: ﴿ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قال: إذا جاءت انشقت السماء، وانتثرت النجوم. وكُوّرت الشمس،

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/٦٠٦ ـ ٦٠٧) من طريق علي، به. بسند صحيح. وأخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/١٦٢٦) من طريق الضحاك، به. بسند ضعيف.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/٦٠٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/١٦٢٧) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/٦٠٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/١٦٢٧) بسند صحيح.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/١٦٢٧) من طريق الضحاك، به. وسنده ضعيف. الضحاك لم يلق ابن عباس.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/١٠٨ ـ ١٠٩)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (١/٢٤٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/١٦٢٧) بسند صحيح من طريق معمر، عن الحسن.

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/٦٠٩) بسند ضعيف.

وسُيرت الجبال، وما يصيب الأرض، وكان ما قال الله سبحانه فذلك ثقلها فيهما.

وأخرج ابن أبي حاتم، عن مجاهد[١]، في قوله: ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ قال: فجأةً آمنين.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، والبيهقي في «البعث»، عن مجاهد[٢]، في قوله: ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ قال: استَحفَيتَ عنها السؤال حتى علمتها.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن ابن عباس[٣]، في قوله: ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ يقول: كأنك عالم بها؛ أي: لست تعلمها.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، والبيهقي عنه[٤] ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ قال: لطيف بها.

وأخرج ابن جرير، وابنِ أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي، عنه[٥]، أيضاً ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ يقول: كأنّ بينك وبينهم مودّةً كأنك صديق لهم، قال: لما سأل الناس محمداً ﷺ عن الساعة سألوه سؤال قوم كأنهم يرون أن محمداً حفيّ بهم، فأوحى الله إليه: ﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ﴾ استأثر بعلمها، فلم يُطلِع ملكاً ولا رسولاً.

وأخرج عبد بن حميد[٦]، عن عمرو بن دينار قال: كان ابن عباس يقرأ: «كأنك حفيّ بها».

وأخرج ابن جرير، وأبو الشيخ، عن ابن جريج[٧] ﴿قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ قال: الهدى والضلالة ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ متى أموت ﴿لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾ قال: العمل الصالح.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٩٤ رقم ٧٣١٣).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٢٨) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٢٨) بسند ضعيف من طريق الضحاك، به.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٦١٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٢٨) بسند صحيح.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٦١١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٢٨، ١٦٢٩) بسند ضعيف.

(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٦٢٤).

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٦١٦) بسند ضعيف.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن ابن عباس[(١)]، في قوله: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾ قال: لعلمت إذا اشتريت شيئاً ما أربح فيه فلا أبيع شيئاً لا ربحَ فيه ﴿وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾ قال: ولا يصيبني الفقر.

وأخرج ابن جرير، وأبو الشيخ، عن ابن زيد[(٢)] في قوله: ﴿وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾ قال: لاجتنبت ما يكون مِنْ الشرّ قبل أن يكون.

وأخرج أحمد، والترمذي وحسنه، وأبو يعلى، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والروياني، والطبراني، وأبو الشيخ، والحاكم وصححه، وابن مردويه، عن سمرة[(٣)] عن النبي ﷺ قال: «لما وَلَدت حواء طاف بها إبليس، وكان لا يعيش لها ولد، فقال: سمّيه عبدَ الحارث فإنه يعيش، فسمته عبد الحارث فعاش، فكان ذلك من وحي الشيطان وأمره».

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن مردويه، عن سمرة[(٤)] في قوله: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾ قال: سمياه عبد الحارث.

وأخرج عبد بن حميد، وأبو الشيخ، عن أُبيّ[(٥)] بن كعب، نحو حديث سمرة المرفوع موقوفاً عليه.

وأخرج سعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس[(٦)] قال: حملت حواء فأتاها إبليس فقال: إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٢٩) بسند ضعيف.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٥١٦) بسند صحيح.

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» رقم (٢٠١١٧)، والترمذي رقم (٣٠٧٧)، وابن جرير (١٠/ ٦٢٣)، والروياني رقم (٨١٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٣١)، والطبراني رقم (٦٨٩٥)، والحاكم (٢/ ٥٤٥). وهو حديث ضعيف. «الضعيفة» رقم (٣٤٢).
قال ابن كثير في «تفسيره» (٦/ ٤٨١): «والغرض أنَّ هذا الحديث معلول من ثلاثة أوجه: (ثم ذكرها) وقال: ولو كان هذا الحديث محفوظاً عن رسول الله ﷺ، لما عدل عنه هو ولا غيره، لا سيما مع تقواه لله وورعه، فهذا يدلك على أنه موقوف على الصحابي، ويحتمل أنّه تلقاه من بعض أهل الكتاب من آمن منهم، مثل: كعب أو وهب بن منبه وغيرهما».

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٦٢٣) بسند ضعيف.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٣٣).

(٦) أخرجه سعيد بن منصور في «سننه» رقم (٩٧٣ ـ تفسير)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٣٤) بسند ضعيف.

لتطيعنني أو لأجعلنَّ له قَرْنَي إِيّل، فيخرج من بطنك فيشقه، ولأفعلنّ ولأفعلنّ يخوّفهما، سمياه عبد الحارث، فأبيا أَنْ يطيعاه فخرج ميتاً، ثم حملت فأتاهما أيضاً فقال مثل ذلك، فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتاً، ثم حملت فأتاهما فذكر لهما، فأدركهما حبّ الولد فسمياه عبد الحارث، فذلك قوله: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾.

وأخرج ابن جرير، وأبو الشيخ، عن الحسن[1]، في الآية قال: كان هذا في بعض أهل الملل وليس بآدم.

وأخرج أبو الشيخ، وابن مردويه[2]، عن سمرة، في قوله: ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾ لم يستبن ﴿فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾ لما استبان حملها.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس[3]، في قوله: ﴿فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾ قال: فشكت أحملت أم لا؟

وأخرج ابن جرير، وأبو الشيخ، عن أيوب[4] قال: سئل الحسن عن قوله: ﴿فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾؟ قال: لو كنت عربياً لعرفتها إنما هي استمرّت بالحمل.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن السدّي[5]، في قوله: ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾ قال: هي النطفة ﴿فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾ يقول: استمرت به.

وأخرج سعيد بن منصور، وابن المنذر، عن ابن عباس[6]، في قوله: ﴿فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾ قال: فاستمرت به.

وأخرج ابن أبي حاتم، عن ميمون[7] بن مهران ﴿فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾ يقول: استخفته.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٦٢٩) وهو أثر صحيح لغيره.

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٦٢٥).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٦١٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٣١) بسند ضعيف.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٦١٨) عن أيوب، وعبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٢٤٨) عن معمر، عن الحسن بسند صحيح.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٦١٨ ـ ٦١٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٣١) بسند حسن.

(٦) أخرجه سعيد بن منصور في «سننه» رقم (٩٧٢ ـ تفسير) بسند صحيح.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٣٢) بسند حسن.

وأخرج عبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عَنْ أبي صالح[١] في قوله: ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾ فقال: أشفقا أَنْ يكون بهيمة، فقالا: لئن آتيتنا بشراً سويّاً.

وأخرج ابن أبي حاتم[٢]، عن مجاهد نحوه.

وأخرج عبد الرزاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن الحسن[٣] في الآية قال: غلاماً سويّاً.

وأخرج عبد بن حميد[٤]، عن ابن عباس، في قوله: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾ قال: كان شريكاً في طاعة ولم يكن شريكاً في عبادة.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم[٥] عنه، قال: ما أشرك آدم إنّ أوّلها شكرٌ، وآخرها مَثَلٌ ضربَه لمَن بعده.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن السديّ[٦]، في قوله: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ هذا فصل مِنْ آية آدم، خاصة في آلهة العرب.

وأخرج ابن أبي حاتم، عن أبي مالك[٧] نحوه.

وأخرج عبد بن حميد، وأبو الشيخ، عن الحسن[٨]، في الآية قال: هذا في الكفار يدعون الله فإذا آتاهما صالحاً هَوّدا أو نَصّرا، ثم قال: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ يقول: يطيعون ما لا يخلق شيئاً، وهي الشياطين لا تخلق شيئاً وهي تخلق ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾ يقول لمن يدعوهم.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٣٣)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٦٢٠ ـ ٦٢١) من طريق محمد بن عبيد، به.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٣٢) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٦٢٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٤٨) بسند صحيح.

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٦٢٦).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٣٣).

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٦٣٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٣٥) بسند حسن.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٣٥) بسند حسن.

(٨) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٦٢٧).

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا ۖ وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾﴾.

قوله: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾ هذا خطاب للمشركين؛ أي: وإن تدعوا هؤلاء الشركاء إلى الهدى والرشاد بأن تطلبوا منهم أن يهدوكم لا يتبعوكم ولا يجيبوكم إلى ذلك، وهو دون ما تطلبونه منهم من جلب النفع، ودفع الضرّ، والنصر على الأعداء.

قال الأخفش[1]: معناه: وإنْ تدعوهم؛ أي: الأصنام إلى الهدى لا يتبعوكم.

وقيل: المراد: مَنْ سبق في علم الله أنّه لا يؤمن. وقرئ[2]: «لا يتَّبعوكم» مشدّداً ومخففاً وهما لغتان.

وقال بعض أهل[3] اللغة: «أتبعه» مخففاً: إذا مضى خلفَه ولم يُدْركه، واتّبعه مشدّداً: إذا مضى خلفه فأدركه.

وجملة ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ﴾ مقرّرة لمضمون ما قبلها؛ أي: دعاؤكم لهم عند الشدائد وعدمه سواء لا فرق بينهما؛ لأنّهم لا ينفعون ولا يضرون،

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/ ٤١٥).

(٢) «النشر» (٢/ ٢٧٤)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٨٦)، و«زاد المسير» (٣/ ٣٠٥)، و«البحر المحيط» (٥/ ٢٤٩). التخفيف بفتح الياء وسكون التاء وفتح الباء (يَتْبَعوكم) هي قراءة نافع، وعليه جرى تفسير المؤلف والتشديد بفتح الياء، وفتح التاء مشدّدة وكسر الباء قراءة الجمهور. انظر: «تخريج القراءات في فتح القدير» (ص١٤٤).

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٤١٥)، و«البحر المحيط» (٥/ ٢٤٩).

ولا يسمعون ولا يجيبون، وقال: ﴿أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ﴾ مكان أم صمتم لما في الجملة الاسمية مِنْ المبالغة.

وقال أحمد[1] بن يحيى: إنما جاء بالجملة الاسمية لكونها رأس آية، يعني: لمطابقة ﴿وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ وما قبله.

قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ أخبرهم سبحانه بأن هؤلاء الذين جعلتموهم آلهة هم عباد لله كما أنتم عباد له مع أنكم أكمل منهم؛ لأنكم أحياء تنطقون وتمشون، وتسمعون وتبصرون، وهذه الأصنام ليست كذلك، ولكنها مثلكم في كونها مملوكة لله مُسخّرة لأمره. وفي هذا تقريع لهم بالغ، وتوبيخ لهم [٢/١٦٤] عظيم.

وجملة: ﴿فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ﴾ مقررة لمضمون ما قبلها مَنْ أنهم إن دعوهم إلى الهدى لا يتبعوهم، وأنهم لا يستطيعون شيئاً؛ أي: ادعوا هؤلاء الشركاء، فإن كانوا كما تزعمون ﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فيما تدّعونه لهم، مِنْ قدرتهم على النفع والضرّ.

والاستفهام في قوله: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ﴾ وما بعده للتقريع[2] والتوبيخ؛ أي: هؤلاء الذين جعلتموهم شركاء ليس لهم شيء مِنْ الآلات التي هي ثابتة لكم، فضلاً عَنْ أن يكونوا قادرين على ما تطلبونه منهم، فإنهم كما ترون هذه الأصنام التي تعكفون على عبادتها ليست لهم ﴿أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ﴾ في نفع أنفسهم، فضلاً عن أن يمشوا في نفعكم، وليس ﴿لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ﴾ كما يبطش غيرهم من الأحياء، وليس ﴿لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ﴾ كما تبصرون، وليس ﴿لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَآ﴾ كما تسمعون، فكيف تدعون من هم على هذه الصفة من سلب الأدوات، وبهذه المنزلة من العجز؟!

و(أم) في هذه المواضع هي[3] المنقطعة التي بمعنى: بَلْ، والهمزة كما ذكره أئمة النحو.

---

(١) وهو ثعلب. ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ١٦٧).
(٢) «روح المعاني» (٩/ ٥٤٣)، و«البحر المحيط» (٥/ ٢٥١).
(٣) «البحر المحيط» (٥/ ٢٥٢)، و«تفسير أبي السعود» (٣/ ٢٨٧).

وقرأ سعيد بن جبير: ﴿إِنِ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ﴾ بتخفيف[١] إنْ ونصب عباداً؛ أي: ما الذين تدعون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ عباداً أَمۡثَالُكُمۡۖ﴾ على إعمال إنْ النافية عمل ما الحجازية.

وقد ضُعّفت هذه القراءة بأنها خلاف ما رجّحه سيبويه[٢] وغيره من اختيار الرفع في خبرها، وبأن الكسائي[٣] قال: إنها لا تكاد تأتي في كلام العرب بمعنى «ما» إلا أن يكون بعدها إيجاب كما في قوله: ﴿إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ [الملك: ٢٠].

والبطش: الأخذ بقوّة.

وقرأ أبو جعفر[٤]: ﴿يَبۡطُشُونَ﴾ بضم الطاء، وهي لغة، ثم لما بيَّن لهم حال هذه الأصنام، وتعاور وجوه النقص والعجز لها من كل باب، أمره الله بأن يقول لهم: ادعوا شركاءكم الذين تزعمون أن لهم قدرةً على النفع والضرّ.

﴿ثُمَّ كِيدُونِ﴾ أنتم وهم جميعاً بما شئتم مِنْ وجوه الكيد ﴿فَلَا تُنظِرُونِ﴾؛ أي: فلا تمهلوني ولا تؤخروا إنزال الضرر بي من جهتها، والكيد: المَكْرُ، وليس بعد هذا التحدّي لهم والتعجيز لأصنامهم شيء.

ثم قال لهم: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ﴾؛ أي: كيف أخاف هذه الأصنام التي هذه صفتها، ولي وليّ ألجأ إليه وأستنصر به، وهو الله ﷻ ﴿ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ﴾ وهذه الجملة تعليل لعدم المبالاة بها ووليّ الشيء: هو الذي يحفظه، ويقوم بنصرته، ويمنع منه الضرر ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾؛ أي: يحفظهم وينصرهم، ويحول ما بينهم وبين أعدائهم.

قال الأخفش[٥]: وقرئ: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ﴾ يعني: جبرائيل.

---

(١) «القراءات الشاذة» (ص٤٨)، و«المحتسب» (١/ ٢٧٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٤١٦). وهي قراءة شاذة.

(٢) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ١٦٨)، ومكي في «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣٢٨).

(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/ ٤١٦)، والنحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ١٦٨ ـ ١٦٩).

(٤) قرأ نافع وأبو جعفر وشيبة والحسن والمعلى، عن أبي بكر، عن عاصم والوليد بن مسلم، عن ابن عامر: «يبطُشون» بضم الطاء وهما لغتان: بطش يبطِش ويبطُش. والجمهور بكسر الطاء. «النشر» (٢/ ٢٧٤)، و«حاشية الجمل» (٢/ ٢٢٠)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٦٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٤١٦).

(٥) «القراءات الشاذة» (ص٤٨)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٦٩)، و«البحر المحيط» (٥/ ٢٥٥). هي بفتح الياء المشدّدة، وهي قراءة متواترة عَنْ السوسي في وجه وقراءة الجمهور بياء مشدّدة مكسورة بعدها ياء مفتوحة.

قال النحاس[١]: هي قراءة عاصم الجحدري والقراءة الأول أبيَن لقوله: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ كرّر سبحانه هذا لمزيد التأكيد[٢] والتقرير، ولما في تكرار التوبيخ والتقريع من الإهانة للمشركين، والتنقّص بهم، وإظهار سُخْف عقولهم، وركاكة أحلامهم ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ جملة مبتدأة لبيان عجزهم، أو حالية[٣]؛ أي: والحال أنك تراهم ينظرون إليك حال كونهم لا يُبصرون. والمراد: الأصنام إنهم يُشْبهون الناظرين، ولا أعين لهم يبصرون بها.

قيل: كانوا يجعلون للأصنام أعيناً مِنْ جواهر مصنوعة، فكانوا بذلك في هيئة الناظرين، ولا يُبْصرون.

وقيل: المراد بذلك: المشركون، أخبر الله عنهم بأنهم لا يبصرون حين لم ينتفعوا بأبصارهم، وإن أبصروا بها غير ما فيه نفعهم.

وقد أخرج أبو الشيخ[٤]، عن سعيد بن جبير قال: يُجاء بالشمس والقمر حتى يُلْقيَا بين يدي الله تعالى، ويُجاء بمن كان يعبدهما، فيقال: ﴿فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن السديّ[٥]، في قوله: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ قال: هؤلاء المشركون.

وأخرج[٦] هؤلاء أيضاً عن مجاهد، في قوله: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ ما يدعوهم إليه من الهدى.

---

(١) «إعراب القرآن» للنحاس (٢/١٦٩).

(٢) «روح المعاني» (٩/٥٤٥)، و«تفسير أبي السعود» (٣/٢٨٧).

(٣) «البحر المحيط» (٥/٢٥٣)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٧٠).

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/٦٢٧).

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/٦٣٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/١٦٣٧) بسند حسن.

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/٦٣٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/١٦٣٧) بسند صحيح.

[التوجيهات الربانية في مواجهة تلك الجاهلية الفاحشة وفي مواجهة هذه البشرية الضالة]:

﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾﴾.

قوله: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ لمّا عدّد الله ما عدّده من أحوال المشركين وتسفيه رأيهم وضلال سعيهم، أمر رسوله ﷺ بأن يأخذ العفو من أخلاقهم، يقال: أخذت حقي عفواً؛ أي: سَهْلاً، وهذا نوع مِنْ التيسير الذي كان يأمر به رسول الله ﷺ، كما ثبت في «الصحيح»(١) أنَّه كان يقول: «يسروا ولا تُعسّروا، وبشّروا ولا تُنفّروا» والمراد بالعفو هنا: ضد الجهد.

وقيل(٢): المراد: خذِ العفو مِنْ صدقاتهم، ولا تشدّد عليهم فيها وتأخذ ما يشق عليهم، وكان هذا قبل نزول فريضة الزكاة.

﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾؛ أي: بالمعروف. وقرأ عيسى بن عمر: «بالعُرُف» بضمتين(٣)، وهما لغتان، والعرف والمعروف والعارفة: كل خصلة حسنة ترتضيها العقول، وتطمئن إليها النفوس، ومنه قول الشاعر(٤):

مَنْ يفعلِ الخيرَ لا يَعْدَمُ جوازيَهُ ... لا يَذْهبُ العُرفُ بين اللّه والناسِ

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٦٩)، وأحمد (٣/ ١٣١) من حديث أنس رضي الله عنه.
وأخرجه البخاري رقم (٦١٢٥)، ومسلم رقم (٦/ ١٧٣٢) من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٤١٩ ـ ٤٢٠)، و«جامع البيان» (١٠/ ٦٣٩).

(٣) «القراءات الشاذة» (ص٤٨)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٧٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٤٢١). وهي قراءة شاذة.

(٤) وهو: الحُطيئة. انظر: «ديوانه» (ص٢٨٤).

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾؛ أي: إذا أقمتَ[١] الحجة عليهم في أمرهم بالمعروف فلم يفعلوا، فأعرضْ عنهم ولا تمارِهم ولا تسافههم مكافأةً لما يصدر منهم من المراء والسفاهة؛ قيل[٢]: وهذه الآية هي من جملة ما نسخ بآية السيف، قاله عبد الرحمٰن بن زيد[٣] وعطاء.

وقيل: هي مُحْكمة[٤]، قاله مجاهد وقتادة.

قوله: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ﴾ النَزْغُ: الوسوسة وكذا النَغز والنخس.

قال الزجاج[٥]: النزغ أدنى حركة تكون، ومِنْ الشيطان: أدنى وسوسة، وأصل النزغ: الفساد، يُقال: نزغ بيننا؛ أي: أفسد.

وقيل: النزغ: الإغواء، والمعنى متقارب، أمر الله سبحانه نبيّه ﷺ إذا أدرك مِنْ وسوسة الشيطان أن يستعيذ بالله.

وقيل: إنه لما نزل قوله: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ قال النبي ﷺ: «كيف ياربّ بالغضب» فنزلت[٦].

وجملة ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ علة لأمره بالاستعاذة؛ أي: استعذ به [٢/١٦٥] والتجئ إليه؛ فإنّه يسمع ذلك منك ويعلم به.

وجملة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ تَذَكَّرُوا۟﴾ مقرّرة لمضمون ما قبلها؛ أي: إنّ شأن الذين يتقون اللهَ، وحالهم هو التذكر لما أمر الله به من الاستعاذة به، والالتجاء إليه، عند أن يمسهم طائف مِنْ الشيطان وإن كان يسيراً.

قرأ أهل البصرة: «طَيْفٌ»[٧] وكذا أهل مكة.

وقرأ أهل المدينة والكوفة[٨]: ﴿طَـٰٓئِفٌ﴾.

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/ ٤٢١)، والنحاس في «إعراب اللقرآن» (٢/ ١٧٠).
(٢) «المحرر الوجيز» (٧/ ٢٨٣)، و«جامع البيان» (١٠/ ٦٤٣).
(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/ ٤٢١). (٤) «جامع البيان» (١٠/ ٦٤٣).
(٥) في «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٩٦).
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٦٤٦) بسند صحيح. لكنه معضل.
(٧) «التيسير» (ص١١٥)، و«النشر» (٢/ ٢٧٥)، و«زاد المسير» (٣/ ٣٠٩)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٨٦)، و«البحر المحيط» (٥/ ٢٥٨). ومعهم الكسائي في قراءة (طَيفٌ) وهي قراءة شاذة
(٨) انظر: المصادر المتقدمة ومعهم ابن عامر.

وقرأ سعيد بن جبير: «طيِّف» بالتشديد[١].

قال النحاس[٢]: كلام العرب في مثل هذا طَيف بالتخفيف على أنه مصدر من طاف يطيف.

قال الكسائي[٣]: هو مخفف مثل مَيْت ومَيِّت.

قال النحاس[٤]: ومعناه في اللغة: ما يتخيل في القلب أو يرى في النوم، وكذا معنى طائف.

قال أبو حاتم[٥]: سألتُ الأصمعي عن طَيِّف؟ فقال: ليس في المصادر فيّعل.

قال النحاس[٦]: ليس هو مصدراً ولكن يكون بمعنى طائف؛ وقيل: الطيف والطائف معنيان مختلفان، فالأوّل: التخيل؛ والثاني: الشيطان نفسه. فالأوّل: من طاف الخيال يطوف طيفاً، ولم يقولوا من هذا طائف.

قال السُّهيلي[٧]: لأنَّه تخيل لا حقيقة له، فأما قوله: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ [القلم: ١٩] فلا يقال فيه طيف لأنه اسم فاعل حقيقة.

قال الزجّاج[٨]: طفتُ عليهم أطوف، فطاف الخيالَ يطيف. قال حسان[٩]:

فدع هذا ولكن مَنْ لِطَيْفٍ ... يؤرقني إذا ذهب العشاءُ

وسميت الوسوسةُ: طيفاً لأنها لَمَّةٌ مِنْ الشيطان تُشبه لمّة الخيال[١٠].

﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ بسبب التذكر؛ أي: منتبهون وقيل: على بصيرة.

وقرأ سعيد[١١] بن جبير: ﴿تَذَكَّرُواْ﴾ بتشديد الذال.

---

(١) «القراءات الشاذة» (ص١٤٨).

(٢) في «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٧١).

(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/ ٤٢٥)، والنحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ١٧٠).

(٤) في «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٧١).

(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/ ٤٢٥)، والنحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ١٧٠).

(٦) في «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٧١).

(٧) في «الروض الأُنف» (٤/ ١١٧).

(٨) في «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٩٦).

(٩) انظر: «ديوان حسان بن ثابت» (ص٧).

(١٠) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٤٢٦).

(١١) قرأ مجاهد وسعيد بن جبير: «تذَّكَّروا» بتشديد الذال والكاف.

قال القرطبي في «تفسيره» (٩/ ٤٢٦): «ولا وجه له في العربية». ذكره النحاس. وهي قراءة شاذة.

قال النحاس[١]: ولا وجه له في العربية.

قوله: ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ﴾ قيل: المعنى: وإخوان[٢] الشياطين وهم الفجّار مِنْ ضُلّال الإنس، على أن الضمير في إخوانهم يعود إلى الشيطان المذكور سابقاً، والمراد به: الجنس، فجاز إرجاع ضمير الجمع إليه.

﴿يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ﴾؛ أي: تمدّهم الشياطين في الغيّ، وتكون مدداً لهم، وسُميت الفجار مِنْ الإنس إخوان الشياطين؛ لأنهم يَقْبلون منهم ويقتدون بهم.

وقيل: إن المراد بالإخوان: الشياطين، وبالضمير: الفجّار من الإنس، فيكون الخبر جارياً على مَنْ هو له.

وقال الزجاج[٣]: في الكلام تقديم وتأخير، والمعنى: والذين تدعون من دونه لا يستطيعون لكم نصراً ولا أنفسهم ينصرون ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ﴾ لأن الكفار إخوان الشياطين، ﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ الإقصار: الانتهاء عَنْ الشيء؛ أي: لا تُقْصر[٤] الشياطين في مدّ الكفار في الغيّ.

قيل: إن في الغيّ متصلاً بقوله: ﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾ وقيل: بالإخوان.

والغي: الجهلُ. قرأ نافع ﴿يُمِدُّونَهُمْ﴾ بضم[٥] حرف المضارعة وكسر الميم.

وقرأ الباقون بفتح[٦] حرف المضارعة وضم الميم، وهما لغتان: يقال: مدّ وأمَدّ.

قال مكي[٧]: ومدّ أكثر.

وقال أبو عبيد[٨] وجماعة من أهل اللغة: إِنَّه يقال إذا كثر شيء شيئاً بنفسه: مدّه، وإذا كثره بغيره. قيل: أمدّه نحو: ﴿يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَفٍ مِّنَ الْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [آل عمران: ١٢٥] وقيل: يقال: مددت في الشرّ وأمددتُ في الخير.

---

(١) في «إعراب القرآن» (٢/ ١٧١).
(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٤٢٧).
(٣) في «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٩٧).
(٤) «جامع البيان» (١٠/ ٦٥٣).
(٥) «البحر المحيط» (٥/ ٢٥٩)، و«النشر» (٢/ ٢٧٥)، و«التيسير» (ص١١٥)، و«زاد المسير» (٢/ ٣١٠)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٨٧)، و«جامع البيان» (١٠/ ٦٥٣).
(٦) انظر: المصادر المتقدمة.
(٧) في «الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٨٧).
(٨) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/ ٤٢٨)، والنحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ١٧٢).

وقرأ عاصم[١] الجَحْدري: «يمادونهم في الغي».

وقرأ عيسى بن عمر: ﴿ثُمَّ لَا يَقْصُرون﴾ بفتح[٢] الياء وضم الصاد وتخفيف القاف.

قوله: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُواْ لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾ اجتبى الشيء بمعنى: جباه لنفسِه؛ أي: جمعَه؛ أي: هلَّا اجتمعتها افتعالاً لها من عند نفسك.

وقيل: المعنى: اختلقتها، يقال: اجتبيت الكلامَ: انتحلته واختلقته واخترعته إذا جئتَ به مِنْ عند نفسك، كانوا يقولون لرسول الله ﷺ إذا تراخى الوحي هذه المقالة، فأمره الله بأن يجيب عليهم بقوله: ﴿إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾؛ أي: لست ممن يأتي بالآيات مِنْ قِبَل نفسه كما تزعمون؛ بل ﴿إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي﴾، فما أوحاه إليّ وأنزله عليّ أبلغته إليكم. وبصائر: جمعُ بصيرة؛ أي: هذا القرآن المنزل عليّ هو ﴿بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ يتبصّر بها مَنْ قِبلها؛ وقيل: البصائر الحججُ والبراهين.

وقال الزجاج[٣]: البصائر: الطُرُق. ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ معطوف على بصائر؛ أي: هذا القرآن هو بصائر وهُدى يهتدي به المؤمنون ورحمة لهم.

قوله: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ﴾ أمرهم[٤] الله سبحانه بالاستماع للقرآن والإنصات له عند قراءته؛ لينتفعوا به، ويتدبروا ما فيه من الحكم والمصالح.

قيل: هذا الأمر خاص[٥] بوقت الصلاة عند قراءة الإمام، ولا يخفاك أن اللفظ أوسع مِنْ هذا، والعام لا يَقصر على سببه، فيكون الاستماع والإنصات عند قراءة القرآن في كل حالة، وعلى أيّ صفة مما يجب على السامع.

وقيل[٦]: هذا خاص بقراءة رسول الله ﷺ للقرآن دون غيره، ولا وجه لذلك.

﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾؛ أي: تنالون الرحمة وتفوزون بها بامتثال أمر الله سبحانه، ثم أمره الله سبحانه أن يذكره في نفسه، فإنّ الإخفاء أدخل في الإخلاص، وأدعى للقبول.

---

(١) «القراءات الشاذة» (ص٤٨)، و«المحتسب» (١/ ٢٧١). وهي قراءة شاذة.
(٢) «القراءات الشاذة» (ص٤٩)، و«البحر المحيط» (٥/ ٢٦٠).
(٣) في «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٩٧).
(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٤٣١)، و«جامع البيان» (١٠/ ٦٥٨ ـ ٦٦٠).
(٥) «زاد المسير» (٣/ ٣١٢)، و«المحرر الوجيز» (٧/ ٢٣٨ ـ ٢٤٠).
(٦) «أحكام القرآن» لابن العربي (٢/ ٨١٧).

قيل: المراد بالذكر هنا: ما هو أعم مِنْ القرآن وغيره من الأذكار التي يذكر الله بها.

وقال النحاس[١]: لم يختلف في معنى ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾: أنه الدعاء؛ وقيل: هو خاص بالقرآن؛ أي: اقرأ القرآن بتأمل[٢] وتدبّر و﴿تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ منتصبان[٣] على الحال؛ أي: مُتضرعاً وخائفاً.

والخِيفة: الخَوفُ، وأصلها خِوْفَة قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها.

وحكى الفراء[٤] أنه يقال في جمع خِيفة: خيف.

قال الجوهري[٥]: والخِيفة الخوف، والجمع خِيَف، وأصله الواو؛ أي: خوف.

﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾؛ أي: دون المجهور به مِنْ القول، وهو معطوف على ما قبله؛ أي: مُتضرعاً، وخائفاً، ومتكلماً بكلام هو دون الجهر من القول.

و﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ متعلق بـ«اذكر»؛ أي: أوقات الغدوات، وأوقات الأصائل، والغدوّ: جمع غدوة، والآصال: جمع أصيل، قاله الزجاج[٦] والأخفش[٧]، مثل: يمين وأيمان.

وقيل: الآصال: جمع أُصُل، والأُصُل: جمع أَصيل، فهو على هذا جمع الجمع، قاله الفرّاء[٨].

قال الجوهري[٩]: الأصيل الوقت مِنْ بعد العصر إلى المغرب، وجمعه أُصُل وآصال وأصائل كأنَّه جمع أَصِيلة. قال الشاعر[١٠]:

---

(١) في «معاني القرآن» للنحاس (٣/ ١٢٣).

(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/ ٤٣٤).

(٣) «التبيان» (١/ ٦٠٩)، و«البحر المحيط» (٥/ ٢٦٣)، و«روح المعاني» (٩/ ٥٦٣).

(٤) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ١٧٣).

(٥) في «الصحاح» (٤/ ١٣٥٨).

(٦) في «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٩٨).

(٧) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٥٤١).

(٨) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ١٧٣).

(٩) في «الصحاح» (٤/ ١٦٢٣).

(١٠) هو: أبو ذؤيب.
انظر: «ديوان الهذليين» (ص١٤١)، و«الصحاح» (٤/ ١٦٢٣).

لعَمري لأنت البيتُ أُكرِمُ أهلَه وأقعُد في أفنائه بالأصائل

ويجمع أيضاً على أُصْلان مثل: بَعير وبُعْران، وقرأ أبو مِجْلَز(١): «والإيصال» وهو مَصدر. وخصّ هذين الوقتين لشرفهما، والمراد: دوام الذكر لله. ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾؛ أي: عَنْ ذكر الله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾ المراد بهم: الملائكة.

قال القرطبي(٢): بالإجماع.

قال الزجّاج(٣): وقال: «عند ربك» والله ﷻ بكل(٤) مكان لأنهم قريبون من رحمته، [٢/١٦٦] وكل قريب من رحمة الله ﷻ فهو عنده.

وقال غيره(٥): لأنهم في موضع لا ينفذ فيه إلا حكم الله.

وقيل: إنهم رسل الله، كما يقال: عند الخليفة جيش كثير.

وقيل: هذا على جهة(٦) التشريف والتكريم لهم، ومعنى: ﴿وَيُسَبِّحُونَهُۥ﴾: يعظّمونه وينزّهونه عَنْ كل شَيْن ﴿وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾؛ أي: يخصّونه بعبادة السجود التي هي أشرف عبادة.

وقيل: المراد بالسجود: الخضوع(٧) والذلّة، وفي ذكر الملأ الأعلى تعريض لبني آدم.

وقد أخرج سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، والبخاري، وأبو داود، والنسائي، والنحاس في «ناسخه»، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وأبو الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل»، عن عبد الله(٨) بن

---

(١) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ١٧٣). وهي قراءة شاذة.
(٢) في «تفسيره» (٩/ ٤٣٣). (٣) في «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٩٨).
(٤) وأهل السُّنَّة والجماعة يعتقدون أنّ الله فوق جميع مخلوقاته، مستو على عرشه، في سمائه، عالياً على خلقه، بائناً منهم، يعلم أعمالهم ويسمع أقوالهم ويرى حركاتهم وسكناتهم لا تخفى عليه خافية.
(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/ ٤٣٥).
(٦) «المحرر الوجيز» (٧/ ٢٤٠)، و«البحر المحيط» (٥/ ٢٦٤ ـ ٢٦٥).
(٧) «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٧٣)، و«جامع البيان» (١٠/ ٦٧٦).
(٨) أخرجه سعيد بن منصور في «سننه» رقم (٩٧٤ ـ تفسير)، وابن أبي شيبة (١٣/ ٣٨٨)، والبخاري رقم (٤٦٤٣)، وأبو داود رقم (٤٧٨٧)، والنسائي في «الكبرى» رقم (١١١٩٥)، =

الزبير، في قوله: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ﴾ الآية قال: ما نزلت هذه الآية إلا في أخلاق الناس، وفي لفظ: أمر الله نبيّه ﷺ أن يأخذ العفو من أخلاق الناس.

وأخرج ابن أبي حاتم، والطبراني في «الأوسط»، وأبو الشيخ، والحاكم وصححه، وابن مردويه، عن ابن عمر[1] في قوله: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ﴾ قال: أمر الله نبيّه ﷺ أن يأخذ العفو من أخلاق الناس.

وأخرج ابن أبي الدنيا، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن الشعبي[2]، قال: لما أنزل الله: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ قال رسول الله ﷺ: «ما هذا يا جبريل؟ قال: لا أدري حتى أسأل العالِمَ، فذهب ثم رجع فقال: إن الله أمرك أن تعفو عمّن ظلمك، وتعطي من حرمك، وتَصِل مَنْ قطعك».

وأخرج ابن مردويه[3]، عن جابر، نحوه.

وأخرج ابن مردويه[4]، عن قيس بن سعد بن عبادة، قال: لما نظر رسول الله ﷺ إلى حمزة بن عبد المطلب قال: «والله لأُمثّلنّ بسبعين منهم»، فجاءه جبريل بهذه الآية.

= والنحاس في «ناسخه» (ص٤٤٨)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٦٤٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٣٧)، والطبراني (ج١٣ قطعة منه برقم ٢٥٧)، والبيهقي في «الدلائل» (١/ ٣١٠) من طرق.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٣٧)، والطبراني رقم (١٢١٦)، والحاكم (١/ ١٢٤).
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٥) وقال: «رجاله ثقات».

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٦٤٣ ـ ٦٤٤)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٢٤٦)، وابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» رقم (٢٥) من طريق سفيان، عن أُبي. بسند صحيح، ولكن معضل، فإن أُبَيٍّ تابع تابعي.
• وأخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٣٨) من طريق سفيان، عن أُبَيّ، عن الشعبي. وسنده صحيح، لكنه مرسل.

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٦٢٨).

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٦٢٨).
قال ابن كثير في «تفسيره» (٦/ ٤٩١): «وقد روي مرفوعاً عن جابر وقيس بن سعد بن عبادة، عن النبي ﷺ». وانظر: «فتح الباري» (١٣/ ٢٥٩).

وأخرج ابن مردويه[(١)]، عن عائشة، في قوله: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ ما عفا لك من مكارم الأخلاق.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، عن ابن عباس[(٢)]، في قوله: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ قال: خذ ما عفا من أموالهم ما أتوك به من شيء فخذه. وهذا قبل أن تنزل براءة بفرائض الصدقة وتفصيلها.

وأخرج ابن جرير، والنحاس، في ناسخه، عن السديّ[(٣)] في الآية قال: الفضل من المال، نسخته الزكاة.

وأخرج ابن جرير[(٤)]، عن ابن زيد، قال: لما نزل: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ الآية. قال رسول الله ﷺ: «كيف بالغضب ياربّ؟ فنزل ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾».

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن مجاهد[(٥)]، في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ قال: هم المؤمنون.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا، وابن جرير، وابن المنذر، وأبو الشيخ، عن مجاهد[(٦)]، في قوله: «إذا مسّهم طَيْف من الشيطان» قال: الغَضَبُ.

وأخرج عبد بن حميد، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس[(٧)] قال: الطيف: الغضبُ.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن السديّ[(٨)]، في قوله: ﴿تَذَكَّرُوا۟﴾ قال: إذا زلّوا تابوا.

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٦٢٨).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٦٤١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٢٤٨) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٦٤١)، والنحاس في «ناسخه» (ص٤٤٦) بسند حسن.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٦٤٦) بسند صحيح، ولكنه معضل، عبد الرحمٰن تابع تابعي.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٤٠) بسند ضعيف.

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٦٤٨) بسند ضعيف.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٤٠) بسند صحيح.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٤١) بسند حسن.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، عن ابن عباس[١]، في الآية قال الطائف: اللَّمة من الشيطان ﴿تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾ يقول[٢]: فإذا هم مُنتهون عَنْ المعصية، آخذون بأمر الله، عاصون للشيطان ﴿وَإِخۡوَٰنُهُمۡ﴾ قال: إخوان الشياطين: ﴿يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ ثُمَّ لَا يُقۡصِرُونَ﴾ قال[٣]: لا الإنس يمسكون عما يعملون من السيئات، ولا الشياطين تُمْسك عنهم ﴿وَإِذَا لَمۡ تَأۡتِهِم بِـَٔايَةٖ قَالُواْ لَوۡلَا ٱجۡتَبَيۡتَهَاۚ﴾ يقول: لولا أحدثتَها: لولا تلقيتَها فأنشأتها[٤].

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، وابن مردويه، عنه[٥] ﴿وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ﴾ قال: هم الجنّ يُوحون إلى أوليائهم من الإنس ﴿ثُمَّ لَا يُقۡصِرُونَ﴾ يقول[٦]: لا يسأمون ﴿وَإِذَا لَمۡ تَأۡتِهِم بِـَٔايَةٖ قَالُواْ لَوۡلَا ٱجۡتَبَيۡتَهَاۚ﴾ يقول[٧]: هلا افْتَعلتَها من تلقاء نفسِك.

وأخرج ابنُ جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، وابن مردويه، وابن عساكر، عن أبي هريرة[٨]، في قوله: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ الآية قال: نزلت في رفع الأصوات وهم خلف رسول الله ﷺ في الصلاة.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٦٤٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٤٠) بسند صحيح.
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٦٥٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٤١) بسند صحيح.
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٦٥١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٤٢) بسند صحيح.
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٦٥٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٤٣) بسند صحيح.
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٦٥١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٤٢، ١٦٤٣) بسند ضعيف.
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٤٣) بسند ضعيف.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٤٣) بسند ضعيف.
(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٦٦٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٤٥)، والبيهقي في كتاب «القراءة خلف الإمام» رقم (٢٧٩) من طريق زيد بن أسلم، عن أبيه، به.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، والبيهقي، عن ابن عباس[(١)]، في الآية قال: يعني في الصلاة المفروضة.

وأخرج ابن مردويه، والبيهقي[(٢)]، عنه قال: صلى النبي ﷺ، فقرأ خلفه قوم فخلَطوا، فنزلت: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ﴾ الآية، فهذه في المكتوبة. قال: وإنّ كنّا لم نستمع لمَن يقرأ إنَّا لأَجفى مِن الحَمير.

وأخرج سعيد بن منصور، وابن أبي حاتم، والبيهقي، عن محمد بن كعب[(٣)] القرظي نحوه.

وأخرج عبد بن حميد، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «سننه»، عن مجاهد[(٤)] نحوه.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي، عن عبد الله[(٥)] بن مغفل نحوه.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، والبيهقي، عن ابن مسعود[(٦)]، نحوه أيضاً.

وقد روي نحو هذا عن جماعة مِنْ السلف، وصرحوا بأن هذه الآية نزلت في قراءة الصلاة من الإمام.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٦٦٣)، وابن المنذر في «الأوسط» (٣/ ١٠٥)، والبيهقي في كتاب «القراءة خلف الإمام» رقم (٢٥٤) بسند صحيح.

(٢) أخرجه البيهقي في «القراءة خلف الإمام» رقم (٢٥٥).

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في «سننه» رقم (٩٧٨ ـ تفسير)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٤٥) بسند ضعيف؛ لضعف أبي معشر، وإرساله.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٤٦)، والبيهقي في «السنن» (٢/ ١٥٥) بسند ضعيف.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٤٦)، والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» رقم (٢٥١) من طريق معاوية بن قرة المزني، به.

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٦٥٨) بسند منقطع بين المسيب بن رافع وابن مسعود. وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٦٥٩) بسند منقطع بين داود بن أبي هند ويُسير بن جابر.

● وقد أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٤٦) بسند صحيح متصل، من طريق داود بن أبي هند، عن أبي نضرة، عن يسير بن جابر المحاربي، عن عبد الله.

● وأخرجه البيهقي في «القراءة خلف الإمام» رقم (٢٥٨) بسند ضعيف من طريق داود بن أبي هند عن أبي نضرة، عن رجل، عن ابن مسعود.

وأخرج ابن أبي شيبة[١]، عن الحسن، في الآية قال: عند الصلاة المكتوبة، وعند الذكر.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن ابن عباس[٢]، في الآية قال: في الصلاة وحين ينزل الوحي.

وأخرج البيهقي[٣] عنه في الآية أنه قال: هذا في الصلاة.

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة[٤] في قوله: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ﴾ الآية قال: أمره الله أن يذكره، ونهاه عَنْ الغفلة؛ أما بالغدوّ: فصلاة الصبح، والآصال: بالعشي.

وأخرج ابن أبي حاتم[٥]، عن أبي صخر. قال: الآصال ما بين الظهر والعصر.

وأخرج ابن جرير، وأبو الشيخ، عن ابن زيد[٦]، في الآية قال: لا تجهر بذاك ﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ بالبكر والعشيّ.

وأخرج ابن جرير، وأبو الشيخ، عن مجاهد[٧] ﴿بِٱلْغُدُوِّ﴾ قال: آخر الفجر صلاة الصبح، والآصال: آخر العشي صلاة العصر.

والأحاديث والآثار عن الصحابة في سجود التلاوة، وعدد المواضع التي يسجد فيها، وكيفية السجود، وما يقال فيه مستوفاة في كتب الحديث والفقه، فلا نطوّل بإيراد ذلك هاهنا.

❁ ❁ ❁

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٦٣٧).
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٤٦) بسند ضعيف من طريق خصيف، عن عكرمة، به.
(٣) أخرجه البيهقي في «القراءة خلف الإمام» رقم (٢٥٦) عن ابن جريج، عن عطاء، وهو الصحيح. قاله البيهقي.
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٦٧١)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٢٤٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٤٧، ١٦٤٨) بسند صحيح.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٤٨) من طريق سعيد بن أبي مريم، به.
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٦٧٠) بسند صحيح.
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ٦٧٠) بسند ضعيف.

فهرس موضوعات الجزء الثالث

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع **الصفحة**

❁ ❁ ❁

دار ابن الجوزي 8428146
9 786038 298749